٦٩٧

حكاية اويس القرني ٤٢٩

والرخصة

والمقابر وحكم زيارة القبور **الباب السابع** ٧٢٤ في حقيقة الموت
الباب الثامن ٧٢٨ فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام
ويختم الكتاب بذكر باب في سعة الرحمة تمّ

كتاب احياء علوم الدين

قال الشيخ الامام علم الاعلام حجة الاسلام وحيد دهره وفريد عصره امام المجتهدين وقامع المبتدعين سيف المناظرين وحامل لواء الدين ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي الغزالي الشافعي رضي الله عنه وارضاه وعن جميع علماء المسلمين امين امين امين

احمد الله اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي على رسوله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر ساير المرسلين واستخيره سبحانه ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احيا علوم الدين وانتدب لقطع تعجبك رابعا ايها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت عليه مثابر من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بالعلم ولعمري لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر اد والخطب جد والاخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الاخرة مع كثرة الغوايل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد منهم بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة يستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام او سجعا مزخرفا يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام

فاما علم طريق الاخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الايمة المتقدمين وايضاحا لما هي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين سلام الله عليهم اجمعين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد الله عز وجل الاعيان بطلبه على لسان رسوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وامير فيه العلم النافع عن الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب كتاب العلم وكتاب قواعد العقايد وكتاب اسرار الطهارة وكتاب اسرار الصلوة وكتاب اسرار الزكوة وكتاب اسرار الصيام وكتاب اسرار الحج وكتاب اداب تلاوة القرآن وكتاب الاذكار والدعوات وكتاب ترتيب الاوراد في الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الاكل وكتاب النكاح وكتاب احكام الكسب وكتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجايب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب كسر آفة الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات اللسان وكتاب آفة الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم البخل وذم المال وكتاب ذم الجاه والريا وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الرجا والخوف وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت وما بعده واما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقايق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علما الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقايق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القران باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر في كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها يترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طريق المعالجة التي بها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الايات والاخبار والاثار واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها

من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ● واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها
وسببها الذي به تجتلب ● وثمرتها التي منها تستفاد ● وعلامتها التي بها تعرف ● وفضيلتها التي لاجلها يرغب
فيها مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل **ولقد** صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب
عنها بخمسة امور ● الاول حل ما عقدوه ● وتفصيل ما اجملوه ● الثاني ترتيب ما بددوه ● ونظم ما فرقوه
الثالث ايجاز ما طولوه ● وضبط ما قرروه ● الرابع حذف ما كرروه ● الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت
على الافهام لم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد
من السالكين بالتنبه لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه له ولكن يسهو عن ايراده في
الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه
العلوم وانما حملني على تأسيس الكتاب على اربعة ارباع امران **احدهما** وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب
في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي به يتوجه الى الاخرة ينقسم الى علم المعاملة ● والى علم
المكاشفة واعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف
العمل به **والمقصود** من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها
الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ● ومطمح نظر الصديقين ● وعلم المعاملة طريق اليه ولكن
لم يتكلم الانبياء عليهم السلام مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه **واما** علم المكاشفة فلم يتكلموا
فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال ● والعلماء
ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن منهج التأسي والاقتدا ● ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم
ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عبادة
او عادة ● والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم
فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة
والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفوس انقسم الى مذموم ومحمود فكان الجميع اربعة
اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام **الباعث الثاني** اني رايت الرغبة من طلبة
العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله عز وجل للتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه
ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير
الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من اراد استمالة قلوب الرؤسا
الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم
بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حياة الابد
اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب
والارواح للتوصل بها الى حياة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذي يعالج به الاجساد وهي
معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الاماد ● ونسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد ● انه

هو الكريم الجواد ● وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ● عليه توكلت واليه انيب

كتاب العلم وفيه سبعة ابواب

الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل ● الباب الثاني في بيان
فرض العين وفرض الكفاية من العلوم ● وبيان حد الفقه والكلام في علم الدين ● وبيان علم الاخرة من
علم الدنيا ● الباب الثالث في ما تعده العامة من علوم الدين وليس منه ● وفي بيان جنس العلم المذموم
وقدره ● الباب الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل ● الباب الخامس في
آداب المعلم والمتعلم ● الباب السادس في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا
والاخرة ● الباب السابع في العقل وفضيلته واقسامه وما جاء فيه من الاخبار والله اعلم

الباب الاول في فضيلة العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

الكلام في فضيلة العلم ● شواهدها من القرآن قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا
العلم ● فانظر كيف بدأ بنفسه عز وجل وثنى بملايكته وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا
وجلالا ونبلا ● وقال عز وجل يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ● قال ابن عباس
رضي الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام
وقال عز وجل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ● وقال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ● وقال عز وجل قال الذي عنده علم من
الكتاب انا اتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم ● وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير بين ان عظم قدر الاخرة يعلم بالعلم ● وقال سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها
الا العالمون ● وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه
في الوقايع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله عز وجل وقيل في قوله عز وجل يا
بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى اي الحيا ● وقال عز وجل
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة ● وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم ● وقال عز وجل
بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ● وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان ● وانما ذكر ذلك
في معرض الامتنان **واما الاخبار** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين ويلهمه رشده ● وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه
لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة ● وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يستغفر للعالم ما في السموات وما في الارض واي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملايكة السموات
والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له ● وقال عليه الصلاة والسلام
ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك ● وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا

الشافعي رضي الله عنه من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن ● وقال عمر رضي الله
عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله تعالى رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردايه فان اذنب ذنبا
استعتبه وان اذنب ذنبا استعتبه وان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به
ذلك الذنب حتى يموت ● وقال الاحنف كاد العلما ان يكونوا اربابا وكل عز لا يوطد بعلم فالى ذل يصير
وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثماية درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم
فما مضت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زايرا فلم اذن له ● وقال الزبير بن بكار كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم
فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكى ذلك في وصايا لقمن لابنه وقال يا بني جالس
العلما وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء ● وقال بعض
الحكما اذا مات العالم بكاه كل شيء حتى الحوت في الما والطير في السما ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره ● وقال
الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال

الكلام في فضيلة التعلم

اما الايات فقوله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ● وقوله عز وجل فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ●

واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به
طريقا الى الجنة ● وقال صلى الله عليه وسلم ان الملئكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ● وقال صلى الله عليه
وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي ماية ركعة ● وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل
خير له من الدنيا ● وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ● وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم
ولو بالصين ● وقال صلى الله عليه وسلم العلم خزاين مفاتحها السوال فاسئلوا فانه يوجر فيه اربعة السايل والعالم
والمستمع والمحب لهم ● وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه
وفي حديث ابي ذر حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا
رسول الله ومن قراة القران فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القران الا بالعلم ● وقال صلى الله عليه وعلى اله
وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة

الاثار

قال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا ● وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا
رايته رايت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا فاذا افتى فاكثر الناس علما ● وقال ابن المبارك عجبت
لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة ● وقال بعض الحكما اني لا ارحم رجلا كرحمتي لاحد رجلين رجل
يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب ● وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة
وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وساير الناس همج لا خير فيهم ● وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا
ولا تكن الرابع فتهلك ● وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو ● وقال عمر رضي الله عنه موت
الف عابد قايم الليل صايم النهار اهون من موت عاقل عالم بصير بحلال الله وحرامه ● وقال الشافعي رضي الله
عنه طلب العلم افضل من النافلة ● وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك رضي الله عنه اقرا عليه العلم فدخل الظهر
فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية ● وقال ابو الدرداء

من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رايه وعقله

الكلام في فضيلة التعليم

اما الايات فقوله عز وجل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والمراد هو التعليم والارشاد
وقوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم ● وقال عز
وجل وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه
وقال صلى الله عليه وسلم ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ على النبيين ان يبينه ولا يكتمه
وقال عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال تبارك وتعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة **واما الاخبار** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث
معاذا رضي الله عنه الى اليمن لان يهدي الله سبحانه بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها ● وقال صلى الله عليه
وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا ● وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم
فذاك يدعى عظيما في ملكوت السموات ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة يقول الله عز وجل
للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلما بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي
كبعض ملايكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعالم المتصدي للتعليم
لا للازم الذي لا يتعدى ● وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يوتيهم اياه ولكن
يذهب بذهاب العلما فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا روسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير
علم فيضلون ويضلون ● وقال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار ● وقال
صلى الله عليه وعلى اله وسلم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم
تعلمه اياها تعدل بعبادة سنة ● وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله سبحانه
وما والاه او معلما او متعلما ● وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وملايكته واهل السموات والارض حتى
النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير ● وقال صلى الله عليه وسلم ما افاد المسلم
اخاه فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه ● وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها المومن فيعمل
بها ويعلمها خير له من عبادة سنة ● وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون
الى الله عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هولاء فيسئلون الله سبحانه ان شا اعطاهم وان شا
منعهم واما هولاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ● وقال صلى الله عليه وسلم مثل
ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلاء
والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله عز وجل به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها
بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني للنافع والثالث للمحروم منهما
وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به الحديث ● وقال صلى الله عليه وسلم
الدال على الخير كفاعله ● وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها
ويعلمها الحديث ● وقال صلى الله عليه وسلم على خلفاي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك فقال صلى الله عليه وسلم

الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله عز وجل **الآثار** قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله
مثل اجر ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما معلم الخير يستغفر له كل شي حتى الحوت في البحر وقال بعض
العلما العالم يدخل فيما بين الله تعالى وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفيان الثوري رضي الله عنه
قدم عسقلان فمكث شهرا لا يسأله انسان فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما
قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقا العلم للعمل به وقال عطا دخلت على سعيد بن المسيب وهو
يبكي فقلت ما يبكيك فقال ما احد يسألني عن شي وقال بعضهم العلما سرج الازمنة كل واحد منهم مصباح
زمانه يستضي به اهل عصره وقال الحسن لولا العلما لصار الناس مثل البهايم اي انهم بالتعليم يخرجون
الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن
يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلما ارحم بامة محمد صلى الله عليه وسلم من آبايهم وامهاتهم
قيل وكيف ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول
العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا
فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في التعليم والتعلم ورايته
ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله عز وجل حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه
لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل في السراء والضراء
والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغربآء ومنار سبل الجنة ويرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة
يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل
رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه ودواب البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة
القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات
العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه
يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعدا ويحرمه الاشقيا

واما الشواهد العقلية فاعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم
الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان تعلم ان وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال ولقد
ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة
من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت
زيادته فيما هو كمال ذلك الشي كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه في قوة
الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زايدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة
في الجسم وهي نقصان في المعنى وليس من الكمال في شي والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه
واذا فهمت هذا لم يخف عليك ان للعلم فضيلة لمن وجد به بالاضافة الى ساير الحيوانات بل
شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق

من غير اضافة فانه وصف كمال الله عز وجل وبه شرف الملايكة والانبيا بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة
على الاطلاق من غير اضافة **واعلم** ان الشي النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى
ما يطلب لذاته ولغيره والى ما يطلب لغيره فقط وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب
لغيره الدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة لهما في اعيانهما ولولا ان الله عز وجل يسر قضآء الحاجة بهما لكانا
والحصبا بمثابة واحدة واما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر الى وجه الله العظيم
واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة عن
الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته
لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من
الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشيا رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وافضل الاشيا ما هو
وسيلة اليها ولا يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل
السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشي ايضا
بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملايكة ومقاربة الملا الاعلى
هذا في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبيا
الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من
التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم
مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضايلها بتفاوتها والله سبحانه وتعالى اعلم

واما فضيلة التعليم والتعلم فظاهر مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه
طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام
للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا
وليس لمن اتخذها وطنا ومستقرا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم
تنحصر في ثلاثة اقسام **احدها** اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي
للملبس والبنا وهي للمسكن والسياسة وهي للتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها
القسم الثاني ما هو مهيئ لكل واحدة من هذه الصناعات وخادم لها كالحدادة فانها تخدم
الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد اعمالها
القسم الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة لها كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة
للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزا الشخص بالاضافة الى جملته فانها ثلاثة
اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة
واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها
السياسة بالتاليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه

سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح
الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب **الاولى** وهي العليا سياسة
الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم **الثانية** الخلفاء والملوك
والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم **الثالثة** العلماء بالله عز وجل
وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا
ينتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع **الرابعة** الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف
هذه السياسات الاربعة بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم
الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم ● وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات
لان شرف الصناعة تعرف بثلاثة امور **اما** بالالتفات الى الغريزة التي يتوصل بها الى معرفتها كفضل العلوم
العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع **واما** بالنظر الى
عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة **واما** بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على
الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق
الآخرة انما يدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل
امانة الله عز وجل وبه يصل الى جوار الله سبحانه **واما** عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته
سعادة الآخرة **واما** شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود
على الارض جنس الانس واشرف جزء من اجزاء الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره
وسياقته الى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله ومن وجه خلافة لله عز وجل وهي اجل خلافة
فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون له في الانفاق
على كل محتاج اليه فانه لا رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى

الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل
علم الآخرة بيان العلم الذي هو فرض عين ● قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ●
وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين ● واختلف الناس في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم
وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي
هو بصدده ● فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته ● وقال
الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات ● وعنوا به ما يحتاج اليه
الآحاد دون الوقائع النادرة ● وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى
العلوم كلها ● وقال المتصوفة المراد بهذا العلم علمنا فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز
وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان ● وقال

بعضهم هو علم الباطن وذلك العلم يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه ● وقال ابو طالب
المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان
الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب ● والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يستريب
فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم
الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف الله العبد العاقل البالغ بها ثلاثة اقسام اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ
الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قوله
لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة
بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع
من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل
فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه
امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك الوقت مات مطيعا لله عز وجل غير عاص وانما يجب غير ذلك
لعارض يعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وذلك العارض اما ان يكون في الفعل واما
في الترك واما في الاعتقاد ● اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول
وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل
في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل
ان يقال وجوب العلم الذي هو من شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات
فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب
فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال ● فان تجدد له مال او كان له مال عند
بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال وانما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم
يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم وكذا في سائر الاصناف فاذا دخلت اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى
علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على
التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم
عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا
نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا
التدريج في علم سائر الافعال التي هي فرض عين **واما** التروك فيجب تعلم ذلك بحسب ما يتجدد في الحال
وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر
ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم
انه ينفك عنه فلا يجب عليه تعلمه وما هو ملابس له فيجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير
وجالسا في الغصب وناظرا الى غير ذي محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له

على القرب كالاكل فيجب تعلمه ذلك حتى انه اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل الخنزير فيجب تعلمه ذلك وتنبيهه
عليه وما وجب عليه تعليمه وجب عليه تعلمه

واما الاعتقادات

واعمال القلوب فيجب علمها
بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة
الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله سبحانه قديم وانه تعالى مرئي وانه سبحانه
ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة
للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع فيه الكلام
وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عنها بتلقين الحق خشية سبق الباطل الى قلبه فانه لو
القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد
الذي هو به معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين
ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم علم العمل الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي
هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى له
واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات
ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم ثلاث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات
احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما يتبع هذه الثلاث المهلكات فازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة
حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج ممكن
وهو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من
فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القاء اليه اذا لم يكن قد
انتقل عن ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة
فانه بعد التصديق بكونه صلى الله عليه وسلم رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع
الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار فاذا انتهيت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هو هذا
وتحققت ان كل عبد هو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقايع في عباداته ومعاملاته عن تجدد
لزوم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب
غالبا فاذا تبين انه عليه السلام انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه

واما بيان العلم الذي هو فرض كفاية

فاعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم
والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده ينقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد
من الانبياء صلوات الله عليهم فلا يرشد العقل اليه مثل الحساب والهندسة ولا التجربة مثل الطب ولا
السماع مثل اللغة والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح

فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة
وليس بفريضة ● اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة
ابقاء الابدان على الصحة وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي العلوم
التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الباقين ولا يتعجب من
قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة
والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك
فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه ولا يجوز التعرض للهلاك
باهماله ● واما ما يعد فضيلة لا فريضة فكالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى
عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه ● واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة
والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراها

اما العلوم الشرعية

وهي المقصودة بالبيان فهي المحمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون
مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي
اربعة اضرب

الضرب الاول

الاصول وهي اربعة ● كتاب الله عز وجل وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم واجماع الامة واثار الصحابة ● فالاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو
اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا
الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن
هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم والتمسك باثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من
راه ولا يليق بيانه بهذا الفن

الضرب الثاني

الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا
بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم
من قوله عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متألما بمرض وهذا
على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا ● والثاني
ما يتعلق بالاخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله عز وجل وما هو
مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من
القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول من هذا الكتاب

الضرب الثالث

المقدمات وهو الذي يجري منها مجرى الالات كعلم اللغة والنحو فانهما اله لعلم كتاب الله
عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن لزم الخوض
فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة
الة ومن الالات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال
الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا

الضرب الرابع

المتممات وذلك فى علم القران فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القرات ومخارج الحروف • والى ما يتعلق بالمعنى
كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به • والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ
والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى اصول الفقه ويتناول
السنة ايضا **واما المتممات** فى الآثار والاخبار فالعلم بالرجال وانسابهم واسمائهم فى الصحابة
وباسامى الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوى والعلم
باعمارهم ليتميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من
فروض الكفايات **فان قلت** فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقها بعلماء الدنيا **فاعلم**
ان الله عز وجل اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من ماء مهين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب
الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او النار فهذا مبداهم وهذه غايتهم
وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل انقطعت الخصومات
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم
واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلائق
اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم
لينتظم باستقامتهم امورهم فى الدنيا ولعمرى هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا
فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توءمان والدين اصل والسلطان حارس
وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضايع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط فى
فصل الحكومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الاولى بل هو معين
على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طرق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقه تحرس من العرب فى
الطريق ولكن الحج شى وسلوك الطريق الى الحج شى ثان والقيام بالحراسة التى لا يتم الحج الا بها شى ثالث
ومعرفة طريق الحراسة وحيلها وقوانينها شى رابع وحاصل فن الفقه معرفة طريق السياسة والحراسة ويدل
على ذلك ما روى مسندا لا يفتى الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف والامير هو الامام وكانوا هم
المفتون والمامور نايبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة
رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن
وطريق الآخرة • وفى بعض الروايات بدل المتكلف المراى فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعينة عليه للحاجة
اليه فلا يقصد بذلك الا طلب الجاه والمال **فان قلت** هذا ان استقام لك فى احكام الحدود والجراحات
والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلوة ولا فيما يشتمل
عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام **فاعلم** ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التى هى اعمال
الآخرة ثلاثة • الاسلام والصلاة والحلال والحرام فاذا تاملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز
حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهى فى غيرها اظهر • اما الاسلام فيتكلم

الفقيه فيما يصح منه وما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية
الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عن ذلك حيث قال هلا شققت عن
قلبه فى الذى قتل حين تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة
الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل
والحيرة ولكنه يشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان
تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك
فى الدم والمال **واما** الآخرة فلا ينفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من
فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه **واما** الصلاة فالفقيه
يفتى بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا فى جميع صلاته من اولها الى آخرها
مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق الا عند التكبير للاحرام وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كثير نفع
كما ان القول باللسان فى الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة اى ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر
وانقطع به عنه القتل او التعزير **فاما** الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر
لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا عن فنه **واما** الزكوة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان
حتى انه اذا امتنع فاخذها السلطان قهرا منه حكم بانه برئت ذمته وحكى ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته
فى آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكوة فحكى ذلك لابى حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك
من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار **واما** الحلال والحرام
فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب **الاولى** الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو
الذى يخرج بعدمه الانسان عن اهلية الشهادة والقضا والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر **الثانية**
ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى تتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى
ما لا يريبك وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب **الثالثة** ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى
يخاف منه اداوه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس
وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من
هيجان النشاط والبطر المودى الى مقارفة المحذورات **الرابعة** ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله
سبحانه خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم ويتحقق انه لا
يفضى الى الحرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما
يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان
افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط
فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى الاثم وصفات القلب واحكام الآخرة

فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفيل كما يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنحو وعلم الكلام وكما تدخل
الحكمة في النحو والشعر • وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد
الاخرة فكيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف
ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف
هو علم تلك الاعمال فان قيل قد ساويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد
وذلك ايضا يتعلق به صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما
فرق فان الفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه • احدها انه علم شرعي اي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب لانه ليس
من علم الشرع • الثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الاخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فانه
لا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون • الثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الاخرة فانه نظر في اعمال الجوارح
ومصدر الاعمال ومنشاها صفات القلوب والمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الاخرة
والمذموم يصدر عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفات في المزاج
والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب ومهما اضيف الطب الى الفقه ظهر شرفه واذا اضيف
علم طريق الاخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم طريق الاخرة فان قلت فصل لي علم طريق الاخرة تفصيلا يشير
الى تراجمه وان لم يمكن استقصا تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم
الباطن وذلك غاية العلوم • وقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم يخاف عليه من سو الخاتمة
وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله • وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم
بدعة اوكبر • وقيل من كان محبا لله فاز ومن كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بساير العلوم
واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو عبارة عن نور يظهر
في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاتها المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماها
ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وصفاته التامات
وبافعاله وحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى
الوحي ومعنى لفظ الملايكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبيا وكيفية
وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملايكة وجنود
الشيطان فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر
والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله عز وجل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار
الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول
في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملاء الاعلى ومقارنة الملايكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات
اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السما الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس
في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد لعباد

الله الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق في الجنة الا الصفات والاسما
وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله
سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة
الله عز وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه سبحانه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم مريد فنعني
بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطا حتى تتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك
فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مراة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني
بعلم طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المراة من هذه الخبايث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة
صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتدا بالانبيا في جميع احوالهم فبقدر
ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلالا فيه حقايقه ولا سبيل الى ذلك الا بالرياضة التي ياتي
تفصيلها في موضعه وبالعلم والتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله
سبحانه عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي
هو الذي اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا
به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل فلا تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ اتاه العلم
واما القسم الثاني فهو علم المعاملة الذي هو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر
والخوف والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال والاحسان
وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها
واسبابها التي تكتسب بها وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود
فذلك كله من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو
وحب الثنا وحب طول البقا في الدنيا للتمتع والكبر والريا والغضب والانفة والعداوة والبغضا والطمع
والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والاستهانة بالفقرا والفخر والخيلا والتنافس
والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة
الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من
مكر الله سبحانه في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة
والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا والطيش والعجلة وقلة الحيا
وقلة الرحمة • فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها في
الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها
وعلاجها هو من علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك
في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقها

في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه
المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في
اهماله هلاكه في الاخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات
الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها
ولا يزال يتعب في ذلك ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم في نفسه في الدين واذا روجع فيه قال
اشتغلت به لانه علم الدين وفرض كفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء
حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفاية فكم من بلد ليس فيها
طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به
ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب
عن الوقايع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفروض كفاية قد قام بها جماعة واهمال
ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال
الايتام وتقليد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسليط به على الاعداء هيهات هيهات قد
اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان واليه العياذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط
الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان
الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في
كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق للعمل بما علمناه وكان احمد بن حنبل رضي
الله عنه ويحيى بن معين رضي الله عنه يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه
كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا اتانا امر لا نجده في كتاب الله ولا في سنتك فقال
صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك
وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد رضي الله عنه قال لي سري شيخي رضي الله عنه اذا قمت
من عندي فمن تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده
على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث
اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت
لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة ولم تبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل
ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنها فهو اما
مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق والتطويل
بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا
يتعلق بالدين فلم يكن شيء من ذلك مألوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان
حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما

مؤلفا فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل
به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود معروف سنذكره في الباب الذي يلي هذا
ان شاء الله تعالى واما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما
مباحان كما سبق ولا يمنع منهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لها قد
خرجوا منها الى البدع فيصان الضعيف عنها لا لعينها كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في
النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم والثاني
المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث
الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وصفاته وهو ايضا داخل في علم الكلام والفلاسفة لم ينفردوا
فيها بنمط اخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل
اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلسفة والرابع الطبيعيات
وبعضها يخالف الشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام
وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على
الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل
عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات
الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت
حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن
استئجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر
الصحابة رضي الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد
الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل
بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه
سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة
فاما معرفة الله سبحانه وتعالى وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه من علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام
بل يكاد ان يكون الكلام حجابا ومانعا منه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية
حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة
عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه
الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة
الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله سبحانه
فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال
حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى

ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم
على تقديمهم وانهم لا يدرك في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقديمهم بالكلام والفقه بل بعلم الاخرة
وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام
ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه فليكن حرصك في طلب ذلك الشيء
فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب
ودواعي يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة كلهم علما بالله عز وجل
اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم
احد الا بضعة عشر رجلا فكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول للسائل اذهب الى هذا الامير
الذى تقلد امور الناس وضعها فى عنقه اشارة الى ان الفتوى فى القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة
ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول هذا وفينا جلة الصحابة
فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام وانما اريد العلم بالله سبحانه افترى انه اريد صنعة الكلام والجدل
فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر رضى الله عنه تسعة اعشاره وهو الذى سد
باب الجدل والكلام وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا فى تعارض ايتين من كتاب الله عز وجل
وهجره وامر الناس بهجرانه • واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون • فاعلم ان ما ينال
به الفضل عند الله عز وجل شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء اخر فلقد كانت شهرة ابى بكر رضى
الله عنه بالخلافة وكان فضله بالشيء الذى وقر فى صدره وكانت شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان
فضله بالعلم بالله سبحانه الذى مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله عز وجل فى ولايته
وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن فى سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب
الجاه والاسم والسمعة والريا والراغبين فى الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر
لا يطلع عليه احد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله سبحانه بعلمه
وبفتواه وذبه عن سنته ولم يطلب فيه ريا ولا سمعة فاولئك هم اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم
بعلمهم ولارادتهم وجه الله عز وجل بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل لانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما •
فالطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه وعمله من حيث انه عامل لله عز وجل
والسلطان يتوسط بين الخلق لله عز وجل فيكون مرضيا عند الله سبحانه لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل
هو متقلد لعمل يقصد به التقرب الى الله • واقسام ما يتقرب به الى الله تعالى ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة
وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه الناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الاخرة فان صاحبه من العلماء
والعمال جميعا فانظر الى نفسك انكون يوم القيمة فى حزب عمال الله عز وجل او علماء الله سبحانه او فى حزبهما فتضرب
بسهمك فى كل فريق منهما فهذا اهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار • خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به فى
طلعة البدر ما يغنيك عن زحل على انا سننقل من سير فقهاء السلف ما يعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم

ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله عز وجل وقد شوهد من احوالهم
ما هو من علامات علماء الاخرة كما سياتى بيانه فى باب علامات علماء الاخرة وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه
بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن
التصنيف والتدريس فى الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعى متيقنة
ولا حاجة الى ذكرها ونحن الان نورد من احوال فقهاء الاسلام ما يعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن
فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذهبهم وهو مخالف لهم فى علمهم وسيرتهم • فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة
الخلق اعنى الذين كثر اتباعهم فى المذاهب خمسة الشافعى رضى الله عنه ومالك رضى الله عنه وابو حنيفة رضى الله عنه
واحمد بن حنبل رضى الله عنه وسفين الثورى رضى الله عنه وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الاخرة
وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها
على خصلة واحدة وهى التشمر والمبالغة فى تفاريع الفقه لان الخصال الاربعة لا تصلح الا للاخرة وهذه
الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والاخرة ان اريد بها الاخرة فلصلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها •
مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال
الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة • اما الشافعى رضى الله عنه فيدل على كونه عابدا ما روى انه كان يقسم
الليل ثلاثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلاة وثلثا للنوم • وقال الربيع كان الشافعى رضى الله عنه يختم القران
فى شهر رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة • وكان البويطى احد اصحابه يختم القران فى شهر رمضان فى كل
يوم مرة • وقال حسين الكرابيسى بت مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين
اية فاذا اكثر فماية فكان لا يمر باية رحمة الا سال الله سبحانه الرحمة لنفسه وللمؤمنين ولا باية عذاب الا تعوذ
منها وسال النجاة لنفسه وللمؤمنين وكانما جمع له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين
اية على تبحره فى اسرار القران وتدبره فيها • وقال الشافعى ما شبعت منذ ستة عشر سنة لان الشبع يثقل
البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته فى ذكر
افات الشبع ثم فى جده فى العبادة اذ طرح الشبع لاجلها وراس التعبد تقليل الطعام • وقال الشافعى
رضى الله عنه ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على
علمه بجلال الله سبحانه ظاهرة • وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له الا تجيب رحمك الله
فقال حتى ادرى الفضل فى سكوتى او فى الجواب فانظر فى مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء
واعصاها على الضبط والقهر وبذلك تستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب
وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعى رضى الله عنه يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على
رجل من اهل العلم فالتفت الشافعى الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به
فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شيء فى وعايه فيحرص ان يفرغه فى اوعيتكم ولو ردت
كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها • وقال رضى الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس

علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده رضي الله عنه فقد قال رضي
الله عنه من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب • وقال الحميدي خرج الشافعي رضي الله
عنه الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فكان
الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها • وخرج من الحمام يوما فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط
سوطه من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه جزاء على ذلك خمسين دينارا • وسخاء الشافعي اشهر من ان يحكى وراس
الزهد السخا لان من احب شيا امسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى
الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله عز وجل واشتغال همه بالآخرة ما روي انه روى سفين بن عيينة
حديثا في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وروى عبد الله
بن محمد البكري قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من
محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ
وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي رضي الله عنه وقد تغير
لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام
الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت هيبة المشتاقين الهي هب لي جودك
وجللني سترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق قعدت
على الشط اتهيا للصلاة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت
فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي وقال هل لك حاجة فقلت
نعم تعلمني مما علمك الله عز وجل شيا فقال لي اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن
زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا افلا ازيدك قلت نعم قال من كانت فيه ثلاث خصال فقد
استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى الا ازيدك قلت بلى
قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا
فقالوا هو الشافعي رضي الله عنه ورحمه فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده
وغاية خوفه ولا يحصل هذا الزهد والخوف الا من معرفة الله عز وجل فانما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد
الشافعي رضي الله عنه هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وساير كتب الفقه بل من علوم الآخرة المستخرجة
من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودوعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم
الآخرة فيعرف ذلك من الحكم المأثورة عنه روي انه سئل عن الريا فقال على البديهة الريا فتنة عقدها
الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم • وقال رضي
الله عنه اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب وفي اي عقاب ترهب
واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا فكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر
كيف ذكر حقيقة الريا وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب • وقال رضي الله عنه من لم يصن نفسه لم

ينفعه علمه • وقال من اطاع الله عز وجل بالعلم تفقه سره • وقال ما من احد الا وله محب ومبغض فاذا
كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله سبحانه • وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان
يسال الشافعي رضي الله عنه عن مسايل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي يوما ايما
افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي رضي الله عنه التمكين درجة الانبيا ولا يكون التمكين الا
بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله سبحانه امتحن ابرهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن
موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام ثم مكن له وامتحن سليمان عليه السلام ثم اتاه ملكا
والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض وايوب بعد المحنة العظيمة مكن
قال الله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم الاية • فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القران
والاطلاع على مقامات السائرين الى الله عز وجل من الانبيا والاوليا وكل ذلك من علوم الآخرة • وقيل
للشافعي رضي الله عنه متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم تعلمه وتعرض لساير العلوم فنظر فيها فانه
عند ذلك يكون عالما قيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود منها
واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لان الافراد قاتله • فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على عظم رتبته
في معرفة الله سبحانه وعلوم الآخرة • واما ارادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه
ما روي عنه انه قال وددت لو ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شي فانظر كيف اطلع على
آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله عز وجل
وقال رضي الله عنه ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطي وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد
ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على
لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني احد على الحق
ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته • فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله عز وجل بالفقه والمناظرة
فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه في ذلك ولهذا
قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراوون مثل الشافعي • وقال احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا
وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلما
في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضا لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتدا بهولاء ولكثرة دعائه
له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعا فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا
وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف • وقال احمد ما من احد بيده محبرة الا وللشافعي في عنقه منة
وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل
عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر
هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ ابو الفتح نصر بن ابرهيم المقدسي في مناقب الشافعي
رضي الله عنه واما مالك رضي الله فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه سيل ما تقول

يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله
في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب
وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال رضي الله عنه العلم نور يجعله الله تعالى حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على
قوة معرفته بجلال الله عز وجل **واما ارادته** وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشي
ويدل عليه قول الشافعي رضي الله عنه اني شهدت مالكا رضي الله عنه سئل عن ثمان واربعين مسألة فقال في
اثنتين وثلاثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري
ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر المنصور
من الخلفاء منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على
مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك رضي الله عنه ما كان رجل صادقا في
حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولا يصيبه مع الهرم آفة ولا خرف **واما زهده في الدنيا** فيدل
عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين سأله هل لك من دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي
عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلاثة آلاف دينار فقال
اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان
احمل الناس على الموطا كما حمل عثمن الناس على القرآن فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس الى ذلك سبيل
لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال
صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي
ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا
على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك رحمه الله في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة
من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه فكان يفرقها في وجوه الخير ويدل سخاوه على زهده وقلة حبه للدنيا
وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه فلقد كان سليمن صلى الله عليه وسلم في ملكه من الزهاد
في الدنيا ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رضي الله عنه انه قال رايت على باب مالك كراعا
من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منها فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هبة مني اليك يا ابا
عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انا استحيي من الله عز وجل ان اطأ تربة نبي الله صلى الله
عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخايه اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة
ويدل على ارادته بالعلم وجه الله سبحانه وتعالى واستحقاره للدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون
الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا قال فقلت اعز الله
الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا ياتي فقال

صدقت اخرجوا الى المسجد حتى يسمعوا مع الناس **واما ابو حنيفة رضي الله عنه** فلقد كان ايضا عابدا زاهدا
عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف مما روي عن ابن المبارك انه
قال كان ابو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن ابي سليمن انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان
يحيي نصف الليل فمر يوما في طريق فسمع انسانا وهو يقول هذا الذي يحيي الليل كله فقال اري الناس يذكروني
بما ليس في هذا او نحوه فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال انا استحيي من الله ان اوصف بما ليس في
من عبادته **واما زهده** فقد روي عن الربيع بن عاصم انه قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت
بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل
العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده
السلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله تعالى وروي انه ذكر
ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد
ابن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فما
رضي ابو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول
الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته
فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع البيت فقال لابنه
اذا انا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة وقل له هذه وديعتك التي
اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي
انه دعي الى ولاية القضا فقال انا لا اصلح له فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح له وان كنت كاذبا
فالكاذب لا يصلح للقضا **واما** علمه بامور الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله تعالى فيدل ذلك على
شدة خوفه من الله عز وجل وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه
شديد الخوف لله عز وجل وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس
وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد
اوتي العلم كله فهذه احوال الائمة الثلثة **واما احمد بن حنبل وسفين الثوري** رضي الله عنهما فاتباعهما
اقل من اتباع هولاء وسفين اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب
مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الان فانظر الآن في سير هولاء الائمة
وتامل ان هذه الاحوال والاقوال والاعمال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد
العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم آخر اعلى واشرف منه
وانظر الى الذين ادعوا الاقتدا بهولاء اصدقوا في دعواهم ام لا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة

وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم

والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها **بيان علة ذم العلم المذموم** لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما **فاعلم** ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة **[الاول]** ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل عليه السلام بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجرا الله تعالى العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب في ذلك وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر **الثاني** ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان مسير الشمس والقمر محسوب اذ قال عز وجل الشمس والقمر بحسبان وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم • والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وذلك يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه ذمه الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا • وقال صلى الله عليه وسلم اخاف على امتي بعدي ثلاثا حيف الائمة وايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر • وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه • احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر مرجوا او محذورا من جهتها وينمحي ذكر الله عز وجل عن القلب فان الضعيف يقتصر نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا يترقى في نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منه الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع على الترقي الى مسبب الاسباب هذا احد اسباب النهي عن النجوم • ثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا الوجه

الحجر

من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس صلى الله عليه وسلم فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا المنجم ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السما تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويتجلى الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطي ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضا • وثالثها انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليها وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه •

السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائض به فيه فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء صلوات الله عليهم والاوليا فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن في الدين منه قبل الخوض فيها ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوات اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور • فلقد حكي عن بعض الناس انه شكى الى طبيب عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموت الى اربعين يوما وقد دل النبض على ذلك فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت واقامت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة • فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع • فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللجج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشيا لاعرفها على ما هي عليه فاي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر فكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم

يتداركه الله برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها
فهكذا الانبيا اطبا القلوب والعلما باسباب الحياة الاخروية فلا تحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم
من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليها حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلى الكتف
من الجانب الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها
ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الاخرة وفي دقايق سنن الشرع واادابه وفي عقايده التي تعبد
بها الناس اسرار ولطايف ليس في سعة العقل ولا قوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا غاب
عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد ان يعرف السبب الذي به يجتذب المغناطيس الحديد والعجايب والغرايب
في العقايد والاعمال وافادتها لصفا القلوب ونقايها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله
سبحانه وتعرضها للسعادة ونفحات فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك
منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا الى ذلك فكذلك العقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الاخرة مع ان
التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة يتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة
النافعة المقربة الى الله عز وجل زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقايد وذلك لا مطمع فيه فيكفيك
من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته واعزل العقل بعد
ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول
عيلا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يوثر تاثير الجهل في الاضرار وقال صلى الله عليه وسلم قليل من التوفيق
خير من كثير من العلم وقال عيسى صلى الله عليه وسلم ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها
بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع والسلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

باب بيان ما بدل من الفاظ العلوم

اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها
بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه
والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين
ولكنها نقلت الان الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع
اطلاق هذه الاسامي عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل
اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقايق عللها واستكثار الكلام فيها
وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان
اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ومعرفة دقايق افات النفوس ومفسدات الاعمال
وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك على
ذلك قول الله تبارك وتعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم الاية وما به الانذار
والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا

يحصل به انذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما يشاهد من المتجردين له
قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة
اسمان لمعنى واحد وانما نتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم
من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله عز وجل واستعظامهم سطوة الخلق على
قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم
وقال صلى الله عليه وسلم علما حكما فقها للذين وفدوا عليه وسيل سعد بن ابرهيم اي اهل المدينة
افقه فقال اتقاهم لله فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية
وقال صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم من لم يقنط
الناس من رحمة الله سبحانه ولم يومنهم من مكر الله عز وجل ولم يويسهم من روح الله عز وجل ولم يدع القران
رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون
الله عز وجل من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقبات قال فالتفت الى يزيد الرقاشي
وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم وعظه على اصحابه ويسرد الحديث
سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القران ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القران
وعد النعم تفقها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات
الله عز وجل وحتى يرى للقران وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي الدردا رضي الله عنه مع قوله ثم
يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شي فاجابه فقال ان الفقها يخالفونك
فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الاخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن
اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولسنا نقول ان اسم الفقه لم يكن
متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم
له على علم الاخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام
القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية
والقضا والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه
الذي هو اسم محمود في الشرع **اللفظ الثاني العلم** وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله عز وجل وباياته
وافعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فعرفه
بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر
لمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسايل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في
العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفة ولا يعدونه من زمرة اهل العلم وهذا
ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضايل العلما والعلم اكثره في العلما بالله عز وجل وباحكامه وافعاله

وصفاته وصار الان يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسايل خلافية فيعد بذلك
من فحول العلما مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من الطلبة

اللفظ الثالث التوحيد

وقد جعل الان عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات
الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوايف
منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلما بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه
الصناعة لم يكن يعرف منها شي في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح ابواب الجدل والمماراه
فاما ما يشتمل عليه القران من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك
معلوما للكل وكان العلم بالقران هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر اخر لا يفهمه اكثر المتكلمين فان
فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله عز وجل روية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط وان
يرى الخير والشر الا منه جل جلاله وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي بيانه في كتاب التوكل ومن
ثمراته ترك الشكاية للخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله عز وجل وكان احدى ثمراته قول ابي بكر
الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول اخر لما مرض وقيل له
ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي اني فعال لما اريد وسياتي شواهده في كتاب التوكل وكان
التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الاخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة
للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا
للتثليث الذي تصرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني
ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق
به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو
اللباب ان يرى الامور كلها من الله عز وجل روية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها
فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى
التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين ابايه فيتبع
ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج عن هذا التوحيد التسخط
على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن
هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباي قشر قنع وكيف اتخذ هذا معتصما في التمدح
والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكره ويتوجه
الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله سبحانه به كل يوم
ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله عز وجل على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى
الكعبة وما صرفه الا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه

اليها متوجها اليه تعالى ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف
يصدق قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنياوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه
واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة
هي خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال
قوله عز وجل قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان وانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى
وانما موقع نظر الله عز وجل هو المترجم عنه وهو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع الذكر والتذكير

وقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقد ورد في الثنا على مجالس
الذكر اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة فقال
صلى الله عليه وسلم مجالس الذكر وفي الحديث ان لله عز وجل ملايكة سياحين في الهوى سوى ملايكة الخلق
اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون منهم
الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو
القصص والاشعار والشطح والطامات **اما القصص** فهو بدعة وورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص
وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت
الفتنة وظهر القصاص وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه
لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن
عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش
جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص
يا شيخ الا تستحيي قال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص
والسوال واخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ
كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وافات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه
الحذر منه ويذكرنا الا الله سبحانه ونعمايه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها
وقلة عهدها وخطر الاخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي
ذر حيث قال حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور
مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القران فقال صلى الله عليه وسلم وهل تنفع
قراءة القران الا بالعلم وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه
الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا
بالقصص الذي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص ويخرج عن القصص الواردة في القران ويزيد عليها فان
من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق
بالكذب والنافع بالضار فلهذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رضي الله عنه ما احوج الناس الى قاص صادق

فان كانت القصة من قصص الانبيا فيما يتعلق باموردينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست ارى به
باسا فليحذر الكذب وحكاية احوال تومئ الى هفوات ومساهلات يقصر فهم العامة عن درك معانيها او عن
كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته
وهفواته ويمهد لنفسه عذرا في ذلك ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر وكلنا بصدد
المعاصي فلا غرو ان عصيت الله تعالى فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله عز وجل من حيث لا يدري
فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن ويصح
في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجير وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده في
ذلك دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكره الله
سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من
التصنع • قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا
حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات اياك
والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف
ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب ٥

واما الاشعار

فتكثيرها في المواعظ مذموم • قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل
واد يهيمون • وقال عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق
بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم
مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور الجميلة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما
هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا
ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال صلى الله عليه
وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن
معهم غيرهم فان ذلك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما
يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع والوجد ولذلك كان الجنيد رضي الله عنه يتكلم على
بضعة عشر رجلا فان اكثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين قط وحضر جماعة باب داره ابن سالم فقيل له
تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هؤلاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس اي اصحابي هم الخواص

واما الشطح

فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه
والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية ٥
والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون في ذلك بابي الحسين الحلاج الذي صلب
لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد انه قال سبحاني سبحاني
وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا امثال هذه الدعاوى

فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة في الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبيا
عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا
انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور
الحق فهذا وفنه مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله
سبحانه من احياء عشرة • واما ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه فلا يصح عنه ما حكي عنه وان سمع ذلك منه فلعله
كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما
كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية

الصنف الثاني من الشطح

كلمات غير مفهومة لها ظواهر
رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط
في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه
لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني
بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان
او يحمل على ان يفهم منها معاني ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد ممن يسمعها على مقتضى هواه وطبعه وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه
وسلم كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا
يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله وان كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره • وقال عيسى
صلى الله عليه وسلم لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب
الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر عنه من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم
ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه

واما الطامات

فيدخلها ما ذكرناه من الشطح وامر
آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهوم الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام شيء
كدأب الباطنية في التأويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها
بغير اعتصام فيها بنقل عن صاحب الشرع او من غير ضرورة تدعو الى ذلك من دليل العقل اقتضى ذلك
بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط بذلك منفعة كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق
منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذه ايضا
من البدع الشائعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها بها الاغراب فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة
له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه
من مذهبهم في الكتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم
في تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل
انسان وفي قوله تعالى والق عصاك اي كل ما تتوكأ عليه وتعتمده مما سوى الله سبحانه فينبغي ان يلقيه
وفي قوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة واراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى

يحرفون القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وساير العلما وبعض هذه التاويلات
تعلم بطلانه قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له
كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملايكة وما لم يدرك بالحس حتى يتطرق
التاويل اليه الفاظه وكذلك حمل السحر على الاستغفار فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتناول الطعام ويقول
تسحروا فان في السحور بركة وهلموا الى الغذا المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس نقلا وبعضها
يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق
لم ينقل من ذلك شي عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم
ولا يظهر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار معنى الا هذا
النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان
يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران
بالاستنباط والفكر فان من الايات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم
ان جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا
بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
ومن يستجير من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها
دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه
حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسالة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار
بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم
من القران بالكلية ● فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك
في تلبيس العلما السوء وتبديل الاسامي فان اتبعت هولاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في
العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ

اللفظ الخامس وهو الحكمة

فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي
يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله عز وجل عليها فقال عز من قايل ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا
فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات
حكما السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب
الخلق ولهذا لما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال صلى الله عليه
وسلم هم علما السوء ● فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي
بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس

عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا
فطوبى للغربا فقيل ومن الغربا يا رسول الله فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه
من سنتي وفي خبر اخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي خبر اخر الغربا ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم
اكثر ممن يحبهم ● وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير
الاصدقا فاعلم انه مخلط لانه لو نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام ● قسم هو مذموم قليله وكثيره ● وقسم هو محمود قليله وكثيره
وكلما كان اكثر كان احسن وافضل ● وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصا فيه وهو
مثل احوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ● ومنها ما يذم قليلها وكثيرها كالقبح وسوء
الخلق ● ومنها ما يحمد الاقتصاد فيها كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا
يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم ● والقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فايدة فيه في دين الله ولا دنيا
او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فايدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو
انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس مذموم ● ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه
يحصل به من قضا وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل فيه واما القسم
المحمود الى اقصى غايات الاستقصا فهو العلم بالله سبحانه وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه
وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور
فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحايمون على سواحله واطرافه
بقدر ما يسر لهم منه وما خاض اطرافه الا الانبيا والاوليا والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم
بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين
على التنبه له العلم ومشاهدة احوال علما الاخرة كما سياتي علامتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر
المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علايق الدنيا والتشبه فيه بانبيا الله تعالى واوليايه
ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنا فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح
الهداية ولا مفتاح لها سواها

واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص

فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصادا هو الاقل واقتصادا هو الوسط
واستقصا وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك او متفرغا لغيرك بعد
الفراغ من نفسك فاياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل
الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة
والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر
عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والريا والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها
مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلا ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل

والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية
من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد
منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة
اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة المرة
فلا يزال يتعب في الطلاء وتزيد به المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة
وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم يجر
ذلك بك الى المقامات المحمودات المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلا
بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبتت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا
تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام بها فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما
اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب
عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك
وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما
ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتد بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القران من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم
والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول
الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في واحد منها
طالبا للاستقصا فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها
بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة
على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القران وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر
من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصا ونحن نشير اليها
في التفسير والحديث والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القران
في المقدار كما صنفه الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القران كما
صنفه في الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصا مستغنى عنه ولا مرد له الا العمر واما الحديث
فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ
اسامي الرجال فقد كفيت فيه ما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على ما في كتبهم وليس يلزمك حفظ
متون الصحيحين ولكن تحصل ذلك تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة اليه واما
الاقتصاد فيه فبان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصا
فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة
في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه

مختصر

مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد منه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر
الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصا ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات
واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب
لكشف حقائق الامور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد
مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقايد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر
مائة ورقة وهو القدر الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها من قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم واما المبتدع
بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور
على نفسه وقدر ان عنده جوابا هو عاجز عنه وانما انت ملبس بقوة المجادلة عليه واما العامي اذا صرف عن
الحق بنوع جدل فيمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم
اذ التعصب للاهواء سبب يرسخ العقايد في النفوس وهذا ايضا من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب
للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار لتدفعوا عنهم الدواعي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر دواعيهم
على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة
لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل
التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين
وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار
المتاخرة واودع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثله في السلف فاياك ان تحوم
حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهات
على ما سياتيك تفصيل غوائل ذلك وآفاته وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا
فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه واقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر في ذلك زمانا وزاد فيه على الاولين
والآخرين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله سبحانه رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل
بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا تعرف عللها الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة
في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم
بل ذلك مع ما انه غير مفيد في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي تشهد له حدس المفتي
اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل بالفطنة
اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل بالجدل من يشتغل بطلب الصيت
والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عنه العمر ولا يصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين
الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة
فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله عز وجل وبين يديك الموت والعرض والحساب

والجنة والنار وتامل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يديه ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل • وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون • وفي تفسير قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذين عنى الله عز وجل بقوله فاحذرهم • وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل • وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل • وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم • وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل والله اعلم

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف

وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى في الاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الاخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وقد كان بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرابوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله عز وجل في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد فمالت نفسه الى سماع الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله عز وجل والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام ولا فتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم

وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون على ذلك الى الآن وليس ندري ما الذي يقدره الله سبحانه فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلاف والمناظرة لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ما يستدرجونهم اليه بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كانت عادة الصحابة رضوان الله عليهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسالة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطا كما نقل من اجهاض امراة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل في مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان

الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله مثال من يترك الصلوة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي ان استر عورة من يصلي عاريا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشغولون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله عز وجل كان عاصيا بذلك ولا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب

الثاني ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو اهم عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش قد اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء واشتغل بتعلم الحجامة وزعم انها من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول ومن هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فاما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسالة لا يتفق وقوعها قط فان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله عز وجل بفرض الكفاية • وقد روى انس رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك الى صغاركم والفقه في اراذلكم

الثالث ان يكون المناظر

مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي
وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة • واما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم جل اهل العصر وانما يفتي
فيه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فايدة له في المناظرة ومذهبه معلوم
وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلاً
بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثة عن المسايل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه به فانه
ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك
المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلبت مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** الا يناظر الا في مسئلة
واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا الا فيما يتجدد من الوقايع او ما يغلب
وقوعه كالفرايض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسايل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات
التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من
الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجايب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك
الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبوليات فلا يطول فيها الكلام والمقصود من الحق ان يقصر الكلام ويبلغ
الغاية على القرب لا ان لا نطول **الخامس** ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر
الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى بصفا الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب
الحرص على نصرة كل واحد من المناظرين نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع اكثر وليس
لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم
يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المختص بالكلام **السادس** ان يكون في طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق
بين ان يظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطا واظهر له
الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر فانه كان يشكره او يذمه فانه كان يشكره
ولا يذمه ويفرح به ويكرمه فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى ردت امراة على عمر رضي الله عنه
ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امراة واخطاء رجل وسال رجل عليا رضي
الله عنه فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المومنين ولكن كذا وكذا فقال له اصبت واخطات وفوق كل ذي
علم عليم • واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال ابو موسى لا تسئلوني عن شيء وهذا
الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى الاشعري عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان اذ
ذاك امير الكوفة فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعيد فاعاد الجواب فقال ابن مسعود انا
اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى هو الحق ما قال فهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر
مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل
احد فانظر الى مناظري اهل زمانك اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه كيف يخجل
لذلك وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبه نفسه

بالصحابة في تعاونهم على النظر **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال
فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقايق الجدل المبتدعة فيما له وعليه وكقوله هذا لا يلزمني
ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله وانت
ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل
على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه
فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك
ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوجى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السوال وامثاله
ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني لا اعرفه ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى وانما يدعي ذلك
لتعجيز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد
فسق باخفايه ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا
اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السوال عنه واجب لازم فمعنى
قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني
والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف
هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس من الكلام وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى
اية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كلما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه **الثامن** ان يناظر
من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق
على لسانهم ويرغبون في مناظرة من دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط
الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولي على قلبه وهو
اعدا عدوله ولا يزال يدعوه الى الهلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسايل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب
في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمحصلين لذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات
التي نعددها ونذكر تفصيلها ان شاء الله سبحانه

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق

اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف
والتشدق عند الناس وقصد المباهات والمماراة والمباراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق
المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد
والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف
والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وساير الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك
الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه
والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبايث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق
سياتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى ما تهيجه المناظرة **فمنها**

الحسد وقد قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد
فانه تارة يغلب وتارة يُغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة
في العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى نظرا فلابد وان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف
الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد
واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا اقوال الفقهاء بعضهم في بعض فانهم
يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم من
تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله • وقال حكاية صلى الله عليه عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني فيهما قصمته • ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره
حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر
والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه ينبغي
صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وسائر انبيائه
بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم
وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود • وورد في
ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه عند كلام خصمه ويتوقف في
كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه
الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع
المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه ادنى تسبب فيه قلة
مباهاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا ينقطعه يد الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله تعالى
صاحبها باكل الميتة • ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته •
وغاية تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان
فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلا
ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال
الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى • وقيل لحكيم ما الصدق القبيح قال ثناء المرء على نفسه • ولا يخلو
المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله
لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير
ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم
شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات
اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى البلد فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج
بالسؤال مقابحه حتى يعده ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست حاجته اليه حتى انه ليستكشف

عن احوال

عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة
من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن منه ذلك ويعد من لطايف التشبيب ولا يمتنع عن الافصاح
ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما يحكى عن اقوام من اكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح
بمساءة الناس والغم بما يسرهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق المؤمنين وكل
من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون
التباغض بينهم كما يكون بين الضرات فكما ان احدى الضراير اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرايصها واصفر
لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا فيتغير لونه ويضطرب عليه فكره وكانه شاهد شيطانا او سبعا
ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة
والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل العقل رحم متصل فلا
ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان يستتب الانس
مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشر شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق
المؤمنين المتقين ومنها النفاق ولا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم
ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم
المخاطب والمخاطب وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوادون بالالسنة متباغضون
بالقلوب فنعوذ بالله من ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا
بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة الحال
ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه
ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة
عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الى الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة
القرآن والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق
بني له بيت في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه • وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة
الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سيأتي
في كتاب الرياء • والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق واطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال
من امهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم وتمزيق
الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في
زمرة الناس المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم هم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم
عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك

احدٌ منهم عنده مع اشكاله المقارنين له فى الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشرة عشر اخرى
من الرذايل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال
والجاه للتمكن من الغلبة والمباهات والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والسلاطين والتردد اليهم والاخذ
من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني
وكثرة الكلام وخروج الخشية والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلوته
ما الذى يقوله ومن الذى يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة
مع انها لا تنفع فى الآخرة حتى تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون
يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد
هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس فيها   واعلم ان هذه الرذايل لازمة للمشتغل بالتذكير
والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهى لازمة ايضا للمشتغل
بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضا وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة
هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حيوة
الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه
لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم
السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك فى الدنيا فان لم يتفق الاصابة لم يطمع فى السلامة
من الاذلال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال **فان قلت** فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهو ترغيب الناس فى
طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا
الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه
محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال فيهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى يؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر وطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن
كان حاله فى ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه
ويستضيء به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها
وغيرها فالعلماء ثلثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد
نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله تعالى المتخلون عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره
وهو الذى يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر
من اى الاقسام انت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم
والعمل وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه ان شاء الله عز وجل

الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم

اما المتعلم فآدابه ووظايفه كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل **الوظيفة الاولى** تقديم طهارة النفس
عن رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى
وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك
لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبايث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبى
صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا • وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها
للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب
مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اى باطنه ملطخ بالخبايث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه
وخبايث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل
استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى
تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله فى القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب فانما تتولاها
الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم
من خزاين رحمة الله الا طاهرا ولسنا نقول ان المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة
ولكنا نقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر
ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر
مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه
ايضا عرضة للمصايب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة
محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذى هو بناء الخلق الى القلب الذى هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب
الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهو السبعية   واعلم
ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب فى المعنى
وقلب فى الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعانى دون الصور والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى
باطنة فيها وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر
الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم فى صورة نمر وطالب الرياسة فى
صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصاير والابصار **فان قلت**
كم من طالب ردى الاخلاق قد حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب
للسعادة فان من اوايل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصى سموم مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه
بكونه سما انما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه يرددونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى
وليس ذلك من العلم فى شيء قال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف فى القلب

وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكان هذا اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه

فان قلت

انى ارى جماعة من الفقها المحققين برزوا فى الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها

فيقال

اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغنا من حيث كونه علما وانما غناوه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان وايضاح

الوظيفة الثانية

ان يقلل علايقه من اشتغال الدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلايق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقايق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماوه فانشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع

الوظيفة الثالثة

ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقى اليه زمام امره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغى ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلما والكبرا فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المومن التملق الا فى طلب العلم وللوالدين فلا ينبغى للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره على العلما ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب مهربا من سبع ضار يفترسه لا يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المومن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كاينا من كان ولذلك قيل العلم محربة للمتعال كالسيل حرب للمكان العالى فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تغنيه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل كل ما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزايها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطاء مرشده انفع له من صوابه فى نفسه اذ التجربة تطلع على دقايق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض اوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شى حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل فى مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران

فان قلت

فقد قال الله تعالى فسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسوال مامور به

فاعلم

انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم فى السوال عنه فان السوال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليهما السلام عن السوال اى دع السوال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لا يدخل اوان السوال عنه وقد قال على رضى الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السوال ولا تعنته فى الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشى له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان تعظمه وتوقره لله تعالى ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته

الوظيفة الرابعة

ان يحترز الخايض فى العلم فى مبداء الامر عن الاصغاء الى اختلافات الناس سوا كان مما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويويسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغى ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راى واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله له اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوى الى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفا ان الاقتدا بالاقويا فيما ينقل عنهم من المساهلات جايز ولم يدر ان وظايف الاقويا تخالف وظايف الضعفا ولذلك قال بعضهم من رانى فى البداية صار صديقا ومن رانى فى النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض فيترايا للناظر انه بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى فى ظاهره انه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بان اضعاف هذه النجاسات قد تلقى فى البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدرى المسكين ان البحر لقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلايه عليها الى صفته والقليل من النجاسة يغلب الكثير ويحيله الى صفته وبمثل هذا جوز للنبى صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسايه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى المعصية لله فى طلب رضاهن فما افلح ولا انجح من قاس الملايكة بالحدادين

الوظيفة الخامسة

ان لا يدع طالب العلوم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعدا ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض ❊ يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة العبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة

في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة اذا قصد به وجه الله سبحانه وتعالى

الوظيفة السادسة

ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شئ احسنه ويكتفي منه بشمة ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي يلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في صنعة الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان يتظن في هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شئ فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب واظماء حتى اذا عرفته رويت بلا شرب

الوظيفة السابعة

ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة الابدية وثمرة الآخر الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا يتبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه

الوظيفة الثامنة

ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملاء الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال ومباراة السفهاء ومباهاة الاقران فاذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض الكفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم

عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة

الوظيفة التاسعة

ان تعلم ان نسبة العلوم الى المقصد كي لا يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد اذا علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى آخرها ومن اول سلوك البوادي الى آخرها ومن اول اركان الحج الى آخرها وليس قرب من ابتدى باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخات التي عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وها هنا النجاة والفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او

انتهض الى الحجة لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فنزل
نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من
الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق
ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة
وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات
وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك
وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل
به الى المطعم والملبس والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة
في ناصية الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الاديان وعلم الابدان
واشار به الى الفقه والطب فانما اراد به العلوم الظاهرة الشايعة لا العلوم العزيزة الباطنة
فلم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب
دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطايفه تارة يعبر
عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار
جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل
لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما
هو امر الهي كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله ولكن نسبته اشرف
من نسبة ساير اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة
لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها هي من عالم الامر
ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقايل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن
هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب
فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة
للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة
مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده
لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه
ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن
وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة بغيره ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم
تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل
هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة
والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال الاحوال

من الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم
يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمتعمق
عمره في دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقايق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي
تخرز بها راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق صلاح القلب والواصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى
سالكي طريق الحج او الملابس لاركانه فتأمل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا
بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في
وظايف المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء
الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال
وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك
العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر
في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي
يفيد غيره وهو خال عن الاستفادة وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة
المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قال الشاعر ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق ومهما
اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظايفه

الوظيفة الاولى

الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده
انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين
فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة الفانية والمعلم سبب الحيوة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل
من جهة الاب الى الهلاك الدايم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدايمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم
الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه
وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا
كذلك ان كان مقصودهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء
الآخرة مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق
بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق
في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق
التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة داخلون في مقتضى
قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

الوظيفة الثانية

ان يقتدي بصاحب الشرع
صلوات الله عليه فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب
اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى

الله عزوجل زراعة العلوم فيها كالذي يعير الارض لتزرع لنفسك زراعة فمنفعتك فيها تزيد على منفعة صاحب
الارض فكيف تقلده به منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب
فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى قال الله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم للبدن والبدن
مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه ونعله
بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي
يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى
امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي
غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا
ذلك لتركوا ولم يلتفت اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نايبة وينصر وليه ويعادي عدوه
وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدا اعدايه فاخس
بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى
ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات **الوظيفة الثالثة** ان لا يدخر من نصح
المتعلم شيا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم
ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في
نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا
نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام
فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله
وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الاخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية
تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع
ولكن يتنبه في اثناء الامر او اخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة وذلك يوشك
ان يرد الى الصواب في الاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حول
الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله تعالى ذلك بعباده اذ خلق فيهم الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل
وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة
المتكلمين في الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة القلب
وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية
ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد
والله المستعان وقد قيل لسفين الثوري رحمه الله وقد روي حزينا ما بالك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء
الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة الرابعة** وهي من دقايق
صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق

التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال
النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه
شي وينبهك على هذا قصة آدم وحوا عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل
لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط
معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة
الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كعلم اللغة اذ عادته
تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان العجائز
ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك
من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع
على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة
الوظيفة السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه
عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلوات الله عليه حيث قال نحن معاشر الانبيا امرنا ان ننزل الناس منازلهم
ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره
ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي
العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقد قال
عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين لا تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها
فهو شر من الخنزير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك
والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلما عن شي فلم يجب فقال السايل اما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من
يفقه فكتمته فليلجمني وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره
اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق قال الشاعر فمن منح الجهال علما اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم **الوظيفة السابعة** ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللايق
به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويخيل اليه
البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله واشد الناس حماقة
واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقايد
الماثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا
ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلي وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد
العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا

يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقايق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات
وتعليم الامانة في الصناعة التي هو بصددها ويملا قلبه من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن
ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح
للعوام باب البحث فانه يتعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة

ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصاير والعمل بالابصار
وارباب الابصار اكثر من ارباب البصاير فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيا وقال للناس
لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا انه اطيب
الاشيا والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشد مثل النقش من الطين والعود من الظل
وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه عن خلق وتاتي
مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم • وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان
وزر العالم في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر
من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل
يغر الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب السادس

في آفات العلم وبيان علامات علما الآخرة وعلماء السوء • قد ذكرنا ما ورد من فضايل العلم والعلما وقد ورد في
العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة
الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلما الدنيا العلما السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا
والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه
الله بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان
علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر
الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلما ولتماروا به السفها ولتصرفوا
وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده الجم بلجام من نار •
وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك يا رسول الله قال ايمة مضلون • وقال
ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلم الى متى تصفون الطريق
للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلوم وان العالم اما متعرض
لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة

واما الآثار

فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال
عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلما وطرايف الحكما ويجري في العمل مجرى
السفها • وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة له •

وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره
واما عند الموت فعالم مفرط • وقال الخليل ابن احمد الرجال اربعة • رجل يدري ويدري انه يدري فذلك
عالم فاتبعوه • ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نايم فايقظوه • ورجل لا يدري ويدري انه
لا يدري فذلك مسترشد فعلموه • ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال
الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم
فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب
به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلما موت القلوب وانشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه
اراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوتى بالعالم
يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيطيف به اهل النار فيقولون
ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم على معصيته
لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل
اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ
قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في قصة بلعم بن باعورا
واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي
سواء اوتي الحكمة او لم يوت فهو يلهث الى الشهوات • وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة
وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علما السوء كمثل قناة الحش
ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار
تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفايزين المقربين هم علماء
الآخرة ولهم علامات • فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها
وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما
كالضرتين ان ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي ميزان اذا رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما
كالمشرق والمغرب مهما قربت من احداهما بعدت عن الآخر وانهما كقدحين احدهما مملو والآخر فارغ فبقدر ما
تصب منه في الآخر حتى يمتلي يفرغ من هذا فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالمرورة ثم
انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلما من لا عقل
له ومن لا يعلم عظم الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلما من لا ايمان له ومن لا يعلم

الانبياء

مضادة للآخرة وان الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره
فكيف يعد من زمرة العلما ومن علم هذا كله ثم لم يوثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت
عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلما من هذه درجته ● وفى اخبار داود عليه السلم يا داود ان ادنى ما اصنع
بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى يا داود لا تسئل عنى عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك
عن طريق محبتى اولئك قطاع الطريق على عبادى يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى
هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ● ولذلك قال الحسن رضى الله عنه عقوبة العلماء
موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ● ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازى انما يذهب بهاء
العلم والحكمة اذا طلبت بهما الدنيا ● وقال عمر رضى الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم
فان كل محب يخوض فيما احب ● وقال مالك بن دينار قرات فى بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع
بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتى من قلبه ● وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا
تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم فى نور علمهم ● وكان يحيى بن معاذ الرازى
يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وابوابكم طاهرية واخفافكم جالوتية
ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها ● فكيف اذا الرعاة لها ذئاب ●

وقيل ● يا معشر القرآء يا ملح البلد ● ما يصلح الملح اذا الملح فسد ●

وقيل لبعض العارفين اترى من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله قال لا اشك ان من تكون الدنيا آثر
عنده من الآخرة انه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء
الآخرة فان الجاه اضر من المال ● ولذلك قال بشر بن الحارث حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا
سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لى ● ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطره
وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهى ان احدث ولو ذهب عنى شهوة الحديث لحدثت ● وقال
هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة
ومنصب الارشاد اعظم من كل تنعم فى الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ● ولذلك
قال الثورى فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا يخاف فتنته وقد
قيل لسيد البشر صلوات الله عليه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ● وقال سهل
العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال ايضا الناس موتى
الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلصون على وجل
حتى يختم له به ● وقال ابو سليمان الدارانى اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر فى طلب المعاش
فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طريق
الآخرة ● وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه

وكيف

وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به ● وقال صالح بن حسان البصرى ادركت الشيوخ وهم
يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة ● وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال من طلب علما مما يبتغى به وجه
الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة ● وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا
بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال فى علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا ● وقال فى علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم
وما انزل اليهم الى قوله اجرهم عند ربهم ● وقال بعض السلف ان علماء الآخرة يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة
يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بفقهه ● وروى ابو الدرداء انه
عليه السلم قال اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا
بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر
اياى يخادعون وبى يستهزؤن لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا ● وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر
به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيمة
سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى
به ثمنا يأتى يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا
فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق واشد من هذا ما روى ان رجلا
كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى نبى الله حدثنى موسى صفى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى موسى
نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات
يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى
يا رب اسئلك ان ترده الى حاله حتى اسئله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه
ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما ورد عن معاذ
ابن جبل موقوفا ومرفوعا فى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه
من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطا وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن
علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ● ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان
فان رد عليه شئ من علمه او تهون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ● ومن العلماء من يجعل
علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار
ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن
العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ● ومن العلماء من يتخذ
علمه مروة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ● ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب
فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك فى الدرك السابع من النار ● عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك

ان تضحك من غير عجب وتمشي في غير ارب • وفي خبر آخر ان العبد لينشر له من الثنا ما بين المشرق والمغرب وما يزن
عند الله جناح بعوضة • وروي ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة الاف
درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال له الحسن عافاك الله ضم
اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى
يوم يلقاه ولا خلاق له • وروي عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند
كل عالم الا عالما يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن
الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة • وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
يا ليت لنا مثل ما اوتي قرون الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الاخرة
على الدنيا • ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى
عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا
نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلما وخير الخيار
خيار العلما • وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها لبطون علماء
السوء انتن مما انتم فيه • وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان
وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة واحدة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات • وقال الشعبي يطلع يوم القيمة
قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم
وتعليمكم فيقولون انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله • وقال حاتم الاصم ليس في القيمة
اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك • وقال مالك بن دينار
ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا • وانشدوا

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما • اذ عبت منهم امورا انت تاتيها

وقيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل
فكيف تطلب علم ما لا تعلم • وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جري على الله
وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من ايات الله
وقال ابرهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب • وقال الاوزاعي اذا جاء
الاعراب ذهب الخشوع • وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا

ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا • وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به
كمثل امراة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى
يوم القيمة على رؤس الاشهاد • وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على
زلته • وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث بهن يهدم الزمان
احديهن زلة العالم • وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ
بالعلم عالمه ولا متعلمه فيكون قلوب علمايهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا
يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلما الى حب الدنيا وايثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها
الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه
والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك
الا ان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله • وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لا تعلموا
حتى تعملوا بما علمتم • وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما تعلم هلك وسياتي زمان من عمل
بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة الطالبين • واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم القضاة ثلثة قاضيان في النار وقاض في الجنة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة وقاض
قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار • وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا
ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة وياتون ويؤثرون الدنيا على الاخرة
وياكلون بالسنتهم يقربون الاغنيا دون الفقرا يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم
على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن • وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم
فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل من شيء • وقال سري السقطي لرجل اعتزل للتعبد
كان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته عن ذلك فقال رايت في النوم قائلا يقول الى كم تضيع العلم
ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل • وقال
ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية • وقال الحسن اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله
لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية • وقال مالك ان طلب العلم
لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فلا تؤثرن عليه
شيا • وقال ابن مسعود انزل القران ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القناة
ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدوا للغير والجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة
ولا يجدها فمثله يقال ولكم الويل مما تصفون • وفي الخبر انما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق
في القران • ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم
التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال

مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال
عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روي
ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم
قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل
عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك
غرائب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ
كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثماني مسايل فقال
شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسايل قال يا استاذ لم اتعلم
غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسايل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق
فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا
دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله عز وجل
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق
فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله قال احسنت الثالثة اني نظرت الى هذا
الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله تعالى ما عندكم
ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته اليه ليبقى لي عنده محفوظا قال احسنت
الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب
فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى حتى اكون
عند الله كريما قال احسنت الخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم
بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عني قال احسنت
السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو
فتركت عداوة الخلق قال احسنت السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة
فيذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت
اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده قال احسنت
الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته
وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت
على الله فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التورية والانجيل والزبور والقران
العظيم فوجدت جميع انواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسايل فمن استعملها فقد استعمل

الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الاخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون
بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث الله الانبياء كلهم وقال
الضحاك بن مزاحم لقد ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها
ان يكون غير مايل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يوثر
الاقتصار في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما
زاد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربة وارتفع في علماء الاخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن ابي
عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا
نريد الحج وعليهم الزرنبانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب
المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل
فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجيء معك وكان العليل محمد
بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرق حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على
هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء ودارة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى
المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام ومذبة فقعد الرازي وسال
المريض عن حاله وحاتم قايم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال
نعم فقال ما هي قال مسئلة اسئلك عنها قال سلني قال قم فاستو جالسا حتى اسئلك فاستوى جالسا
فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى قال حاتم ففيما
اداه جبريل عليه السلام عن الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في داره اميرا وكانت
سعته اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت انه من زهد في الدنيا
ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله عز وجل المنزلة قال حاتم فانت بمن اقتديت
ابالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين رضي الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والاجر
يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة الا اكون
انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا
لحاتم ان الطنافسي بقزوين اكبر شانا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل
اعجمي احب ان تعلمني مبتدا ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضا للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه
ماء فاتي به فقعد الطنافسي وتوضا ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضا قال له حاتم مكانك حتى اتوضا
بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا ثم غسل الذراعين اربعا فقال له

الطنافسي يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في
كف من ماء أسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى
البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن
انت رجل الكن اعجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال لان معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح
اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطاء واحفظ نفسي الا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال
يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال
يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع عنهم جهلك ه
وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا اسلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل
المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال ه
فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطئة فقال حاتم يا قوم
فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون
قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل اعجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا
مدينة الرسول عليه السلام فقلت اين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون اول من بنى
بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل
ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس
به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب
المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من
خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم
لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما
سيأتي بيانه وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس رحمهما الله بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد
بلغني انك تلبس الثياب الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست
مجلس العلم وضربت اليك المطي وارحل اليك الناس فاتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا
مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام فكتب
اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل
الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الشفقة والادب متعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا
واسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس

الدقاق

الدقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من
كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه
مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في
مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراياة ه
والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطره عظيم
وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان
الخطر ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا
بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين
والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين
الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم والانكار عليهم فالداخل عليهم اما ان
يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه
لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهتان الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت
وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز
وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال
صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعني سكن البادية ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن
قال عليه السلام سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن
من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه
الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء
يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم العلماء
امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم
واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث
يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا قليل
ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي
ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال النبي صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون
العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه
وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا
يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا ه
فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فاري

عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت انى انجو من
الدخول كفافا مع انى لا اخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بنى اسرائيل يخبرون
السلطان بالرخص وما يوافق هواه ولو اخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه
وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام وصحبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك عنى سعد بن ابى وقاص قال وكان لا يغشى السلطان فقعد عنه فقال
له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بنى آمرونى
ان جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بنى
لان اموت مؤمنا مهزولا احب الى من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل
اللحم والشحم دون الايمان وفى هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد
للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا
من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة
وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقى اليه ان فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر
الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف فى الكلام ويتكلف ويداهنهم
ويخوض فى الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا
شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله اما بعد
فاشر على بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه الحسن اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل
الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز
وكان من ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب فى طلب غيره ومخالطته ولم
يزل السلف مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون
فى علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون مسرعا
الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله او نص
حديث او اجماع او قياس جلى افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادرى وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين
احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم
وفى الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادرى قال الشعبى لا ادرى نصف العلم ومن سكت حيث
لا يدرى لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة
والسلف كان ابن عمر رضى الله عنه اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذى تقلد امور الناس فضعها
فى عنقه وقال ابن مسعود ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادرى
فاذا اخطاها اصيبت مقاتله وقال ابرهيم بن ادهم ليس شئ اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت
بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد على من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة ونومهم

غلبة وكلامهم ضرورة اى لا يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا
وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم
على الناس فقالا هذا يقول اعرفونى وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه
وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابورى العالم هو الذى
يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت وكان ابرهيم التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول
لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الى وكان ابو العالية الرياحى وابرهيم والثورى وابن ادهم يتكلمون على الاثنين
والثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال عليه السلام ما ادرى اعزير نبى ام لا وما ادرى اتبع ملعون
ام لا وذو القرنين نبى ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادرى حتى نزل جبريل فسأله عن ذلك
فقال لا ادرى الان حتى اعلمه الله عز وجل ان خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر يسأل
عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة
وكان فى الفقهاء من يقول لا ادرى اكثر من ان يقول ادرى منهم سفين الثورى ومالك بن انس واحمد بن حنبل
والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن ابى ليلى ادركت فى هذا المسجد مائة وعشرين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم احد يسئل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك
وفى لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الاول
وروى ان اصحاب الصفة اهدى الى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر فاهداه الى الآخر واهدى الآخر
الى الآخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس الامر فى العلماء فصار المهروب منه
مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روى مسندا انه لا يفتى الناس
الا ثلثة امير او مأمور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشيا الامامة والوديعة
والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان
شغل الصحابة والتابعين فى خمسة اشيا قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلثة امر
بمعروف ونهى عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الآية ورأى بعض العلماء
بعض اصحاب الرأى من اهل الكوفة فى المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتوى والرأى فكره وجهه
واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتى فى مسئلة لو وردت
على عمر رضى الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفى الخبر اذا
رأيتم الرجل قد اوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو
المفتى وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا
المتفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل
بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر

كلاما وفلان اكثر علما ● وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام ● وقال بعضهم اذا كثر العلم
قل الكلام ● وكتب سلمان الى ابى الدرداء وكان قد آخا بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخى بلغنى انك
اقعدت طبيبا تداوى المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله
لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل ● وكان انس اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن
وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب ● وحكى انه روى صحابى فى
حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندى الا ما رويت فاخذ الحسن فى تفسيرها
حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم به وقال
تسئلونى عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ● ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة
طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجا فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضى الى المشاهدة
فى دقايق علم القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك بل الحكمة الخارجة
عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله
فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف
فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على
العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطايف الحكم ما تحار فيه عقول ذوى الالباب ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ● وفى بعض الكتب السالفة يا بنى اسرايل لا تقولوا
العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يأتى به العلم مجعول فى
قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا الى باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم
ويغمركم ● وقال سهل التسترى خرج العلما والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تنفتح الا
قلوب الصديقين والشهداء ثم تلى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور
الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك
وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها
كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه
وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه وكذلك فى
علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقايق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك
عمقه وانما يخوض فيه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفى وصف هؤلاء العلما
قال على رضى الله عنه فى حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها للحكمة والناس ثلثة عالم ربانى
ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا
الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال

تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان به يكسب الطاعة فى حيوته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم
حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلما باقون ما
بقى الدهر ثم تنفس الصعداء فقال هاه ان هاهنا علما جما لو وجدت له حملة بل اجد لقنا غير مامون يستعمل
آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليايه ويستظهر بحجه على خلقه او منقادا لاهل الحق
ينزرع الشك فى قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد
فى طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهم الانعام السايمة
اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم بل لا تخلو الارض من قايم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما
خايف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اوليك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم
مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها
فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه
المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
اوليك اوليا الله من خلقه وعماله فى ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذى
ذكره آخرا هو وصف علما الآخرة وهو العلم الذى يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ● ومنها
ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان
كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعنى اوايله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا
اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما
قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير
الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمى الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل
وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له
فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى
حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ● وفى وصية لقمن لابنه يا بنى لا يستطاع العمل
الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه ● وقال يحيى بن معاذ للتوحيد
نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به
اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين فى مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات
فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه
فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه **فاعلم** ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان بمعنيين مختلفين
اما النظار والمتكلمون فيعنون به عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشئ له اربع مقامات
الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه
ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ونفى بل يستوى عندك امكان الامرين

فيسمى هذا شكا والثاني ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع
ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب
فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا
فانت تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل ولكنه
غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها
ولا يخطر بالبال نقيضه ولو اخطر لتأبت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو
احسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا
يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع
حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ امامه
نفر عن قبوله الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور
التشكك معه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل
هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس
والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم اوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين
اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل
ان يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق
بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق
به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة وان كانت كلها حادثة
فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل
التصديق بوجود الشيء القديم بالضرورة لان الاقسام ثلثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او
كلها حادثة او بعضها قديما وبعضها حادثا فان كان كلها قديما فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة
قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثاني او الاول وكل
علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس لوجود الشمس او
بغريزة عقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ
مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا
عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك الاصطلاح الثاني
للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته
على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان
الرزق مع انه قد يجوز انه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى
صار هو الحاكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في

القطع

القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له وكانه
غير موقن به وفيهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا
لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه
بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن انما اردنا
بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم
تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت ان المراد
من قولنا ان اليقين ينقسم الى ثلثة انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفاء والجلاء
فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معاني
اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه
المعاني واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح
الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة
ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى صلى الله عليه وسلم ووجود يوشع مع انك لا تشك
في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في
احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس
وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره
المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة
والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما من فلان اي معلوماته اكثر فلذلك
قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه وضعيف اليقين في بعضه
فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وخفاءه وجلاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى
الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما
يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه **فاعلم** ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره هو من مجاري
اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في
احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب
ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان
امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازال عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم
والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد
ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو
ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل
مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخر القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه

التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين
ومن ذلك الثقة بضمان الله الرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك يأتيه
وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه
على ما يفوته واثمر هذا اليقين جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات
الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما
يحرص على تحصيل الخبز طلب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما
يجتنب قليل السم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد يوجد
لعموم المؤمنين واما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات
والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ
ومن ذلك اليقين بان الله مطلع عليك في كل حال ومشاهد لك وهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك
وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص
به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر
اليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة
كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة
باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظواهره لسائر الناس وهذا المقام في
اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه
الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه
الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار
والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسيأتي
ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا
يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا كان
نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة
والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء
وسيماء الصالحين والصديقين والعلماء فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة
والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه وهو دأب ابناء الدنيا
الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا
بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله
وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم

واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونقمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة والآنفة فمن احاط
علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار
والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم
ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي
الاثر من آتاه الله عز وجل زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون
جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء وارواحهم في الدنيا
وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه
والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء
والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم
فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء واني لا اقبل من نفاقك شيئا
فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى
الى نبيهم قل له الآن وافقت رضاي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ
بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم احق بالمقت من ذلك الشرطي
وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب
خير قال صاحب اذا ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب اذا نسيت لم يذكرك
وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين
اذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا
وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيامة اكثرهم خوفا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الآخرة اكثرهم
بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الآخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبة ذمتي رهينة
وانا به زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان
ابغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما في جهال غار في اغباش الفتنة سماه اشباه له من الناس واراذلهم
عالما ولم يعش في العلم يوما سالما بكر فاستكثر من ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من
غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى المهمات هيأ لها حشو الرأي من رأيه
فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا
يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام
ولا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة
والبكاء ايام الحياة وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب
وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع
وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي

وردّ بها القران لا ينفك عنها علما الاخرة لانهم يتعلمون القران للعمل لا للدراسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة
من الدهر وان احدنا يوتى الايمان قبل القران وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما
ينبغي ان نتوقف عنده منها ولقد رايت رجالا يوتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى
خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل
معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القران وسياتي بعدكم قوم يوتون
القران قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا
فذلك حظهم وفي لفظ آخر اوليك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء
الآخرة مفهومة من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا
وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله خاشعين
لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
له صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح يا رسول الله فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له
الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال عن ما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج
الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقربها بل واقصاها المواظبة
على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول
تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علما الدنيا
فانهم يتبعون غرايب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع
وان وقع ذلك فانما يقع لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في القايمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم
اناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم
بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون
من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقايق وجزاوه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول بل يتكدر عليه
صفوه بنوايب الزمان وطوارق الحدثان ثم يرد القيمة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز
... وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم
هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع
من غيرك فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وسيل حذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك

من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسلونه عن الخير وكنت اسله
عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ
آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسالونه عن فضايل الاعمال وكنت اقول يا رسول
الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص
بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقايق الفتن فكان عمر وعثمان واكابر الصحابة
رضي الله عنهم يسلونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسال عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر
باساميهم وكان عمر يسله عن نفسه هل تعلم به شيا من النفاق فبراه من ذلك وكان عمر اذا دعي
الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب
واحواله هو داب علماء الاخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا
واذا تعرض العالم لشي منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون
التحقيق في دقايق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة ◦ والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا يدرى مقصدهم ◦ فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم ◦ فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه
شديد وطريقه متوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع
الروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدوا يصبر على مرارته رجا الشفا وينزل منزلة من جعل
مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدايد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق
ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال
القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة مثل سهل التستري والصبحي وعبد الرحمن وكان يجلس الى اوليك الخلق
الكثير الذي لا يحصى والى هولاء عدد يسير قلما جاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص
وما يبذل للعموم فامره قريب ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا
على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما
امر به وقاله وانما تقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
اذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على
فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله والرسول عليه السلام لم
فعله لا بد وان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ
ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان
شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في

نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ما من احد الا يوخذ من علمه
ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقراء على ابي بن كعب ثم خالفهما
في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الراس والعين وما
جاءنا عن الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم
قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقرائن فسددهم ذلك الى
الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطا
واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب
والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين
من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين
بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن
وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة
تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال
الناس على المصاحف عن الحفظ وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هو
شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبة القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم
وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر رضي
الله عنه لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطا ويقول
لابتدع ما لم تفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف
التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا
منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفين الثوري ثم في القرن الرابع حدث
مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص
والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب
والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم
عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان لا
يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها
مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الآخرة مطويا
وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول
فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف
الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة
الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان

وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال
الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية
وتولي الاوقاف والوصايا واكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن
والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم كثيره وقليله وجليله والحرص على
ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل
الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي
رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة اهل العصر في
موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح
نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال
الحسن رضي الله عنه محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء يزعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف
يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا اصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح
يسال عن افعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا
انه قال انما هما اثنتان الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم الا
واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن
عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا ان كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله
عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه
والحكمة وجانب اهل الذل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل
عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة
ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان
خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد
صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة
اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير
ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في
عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة
في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه
من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل
والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان من قبل ذلك من المنكرات ومن ذلك
التلحين في الاذان والقرآن ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب

ومنكرات الصدر الاول تزيين المساجد

والتلحين في الاذان والقرآن

البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظاير لذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد بن حنبل يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرايب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون لا حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم كانوا ينظرون في دقايق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان تحبه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسلوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمله حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا ياتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقا على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله ما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب الدولة فلا وقال بعض العلما ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط وهو الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو حكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هولاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جا التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هولاء نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولاء شيا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هولاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوايهم كيف شيتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سياتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم حيث شاوا فان قلت من اين عرف قايل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس لعنه الله ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرويا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرويا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من اجزاء النبوة فاياك وان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلما الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رحمه الله ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع كل ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلما لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسايله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذ غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل وعلم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك العلم آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردا وظهيرا ومهيا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كل واحدة منها جملا من اخلاق علما السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلما الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره ولا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة

والنور من الشمس والروية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة للسعادة في الدنيا والاخرة او كيف يستراب فيه
والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهايم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا راى صورة
الانسان احتشمه وهابه لشعوره فيه الكمال لاستيلايه عليه بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عم
الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي
هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ
بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه
واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراى لهم ما كان يتلالاء على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا
في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات
في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا
فقال اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به
العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن
ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل
من اطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان
كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا والقردة والخنازير اعقل عند الله
ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله
العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك
آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب **فان قلت** فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام
وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قايم بنفسه لا يتحيز **فاعلم** ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم
المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا
في الثناء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف
الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما
يرتفع العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب
رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى
يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم ولا يتم لرجل حسن
خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه صلى
الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال
العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل
ما السودد فقال العقل وعن البراء قال كثرت المسايل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس

ان لكل شيء مطية ومطية المرء العقل واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره
ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذاك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر
ما قسم الله لهم من العقل وكان نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان
يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملايكة
واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المومنون من بني ادم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله اوفرهم
عقلا وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي
الاخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى
من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المومن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل
ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع وراعي العابدين العقل
ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة
وعمارة الاخرة العقل ولكل امرء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون اليه ويذكرون
به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المومنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المومنين الى الله
من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال
صلى الله عليه وسلم اتمكم واكملكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم
تطوعا **بيان حقيقة العقل واقسامه** اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل
الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطا
فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا
المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه **فالاول** الوصف الذي
به يفارق الانسان ساير البهايم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية
الفكرية وهو الذي اراده الحرث المحاسبي رحمه الله حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها ادراك العلوم
النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف
من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم يسميان عاقلين باعتبار وجود
هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية
فكذلك العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في
الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار وساير
البهايم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحيوة ايضا ويقال لا فرق الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة
بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه

على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا
مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من
الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات
وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن
والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه
الغريزة **الثاني** هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات
كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث
قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه
لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه
العلوم **الثالث** علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب
يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم تسمى عقلا
والرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان تعرف عواقب الامور وتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة
وتقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في
العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذا ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوانات فالاول
هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة و
بالعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع
والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا
لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم
عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله عليه السلام اذا تقرب الناس بابواب البر والاعمال الصالحة فتقرب
انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد
من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل
بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد
ابن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا من اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قالوا العاقل قالوا
أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام وان
كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا
دنيا رواه ابن المسيب وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه
ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها
كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فيكون

كالمجاز

كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم
يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه
العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود
حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء
في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز
وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت
الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت
بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله بل على معرفة
الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمتضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس
بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره وفكره فتذكر فكان كمن حمل شهادة
فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان
التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون عن
صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه
السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل
التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات
وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى
الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد
الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واعظم
منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن
لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وسمى ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة
وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون
لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما يطلق اسم العقل عليه

بيان تفاوت الناس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح
بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري
بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون شخص في

مكابر وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظاير وكل من يدركه يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما
الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات لا يخفى
تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر
العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر
وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم
المعرف لغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتما عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه
في العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه
اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي
من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان
كان التفاوت من جهة الشهوات لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب
من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون لمجرد التفاوت
في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث وهو علوم التجارب
فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوت
في الغريزة واما تفاوت في الممارسة اما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى
جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد
نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوايله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم
يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك
بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا
تركز في الصبي عند البلوغ دفعة واحدة بل تظهر شيا فشيا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن
انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم
مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة
ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم
والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقايق الامور دون التعليم يكاد زيتها يضي
ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في بواطنهم امور غامضة من غير
تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل ما شيت فانك مجزي
به وهذا النمط من تعريف الملايكة للانبيا يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن
ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض
فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب

الريا

الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها
فالعلم شي ووجود المعلوم شي آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا او وليا ولا كل من عرف الورع
والتقوى ودقايقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه
وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء ويقوى فيتفجر بنفسه
عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج في القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس من الاراضي وذلك لاختلاف
جواهر الارض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل
ما روي ان ابن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان
الملايكة قالت يا رب هل خلقت شيا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات
لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس
من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم وسقا ومنهم اكثر من
ذلك فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان
الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام
فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداوله
الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله عز
وجل ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي يحمد فان كان المحمود
هو الشرع فبم علم صحة الشرع ايضا فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما
ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما نريده بعين
اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهايم حتى ادرك بها حقايق الامور
واكثر هذه التخبيطات والتخليطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقايق من الالفاظ فتخبطوا
لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل ان شاء الله تعالى اخر كتاب العلم
يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب قواعد العقايد وهو الكتاب الثاني من كتب احيا علوم الدين ٥ والله اعلم

كتاب قواعد العقايد وهو الكتاب
الثاني من ربع العبادات تاليف
الشيخ الامام حجة الاسلام
مقتدى الانام ابي حامد محمد بن
محمد الغزالي قدس الله
روحه ونور
ضريحه

غار فوار فضاء فلا تحضران لا تمتنعان من الله تعالى وهاطل الملائم يوم يهيج
يوم القيمة لرد تكلم الملائكة ولنا بانية بارسال اللهب من النار والنحاس
لترجعوا تفسير جامع البيان فيهما عينان تجريان تحت تلك الاشجار
زوجان صنفان صنف رأيتم وصنف ما رأيتم بسط اشنفا المدى يلي
الارض وجنا الجنتين ثمرها دان قريب قاصرات الطرف حبسن وقصرن
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى الغير تقول
لبعلها والله ما ارى في الجنة احسن منك ولا احب الي منك
الحمد لله جعلك لي وجعلني لك كانهن الياقوت في حمرة الوجه في الصفاء
والمرجان اللؤلؤ في البياض هل جزاء الاحسان الا الاحسان احسن
في الدنيا فاحسن اليهم في الاخرة فيهما عينان نضاختان فوارتان
بالماء والجري اقوى من النضح في الخيام كل خيمة من زبرجد
او ياقوت ولؤلؤ واحدة فيها سبعون بابا من الدر
والاكرام وفي الحديث من اجلال الله تعالى اكرام الشيبة
المسلم وذي السلطان وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه
تفسير جامع البيان

الرياء

مكابر في كون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل من يدركه يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما
الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى
تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر
العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر
وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم
المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه
في العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه
اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي
من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان
كان التفاوت من جهة الشهوات لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب
من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت
في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث وهو علوم التجارب
فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوت
في الغريزة واما تفاوت في الممارسة اما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى
جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد
نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم
يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك
بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا
تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة واحدة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن
انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم
مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة
ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم
والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في بواطنهم امور غامضة من غير
تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي
به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن
ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض
فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي يستدعي منصب

الوحي

مكابر في كون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل من يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما
الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات لا يخفى
تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر
العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر
وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم
المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه
في العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه
اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي
من العاصي لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان
كان التفاوت من جهة الشهوات لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب
من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت
في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث وهو علوم التجارب
فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوتا
في الغريزة واما تفاوتا في الممارسة اما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى
جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد
نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم
يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك
بين الاعمش وبين الحاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا
تركز في الصبي عند البلوغ دفعة واحدة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن
انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم
مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة
ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم
والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيته يضيء
ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في بواطنهم امور غامضة من غير
تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي
به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن
ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض
فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب

الرياء

وفي خلافة آدم وذريته ثلثة اقوال احدها ان الله تعالى خلق السماء والارض
وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا في الارض
ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن
رأسهم ابليس وهم خزان الجنان اشتق لهم من اسم الجنة فهبطوا الى الارض وطردوا
الجن عن وجهها والحقوهم بشعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض وكانوا اخف
من الملائكة عبادة لان اهل سماء الدنيا اخف عبادة من الذين فوقهم وكذلك اهل كل سماء وهؤلاء
الملائكة ما صادوا اسلافا فخفف الله عليهم العبادة فاحبوا البقاء في الارض وكان الله تعالى
قد اعطا ابليس ملك الارض وملك سماء الدنيا وخزانة الجنان فكان يعبد الله تعالى
تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فاعجب بنفسه وتداخله الكبر فاطلع الله
تعالى على ما انطوى عليه من الكبر فقال له ولجنده اني جاعل في الارض خليفة
فجعل الله آدم وذريته [illegible] قال الجمهور [illegible]

كتاب قواعد العقائد

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد
الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقايدهم عن ظلمات
التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التى لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد
المعرف اياهم انه فى ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم
لا اول له ازلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم
لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض
الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن

التنزيه

وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر
محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا
تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله
شئ ولا هو مثل شئ وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا
تكتنفه الارضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى اراده
استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته
محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شئ الى تخوم الثرى
فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى
وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد فهو على كل شئ شهيد اذ
لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل فى شئ ولا يحل
فيه شئ تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان
وهو الآن على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وانه
مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله
منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه فى ذاته معلوم الوجود
بالعقول مرئى الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار فى دار القرار واتماما للنعيم

بالنظر

بالنظر الى وجهه الكريم

القدرة

وانه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه
سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان
والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته وانه المنفرد
بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا
يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى
معلوماته

العلم

وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الارضين الى اعلى السموات
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء
على الصخرة الصماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير
وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلى لم يزل موصوفا به فى ازل الآزال لا بعلم
متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال

الارادة

وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا
يجرى فى الملك والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان
او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره
وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل
هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه فلا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة
والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قايمة
بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى ازله لوجود الاشياء فى اوقاتها التى قدرها فوجدت
فى اوقاتها كما اراده فى ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر
الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان

السمع والبصر

وانه تعالى
سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق لا يحجب
سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم
بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته
ذوات الخلق

الكلام

وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلى قديم قايم بذاته لا يشبه
كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء او اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة
او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن
مقروء بالالسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وانه مع ذلك قديم قايم بذات
الله لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام الله
بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات
كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام

لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من عدله على احسن
الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل
العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان
ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاءه بعد ان لم
يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا
لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق
والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان
والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع البلاء ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب
ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن جورا ولا ظلما وانه تعالى يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد
لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في
الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات
الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به **معنى الكلمة**
الثانية وهي شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا عليه الصلاة والسلام
برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع الا ما قرره وفضله على ساير الانبياء
وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهي قول لا اله الا الله ما لم يقترن به شهادة الرسول
وهو قولك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة
وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان هايلان
مهيبان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما
دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمة
وعدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم انه مثل طباق
السموات والارض يوزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام
العدل وتطرح صحايف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله
بفضل الله وتطرح صحايف السيات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يؤمن بان الصراط حق
وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم الى
النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار ويؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم
يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا عرضه
مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان فيه من
الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة

بغير

بغير حساب وهم المقربون فيسال من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين
ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمون عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام
حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم ساير المؤمنين كل على
حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل
يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة
ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار
فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة
فنسال الله تعالى كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين **الفصل الثاني**
في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد اعلم ان ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى
الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ
ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي من غير برهان فمن فضل الله
على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد
العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من
الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي
والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة
القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا
بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار
العبادات ووظايفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيأتهم في الخضوع لله
والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية
له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه
من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته
بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر اجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها
وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى
من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي
والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا
ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما يتلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق في
التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم
الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة فان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة

باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش
وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكى طريق الاخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل
ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية تكشف عن حقايق
هذه العقيدة بنور الهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذى وقر
فى قلب ابى بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات
بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله وفى الاستضاءة بنور
اليقين وذلك كتفاوت الخلق فى اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد
واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه مسئله فان قلت
فعلم الجدل والكلام مذموم كعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه • فاعلم ان للناس فى هذا غلوا
واسرافا فى اطراف فمن قايل انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من
ان يلقاه بالكلام ومن قايل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان وانه افضل الاعمال واعلى
القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والى التحريم ذهب الشافعى ومالك واحمد بن
حنبل وسفين وجميع اهل الحديث من السلف • قال ابن عبد الاعلى سمعت الشافعى يوم ناظر حفص الفرد
وكان من اكابر المعتزلة يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشئ من الكلام ولقد
سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شئ ما ظننته قط ولان يبتلى
العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر فى الكلام • وحكى الكرابيسى ان الشافعى رحمه الله سئل
عن شئ من الكلام فغضب وقال سل عن هذا يعنى حفص الفرد واصحابه اخزاهم الله • ولما مرض الشافعى رحمه الله دخل
عليه حفص الفرد فقال له من انا فقال انت حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه •
وقال ايضا لو علم الناس ما فى الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد • وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول
الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام ولا دين له • وقال الزعفرانى قال الشافعى رحمه الله حكمى فى
اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشاير والقبايل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة
واخذ فى الكلام • وقال احمد بن حنبل رحمه الله لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر فى الكلام الا وفى
قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحرث المحاسبى رحمه الله مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة
وقال له ويحك الست تحكى بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة
والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراى والبحث • وقال احمد علماء الكلام زنادقة • وقال
مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعنى ان اقوال المتجادلين تتفاوت •
وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه فى تاويله انه اراد باهل الاهواء اهل
الكلام على اى مذهب كانوا • وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء

ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات
فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف الناس بالحقايق وافصحهم بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم
بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك
المتنطعون اى المتعمقون فى البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك
اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم
الى حفظ علم الفرايض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة
على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى فاحتجوا
بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ العرض والجوهر وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة
فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه
ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة
للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن
لا نعنى به الا معرفة الدليل على حدث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله
بالدليل وان كان المحذور هو التشغب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى اليه الكلام فذلك محرم
ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضى اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم
يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من تعلم العلم لاجل اداءه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها
محذورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال هل عندكم من سلطان اى حجة
وبرهان وقال فلله الحجة البالغة وقال الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه الى قوله فبهت الذى كفر اذ ذكر احتجاج
ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه فى معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وقال تعالى
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال فى قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله اولو جئتك بشئ مبين
وعلى الجملة فالقران من اوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين فى التوحيد قوله لو كان فيهما الهة الا
الله لفسدتا وفى البعث قوله تعالى قل يحييها الذى انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم تزل الرسل يحاجون
المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتى هى احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت
الحاجة اليه قليلة فى زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على رضى الله عنه اذ بعث ابن
عباس رضى الله عنه الى الخوارج يكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم قال ذلك فى
قتال الكفار ارايتم لو سبيت عايشة فى يوم الجمل فوقعت فى سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من
ملككم وهى امكم فى نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان • وروى ان الحسن ناظر قدريا
فرجع عن القدر وناظر على بن ابى طالب رضى الله عنه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة
فى الايمان فقال عبد الله لو قلت انى مومن لقلت انا فى الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه
زلة منك وهل الايمان الا ان تومن بالله وملئكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم

والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون
ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة ينبغي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا
لا كثيرا او قصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال اما قلة
خوضهم كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم
واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر
الحاجة بميزان ولا امكان لقبل الشروع فيها واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان في الفقه
والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما
ادخارا ليوم وقوعها وان كانت نادرة او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة
بثوران شبهة وهيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة
والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر فيه للفريقين **فان قلت**
فما المختار منه عندك • فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطاء بل لا
بد فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في
ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا نلتفت الى اباحة الميتة
عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر لاساغة من غص بلقمة ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع
على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء يوم الجمعة وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا
ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر
عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على
الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد
عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام فنقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت
الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله
حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقايد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في
الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر
في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيته في صدورهم بحيث ينبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه
ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده
باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون
والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصومة المجادلين وفرقة
المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطا فيعرفك
بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في
البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره **واما** منفعته فقد يظن ان فايدته

كشف الحقايق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط
والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان
الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى
درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقايق
المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن
على الندور وفي امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة
العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف
يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه
العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجمع السلف عليها والعلماء
متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة
والغصاب واذ وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء
المخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين
بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقايدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي
ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام
بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعا الى الحق باللطف لا بالتعصب وبالكلام
اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن الوعظ والتحذير
فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها
المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من مذهبه ايضا يقدرون
على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ
والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل وانما ينفع في موضع واحد وهو
ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك
فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة
لا يشفيه الا دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه وهذا في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر
فيها على ترجمة للاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة
فان كانت البدعة شايعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب
الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد
اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال او ثارت في نفسه شبهة
فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في
الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقايد الى غير ذلك من مباحث

المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يشفه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا
فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه او يستمر
على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجا
نفعه فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقايد كالبحث عن الاعتمادات والاكوان وعن الادراكات
والخوض في ان الروية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى او يثبت بكل
مرئي يمكن رويته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة
في غير تلك القواعد زيادة اسولة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم
يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قايل البحث عن حكم الادراكات
والاعتمادات فيه فايدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه كان
كقول من يقول ان لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بساير علوم الشرع
لا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال
التي يحمد والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع
والآن فقد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا بد وان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات
كالقيام بحراسة الاموال وساير الحقوق بالقضا والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس
فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم
يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة لم تكن ماسة
اليه فاعلم ان الحق فيه انه لا بد في كل بلد من قايم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في
تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير
فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من
انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال • احدها التجرد للعلم
والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت • والثانية الذكاء
والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا
يرجا فيه نفعه • والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه
فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على
ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعبا التكاليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه
واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات
اللطيفة الموثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها
اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في
الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي رحمه الله وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه

من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة
في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد يختلف الاعصار في
كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق
النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبه وكشف الحقايق ومعرفة الاشياء على ما هي عليها ودرك الاسرار
التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على
الله وملازمة الفكر الصافي عن شوايب المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب
التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسئلة
فان قلت هذا الكلام مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي
يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا
سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر
والباطن والسر والعلن فيه واحد • فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة
وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اول الصبى شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شاو العلى
ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا
وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة • وقال
صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم • وقال عليه السلام ما حدث
احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم • وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العلماء
بالله الحديث الى آخره كما اوردناه في كتاب العلم • وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشايه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر لم
يذكره لهم فلا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم • وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيرها لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك
في ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على
غيره • وقال سهل التستري رحمه الله للعالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا
يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لاحد • وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية
كفر • وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله
سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القايل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم
فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض في ذلك وان الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه وملاك
الورع النبوة مسئلة فان قلت فهذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين لنا كيفية اختلاف

الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة
خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن ان كان لا يناقضه ولا
يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا
السؤال يحرك قطبا عظيما ويجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب
فان العقايد التي ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها
لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه
في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف
الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن
فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر اقرب
منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بذكرها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون عن
افشايها اليهم يرجع الى خمسة اقسام الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه
فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ قد يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم
عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما
تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون
ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتادبون باداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه
بل في صفات الله سبحانه من الخفايا ما يقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم
اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما
يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او للعنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة
المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم
اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هو حاضر
له في الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف
والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات
مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به
من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني
اعجز عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله حقيقة
سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه ومن

جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين
حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره **القسم الثاني** من الخفيات التي يمتنع
الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين
ولا يضر الانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم به من افشايه من هذا القسم ولا يبعد
ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد
بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور بقضا الله وارادته ومشيته وذلك
حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم انه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح
والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطايفة من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر
الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قايل ان القيمة لو ذكر ميقاتها
وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة
اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة
في علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح
فيكون مثالا لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر
ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم
وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قايل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق اذا نظر وعلم ان
ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس
في ذلك ومن هذا قول الشاعر

رجلان خياط وآخر حايك ۞ متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ۞ ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن
المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله عليه السلام ان المسجد لينزوي من النخامة
كما تنزوي الجلدة في النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد
ومعناه كونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال
اجزاء الجلدة وكذلك قوله عليه السلام اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه
راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ راس الحمار لم
يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار
راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود المعنى دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من
غاية الحمق ان يجمع بين الاقتدا وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر على خلاف الظاهر

إما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فعلم أنه كناية عن القدرة التي
هي سر الاصبع وروحها الخفي وكني بالاصبع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن
هذا القبيل كناية عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله
كن ان كان خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل الامر وان كان بعد الوجود
فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما
المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله
تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية وان معنى الماء هو القرآن ومعنى الاودية القلوب
وان بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل للكفر فانه وان ظهر وطفا على
راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الآخرة
من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب
اجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق
بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والآخر
كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب
او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضدا للاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم
والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند
الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلاثة احوال متفاوتة
وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر بعد تصرمه فان
تحققك بالجوع بعد زواله مخالف للتحقق به قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون
ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام
الاربعة يتفاوت الخلق وليس في شيء منه باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام
القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده
نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني
فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حيوة وعقلا
وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب عنه بصوت وحرف وتقول اتينا طائعين
والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه نبأ عن كونها مسخرة بالضرورة ومضطرة الى التسخير ومن هذا قوله
تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حيوة وعقلا ونطقا بصوت وحرف
حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده

ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وكما يقال هذه الصنعة
المحكمة تشهد لصاحبها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شيء
الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد
لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون
تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل
شيء شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات
لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة
الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى
تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان
وفي الحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله زعموا ان كل
ذلك لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان
ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه يقول انه
حسم باب التاويل الا لثلاثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر
والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من
التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط وجاوز
الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون
امروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله تعالى
وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره ومنعوا من التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من
صفات الله تعالى تعلق الرؤية واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا
عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الآخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على
الماكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق
يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة عليهم فاولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه
الى آلام عقلية روحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة
واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود
الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت
لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه

وما خالفوا فلو فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والاليق
بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم
المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه
الاقسام الخمسة واذ رأينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك
في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها
لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه
لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من الكتاب

الفصل الثالث

من الكتاب في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها فنقول بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين • وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين • وجنبهم
زيغ الزائغين وضلال الملحدين • ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين • وسددهم للتأسي بصحبه الاكرمين
ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين • حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين • ومن سير
الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين • فجمعوا في القبول بين نتايج العقول • وقضايا الشرع المنقول • وحققوا
ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ومحصول • ان لم يتحقق الاحاطة
بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول • وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازهما يتضمن اثبات
ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول • فعلموا ان بناء الايمان على هذه
الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن منها على عشرة اصول **الركن الاول** في معرفة ذات الله تعالى ومداره
على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة
ولا مستقرا على مكان وانه مرئي وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته تعالى ويشتمل على عشرة اصول
وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم
والارادة **الركن الثالث** في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله وانها
مكتسبة للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب
عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثابتة مؤيدة بالمعجزات **الركن الرابع** في السمعيات ومداره على عشرة اصول وهي اثبات الحشر والنشر
وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة • الركن الاول
من اركان الايمان معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** معرفة وجوده
تعالى واول ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طرق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان
وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا
لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك

التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى
افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه
ادنى مسكة اذا تأمل بادنى فكرة مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات
وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه
ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصروفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى
افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا
الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان معرفة ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدإ نشوئهم وفي
عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك
للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا في فطرة الانسان وشواهد
القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية
العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب
اما قولنا ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقد
تقديمه وتأخره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم
حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
ففي هذا البرهان ثلث دعاوى **الاولى** ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة
والاضطرار فلا حاجة فيه الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن
نهج الحق ناكبا **والثانية** قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك
مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من
متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث لطريانه والسابق منهما حادث لانه لو ثبت
قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس **الثالثة**
قولنا وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها
وما لم ينقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية
له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان تكون شفعا او وترا او شفعا
ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين
النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع
يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد
فكيف يعوزها واحد مع انها لا نهاية لها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث

فهو اذاً حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة **الاصل الثاني**
العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه
انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى
غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع
العالم وباريه ومحدثه ومبديه **الاصل الثالث** العلم بانه مع كونه ازليا ابدي اي ليس لوجوده
آخر فهو الاول والآخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم
لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز
ان يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب
وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين
وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث
في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون
من القطع والقديم اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه تعالى ليس بجوهر متحيز بل يتعالى
ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او
متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر
متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ
لا من حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف
من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر
وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو
جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام فان
تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في
نفي معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما
يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا
قبله في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي
بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا يعقل الا الموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل
من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام
فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء واني يشبه المخلوق خالقه والمقدر
المصور مقدره ومصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته
الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما
اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان

اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم
السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان
في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال لما يقابله
وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة
التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابله فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة
بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف
صار بجهة بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم تحته وتعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى ان يكون له رجل والتحت عبارة
عما يلي جهة الرجل فكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه بجهة انه مختص بالحيز اختصاص الجوهر او
مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة
غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم
فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي
عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها
بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء **الاصل الثامن**
العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه
سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس
ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر • قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق •
واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق
على الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله
عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا
الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر منه او اصغر منه وذلك
محال وما يؤدي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار
مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في دار القرار لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى لن
تراني ولو كان ذلك مستحيلا لما سال موسى ربه الرؤيا لقوله رب ارني انظر اليك وليت شعري كيف عرف المعتزلي
من صفة رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام او كيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي
البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء اولى من الجهل بالانبياء واما وجه اجراء الرؤية على الظاهر لانه غير مؤد الى المحال فان
الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس في
جهة وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية ولا
صورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية ولا صورة **الاصل العاشر** العلم بان الله واحد لا شريك له فرد

لاند له • انفرد بالخلق والابداع • واستبد بالايجاد والاختراع • لامثل له يساهمه ويساويه • ولاضد له
فينازعه ويناويه • وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما
امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا فلم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته
ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا **الركن الثاني**
العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان صانع العالم قادر
وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا
من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم انه صدر نسجه من ميت لا استطاعة
له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل **الاصل الثاني**
العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء صادق
في قوله تعالى وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال
بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الطفيف على علم الصانع
بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله تعالى هو المنتهى في الهداية والتعريف **الاصل الثالث**
العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حيوته ولو تصور عالم قادر فاعل مريد دون ان يكون حيا لجاز
ان يشك في حيوة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حيوة ارباب الحرف والصناعات وذلك ٥
انغماس في غمرة الجهالات **الاصل الرابع** العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند
الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان
يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين
مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى
يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق
العلم بوجوده **الاصل الخامس** انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم
والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا
بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع
وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جنبته والكمال في خلقه وصنعته او كيف تستقيم حجة ابرهيم عليه السلم
على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ولو انقلب
عليه ذلك في معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها
ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا
بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه تعالى متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت
بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه ذاته ذات غيره ولا وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس
وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات عليه كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة

من الاغبياء

من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حتى قال قائلهم ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع
عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين
في قولك بسم الله فلا يكون السين المتاخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض
العباد ومن يضلل الله فلا هادي له وقال فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت
ولا حرف فليستنكر ان يرى في الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا
قدر وكمية وهو الى الان لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم
واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل
كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل
ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات السبع والجنة والنار في الحدقة والورق
فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها
اذ لو حل ذات الله تعالى بكتبة اسمه في الورق لحل ذات النار بكتبة اسمها في الورق ولاحترق **الاصل السابع**
ان كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت
التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في
قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها
وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الاوصاف
فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات
الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده
وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام الى
وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالى اخلع نعليك بذات الله تعالى
ومصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم ٥ والله اعلم
الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت
المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع
الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير
تجدد علم آخر فهكذا ينبغي ان تعلم وتفهم قدم علم الله تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة
وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة
لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك
وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذا الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى
غير نهاية ولو جاز ان تحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر**

ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه
الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم
فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل فلا يتصور
قتيل بلا قاتل ولا قتل فكذلك لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلثة متلازمة
في العقل لا ينفك بعض منها عن بعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم
عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف والله سبحانه اعلم

الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى

ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه
لا خالق له سواه ولا محدث لا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة
له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في
اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد
وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد فالحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها
فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر
من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت
هي باختراعه دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت
المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات

الاصل الثاني ان انفراد الله سبحانه باختراع
حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا
وخلق الاختيار والمختار جميعا فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب
ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى الصفة اخرى تسمى قدرة
فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة
الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل
الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقادات وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على
وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة
الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق
فيه فظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها

الاصل الثالث ان فعل العبد وان كان
كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة
ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان
والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب
لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة
ابليس لعنه الله مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف
يستجيز المسلم ان يرد الملك الجبار ذا الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف
عنها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتب له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن الولاية
والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز
تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له
فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه
السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه
بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة والدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن
امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال

الاصل الرابع ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف
واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهي
وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر
اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب الماء حتى لا يموت
واما ان يراد به الذي عدمه يؤدي الى المحال وهو ان يكون واجبا لوجوده كما يقال وجود المعلوم واجب اذ
عدمه يؤدي الى المحال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بمعنى الاول فقد عرضه
للضرار وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا
فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في
حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم
لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب

الاصل الخامس انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه
وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان ابا
جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في
انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده

الاصل السادس ان لله ايلام الخلق وتعذيبهم من غير
جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم
هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما
ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الآدميين لم
تتقدمه جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله تعالى

من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطيث وكل بقة فركت حتى يثيبها على الامها فقد خرج عن الشرع والعقل
اذ يقال وصف الثواب والحشر لكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره
فقد سبق انه غير مفهوم اذا اخرج عن المعاني المذكورة للواجب **الاصل التاسع** انه يفعل بعباده
ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب
فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعري كيف يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسئلة
نعرضها عليه وهو ان يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات
البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو
قال الصبي يا رب لما رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبي
فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضيل عليه بتطويل العمر دوني فلم
فضلته فيقول الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبى هذا
عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون اما علمت انا اذا بلغنا اشركنا فهلا
امتنا في الصبى فانا رضينا بادنى منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع
بان الامور الالهية بتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال **فان قيل** مهما قدر على رعاية
الاصلح للعباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة **قلنا** معنى القبيح ما لا يوافق الغرض
حتى قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه
ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما
لا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور منه عدوان التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم
قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد التشهي يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم
معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته ومن اين يوجب رعاية الاصلح
وانما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع عن نفسه
به ضررا وعقابا وكل ذلك على الله محال **الاصل العاشر** ان معرفة الله وطاعته واجبة بايجاب
الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فايدة وهو
محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفايدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك
محال فانه يتقدس عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما
ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في
المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليها مع ان الطاعة والمعصية
في حقه يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل
من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز
والتلذذ باحدهما دون الآخر **فان قيل** فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر

المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى
ذلك الى افحام الرسول **قلنا** هذا يضاهي قول القايل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا
فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم
التفت ورائي ولا التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القايل وتهدفه
للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية
والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي والا هلكتم فمن التفت عرف
واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين
فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في
المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا
انه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهتدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى
الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى
للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبياء
خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فايدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهتدي الى الافعال المنجية
في الآخرة كما لا يهتدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف
صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة **الاصل العاشر** ان الله تعالى قد ارسل محمدا
صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرايع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات
الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء
ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا
لسبه ونهبه وقتله واخراجه كما اخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن ولا بسورة
مثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا
غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من
بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا
لله فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين يدي الملك
المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على
خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم
ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق
به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء

قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء
على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء
الاول **الاصل الثاني** سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه
ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه
ولا يدفع ذلك ما نشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال فان النائم ساكن بظاهره
ومدرك من باطنه من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد
ورد الشرع به قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالحين الاستعاذة من
عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون
السباع وحواصل الطير فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على
اعادة الادراك اليها **الاصل الرابع** الميزان فهو حق قال الله تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيمة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال وزنا
بحسب درجات الاعمال عند الله فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل
في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط وهو جسر
ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم
انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهوا قادر على ان يسير
الانسان على الصراط **الاصل السادس** ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه
على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله لا يسئل عما يفعل **الاصل السابع**
ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي
رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه
احاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل
الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى
مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق للاجماع وذلك مما لا يستجرء على اختراعه الا الروافض
واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه السلام
عليهم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد ولا منازعة من معوية لعلي في الامامة
اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة

في بدايتها فراى التاخير اصوب وظن معوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة ويعرض الدماء
للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي
رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ
حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد
في الثناء عليهم اجمعين اخبار وانما يدرك دقايق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقراين
الاحوال فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا ياخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن الحق
صارف **الاصل التاسع** ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم
والكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات
فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق **الاصل
العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن تصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا
بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرار يزيد على ما يفوتهم من نقصان
هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة فلا نهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا
وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في
بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية
للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة والله
تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده **الفصل الرابع**
من قواعد العقايد في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليهما من الزيادة
والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلث مسايل **مسئلة** اختلفوا في ان الاسلام هل هو الايمان
او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان لا
يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب
كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلثة مباحث بحث
عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالبحث
الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث الاول** في موجب اللغة والحق فيه ان
الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق
والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق
محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه • واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق
بالقلب هو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح
فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص فكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق
تسليم وليس كل تسليم تصديقا **البحث الثاني** عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما

على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان
فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه
استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا تصديق القلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان
والجوارح وفي حديث جبريل لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت
وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول
والعمل وفي حديث سعد انه عليه السلام اعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت
فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ايضا
انه سئل عليه السلام فقيل له اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقيل اي الاسلام افضل فقال الايمان
وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة لان الايمان عمل من الاعمال وهو افضلها
والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي
يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن
طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة
والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم
فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا
وان لم يستغرق جميع بدنه به فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان
وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فصل احدهما عن الآخر
ويريد بالاختلاف تفاصل المسميين واما التداخل فهو موافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم
بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي
عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب
قول السائل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف
بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف
في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق
الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع الثمر على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم
مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين

البحث الثاني

عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنياوي اما الاخروي فهو
الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قائل يقول انه مجرد

العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء
عنه ونقول من جمع بين هذه الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة الثانية ان يوجد
اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فعند هذا
قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين منزلتين وهو مخلد في النار
وهذا باطل كما سنذكره ان شاء الله تعالى الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون
الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي رحمه الله العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع
فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل
وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل
قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر
والقائل بهذا قائل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة
فلا بد وان يقال نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيده نقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة
فتركها ثم مات او زنا ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس
ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي
ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي تركها يبطل الايمان وما
عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر اصلا الدرجة الرابعة
ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله
وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل
للايمان الا التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق بالقلب
ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق
كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان هو ترجمان الايمان
فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب
الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل
الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة
والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طائفة من المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان
عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله
ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك انه في حكم الدنيا الذي
يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا نطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه

بقلبه وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنياوي فيما بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم
فيرثه ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب في حالة الموت والميراث الآن في يدي
فهل يحل لي بيني وبين الله او نكح مسلمة ثم صدق فهل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا
منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال يناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه
ظاهر له في نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك
كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وكان عمر رضي الله عنه يراعي ذلك منه فلا
يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كان في العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة
ما يجب لله كالصلاة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام ما
شمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغي ان
يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع
فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم **فان قلت** فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم
فاقول شبهتهم عمومات القران اما المرجئة قالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن
يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ولقوله تعالى كلما القي
فيها فوج سألهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله كلما الفي عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا
ولقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله من جاء بالحسنة فله خير منها
وهم من فزع يومئذ آمنون والايمان رأس الحسنات ولقوله والله يحب المحسنين وقال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن
عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه الايات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد
يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين
ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القران
قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله
تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم
وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط
التخصيص والتأويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها
كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصلاها الا الاشقى اراد به من جماعة
مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله كلما القي فيها فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات
قريب ومن هذه الاية وقع للاشعري وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها
الى ان ترد قرينة تدل على معناها • واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله وان منكم الا واردها ثم قال
ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان

وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فينبغي ان تبقى له مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة
وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب **فان قلت** فقد مال الاختيار
الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان
يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليد من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا
بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا
تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات
كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا
مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه انه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع
الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية **مسئلة** فان قلت
فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان
فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق
وانما الشأن في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به
والزايد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد
بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالسنن والاداب فهذا تصريح بان الايمان
له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان **فان قلت** فالاشكال قائم في ان التصديق
كيف يزيد وينقص وهو خطة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء
ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه **الاول** انه يطلق للتصديق بالقلب على
سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا
الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا يستبعد
هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا تخييل ولا وعظ ولا
تحقيق وبرهان وكذا النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده
بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في
الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال تعالى
فزادتهم ايمانا وقال تعالى فزادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال عليه السلام فيما روى في
بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه
في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى
عقائد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم

معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقدا التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب يصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي شرح هذا في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن آخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنهما وقال

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر

فكانما خمر ولا قدح ... وكانما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمعة بيضا فاذا عمل العبد الصالحات نمى وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سودا فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلى كلا بل ران على قلوبهم الاية

الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن واذا ادخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يوثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه موثر فيه

الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في خبر آخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت والله اعلم

فان قلت ما وجه قول السلف انا مومنون ان شاء الله والاستثنا شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفيان الثوري من قال انا مومن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مومن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مومن في نفسه ومن كان مومنا في نفسه كان مومنا عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان

لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان نقول امنا وبين ان نقول انا مومن وقيل للحسن امومن انت فقال ان شا الله فقيل له تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يومنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا اقبلت لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابرهيم اذا قيل لك امومن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسوالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امومن انت فقال ارجو ان شا الله وقال الثوري نحن مومنون بالله وملايكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناآت

فالجواب ان هذا الاستثنا صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك

الوجه الاول الذي لا يستند الى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من اعلى صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثنا كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شا الله لا في معرض تشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سيل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء

الوجه الثاني التادب بذكر الله تعالى في كل حال واحالة الامور كلها الى مشية الله فقد ادب الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مومنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صارت بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شا الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شا الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر

الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مومن حقا ان شا الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المومنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله فكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال اما العمل قال الله تعالى الذين امنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدايد ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم

من انفق من قبل الفتح وقاتل الاية وقال هم درجات عند الله وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث
وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال
واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان
صام وصلى وزعم انه مومن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات
واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المومن
وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ اخر غلبت عليه ذهبت به وقال صلى الله عليه
وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراوها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة كان
الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم
في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه بري منه وقال حذيفة المنافقون اليوم
اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق
مضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يتخوفه على نفسه واقربهم منه من يرى انه بري منه
فقد قيل للحسن البصري يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرق وقال
هو وغيره لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطا على الارض وسمع ابن عمر رجلا يعرض للحجاج فقال ارايت لو كان
حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله ذا لسانين في الاخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين
الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني
بري من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر
والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت من
النفاق ان المنافق من قد امن النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة
من اصحابه فذكروا رجلا فاكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر
الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل هو الذي وصفناه
فقال صلى الله عليه وسلم ارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى
الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم
وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله
وما يومنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون قيل في التفسير عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيات وقال سري السقطي لو ان
رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك

يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق
والشرك الخفي وانه لا يومن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو
سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان
يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله
وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك بصاحبه في زمرة المخلدين في
النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك
فيه فلذلك حسن فيه الاستثناء واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر
لا يخلو عنها الا الصديقون **الوجه الرابع** وهو مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا
يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخر ولو سيل
الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة
على التمام الى غروب الشمس من اخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الصحة ووصفه بالصحة
قبل اخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها
ثمرة القضية السابقة والمشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف
الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم
من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف
انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله والله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال
من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء
وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد
لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة
ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مومن فهو كافر ومن قال انا
عالم فهو جاهل وقيل في قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك
وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان
عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبري الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبري الذمة فيخرج عن كونه صوما
فكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسال عن الصوم الماضي الذي لا شك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول
نعم ان شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والقبول مغيب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في
جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية
لا يطلع عليها الا رب الارباب فيحسن الشك فيه فهذه اسباب وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان
وهي اخر ما نختم به كتاب قواعد العقايد والله اعلم
وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين تاليف الشيخ الامام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه

كتاب اسرار الطهارة ومهماتها

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه
واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى
اطراف العالم واكنافه وعلى اله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة
بيننا وبين كل آفة اما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح
الصلاة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال النبي صلى الله
عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ٥
فتفطن ذووا البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله الطهور
نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار
هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات
والثانية تطهير الجوارح عن الجرايم والاثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل
الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف
العمل التي هي فيه فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة
في السر ما لم يرتحل ما سوى الله من القلب ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما
جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقايد المشروعة
ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقايضها من العقايد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهيره احد الشطرين وهو الشطر
الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد
الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال
العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة
وعمارتها بالمحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الاخلاق المذمومة وعمارته بالاخلاق المحمودة ولن يصل الى
ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلب وشرف صعب مسلكه
وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت
هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب
فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب
المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخيال العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط ٥

وجهلا بسيرة الاولين في استغراقهم جميع الهم والوكد في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضي
الله عنه مع علو منصبه توضأ بماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة
بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في
المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا ٥
يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء قال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلوة فندخل اصابعنا
في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان والموائد والشبع وكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم
الصلاة في النعلين افضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في صلاته اذ اخبره جبريل عليه السلام
ان عليها نجاسة خلع الناس نعالهم فقال عليه السلام لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت
لو ان محتاجا جاء واخذها منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع
حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول
عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقايق
النجاسات بل هكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طايفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين
فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبايث الكبر والعجب والجهل
والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا ينكرون ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر دون الماء
او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف
للقدم من ادم او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه القيمة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر ٥
واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة
فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه
فاقول فنقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات والمنكرات
حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول هذا التكلف والتنظف باعداد الاواني والآلات واستعمال
غلاف القدم والازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذواتها على سبيل التجرد
فهي من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحا في
نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف
واما مصيره منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر
به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او ان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو
الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزين وان لا
ينكر على من يترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تعليم

علم او غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين
لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان التشاغل بالطهارات
يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا باس به اذا لم يخرج الى منكر واسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا
من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من
قدر على الانتفاع ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر
على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ لذلك بل لما هو اهم منه كما قيل لداود
الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب
احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في
الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا
شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال
سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تنظر اليه فان الناس لو لم
ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن
لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات ولو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا
فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء
بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل شغلت صاحبها واذا قصد به
التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم اشرف من ان يصرف الى مثله فيبقى محفوظا
عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير من كلا الجانبين وليتفطن بهذا المثال لنظائره من
الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها
الى الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة
لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر
الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة
عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره

القسم الاول

في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة

الطرف الاول

في المزال وهي النجاسات والاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزاء الحيوانات
اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد
منهما او من احدهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما
يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرها ولا ينجس الماء بوقوع شيء
منها فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز
والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر

كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم
والروث والبول نجس من سائر الحيوانات ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة
الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار فهو معفو عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع وغبار الروث
في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او
سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع
دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او في ثوب غيرك فلبسته الخامس
دم البثرات وما يترشح منها من قيح وصديد دلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى
ولم يغسله وفي معناه ما يترشح من الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج او غيره
فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه
النجاسات الخمسة يعرفك ان امر الطهارات على التساهل وانما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها

الطرف الثاني

في المزال به وهو اما جامد او مائع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط
ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا تزال النجاسة بشيء منها الا الماء ولا كل ماء
بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة
طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس
لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رحمه الله هذا
في الماء الراكد اما في الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء
متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا
تقاصر عن قلتين وان كان جري الماء اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما انحدر عنها فنجس وان تباعد
وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي
رحمه الله وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه
ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه
ويتامله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة
اذ لا يكثر بهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر
الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء من النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها
الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا
كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالب يعلم بظن قريب فاذا عسر
القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال عنها في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل ثاني والدليل
الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها
تاكل الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها ولم تكن تنزل في الابار والرابع ان الشافعي نص

على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم يتغير بخس ان تغير واى فرق بين ان يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واى معنى لقول القايل ان قوة الورود دفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء فى اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس فى الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد فى غسل الثياب والاوانى الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف فى مذهب الشافعى رحمه الله انه اذا وقع بول فى ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضى به وان كان الماء قليلا واى فرق بين الجارى والراكد وليت شعرى هل الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة الجرى فى المياه الجارية فى انابيب الحمامات ام لا فان لم يجر فما الفرق وان جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع فى مجرى الماء من الاوانى على الابدان وهى ايضا جارية ثم ان البول اشد اختلاطا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة اذ قضى بان ما يجرى عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجمع فى مستنقع قلتان فاى فرق بين الجامد والمايع والماء واحد والاختلاط اشد من الجوار السادس انه اذا وقع رطل من البول فى قلتين ثم فرقنا فكل كوز يغترف منها طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعرى هل تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل فى الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدى والاوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شىء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مايع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع فى المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع فى الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع اليه فالماء القوى على ازالة النجاسة جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفى الغسالة وفى الماء الجارى وفى اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور فى الماء القليل واما قوله عليه السلام لا يحمل خبثا فهو فى نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال اراد به انه فى الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التى ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفى الحمل اى يقلبه الى صفته كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اى يقلب وذلك لان الناس قد يستنجون فى المياه القليلة فى الغدران ويغمسون الاوانى النجسة فيها ثم يترددون فى انها هل تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة فان قلت فقد قال خبثا وهما كثرت حملها فاقول فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا

فلابد

فلابد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلى فى امور النجاسات الى المساهلة فيها من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسايل والله اعلم

الطرف الثالث فى كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلابد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرايحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشىء له رايحة فايحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متوالية تقوم مقام الحت والقرص فى اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشيا خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد نجاسة عليه ولا يعلمها يقينا يصلى معه ولا ينبغى ان يتوصل بالاستنباطات الى تقرير النجاسات

القسم الثانى طهارات الاحداث وهى الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجا فنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة

آداب قضاء الحاجة ينبغى ان يبعد عن اعين الناظرين فى الصحراء وان يستتر بشىء ان وجد وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان فى بناء والعدول ايضا فى البناء عنها احب وان تستر فى الصحرا براحلته جاز وكذلك بذيله وان يتقى الجلوس فى متحدث الناس وان لا يبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجر المثمر ولا فى الجحر وان يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه وان يتكى فى جلوسه على رجله اليسرى وان كان فى بنيان فيقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يبول قايما قالت عايشة رضى الله عنها من حدثكم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قايما فلا تصدقوه وقال عمر رضى الله عنه رانى النبى صلى الله عليه وسلم وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل قايما وفيه رخصة لما روى حذيفة انه عليه السلام بال قايما فاتيته بوضوء فتوضا ومسح على خفيه ولا يبول فى المغتسل قال عليه السلام عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس ولا يستصحب شيا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذى اذهب عنى ما يوذينى وابقى على ما ينفعنى وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجى بالماء فى موضع قضاء الحاجة وان يستبرى من البول بالتنحنح والنتر ثلثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يوذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اعنى رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفى حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغايط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك انى لها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعى اقعاء الظبى واجفل اجفال النعام

الشيح نبت طيب الرايحة يكون بالبادية والاقعاء هاهنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه
ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه متستراعنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة
حيايه ليبين للناس **كيفية الاستنجاء** ثم يستنجي لمقعدته بثلثة احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعا
فان انقى استعمل خامسا لان الايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر وياخذ الحجر بيساره ويضعه
على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمده بالمسح والادارة الى المؤخرة وياخذ الثاني ويضعه على المؤخرة كذلك
ويمدها الى المقدمة وياخذ الثالث فيديره حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى
المؤخرة اجزاه ثم ياخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح
ثلثا في ثلثة مواضع او في ثلثة احجار او في ثلثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل
ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة
للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى
حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس
وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسات للفضلات الباطنة ما لم تبرز وكل ما هو
ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحده ان يصل الماء اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من
الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرايحة ان
بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع
بين الماء والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط خارجا من الغايط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق
القران فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلاة وقال
عليه السلام صلاة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك عند كل صلاة وقال عليه السلام ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه
السلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا بالسواك
حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون
والسواك على آذانهم **وكيفيته** ان يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل
القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وان لم يصل
عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رايحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله عليه اي لا وضوء كاملا ويقول
عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء

ويقول

ويقول اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث واستباحة الصلاة
ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند غسل الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثا
ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صايما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم
ياخذ غرفة لانفه ويستنشق ثلثا ويصعد الماء بالنفس الى الخياشيم ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق
اللهم اوجدني رايحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء الدار لان
الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبتداء تسطيح الجبهة الى منتهى
ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان اللتان على
طرفي الجبين فانهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر
الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء
الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب والعذاران
هما ما يوازي الاذنين من مبتداء اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه
واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلثا ويفيض الماء على ظاهر ما
استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجمع الكحل وينقيهما فقد روي انه
عليه السلام فعل ذلك ويامل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم
بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليايك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدايك ويخلل
اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع
الماء الى اعالي العضدين فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام
من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبداء باليمين ويقول اللهم اعطني
كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من
وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة
الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلثا ويقول اللهم غشني برحمتك
وانزل علي من بركاتك واظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء
جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا
ويكرر ذلك ثلثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع
الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلام مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ويقول اللهم فك رقبتي من النار
واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل
اليمنى ويبداء بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم
تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل الرجل اليسرى اللهم اني اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط يوم
تزل فيه اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله

الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا الدعاء بعد الوضوء ختم له على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره في الوضوء امور احدها ان يزيد على الثلث وان يسرف في الماء توضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال ابرهيم بن ادهم يقال ان اول ما يبتدا الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض يده فيرش الماء وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري ولكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة انه كان له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن عايشة ويكره ان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهية الاناء الصفر قال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضا ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر ومهما فرغ عن وضوئه واقبل على الصلاة ينبغي ان يخطر باله انه طهر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغي ان يستحي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والتحلي بالاخلاق الحميدة والخلو عن الاخلاق الذميمة فان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار فما اجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال ايضا الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط ثلثا وتوضا صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين آتاه الله اجره مرتين وتوضا ثلثا ثلثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليلي ابرهيم وقال عليه السلام من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال عليه السلام من توضا على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال عليه السلام الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام اذا توضا العبد المسلم فمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من اظفار يديه فاذا مسح براسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلوته نافلة له ويروى ان الطاهر

كالصائم وقال صلى الله عليه وسلم من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع الا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه

كيفية الغسل

وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضا وضوءه للصلاة كما سبق الا غسل قدميه فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم على راسه ثلثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس ويوصل الماء الى منابته ما كثف منه او خف وليس على المراة نقض الضفاير الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلل الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل فليعد الوضوء واذا توضا قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الاخرة من علمه وعمله وما عداه من المسايل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل امران النية واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة فليست واجبة والاغسال الواجبة اربعة الغسل لخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين وللاحرام وللوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلثة اغسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول وللكافر اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب او بمانع له عن الوصول اليه من سبع او حابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره ولم يبع منه الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلاة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خفت او كثفت ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكتفي في الاستيعاب بغالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكليف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس ان يستوعب بضربتين فزيادة فاذا صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف شاء فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد

القسم الثالث من النظافة

اليمم للثانية ومكننا بفرد كل فريضة بتيمم والله اعلم
التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان أوساخ واجزاء **النوع الاول** الاوساخ والرطوبات المترشحة
وهى ثمانية **الاول** ما يجتمع فى شعر الراس من الدرن والقمل فالتنظف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين
ازالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال صلى
الله عليه وسلم من كانت له شعرة فليكرمها اى ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال
اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان **الثالث** ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن
والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ فينبغى ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما
يضر بالسمع **الثالث** ما يجتمع فى داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق
والاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة
وقد ذكرناهما **الخامس** ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل
والتسريح بالمشط وفى الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب
وفى خبر غريب انه كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان ابو بكر وكان
عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفى حديث غريب منه قالت عائشة
رضى الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع فى الحب يسوى من راسه
ولحيته فقلت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن
ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين فهيهات فقد كان صلى الله عليه
وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظيفته ان يسعى فى تعظيم امر نفسه فى قلوبهم كى لا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته
فى اعينهم كى لا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على
كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل
هذه الامور على النية فانها اعمال فى انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب
وترك الشعث فى اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه
احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال فكم من جاهل يتعاطى هذه الامور
التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة
ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله بذلك وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر
ويوم يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من
الخزى يوم العرض الاكبر **السادس** وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك
لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم **السابع**
تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم بذلك العرب وهى رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانه لم يكن
تحضرهم المقراض فى كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف

الابط وحلق العانة اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء فى الاثر ان النبى صلى الله عليه وسلم
استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون
رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى فلا تقل
لهما اف اى لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذ بهما كما يتاذى بما تحت الظفر **الثامن** الدرن
الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار
روى ذلك عن ابى الدرداء وابى ايوب الانصارى وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب
الحيا فهذا تعرض لآفته وذلك لفضيلته ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام
وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبان فى عورته وواجبان فى عورة غيره اما الواجبان فى عورته
فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك
من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفى اباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ
الحق مس السوءتين فى التحريم بالنظر فكذلك ينبغى ان يكون بقية العورة اعنى الفخذين والواجبان فى عورة الغير
ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهى عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط
عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجرى عليه مما هو حرام فى نفسه فليس عليه ان ينكر حراما هو المنكر
عليه الى مباشرة حرام آخر واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو
قلب عن التاثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصى وذلك يؤثر فى تقبيح الامر فى عينه وتنفير
نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة
لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونه عورة وقد الحقه الشرع بالعورة وجعلها كالحريم
لها ولهذا تستحب تخلية الحمام قال بشر بن الحرث رحمه الله ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام
وروى ابن عمر فى الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن
بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه **واما** السنن فعشرة الاول النية وهو ان لا يدخل
لعاجل دنيا وزينتها ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظيف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطى الحمامى الاجرة
قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامى ايضا مجهول فتسليم الاجرة رفع للجهالة عن احد العوضين
وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس
الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن فى الحمام الا اهل
الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيها شائبة من قلة الحيا وهو مذكر للتامل فى العورات
ثم لا يخلو الناس فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى اطراف الازر فيقع البصر على العورة من حيث
لا يدرى ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى
الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه

الحمامي لكراهة لاسيما الماء الحار وله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا
في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله
منها بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار
او غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحايك دارا معمورة مفروشة
فاذا انفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحايك ينظر الى الثياب يتامل نسجها والنجار
الى السقف يتامل كيفية تركيبها والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك
طريق الآخرة لا يرى شيئا من الاشياء الا يكون له موعظة فيه من الآخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله
له فيه طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر به ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة
قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هايلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم
الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار تذكر ما ينكشف من احواله في آخر امره بعد الحساب من
الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا
فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن اقفل قلبه واعميت
بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب
غيره وان احب قال عافاك الله ولا بأس ان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر
الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام
بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس ان يدلكه غيره فقد نقل عن
يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت
ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله
فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء
من النعيم الذي يسأل الله عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة
الطب فقد قيل الحناء بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي المرار وتنقي اللون
وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قايما في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام
تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على
الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال اما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يدخل
حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور حرام على الرجال دخول الحمام الا بميزر وحرام على المرأة دخول الحمام
الا نفساء او مريضة ودخلت عايشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بميزر
سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه **النوع الثاني** ما يحذف من
البدن الاجزاء وهي ثمانية **الاول** شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن اراد التنظف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجل

الا اذا تركه قزعا قطعا فهو دأب اهل الشطارة او ارسل الذوايب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم
فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا **الثاني** شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب
وفي لفظ آخر جزوا الشوارب وفي لفظ حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفا في الشفة اي حولها وحفاف
الشيء حوله ومنه قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال
وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق
فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي
فقال تعال فقصه لي على سواك ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره
لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود
يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة **الثالث** شعر الابط ويستحب
نتفه في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود في الابتداء نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في
النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق **الرابع** شعر
العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما **الخامس** الاظفار وقلمها
مستحب لبشاعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة يا ابا
هريرة اقلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما
لانه لا يمنع وصول الماء او لانه متساهل فيه للحاجة لاسيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على الرأس
وظهور الارجل والايدي من العرب واهل السواد وكان يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالقلم وينكر ما يرى تحت اظفارهم
من الاوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلوات ولو امر به لكان فيه فايدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار
في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى انه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحة اليمنى وختم
بابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر والختم بابهام اليمنى ولما
تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور
النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من الفعل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم
عند الله انه لا بد من قلم اظفار اليد والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدأ
بها ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي
ان يبتدأ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام
هو اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمين واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مايلا الى جهة الارض اذ جهة
حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت
الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دايرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة الى ان يعود
الى المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم وانما قدرت الكف

موضوعًا على الكف حتى تصير الاصابع كالشاخص فى حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على
ظهر الكف او وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندى ان لم
يثبت فيه نقل ان يبتدى بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل فان المعانى التى ذكرناها فى اليد لا تتجه
ها هنا اذ لا مسبحة فى الرجل وهذه الاصابع فى حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدا من جانب اليمين فان
تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص ياباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقايق فى الترتيب تنكشف
بنور النبوة فى لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا واذا
ذكر لنا فعله وترتيبه ربما تيسر لنا ما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى سبب
المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب
بل جميع الامور الاختيارية التى يتردد الفاعل فيها بين قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق
بل لمعنى يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهايم وضبط الحركات بموازين المعانى
سجية اوليا الله وكل ما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال وتركها سدى ابعد
كانت قربه الى رتبة الانبيا والاوليا اكثر وكان قربه من الله اظهر اذ القريب من النبى هو قريب من الله لا بد وان
يكون قريبًا فالقريب من القريب قريب وقربه بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا
فى يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فانه كان يكتحل فى عينه
اليمنى ثلثًا وفى اليسرى اثنين فبدايته باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا
على الزوج فان الله تعالى وتر يحب الوتر فلا ينبغى ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب ولذلك
استحب الايتار فى الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهى وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب
ان المرة الواحدة لا تستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خصص اليمين بالثلث لان التفضيل لا بد منه
للايتار واليمين افضل فهى بالزيادة احق فان قلت ان اقتصاره على اثنين لليسرى ما معناه وهو زوج فذلك
ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع شفعًا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار فى مجموع الفعل وهو
فى حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته فى الآحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل فى كل واحدة ثلثًا على قياس
الوضوء وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصى دقايق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته
لطال الامر فقس على ما سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبى الا اذا اطلع على جميع معانى الشرع
حتى لا يكون بينه وبين النبى الا درجة واحدة وهى درجة النبوة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ
الموروث هو الذى حصل له المال واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه
ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فامثال هذه المعانى مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار
والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبيا ولا يستقل باستنباطها تلقيًا بعد تنبيه الانبيا عليها الا
العلماء الذين هم ورثة الانبياء   زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع
فى اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم تحصل بالتاخير

الى ان يثغر الولد فهو احب الى وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنسا
وينبغى ان لا يبالغ فى خفض المراة قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض النسا يا ام عطية اشمى
ولا تنهكى فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اى اكثر لماء الوجه ودمه واحسن فى جماعها فانظر الى جزالة
لفظه فى الكناية والى اشراق نور النبوة وانتقاله من مصالح الآخرة التى هى اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا
حتى انكشف له وهو امى من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله
رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين

الثامنة

ما طال من اللحية وانما اخرناها لنلحق بها ما فى اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد
اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس قد فعله ابن عمر وجماعة
من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية احب لقوله عليه السلم
اعفوا اللحى والامر فى هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد
يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعى
عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شى حسن ولذلك
قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل

فصل

وفى اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد
من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة
فيها وتسريحها تصنعًا لاجل الريا وتركها شعثة اظهارًا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى
بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين

الاول

وهو
الخضاب بالسواد فهو منهى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر
شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد
وقال هو خضاب اهل النار وفى لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر وكان
يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المراة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال
غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رايحة
الجنة

الثانى

الخضاب بالصفرة والحمرة جايز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على
هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة
خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحنا للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلما بالسواد لاجل
الغزو وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة

الثالث

تبييضها بالكبريت استعجالا
لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق فى الرواية عن الشيوخ وترفعا على الشباب
واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل الا جهلا فالعلم
ثمرة العقل وهى غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة تؤكد حماقته وقد كان الشيوخ

يقدمون الشباب بالعلم وكان عمر رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسئله
دونهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما آتى الله تعالى عبدا علما الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله انهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال
لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل اوشين هو فقال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن اكثم ولى القضاء وهو ابن احدى
وعشرين سنة فقال له رجل فى مجلسه يريد ان يخجله لصغر سنه كم سن القاضى ايده الله فقال مثل سن عتاب
ابن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها يوم الفتح وانا اكبر من معاذ بن جبل
حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على اهل اليمن وانا اكبر من كعب بن سوار حين وجه به عمر رضى
الله قاضيا على اهل البصرة فاحجمه وروى عن مالك انه قال قرات فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية
وقال ابو عمرو بن العلاء اذا رايت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية
ابن عبد شمس وقال ايوب السختيانى ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال على بن الحسين
من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابى عمرو بن العلا احسن بالشيخ ان
يتعلم من الصغير قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف
بغلة الشافعى رحمه الله يا ابا عبد الله تترك حديث سفين بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه
فقال احمد يا ابا زكريا لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر ان علم سفين ان فاتنى بعلو ادركته بنزول وان عقل
هذا الشاب ان فاتنى لم ادركه بعلو ولا بنزول **الرابع** نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى النبى
عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو فى معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية كما سبق
والشيب نور من الله والرغبة عنه رغبة عن النور **الخامس** نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك
مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة ومما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف
فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن ابى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته
واما نتفها فى اول الشباب تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فلله ملائكة يقسمون والذى
زين بنى آدم باللحى وهى من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النسا وقيل فى غريب التاويل اللحية هى المراد بقوله تعالى
يزيد فى الخلق ما يشاء وقال اصحاب الاحنف وددنا ان نشترى للاحنف لحية ولو بعشرين الفا وقال شريح القاضى
وددت ان لى لحية بعشرة الاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع فى
المجالس واقبال الوجوه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم
لحية وقد قيل ان اهل الجنة كلهم مرد الا هرون اخو موسى عليهما السلام فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا
السادس تقصيصها كالعقبة طاقة على طاقة للتزين للنسا والتصنع قال كعب يكون فى آخر الزمان
اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم **السابع** الزيادة فيها
وهو ان يزيد فى شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحى او ينتهى الى نصف الخد وذلك

باين هيئة اهل الصلاح **الثامن** تسريحها لاجل الناس قال بشر فى اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها
متفتلة لاظهار الزهد **التاسع والعاشر** النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم فى جميع
اجزاء البدن بل فى جميع الاخلاق والافعال على ما سياتى بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين و
النظافة وقد حصل من ثلثة احاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها فى الراس وهى فرق شعر
الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلثة فى اليد والرجل وهى القلم وغسل
البراجم وتنظيف الرواجب واربع فى الجسد وهى نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء
فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة
فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخه التى يجب التنظف عنها اكثر من ان تحصى وسيأتى
تفصيلها فى ربع المهلكات من الكتاب مع تعريف الطريق فى ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله
تعالى اخر كتاب الطهارة ويتلوه كتاب اسرار الصلاة ومهماتها ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده

كتاب اسرار الصلوة ومهماتها وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات
من كتاب احياء علوم الدين تاليف الشيخ الامام العالم
العلامة حجة الاسلام ابى حامد محمد بن محمد
ابن محمد الغزالى ثم الطوسى قدس الله
روحه ونور ضريحه وقبره
تمت بعون الله تعالى
عز وجل
م م
م

كتاب
اسرار الصلاة [illegible]

الحمد لله الذى غمر العباد بلطايفه • وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظايفه • الذى جعل النزول عن عرش الجلال
الى السما الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه • فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء • بترغيب الخلق
فى السؤال والدعاء • فقال هل من داع فاستجيب له • هل من مستغفر فاغفر له • وباين السلاطين بفتح
الباب • ورفع الحجاب • ورخص للعباد فى المناجاة بالصلوات • كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات
والخلوات • ولم يقتصر على الرخصة • بل تلطف بالترغيب والدعوة • وغيره من ضعفا الملوك لا يسمح
بالخلوة • الا بعد تقديم الهدية والرشوة • فسبحانه ما اعظم شانه • واقوى سلطانه • واتم لطفه
واعم احسانه • والصلاة على نبيه محمد المصطفى • ووليه المجتبى • وعلى اله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح
الدجى وسلم تسليما **اما بعد** فان الصلاة عماد الدين • وعصام اليقين • وراس القربات • وغرة
الطاعات • وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين
جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومعولا له اليه يفزع
ويرجع ونحن الآن فى هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة •
وكاشفون من دقايق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والاخلاص والنية ما لم يجر العادة بذكره فى الفقه ومرتبون
الكتاب على سبعة ابواب • الباب الاول فى فضايل الصلوات • الباب الثانى فى تفصيل الاعمال الظاهرة
من الصلاة • الباب الثالث فى تفصيل الاعمال الباطنة منها • الباب الرابع فى الامامة والقدوة • البا
الخامس فى صلاة الجمعة وآدابها • الباب السادس فى مسايل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها
الباب السابع فى التطوعات •

الباب الاول
فى فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيمة على كثيب من
مسك اذفر لا يهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغا وجه الله وام بالناس
وهم راضون به ورجل اذن فى مسجد ودعا الى الله تعالى ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرق فى الدنيا فلم يشغله
ذلك عن عمل الاخرة • وقال عليه السلام لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شى الا شهد له يوم القيمة
وقال عليه السلام يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه • وقيل فى تفسير قوله تعالى ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله نزلت فى المؤذنين وقال عليه السلام اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب
الا فى الحيعلتين فانه يقول فى الاولى لا حول ولا قوة الا بالله وفى الثانية كذلك وفى قوله قد قامت الصلاة

اقامها

اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفى التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمقام
المحمود الذى وعدته • وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن
واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملايكة •

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المومنين
كتابا موقوتا • وقال النبى صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيا
استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء
ادخله الجنة • وقال عليه السلام مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات
فما ترون يبقى ذلك من درنه قالوا لا شى قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن • وقال ايضا
ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير • وقال عليه السلام بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح
فانهم لا يستطيعونهما • وقال عليه السلام من لقى الله تعالى وهو مضيع للصلاة لم يعبا الله بشى من حسناته
وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين • وسيل صلى الله عليه وسلم اى الاعمال
افضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة
ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلاة • وقال عليه السلام ما افترض الله على خلقه بعد
التوحيد شيا احب اليه من الصلاة ولو كان شى احب اليه منها لتعبد به ملايكته فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد
وقال من ترك صلاة متعمدا فقد كفر اى قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب
البلد انه بلغها ودخلها • وقال عليه السلام من ترك صلاة متعمدا فقد برى من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابو هريرة من توضا فاحسن الوضو ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاة ما دام يعمد الى الصلاة وانه يكتب
له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم
دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطا • ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلاة
فان وجدت تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله • وقال عليه السلام يا ابا
هريرة مر اهلك بالصلاة فان الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب • وقال بعض العلما مثل المصلى مثل التاجر
الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال فكذلك المصلى لا يقبل الله له نافلة حتى يودى الفريضة وكان ابو
بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التى اوقدتموها فاطفيوها •

فضيلة اتمام الاركان

قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى • وقال يزيد
الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة • وقال عليه السلام ان الرجلين
من امتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيمة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده • وقال عليه
السلام اما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار • وقال ايضا من صلى الصلاة لوقتها
فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى

ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول
ضيعتني ضيعك الله حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه • وقال عليه السلام
اسوأ الناس سرقة من سرق من صلاته • وقال ابن مسعود وسلمان الفارسي رضي الله عنهما الصلاة مكيال فمن
اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال تعالى في المطففين

فضيلة الجماعة

قال عليه السلام صلاة
الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في
بعض الصلوات فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا
عليهم بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا او مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء • وقال عثمان بن عفان
رضي الله عنه مرفوعا من شهد صلاة العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة • ويروى مرفوعا
وقال عليه السلام من صلى صلاة في جماعة فكانما قد ملأ نحره عبادة • وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن
منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد • وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلاثة اخا في الله عز وجل ان تعوج
قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها • ويروى ان ابا
عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي آنفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا ام
ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم
كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يعلم زيادته من نقصانه • وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو
اسحق البخاري وحده ولو مات ولد لي لعزاني اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس
من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنه من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا • وقال ابو هريرة
رضي الله عنه لان تملأ اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه • وروى ان ميمون
ابن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله لفضل هذه الصلاة احب الي من ولاية
العراق وقال عليه السلام من صلى اربعين يوما الصلوات في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب
له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب
الدري فتقول لهم الملائكة ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الصلاة فلا
يشغلنا عنها غيرها ثم يحشر طايفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت
ثم يحشر طايفة وجوههم كالشموس فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ ونسمع الاذان في المسجد وروي
ان السلف كانوا يعزون بعضهم بعضا ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم
الجماعة

فضيلة السجود

قال النبي عليه السلام ما تقرب العبد الى الله بشيء افضل من سجود
خفي وقال عليه السلام ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة
وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك
في الجنة قال اعني بكثرة السجود • وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله ان يكون ساجدا وهو معنى قوله تعالى
واسجد واقترب وقال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم عند السجود

من الارض

من الارض وقيل انه نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم
يوم القيمة من اثر الوضوء • وقال عليه السلام اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلاه
امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار • ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان
يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد • ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب
وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الصحة قبل السقم فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه
وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك • وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة
ابن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حين
يخر ساجدا • وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا عند ذلك الدعا

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى واقم الصلاة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه
تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر قط وهو لا يعلم ما يقول
في صلاته وقال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال
عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتبأس وتنادم وتقنع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم
يفعل هذا فهو خداج • وروي في بعض الكتب السالفة ان الله تعالى قال ليس كل مصل اتقبل صلاته انما اقبل صلاة
من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجايع لوجهي وقال عليه السلام انما فرضت الصلاة وامر بالحج
والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا
هيبة فما قيمة ذكرك • وقال عليه السلام للذي اوصاه فاذا صليت فصل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع
لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى فاتقوا
الله واعلموا انكم ملاقوه • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله
الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة • وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على
مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير
اذن فكلمته بغير ترجمان • وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت
الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله • وقال عليه السلام لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل
فيها قلبه مع بدنه • وكان ابرهيم الخليل عليه السلام اذا قام الى الصلاة سمع وجيب قلبه على ميلين • وكان سعيد
التنوخي اذا صلى لم تنقطع دموعه من خديه على لحيته فقيل له في ذلك فقال المقام عظيم • ورأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه • ويروى ان الحسن
نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني من الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت
تعبث • وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك الذباب في الصلاة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد
علي صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان

صبور و يفحص من بعد ذلك فانا قائم بين يدي ربي فاتحرك لذبابة • ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة
قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد
فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة • وكان علي بن ابي طالب اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل
ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت اداء امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها • ويروى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه كان اذا توضأ للصلاة اصفر لونه
فيقول له اهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم • ويروى عن ابن عباس
انه قال قال داود عليه السلام الهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتي
واتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب
ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس ان دعاني لبيته وان سألني اعطيته اجعل له في الجهل
حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير
ثمارها • ويروى عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع
الذي اريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع الي جوارحي ثم اقوم الى صلاتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط
تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلاتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف
فاكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش
ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا • وقال ابن عباس
ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلوة

قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو مثل
مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة • وقال عليه السلام من الف المسجد الفه الله تعالى • وقال صلى الله عليه وسلم
اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس • وقال صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد
وقال عليه السلام الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما
لم يحدث او يخرج من المسجد • وقال عليه السلام يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها
حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة • وقال عليه السلام قال الله تعالى في بعض
الكتب ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على
المزور ان يكرم زائره • وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان • وقال
سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا • ويروى في الاثر او في الخبر الحديث
في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش • وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة الى المساجد
موجبة للجنة • وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام
في ذلك المسجد ضوءه • وقال علي بن ابي طالب اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء
ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين • وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا • وقال

عطاء

عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له بها يوم القيمة وبكت عليه يوم يموت
وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر
الله تعالى الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه
قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم ٥ والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب الثاني

في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداية بالتكبير وما قبله • ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث
في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين
قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن
والصفد في الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين
ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعى في الرجلين عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب
واما رأسه ان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرقه والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره
محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلا فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر
ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من غير
التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل اعوذ برب الناس تحصنا بها
من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر
مثلا ويقول في قلبه أؤدي فريضة الظهر لله تعالى ليميزها بقوله اؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن
العصر وغيرها ولتكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد
ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر ذلك في قلبه فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما
بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمتي اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة
فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى
طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما
واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون محمولة
وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع
اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين
على الاخرى في صورة العقد ومبدأه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق
بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يدفع يديه الى قدام دفعا عند التكبير ولا
يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ٥
ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه عليه السلام كان اذا كبر ارسل يديه فاذا
اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه **واما التكبير** فينبغي ان يضم الهاء

من قوله الله ضمة خفيفة من غير اشباع ولا يدخل بين الالف والهاء شبه الواو وذلك يتساق اليه بالمبالغة ولا يدخل
بين باء اكبر ورائه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير جزما ولا يضمه فهذه هيئة التكبير وما معه القراءة
ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا الى قوله لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين
ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد من
الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد
والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح
والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرأ السورة او قدر ثلث آيات من القران فما فوقها ولا
يصل آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل
وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع

الركوع وتوابعه

اليدين كما وصفناه في اول الصلاة ثم يركع ويراعي فيه امورا منها ان يكبر للركوع
وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع
واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا
وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه
وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الى السبع والعشر حسن ان لم يكن اماما
ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد
ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح ويقنت في الصبح

السجود

في الركعة الثانية بالكلمات الماثورة ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع
جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع على الارض
منه ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه
ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين ركبتيه ولا تفعل المراة ذلك
وان يكون في سجوده مخويا ولا تكون المراة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين وان يضع
يديه على الارض حذاء منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليها وان لم يضم الابهام فلا
باس ولا يفرش ذراعيه على الارض كما يفرش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فان زاد
فحسن الا ان يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى
وينصب اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر
لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي

بالسجدة

بالسجدة الثانية كذلك ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يتشهد عقيبها
ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين
وسط ارتفاعه الى القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون هاء الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر
عند اعتماده على اليد عند القيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى
القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية

التشهد

كالاولى ويعيد التعوذ كالابتداء ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه اليمنى الا المسبحة
ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله الا الله ويجلس
في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء الماثور بعد الصلاة على
آل محمد وسننه كسنن التشهد الاول ولكن يجلس في الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو
مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه
ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا
كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج بالسلام من الصلوة وينوي بالسلام على من على يمينه من الملائكة
والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويحذف السلام فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلاة

المنهيات

المنفرد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن
الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق
وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم والتلثم هو ستر الوجه واما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على
وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤوس اصابع الرجلين
والركبتان واليدان واما السدل فمذهب اهل الحديث ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد
كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلواتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه
كذلك في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما
على كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون
الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء
ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزر فوق القميص في الصلاة وراه من الكف واما الاختصار فهو
ان يضع يديه على خاصرتيه واما الصلب فهو ان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام
واما المواصلة فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على
الماموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض
بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب فمن الغائط والحازق صاحب الخف
الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله عليه السلام اذا حضر

العشا واقيمت الصلاة فابدؤا بالعشا الا ان يضيق الوقت ويكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم
الصلاة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة
اسرع وفي الخبر سبعة اشيا من الشيطان في الصلاة الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والالتفات
والحكاك والعبث بالشي وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعضهم اربعة في الصلاة من الجفا الالتفات ومسح
الوجه وتسوية الحصا وان تصلي بطريق من يمر بين يديك ونهي ايضا ان يشبك اصابعه او يفرقعها او يستر
وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع قال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا
عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتطهير وان يسوي الحصا بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا
يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى الحايط فان استند بحيث لو سل ما استند اليه لسقط
فالاظهر بطلان صلواته **تمييز الفرايض والسنن** جملة ما ذكرناه اشتملت على السنن والهيآت والآداب التي
ينبغي ان يراعي مريد طريق الآخرة جميعها والفرض من جملتها اثنى عشر خصلة النية وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة
والانحنا في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال عنه قايما والسجود مع الطمانينة
ولا يجب وضع اليدين مكشوفة والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيآت
فيها وفي الفرايض **اما السنن** فمن الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند
الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيآت تابعة لهذه
السنة والتورك والافتراش هيآت تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيآت القيام وتحسين صورته
وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام
لانها ليست مقصودة في نفسها ولهذا لم تفرد بذكر **واما السنن** من الاذكار فدعا الاستفتاح ثم التعوذ
ثم قوله امين فانه سنة موكدة ثم قراة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال
عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة
الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر من جملتها بسجود السهو اربعة اما من
الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في اعين الناظرين حتى تعرف
بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود
الاذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالف
للعادة وتحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير
صورة العبادة واما الجلسة للتشهد الاول فهو فعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركه ظاهر التاثير واما دعاء
الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعا في التشهد
الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صار

بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا اليسير فيه ذكر واجب وفي الممدود احترازا عن
غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احترازا عن اصل القيام في الصلاه **فان قلت** تمييز السنن عن الفرايض معقول
اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على
سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على الكل ما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب
والاستحباب لا يرفع تفاوتها وينكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا
بمعنى باطن واعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحيوة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضا
ينعدم الانسان بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحيوة بفواته وبعضها لا يفوت الحيوة
بفواته ولكن تفوت بها مقاصد الحيوة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت بها الحياة ولا مقاصدها
ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن
كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضا وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه
درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطن
الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن نتكلم الآن في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود
والقيام وساير الاركان تجري منها مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي
ذكرناها من رفع الايدي ودعا الاستفتاح والتشهد الاول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا تفوت
الصحة بفواتها كما لا تفوت الحيوة بفوات هذه الاعضا ولكن يصير الشخص بسببها مشوه الخلقة مذموما غير
مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلاة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع
الاطراف واما الهيآت وهي ما وراء السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن
اللون **واما** وظايف الاذكار في تلك السنن فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها
فالصلاة عندك تحفة وقربة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلطان
اليه وهذه التحفة تعرض على الله تعالى ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها
فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان تميز لك السنة عن الفرض
فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقد العينين
لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية
فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب فكل صلاة لا يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم
الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في اكمال اركان الصلاة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها
وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلاة ليكون صالحة لزاد الآخرة
بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله واقم الصلاة لذكري وظاهر الامر الوجوب

والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره
التحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار
الدنيا وقوله عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد
فهم الفقهاء من قوله عليه السلام انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله عليه السلام من لم
تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا فصلاة الغافل لا تمنع من الفحشا وقال عليه السلام
كم من قايم حظه من صلاته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل
والتحقيق فيه ان المصلي يناجي ربه كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكوة ان
غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر سطوة
الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة
شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء والامتحان كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلاة فليس
فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود
منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك
في الصوم وكما تمتحن البدن بمشاق الحج وتمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في
ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود
الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سؤال
في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في حركة
اللسان به في الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني
عليه واسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه
في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا
معه ما لم يكن حاضرا في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق
الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في ان المقصود
من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا
يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه متحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلاة التي
شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية
لا سبيل الى انكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل **واما الركوع والسجود** فالمقصود التعظيم بهما قطعا
ولو جاز ان يكون معظما لله تعالى بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه
او يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس
وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر
العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة

الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيرها بل الضحايا والقرابين التي هي
مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى فيها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة
التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلاة ولا ارب في افعالها فهذا
ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب • فان قلت ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا
في صحتها خالفت فيه اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند التكبيرة الاولى فاعلم انه قد تقدم في كتاب
العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يطلع لهم على ما في القلوب ولا يشقون عن القلب ولا في طريق الآخرة بل
يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما انه
ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل بشر بن الحرث فيما رواه عنه ابو طالب
المكي عن سفين الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلاته • وروي عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب
فهي الى العقوبة اسرع • وعن معاذ بن جبل انه قال من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له
وروي ايضا مسندا انه عليه السلام قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب
للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به • وقال عبد الواحد بن زيد
اجمع العلماء على انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين
وعن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام
الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة
فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلون واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه
ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن
مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا
واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى
قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون
بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة واذا تعارضت اسباب
الخوف والرجا وصار الامر مخطورا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة
الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم
ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد
الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد
الطالب لطريق الآخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن • وحاصل الكلام ان حضور القلب
هو روح الصلاة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه
تنبسط الروح في اجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير
حي لا حراك به **بيان المعاني الباطنة** التي بها تتم حياة الصلاة • اعلم ان هذه المعاني تكثر

العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر
تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها أما التفاصيل **فالأول** حضور القلب ونعني به أن يفرغ
القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما
ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور
القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا
مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس
فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في
أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر
فإنها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة **وأما التعظيم** فهو أمر وراء حضور القلب والفهم
إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما
وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى
هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف
من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الإجلال **وأما الرجاء** فلا شك في أنه زائد
فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته
ثواب الله كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله تعالى **وأما الحياء** فهو زائد على الجملة لأن مستنده
استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير
وارتكاب ذنب **وأما** أسباب هذه المعاني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع
لهمك فلا يحضر إلا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب
إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا
علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط
بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليه فإذا أضيف هذا إلى
حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر
قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فإذا كان لا يحضر عند المناجاة
مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الإيمان
فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع وبالله التوفيق **وأما التفهم**
فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب
مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني
النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن
أحب شيئا أكثر من ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله تعالى لا تصفو له

صلاة

صلاة عن الخواطر • وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله تعالى وعظمته
وهو من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه • الثانية معرفة حقارة النفس وخستها
وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله تعالى فيعبر عنها بالتعظيم
وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغني عن غيره الآمن
على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة
حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه • وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى
وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة
هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلايا مع القدرة على الدفع على خلاف ما
يشاهد من ملوك الأرض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي أسباب ذلك في
كتاب الخوف من ربع المنجيات • وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنائعه
ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما
الرجاء لا محالة • وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله تعالى
ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع
أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله تعالى والعلم بأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وإن
دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب
الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه
الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها
على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان
عليه السلام يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه • وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى
موسى عليه السلام يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا وإذا
ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان
صادق وروي أنه أوحي إليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني
ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت المعصية والغفلات وباختلاف المعاني التي
ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة وإلى من يتمم صلاته ولم يغب قلبه
في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط
حائط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره وقد
كان وجيب قلب إبراهيم عليه السلام يسمع على ميل وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك
غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ
الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد منهم على ملك أو وزير ويحدثه بمهمة ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب

الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئاتهم في الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو منها الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المومن لا بد ان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا ومستحيا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة والدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما يجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلى في بيت مظلم ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقويا كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمن بن ابي شيبة انى نسيت ان اقول لك تخمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فان كل ما شغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روى انه عليه السلام لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني آنفا عن صلاتي وائتوني بانبجانية

تمادة هم

وكذلك لما امر عليه السلام بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلاة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشترى له نعلين سبتيين جردا وين فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروى ان ابا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط آخر والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمن بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلواتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطردها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود اليه العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود به ولا ليستعين به على الآخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلاة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف اليها لا محالة همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة للقلب فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته اكثر الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثوا انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا وذلك لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم من الصلاة شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج من الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة

فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة واركانها اما الشروط والسوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى

والفوز يوم فصل القضا ولذلك قال عليه السلام ارحنا يا بلال اى ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها
واما الطهارة فاذا اتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم فى بشرتك وهو
قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم
العزم على ترك العود فى المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك • واما ستر العورة فاعلم ان معناه
تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك فى عورات باطنك وفضائح
سرائرك التى لا يطلع عليها الا ربك فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر
عن عين الله ساتر وانما تكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف
والحياء من مكامنها فتذل لها نفسك وتستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله تعالى قيام العبد المجرم
المسئ الآبق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف • واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك
عن ساير الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات
فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة
لئلا تبغى على القلب فانها اذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به
عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن
غيرها فلا ينصرف القلب الى الله الا بالتفريغ عما سواه فقد قال عليه السلام اذا قام العبد الى صلاته وكان
وجهه وهواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه • واما الاعتدال فانما هو مثول بالشخص والقلب
بين يدى الله فليكن راسك الذى هو ارفع اعضائك مطرقا مطاطيا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه
تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن التكبر والترأس وليكن على ذكرك ها هنا خطر المقام
بين يدى الله فى هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم فى الحال انك قائم بين يدى الله وهو مطلع عليك
فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك
فى صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب فى ان يعرفك بالصلاح
فانه تهدى عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز
المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك
وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عبيده او تخشى
الناس ولا تخشاه وهو احق ان تخشى ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله قال صلى الله عليه وسلم تستحيى
منه كما تستحيى من الرجل الصالح من قومك وذوى اهلك • واما النية فاعزم على اجابة الله فى امتثال
امره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه
وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك فى المناجاة مع سوء ادبك وكثرة
عصيانك وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر كيف تناجى ومن تناجى وعماذا تناجى وعند هذا
ينبغى ان تعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف • واما

التكبير

التكبير فاذا نطق به لسانك فلا ينبغى ان يكذبه قلبك وان كان فى قلبك شئ هو اكبر من الله فالله
يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله
وان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان
يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر فى ذلك لولا
التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه • واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت
وجهى للذى فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة
والله سبحانه وتعالى عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك اليه وعليه وانما وجه القلب هو الذى توجهه
به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات
او مقبل على فاطر السموات واياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاف ولن ينصرف الوجه
الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه فان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك فى
الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغى ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذى سلم المسلمون من يده
ولسانه فان لم يكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم على ذلك فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال
واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا من هذا
الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك
فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود
لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحيوة ورهبته
من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك
ومترصد لصرف قلبك عن الله تعالى حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه قد لعن بسبب سجدة
واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك فان
من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان
ذلك لا ينفعه بل لا يفيده الا تبديل المكان بالحصن الحصين فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان
ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه
لا اله الا هو اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا عليه السلام لا اله الا الله حصنى والمتحصن به من لا معبود له
سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله • واعلم ان من مكايده ان يشغلك
فى الصلاة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقراء فاعلم ان كل ما يشغلك عن فهم معانى
قراءتك فانه وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها • واما القراءة فالناس فيها ثلاثة
رجل يحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من
غيره وهذه درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعانى اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق

بين ان يكون اللسان ترجمان القلب ويكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعانى انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد بغير الله شكره لا من حيث انه مسخر من الله ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر فى قلبك جميع انواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى عن الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت مع المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعوذ بقولك بسم الله وعن التحميد بقولك الحمد لله وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا الى جوارك ويفضى بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزايغين من اليهود والنصارى والصابيين ثم التمس الاجابة وقل امين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله فيهم فيما اخبر عنه النبى عليه السلام قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سال يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله تعالى حمدنى عبدى واثنى على وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فلو لم يكن لك حظ من صلوتك سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغى ان تفهم ما تقراه من السور كما سياتى فى كتاب تلاوة القران فلا تغفل عن نهيه وامره ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد منها حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهى والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء وروى ان زرارة بن ابى اوفى لما انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور خر ميتا وكان ابرهيم النخعى اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلى مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدى جبار قاهر وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم تراعى الهيئة فى القراة فترتل ولا تسرد فان ذلك ايسر للتامل وتفرق بين نغماته فى اية الرحمة والوعد والوعيد والتمجيد والعذاب والتعظيم كان النخعى رحمه الله اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحى عن ان يذكره بكل شئ ويروى انه يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا اما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل على المصلى ما لم

يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجاة عند غفلة المناجى ليعود اليه والزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال عليه السلام وقد راى مصليا يعبث بلحيته فقال اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعى ولهذا ورد فى الدعاء اللهم اصلح الراعى والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق فى صلاته كانه وتد وكذلك كان ابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن فى ركوعه وسجوده بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدى غير الله خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدى الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وجهره وقال عكرمة فى قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قال القيام والركوع والسجود والجلوس واما الركوع والسجود فينبغى ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله تعالى من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر من ذلك عز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك ليزيد التكرار تاكيدا ثم ترتفع من ركوعك راجيا انه راحم لك ومؤكدا للرجاء فى نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اى اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات والارض ثم تهوى الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على الذل فاذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك فى رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات اى الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله وهو معنى التحيات واحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وليصدق املك فى انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباد الله الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد نبيك صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتى الشهادة ومستانفا للتحصن به ثم ادع فى اخر صلوتك بالدعاء الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك فى دعائك ابويك وسائر المسلمين وسائر المومنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به

واستشعر شكر الله تعالى على توفيقك لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لا تمهل لمثلها قال عليه السلام للذى اوصاه صل صلاة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحيا من التقصير فى الصلاة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه وكان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابرهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يتيسر له منها ينبغى ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغى ان يتحسر وفى مداومة ذلك ينبغى ان يجتهد واما صلاة الغافلين فانها مخطورة الا ان يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض فنسأل الله تعالى ان يغمدنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الضراعة والاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله تعالى واداءها بشروط الله الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول الانوار فى القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون بها فى الصلاة لا سيما فى السجود اذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واسجد واقترب وانما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه من كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشىء بعينه وينكشف لبعضهم الشىء بمثال كما كوشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعانى فى كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شىء معين كان ذلك اولى بالانكشاف فلما كانت هذه الامور لا ترى الا فى المرآة الصقيلة واذا كانت المرآة كلها صدية احتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية فيتسارع الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان فى متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان فى كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغى ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه وانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففى الخبر ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه فان المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه ويناديه المنادى لو علم المناجى من يناجى ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهى ملائكته بصدق المصلى ففتح ابواب السماء ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذى ذكرناه وفى التورية مكتوب يا ابن آدم لا تعجز

ان تقوم بين يدى مصليا باكيا فانا الله تعالى الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نورى قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة والكشف للحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك اخبر الله عنهم انهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة فى الترقى من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد منهم الا رتبته التى هى وقف عليه وعبادته التى هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستحسرون عن عبادته ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلاة ايضا فقال فى آخرها والذين هم على صلواتهم يحافظون ثم قال فى ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا وما عندى ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى درجته الى هذا الحد ولذلك قال الله تعالى فى اضدادهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتنعمون بقربه ودنوه من قلوبهم نسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان

حكايات واخبار فى صلاة الخاشعين

اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة بل فى خلوته وفى بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله تعالى وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه البصر واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذاك الاعمى قد جاء وكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا رآه نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو رآك محمد عليه السلام لفرح بك وفى لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود الى الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وخر مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل تلك الساعة التى صعق فيها ففاته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت فى صلاة قط فاهمنى فيها الا ما اقول وما يقال لى وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين كان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء فى البيت بما يريدون ولم يكن يسمع ذلك ولا

يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلاة بشي قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى
احد الدارين قيل له فهل تجد شيا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في
الصلاة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وكان مسلم بن يسار منهم وقد بلغنا انه لم يشعر بسقوط
اسطوانة في المسجد وهو في الصلاة وتاكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في
الصلاة لا يحس عما يجري عليه فقطعت وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الاخرة فاذا دخلت في الصلاة
خرجت من الدنيا وقيل لاخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشي من الدنيا قال لا في الصلاة ولا في غيرها
وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيا فقال وهل شي احب الي من الصلاة فاذكره فيها وكان ابو الدردا
يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم
يخفف الصلوة خيفة الوسواس وروي ان عمار بن ياسر صلى صلوة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان
فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان
يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطايفة من الصحابة كانوا اخف الناس
صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام
وما اكمل لله تعالى صلوة قيل له وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وسئل
ابو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف على
شفع او على وتر وقال الحسن هو الذي ينصرف يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج وقال بعضهم هو الذي ان
صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلاة
قد تحتسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزى
ولكن ذلك له معنى اخر ذكرناه وهذا المعنى دلت الاحاديث عليه اذ ورد جبر نقصان الفرايض بالنوافل وفي الخبر
قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرايض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروي ان النبي عليه السلام صلى صلاة
فترك من قراتها اية فلما التفت قال ماذا قرات فسكت القوم فسال ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت
اية كذا فما ادري نسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال ما بال اقوام يحضرون
صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب الله الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا
فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني قلوبكم باطل ما تذهبون
وهذا يدل على ان استماع ما يقرا الامام وفهمه بدل عن قراته السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد
السجدة عنده انه يتقرب بها في سجدته الى الله ولو قسمت ذنوبه على اهل مدينته في سجدته هلكوا قيل وكيف
ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى الهوى ومشاهد للباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين
فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة

الباب الرابع في الامامة والقدوة

اعلم ان على الامام وظايف قبل الصلاة وفي القراة وفي اركان الصلاة وبعد السلام اما الوظايف قبل الصلاة
فستة اولها ان لا يتقدم الامام على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم
اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رووسهم العبد الابق وامراة زوجها ساخط
عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه واقرا منه
الا اذا امتنع من هو اولى عنه فله التقدم فان لم يكن شي من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام
بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف
بهم وما روي من مدافعة الامامة بين الصحابة فسببه ايثارهم من راوه اولى بها او خوفهم على انفسهم السهو
وخطر ضمان صلاتهم فان الايمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في الصلاة
حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس الثانية
اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي
ان يكون الامام غير الموذن فاذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قايل الاذان اولى لما نقلناه من فضيلة الاذان
ولقوله عليه السلام الامام ضامن والموذن موتمن فقالوا في الامامة خطر الضمان وقال ايضا عليه السلام
الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه ولا عليهم ولانه
قال عليه السلام اللهم ارشد الايمة واغفر للموذنين والمغفرة اولى بالطلب من الارشاد فان الرشد يراد للمغفرة
وفي الخبر من اذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك
نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمر والايمة بعدهما نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الامارة والخلافة
افضل لقوله عليه السلام ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم
الافضل والافقه فقد قال عليه السلام ايمتكم شفعاوكم الى الله او قال وفدكم الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا
صلواتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبيا افضل من العلما ولا بعد العلما افضل من الايمة
المصلين لان هولاء قاموا بين يدي الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه
الحجة احتج الصحابة في تقديم ابي بكر رضي الله عنه للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا
من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه
قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن موذنا فقال لا استطيع فقال كن اماما قال لا استطيع
فقال صل بازاء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم له
ثم بعد ذلك ربما توهم انه يقدر عليه الثالثة ان يراعي الامام اوقات الصلوات فيصلي في اوايلها
ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على اخره كفضل الاخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي الخبر ان العبد ليصلي الصلاة في اخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا

وماديها ولا ينبغي ان يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل
من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر
اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر وكانوا في سفر
وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال عليه السلام قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في
صلاة الظهر فقدموا ابا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في الصلاة فقام الى جانبه
وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره

الرابعة

ان يؤم مخلصا لوجه الله تعالى ومؤديا امانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلوته اما الاخلاص
فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن ابي العاص الثقفي فقال فيما اوصاه
واتخذ على الاذان مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلاة فهي اولى بان لا يؤخذ عليها اجرا فان
اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من احاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه
مكروه والكراهة في الفرائض اشد منها في التراويح ويكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبته
مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة وأما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر
والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان
يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلاته حدثا
او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل ياخذ بيد من يقرب منه ليستخلفه فقد تذكر النبي صلى الله عليه وسلم
جنابة في اثناء صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة قال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا
مدمن خمر او معلن بالفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبدا ابق **الخامسة** ان لا يكبر حتى
تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون
في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس
للصلاة ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الاكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره
وذلك لانه عليه السلام نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب والله اعلم

السادسة

ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه
وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء به ونالوا فضل
القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه **واما وظايف
القراءة فثلثة** اولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع
الصبح واولي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم
تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة ومذهب الشافعي
رضي الله عنه الجهر الثانية ان يكون للامام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن

حصين

حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولاهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب
وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان
لم يقرؤا الفاتحة في سكوته او اشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه السكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة
ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ
من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ الفاتحة معه
والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده او كان في السرية فلا باس بقراءته للسورة الثالثة
ان يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره
الخروج منها مع الاسفار ولا باس ان يقرأ في الثانية باواخر السور نحو الثلثين او العشرين اية الى ان يختمها
لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ذلك ابلغ في الوعظ وادعى الى الفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض
اول السورة وقطعها وقد روي انه عليه السلام قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع
فركع وقد روي انه قرأ في الفجر اية من البقرة وهي قوله الله تعالى قولوا امنا بالله الاية وفي الثانية ربنا امنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وسمع بلالا يقرأ من هاهنا وهاهنا فساله عن ذلك فقال
اخلط الطيب بالطيب فقال عليه السلام احسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين اية وفي العصر
بنصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل واخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها
بسورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر الجمع قال عليه السلام في
هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه
فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه
منفردا فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم فزجر النبي عليه السلام معاذا وقال افتان
انت يا معاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها والله اعلم

واما وظايف الاركان

فثلثة اولها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي عن انس انه قال ما
رايت اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم روي ايضا عن انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز
وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت وراء احد اشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب
قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع
والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس
بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده الثانية
المأموم ينبغي ان لا يساوق الامام في الركوع والسجود بل يتاخر فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام
الى الارض هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا
وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلثة اقسام طايفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون

بعد ركوع الامام وطايفة بصلاة واحدة وهم الذين لم يبا وقوته وطايفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون
الامام وقد اختلف في ان الامام هل ينتظر في الركوع لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وادراكه لتلك
الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك
التطويل عليهم الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعا
نفسه بل ياتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اللهم اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه
بالدعا ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا
اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل انه سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه
ممسوح العين اي مطموسها **واما وظايف التحلل فثلثة** اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام
على القوم والملايكة الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور
عنه انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام الثالثة اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للماموم القيام قبل انفتال الامام
فقد روي عن طلحة والزبير رضي الله عنهما انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلاتك
واتمها الا شيء واحد انك لما سلمت لم تقبل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن صلاتكم الا انكم انصرفتم قبل
ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوات
اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا فيمن هديت ولا يقول اهدني ويؤمن الماموم فاذا
انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التامين لانه ثناء فيقول مثل قوله او يقول بلى وانا على
ذلك من الشاهدين او صدقت وبررت وما اشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا
صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل
على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة
ولا وظيفة لهما هاهنا فلا يبعد ان يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت فانه لايق بالدعا والله اعلم
فهذه جملة آداب القدوة والامامة

الباب الخامس

في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها **فضيلة الجمعة** اعلم ان هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام
وخصص به المسلمين فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الله
الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد فرض عليكم
الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال عليه السلام من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه
وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن رجل مات
ولم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار

وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة
وجعله عيدا لهم فهم اولى الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا
ولامتك بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله او ليس قسم
ذخر له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو سيد
الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك
ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل الله تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه وقال صلى
الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة
وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله تعالى يوم المزيد كذلك تسميه الملايكة
في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله تعالى في كل يوم جمعة ستماية الف عتيق
من النار وفي حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال عليه السلام
ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السما فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم
الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور
رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة
فتقول سلام سلام يوم صالح وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة
القبر

بيان شروط الجمعة

اعلم انها تشارك سائر الصلوات في سائر الشروط وتتميز عنها
بستة شروط الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا
والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجة عن الوقت ففيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في البراري
والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه
كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه الثالث العدد فلا تنعقد باقل
من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة
او في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الآخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في بلد او قرية
متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك
ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى
في تلك البلدة فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلثة بقدر الحاجة فان لم تكن حاجة فالصحيح
الجمعة التي وقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا
ففي المسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يرعى السادس الخطبتان فهما فرضان
والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله والثانية الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله تعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرايض

الثانية اربعة الا انه يجب فيها الدعا بدل القراة واستماع الخطبة واجب على الاربعين وأما السنن فاذا زالت
الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم
الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت
ويشغل يديه بقايمة السيف والعنزة كيلا يعبث بهما او يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة
خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرأ اية
في الثانية ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا
هذه شروط الصحة وأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على كل ذكر عاقل بالغ مسلم حر مقيم في قرية او بلد تشتمل
على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغهم نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن
رفيع الصوت لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ويرخص لهؤلاء في ترك
الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ
الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امراة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر

بيان اداب الجمعة

على ترتيب العادة وهي عشر جمل الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا
لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد صلاة العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة
في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله تعالى فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية
الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويتنظف ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من
الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم
الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه وليشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القران فلها فضل كثير ويستحب
عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم وحملوا عليه قوله عم
رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه وروي بالتخفيف
واغتسل لجسده وبهذا يتم ادب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال
بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس واخسهم نصيبا منها من اذا اصبح يقول
ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها الثاني اذا اصبح ابتدا بالغسل بعد طلوع الفجر
وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا موكدا وقد
ذهب بعض العلماء الى وجوبه وقال عليه السلام غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن
عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال عليه السلام من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان اهل
المدينة يتسابون بينهم فيقول احدهم للاخر لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر رضي الله تعالى عنه
لعثمان رضي الله عنه لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت
الاذان على ان توضات وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر
بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما روي عن النبي عليه السلام انه قال من توضا يوم الجمعة

فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل من الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل
الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد
دخل بعض الصحابة على ولده وهو يغتسل فقال اللجمعة فقال بل من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث
في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت
دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم
احدث توضا ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي
في ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرايحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب
وساير ما سبق في كتاب الطهارة وقال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله تعالى منه داء وادخل
فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الاربعاء والخميس فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب
عنده فيكون اغلب للروايح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه وروي ذلك في الاثر قال الشافعي رحمه الله من نظف
ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله تعالى
البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة
محدثة بعد النبي صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله وملايكته يصلون على اصحاب العمايم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا باس بنزعها قبل الصلوة
وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت الصلاة وعند صعود الامام المنبر ولا في حال الخطبة
الرابع البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل
البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا الاعتكاف في المسجد الى وقت الصلاة قاصدا
للمبادرة الى جواب نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال النبي عليه السلام من راح
الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة
الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة
فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملايكة عند المنبر يستمعون الذكر
فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى
ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما
قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن
لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن حنبل افضلهن الغدو الى الجمعة
وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملايكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول
فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملايكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم
بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه

وان كان آخره شغل فرغه لعبادتك وان كان آخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول
سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس
ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع يوم الجمعة وكيف لا يستحي المؤمنون من
اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى
رحاب الجوامع للبيع والشرا والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة • ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند
النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة • ودخل ابن مسعود بكرة الجامع فرأى ثلثة نفر قد سبقوه
بالبكور فاغتم لذلك وجعل يعاتب نفسه ويقول لها رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد • الخامس في
هيئة الدخول فينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد
شديد في تخطي رقاب الناس وهو ان يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس • وروى ابن جريج مرسلا ان النبي
صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله
عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك اليوم ان تجمع معنا فقال يا نبي الله قد
جمعت فقال عليه السلام او لم ارك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله • وفي حديث مسند انه
قال ما منعك ان تصلي معنا فقال اولم ترني فقال رأيتك تأنيت وآذيت اي تأخرت عن البكور وآذيت
الحضور • ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع
الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا
لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله • السادس ان لا يمر بين يدي
الناس ويجلس هو الى قريب من اسطوانة او حائط لا يمرون بين يديه اعني بين يدي المصلين فان ذلك لا يقطع
الصلاة ولكنه منهي قال النبي عليه السلام لان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقال
عليه السلام لان يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وروى في حديث آخر في
المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في
ذلك لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد المصلي فمن
اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال النبي عليه السلام ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان
وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه الى مروان فيخبره
ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ٥
ليكون ذلك علامة لحده • السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه • وفي الخبر من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلثة ايام وفي لفظ
آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول
عن ثلثة امور اولها انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة
في سلاح ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب عليه الانكار فالتأخر له اسلم واجمع للهم وفعل ذلك

جماعة

جماعة من العلماء طلبا للسلامة • قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب
القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اقرب لسلامة قلبه • ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب
عند المنبر يستمع من ابي جعفر الخطبة فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب
عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد قال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن فاستمع فقال
ويحك ذاك للخلفاء المهديين الراشدين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله تعالى
وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له
اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر
الى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه • وروى
في بعض الروايات انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية ايثارا واظهارا
لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال ان الاعمال بالنيات • ثانيها انه ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة
عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة وكان الحسن وبكر بن
عبد الله المزني لا يصليان في المقصورة ورأوا انها قصرت على السلطان وهي بدعة احدثت بعد النبي صلى الله
عليه وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد قطع ذلك على خلافه • وصلى انس بن مالك وعمران
بن حصين في المقصورة ولم يكرهوا ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد
المقصورة اذا لم يكن منع لا يوجب الكراهية • ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد
المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع • وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر
وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف
الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس
ويقيمهم من الرحاب • الثامن ان يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن
ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولا يثبت له اصل في الخبر والاثر
ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس ان يمد الدعا لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه
وقد روي عن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع
ولغا فعليه وزران ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام
يخطب انصت او صه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة
او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سال ابيا والنبي عليه السلام يخطب فقال متى انزلت هذه السورة
فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابي وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان ذلك
يتسلسل ويفضي الى همهمة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت
فهو المستحب واذا كان تكره الصلاة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه تكره الصلاة في

اربع ساعات بعد الفجر الى ان تطلع الشمس وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب • التاسع ان يراعي
في قدوم الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع
مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا • وقد روي عن بعض السلف انه قال من فعله عصم
من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ
يا معيد يا رحيم ويا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعا اغناه
الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين • وروى ابو هريرة اربعا • وروى علي وعبد الله ستا والكل صحيح في
احوال مختلفة والاكمل افضل • العاشر ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان قعد الى المغرب فهو الافضل
يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب كان له ثواب العمرة فان لم يأمن التصنع ودخول
الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله تعالى متفكرا
في آلايه شاكرا على توفيقه خايفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة
ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على امتي زمان
يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الاداب والسنن

الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة امور • الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد
الصلاة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن
الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلاة روى عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله
يذكر بايام الله فيفقه في دين الله تعالى يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع
واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلاة
الف ركعة • وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا
في مواضع قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما • وقال تعالى ولقد آتينا داود منا
فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه اقصى القربات والصلاة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا
يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع • حضر ابن عمر الى مجلسه في مسجد الجامع فاذا قاص يقص في موضعه
فقال قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه ولو كان
ذلك في السنة لما جازت اقامته فقد قال عليه السلام لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا
وتوسعوا • وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه • وروي ان قاصا كان يجلس بفنا
حجرة عايشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه
على ظهره ثم طرده • الثاني ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة

لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا الا اعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند
طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس
الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك
الوقت وتأمر خادمها ان تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ بالدعا والاستغفار الى ان تغرب الشمس وتخبر
بان تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن ابيها صلى الله عليه وسلم • وقال بعض العلما هي مبهمة في جميع اليوم مثل
ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا
هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا ويوم الجمعة من جملة
تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس
الدنيا فلعله يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند
الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها
عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب الم يقل عليه السلام من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى
قال فذاك صلاة فسكت ابو هريرة وكان كعب مايلا الى انها رحمة من الله للعالمين بحق هذا اليوم واوان
ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر من الدعا فيهما
الثالث يستحب ان يكثر من الصلاة في هذا اليوم على النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم
من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك فيها رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته
واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين
يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته
عليه السلام وان اراد ان يزيد اتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضايل صلواتك ونوامي بركاتك
وشرايف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول
رب العالمين قايد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه
وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة
والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيعة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول
شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا
في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وامتنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير
خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين آمين رب
العالمين وعلى الجملة كل ما اتى به من الفاظ الصلاة ولو المشهور في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه

الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم ● الرابع قراة القران فليكثر منه وليقرا سورة الكهف خاصة
فقد روى ابن عباس وابو هريرة رضي الله عنهما مرفوعا من قراء سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطى نورا
من حيث يقراوها الى مكة وغفرله الى يوم الجمعة الاخرى وفضل ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى
اصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القران في
يوم الجمعة وليلته ان قدر ولتكن ختمته للقرآن في ركعتي الفجر ان قراء بالليل او في ركعتي المغرب وبين الاذان
والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون ان يقراوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة
ويقال ان من قراها في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمه وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف
مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرا المسبحات الست في يوم
الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى انه عليه السلام كان يقراء سورا باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان
يقراء في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقراء في صلاة العشاء الآخرة
ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروى انه عليه السلام كان يقراهما في ركعتي الجمعة وكان يقرا
في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمن وهل اتى على الانسان ● الخامس الصلوات ويستحب اذا دخل الجامع
ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقراء فيهن قل هو الله احد مايتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية
وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث غريب انه عليه السلم
سكت للداخل حتى فرغ منها فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ● ويستحب في هذا اليوم او في
ليلته ان يصلي اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قراء يس وسجدة لقمن وسورة
الدخان وسورة تبارك الملك ولا يدع قراة هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن
القرآن قراء ما يحسن فهو له بمنزلة ختمه ويكثر من قراة سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلاة التسبيح كما
سياتي في باب التطوعات كيفيتها ● وروى انه عليه السلام قال لعمه العباس صلها في كل جمعة ● وكان
ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة قدرها ● والاحسن ان يجعل وقته
الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار ● السادس
الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على من سال والامام يخطب وكان يتكلم في كلام
الامام فهذا مكروه ● قال الصالح بن احمد سال مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل
ابي قطعة ولم يعرفه ليناوله اياها فلم ياخذها منه ابي ● وقال ابن مسعود اذا سال الرجل في المسجد فقد
استحق ان لا يعطى واذا سال على القران فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سوال الجامع الذين يتخطون
رقاب الناس الا ان يسال قايما او قاعدا في مكان من غير تخطي ● وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف
فتصدق بشيين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم
اني اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم لم يسال

هن

الله شيا الا اعطاه ● وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يوذ احدا ثم قال حين
يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسئلك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما
بدا له استجيب له ● الرابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن اشغال الدنيا جميعها ويكثر فيه الاوراد
ولا يبتدى فيه السفر فقد روى ان من سافر ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت
الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقا ليشربه او ليسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد
فان البيع والشرا في المسجد مكروه وقالوا لا باس لو اعطى العطية خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة
ينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة
بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته
لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياتي ذلك في كتاب الدعوات ان شاء الله تعالى

الباب السادس في مسايل متفرقة

نعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها فاما المسايل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه
مسئلة الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل العقرب
التي تخاف ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا صار ثلثا فقد كثر وبطلت صلوته وكذلك القملة والبرغوث
مهما تاذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع ● وكان معاذ ياخذ القملة او غيره
في الصلاة ● وكان ابن عمر يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يديه ● وقال النخعي ياخذها ويوهنها فلا
شي عليه ان قتلها ● وقال ابن المسيب ياخذها فيخدرها ثم يطرحها ● قال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان
توذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا توذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل
وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلاة وقد سمعت ان الفساق
يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاوب فلا باس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان
عطس حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشى فينبغي ان لا يرفع راسه الى السما وان سقط رداؤه فلا ينبغي ان
يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة **مسئلة** الصلاة في النعلين جايزة وان كان نزع
النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى النبي
صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رايناك خلعت فخلعنا
فقال عليه السلام ان جبريل عليه السلام اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم دخول المسجد فليقلب نعليه
فلينظر فيهما فاذا راى خبثا فليمسحه بالارض وليصل بهما ● وقال بعضهم الصلاة في النعلين افضل لانه
عليه السلام قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه عليه السلام سالهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم
خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السايب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا فعل كليهما
فمن خلع فينبغي ان لا يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما
وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من راى الصلاة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما

وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره
اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما فللامام
ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله
المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة **مسئلة** اذا بصق في
صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا
انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة انه عليه
السلام رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ
اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا اينا قال فان احدكم اذا دخل في
صلوته فان الله بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله
او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض **مسئلة**
لوقوف المقتدي فرض وسنة اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متاخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف
خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل على اليمين وهي
خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجذب الى نفسه واحدا من الصف فان
وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهة واما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام
رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى
ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق
او صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وهي رابطة اذ يصل فعل احدهما
الى الآخر وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لافظ الى المسجد فالشرط ان يمتد صف
المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم يصح الصلاة في ذلك الصف ومن خلفه دون من يتقدم عليه وهكذا
حكم الابنية المختلفة فاما حكم البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء **مسئلة** المسبوق اذا
ادرك آخر صلاة الامام فهو اول صلوته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه وان
قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام
قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها
فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر للاحرام
وجلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات
للانتقالات الاصلية في الصلاة لا للعوارض العدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن في الركوع والامام بعد
في حد الراكعين فان لم يتم طمانينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة **مسئلة** من فاته
الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزأه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة
الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى وان صلى منفردا في اول

الوقت ثم ادرك جماعة صلى بالجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب ايهما شاء فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان
كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة في الجماعة مرة اخرى لا وجه
له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة **مسئلة** من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء
الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في اثناء الصلاة رمى الثوب واتم والاحب الاستيناف واصل هذا قصة
خلع النعلين حيث اخبر جبريل عليه السلام بان عليه نجاسة فانه عليه السلام لم يستانف الصلاة **مسئلة**
من ترك التشهد الاول او القنوت او ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول او فعل فعلا سهوا
وكان يبطل الصلاة تعمده او شك فلم يدر اصلى ثلاثا ام اربعا اخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي
فبعد السلام مهما تذكر على الفور فان سجد بعد السلام واحدث بطلت صلاته فانه لما رغب في السجود كانه جعل تسليمه
نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستانف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو
بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات **مسئلة** الوسوسة في نية الصلاة سببها خلل
في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله تعالى مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن
دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله
مقبلا عليه بوجهي كان سفيها بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام
لشغل آخر او في غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا اداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول
مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه
او صبر فقام بعد ذلك مدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لابد ان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول
حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب
فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت
وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة
الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر فالحضور
مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا
العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم المعلوم والموجود والمعدوم والتقدم
والتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادثات بدليل ان
العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره او قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود
او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث
ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية
في حالة واحدة فيفصلها بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم
لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله تعالى في النية كامتثال امر غيره ثم
ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة فاقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة

الباب التاسع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرايض من الصلوات الخمس ينقسم الى ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن
ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد
وغيرها لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه
كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله
ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة
الله سبحانه بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا وكانه تبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلاة
بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الاقسام الثلثة نوافل من حيث
ان النفل هو الزيادة وجملتها زايدة على الفرايض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا
الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ
بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاتها في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار
والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاخبار
الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعات
صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقا وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من
الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف
والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر
الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **القسم الاول** ما يتكرر بتكرر الايام
والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراها وهي صلاة الضحى واحياء ما بين
العشائين والتهجد الاول راتبة الصبح وهي ركعتان قال عليه السلام ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها
ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في
اوله الا ان يتعلم منازل القمر اذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهر للبصر فيستدل بالكوكب عليه ويعرف
بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر في ليلة ستة وعشرين ويطلع الفجر مع غروب القمر ليلة
اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم
منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر
بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت
الصلاة فليشتغل بالمكتوبة قال عليه السلام اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من
المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض في وقته وانما
الترتيب بينهما سنة في التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادفها انقلب الترتيب وهي اداء
والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد يصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان
يصلي المكتوبة فما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثا

رابتة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين
الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن
وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان عليه السلام لا يدع اربعا بعد
الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري
وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى في يوم اثني عشر ركعة
غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين
بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا
ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه
كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان
قبل الظهر آكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة
مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل
ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان
الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى ارتفاعها اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل
وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله تعالى وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر
الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس
اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق
لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد
اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى
الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين
ثم ينصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامته ه وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار
مائلا الى جهة المغرب في صورة خط ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب ه بحيث لو مد راسه لانتهى على
الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب
الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع آ فاذا انحرف الظل عن الخط الذي هو على اللوح الى الجانب المشرق فقد زالت
الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه
علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا باس بمعرفته من علم الزوال وهذه صورته

الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا
صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا

فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة
راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على
سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال
عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون
ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم المغرب
وذلك يدخل في عموم قوله عليه السلام بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس
فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت
المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة
المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال عليه السلام اذا اقبل الليل من ها هنا وادبر النهار
من ها هنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخرت واديت قبل غيبوبة الشفق
الاحمر وقعت اداء ولكنه مكروه اخر عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخر
ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة راتبة العشاء الآخرة وهي اربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء
من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان
بعدها واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء هي الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا
معنى للتقدير فقد قال عليه السلام الصلاة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار كل مريد من هذه
الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما والفرائض تكمل
بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فريضته عن غير جابر السادسة الوتر قال انس بن مالك كان
النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها
الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر آخر انه عليه السلام كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها
متربعا وفي بعض الاخبار اذا اراد ان يدخل فراشه زحف اليه وصلى ركعتين فوقه قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت
وسورة الهاكم التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وبتسليمتين
وقد اوتر النبي صلى الله عليه وسلم بركعة وثلاث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في ثلاث
عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه جملته وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد
سنة بالليل مؤكدة وسياتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة افضل اذ صح
انه عليه السلام كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصول افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للامام
اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء
الآخرة او بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله
وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة

واحدة صحيحة في اى وقت كان وانما لم يصح لانه خرق لاجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلاثة مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشا لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم تكن هي في نفسه وترا وانما الوتر ما بعدها ولكن الاظهر انه ينوى الوتر كما ينوى في الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والآخر ان ينشاء ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلثة وترا والركعتان من جملة الثلثة الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوتر بهما بثالثة كان له ان ينوى بهما الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون آخر صلوة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضايل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد ● السابعة صلاة الضحى والمواظبة عليها من عزايم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيها ثماني ركعات روت ام هاني اخت على بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها فاما عايشة رضي الله عنها فانها ذكرت انه عليه السلام كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله ولم تحد الزيادة اى انه كان يواظب على الاربع ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى في حديث مفرد انه عليه السلام كان يصلي الضحى ست ركعات ● واما وقتها فقد روى على رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي بيانه واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السما من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلاة العصر فان وقتها ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى المغرب هذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة ● الثامنة احياء ما بين العشائين سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعله عليه السلام بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع ● وقد روى انه عليه السلام قال من صلى ما بين المغرب والعشا فانها من صلاة الاوابين ● وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما ماية عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتي بقية فضايلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

القسم الثاني

ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة اما الايام فنبتداء فيها بيوم الاحد ● روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقراء في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر ● وروى على رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة

الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة قراء في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين فقراء فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله عز وجل حاجته كان حقا على الله تعالى ان يقضي حاجته

يوم الاثنين

روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقراء في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله تعالى عشر مرات وصلى على النبي عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها ● روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم الاثنين اثنى عشر ركعة يقراء في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة فاذا فرغ قراء قل هو الله احد اثنى عشر مرة واستغفر الله تعالى اثنى عشر مرة ينادى به يوم القيمة اين فلان بن فلان ليقم فلياخذ ثوابه من الله تعالى فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله ماية الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلالا

يوم الثلثا

روى يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثا عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقراء في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة

يوم الاربعا

روى ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا اثنتى عشر ركعة عند ارتفاع النهار يقراء في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك من ذنبك ما تقدم ودفع الله عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدايد القيمة ورفع له من يومه عمل نبي

يوم الخميس

عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقراء في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي ماية مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد ماية مرة ويصلي على ماية مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة

يوم الجمعة

روى على بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الجمعة صلاة ما من عبد مومن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضاء فاسبغ الوضوء وصلى الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مايتي حسنة ومحى عنه مايتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعماية درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنان ثمان ماية درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنى عشر ركعة كتب الله له الفا ومايتي حسنة ومحا عنه الفا ومايتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومايتي درجة وعن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلاة الجمعة قراء في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة او يرى له

يوم السبت

روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقراء في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ قراء آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء والصديقين

ليلة الاحد روى انس بن مالك

فى ليلة الاحد انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى فى ليلة الاحد عشرين ركعة قراء فى كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد
خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله ماية مرة واستغفر لنفسه ولوالديه ماية مرة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
ماية مرة وتبراء من حوله وقوته والتجأ الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته
وابرهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعا لله ولدا ومن
لم يدع لله تعالى ولدا وبعثه الله تعالى يوم القيمة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين ٥

ليلة الاثنين روى الاعمش عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين
اربع ركعات قراء فى الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد
عشرين مرة وفى الثالثة الحمد لله وقل هو الله احد ثلثين مرة وفى الرابعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد اربعين مرة ثم
سلم وقراء قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم
خمسا وسبعين مرة ثم يسال الله حاجته كان حقا على الله تعالى ان يعطيه سوله ما سال وهى تسمى صلاة الحاجة ٥

ليلة الثلثاء يصلى ركعتين يقراء فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمسة عشر مرة ويقرا
بعد التسليم خمسة عشر مرة آية الكرسى ويستغفر الله خمس عشر مرة **ليلة الاربعا** روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقراء فى اول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الركعة
الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيمة
روت فاطمة عليها السلام قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاربعاء ست ركعات يقرا فى كل
ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلاته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما
هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب الله له براءة من النار **ليلة الخميس** قال ابو هريرة قال النبى
صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشا ركعتين يقراء فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس
مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل
ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء

ليلة الجمعة قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة ٥
اثنى عشر ركعة يقراء فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكانما عبد الله اثنى عشر سنة صام نهارها
وقام ليلها وقال انس بن مالك قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة فى جماعة
وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قراء فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم
اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيى ليلة القدر وقال عليه السلام اكثروا
من الصلوة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت** قال انس قال النبى
صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنى عشر ركعة بنى له قصر فى الجنة وكانما تصدق
على كل مومن ومومنة وتبراء من اليهود وكان حقا على الله تعالى ان يغفر له

القسم الثالث

ما يتكرر بتكرر السنين وهى اربعة صلاة العيدين ثم التراويح وصلاة رجب وصلاة شعبان **الاول صلاة العيدين**

وهى سنة موكدة وشعار من شعاير الدين وينبغى ان يراعى فيها سبعة امور ● الاول التكبير ثلثا نسقا فيقول
الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له
الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع فى صلاة العيد وفى العيد الثانى يفتتح التكبير
عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار من يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلاة المفروضة ٥
وعقيب النوافل وهو عقيب الفرايض آكد ● الثانى اذا اصبح يوم العيد فليغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه
فى الجمعة والرداء والعمامة هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجايز التزين عند الخروج الثالث
ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم وكان يامر باخراج العواتق وذوات الخدور
الرابع المستحب الخروج الى الصحرا الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطر فلا باس بالصلاة فى المسجد ويجوز فى
يوم الصحو ان يامر الامام رجلا يصلى بالضعفة فى المسجد ويخرج بالاقويا مكبرين الخامس يراعى الوقت فوقت
العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر
اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها
هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ● السادس فى كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين فى الطريق فاذا
بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وللناس التنفل ثم ينادى مناد الصلاة جامعة ويصلى الامام ركعتين
يكبر فى الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهى عقيب تكبيرة الافتتاح ويوخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة ويقرا
فى الاولى بعد الفاتحة سورة ق وفى الثانية اقتربت الساعة وانشق القمر والتكبيرات الزايدة فى الثانية خمس
سوى تكبيرة القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ومن فاته صلاة
العيد قضاها ● الرابع ان يضحى بكبش ضحى النبى صلى الله عليه وسلم بكبش فذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر
وقال هذا عنى وعن من لم يضح من امتى وقال من راى هلال ذى الحجة واراد ان يضحى فلا ياخذن من شعره واظفاره ٥
وقال ابو ايوب الانصارى كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته فياكلون
ويطعمون وله ان ياكل من الضحية بعد ثلثة ايام فما فوق ذلك ورد فيه الرخصة بعد النهى عنه ● وقال سفين
الثورى يستحب ان يصلى بعد عيد الفطر اثنى عشر ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة ●

[التراويح] التراويح فهى عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة موكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا فى
ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد وخرج النبى صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين وثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف
ان توجب عليكم وجمع عمر رضى الله عنه الناس عليها فى الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحى فقيل ان الجماعة
افضل لفعل عمر رضى الله عنه ولان للاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرايض ولانه ربما يكسل فى الانفراد ٥
وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلاة
الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيهما جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية
بالجماعة ولقوله عليه السلام فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاته المكتوبة فى المسجد

على صلاته في البيت ورُوي انه عليه السلام قال صلاة في مسجدي هذا افضل من ماية صلاة في غيره من المساجد
وصلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية ركعتين لا
يعلمهما الا الله وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار
ان الجماعة افضل كما رآه عمر فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعاير التي تظهر واما
الالتفات الى الريا في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة
وكان قايله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الريا فلنفرض المسلة فيمن يثق من نفسه
انه لا يكسل لو انفرد ولا يرآي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص
وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الاخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في
النصف الاخير من شهر رمضان **اما صلوة رجب** فقد روي بالاسناد على النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي بين العشاء والعتمة اثني عشر ركعة يفصل بين كل ركعتين
بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد اثني عشر مرة
فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده
سبعين مرة سبوح قدوس رب الملايكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما
تعلم فانك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى يقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال حاجته
في سجوده فانها تقضى قال عليه السلام لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل
زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبعماية من اهل بيته ممن قد
استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا تبلغ
رتبتها رتبة التراويح وصلاة العيد لان هذه الصلاة نقلها الاحاد ولكني رايت اهل القدس باجمعهم يواظبون
عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها **اما صلوة شعبان** فهي ان يصلي في الليلة الخامس عشر منه
ماية ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات
يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد ماية مرة فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات وكان السلف يصلون
هذه الصلاة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة وروي عن الحسن البصري انه قال
حدثني ثلثون رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله تعالى
اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة **القسم الرابع من النوافل**
ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة صلاة الخسوف والكسوف والاستسقا وتحية
المسجد وصلاة الجنايز وركعتا الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول اليه
ونظاير لذلك فنذكر منها ما يحضرنا الان الاولى **صلاة الخسوف** قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحيوته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى
الصلاة قال ذلك لما مات ولده ابرهيم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها

اما الكيفية

اما الكيفية فاذا خسفت الشمس في وقت مكروه او غير مكروه نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد
ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين اوايلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرا في الاول من قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة
وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النسا وفي الرابعة الفاتحة وسورة المايدة او مقدار
ذلك من القران من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس ومقصود
التطويل دوام الصلاة الى الانجلا ويسبح في الركوع الاول قدر ماية آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر
سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة
ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية واما وقتها
فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلا ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة ويفوت صلاة خسوف القمر بان يطلع
قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر فان انجلا في اثنا
الصلاة اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول
الثانية **صلوة الاستسقاء** فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت القناة فيستحب للامام ان
يامر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج
بهم يوم الرابع وبالعجايز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب
اخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله عليه السلام لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهايم رتع لصب عليكم
العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة
وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد من غير فرق ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم
الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة
تفالا بتحويل الحال هكذا فعل عليه السلام فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين
وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون ارديتهم محولة كما هي حتى
ينزعوها حين ينزعوا الثياب ويقول في الدعاء اللهم امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا
فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعا ادبار
الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعا اداب وشرايط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها
وسياتي ذلك في كتاب الدعوات الثالثة **صلاة الجنايز** وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء ماثور ما روي
في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعايه وهو يقول اللهم اغفر له
وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت
الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه
من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي
ان يراعي ترتيب صلاة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيرة الذي فات كفعل المسبوق فانه
لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات

في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة
فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرايض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم تتعين عليه بحضور
غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم ولا يكون
ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة
مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت
فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه واذا شيع الجنازة
فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال السلام على اهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم
والمستاخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه
وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول
حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في حسناته وان كان مسيئا فتجاوز عنه **الرابعة** **تحية المسجد**
بركعتين فصاعدا وهي سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء
الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضاء تادى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة
الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي انه لا تكره
التحية وقت الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع ووقت الغروب لما روي انه عليه السلام
صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد
هذا الحديث فايدتين احدهما ان الكراهة مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل اذ
اختلف العلما في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهة باضعف الاسباب
فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلوة الخسوف
والاستسقا في هذه الاوقات لان لها اسبابا **الفايدة الثانية** قضاء النوافل اذ قضى عليه السلام ذلك
ولنا فيه اسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك
الليلة صلى من النهار اثني عشر ركعة وقد قال العلما من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب
وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها
عليه السلام في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عايق فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه
في وقت آخر كيلا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه عليه السلام
قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل فيقصد به ان لا يبيد دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من عبد الله تعالى بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله فيحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد
وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما تسلطت الملالة عليه والله اعلم

الخامسة

الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما
يطرى الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي والمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات
وعرف ذلك لحديث بلال اذ قال عليه السلام دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقال لبلال بم سبقتني الى الجنة
فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين او كما قال **السادسة** ركعتان
عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من
منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا
كل امر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من
السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور فعله عن النبي صلى الله عليه وسلم • وكان بعض الصالحين اذا اكل
اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر
الله تعالى وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم قال عليه السلام
كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر • الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة
والمشورة فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله تعالى فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي
ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت هذا النكاح وكانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسالة
والنصيحة والمشورة تقديم التحميد • الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشرى الدا
وشرى الدار الجديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول
اليه فانه نوع سفر خفيف • السابعة صلاة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يعرف عاقبته ولا يعرف ان الخير في
تركه او في الاقدام عليه فقد امر صلى الله عليه وسلم بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون
وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك
واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر
خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فقدره لي ثم يسره علي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في
ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه وقدر لي الخير اينما كان انك على كل شيء
قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة
من القرآن وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم
يحرم اربعا من اعطي الشكر لم يحرم المزيد ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول ومن اعطي الاستخارة لم يحرم الخيرة ومن اعطي
المشورة لم يحرم الصواب • الثامنة صلاة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه
الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي
العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي
لبس العز وقال به • سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح
الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة

بركاتك وبأسمائك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلى على محمد وعلى آل محمد
ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله قال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون
بها على معصية الله تعالى التاسعة صلاة التسبيح وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا يختص بوقت ولا سبب
ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال صلى الله عليه وسلم
للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشئ اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره
قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلى اربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا
فرغت من القراءة فى اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم
تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها
عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى
اربع ركعات فان استطعت ان تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان
لم تفعل ففى السنة مرة وفى رواية اخرى انه يقول فى اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقى كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة
الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع فى الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا
فتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فتسليمتين احسن اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك فى بعض الروايات فهذه هى الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ
من هذه النوافل فى الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء
وصلاة المسافر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهى مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف
والاستسقاء والتحية وقد رايت بعض المتصوفة يصلى فى الاوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد لان الوضوء
لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغى ان يتوضأ ليصلى لا انه يصلى لانه توضأ وكل محدث يريد ان يصلى
فى وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغى ان ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى
التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث
بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل ان ينوى بالصلاة الوضوء بل
ينبغى ان ينوى بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم ان يقول فى وضوءه اتوضأ لصلاتى ويقول فى صلاته اصلى لوضوئى بل
من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطل فى وقت الكراهية فليتوضأ قضاء ان كان يجوز ان يكون فى ذمته قضاء صلاة
تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضاء الصلاة فى اوقات الكراهية غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه له
ففى النهى فى اوقات الكراهية مهمات ثلثة احدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس الثانى الاحتراز من انتشار
الشياطين اذ قال عليه السلام ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا
استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة فى هذه الاوقات
ونبه فيه على العلة والثالث ان سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة فى جميع الاوقات والمواظبة

على نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعث الدواعى والانسان حريص
على ما منع منه ففى تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات
بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففى الاستطراف
والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شئ واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا
ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادة من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من
كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشئ الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت
هذه امورا مهمة فى النهى عن اوقات الكراهية الى غير ذلك من اسرار اخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها
والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلوة
الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغى ان يصادم به مقصود النهى هذا
هو الاوجه عندنا والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب تم كتاب الصلاة بحمد الله وعونه

كتاب اسرار الزكوة ومهماتها وهو الخامس من ربع العبادات من جملة

كتب الاحياء للشيخ الامام العالم العلامة ابى حامد محمد

ابن محمد بن محمد الغزالى

الطوسى رضى الله عنه

تمت بعون الله

عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين

الحمد لله الذي اسعد واشقى • وامات واحيا • واضحك وابكى • واوجد وافنى • وافقر واغنى • واضر واقنى
الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى • ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم
من نعمه ما ايسر به من شاء واستغنى • واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى • اظهارا للامتحان والابتلاء
ثم جعل الزكوة للدين مبنى • وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى • ومن غناه زكى ماله من زكى • والصلاة
على محمد المصطفى • سيد الورى • وشمس الهدى • وعلى آله واصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم كثيرا

اما بعد فان الله تعالى جعل الزكاة احدى مباني الاسلام • واردف بذكرها الصلاة التي هي اعلى
الاعلام • فقال تعالى اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة • وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكوة
قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي
من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض
كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل • وقال ابو ذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل
الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا ومن
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت
يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى
يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكاة ٥
وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني عن معرفته مؤدي
الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في اربعة فصول • الاول في انواع الزكوات واسباب وجوبها • الثاني
في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة • الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه • الرابع
في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الاول

في انواع الزكوات واسباب الوجوب والزكوات
باعتبار متعلقاتها ستة انواع • زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات
وزكاة الفطر

النوع الاول زكاة النعم ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط
البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سايمة
باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال • الشرط الاول كونه نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم اما
الخيل والحمر والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها • الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة واذا اسيمت
في وقت واعلفت في وقت تظهر مؤنته فلا زكاة فيها • الثالث الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكاة في
مال حتى يحول عليه الحول واستثني عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليها حكم المال وتجب الزكاة فيها بحول الامهات
ومهما باع المال في اثناء الحول او وهب انقطع الحول • الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية

المرهونة

المرهونة لانه هو الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب
زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى ما
يفضل عن الحاجة • الخامس كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن
والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر
شاتان وفي خمسة عشر ثلث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في
السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان
كان قادرا على شرائها وفي ست وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي
في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا
صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت
احدى وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين فقد استقر الحساب ففي
كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلثين ثم فيها تبيع وهو الذي في
السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب بعد
ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلثين تبيع واما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة
من الضأن او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة
ففيها ثلث شياه الى اربع مائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين
كصدقة المالك الواحد في النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلثة
نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن بشرط ان يريحا معا ويسقيا
معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكاة
فلا حكم للمخالطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت
المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه
او اربعون درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال
ولا يؤخذ في الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام
لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غذاء المال

النوع الثاني
زكاة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمان مائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه
والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمان مائة من تمرا او زبيبا لا
رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان
المشترك بين ورثة لجميعهم ثمان مائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم
ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه
هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب

يعتبر . واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابسين والحب اليابس بعد التنقية ولا يوخذ عنب ولا رطب الا
اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الادراك فيوخذ الرطب فيكال تسعة للمالك ه
وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل نخص فى مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب ان
يبدو الصلاح فى الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكاة النقدين
فاذا تم الحول على مايتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو
درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب
حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة
فى التبر وفى الحلى المحظور كاوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب فى الحلى المباح وتجب
فى الدين الذى هو على ملى ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان موجلا فلا تجب الا بعد حلول الاجل والله اعلم
النوع الرابع زكاة التجارة وهى كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذى به
اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت
الشراء وتودى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشرا نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به
اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة فى مال قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيا ومهما قطع
نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والاولى ان تودى زكاة تلك السنة وما كان من ربح فى السلعة فى
آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول راس المال ولم يستانف له حول كما فى النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع
حولها بالمبادلة الجارية بينهم كساير التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا
هو الاقيس **النوع الخامس** الركاز والمعدن والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى ارض لم يجر
عليها فى الاسلام ملك فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر فيه والاولى ان لا
يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يوكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس ببعيد لان مصرفه ه
مصرف الزكوات ولذلك تخصص على الصحيح بالنقدين واما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذ
والفضة ففيهما بعد الطحن والتحصيل ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفى الحول قولان وفى
قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفى النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله عز وجل ان يلحق فى قدر
الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب
كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل ومن الكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه ه
الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم المفتى فيها مخطر لتعارض الاشباه ه والله تعالى اعلم
النوع السادس صدقة الفطر وهى واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل
عن قوته وقوت من يعوله يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان
وثلثا من يخرجه من جنس قوته او من افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز اخراج الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة
اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكاة الاموال فتجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج

الدقيق والمسوس وتجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو فى نفقته اعنى من تجب
عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب فطرة
العبد المشترك على الشريكين ولا تجب فطرة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزاه وللزوج ه
الاخراج عنها دون اذنها فان فضل منه ما يودى عن بعض عياله ادى عن بعضهم واولاهم بالتقديم من كانت نفقته
آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام
فقهية لا بد للغنى من معرفتها وقد تعرض له وقايع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند
نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار **الفصل الثانى** فى الاداء وشروطه الباطنة
والظاهرة . بيان الشروط الظاهرة . اعلم انه يجب على مودى الزكاة مراعاة خمسة امور الاول النية
وهو ان ينوى بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال غايب فقال هذا عن مالى الغايب ان
كان المال سالما والا فهو نافلة جاز لانه لو لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولى تقوم مقام نية
المجنون والصبى ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن فى ظاهر حكم الدنيا اعنى فى
قطع المطالبة عنه اما فى الاخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكاة واذا وكل باداء الزكاة ونوى
عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية . الثانى البدار عقيب الحول وفى زكاة الفطر
لا يوخره عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس آخر يوم من رمضان ووقت تعجيله شهر رمضان كله
ومن اخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم تسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخرها لعدم المستحق
فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة
حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع
ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامر وسلامة العاقبة
الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزى ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد
عليه فى القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعى يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده
عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل
للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمى الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة فى حصول الحصا اليها فمقصود الشرع فيه الابتلا
بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه
اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر
اعمال الحج كذلك ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك
اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه لما يميل اليه ويحث عليه
والقسم الثانى من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين ه
الادميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل
عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط عنه خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى دركهما

جميع الناس ● والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد
فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا
ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل
ولم ينتبه له غير الشافعي فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل
مقصود الشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة الصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف
تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما
سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع
امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل
الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما
في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وبشاتين وان كان الثياب
والامتعة كلها في معناهما فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج
ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شان الغلط فيه ● الرابع ان لا ينقل الصدقة
الى بلد آخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب الظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن
الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة ثم لا باس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة
الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله
تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية فانه شبيه بقول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك
يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان توقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان
في اكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون
والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة
اصناف مثلا قسم زكاة ماله خمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة اسهم فما فوقه
اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب
كل واحد ● واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف عن ثلاثة ان وجد ولو
لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان
غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه
بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة

● اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف ● الاولى فهم وجوب الزكاة ومعناه ووجه
الامتحان فيه وانه لم جعل من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلاثة معان
الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد
محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب

بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون
عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو محبوبهم
ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو
مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم
الناس ثلاثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا
درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال اما على العوام
بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ما ذا ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ما ذا ابقيت لاهلك
فقال الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى
المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني** درجتهم دون درجة هؤلاء وهم الممسكون اموالهم المراقبون
لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل
عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهرت وجوهه وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين
الى ان في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق
سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله عز وجل وآتى المال على حبه الاية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه
انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب انه مهما
ارهقته حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم
ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا
يجوز له الاقراض اي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة
من درجات العوام وهي درجة **القسم الثالث** الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون
منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان
يسألكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا
يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه عباده ببذل الاموال **المعنى الثاني** التطهير من
صفة البخل فانه من المهلكات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية
التقصي منه وانما تزول صفة البخل بان تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك
اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه
باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى **المعنى الثالث** شكر النعمة فان لله تعالى على عبده نعمة
في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير

وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج
غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله **الوظيفة الثانية** في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين
التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصال السرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان
ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما
ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه
وليعين لزكاته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء
قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله
عليه وسلم اجود الخلق فيه وكان صلى الله عليه وسلم في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان
فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله عز
وجل ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه
الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر
الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار فان ذلك ابعد عن الريا
والسمعة قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز
البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه
الله عز وجل له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب ريا
وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما
اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب تعالى وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير
لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عز وجل من مسمع
ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملاء من الناس يبغي الريا والاخفاء والسكوت
هو المخلص منه وقد بالغ في قصد الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقي صدقته
في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصر في ثوب الفقير
وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه
بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب سبحانه وتعالى واحترازا من الريا والسمعة ومهما لم يتمكن الا
بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الريآء والمنة
جميعا وليس في معرفة المتوسط الا الريا ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل
وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن
صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغة وصفة الرياء تنقلب في القبر افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما
او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الريا والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب قوتا للحية

فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي
بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فائدة في
ان يخالف دواعي البخل ويجيب دواعي الرياء فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وسياتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات
الوظيفة الرابعة ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية
الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال عز وجل ان تبدوا الصدقات
فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل انما سال على ملاء من الناس فلا
ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان
وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتاذى بان يرى في صورة
المحتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على
من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة
ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا فلا غيبة له وقد قال
تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق
التامل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في
بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق
بكل حال **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسدت
صدقته فقيل كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث بها وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر
وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او يوبخه بالمسالة وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله عز وجل صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس هو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه
افعال ظاهرة على اللسان والجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير هو
المحسن الى المتصدق بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه
ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله سبحانه عز وجل في قبض حق الله تعالى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله سبحانه حقه
والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله تعالى ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عبده او
خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه
المتكفل برزقه اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره
ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة او احدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما
ببذله ماله اظهارا لحب الله عز وجل او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيف
ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما جهل هذا الجهل بان يرى نفسه محسنا

اليه تفرع منه على ظاهره ما ذكرناه في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعا
والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات
المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه ● واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب
الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف ● وباطنه وهو منبعه امران ● احدهما كراهته
لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة ● والثاني رؤيته نفسه
انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس رتبة منه وكلاهما منشاه الجهل اما كراهة تسليم المال
فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحمق ومعلوم انه يبذل المال لطلب
رضى الله عز وجل وللثواب في الدار الاخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة
البخل او شكرا لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهة لا وجه لها ● واما الثاني فهو ايضا جهل لانه لو
عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء
الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب
الكعبة فقال ابو ذر من هم قال هم الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله سخرة له اذ
يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير مقدار
حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه
بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكله اعداؤه فاذا مهما انتفت الكراهة وتبدلت
بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له في اداء الواجب وتقييضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه
انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى
فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه
لم ير نفسه محسنا ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او
مالا عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد فلم
يخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت هذا امر غامض
ولا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق
التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها
متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي اسراره في الشطر الاخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في
صورة السائل وهو يستشعر مع ذلك كراهة الرد لو ردها وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ منه الفقير ويكون
يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ
ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله ويقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون
الدعا لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعا بمثله وهكذا فعل عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما ٥

فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع
وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب
الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلوات وثبت ذلك بقوله
عليه السلام ليس للمرء من صلاته الا ما عقل وهذا كقوله عليه السلام لا يقبل الله صدقة منان وبقوله
سبحانه لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذه
الشريطة فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة **الوظيفة السادسة** ان يستصغر
العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما استعظمت
صغرت عند الله تعالى وقيل لا يتم المعروف الا بثلاثة تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن
والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والاذى بل العجب
والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل
من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه
وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله تعالى
وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وان كان مقامه
يقتضي ان ينظر الى الاخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه ● واما العمل فهو ان
يعطيه عطاء الخجل والحياء من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئة الانكسار والحياء كهيئة
من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله تعالى وبذل جميعه هو الاحب عند الله عز وجل
وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة**
ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله واطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من
شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يكون يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه
من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او اهله
فيكون قد آثر على الله تعالى غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر به صدره هذا ان كان نظره
الى الله تعالى وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما
تصدق به فابقى او اكل فافنى والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك
الادخار وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله الا ان تغمضوا فيه اي ما لا
تأخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك
بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضى والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما
يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله تعالى بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله قوما جعلوا لله ما يكرهون ٥
فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم

ابتدا فقال لا جرم ان لهم النار اى كسبهم جعلهم لله تعالى ما يكرهون النار

الوظيفة الثامنة

ان يطلب لصدقته من تزكوا به الصدقة ولا يكتفى بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة ● الصفة الاولى ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الاخرة قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقى ولا ياكل طعامك الا تقى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقيا واولوا معروفكم المومنين وفى لفظ آخر اضف بطعامك من تحبه في الله ● وكان بعض العلماء يوثر بالطعام والعطاء فقرا الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال لا هولاء قوم همتهم لله تعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله تعالى احب الى من ان اعطى الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه ● الصفة الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية ● وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا اعلم بعد مقام النبوة افضل من مقام العلما فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل ● الصفة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطا حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا اشكر العباد لله تعالى وهو ان يرى النعمة كلها منه وفى وصية لقمن لابنه لا تجعل بينك وبين الله تعالى منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله تعالى فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله تعالى اذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوى الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه وان الله تعالى خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواها واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذى يمدح بالعطا ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعوا بالشر عند الايذاء واحواله متفاوتة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فسر بذلك وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله تعالى وحده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله تعالى ولا اتوب الى محمد فقال عليه السلام عرف الحق لاهله ● ولما نزلت براءة عايشة رضى الله عنها في قصة الافك فقال ابو بكر قومى فقبلى راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفى لفظ آخر انها قالت لابى بكر احمد الله لا احمدك ولا احمد صاحبك

فلم ينكر عليه السلام ذلك مع ان الوحى وصل اليها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشياء من غير الله تعالى وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتق الله تعالى في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوايبه ● الصفة الرابعة ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا اى لا يلحون عليهم بالسوال لانهم اغنياء باقيتهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغى ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال ● الصفة الخامسة ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله سبحانه للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الآية اى حبسوا في طريق الاخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الاطراف فهذه الاسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطى العطا على مقدار العيلة ● وسئل عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال ● الصفة السادسة ان يكون من الاقارب وذوى الارحام فيكون صدقة وصلة وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى قال على رضى الله عنه لان اصل اخا من اخوانى بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الى من ان اتصدق بماية درهم ولان اصله بماية درهم احب الى من ان اعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقايق فهذه هى الصفات المطلوبة وفى كل صفة درجات فينبغى ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتاكيد حب الله تعالى في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هى التى تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله تعالى والاجر الثانى ما يعود اليه من فايدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثانى فهذا معنى تضاعف اجر المصيب في الاجتهاد هاهنا وفى ساير المواضع والله اعلم

الفصل الثالث

في القابض واسباب استحقاقه ووظايف قبضه بيان اسباب الاستحقاق اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمى ولا مطلبى اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمى ومطلبى اما الصبى والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية

الصنف الاول

الفقراء والفقير هو الذى ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم يكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو

فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على الكسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز ان تشترى له الآلة وان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظايف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى منه قال النبي صلى الله عليه وسلم الكسب فريضة بعد الفريضة • وقال عمر رضي الله عنه كسب من شبهة خير من مسألة وان كان مكفيا بنفقة ابيه او من يجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب فليس بفقير والله اعلم

الصنف الثاني المساكين والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يلبسه على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة بالكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم فان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط وساير المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكنة لانها حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالعه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغن عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شئ لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالاثاث والثياب اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الا الى احداهما فان قال احديهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احديهما بسيط والاخرى وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتصدى مثل هذا النظر في اثاث الدار في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيه رأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية

كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث** العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكاة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شئ من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح

الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم وهم الاشراف الذين اسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظرائهم واتباعهم **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتبه لانه بعد عبد له **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة او اطفاء فتنة والله اعلم

الصنف السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطي قدر بلغته **فان قلت** فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسياتي

بيان وظايف القابض وهي خمسة

الاولى ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرفه اليه ليكفي مهمه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعني بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقتحم متن الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الحفظ والجمع عليهم وفايدته تنصب الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله تعالى والاستعداد لما بعد الموت فلا يشغلهم عنها فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التاهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله تعالى عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي بيانه في كتاب الفقر فليأخذ ما ياخذه من الله تعالى رزقا له وعونا على الطاعة ولتكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله تعالى كان كافرا لانعم الله تعالى مستحقا للبعد والمقت من الله تعالى **الثانية** ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله تعالى اليه وللطريق حق من حيث جعله الله تعالى طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله تعالى فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى وقد اثنى الله تعالى على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها

وفاطر القدرة عليها نحو قوله نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب
الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اولى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافيتموه ومن تمام الشكران يستر
عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس
صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام
بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب
التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله تعالى فان من لا يرى
الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا **الثالث** ان ينظر فيما ياخذه فان
لم يكن من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام
فتوحا من الحلال فلا ياخذ من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق
عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل
هذا ان يتصدق به على ما سياتي في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ
زكاة اذ لا تقع زكاة عن مؤديه وهو حرام **الرابعة** ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما ياخذه
فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذ بالكتابة او
الغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس
المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ الا
ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر
والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما
يستغني عنه لعينه او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده
وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة
ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات
في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه
محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن مالا كثيرا بل ما يتمم
كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل
ومن حيث انه عليه السلام ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على
حاجة شهره او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة
فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل بن الحنظلية ان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال عليه السلام غداؤه وعشاؤه وقال
آخرون ياخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ

لنفسه

لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال قائلون حد الغنى خمسون درهما لما روى ابن مسعود ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من سال وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون درهما
او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم حده اربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من سال وله اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له ان ياخذ
مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغني بها لان هذا هو الغنى
وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود
به الى مثل حاله ولو عشرة الاف الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل ابا طلحة بستانه عن الصلاة
قال جعلته صدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعله في قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة
فحائط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما حكي فيه واما التقليل الى قوت
اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهة السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز
الى ان يشتري ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال
كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد
الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك وان افتوك كما قال عليه السلام اذ الاثم حزاز القلوب
فاذا وجد القابض في نفسه شيئا مما ياخذه فليتق الله تعالى فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان
لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم
ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة **الخامسة** ان يسال صاحب المال عما عليه من الواجب فان
كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذه فانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف
الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما جهلا واما تساهلا
وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسياتي ذكر مظان السؤال ودرجات
الاحتمال في كتاب الحلال والحرام

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها

فضيلة الصدقة من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمرة فانها
تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم
تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه السلام ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا
طيبا الا كان الله تعالى ياخذها بيمينه فيربيها له كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال عليه السلام
لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف وقال صلى الله
عليه وسلم ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله تعالى الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ في
ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال عليه السلام الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم
صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال صلى الله عليه وسلم ما احد اعطى من سعة بافضل من الذي يقبل
من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه

عمارة دينه ◦ وسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى
الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان ◦ وقال صلى الله عليه وسلم يومًا لاصحابه
تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارًا قال انفقه على نفسك قال ان عندى آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندى آخر
قال انفقه على ولدك قال ان عندى آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندى آخر قال انت ابصر به ◦ وقال صلى الله عليه وسلم
لا تحل الصدقة لآل محمد انما هى اوساخ الناس ◦ وقال صلى الله عليه وسلم ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من
الطعام ◦ وقال صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده ◦ وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبًا لم
تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام ◦ وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره
بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده ◦ وقال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان
واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ◦ وقال عليه السلام ما من مسلم يكسو
مسلمًا الا كان فى حفظ الله تعالى ما دامت عليه منه رقعة

الآثار قال عروة بن الزبير لقد تصدقت
عائشة رضى الله عنها بخمسين الفًا وان درعها لمرقع ◦ وقال مجاهد فى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه فقال وهم
يشتهونه ◦ وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اولى الحاجة
منا ◦ وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك
عليه ◦ وقال ابن ابى الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابًا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعين ضعفًا وانها
لتفك لحيى سبعين شيطانًا ◦ وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله
ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة ◦ وقال لقمن لابنه اذا اخطأت
خطيئة فاعط صدقة ◦ وقال يحيى بن معاذ ما اعلم حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ◦ وقال عبد
العزيز بن ابى رواد كان يقال ثلثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب ◦ وروى مسندًا
وقال عمر رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن ◦ وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر
ويقول سمعت الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله تعالى يعلم انى احب السكر ◦ وقال النخعى
اذا كان الشئ لله سبحانه لا يسرنى ان يكون فيه عيب ◦ وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا
قط واعرى ما كانوا واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله تعالى اشبعه الله تعالى ومن سقى لله تعالى سقاه الله تعالى
ومن كسى لله تعالى كساه الله تعالى ◦ وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه تعالى ابتلى بعضكم
ببعض ◦ وقال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب
بها وجهه ◦ وقال ملك بن انس لا نرى باسًا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى الناس فى المسجد باسًا لانه
انما جعل للعطشان كائنًا من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ◦ ويقال ان الحسن مر به نخاس
ومعه جارية فقال للنخاس اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله تعالى رضى فى الحور العين
بالفلس واللقمة

بيان اخفاء الصدقة واظهارها

قد اختلف طرق طلاب الاخلاص فى ذلك فمال قوم
الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى ان الاظهار افضل ونحن نشير الى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء

عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان **الاول** انه ابقاء للستر على الآخذ فان فى اخذه ظاهرًا
هتك لستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف **الثانى** انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه
ويظنون انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر
وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى ◦ وقال ايوب السختيانى انى لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث فى
جيرانى حسدًا ◦ وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشئ لاجل اخوانى يقولون من اين له هذا ◦ وعن
ابرهيم التيمى انه روى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخى خيثمة ولو علمت
ان اهله علموا به ما قبلته **الثالث** اعانة المعطى على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر فى الاعطاء
كثير والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطى ودفع
رجل الى بعض العلماء شيئًا ظاهرًا فرده ودفع اليه آخر شيئًا فى السر فقبله فقيل له فى ذلك فقال ان هذا عمل بالادب
فى اخفاء معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه فى عمله فرددت عمله ◦ واعطى رجل بعض الصوفية شيئًا فى الملاء
فرده فقال له لم ترد على الله سبحانه ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله تعالى فيما لله تعالى ولم تقنع بعين الله
سبحانه فرددت عليك شركك ◦ وقبل بعض الصالحين فى السر شيئًا كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك
فقال للمعطى عصيت الله سبحانه فى الجهر فلم اكن عونًا لك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على بِرك
وقال الثورى لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته **الرابع** ان فى اظهار الاخذ
ذلا وامتهانًا وليس للمؤمن ان يذل نفسه ◦ كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول
ان فى اظهاره اذلالا للعلم وامتهانًا لاهله فما كنت بالذى ارفع شيئًا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله
الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال النبى صلى الله عليه وسلم من اهدى له هدية وعنده قوم
فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقًا او ذهبًا لا يخرج عن كونه هدية قال النبى صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى
الرجل الى اخيه ورقًا او يطعمه خبزًا فجعل الورق هدية بانفراده فما اعطى فى الملاء مكروه الا برضى جميعهم
ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة **واما** الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة
الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة **الثانى** اسقاط الجاه
والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين
الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذًا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل
تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل تزداد
فى قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذى يريده اخوك لانه يزداد ثوابًا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك
فتؤجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه **الثالث** هو ان العارف لا نظر له الا الى الله تعالى والسر والعلانية
فى حقه واحد فاختلاف الحال شرك فى التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية
والالتفات الى الخلق حضروا او غابوا نقصان فى الحال بل ينبغى ان يكون النظر مقصورًا على الواحد الفرد حكى

ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى بعض المريدين فشق ذلك على الآخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى
كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك
المريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا ما امرنا به الشيخ فقال ذلك المريد لم اقدر على ذلك فان الله تعالى
كان يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله تعالى الرابع ان الاظهار
اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما
آتاه الله تعالى وقرنه بالبخل فقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيا في السر فرفع
به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الآخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا
اعطيت في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه وقال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله والشكر
قائم مقام المكافاة حتى قال عليه السلام من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه خيرا وادعوا له
حتى تعلموا انكم قد كافيتموه وكما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال
حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال عليه السلام كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم انه مكافاة فالان اذا عرفت هذه
المعاني فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسالة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا انا لا
نحكم فيه حكما بتا بان الاخفاء افضل في كل حال والاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات
باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع
ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل
الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه
بعين الازدراء والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته
يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تالمه بانكشاف
اخذه للصدقة كتالمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة
والحسد وسوء الظن او يتقي انتهاك الستر او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما
يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره للحذر من هذه المعاني
اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محظور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم
عمرو والغيبة محظورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انه تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن
ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع
اليه من حيث انه تطييب لنفس المعطي واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى
يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث
في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الريا ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار
وقصده في الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي

ولا الى

ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون
الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا
فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر
فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر
ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم
عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه السلام كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل
يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال عليه السلام في آخر اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام
رجل فاعجبه فقال عليه السلام ان من البيان لسحرا وقال صلى الله عليه وسلم اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه
يزداد رغبة في الخير وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح المومن ربى الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه
لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايته ذلك
نعمة من الله عز وجل علي فاشكر والا فلا تشكر فدقائق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح
مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال
فيه ان تعلم مسالة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم يحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة
العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات
الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكاة

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان
في اخذ الزكاة مزاحمة المساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا تكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب
واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون ياخذ الزكاة دون الصدقة لانه اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ
الزكاة لاثموا ولانه لا منة فيها وانما هي حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان
يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان موافقة
المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنها
وهذا تنصيص على ذل الاخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره
من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكاة واذا علم انه مستحق قطعا كما
اذا حصل عليه دين صرفه الى الخير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة
فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذه هو فلياخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها
صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذه
الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكاة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال
كمل كتاب الزكاة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم كتاب اسرار الصيام
وهو السادس من ربع العبادات من جملة كتب الاحياء للغزالي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذی اعظم علی عباده المنة • لما دفع عنهم من کید الشیطان وفتنه • ورد امله وخیب ظنه • اذ جعل الصوم حصنا لاولیایه وجنة • وفتح لهم به ابواب الجنة • وعرفهم ان وسیلة الشیطان الی قلوبهم الشهوات المستکنة • وان بقمعها تصبح النفس المطمینة ظاهرة الشوکة فی قصم خصمها قویة المنة • والصلاة علی محمد قاید الحق وممهد السنة • وعلی اله واصحابه ذوی الاراء الثاقبة • والعقول المرجحة وسلم کثیرا

اما بعد فان الصوم ربع الایمان بمقتضی قوله صلی الله علیه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضی قوله علیه السلام الصبر نصف الایمان ثم هو متمیز بخاصیة النسبة الی الله تعالی من بین سایر الارکان اذ قال الله عز وجل فیما حکاه عنه نبیه صلی الله علیه وسلم کل حسنة بعشر امثالها الی سبع مایة ضعف الا الصیام فانه لی وانا اجزی به وقد قال تعالی انما یوفی الصابرون اجرهم بغیر حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدیر والحساب وناهیک فی معرفة فضله قوله علیه السلام والذی نفسی بیده لخلوف فم الصایم اطیب عند الله من ریح المسک یقول الله عز وجل انما یذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلی فالصیام لی وانا اجزی به • وقال صلی الله علیه وسلم للجنة باب یقال له الریان لا یدخله الا الصایمون وهو موعود بلقاء الله عز وجل فی جزاء صومه قال صلی الله علیه وسلم للصایم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه • وقال صلی الله علیه وسلم لکل شیء باب وباب العبادة الصوم • وقال صلی الله علیه وسلم نوم الصایم عبادة • وروی ابو هریرة انه صلی الله علیه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشیاطین ونادی مناد یا باغی الخیر هلم ویا باغی الشر اقصر • وقال وکیع فی قوله عز وجل کلوا واشربوا هنیئا بما اسلفتم فی الایام الخالیة هی ایام الصیام اذ ترکوا فیها الاکل والشرب • وقد جمع رسول الله صلی الله علیه وسلم فی رتبة المباهاة بین الزهد فی الدنیا وبین الصوم فقال ان الله تعالی یباهی ملایکته بالشاب العابد فیقول ایها الشاب التارک شهوته لاجلی المبذل شبابه لی انت عندی کبعض ملایکتی • وقال صلی الله علیه وسلم فی الصایم یقول الله عز وجل انظروا الی عبدی ترک شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلی ه وقیل فی قوله تعالی فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرة اعین جزاء بما کانوا یعملون قیل عملهم الصیام لانه ه قال تعالی انما یوفی الصابرون اجرهم بغیر حساب فیفرغ للصایم جزاوه افراغا ویجازف جزافا فلا یدخل تحت وهم وتقدیر وجدیر بان یکون کذلک لان الصوم انما کان له عز وجل ومشرفا بالنسبة الیه تبارک وتعالی وان کانت العبادات کلها له کما شرف البیت بالنسبة الی نفسه عز وجل والارض کلها له لمعنیین ه احدهما ان الصوم کف وترک وهو فی نفسه سر لیس فیه عمل یشاهد فجمیع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأی والصوم لا یراه الا الله تعالی فانه عمل فی الباطن بالصبر المجرد والثانی انه قهر لعدو الله فان وسیلة الشیطان لعنه الله الشهوات وانما تقوی الشهوات بالاکل والشرب ولذلک قال صلی الله علیه وسلم ان الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم فضیقوا مجاریه بالجوع ولذلک قال صلی الله علیه وسلم لعایشة رضی الله عنها داومی قرع باب الجنة قالت بماذا فقال علیه الصلاة والسلام بالجوع وسنا فی فضایل الجوع فی کتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلکات فلما کان الصوم علی الخصوص قمعا للشیطان وسدا لمسالکه

وتضییقا لمجاریه استحق التخصیص بالنسبة الی الله سبحانه ففی قمع عدو الله نصرة الله تعالی ونصرة الله عز وجل موقوفة علی النصرة له قال تبارک وتعالی ان تنصروا الله ینصرکم ویثبت اقدامکم فالبدایة بالجهد من العبد والجزاء بالهدایة من الله عز وجل ولذلک قال الله تعالی والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وقال تعالی ان الله لا یغیر ما بقوم حتی یغیروا ما بانفسهم وانما التغییر بکسر الشهوات فهی مرتع الشیاطین ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ینقطع ترددهم وما داموا یترددون لم ینکشف للعبد جلال الله سبحانه وکان محجوبا عن لقایه قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لولا ان الشیاطین یحومون علی قلوب بنی آدم لنظروا الی ملکوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضیلته الی هذا الحد فلا بد من بیان شروطه الظاهرة والباطنة بذکر ارکانه وسننه وشروطه الباطنة ونبین ذلک بثلاثة فصول

الفصل الاول

فی الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة

الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلک برؤیة الهلال فان غم فباستکمال العدة ثلثین من شعبان ونعنی بالرؤیة العلم ه ویحصل ذلک بقول عدل واحد ولا یثبت هلال شوال الا بقول عدلین احتیاطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب علی ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم یقض القاضی به فلیتبع کل عبد فی عبادته موجب ظنه واذا روی الهلال ببلدة ولم یر باخری وکان بینهما اقل من مرحلتین وجب الصوم علی الکل وان کان اکثر کان لکل بلدة حکمها ولا یتعدی الوجوب

الثانی النیة ولا بد لکل لیلة من نیة مبیتة معینة جازمة فلو نوی ان یصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم یکفه وهو الذی عنیناه بقولنا لکل لیلة ولو نوی بالنهار لم یجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذی عنیناه بقولنا مبیتة ولو نوی الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم یجزه حتی ینوی فریضة الله عز وجل صوم شهر رمضان ولو نوی لیلة الشک ان یصوم غدا ان کان من رمضان لم یجزه فانها لیست نیة جازمة الا ان یستند نیته الی قول شاهد عدل فاحتمال غلط العدل او کذبه لا یبطل الجزم او یستند الی استصحاب کالشک فی اللیلة الاخیرة من رمضان فذلک لا یمنع جزم النیة او یستند الی اجتهاد کالمحبوس فی المطمورة اذا غلب علی ظنه دخول رمضان باجتهاده فشکه لا یمنعه من النیة ومهما کان شاکا لیلة الشک لم تنفعه جزمه النیة باللسان فان النیة محلها القلب ولا یتصور فیه جزم القصد مع الشک کما لو قال فی وسط رمضان اصوم غدا ان کان من رمضان فان ذلک لا یضره لانه تردید لفظ ومحل النیة لا یتصور فیه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوی لیلا ثم اکل لم تفسد نیته ولو نوت فی الحیض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها ه والله اعلم

الثالث الامساک عن ایصال شیء الی الجوف عمدا مع ذکر الصوم فیفسد صومه بالاکل والشرب والسعوط والحقنة ولا یفسد بالفصد والحجامة والاکتحال وادخال المیل فی الاذن والاحلیل الا ان یقطر فیه ما یبلغ المثانة وما یصل من غیر قصد کغبار الطریق او ذبابة تسبق الی جوفه او ما یسبق الی جوفه فی المضمضة فلا یفطر الا اذا بالغ فی المضمضة فیفطر لانه مقصر وهو الذی اردنا بقولنا عمدا فاما ذکر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسی فانه لا یفطر اما من اکل عامدا فی طرفی النهار ثم ظهر له انه اکل نهارا بالتحقیق فعلیه القضا وان بقی علی حکم ظنه واجتهاده فلا قضا علیه ولا ینبغی ان یاکل فی طرفی النهار الا بنظر واجتهاد

الرابع الامساک

عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج فان جامع ناسيا لم يفطر فان جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان
طلع الفجر وهو مخالط لاهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة **الخامس** الامساك
عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها
ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل
ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره **السادس** الامساك عن اخراج القي فالاستقاء يفسد الصوم
وان ذرعه القي لم يفسد صومه واذا ابتلع نخامة من حلقه وصدره لم يفسد صومه لعموم البلوى بذلك الا
ان يبتلعها بعد وصولها الى فيه فانه يفطر عند ذلك • فاما لوازم الافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية
وامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر
فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان
ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا • واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع اما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا
الجماع لا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين متتابعين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا
مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت في بقية
نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر طويل مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم
الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا
قدم صائما • واما الفدية فتجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد
مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم بمد • واما السنن فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر
بالتمر او الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضايله في الزكاة ومدارسة
القران والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر
الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب وداب اهله اي اداموا النصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب
انها في اوتارها واشبه الاوتار ليلة احدى وعشرين وثلث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان
نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة او شهادة او جنازة او زيارة
او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضا في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا وينقطع التتابع بالجماع
ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليدين في الطست
فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني
راسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة فاذا عاد ينبغي ان يستانف
النية الا اذا كان قد نوى عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

الفصل الثاني

في اسرار الصوم وشروطه الباطنة • اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص
الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله • واما صوم الخصوص

فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام • واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب
عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما
سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى
قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من
قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا
نطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فانها اقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف
عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون • واما صوم الخصوص
فهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور **الاول** غض البصر وكفه عن
الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله سبحانه قال النبي صلى الله عليه وسلم
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله عز وجل آتاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه
وروى جابر عن عبد الله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة
واليمين الكاذبة والنظر بشهوة **الثاني** حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة
والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن فهذا صوم
اللسان وقد قال سفين الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان
يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم
صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وجاء في الخبر ان امراتين صامتا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال عليه السلام لرسوله قل لهما
قيا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس
من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله عز وجل لهما وافطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما
قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم **الثالث** كف السمع عن
الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم سماعه ولذلك سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المستمع
للكذب وآكل السحت فقال سبحانه سماعون للكذب اكالون للسحت وقال عز وجل لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال ايضا انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم **الرابع** كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف
البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال
هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله
وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين والحلال
دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه

الا الجوع والعطش فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس
بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام **الخامس** ان لا يستكثر من الحلال وقت
الافطار بحيث يمتلى بطنه فما من وعاء ابغض الى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم
قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى الوان الطعام حتى
استمرت العادات بان تدخر جميع الاطعمة لرمضان فيوكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل فى عدة اشهر ومعلوم ان مقصود
الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها
وقويت رغبتها ثم اطعمت من الوان الطعام واللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من
الشهوات ما عسى ما كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسايل الشيطان
فى العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التى كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع
ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش
و يستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم فى ليله قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده
واوراده فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها
شئ من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام
فهو محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الامر كله
ومبداء جميع ذلك تقليل الطعام وسياتى له مزيد بيان فى كتاب الاطعمة ان شاء الله تعالى **السادس**
ان يكون قلبه بعد الافطار مقلقا مضطربا بين الخوف والرجا اذ ليس يدرى ايقبل صومه فهو من المقربين او رد عليه
فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها • روى عن الحسن بن ابى الحسن انه مر بقوم يوم العيد
وهم يضحكون فقال ان الله تعالى جعل شهر رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا
وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون
اما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه والمسئ باساته اى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة
المردود يسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى
اعده لشر طويل والصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذابه فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم **فان
قلت** فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقها صومه صحيح فما معناه
فاعلم ان فقها الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هى اضعف من هذه الادلة التى اوردناها فى هذه
الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقها الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم
الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علما الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى
المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتدا بالملايكة
فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهايم لقدرته بنور
العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملايكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى

الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار البهايم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملايكة
والملايكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله عز وجل بقربهم فان الشبيه
من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب
القلوب فاى جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشا مع الانهماك فى الشهوات الاخر طول نهاره ولو كان
لمثله جدوى فاى معنى لقول النبى صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا
قال ابو الدردا يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقا وسهرهم ولذرة من ذى يقين وتقوى
افضل وارجح من امثال الجبال من عبادة المتعبدين ولذلك قال العلماء كم من صايم مفطر وكم من مفطر صايم والمفطر
الصايم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام وياكل ويشرب والصايم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه
ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمخالفة الآثام كمن مسح على كل عضو من اعضائه
فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى ظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل
من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة لاحكامه الاصل وان ترك
الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله
عليه وسلم انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ان الله
يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من
امانات الصوم لما قال عليه السلام فليقل انى صايم اى انى اودعت لسانى لاحفظه فكيف اطلقه لجوابك فاذا
تطهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن فى
ان تقنع بالقشر عن اللباب وتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث

فى التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه • اعلم ان استحباب الصوم يتاكد فى الايام الفاضلة وفواضل الايام
بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها فى كل شهر وبعضها فى كل اسبوع • اما الذى فى السنة بعد ايام رمضان فيوم
عرفة ويوم عاشورا والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهى اوقات
فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه من رمضان • وفى الخبر افضل الصيام
بعد شهر رمضان شهر الله تعالى المحرم ولانه ابتدا السنة فبناوها على الخير احب وارجى لدوام بركتها وقال صلى الله عليه
صوم يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلاثين من غيره وصوم يوم من شهر رمضان افضل من ثلثين من شهر حرام وفى
الحديث من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له بكل يوم عبادة سبع ماية عام • وفى
الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى يدخل رمضان ولهذا يستحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان
برمضان فجايز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان
بيومين او ثلثة الا ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهى شهر رمضان والاشهر
الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلثة
سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم واشهر الحج وشوال

من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله عز وجل
من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد
في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا من عقر جواده واهريق دمه ● واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه
وآخره ووسطه الايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ● واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة
فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات ● واما
صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح
انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والاخر ان يرغب عن السنة في الافطار
ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه وتعالى يحب ان تؤتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه
في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
ابو موسى الاشعري فيمن صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع ودون صوم الدهر
درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد
في فضله اخبار لان العبد فيه في ذلك بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا
وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى
الله عليه وسلم افضل الصيام صيام اخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته عليه السلام لعبد
الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني اطيق افضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر يوما فقال اطيق
افضل من ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا افضل من ذلك وقد روي انه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا
كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر
يومين واذا صام ثلاثة ايام من اول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الاخير فهو ثلث الدهر وواقع في الاوقات
الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيلة فالكمال في ان
يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله سبحانه والفقيه بدقائق الباطن ينظر
الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم
المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الاخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا
ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا
يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء
ان يوالي من الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد رديء
العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا
ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله اعلم **كتاب اسرار الحج ومهماته** وهو السابع من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس
وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتخصيصا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد

وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى اله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا
اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه
انزل الله عز وجل قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود
والنصارى في الضلال واجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها وفضائلها
واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة ابواب الباب الاول في فضائلها وفضائل مكة
والبيت العتيق وجملة اركانها وشرائط وجوبها الباب الثاني في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى
الرجوع الباب الثالث في آدابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الاول وفيه

الفصل الاول

فصلان في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسها الله
تعالى وشد الرحال الى المشاهد **فضيلة الحج** قال الله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر
يأتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل ابرهيم صلى الله عليه وسلم ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس
ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوه فاسمع الله نداءه كل من يريد الحج من الذرية الى يوم القيمة وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة
في الموسم والاجر في الاخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله عز وجل لاقعدن
لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حج البيت
فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وسلم ما رؤي الشيطان في يوم هو اصغر ولا
ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام اذ
يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين محني الظهر
فقال له ما الذي ابكى عينيك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه واخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك
قال له فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي
غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي حنى ظهرك قال قول
العبد اسألك حسن الخاتمة اقول يا ويلي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من
خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجري له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب
وقيل له ادخل الجنة بسلام وقال صلى الله عليه وسلم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء
الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر
لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت عليهم السلام اعظم الناس ذنبا
من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت
في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من
الطواف بالبيت فانه من اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا استحب الطواف ابتداء

من غير حج ولا عمرة   وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما
سلف من ذنوبه   ويقال ان الله تعالى اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف   وقال
بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى
الله عليه وسلم حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم واقفا اذ نزل عليه قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية علينا لجعلناه يوم عيد فقال عمر
رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف
بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج   وروى ان علي بن الموفق حج عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حججا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت
نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال وطفت عني قلت نعم قال ووقفت عني قلت نعم قال يا ابن الموفق لاكافينك يوم
القيمة فقلت بماذا يا رسول الله فقال آخذ بيدك وانت في شدة الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب
وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر
واعتنقوا المشاة اعتناقا   وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا   وقال عمر
رضي الله عنه الحاج مغفور له ومن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول   وقد كان
من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك
قبل ان يدنسوا بالآثام   ويروى عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف
فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر
لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف افتدري
كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهوى فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما
شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة نمت عند المشعر
فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان اللذان رايت قد نزلا على هيئتهما
فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال افتدري ما حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة قال لا
قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف   وعنه
ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لم يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت
ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة جل جلاله في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخا
والاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه
لمن قبلته   **فضيلة البيت ومكة** حرسهما الله تعالى   قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز
وجل قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة
تحشر كالعروس المزفوف وكل من حجها يتعلق باستارها يسعون معها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها   وفي الخبر
ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به يشهد

لمن استلمه بحق وصدق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا   وروى انه صلى الله عليه وسلم سجد عليه
وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال اني
لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه
فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ها هنا تسكب العبرات فقال علي يا امير المؤمنين
بل هو يضر وينفع قال له وكيف ذاك قال ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا
الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد على الكافرين بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم
ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك   وروى عن الحسن البصري ان صوم يوم بمكة بمائة الف يوم وصدقة
درهم بمائة الف درهم وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع تعدل عمرة وثلث عمر تعدل
حجة   وفي الخبر الصحيح عمرة في رمضان كحجة معي وهذا مذكور في الصحيح   وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من
تنشق الارض عنه ثم آتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين   وفي الخبر ان آدم عليه السلام
لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام   وجاء في
الآثار ان الله عز وجل ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل
الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه نائما مستقبل الكعبة غفر له   وكوشف
بعض الاولياء فقال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة لجدة   وقيل لا تغرب الشمس من يوم
الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد فاذا انقطع
ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها
احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا
يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم عليهما
السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التي يتوقع ولادها   وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا
البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة   وروى علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره   **فضيلة المقام
بمكة وكراهته**   كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لثلثة معان   احدها خوف التبرم
والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا
حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولهذا هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من
كثرة الطواف وقال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت   الثاني انه يهيج الشوق بالمفارقة لينبعث داعية العود
فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا   وقال
بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك
في بلد آخر   وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به   ويقال ان لله تعالى
عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله تعالى   الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور

وبالحرا أن يورث مقت الله تعالى لشرف الموضع وروى عن وهب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي
فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله اشكوا ثم اليك يا جبريل ما القى من الطايفين حولي من تفكههم
في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع فيها كل حجر مني الى الجبل الذي
قطع منه وقال عبد الله بن مسعود ما من بلد يواخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلى قوله عز وجل
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال السيات تضاعف بها كما تضاعف
الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان
اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطايف ولخوف
ذلك انتهى بعض المقيمين الى ان لا يقضي حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضا الحاجة وبعضهم اقام
شهرا ما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلما اجوار مكة ولا تظنن ان كراهة المقام
يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك
المقام بها افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم فاما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقها فهيهات
وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله عز وجل
واحب بلاد الله تعالى الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها
مضاعفة كما ذكرناه

فضيلة المدينة وساير البلاد

ما بعد مكة حرسها الله بقعة افضل من مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاعمال فيها ايضا تضاعف قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا
خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان
الصلاة فيها بخمس مائة وكذا ساير الاعمال وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
صلاة في مسجد المدينة بعشرة الاف صلاة وصلاة في المسجد الاقصى بالف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بماية
الف صلاة وقال صلى الله عليه وسلم لا يصبر على شدتها ولأوايها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال
عليه السلام من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وما
بعد هذه البقاع الثلاثة من المواضع فهي متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فضل ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى
وقد ذهب بعض العلما الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلما والصلحا
وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة ولا بلد
الا وفيها مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند
الله عز وجل نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله الرحلة الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شا الله
ثم ليت شعري هل يمنع هذا القايل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم صلوات الله
عليهم فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور الاوليا والعلما والصلحا في معناها ولا يبعد ان

يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان في زيارة العلما في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد
ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة علم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من
المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال
النبي صلى الله عليه وسلم قال البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد
الله تعالى وفي الخبر من رزق من شي فليلزمه ومن جعلت معيشته في شي فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال
ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه واخذ قلته بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال
الى بلد املاء فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني ان قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا
يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص في بلد فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا
زمان سوء لا يومن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من
الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء
فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل مكة قال مكة
تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني فقال اوصيك بثلاث لا تصلين في
الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب
فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثاني

في شروط وجوب الحج وصحته واركانه
وواجباته ومحظوراته اما الشرايط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه
ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت
فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع
السنة وقت للعمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال
عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل
والوقت فان احرم الصبي او العبد ثم عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر
اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الا شاة وتشترط هذه الشرايط في وقوع العمرة عن فرض
الاسلام الا الوقت واما شرايط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ براة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم
ثم القضاء لمن افسده في حالة الرق ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى
خلافه واما شروط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه
فرض العمرة ومن اراد دخول مكة حرسها الله تعالى لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل
بعمرة او حج واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشر وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق
فبان تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له
اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة وان يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي
به ديونه وان يقدر على راحلة او كرا محمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما النوع الثاني فاستطاعة

المعضوب بماله ومن ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير من حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة
في هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب المزمن صار بذلك مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا
لان الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير
ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه فان مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان
الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كما ترد ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة
قبل حج الناس ثم مات لقي الله سبحانه ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر رضي
الله عنه لقد هممت ان اكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن المسيب
وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان
له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا
وقرا قوله عز وجل رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج اما الاركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة
الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف
والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي فيه
الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى الغروب والمبيت بالمزدلفة والمبيت بمنا وطواف الوداع
فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج
والعمرة فثلاثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر
وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران
وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما وتكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج
الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير
محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شي عليه
لانه لم يترك ميقاته لان ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات
الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمسة شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره
من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان تكون عمرته في اشهر الحج
الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان تكون حجته وعمرته عن شخص واحد
فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة
او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن فان لم يصم الثلثة حتى رجع الى الوطن صام عشرة متتابعة او متفرقة
وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج والعمرة فستة
الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين
فكعبان فان لم يجد ازارا فسراويلا ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه لان احرامه
في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها الثاني الطيب فليجتنب كل

ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس
بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة
او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمته البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة
والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه
لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني ما يوكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله
من النعم فيراعي فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل

الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية

الاولى في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى
وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودايع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير
بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشي قبل خروجه ويشتري لنفسه
دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كلما يريد ان يحمله من قليل وكثير ويحصل رضاه فيه
الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز
قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله عز وجل جاعل في دعائهم
خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة
في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي اولا ركعتين يقرا في الاولى بفاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون
وفي الثانية سورة الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم
انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم احفظنا واياهم من كل آفة
وعاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسالك ان تطوي لنا الارض
وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وان تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب
اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة اذا حصل
على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رب اني اعوذ بك ان اضل او اضل
او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء
سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت
وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما
انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت
ويدعو بهذا الدعا في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب واذا ركب الراحلة فليقل بسم الله وبالله والله

اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت
في اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل
على الظهر وانت المستعان على الامور   السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره
في الليل قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه
بالليل حتى يكون ذلك عونا له على السير ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب
الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك
خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اللهم اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل
صلى فيه ركعتين ثم قال اعوذ بكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا اجن عليه
الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد
واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم   السابعة
في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا
عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه
هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره فان النائم ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم
فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما
حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الاخلاص والمعوذتين
وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله
لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي
ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العلي العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام
واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب
عبادك وامائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين   الثامنة مهما علا نشزا من الارض في طريقه فالمستحب
ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره
قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت

الجملة الثانية

في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة   الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى
الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظف ويسرح راسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه
ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة   الثاني ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوب الاحرام فيرتدي
ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله عز وجل ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب يبقى
جرمه بعد الاحرام فقد روي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله

قبل الاحرام   الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبدأ في السير ان كان راجلا
فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان
يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك
لك وان زاد فقال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغبى اليك والعمل لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد   الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني
اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فريضته وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من
الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت
اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على
نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرمت عليه المحظورات
التي ذكرناها من قبل فليجتنبها   الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام
الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح
حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد
الثلاثة فانها مظنة المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا
باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش
عيش الآخرة

الجملة الثالثة

في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة
الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام
من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بالمزدلفة ثم ثلاثة اغسال لرمي
الجمرات الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي في الجديد الغسل لطواف
الزيارة ولطواف الوداع فيعود الى سبعة   الثاني ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج من
مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني
من اوليائك واهل طاعتك   الثالث ان يدخل مكة من جانب الابطح وهي من ثنية كداء بفتح الكاف عدل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها فالتاسي به اولى واذا خرج خرج من ثنية كدا بضم
الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا   الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع
بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده
تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك
واعذني من الشيطان الرجيم   الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله
ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد
لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك

ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم انى اسألك فى مقامى هذا فى اول مناسكى ان تقبل توبتى وتتجاوز عن خطيئتى وتضع
عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين
اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسألك مسألة المضطر
الخائف لعقوبتك الراجى لرحمتك الطالب لمرضاتك   السادس ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه
بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتى اديتها وميثاقى تعاهدته اشهد لى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل
وقف فى مقابلته وليقل ذلك ثم لا يعرج على شئ دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس فى
الصلاة المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة

فى الطواف فاذا اراد افتتاح
الطواف اما للقدوم واما لغيره فينبغى ان يراعى امورا ستة   الاول شروط الصلاة من طهارة الحدث
والخبث فى الثوب والبدن والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه اباح فيه
الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ردائه تحت ابطه الايمن ويجمع طرفيه على منكبه
الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التى
سنذكرها   الثانى اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه
قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات
ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل
الشاذروان بالارض ويلتبس بها والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف فى البيت والشاذروان هو الذى
فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق على الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف   الثالث ان يقول قبل
مجاوزة الحجر فى ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك
وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام
ابرهيم صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذنى من النار ومن الشيطان
الرجيم وحرم لحمى ودمى على النار وامنى من اهوال يوم القيمة واكفنى مؤنة الدنيا والاخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى
يبلغ الركن العراقى فعنده يقول اللهم انى اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق
وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم
اسقنى بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظمأ بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامى قال اللهم اجعله حجا مبرورا
وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم
فاذا بلغ الركن اليمانى قال اللهم انى اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات
واعوذ بك من الخزى فى الدنيا والاخرة ويقول بين الركن اليمانى والحجر الاسود اللهم ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى
الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وعذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الى الحجر الاسود قال اللهم اغفر لى برحمتك اعوذ
برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم له شوط واحد فيطوف كذلك سبعة

اشواط ويدعو بهذه الادعية فى كل شوط   الرابع ان يرمل فى ثلثة اشواط ويمشى فى الاربعة الاخر على الهيئة
المعتادة ومعنى الرمل الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد والمقصود منه ومن
الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة
والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه من الزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف
وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت فى المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الاحب وان منعه
الزحمة اشار بيده وقبلها وكذلك استلام الركن اليمانى مستحب من بين سائر الاركان روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان يستلم الركن اليمانى ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر الاسود بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى
على الاستلام اعنى المس باليد فهو الاولى اذ هو الاشهر فى الرواية   الخامس اذا اتم الطواف سبعا فليات الملتزم
وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعاء وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت
وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتى من النار
واعذنى من الشيطان الرجيم واعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك
والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله عز وجل كثيرا فى
هذا الموضع وليصل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر
الله عز وجل من ذنوبه وكان بعض السلف يقول فى هذا الموضع لمواليه تنحوا عنى حتى اقر لربى بذنوبى   السادس
اذا فرغ من ذلك فينبغى ان يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا ايها الكافرون وفى الثانية الاخلاص وهما
ركعتا الطواف قال الزهرى مضت السنة ان يصلى لكل اسبوع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل اللهم يسر لى اليسرى
وجنبنى العسرى واغفر لى فى الاخرة والاولى اللهم اعصمنى بالطافك حتى لا اعصيك واعنى على طاعتك بتوفيقك
وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببنى الى
ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى الى الاسلام فثبتنى عليه بالطافك وولايتك
واستعملنى بطاعتك وطاعة رسولك واجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف
قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة وهذه هو كيفية الطواف
والواجب من جملته بعد شروط الصلاة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدئ بالحجر ويجعل البيت
على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحجر وان يوالى بين الاشواط ولا يفرقها
تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

الجملة الخامسة

فى السعى فاذا فرغ
من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع بين الركن اليمانى والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى
الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجا فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت
له الكعبة وابتداء السعى من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى
ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى واذا ابتداء من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه فى

الصفا ينبغي ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على
جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي
الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسألك
ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسألك العفو والعافية والمعافاة
في الدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعا
ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم ربنا اتنا في
الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينته حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية
المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين
الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا
بمثل ذلك الدعا وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل
في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد
فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا
سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما
ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان

الجملة السادسة في الوقوف وما قبله

الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل
الوقوف واذا وصل قبل ذلك باايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة
فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت
بها والغدو منها الى العرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر
الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منا ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضا حجه ان
قدر على ذلك والمشي من مسجد ابرهيم صلى الله عليه وسلم الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى الى منا قال اللهم
هذه منا فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل
لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها
خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت
ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة
قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة
وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذنون في الاذان والامام

في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر
باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم
فصدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة
من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر
من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في ذلك اليوم ليقوى
على المواظبة على الدعا ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى ولا ينبغي
ان ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع بعرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة
عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته
الحج فعليه ان يتحلل من احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي وليكن اهم اشغاله في هذا اليوم
الدعا ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء الماثور عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي
بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول اللهم رب لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر
وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر
بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي
في الاخرة والاولى يا خير مقصود وايسر منزول عليه واكرم مسئول ما لديه اعطني العشية افضل ما تؤتي احدا من
خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ويا منزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات
ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي اليك ان لا تنساني في دار البلى
اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من امري انا
البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال
المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الوجل دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده
ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهي من
تمدح اليك نفسه فاني لائم نفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي
اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ
رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني فان رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها
صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة
الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك
قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك

عنى الا غفرت لى وعفوت عنى يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد صلى الله عليه
وسلم اتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى واصرفنى عن موقفى هذا مقضى الحوايج وهب لى ما سالت وحقق رجاى
فيما املت الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الاجابة التى عرفتنيها الهى ما انت صانع العشية بعبد
مقر لك بذنبه خاشع لك بذله مستكين بحرمه متضرع اليك من عمله تايب اليك من اقترافه مستغفر لك
من ظلمه مبتهل اليك فى العفو عنه طالب اليك فى نجاح حوايجه راج لك فى موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجاء
كل حى وولى كل مومن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اخطاء فبخطيته يهلك اللهم اليك خرجنا وبابك
اتخنا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا ولبيتك
الحرام حججنا يا من يملك حوايج السايلين ويعلم ضماير الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق
يخشى ويا من ليس له وزير يوتى ولا حاجب يرشى ويا من لا يزداد على السوال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوايج الا
تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرا ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جايزة
ولكل زاير كرامة ولكل سايل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل
راغب اليك زلفى ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا
هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجانا الهنا تابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت
العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياوك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى
افصحت السموات والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شى لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا
اساء عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصيناك سترت واذا اذنبنا عفوت وغفرت
واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت فى
كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد
بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة
سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا منك انقص من حظ من دخل فى الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق
ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقراينا ونحن فقراوك
فانت احق بالطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا
ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من
دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات ويا من لا تغلطه
المسايل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسلة السايلين اذقنا برد عفوك وحلاوة
رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المومنين والمومنات وليلح فى الدعا وليعظم المسلة
فان الله تعالى لا يتعاظمه شى وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلى وقال بكر المزنى قال رجل
لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا انى كنت فيهم والله اعلم

الجملة السابعة

فى بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفات بعد غروب الشمس فينبغى

ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب الوجيف كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل
وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطيوا ضعيفا ولا توذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها
لان المزدلفة من الحرم فليدخلها بغسل وان قدر على دخولها ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون فى الطريق
رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسلك حوايج موتنفة
فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشا بمزدلفة فى وقت العشا قاصرا لها
باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفرضين ويبداء بنافلة المغرب ثم
بنافلة العشا كما فى الفرضين وهكذا يفعل الجامع فى السفر فان ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها فى
الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرايض واذا جاز ان توذى النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان
يجوز اداوها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز ادايه على الراحلة لما اوما نا
اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها فى النصف الاول من الليل
ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن قدر عليه ثم مهما انتصف الليل اخذ فى التاهب
للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فلياخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما
يسقط منه بعضه ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليها اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح ولياخذ فى السير حتى
اذا انتهى الى المشعر الحرام فهو اخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والشهر الحرام والبيت
الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام
ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى
وان كان راجلا اسرع فى المشى فاذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبى تارة ويكبر اخرى فينتهى الى منى ومواضع
الجمرات وهى ثلثة فيجاوز الاول والثانى فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى الى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة
فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح
وكيفيته ان يقف مستقبل القبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية
بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير
عقيب فرايض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح اخر ايام التشريق ولا يقف فى هذا اليوم للدعا بل يدعو فى منزله
وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده
لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله
اكبر ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك ولك فتقبل
منى كما تقبلت من خليلك ابرهيم والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم الشاة والشاة افضل من مشاركة ستة فى البدنة
او البقرة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضا افضل
من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل فى الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كان هدى التطوع
ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع فى الانف والاذن القطع

منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من اسفل والمقابلة المخروقة
الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم يحلق بعد ذلك والسنة ان
يستقبل القبلة ويبداء بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم
اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر من شعرها والاصلع يستحب له
امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد
ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف
الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء ولكن يبقى متقيدا بعلقة
الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي
ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين
كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد
وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين
من هذه الثلاثة فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير بهذه الثلاثة مع الذبح ولكن الاحسن
ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر
الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان وبينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف
عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا
اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة فيرميها
بسبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله عز وجل وهلله وكبره ودعا
مع حضور القلب وخشوع الجوارح واقفا مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم
الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج
على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في
اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى
وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل لم يجز له الخروج بل لزمه المبيت
حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدى وعشرين حصاة كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم وليتصدق باللحم
وله ان يزور البيت في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يتركن
حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى
ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة وان لم يفعل فلا شيء عليه ٥

الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع   ومن اراد ان يعتمر بعد حجه
او قبله كيف ما اراد فيغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها

الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء
ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه
فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته   والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت واذا
دخله فليصل بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله
ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول البيت فكيف اراهما اهلا لان اطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا
والى اين مشتا وليكثر من شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل
اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له اي يشفي ما قصد به **الجملة التاسعة** في طواف الوداع ومهما
عزم له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحله وليجعل آخر اشغاله ٥
وداع البيت ووداعه بان يطوف به اسبوعا كما سبق ولكن من غير رمل ولا اضطباع فاذا فرغ من الطواف صلى ركعتين
خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم ياتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن
عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء
مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا والا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا اوان انصرافي ان اذنت لي
غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن
منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي
ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه ٥

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها   قال النبي صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه الا
زيارتي كان حقا على الله سبحانه ان اكون له شفيعا وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي
وقال صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله
لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف
ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله فيصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود
المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه
فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجده الاول قبل ان زيد فيه ٥
ثم ياتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربعة
اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على راسه وليس من السنة التزام الجدار ولا ان يقبله
بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك
يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد

السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قايد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا قايد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المومنين جزاك الله عنا افضل ما جزا نبيا عن امته ورسولا عن قومه وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصى بتبليغ سلام فليقل السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر عند منكب ابي بكر رضي الله عنهما ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده باموز الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزا وزيرا نبي على دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت وقولك الحق ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعا ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهدا فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا تفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كله بالبقيع ويستحب ان ياتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة وياتي بير اريس

يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها ويغتسل ويشرب من مايها وياتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي ساير المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلثون موضعا يعرفها اهل المدينة فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضا منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار طلبا للشفا وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لأوايها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب له ان ياتي القبر ويعيد دعا الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسال الله تعالى ان يرزقه العودة اليه ويسال له السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي الى اهلي سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يقدر عليه وليتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا

فصل في سنن الرجوع من السفر

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قفل من حج او غزو او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير آيبون تايبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك دابته وليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهي السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله عز وجل به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذاك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متاهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة   بيان دقايق الآداب وهي عشرة   ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية عن تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله سبحانه والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعايره   وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياوهم للتجارة وفقراوهم للمسالة وقراوهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك

ينبغى ان يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفى مثله ينزل قول النبى
صلى الله عليه وسلم يدخل الله عز وجل الجنة بالحجة الواحدة ثلثة الموصى لها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه
ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا
يتخذ ذلك مكسبا ومتجرا فان الله سبحانه يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا وفى الخبر مثل الذى
يغزو فى سبيل الله ويأخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتأخذ اجرها فمن كان مثاله فى اخذ الاجرة على
الحج مثال ام موسى فلا بأس باخذها فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج ليأخذ الاجرة كما كانت ام
موسى عليه السلام تأخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم **الثانى** ان لا يعاون اعداء الله سبحانه
بتسليم المكس اليهم وهم الصادة عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين فى الطريق فان تسليم المال
اليهم اعانة لهم على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف فى حيلة الخلاص فان لم يقدر
فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان
هذه بدعة احدثت وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية
ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ منى وانا مضطر فانه لو قعد فى بيته او رجع من الطريق لم يؤخذ ذلك منه
بل ربما يظهر عليه اسباب الترفه فيكثر مطالبته فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب فهو الذى ساق نفسه الى حالة
الاضطرار **الثالث** التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على
الاقتصاد واعنى بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل
فلا سرف فيه اذ لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير كما قيل وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل
والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم
لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال النبى صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول
الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن
والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع
ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة
الله عز وجل والجدال هو المبالغة فى الخصومة والممارات بما يورث الضغاين ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن
الخلق وقال سفين من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر
الحج والممارات تناقض طيب الكلام فلا ينبغى ان يكثر الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض
جناحه للسائرين الى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل انما سمى
السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته فى السفر الذى
يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه **الخامس** ان يحج ماشيا ان قدر على ذلك فذلك
افضل اوصى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة
يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل له وما حسنات الحرم قال الحسنة مائة الف والاستحباب فى المشى

فى المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه وان اضاف الى المشى الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان
ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض
العلماء الركوب افضل لما فيه من المؤنة والانفاق ولانه ابعد عن ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام
حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغى ان يفصل ويقال من سهل عليه المشى فهو الافضل فان كان
يضعف ويؤدى ذلك الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم
يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشى فيها افضل او يكترى حمارا بدرهم فقال ان كان
وزن الدرهم اشد عليه فالكرا افضل من المشى وان كان المشى اشد عليه كالاغنياء فالمشى له افضل وكانه ذهب
فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشى ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى
المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد
فيه والله اعلم **السادس** ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف ان لا يستمسك
على الزاملة لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثانى اجتناب زى المترفين
والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة
دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى
مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها وروى سفين الثورى
عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرايت الحجاج كلهم على زوامل
وجواليقات ورواحل فما رايت فى جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدثه الحجاج من الزى والمحامل
يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جواليق فقال هذا نعم من الحاج **السابع**
ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين
والمترفين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر النبى صلى الله عليه وسلم بالتشعث والاحتفاء
ونهى عن التنعم والرفاهية فى حديث فضالة بن عبيد وفى الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله عز وجل انظروا
الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه
بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اى البسوا
الخلقان واستعملوا الخشونة فى الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة
السلف وينبغى ان يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كان على العموم فقد روى انه صلى الله عليه وسلم
كان فى سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال صلى الله عليه وسلم ارى هذه الحمرة
قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل **الثامن** ان يرفق بالدابة فلا
يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب
الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى
ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها فذلك من السنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى

بشرط ان لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في
ميزان المكارى وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب بذلك في القيمة   قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت
يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة ففي كل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق
المكارى جميعا وفي نزوله ساعة ترويح عن الدابة وسرور لقلب المكارى   قال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب
معك لتوصله فقال حتى استامر الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع عن استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق
الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا   **التاسع**   ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا
عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله
تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات افضل
ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلثة ويكرهون المكاس فيهن الهدى
والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله   وروى ابن عمر ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه اهدى بختية فطلبت منه بثلث مائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشترى
بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلث مائة دينار قيمة
ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها
بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في
القيمة كثر العدد او قل   وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت
بالتلبية والثج هو نحر البدن   وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي في
يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله عز وجل
بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا   وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها
لتوضع في الميزان فابشروا   **العاشر**   ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدى وبما اصابه من خسران
ومصيبة في مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلايل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل
الله الدرهم بسبعماية وذلك بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه
شيء عند الله عز وجل   ويقال ان من علامة قبول الحج ايضا ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين
اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة   **بيان الاعمال الباطنة**
ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من
اول الحج الى آخره   **اعلم**   ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع
العلائق المانعة منه ثم شراء ثوبي الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم
الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر
وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها
انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه   اما الفهم فاعلم انه لا وصول

الى الله سبحانه الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع
الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش
عن الخلق لطلب الانس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة
فاثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل
الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنها بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم
لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى
الله عليه وسلم ابدلنا الله بهما الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج   وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال
هم الصائمون فانعم الله عز وجل على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى
نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء
حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق
ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم
ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد
بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة فيها ارفاق ووجهه
مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة الشيطان عدو الله وفيه تفرغ للعبادة بالكف عن
الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم
الله عز وجل فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال لا حظ للنفس فيها ولا انس للطبع بها ولا
اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه
امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل
معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال
الرق والانقياد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم
يقل ذلك في صلاة ولا في غيرها   وقال عمر رضي الله عنه للحجر اني لاقبلك واعلم انك حجر ولولا اني رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم
على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى
الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع
والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق فاذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره
الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل اعمال الحج   اما الشوق فانه ينبعث بعد
الفهم والتحقق بان البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله سبحانه
عز وجل وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده

المضروب له وهو النظر الى وجه الله عز وجل الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا
لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها
اذا امدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها
بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم والشوق الى لقاء الله عز وجل يشوقه
الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب يشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله
سبحانه عز وجل فبالحرى ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل
واما العزم فليعلم انه بعزمه قاصدا الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها
الى زيارة بيت الله عز وجل فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شأنه
خطير امره وانه من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله عز وجل بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة
وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود
غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل
الذي هو ادنى بالذي هو خير واما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله عز وجل عن جملة
المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه
اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له افلا تستحيي من ان تقدم عليه
قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه
اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه
الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء وآخرا الا الطرد والرد
وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر
وماله لعلى قلت الا ما وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين
يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن
ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره
وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان
زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد
في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه
بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله عز وجل بقلبه على
تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل الاذى عنه وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى دار الآخرة
وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لأن
يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل
ركوبه للراحلة فركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه

ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن واما شراء ثوبي الاحرام فليتذكر عند ذلك الكفن ولفه فيه
فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله عز وجل ملفوفا
في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا
في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما في الكفن واما الخروج من البلد
فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله سبحانه عز وجل في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في
قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا
فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا الى بيت الله عز وجل الذي
فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا
بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال
ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيق وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته المنية في الطريق لقي
الله عز وجل وافدا اليه اذ قال جل جلاله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره
على الله واما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا
بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر في هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير
وليتذكر من سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة
القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر واما الاحرام والتلبية من
الميقات فليعلم ان معناه اجابة الداعي نداء الله عز وجل فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا
سعديك وليكن بين الخوف والرجاء مترددا وعن حولك وقوتك متبريا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فان
وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفين بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته
اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك
ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحوارى
كنت مع ابي سليمان الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فاخذته الغشية ثم افاق فقال يا احمد ان الله
تعالى اوحى الى موسى بن عمران عليه السلام مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة
ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك
فما يؤمننا ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات اجابته لنداء الله سبحانه اذ
قال واذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين لنداء
الله عز وجل ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج
في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا واما دخول مكة فليتذكر عنده انه قد انتهى الى حرم
الله وليرج عنده ان يامن بدخوله من عذاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت
ولكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والشرف للبيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير

مضيع وأما وقوع البصر على البيت فينبغي ان تحضر عنده عظمة البيت في القلب وتقدر عند ذلك كانك مشاهد
لرب البيت لشدة تعظيمه وارج ان يرزقك الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى
على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيمة الى جهة
الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين
فلا تغفل عن تذكر امور الآخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج تدل على احوال الآخرة وأما الطواف بالبيت
فاعلم انه صلاة واحضر بقلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم بانك في
الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله فلا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت
بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ الطواف من البيت
وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم
الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة
للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت
لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف
الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه
بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال
ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله سبحانه وأما الاستلام فاعتقد
عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك بالوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت
وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر يمين الله تعالى في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح
الرجل اخاه وأما موضع التعلق بالاستار والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب
حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن
نيتك في التعلق بالاستار الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع
اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا
بالعفو وبذل الامن في المستقبل وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار
الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخضوع في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك
وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول ورد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى
يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات
القيمة وليتمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان
والنقصان مترددا بين العذاب والغفران وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات
واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاءهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع
الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد

والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله تعالى بان تحشر في زمرة الفائزين المرحومين
وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة القلوب
العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب
فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه ايديهم وامتدت اليه اعناقهم
وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر
عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر العبد عرفات ويظن ان الله عز وجل لم يغفر له وكأن
اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا
طريق في استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد وأما
رمي الجمار فليقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس
في ذلك ثم ليقصد به التشبه بابرهيم صلى الله عليه وسلم حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه
شبهة او يفتنه بمعصية فامره تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له
وشاهده فلذلك رماه وأما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي
القاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به
فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه ترغم انف الشيطان وتقصم ظهره واعلم انك في الظاهر
ترمي الحصا الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا
بامتثالك امر الله عز وجل تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه وأما ذبح الهدي فاعلم انه
تقرب الى الله سبحانه عز وجل بحكم الامتثال فاكمل الهدي واجزله وارج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك
من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اكثر كان فداؤك به من النار اعم وأما زيارة المدينة
فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجعل
اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه
الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها فانه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موقع قدمه العزيز فلا
تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في
المشي وما استودع الله سبحانه في قلبه من عظيم معرفته ورفعه ذكره مع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه عز وجل
واحباطه عمل من يريد هتك حرمته وان يرفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا
صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وليعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته صلى الله عليه وسلم
وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انه قد فاتتك رؤيته صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانك من رؤيته
في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك لسوء عملك كما قال صلى الله
عليه وسلم يرفع الي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك

مطلب

بيان طواف قلوب استمداد روحانيت

عرفة

فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقايق فلا تامن ان يحال بينك وبينه بعدولك
عن محجته وليعظم مع ذلك رجاك ان لا يحال بينك وبينه بعد ان رزقك الله الايمان واشخصك من وطنك
لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنياك بل لمحض حبك له ولشوقك الى ان تنظر الى اثاره صلى الله عليه وسلم
والى حايط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتك رؤيته فما اجدرك بان ينظر الله عز وجل اليك
بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول
المسلمين وافضلهم عصابة وان فرايض الله سبحانه اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله
تعالى حيا وميتا فليعظم املك في الله تعالى ان يرحمك بدخولك اياها فادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا
المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مومن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني ودخل المدينة فلما وقف
على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد
مدفون   واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره
حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان
لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعيد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة
النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه صلى الله عليه وسلم سلامك
وصلواتك عليه فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازايك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي
عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من يسلم عليه من امته صلى الله عليه وسلم هذا في
حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقايه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ
فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاوه
في الصلاة عليه بلسانه فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ايت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود
النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قايما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار
وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته   واسال الله عز وجل ان لا يفرق في القيمة بينك
وبينه فهذه وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه ليس
يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين او رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه واعماله
فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله تعالى ووجد اعماله اتزنت بميزان
الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة
عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب
نعوذ بالله من ذلك ونساله التوفيق للقبول والعمل بمنه وفضله والله اعلم تم كتاب الحج يتلوه كتاب تلاوة القرآن

كتاب اداب تلاوة القران وهو الثامن من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل   الذي لا
ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه   حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار · بما فيه من القصص

والاخبار   واتضح به سلوك المنهج القويم   والصراط المستقيم   بما فصل فيه من الاحكام   وفرق به
بين الحلال والحرام   فهو الضياء والنور   وبه النجاة من الغرور   وفيه شفاء لما في الصدور   من خالفه
من الجبابرة قصمه الله   ومن ابتغى العلم من غيره اضله الله   هو حبل الله المتين   ونوره المبين
والعروة الوثقى   والمعتصم الاوفى   هو المحيط بالقليل والكثير   والصغير والكبير   لا تنقضي عجايبه
ولا تتناهى غرايبه   لا يحيط بفوايده عند اهل الفهم تحديد   ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد
هو الذي ارشد الاولين والآخرين   ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين   فقالوا انا
سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به   فكل من آمن به فقد وفق   ومن قال به فقد صدق   ومن
تمسك به فقد هدي   ومن عمل به فقد فاز   وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بادابه وشروطه
والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة   والآداب الظاهرة   وذلك لا بد من بيانه وتفصيله
وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب   الباب الاول في فضل القران واهله   الباب الثاني في آداب
التلاوة في الظاهر   الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة   الباب الرابع في فهم القران وتفسيره
بالراي وغيره

الباب الاول

في فضل القران واهله   وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن

قال صلى الله عليه وسلم من قرا
القرآن ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله عز وجل   وقال صلى الله عليه وسلم
ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره   وقال صلى الله عليه وسلم
لو كان القران في اهاب ما مسته النار   وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن   وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملايكة القرآن قالت
طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لصدور تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا   وقال صلى الله عليه وسلم
خيركم من تعلم القران وعلمه   وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من شغله قراءة القران عن دعاي
ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين   وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك
اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ فيما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل
وام به قوما وهم به راضون الحديث   وقال صلى الله عليه وسلم اهل القرآن اهل الله عز وجل وخاصته
وقال صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب تصدا كما يصدا الحديد قيل يا رسول الله فما جلاوها فقال صلى
الله عليه وسلم تلاوة القرآن وذكر الموت   وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قاري القران من صاحب
القينة الى قينته

الآثار

قال ابو امامة الباهلي اقروا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف
المعلقة فان الله عز وجل لا يعذب قلبا هو وعاء القرآن   وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا
القران فان فيه علم الاولين والآخرين   وقال ايضا اقروا القران فانكم توجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات
اما اني لا اقول الم حرف ولكن اقول الالف حرف واللام حرف والميم حرف   وقال ايضا لا يسال احدكم عن

نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن وتمجيده فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وان كان يبغض
القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاصي كل آية من القرآن درجة في
الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قراء القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه
وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله عز وجل اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه
الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته
الشياطين وقال احمد بن حنبل رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك
قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع
الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن
ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفا فمن دونهم وينبغي ان تكون حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن
حامل راية الاسلام لا ينبغي له ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن
وقال سفين الثوري اذا قراء الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي
الصبح فقرا مائة آية رفع الله عز وجل له بها مثل عمل جميع اهل الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرا على شيئا من القرآن فقرا عليه صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمعدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما فوق القرآن من غنا ولا بعده من فاقة
وقال الفضيل من قراء خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهدا ومن قراها حين يمسي
ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما هنا احد نستانس
به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلث يزدن في الحفظ
ويذهبن البلغم السواك والصوم وتلاوة القرآن

في ذم تلاوة الغافلين

قال انس بن مالك رب
تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو سليمان الداراني
الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله عز وجل بعد القرآن
وقال بعض العلماء اذا قراء ابن ادم القرآن ثم خلط ثم عاد فقراء قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت
على استظهاري القرآن لانه بلغني ان اصحاب القرآن يسئلون عما يسئل عنه الانبياء يوم القيمة وقال ابن مسعود
ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نائمون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون
وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن
ان يكون سكينا لينا ولا ينبغي ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله
عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال صلى الله عليه وسلم اقراء القرآن ما نهاك فاذا لم ينهك
فلست تقرؤه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح السورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح السورة
فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته

وقال

وقال بعض العلما ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقراء الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم
لنفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل
جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسايل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل
وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقراء
القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب
رضي الله عنهم لقد عشنا دهرا وان احدنا يوتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم
فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزواجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رايت رجالا يوتى احدهم
القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف
عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة انه جلت قدرته يقول يا عبدي اما تستحيي مني ياتيك
كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقراه وتتدبره حرفا حرفا
حتى لا يفوتك شي منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه
لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك
فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومات
اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عندك من بعض
اخوانك

الباب الثاني

في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة **الاول** في حال القاري وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب
والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكي ولا جالس على هيئة التكبر
ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقراه في الصلاة قائما وان يكون في المسجد
فذلك من افضل الاعمال وان قراء على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك
قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الاية فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر
ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قراء القرآن وهو قايم في الصلاة كان له بكل حرف مائة
حسنة ومن قراه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قراه في غير صلاة وهو على وضو فخمس
وعشرون حسنة ومن قراه على غير وضو فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب
وقال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل **الثاني** في مقدار القراءة وللقرا
عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم
الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
القرآن في اقل من ثلث لم يفقهه منه شيا وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عايشة رضي الله عنها
لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قراء القرآن وما سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو
ان يختم القرآن في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن

مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات الختم في كل يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من
ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصار كان الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع
مرة والثاني في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة النهار
يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بختميه
اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كان ختمه ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فيشمل بركتهما
جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين لطريق العمل فلا ينبغي ان
ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم
فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته
الى كثرة الترديد والتامل **الثالث** في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن على
سبعة احزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن احزابا فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة
بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه
الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس
وابن مسعود كان يقسمه سبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القران سبعة فالحزب الاول ثلث سور
والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس
ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل ان تعمل الاخماس والعواشر والاجزاء هذا محدث **الرابع**
في كيفية الكتابة يستحب تحسين كتابة القران وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين
وتبيين وصد عن اللحن والخطاء لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء
وروي عن الشعبي وابرهيم كراهية النقط بالحمرة والاجزاء واخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القران
والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا
الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محظور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة
فلا باس به ولا يمنع من كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح انها من محدثات
عمر رضي الله عنه وانها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها
وبعضهم كان يقول اقرأ من المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القرآن مجردا
في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا
كبارا عند منتهى الآي فقالوا لا باس به يعرف به راس الآية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر
الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالحمرة فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال اما
اعراب القران فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره
النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا

اجزاءه وقسموه الى ثلثين جزءا والى اقسام اخر **الخامس** الترتيل هو المستحب في هيأت القرآن لانا
سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي
من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ
البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرأ
البقرة فقط وقرأ الآخر القرآن كله فقال هما في الاجر سواء **واعلم** ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر
فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام
واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال **السادس** البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقرآن وقال صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة
فاين البكاء وقال ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك
قلبه وانما طريق تكلف البكا ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن
نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود
ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن له لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكا كما يحضر ارباب القلوب الصافية
فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب **السابع** ان يراعي حق الآيات فاذا مر باية سجود
سجد وكذلك اذا سمعها من غيره سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة سجدة
وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده
بما يليق بالآية التي قراها مثل ان يقرأ قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم
اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وعلى اوليائك واذا قرأ
قوله عز وجل ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك
في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من
الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريمة
ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه
ورد الامر بالسجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك فيه بعد ثم المأموم ينبغي ان
يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه **الثامن** ان يقول في مبدأ قراءته اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة
الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين
واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر
وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله استغفر الله

اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا سورة البقرة فكان لا يمر
باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سأل ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم
عند ختم القران اللهم ارحمني بالقران العظيم واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت
وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار واجعله لي حجة يا رب العالمين

التاسع

في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد ان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف
ولا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فمستحب
على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر
على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر
به كالمسر بالصدقة   وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي   وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع
سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان
حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس
لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض
صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه
وانصرف وهو يومئذ امير المدينة   ويدل على استحباب الجهر ما روى انه صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من
اصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي
فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه وسلم على ثلثة
من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو
يسمعني ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على
بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال
صلى الله عليه وسلم كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الريا والتصنع
فهو افضل في حق من كان يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر
افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق ايضا بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب
القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة
ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يسمعه بطال غافل فينشط
بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضر شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات
تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه
عشر اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه
وقد قيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وقد خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة

قراءته فيهما   وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف
ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القران اني لاصلي العتمة
واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى اصبح

العاشر

تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير
تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم   وقال صلى الله عليه وسلم
ما اذن الله عز وجل لشيء اذنه لحسن الصوت بالقران   وقال عليه صلاة الله وسلامه ليس منا من لم يتغن
بالقران فقيل اراد به الاستغنا وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة   وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عايشة فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم ما حبسك
فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه
طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله
واستمع ايضا صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهم فوقفوا
طويلا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد
وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي القرآن فقال له يا رسول الله اقرأ وعليك انزل فقال صلى الله عليه وسلم
اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وسلم
الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك كنت
تسمع لحبرته لك تحبيرا   وروى عن هيثم القاري انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال انت
الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا   وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القران   وقد كان عمر رضي الله عنه يقول لابي موسى رضي الله عنه
ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا
في صلاة اشارة الى قوله عز وجل ولذكر الله اكبر   وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل
كانت له نورا يوم القيمة   وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه
كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الريا والتصنع ٥ والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب الثالث

في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة   فهم اصل الكلام   ثم التعظيم   ثم حضور القلب   ثم التدبر
ثم التفهم   ثم التخلي عن موانع الفهم   ثم التخصيص   ثم التأثر   ثم الترقي   ثم التبري

الاول

فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه
فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلى
لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله سبحانه
الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا
ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل موسى صلى الله عليه وسلم

لما اطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله له ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فسأله الملك عن امور فاجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك ارأيت ما تاتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي يطيقون حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير التي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهر المكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة نورها التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه

الثاني التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية لتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته

وجلاله وافعاله فاذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل في التفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القرآن احدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرأ سورة ولم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاميمات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره

الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر في الباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام باية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها

ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض
العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك
بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجرا فانا اعمل مياومة ومشاهرة
ومجامعة ومسانهة الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات
الله عز وجل وذكر افعاله وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره
وذكر الجنة والنار اما صفات الله تعالى فكقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله تعالى الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها
معاني مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي بن ابي طالب رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه الناس الا ان يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم
وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين وعلم الآخرين فليثور القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله عز وجل
وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله عز وجل فكذكره
خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل
عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق تعالى رآه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه
واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا
الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل ان اعتبرت ذاته من حيث هو
الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال
بطلان محض وهذا مبتدأ من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذ اقرأ التالي قوله عز وجل افرأيتم ما تحرثون
افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار التي تورون افرأيتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني
بل يتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب
وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والقلب والكبد وغيرها ثم الى ما ظهر فيها
من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة
والكفر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى اعجب العجائب وهي الصفة التي صدرت منها هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر
الى الصنعة ويرى الصانع واما احوال الانبياء صلوات الله عليهم فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا
وقتل بعضهم فليفهم منها صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر
ذلك في ملكه واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله عز وجل وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين
كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه من ذلك استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار
في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع
وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه

بقدر رزقه ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب
فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم في القرآن
ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا
العلم ماذا قال آنفا وقال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هو الموانع التي سنذكرها من الفهم
وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد يعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى
عن العبيد السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب
اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم
يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف
باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله عز وجل فلا يزال
يحملهم على ترديد الحروف ويخيل اليهم انها لم تخرج من مخارجها فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف
فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا
لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه
ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره
موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد
حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد عنه
ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس
بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو
الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون
مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما
يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث
ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره بمناقضة تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا
في الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبتدأ ظاهر وغور باطن
وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في
كتاب قواعد العقائد ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا
مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم
حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خفت
عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدا ومعاني القرآن مثل

معنى قول الصوفية العلم الحجاب

الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا
بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكير فقال عز وجل تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب وقال عز وجل وما يتذكر الا من ينيب وقال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب والذي آثر
غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد
قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك
تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير
بالرأي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عز وجل العبد فهما في القرآن وانه لو كان
المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه **السابع** التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في
القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمأمور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل وان سمع قصص الاولين والانبياء
علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا
وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان
الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وصبرهم على الايذاء وثباتهم في
الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بل هو
شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله عز وجل الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال عز وجل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما
نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القارئ
مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال الله عز وجل واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ
قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه
كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل
اتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن
المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث
ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال الله عز وجل هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا **الثامن** التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات
فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت
الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر
العارف عن نيلها كقوله عز وجل واني لغفار ثم اتبع ذلك باربعة شروط فقال تعالى لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى وقوله عز وجل والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

ذكر اربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا
من يتصفح القرآن من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير ان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما
اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله
وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق
للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة
الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع
ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله عز وجل واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله
واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله سبحانه صاحبة وولدا يغض صوته
وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار
ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة
النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان بالدمع
فقال لي حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه صلى الله عليه وسلم بالكلية ولقد
كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرجه
عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال
عليك توكلنا واليك انبنا ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن
حاله الصبر والعزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان
حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله عز وجل وهم في غفلة معرضون وفي قوله عز وجل فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وفي قوله عز وجل ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات
وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني الا التلاوة المجردة وفي قوله عز وجل وكأين
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات
والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القرآن اذا قرأ
القرآن ناداه الله عز وجل ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا
قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها
ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد من الاستهزاء واستحقاق المقت
ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح
والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما
يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم
فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم

واذا اليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقران الذى اذا سمعته
يقراء رايت انه يخشى الله عز وجل وقال ايضا صلى الله عليه وسلم لا يسمع القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى
الله عز وجل فالقران يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمونة فى تحريك اللسان بحروفه
خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرات القرآن على شيخ لى ثم رجعت لاقراء ثانيا فانتهرنى وقال جعلت
القرآن على عملا اذهب فاقراء على الله عز وجل فانظر ماذا يامرك وماذا ينهاك ولهذا كان شغل الصحابة
فى الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن
منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والانعام
من علمائهم ولما جاء واحد من الصدر الاول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلم العلم فلما كان عند باب المسجد
سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقراء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفينى
هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فانما العزيز مثل هذه الحالة التى يمن الله
عز وجل بها على القلب عقيب فهم الاية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالى باللسان المعرض
عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله عز وجل ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة
اعمى وبقوله عز وجل كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اى تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها
فان المقصر فى الامر يقال انه نسى الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيها اللسان والعقل والقلب فحظ
اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار
فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ

التاسع

الترقى واعنى به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله
عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلثة ادناها ان يقدر العبد كانه يقراه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو
ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد
بقلبه كان ربه عز وجل يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه عند هذا التقدير الحياء والتعظيم
والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى فى الكلام المتكلم جل جلاله وفى الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا
الى قرآنه ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم عز وجل موقوف الفكر عليه كانه
مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبلها درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهى درجات
الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه فقال لقد تجلى الله لخلقه فى كلامه ولكنهم
لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال
ما زلت اردد هذه الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسدى لمعاينة قدرته ففى مثل هذه الدرجة
تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقراء القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كانى اسمعه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كانى اسمعه من جبريل عليه السلم
يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من الله عز وجل بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها
وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن

وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تصفوا فترقى الى مشاهدة المتكلم فى الكلام ولذلك قال ثابت البنانى كابدت
القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ففروا
الى الله ولقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره فى كل شئ فقد راى غيره وكلما التفت اليه العبد تضمن التفاته
شيئا من الشرك الخفى بل التوحيد الخالص ان لا يرى فى كل شئ الا الله عز وجل

العاشر

التبرى واعنى به
ان يتبراء من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضى والتزكية واذا تلى آيات الوعد والمدح للصالحين فلا
يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله عز وجل بهم واذا تلى آيات المقت
وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر يقول اللهم انى
استغفرك لظلمى وكفرى فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلى قوله عز وجل ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف
بن اسباط اذا قرات القرآن بماذا تدعوا فقال بماذا ادعوا استغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فاذا راى نفسه
بصورة التقصير فى القراءة كانت رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد فى القرب لطف به بالخوف حتى يسوقه الى
درجة اخرى فى القرب وراءها ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالامن الذى يفضيه الى درجة اخرى فى البعد اسفل
مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضى صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد
الا الله تعالى فى قرآنه انكشف له سر الملكوت وقال سليمان بن ابى سليمن الدارانى وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر
عنده فابطاء عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتنى ان تفطر عندى فاخلفت فقال له لولا
ميعادك ما اخبرتك بالذى حبسنى عنك انى لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لانى لا آمن ما يحدث من الموت
فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت لى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه
المكاشفات لا تكون الا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب
احوال المكاشف فحيث يتلوا آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه
يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله عز وجل يشتمل على
السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف
والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة
منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع
مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان
متلطف لا يهمل

الباب الرابع

فى فهم القرآن وتفسيره بالراى من غير نقل لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق فى فهم اسرار القرآن وما ينكشف
لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوا
مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف المنسوبين الى التصرف فى تاويل
كلمات القران على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير
فما معنى فهم القران سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوا

مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب
في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل
على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في القرآن
فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا
ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال
علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية
الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وقد قال بعض العلماء
لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخر القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ كل
كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا اذ لكل واحدة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله
عليه السلام الى تكريرها وقول ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وذلك لا يحصل بمجرده
تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وافعاله وصفاته
وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيلها راجع الى فهم القرآن
ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف فيه الخلائق من النظريات والمعقولات
ففي القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف تفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي
رضي الله عنه والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي على اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة
يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم
من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله عز وجل هو حبل الله المتين ونوره المبين
وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه
ولا يخلقه كثرة الترداد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف
والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك
قال فاعدت عليه ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي رضي
الله عنه من فهم القرآن فسر به جمل العلم اشار به الى ان القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال عز وجل ففهمناها سليمان وكلا
آتينا حكما وعلما فسمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم
فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى
الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر رضي الله عنه اي ارض
تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برايي الى غير ذلك مما ورد في الآثار والاخبار في النهي عن تفسير القرآن

بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به
امر آخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك
مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله
ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها
اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا
منه لترك الباقي فيتبين قطعا ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباط حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور
سبعة اقاويل فقيل الر هي حروف من الرحمن وقيل ان الالف من الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع
بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال
اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك
والرابع انه عز وجل قال لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع
وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد
ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي
واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي
والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته
وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل
فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه وهواه اي رايه هو الذي
حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا
من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله صلى الله
عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي
يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومئ الى انه
المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع
وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن
على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به وهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون
المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى وقد
يخصص باسم الراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما
يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير
فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في جملة من يفسر بالراي
فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط

اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه

بيان النهي عن الرأي

ظاهر التفسير

والغرايب التي لا تفهم الا بالسماع فنون كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم مقاصد لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد منه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله عز وجل وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله عز وجل واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله تعالى واسئل القرية التي كنا فيها والعير والاهل محذوف مضمر وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله عز وجل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم التكذيب وقوله عز وجل وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر وقوله عز وجل حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله عز وجل والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما اصابك فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اي طور سيناء سلام على آل ياسين اي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله عز وجل وقال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والموخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله عز وجل يسئلونك كانك حفي عنها اي يسئلونك عنها كانك حفي وقوله عز وجل لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفال الغنائم لك بالحق اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه الاية معناه قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم الا قول ابرهيم ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان في كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقال تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي

الامر

الامر بالعدل والاستقامة وقوله تعالى فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف في اوان الاستحقاق وقوله تعالى ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على انه لا يخلق شيء الا من شيء وقوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله عز وجل وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم والامة رجل جامع للخير يقتدى به كقوله عز وجل ان ابرهيم كان امة قانتا لله والامة الدين كقوله انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله عز وجل الى امة معدودة وقوله عز وجل وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد والروح ايضا ورد في القران لمعان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات فاثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله عز وجل فانزلنا به الماء يعني به السحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء وامثال هذا في القرآن لا ينحصر ومنها التدريج في البيان كقوله عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اذ لم يظهر به انه ليل ام نهار وبان بقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر انه اي ليلة فظهر بقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القران ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برايه مثل ان يفهم من لفظ الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال رايه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله عز وجل قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رمى الله عز وجل وكذلك قال الله عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله عز وجل سبحانه هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح علوم كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه

وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفا فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله عز وجل لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه صلى الله عليه وسلم قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضى والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجا الى الثنا فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليها وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريد بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم

بل هو استكمال له باطن التفسير عن ... ووصول الى لبابه ... لا ما يناقض الظاهر

وهو التاسع من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين

كتاب الاذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الشامل رافته العام رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال اذكروني اذكركم ورغبهم في السوال والدعا بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان والصلاة على محمد سيد انبيايه وعلى اله واصحابه خيرة اصفيايه وسلم تسليما كثيرا اما بعد فليس بعد تلاوة القرآن كتاب الله عز وجل عبادة تودى باللسان افضل من ذكر الله عز وجل ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله تعالى عز وجل فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعا وشروطه وآدابه ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسوال المغفرة او الاستعاذة او غيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر خمسة ابواب الباب الاول في فضيلة الذكر وفايدته جملة وتفصيلا الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الباب الثالث في ادعية ماثورة معزية الى اصحابها واسبابها الباب الرابع في ادعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية الماثورة الباب الخامس في الادعية الماثورة عند حدوث الحوادث ٥ ٥

الباب الاول

في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار والآثار ويدل على فضل الذكر على الجملة من الآيات قوله تعالى فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي عز وجل فاكبروا قوله وقالوا له كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال عز وجل فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اي بالليل والنهار في البحر والبر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال عز وجل في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقال عز وجل ولذكر الله اكبر قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان احدهما ان ذكر الله تعالى لكم اكبر من ذكركم اياه والاخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الايات واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضرا في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله عز وجل في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن ادم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال عليه السلام ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسيل عليه السلام اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح وامسى ولسانه رطب بذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيية وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله تعالى ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملايه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين واما الاثار فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله تعالى بين نفسك وبين الله تعالى عز وجل ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها ٥

فضيلة مجالس الذكر

قال النبي صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملايكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله عز وجل فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سياتكم حسنات

وقال صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا
كان عليهم حسرة يوم القيمة   وقال داود عليه السلام الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر
رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي   وقال النبي صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من
مجالس السوء   وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما تتراءى النجوم لاهل
الارض   وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا
الا ترين ما يصنعون فتقول له الدنيا دعهم فاذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك   وعن ابي هريرة انه دخل السوق
فقال اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق
فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم قال فماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن
القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم   وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه وابي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا
عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء الدنيا
فاذا انصرفوا عرجوا الى مواضعهم من السماء فيقول لهم جلت قدرته وهو العالم الذي لا يخفى عليه شيء اي شيء تركتم
عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله عز وجل وهل راوني فيقولون لا يا رب
فيقول الله عز وجل وكيف لو راوني فيقولون يا رب لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا ثم يقولون يا رب وجدناهم
يتعوذون فيقول لهم ومن اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تبارك وتعالى هل راوها فيقولون لا فيقول
الله عز وجل فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا ثم يقولون يا رب ووجدناهم يرغبون
ويطلبون فيقول الله عز وجل واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل راوها فيقولون لا وعزتك فيقول
تعالى فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول جل جلاله فاني اشهدكم اني قد غفرت لهم ذنوبهم
واعذتهم من النار وانعمت عليهم بالجنة فاكتبوا لهم بذلك كتابا وضعوه تحت عرشي فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما
جاء لحاجة فيقول عز وجل هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم فاكتبوه معهم

فضيلة التهليل

قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له   وقال صلى الله
عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت
له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي
ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك   وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ فاحسن
الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة
يدخل من ايها شاء   وقال صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كأني
انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله
فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما

فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك   وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض
ذنوبا لغفر الله عز وجل له ذلك   وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا
الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال صلى الله عليه وسلم هي اهدم واهدم
وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة   وقال صلى الله عليه وسلم لتدخلن الجنة
كلكم الا من ابى وشرد على الله عز وجل شراد البعير عن اهله فقيل يا رسول الله من الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا
الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى
وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة   وقال عز وجل هل جزاء الاحسان الا
الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذلك قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
احسنوا بقول لا اله الا الله والحسنى الجنة   وروى البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة   وروى عمرو
بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله
وقال عمر رضي الله عنه من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتبت له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف سيئة وبني له بيت في
الجنة   ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها
فتجلس الى جنبها   وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية ابي ايوب انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم
وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار

قال النبي صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلثا وثلثين وكبر ثلثا
وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر   وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت
خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر   وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت
ذات يدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت
وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح
تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه   وقال صلى الله عليه وسلم
اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض
فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط   وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله

عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل من ورائه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه
فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال لقد رأيت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال
صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله والله اكبر سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله
وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا
بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذين
يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه اولا يحب
احدكم ان لا يزال عند الله عز وجل يذكر به   وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأن اقول سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وقال خير من الدنيا وما فيها   وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله عز وجل اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت رواه سمرة بن جندب   وروى ابو مالك الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور
والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها   وقال ابو
هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم   وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام احب الى الله عز وجل قال
صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله عز وجل لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم   وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد
سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذلك الى آخر الكلمات
وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة   وعن ابي ذر انه
قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون
كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اوليس قد جعل الله سبحانه لكم ما تصدقون
ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة
ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة قالوا يا رسول الله يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر فقال صلى الله عليه وسلم
ارأيتم لو وضعها احدكم في حرام اكان عليه فيها وزر كذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر   وقال ابو ذر قلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم افلا
ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت من قبلك وفقت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة ثلثا وثلثين
وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين   وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لها يا معاشر النساء عليكن
بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة يوم القيامة   وقال
ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد
الخدري اذ شهدا انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله عز وجل صدق عبدي

لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدي لا اله الا انا
لا شريك لي واذا قال العبد لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يقول الله سبحانه صدق عبدي لا
حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار   وروى مصعب بن سعد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل له فكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة
فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة   وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابا
موسى اولا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم   وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل من كنوز الجنة ومن افضل ما يرفع الى العرش قول لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم فاذا قالها العبد يقول الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم   وقال صلى الله عليه وسلم من قال
حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله تعالى ان يرضيه يوم القيمة
وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه   وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا
قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين
فيقولون لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب
فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها   فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة
والقدر الذي يسمح بذكره منه في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر والقلب
لاه فهو قليل الجدوى   وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر مع الذهول عن الله تعالى
مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله عز وجل على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم
على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية   وللذكر اول وآخر فاوله يوجب
الانس وآخره يوجب الانس والحب ويصدر عنهما والمطلوب هو ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون
متكلفا لصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور
ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله
فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا
بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر
متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والمثمر مثمرا وهذا
معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا
يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا
وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى
لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف   هي النفس ما عودتها تتعود   اي ما كلفتها اولا يصير لها
طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير الله عز وجل وما سوى الله تعالى هو الذي يفارقه
عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله سبحانه فان كان قد انس

تمتع به ويلتذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات فى الحياة هى التى تصد عن ذكر الله سبحانه ولا
يبقى بعد الموت عايق فكانه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعا فيه عما به انسه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كلما يتعلق
بالدنيا فان ذلك يفنى فى حقه بالموت وكذلك اخبر جلت قدرته فقال كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت فى حقه الى ان يفنى فى نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس
يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل فى جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر الى اللقا وذلك بعد ان يبعثر ما فى القبور
ويحصل ما فى الصدور ولا ننكرن بقاء ذكر الله معه بعد الموت فتقول انه عدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه
لو يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرنا الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وبقوله صلى الله عليه وسلم ارواح
الشهداء فى حواصل طير خضر وبقوله فى حديث كعب بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم انما نفس المومن طاير تعلق
فى شجر الجنة حتى يرجعه الله عز وجل الى جسده يوم القيمة اخرجه مالك فى موطاه وبقوله صلى الله عليه وسلم
لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم باسمايهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا
فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا فسمع عمر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وانى
يجيبون وقد قتلوا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ما انتم باسمع لكلامى منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبون
والحديث فى الصحيح هذا قوله فى المشركين واما المومنين والشهدا فقد قال صلى الله عليه وسلم ارواحهم فى حواصل
طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافى ذكر الله سبحانه وقال تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ومعنى
الخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله عز وجل والقلب مستغرق بالله تعالى منقطع العلايق عن غيره فان قدر
عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا فى صف القتال فانه قطع الطمع عن
مهماته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها فى الشرع لحياته وقد هون على قلبه فقد حياته فى حب
الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك فلذلك عظم امر الشهادة وورد فيها من الفضايل ما لا يحصى
من ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصارى يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر
قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله تعالى احيا اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على
يا عبدى ما شئت اعطيكه فقال يا رب تردنى الى الدنيا حتى اقتل فيك وفى نبيك مرة اخرى فقال عز وجل سبق
القضاء منى بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقى مدة ربما عاد
اليه شهوات الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا اعظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان
القلب وان الزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو من الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا
تمثل فى آخر الحال فى قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه

عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه فى الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على
ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير
ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل واعلاء كلمته فهذه الحالة هى التى عبر عنها بان الله سبحانه اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله
الا الله فانه لا مقصد له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قايل بلسان حاله لا اله
الا الله عز وجل اذ لا مقصد له سواه ولسان الحال افصح من لسان المقال ومن قال ذلك بلسانه ولم يساعده
حاله فامره فى مشية الله عز وجل ولا يومن فى حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على ساير الاذكار وذكر
ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا
ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسال الله تعالى ان يجعلنا فى الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا
وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها محبين للقاء الله عز وجل فان من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معانى الذكر لا يمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة وبالله التوفيق

الباب الثانى

فى آداب الدعا وفضله وفضل بعض الادعية الماثورة

فضيلة الدعاء

قال الله عز وجل واذا
سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليومنوا بى وقال عز وجل ادعوا
ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما
الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين
وروى النعمن بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعا هو العبادة ثم قرا ادعونى استجب لكم
وقال عليه السلام الدعا مخ العبادة وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شى
اكرم عند الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطيه من الدعا احدى ثلثة اما ذنب يغفر له
واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر يكفى من الدعا مع البر ما يكفى مع الطعام من الملح وقال صلى
الله عليه وسلم سلوا الله تعالى من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج

آداب الدعا

الاول ان يترصد لدعايه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة وشهر رمضان من الشهور
وهى عشرة
ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون ولقول النبى صلى
الله عليه وسلم ينزل ربنا تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول عز وجل من يدعونى فاستجيب
له من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلام انما قال سوف استغفر لكم ربى
ليدعو فى وقت السحر فقيل انه قام فى وقت السحر يدعو واولاده يومنون خلفه فاوحى الله تعالى اليه انى قد غفرت
لهم وجعلتهم انبياء **الثانى** ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضى الله عنه ان ابواب السماء
تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعا فيها
وقال مجاهد ان الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال النبى صلى الله عليه وسلم

الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصايم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف
الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم
عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا احد اسباب شرف
الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع عليها البشر وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وروى ابن
عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى نهيت ان اقراء راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب
جل جلاله واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم **الثالث** ان يدعو مستقبل
القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة
واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه وروى ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احد احد
اي اقتصر على الواحدة وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما
وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه الى الدعا
لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل
بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام
عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعا او لتخطفن ابصارهم **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر
لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر
الناس ورفعوا اصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب
ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عائشة في قوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها اي بدعائك وقد اثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال عز
وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية **الخامس** ان لا يتكلف السجع في الدعا فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال
متضرع والتكلف لا يناسبه وقال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وقد قال الله عز وجل
ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات
الماثورة فانه قد يعتدي في دعايه فيسل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعا ولذلك روي عن معاذ
ابن جبل ان العلما يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلما
وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسلك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سياتي قوم يعتدون في الدعاء
والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال اعلى الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعوا

وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية
وراه وكان نعرف بركة دعايه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق
ويقال ان العلما والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد لذلك آخر سورة البقرة فان
الله عز وجل لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو التكلف من الكلام فان ذلك لا
يلايم الضراعة والذلة والا ففي الادعية الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير
متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم اسلك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود
والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات وليسل
بلسان التضرع والخشوع والرهبة من غير سجع وتكلف فان التضرع هو المحبوب عند الله تعالى **السادس**
التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وقال عز وجل تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه **السابع**
ان يجزم الدعا ويوقن بالاجابة ويصدق رجاوه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي
ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة
فان الله لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله عز وجل وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز
وجل لا يستجيب دعاء من قلب لاه اي غافل وقال سفين بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه
فان الله تعالى اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين **الثامن** ان يلح
في الدعاء ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال
ثلثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم
يستجب لي واذا دعوت فسل الله كثيرا فانك تسل كريما وقال بعضهم اني اسل الله منذ عشرين سنة حاجة
وما اجابني وانا ارجو الاجابة سالت الله عز وجل ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا
سال احدكم ربه مسئلة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شي
فليقل الحمد لله على كل حال **التاسع** ان يفتتح الدعا بذكر الله عز وجل ولا يبدا بالسوال قال سلمة
ابن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعا الا استفتحه فقال سبحان ربي العلي
الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسل الله عز وجل حاجة فليبدا بالصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يسل حاجته ثم يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يقبل
الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
سالتم الله عز وجل حاجة فابدوا بالصلاة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسل حاجتين فيقضي احداهما ويرد
الاخرى رواه ابو طالب المكي **العاشر** وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم
والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة يروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب
الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا

فخرج بهم ثلاث مرات فلم يسقوا فاوحى الله عز وجل الى موسى انى لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال
موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله عز وجل اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى
لبنى اسرائيل توبوا باجمعكم عن النميمة فتابوا فارسل الله عز وجل عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس
فى زمان ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء او لنوذينه قيل له وكيف
تقدر ان توذيه وهو فى السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له قال فارسل الله عز وجل عليهم
السماء وقال سفين الثورى بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال
وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم
ورفعتم ايديكم حتى تبلغ عنان السماء ودعوتم حتى تكل السنتكم عن الدعاء فانى لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا
حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فسقوا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس فى بنى اسرائيل قحط
فخرجوا مرارا يدعون فلم يسقوا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى بابدان نجسة وترفعون الى اكفا
قد سفكتم بها الدماء وملاتم بطونكم من الحرام الآن حين اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى الا بعدا وقال
ابو الصديق الناجى خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهى
تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنا بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا
فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعى خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم
قال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل
وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم
فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة وروى ان عيسى
صلى الله عليه وسلم خرج يستسقى فلما اضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم
ولم يبق فى المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى عليه السلام اما لك من ذنب فقال والله ما اعلم من شىء غير
انى كنت ذات يوم اصلى فمرت بى امراة فنظرت اليها بعينى هذه فلما جاوزتنى ادخلت اصبعى فى عينى فانتزعتها
واتبعت المراة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع حتى اؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا
ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغسانى اصاب الناس قحط على عهد داود النبى عليه السلام فاختاروا ثلثة من
علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت فى توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا
قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثانى اللهم انك انزلت فى توراتك ان نعتق ارقانا اللهم انا ارقاؤك
فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت فى توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك
وقد وقفنا ببابك فلا ترد دعانا قال فسقوا وقال عطاء السلمى منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا
نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر الى وقال يا عطا هذا يوم النشور او بعثر ما فى القبور فقلت لا ولكنا
منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال يا عطا بقلوب ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال
هيهات يا عطا قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهى لا تهلك بلادك

بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من الائك الا ما سقيتنا ماء غدقا تحيى به العباد وتروى
به البلاد يا من هو على كل شىء قدير قال عطا فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب
تولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا | اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا الاعين العليلة فيه | فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى | حسب الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود
عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبى فسمعته يقول الهى اخلقت الوجوه عندك
كثرة الذنوب ومساوى الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسئلك يا حليما ذا اناة
يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء
بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال ما لى اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه
غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه وروى ان عمر بن الخطاب استسقى
بالعباس رضى الله عنهما فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولن يكشف
الا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا
بالتوبة وانت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى
وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
قال فما تم كلامه حتى ارخت السماء مطرا مثل الجبال

فضيلة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى انه صلى
الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى على وجهه فقال صلى الله عليه وسلم انه جاءنى جبريل عليه السلام
فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلى عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا
سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل عبد من ذلك
او ليكثر وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان اولى الناس بى اكثرهم على صلاة وقال صلى الله عليه وسلم
بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلى على وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة
وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على من امتى كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال صلى
الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتى
وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب
وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن امتى السلام وقال صلى الله عليه وسلم
ليس احد يسلم على الا رد الله عز وجل الى روحى حتى ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلى عليك
فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على

محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد   وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بابى انت وامى يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس
عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى
بالحنين عليك لما فارقتهم بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته
فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اخبرك
بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم بابى انت وامى يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال عز وجل واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الاية بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار
يودوا ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابى انت
وامى يا رسول الله لئن كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك باعجب من البراق حين
سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابى انت وامى يا رسول الله
لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله عز وجل حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك باعجب من اصابعك حيث نبع منها
الماء صلى الله عليك بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله سبحانه احياء الموتى فما ذاك
باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لا تاكلنى فانى مسمومة بابى انت وامى يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد
وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون
بابى انت وامى يا رسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنيه وطول عمره
ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل بابى انت وامى يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم
تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا
ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى
الله عليك   وقال بعضهم كنت اكتب الحديث واصلى على النبى صلى الله عليه فيه ولا اسلم فرايت النبى صلى الله عليه وسلم
فى المنام فقال صلى الله عليه وسلم اما تتم الصلاة على فى كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت   وروى
عن ابى الحسن الشافعى انه قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله بما جزى الشافعى عنك حيث
يقول فى كتابه المسمى بالرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وسلم
جزى عنى انه لا يوقف للحساب

فضيلة الاستغفار

قال الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او
ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم   وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى
كتاب الله عز وجل آيتين ما اذنب عبد ذنبا فقراهما واستغفر الله عز وجل الا غفر الله تعالى له والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم الاية وقوله عز وجل من يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما   وقال
الله عز وجل والمستغفرين بالاسحار   وقال عز وجل فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا   وكان النبى صلى

الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك انت التواب الرحيم   وقال صلى الله عليه وسلم
من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب   وقال صلى الله عليه وسلم
انى لاستغفر الله عز وجل واتوب اليه فى اليوم سبعين مرة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر   وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة   وقال
صلى الله عليه وسلم من قال حين ياوى الى فراشه استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم ثلث مرات
غفر الله عز وجل له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا
وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث اخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف   وقال حذيفة كنت
ذرب اللسان على اهلى فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلنى لسانى النار فقال صلى الله عليه وسلم فاين انت
من الاستغفار فى اليوم مائة مرة   وقالت عايشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
الممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار   وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى
الاستغفار اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطاى
وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت
المقدم وانت المؤخر وانت على كل شىء قدير   وقال على رضى الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل منه بما شاء ان ينفعنى واذا حدثنى احد من الصحابة استحلفته فاذا حلف صدقته
ولقد حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن
الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر الله تعالى له ثم تلى قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة
الاية   وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان
تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكر الله عز وجل كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون   وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله سبحانه ليرفع الدرجة
للعبد فى الجنة فيقول يا رب انى لى هذه فيقول الله عز وجل باستغفار ولدك لك   وروت عايشة انه صلى الله
عليه وسلم قال اللهم اجعلنى من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساءوا استغفروا   وقال صلى الله عليه وسلم
اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لى فيقول الله عز وجل اذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا ياخذ بالذنب ويغفر
الذنب عبدى اعمل ما شئت فقد غفرت لك   وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين
مرة   وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى لربا يا رب اغفر لى فقال
الله عز وجل قد غفرت لك   وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله عز وجل قد اطلع عليه
غفر له وان لم يستغفر   وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا عبدى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى
اغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالى   وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت
نفسى وعملت سوءا فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه وان كانت كدبيب النمل   ويروى ان افضل
الاستغفار اللهم انت ربى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء

اليك بنعمتك علىّ وابوء على نفسى بذنبى فاغفر لى ذنوبى ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا
انت **الاثار** قال خالد بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادى الىّ المتحابون بحبى والمعلقة قلوبهم
بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة
عنهم وقال قتادة القران يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وقال
على بن ابى طالب رضى الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل له وما هى قال الاستغفار وكان يقال
ما الهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها
اقلنى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم
لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه ليكون ذنبا وكذبة ان لم يفعل ولكن ليقول اللهم اغفر لى وتب علىّ وقال
الفضيل الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير
وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله وهو لا يعلم وسمع اعرابى وهو متعلق باستار
الكعبة يقول اللهم ان استغفارى مع اصرارى للؤم وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب
الىّ بالنعم مع غناك عنى وابتغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا ادخل عظيم
جرمى فى عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب
لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعا مخلصا ان شاء الله اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه
ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك
الكريم فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علىّ فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب
والشهادة من كل ذنب اتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملاء او خلاء او سر او علانية يا حليم ويقال انه
استغفار الخضر عليه السلام

الباب الثالث

فى ادعية ماثورة ومعزية الى اسبابها وارباها مما يستحب ان يدعو به المريد صباحا ومساء وبعقب كل صلاة
فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس يعنى العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم انى اسالك
رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع
بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم اعطنى ايمانا صادقا
ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك فى الدنيا والاخرة اللهم انى اسالك الفوز عند القضاء ومنازل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم انى انزل بك حاجتى وان ضعف رائى وقصر
عملى افتقرت الى رحمتك اسالك يا قاضى الامور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرنى من عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رائى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وامنيتى من خير وعدته احدا
من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فانى ارغب اليك فيه واسالك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين
مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك

من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذى تعطف بالعز وقال به
سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى القدرة والكرم
سبحان الذى احصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى
لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا فى مخى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى
ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا واعطنى نورا واجعل لى نورا
دعاء عايشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم
انى اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت
منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
واسالك من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك
ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لى من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين
دعاء فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعينى ما اوصيك
به ان تقولى يا حى يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلنى الى نفسى طرفة عين واصلح لى شانى كله **دعاء** ابى بكر
الصديق رضى الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضى الله عنه ان يقول اللهم انى اسالك بمحمد نبيك وابرهيم
خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم
وبكل وحى اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غنى افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك
باسمك الذى انزلته على موسى صلى الله عليه وسلم واسالك باسمك الذى تثبت به ارزاق العباد واسالك باسمك
الذى وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت واسالك باسمك
الذى وضعته على الجبال فارست واسالك باسمك الذى به استقل عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد
الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل
فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقنى القرآن والعلم وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل
جسدى بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين **دعاء** بريدة الاسلمى روى ان بريدة الاسلمى
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله عز وجل به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن
اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله وسلم عليك قال قل اللهم انى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير
بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى وانى ذليل فاعزنى وانى فقير فاغننى **دعاء**
قبيصة بن المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبر سنى وعجزت عن اشياء
كنت اعملها فقال عليه السلام اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من الغم والجذام والبرص والفالج واما لاخرتك فقل اللهم اهد

من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلام اما انهن
اذا اوانی بهن عبد یوم القیمة لم یدعهن فتحت له اربعة ابواب من الجنة یدخل من ایها شاء دعاي
ابی الدرداء قیل لابی الدرداء قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله لیفعل ذلك
فقیل له ذلك ثلثا وهو یقول ما كان الله سبحانه لیفعل ذلك ثم اتاه آت فقال یا ابا الدرداء ان النار لما
دنت من دارك طفیت قال قد علمت فقیل له ما ندری ای قولیك اعجب قال انی سمعت رسول الله صلی الله
علیه وسلم یقول من قال هولاء الكلمات في لیل او نهار لم یضره شیء وقد قلتهن وهن اللهم انت ربی لا اله الا
انت علیك توكلت وانت رب العرش العظیم ولا حول ولا قوة الا بالله العلی العظیم ما شاء الله كان وما لم یشاء
لم یكن اعلم ان الله علی كل شیء قدیر وان الله قد احاط بكل شیء علما واحصی كل شیء عددا اللهم انی اعوذ بك من شر
نفسی ومن شر كل دابة انت اخذ بناصیتها ان ربی علی صراط مستقیم دعاي ابرهیم الخلیل علیه السلام كان
علیه السلام اذا اصبح یقول اللهم ان یومی هذا خلق جدید فافتحه لی بطاعتك واختمه لی بمغفرتك ورضوانك
وارزقنی فیه حسنة تقبلها منی وزكها وضعفها لی وما عملت فیه من سیئة فاغفرها لی انك غفور رحیم ودود
كریم قیل ومن دعا بهذا الدعا اذا اصبح فقد ادی شكر یومه دعاي عیسی علیه السلام كان یقول اللهم
انی اصبحت لا استطیع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بید غیری واصبحت مرتهنا بعملی
فلا فقیر افقر منی اللهم لا تشمت بی عدوی ولا تسوء بی صدیقی ولا تجعل مصیبتی في دینی ولا تجعل الدنیا اكبر
همی ولا مبلغ علمی ولا تسلط علی من لا یرحمنی دعاي للخضر علیه السلام یقال ان الخضر والیاس علیهما السلام
اذا التقیا في كل موسم لم یتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله
ما شاء الله الخیر كله بید الله ما شاء الله لا یصرف السوء الا الله فمن قالها ثلاثا اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق
معروف الكرخی قال محمد بن حسان قال لی معروف الكرخی الا اعلمك عشر كلمات خمس للدنیا وخمس للاخرة
من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالی عندهن قلت اكتبها لی قال لا ولكن اردد ها علیك كما رددها علی بكر بن
خنیس حسبی الله لدینی حسبی الله الكریم لما اهمنی حسبی الله الحلیم القوی لمن بغی علی حسبی الله الشدید لمن كادنی بسوء
حسبی الله الرحیم عند الموت حسبی الله الرؤف عند المسایلة في القبر حسبی الله الكریم عند الحساب حسبی الله اللطیف
عند المیزان حسبی الله القوی عند الصراط حسبی الله لا اله الا هو علیه توكلت وهو رب العرش العظیم وقد روی
عن ابی الدرداء انه قال من قال في كل یوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبی الله لا اله الا هو علیه توكلت وهو رب
العرش العظیم كفاه الله عز وجل ما اهمه من امر آخرته صادقا كان بها او كاذبا دعاي عتبة الغلام وقد رئی
في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم یا هادی المضلین وراحم المذنبین ومقیل عثرة العاثرین
ارحم عبدك ذا الخطر العظیم والمسلمین كلهم اجمعین واجعلنا مع الاحیاء المرزوقین الذین انعمت علیهم من النبیین
والصدیقین والشهداء والصالحین امین یا رب العالمین دعاي آدم علیه الصلاة والسلام قالت عایشة
رضی الله عنها لما اراد الله عز وجل ان یتوب علی آدم صلی الله علیه وسلم طاف بالبیت سبعا وهو یومئذ لیس
بمبنی وهی ربوة حمراء ثم قام یصلی ركعتین ثم قال اللهم انك تعلم سری وعلانیتی فاقبل معذرتی وتعلم حاجتی

والباش

فاعطنی

فاعطنی سؤلی وتعلم ما في نفسی فاغفر لی ذنوبی اللهم انی اسألك ایمانا یباشر قلبی ویقینا صادقا حتی اعلم انه لن یصیبنی
الا ما كتبته علی ورضنی بما قسمته لی فاوحی الله عز وجل الیه انی قد غفرت لك ولن یاتینی احد من ذریتك فیدعونی
بمثل الذی دعوتنی به الا غفرت له وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من بین عینیه واتجرت له من وراء
كل تاجر وجاءته الدنیا وهی راغمة وان كان لا یریدها دعاي علی رضی الله عنه رواه عن النبی صلی الله علیه وسلم
انه قال ان الله تعالی یمجد نفسه كل یوم ویقول انی انا الله رب العالمین انی انا الله لا اله الا انا الحی القیوم
انی انا الله لا اله الا انا العلی العظیم انی انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد انی انا الله لا اله الا انا العفو
الغفور مبدی كل شیء والی یعود كل شیء العزیز الحكیم الرحمن الرحیم مالك یوم الدین خالق الخیر والشر خالق الجنة
والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذی لم یتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغیب والشهادة الملك القدوس
السلام المؤمن المهیمن العزیز الجبار المتكبر الخالق البارئ الاخر المصور الكبیر المتعال المقتدر القهار الحلیم الكریم
اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفی القادر الرزاق فوق الخلق والخلیقة وذكر قبل كل كلمة انی انا الله لا اله الا انا
كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فلیقل انك انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من
الساجدین المخبتین الذین یجاورون محمدا وابرهیم وموسی وعیسی والنبیین في دار الجلال وله ثواب العابدین في السموات
والارضین دعاي ابی المعتمر وهو سلیمان التیمی وتسبیحاته روی ان یونس بن عبید رای رجلا في المنام ممن قتل
شهیدا ببلاد الروم فقال له ما افضل ما رایت ثم من الاعمال قال رایت تسبیحات ابی المعتمر من الله بمكان وهی هذه
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلی العظیم عدد ما خلق وعدد ما هو
خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضیه ومثل ذلك
واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهی رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتی یرضی واذا رضی
وعدد ما ذكره به خلقه في جمیع ما مضی وعدد ما هم ذاكروه فیما بقی في كل سنة وشهر وجمعة ویوم ولیلة
وساعة من الساعات ونفس ونسم من الابد الی الابد ابد الدنیا وابد الاخرة واكثر من ذلك لا ینقطع اوله ولا
ینفد اخره دعاي ابرهیم بن ادهم روی ابرهیم بن بشار خادمه انه كان یقول هذا الدعا في یوم الجمعة
اذا اصبح واذا امسی مرحبا بیوم المزید والصبح الجدید والكاتب والشهید یومنا هذا یوم عید اكتب لنا ما نقول
بسم الله الحمید المجید الرفیع الودود الفعال في خلقه ما یرید اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا
ومن ذنبی مستغفرا ولربوبیة الله عز وجل خاضعا ولسوی الله عز وجل في الالهیة جاحدا والی الله سبحانه فقیرا
وعلی الله متوكلا والی الله عز وجل منیبا واشهد الله وملایكته وانبیاءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو
خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شریك له وان محمدا عبده ورسوله صلی الله علیه وسلم تسلیما وان
الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكیرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة اتیة لا ریب
فیها وان الله یبعث من في القبور علی ذلك احیا وعلی ذلك اموت وعلیه ابعث ان شاء الله عز وجل اللهم انت
لا رب لی الا انت خلقتنی وانا عبدك وانا علی عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر كل ذی شر اللهم
انی ظلمت نفسی فاغفر لی ذنوبی فانه لا یغفر الذنوب الا انت واهدنی لاحسن الاخلاق فانه لا یهدی لاحسنها الا

انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك
استغفرك واتوب اليك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد
النبي وعلى اله وسلم كثيرا خاتمة كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين امين رب العالمين اللهم اوردنا
حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظماء بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ندامى
ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوبا علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما
تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت
ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان
من سبحت له الجبال باصواتها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها
وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها ونظارتها وسبحان
من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك
لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير

الباب الرابع في ادعية ماثورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب
المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعا كما سياتي في كتاب
الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في
مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم
نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا
اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسئلك العفو والعافية في ديني
ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن
يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك
ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل الحمد لله اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على
عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت وقل اللهم اعفني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات
وقل اللهم اني اسئلك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك
من غير ضرا مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة
او ذنبا لا تغفره لي اللهم اني اسئلك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسئلك شكر نعمتك وحسن عبادتك
واسئلك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسئلك من خير ما تعلم واعوذ بك من
شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت

من ذنب ؟

واسررت واعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل غيب شهيد اللهم اني اسئلك ايمانا لا يرتد ونعيما
لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلا جنة الخلد اللهم اني اسئلك الطيبات
وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسئلك حبك وحب من احبك وحب كل عمل
يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم
بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسئلك خشيتك
في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين
ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك خوفا واسكن في نفوسنا من
عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعل محبتك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم
اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره
تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته
والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه
وذريته وبارك على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد
عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك
المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا واصرفنا بحسن اختيارك
لنا نسئلك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي
انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي
ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي
انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه
وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تتقبله مني اسئلك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة
يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك وافرغ علينا صبرا وتوفنا
مسلمين رب توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا
ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا

ان مولانا فانصرنا على القوم الكافرين رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات
والمسلمين والمسلمات الاحيا منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين
وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل
انواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن
واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك
من طمع يهدي الى طبع وطمع في غير مطمع ومن طمع حين لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء
لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل
والجبن ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم
انا نسألك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسألك عزايم مغفرتك وموجبات رحمتك
والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك
من الهدم والغرق والغم والهرم واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت طلب دنيا اللهم
اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء
اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر
والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري
وشر لساني وقلبي وشر منيي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار البقاء فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك
من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق
والسمعة والريا واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام اللهم اني اعوذ بك من
زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة
النار وعذاب القبر وشر فتنة الغنا وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم
اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من شر العمر وفتنة
الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء ٥ والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب الخامس

في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن
وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى
المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي
نورا وامامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق
ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك
ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله
رب اعوذ بك من ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

التكلان

التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا
رايت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي
الفجر فقل اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره كما اوردناه عن ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت
ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان احببت فقل سبحان ربي العظيم
ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا ولك
الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد
وجهي للذي خلقه وفطره وشق سمعه وبصره وصوره فاحسن صوره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم لك سجد
سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت
يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بساير الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسألك خير هذا السوق وخير ما فيها اللهم اني
اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك
دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم انت
كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت
شيا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا
بالله واذا رايت الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله وتقول
هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر
قبل ذلك ثلاثا ثم تدعو واذا هبت الريح فقل اللهم اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به
ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون
وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا
اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند الخسران
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من
امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد

فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته واذا رايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا
تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك فانه كعب فاذا امطرت السماء فقل اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله
سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب ونقمة واذا اغضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من
الشيطان الرجيم واذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت فقل
اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل واذا طنت اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني واذا رايت
استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وان ابطأت فقل الحمد لله على كل حال واذا سمعت
اذان المغرب فقل اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعائك وحضور صلواتك اسئلك ان
تغفر لي واذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك نافذ
في قضاؤك اسئلك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استاثرت
به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله عز وجل همه وابدل مكانه فرحا فقيل يا رسول
الله افلا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد
غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جراحا وضع سبابته
على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى بها سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا
في جسدك فضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته
من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحكيم لا اله الا الله رب العرش العظيم
لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم فاذا اردت النوم فتوضا اولا ثم توسد على يمينك
مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قل اللهم اني اعوذ
برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو
حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل
شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن
شر كل دابة انت اخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس
فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انت خلقت نفسي وانت
توفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسئلك العافية
باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك وفوضت
امري اليك والجات ظهري اليك رهبة منك ورغبة اليك لا منجا ولا ملجا منك الا اليك آمنت بكتابك
الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
وليقل قبل ذلك اللهم ابعثني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك يقربني اليك
زلفى ويبعدني من سخطك بعدا اسئلك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي واذا استيقظت

من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله
والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم صلى الله عليه وسلم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك
امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسئلك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك
ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم
فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسئلك خير هذا اليوم وخير
ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله
الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم
نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال ذلك الا انه يقول امسينا ويقول مع ذلك
اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي اخذ بناصيتها
ان ربي على صراط مستقيم واذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها
وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسئلك خيره وخير ما جبل
عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما
في خير واذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله لك في اهلك ومالك اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم انما
جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغنى المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلاة
والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة **فان قلت** فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له
فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد
السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء
يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عز وجل ان لا يحمل السلاح وقد قال عز وجل خذوا حذركم وان لا
تسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء
الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر
والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت
بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله عز وجل وهو منتهى العبادات
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق ان لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل
الا عند المام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد
القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا
بالانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله
عز وجل ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب للبطر في غالب الامر فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فهذا ما اردنا
ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المرضى وغيرها فستأتي

كتاب ترتيب الاوراد وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات من كتب احياء علوم

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله تعالى على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا
ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا
ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا واصيلا وبكورا حتى اصبح
كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده
لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان
العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن
هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه
خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء
الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الانكال والاغلال والعذاب
الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض يوم
التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهايل تشمر الموفقون عن ساق الجد
وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظايف الاوراد حرصا
على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة
تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات
ويتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار الباب الثاني
في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الاول

في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها **فضيلة** الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى
اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا ان لا نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد
محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا يحصلان الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة
به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام
الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا
باستغراق اوقات الليل والنهار في وظايف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال
لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال
فان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع
بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك
تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة
الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى التدبيرات الدنيوية وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر
الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقته للطبع اذ يكون الوقت متساويا فاني يتقاومان والطبع

لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعد على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى
العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير
حساب فليستغرق اوقاته في الطاعات ومن اراد ان يترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب
في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله
منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله
فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله عليه السلام واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب
عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا
وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال وسبح بحمد ربك
حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا
وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم
فقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز من قائل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون
وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون
اي فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل
الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة
لذكر الله تعالى وقد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل
وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم
مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل ليعرف بها مقادير الاوقات فيشتغل
فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في احدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر
لا لغيره وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم انما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان اعداد الاوراد وترتيبها**
اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان
وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة ورد

من المغرب الى وقت نوم الناس وورد ان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته
وما يتعلق به فالورد الاول ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام
الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال قل اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة
بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده
الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقوله ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت
انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور
الى آخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ في كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي
به ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ورعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان
كان له به حاجة ويدخل رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج
ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا
آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح
اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء اداهما في البيت
او في المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج
من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد
به الخبر ولا يشبك بين اصابعه فيدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب
من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم
يكن صلاهما في المنزل ويشتغل بالدعاء المذكور بعده فان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة
والاحب التغليس بالجماعة فقد كان عليه السلام يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوات عامة وفي
الصبح والعشاء خاصة فان لهما زيادة فضل فقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة
بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان
جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة الفي الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة
السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني
فقال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا
في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصلون قال علي رضي الله عنه فقلت يا رسول الله انما
انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته وهو منصرف يضرب
فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم ينبغي ان يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان

تمام

تمام الصلاة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يشتغل بالفريضة فيصلي ركعتي الفرض مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة
والظاهرة في الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال صلى
الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب
وروي انه كان عليه السلام اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع
وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول انه
قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك
فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان تكون وظيفته الى طلوع الشمس اربعة انواع ادعية واذكار يكررها
في سبحة وقراءة قرآن وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم
انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن الجميل لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو
كره الكافرون ثم يبتدئ بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليه
او يختار من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها
فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثرها مائة او سبعين واوسطها عشرا
فليكررن بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان
يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل
واشد تأثيرا في القلب من كثيرها من غير مداومة ومثال القليل الدائم مثال قطرات ماء تتقاطر على الارض على
التوالي فتحدث فيها حفرة لا محالة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق مثال ماء كثير يصب دفعة او دفعات
متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشر الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح
الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة
السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله
لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو
السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد العاشرة
قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة منها عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة

تمثيل لطيف في مداومة
الاوراد

لان لكل واحد من هذه الكلمات فضلا على حيالها وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من
كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال فاما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها
وهو ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله امن الرسول وقوله شهد الله وقل اللهم مالك الملك
الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها
وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلثا من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات
العشر التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي فوصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له
ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من الشام فاهدى
لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها
ابرهيم التيمي قلت فلم تسئل ابرهيم من اعطاه قال بلى فقال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح
والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد
بياضا واطيب رائحة منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني
قال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي فقال هي
ان تقرأ قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد سبع مرات وقل اعوذ برب الناس
وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلي على النبي عليه السلام سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا
وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت
له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك
غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت
اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم
التيمي انه رأى ذات يوم في منامه كأن الملايكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف امورا عظيمة
مما رآه في الجنة قال فسألت الملايكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه
من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملايكة كل صف مثل ما بين
المشرق الى المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال
صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله
في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال
والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكباير التي عملها ويرفع
الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا
ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم
يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من

القرآن او اقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وادبه في
كتاب آداب التلاوة واما الافتكار فليكن ذلك احد وظايفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر
من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق
من تقصيره ويرتب وظايف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوايق الشاغلة له عن الخير ويتذكر
تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي
معاملته للمسلمين والفن الثاني ما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر الآية الظاهرة
والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه
ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع الفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما نستقصي
ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة امرين احدهما
زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه
ولا تنكشف عظمة الله وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجايب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن
المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة
اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص
بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضايله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف
شخص غايب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد
وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل
بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جميلة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون
هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا ما
احاط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب
ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها
انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل ما ادرك بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر
والكوكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابرهيم عليه السلام
في ترقيه وقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر رأى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب
وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك
باوايل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء
المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
الآية ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقايقها الا الكشف التابع للفكر
الصافي وقل من يفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك ايضا مما

تعز فايدته ويعظم نفعه فهذه الوظايف الاربع اعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغى ان تكون وظيفة المريد
بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربع
ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنه ليتحصن من الشيطان والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان
المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الفجر صلاة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح الى
طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يشتغلون فى هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى
الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا باس به الورد الثانى ما بين طلوع
الشمس الى ضحوة النهار واعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضى ثلث ساعات من
النهار اذا فرض النهار اثنى عشر ساعة وهو الربع وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زايدتان احداهما صلاة الضحى
وقد ذكرنا فى كتاب الصلوة ان الاولى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف
رمح ويصلى اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذى
اراده الله بقوله يسبحن بالعشى والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة
البخارات والغبارات التى على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى
اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند
الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة
فى الصلاة فهذا الوقت افضل لصلاة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهية
وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء فاسم الضحى
ينطلق على الكل وكان ركعتى الاشراق تقع فى مبداء وقت الاذن فى الصلاة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى
الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخار
الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية فى هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت
بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء
حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شىء من ذلك عاد الى الوظايف الاربع التى قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر
او الصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما ثامنا
من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب
ان يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر الورد
الثالث من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلث ساعات
امر بصلاة فاذا انقضى ثلث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلث
اخرى فالظهر فاذا مضت ثلث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع
كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفترض لانه وقت اكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم
والوظيفة فى هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور

السوق فان كان تاجرا فينبغى ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله عز
وجل فى جميع احواله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب فى كل يوم لقوته فاذا
حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة اشد والتمتع به ادوم
فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا فى ثلثة مواطن مسجد
يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه
بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا
ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثانى القيلولة
وهى سنة ليستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة ليستعين به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل
ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث
نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظايف المذكورة اذ فى النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتى على
الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائى
بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثورى كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة
فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل فهى قربة ولكن ينبغى ان ينتبه قبيل الزوال بقدر الاستعداد
للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب
واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا
فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته
وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال
بهموم الدنيا واحد معنى قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اى يخلف احدهما
الآخر فى الفضل والثانى انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات فى احدهما الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ
من صلاة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد
فمهما زالت الشمس وابتداء المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان
والاقامة فهو وقت الاظهار الذى اراده الله بقوله وحين تظهرون وليصل فى هذا الوقت اربع ركعات لا
يفصل بينهن بتسليمة وهذه الصلاة وحدها من بين ساير صلوات النهار نقل انه يصليها بتسليمة واحدة
ولكن طعن فى تلك الرواية هكذا قاله بعض العلماء ومذهب الشافعى انه يصلى مثنى مثنى كساير النوافل
يفصل بتسليمة وهو الذى صح به الاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء كما اوردنا الخبر
فيه فى باب صلاة التطوع وليقرا فيها سورة البقرة او سورتين من المئين او اربعا من المثانى فهذه ساعة
يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة بعد
اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغى ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود
ان يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرا فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر البقرة والايات التى

اوردناها فی الورد الاول لیکون ذلک جامعا له بین الدعاء والذکر والقراة والصلاة والتحمید والتسبیح مع
شرف الوقت الورد الخامس ما بعد ذلک الی العصر ویستحب فیه العکوف فی المسجد مشغولا بالذکر والصلاة
او فنون الخیر ویکون فی انتظار الصلاة معتکفا فمن فضایل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وکان ذلک سنة
السلف کان الداخل یدخل المسجد بین الظهر والعصر فیسمع للمصلین دوی کدوی النحل من التلاوة فان کان بیته
اسلم لدینه واجمع لهمه فالبیت افضل فی حقه واحیاء هذا الورد وهو ایضا وقت غفلة الناس کاحیاء الورد
الثالث فی الفضل وفی هذا الوقت یکره النوم لمن نام قبل الزوال اذ تکره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلث
یمقت الله علیها عبیده الضحک من غیر عجب والاکل من غیر جوع والنوم بالنهار من غیر سهر بالليل والحد فی النوم ان
اللیل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال فی نومه ثمانی ساعات فی اللیل والنهار جمیعا فان نام هذا
القدر باللیل فلا معنی للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستین سنة ان
ینقص من عمره عشرین سنة ومهما نام ثمانی ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولکن لما کان النوم غذا
للروح کما ان الطعام غذاء للبدن وکما ان العلم والذکر غذاء للقلب لم یمکن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا
والنقصان منه ربما یفضی الی اضطراب البدن الا ان یتعود السهر تدریجا فقد یمرن نفسه علیه من غیر
اضطراب وهذا الورد من اطول الاوراد وامتعها للعبادة وهو احد الآصال التی ذکرها الله تعالی اذ قال
ولله یسجد من فی السموات والارض طوعا وکرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله الجمادات فکیف
یجوز ان یغفل العبد العاقل عن انواع العبادات الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس
وهو الذی اقسم الله تعالی به اذ قال والعصر هذا احد معنی الآیة وهو المراد بالآصال فی احد التفسیرین
وهو العشی المذکور فی قوله وعشیا وفی قوله بالعشی والاشراق ولیس فی هذا الورد صلاة الا اربع رکعات
بین الاذانین کما سبق فی الظهر ثم یصلی الفرض ویشتغل بالاقسام الاربعة المذکورة فی الورد الاول الی ان ترتفع
الشمس الی رؤس الحیطان وتصفر والافضل فیه اذ منع من الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ یجمع ذلک معنی
الذکر والدعاء والفکر فیندرج فی هذا القسم اکثر مقاصد الاقسام الثلثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس
بان تقرب من الارض بحیث یغطی نورها الغبارات والبخارات التی علی وجه الارض ویری صفرة فی لونها فیدخل
هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الی طلوع الشمس لانه قبل الغروب کما ان ذلک قبل الطلوع وهو
المراد بقوله تعالی فسبحان الله حین تمسون وحین تصبحون وله الحمد وهو الطرف الثانی المراد بقوله واطراف
النهار قال الحسن کانوا اشد تعظیما للعشی منهم لاول النهار وقال بعض السلف کانوا یجعلون اول النهار للدنیا
وآخره للآخرة فیستحب فی هذا الوقت التسبیح والاستغفار خاصة وسایر ما ذکرناه فی الورد الاول مثل
ان یقول استغفر الله الذی لا اله الا هو الحی القیوم واسأله التوبة وسبحان الله العظیم وبحمده من قوله تعالی
واستغفر لذنبک وسبح بحمد ربک بالعشی والابکار والاستغفار بالالفاظ الواردة فی القرآن احب کقوله
استغفروا ربکم انه کان غفارا فیقول المستغفر استغفر الله انه کان توابا رب اغفر وارحم وانت خیر الراحمین فاغفر
لنا وارحمنا وانت خیر الغافرین ویستحب ان یقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها واللیل اذا یغشی والمعوذتین

ولتغرب الشمس علیه وهو فی الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال لیلک وادبار نهارک الدعا
کما سبق ثم یجیب المؤذن ویشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهی اوراد النهار فینبغی ان یلاحظ العبد
احواله ویحاسب نفسه فقد انقضی من طریقه مرحلة فهل ساوی یومه امسه فیکون مغبونا او کان شرا
منه فیکون ملعونا فقد قال صلی الله علیه وسلم لا بورک لی فی یوم لا ازداد فیه خیرا فان رای نفسه متوفرا
علی الخیر جمیع نهاره مباعدا للشر فیما عن التجشم کانت بشارة فلیشکر الله علی توفیقه وتسدیده ایاه
لطریقه وان تکن الاخری فاللیل خلفة النهار فلیعزم علی تلافی ما سبق من تفریطه فان الحسنات یذهبن السیات
ولیشکر الله علی صحة جسمه وبقاء بقیة من عمره طول لیله لیشتغل بتدارک تقصیره ولیحضر فی قلبه ان نهار
العمر له آخر تغرب فیه شمس الحیاة فلا یکون لها بعد طلوع وعند ذلک یغلق باب التدارک والاعتذار فلیس
العمر الا ایام معدودة تنقضی لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

بیان اوراد اللیل وهی خمسة

الاول اذا غربت الشمس صلی المغرب واشتغل باحیاء ما بین العشائین وآخر هذا الورد غیبوبة الشفق
اعنی الحمرة التی بغیبتها یدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالی به فقال فلا اقسم بالشفق والصلاة فیه هی ناشئة
اللیل لانها اول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذکورة فی قوله تعالی ومن آناء اللیل فسبح وهی صلاة الاوابین
وهو المراد بقوله تعالی تتجافی جنوبهم عن المضاجع روی ذلک عن الحسن واسنده الی ابن ابی الزیاد الی رسول الله
صلی الله علیه وسلم انه سئل عن هذه الآیة فقال صلی الله علیه وسلم الصلاة بین العشائین فانها تذهب بملاغاة
النهار وتهذب آخره والملاغاة جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ینام بین العشائین فقال لا یفعل فانها الساعة
المعنیة بقوله تعالی تتجافی جنوبهم عن المضاجع وسیاتی فضل احیاء ما بین العشائین فی الباب الثانی وترتیب
هذا الورد ان یصلی بعد المغرب رکعتین اولا یقرأ فیهما قل یا ایها الکافرون وقل هو الله احد ویصلیهما عقیب
المغرب من غیر تخلل کلام ولا شغل ثم یصلی اربعا یطیلها ثم یصلی الی غیبوبة الشفق ما تیسر له فان کان المسجد
قریبا من المنزل فلا باس ان یصلیها فی بیته ان لم یکن عزمه العکوف فی المسجد وان عزم علی العکوف فی انتظار
العتمة فهو الافضل اذا کان آمنا من التصنع والریاء

الورد الثانی یدخل بدخول وقت العشاء
الآخرة الی حد نومة الناس وهو اول استحکام الظلام وقد اقسم الله تعالی به اذ قال واللیل وما وسق ای وما
جمع من ظلمته وقال الی غسق اللیل فهناک یغسق اللیل ویستوسق ظلمته وترتیب هذا الورد بمراعاة ثلثة
امور الاول ان یصلی سوی فرض العشاء عشر رکعات اربعا قبل الفرض احیاء لما بین الاذانین وستة بعد الفرض رکعتین
ثم اربعا ویقرأ فیها من القرآن الآیات المخصوصة کآخر البقرة وآیة الکرسی واول الحدید وغیرها الثانی ان یصلی
ثلثة عشر رکعة آخرهن الوتر فانه اکثر ما روی انه علیه السلام صلی به من اللیل والاکیاس یاخذون اوقاتهم من
اول اللیل والاقویاء من آخره والحزم التقدیم فانه ربما لا یستیقظ او یثقل علیه القیام الا اذا صار ذلک عادة
له فآخر اللیل افضل ثم لیقرأ فی هذه الصلاة قدر ثلثمایة آیة من السور المخصوصة التی کان صلی الله علیه وسلم
یکثر قراءتها مثل یس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارک الملک والزمر والواقعة فان لم یصل فلا یدع قراءة
هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روی فی ثلثة احادیث ما کان یقرأه رسول الله صلی الله علیه وسلم

في كل ليلة اشهرها الم السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرأ المسبحات
في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلماء يجعلونها ستا ويزيدون سبح اسم ربك اذ في الخبر
انه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرأ في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك
الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات   الثالث الوتر ويوتر
قبل النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر
وان كان معتادا الصلاة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح
فاوتر بركعة وقالت عائشة اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره الى
السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلثة انحاء ان شئت وترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني
انه يصير وترا بما مضى وان شئت وترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل
وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس بهما واما نقض
الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلام قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في
استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت والهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد
وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التنزيه وافراد العبادة لله فقيل ان استيقظ قاما مقام ركعة واحدة
وكان له ان يوتر في آخر صلاته فكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي
وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا
ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وليطل وتر الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير شافع ان نام فيه نظر الا
ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما
وتر بمعناهما فيحسب وترا ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد السلام من الوتر ان يقول سبحان الملك
القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت
وروي انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنائم
نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما   **الورد الثالث**   النوم ولا باس ان نعد ذلك في
الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا
حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على
الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار
في النوم ولذلك قال عليه السلام نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام
الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيئا واتفوق القرآن فيه تفوقا وقال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب
في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك   **اداب النوم عشرة**
الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه

الى العرش

الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام
لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب
الثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما ينتبه يستاك كذلك
كان يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة
وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فيستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل
القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل قال صلى الله عليه
وسلم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة
عليه من الله   الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم يقال
ان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام في البرزخ الى يوم القيمة يتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم
فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفيف
الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم   الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين
لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وسلم من آوى الى فراشه لا ينوي
ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم   الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد
فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا
ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك
نفسه فليقتصد   السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة
على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا نعس احدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه
وكان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي
بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم
فليرقد وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان
فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني
فقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك عبادة الله   السابع ان
ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان
يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة
بدنه اذا نام على الشق الايمن   الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك ارفعه
الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي
وآخر البقرة وغيرها ويقرأ والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله لقوم يعقلون يقال ان من قراها

عند المنام لحفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الاية ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض واخر بنى اسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل لحفظه يستغفر له ويقرأ
المعوذتين وينفث بهما فى يديه ويمسح بهما وجهه وساير جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عم
وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل وكان على رضى الله عنه
يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين
مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربعة ماية مرة   التاسع
ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت
فى منامها فسماه توفيا وكما ان المتيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله فى النوم فكذلك المبعوث يرى
ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال
لقمان لابنه يا بنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك فى البعث فلا
تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك
الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول
حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت فى ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش
العظيم ربنا ورب كل شىء ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه فى الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه
انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقايه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه
ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب   العاشر الدعا عند التنبه فليقل فى تيقظاته
وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما
بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ
ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها علامة
تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد
لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ **الورد الرابع**
يدخل بمضى النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد
يختص بما بعد الهجوع والهجود وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط
النهار وبه اقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى اى اذا سكن وسكونه وهدوه فى هذا الوقت فلا تبقى عين
الا نايمة سوى الحى القيوم الذى لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام الهى انى احب ان
اتعبد لك فاى وقت افضل فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره
ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى واخلو بك وارفع الى حوايجك   وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى الليل افضل فقال نصف الليل الغابر اى الباقى وفى آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز

العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا الى غير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد
انه بعد الفراغ من الادعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وادعيته وآدابه ثم يتوجه الى
مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا
وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة
وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت
نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك
الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق
والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت
واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت
المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اهدنى لاحسن الاعمال لا يهدى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا انت
اسألك مسألة البايس المسكين وادعوك دعاء المضطر الذليل فلا تجعلنى بدعايك رب شقيا وكن بى
رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين وقالت عايشة رضى الله عنها كان عليه السلام اذا قام من الليل
افتتح صلاته قال اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى
صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلى ركعتين خفيفتين ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر
ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بماية تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه
للصلاة وقد صح فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين
طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلث عشر ركعة وسئلت عايشة رضى
الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال
عليه السلام صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلاة المغرب وترت صلاة النهار
فاوتروا صلاة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل ثلث عشرة ركعة ويقرأ
فى هذه الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو فى حكم هذا الورد الى قريب من
السدس الاخير من الليل **الورد الخامس** السدس الاخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى
وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذى هو وقت انصراف ملايكة
الليل واقبال ملايكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدردا ليلة زاره فى حديث طويل قال
فى آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدردا ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام
فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك
حقا فاعط كل ذى حق حقه وذلك ان امرأة ابى الدردا اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبى صلى

والنشور حق

الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند
خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت اوراد الليل ودخل اوراد
النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو
الى آخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع
الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا
واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب
الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت
وعيادة المريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق
بعضها وعجز عن الاخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او
بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر من كان عندها
بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا لا يستحبون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن
آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف
صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق واماطتك الاذى
صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او تجمعن لك ذلك والله اعلم

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم
واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول** العابد وهو المتجرد للعبادة
الله تعالى الذي لا شغل له غيرها اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان
تختلف وظائفه بان يستغرق اكثر الازمان اما في الصلاة او في القراءة او في التسبيحات فقد كان من الصحابة
من ورده في اليوم اثنا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة
والى الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده
القرآن فكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر
في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين
اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع
ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وخمسمائة وعشرة فراسخ **فان قلت** فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات
من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل
يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر

المريد الى قلبه فما يراه اشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك يرى الاصوب
لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب
على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان
سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم
عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع
صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت
فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او
يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار
سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه
المريد ووجد في قلبه له وقعا فليلازمه واياما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه **الثاني**
العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابد فانه
يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات
فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم
في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمل ما قاله الله تعالى وقال رسوله عليه السلام وفيه
منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها
لكان سعيه ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا
او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم
التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق
الاوقات ايضا في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار
والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد
علما لاجل الآخرة فان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد
الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر
للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل او طهارة او مكتوبة او قيلولة خفيفة ان طال النهار ومن
العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب
يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل
القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع
بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فالمطالعة والكتبة بعد العصر ربما اضرت بالعين وعند
الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما
الليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب

العلم وهو الاول وثلث للصلاة وهو الاوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء
والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد العالم **الثالث**
المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكنه
يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف
ويرتب اوقاته كما ذكرناه وكلما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم
يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ
افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث ابي
ذر ان حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى
الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر
وقال كعب الاحبار لو ان ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي
سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة
فاذا سمع العلم خاف واسترجع على ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء
فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة
في قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات
على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه
فقالت ما تسل عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذاك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما
يحل عن القلب من عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات
كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا **الرابع** المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال
ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي
ان لا ينسى الله في صناعته فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل
وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا ان يكون ناظورا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ
عن كفايته فينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل
من سائر الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فائدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه
النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله تعالى ثم تحصل بها فائدة الغير وتنجذب اليه بركات دعوات المسلمين
فيتضاعف به الاجر **الخامس** الوالي مثل الامام او القاضي او المتولي لنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات
المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس
نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم
فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي فقد فهمت مما ذكرناه انه يقدم على العبادات
البدنية امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه

وعبادة ويفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه **السادس** الموحد
المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من
غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها
بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع
ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء جميع احوالهم
تصلح ان تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال تعالى لعلكم تذكرون
ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب
الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف
عباداته فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا
تستفزه عظائم الاشغال واني يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع
ما ذكرناه طرق الى الله تعالى قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون
وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان ثلث وثلثون وثلثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة
وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلثة عشر خلقا بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك للطريق
الى الله تعالى فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به لابد وان
يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منها تغيير
صفات الباطن وآحاد الاعمال يقل آثارها بل على الحقيقة لا يحس لها باثر وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب
العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه الذي يريد ان
يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم
عاد وبالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة
لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عائشة
رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر
تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في
المسجد كيلا يقتدى به روت ذلك عائشة وام سلمة **فان قلت** فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع
ان الوقت وقت كراهية **فاعلم** ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهة من الاحتراز عن التشبه
بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتصور
في حقه فلا يقاس عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين
وكيفية قسمة الليل **فضيلة احياء ما بين العشائين** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت
عايشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة
الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي
لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة
وروت ام سلمة عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت
له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قرآن كان حقا
على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما ماية عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل
الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة
فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال له رسول الله اكثر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين
ذلك من امر الدنيا ويقراء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر ايات من اول سورة البقرة وآيتين من
وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو
الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قراء فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين
بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات
الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن
وبره وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيئا اعمله في ليلة قال اذا صليت المغرب فقم الى الصلاة العشاء
مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم من كل ركعتين واقراء في كل ركعة فاتحة
الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين
واقراء فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله
سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستوجالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال
والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا
الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك
وصل على محمد صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني
ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعا واوحي اليه به وكنت
عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعا ومداومة الصلاة من داوم عليها

نحن بقين وصدق نية راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل
ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى فيها الانبيا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه
وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيدة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشا
وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشا فذلك صلاة الاوابين وقال الاسود ما اتيت
ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليها
ويقول هي ناشية الليل ويقول فيه نزل قوله تتجافى جنوبهم وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان
الداراني اصوم النهار واتعشى بين المغرب والعشا احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع
بينهما فقلت ان لم يتيسر قال افطر وصل ما بينهما **فضيلة قيام الليل**
اما من الآيات فقوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الآية وقوله ان ناشية الليل هي
اشد وطاء وقوله تعالى تتجافى جنوبهم وقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل الاية وقوله تعالى والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر
عليه على مجاهدة النفس ومن الاخبار قال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا
هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان
توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وفي
خبر انه ذكر عند النبي عليه الصلاة والسلام رجل نام كل الليل حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه
وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه
بالشر واذا اذره نام الليل كله حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل
الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتها عليهم وفي الصحيح عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية يسال
الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تفطرت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من
معناه انه كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى
الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد
رضى ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكون نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل
الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله
تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرء تكون له
صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال عليه الصلاة والسلم
لابي ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيمة الا انبئك يا ابا ذر ما ينفعك ذلك اليوم

قال بلى بابى وامى فالصم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة
لعظايم الامور وتصدق بصدقة على مسكين وكلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وروى انه كان على عهد
النبى صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العيون قام يصلى ويقرا القرآن ويقول
يارب النار اجرنى منها فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فآذنونى فاتاه فاستمع فلما
اصبح قال يا فلان هلا سالت الجنة قال يا رسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذلك فلم يلبث الا يسيرا
حتى نزل جبريل فقال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة   ويروى ان جبريل قال للنبى صلى
الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فاخبره النبى عليه السلام بذلك فكان يداوم بعد
على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعود لصلاته ثم يقول يا
نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد فيستغفر الله حتى يطلع الفجر   وقال على بن ابى الحسن شبع يحيى بن زكريا
عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك
من دارى ام وجدت جوارا خيرا من جوارى فوعزتى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك
ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع
ولبست الحديد بعد المسوح   وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالليل فاذا اصبح سرق
فقال سينهاه ما تقول   وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت
فان ابت نضح فى وجهها الماء ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى
نضحت فى وجهه الماء   وقال عليه السلام من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات   وقال عليه السلام افضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل   وقال
عمر رضى الله عنه قال عليه السلام من نام عن حزبه او عن شىء منه بالليل فقراه بين صلاة الفجر والظهر كتب
له كانما قراه من الليل   الاثار   يروى ان عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية فى ورده بالليل فيسقط
حتى يعاد منها اياما كثيرة كما يعاد المريض   وكان ابن مسعود اذا هدات العيون قام فيسمع له دوى كدوى
النحل حتى يصبح   ويقال ان سفيان الثورى شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك
الليلة حتى اصبح   وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة فى المقلى ثم يثب ويصلى
الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين   وقال الحسين ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة
هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها قال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره
وقدم بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعده على فراش ابدا
وكان عبد العزيز بن ابى رواد اذا جن عليه الليل ياتى فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله ان فى
الجنة الين منك ولا يزال يصلى الليل كله   وقال الفضيل انى لاستقبل الليل من اوله فيهولنى طوله
فافتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتى   وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل   وقال
الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك   وكان صلة بن اشيم

يصلى الليل كله فاذا كان فى السحر كان يقول الهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن اجرنى برحمتك من النار   وقال رجل
لبعض الحكماء انى لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخى لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل   وكان للحسن بن صالح
جارية فباعها من قوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا
اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا الا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاى بعتنى
من قوم لا يصلون بالليل ردنى فردها   وقال الربيع نمت فى منزل الشافعى ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل
الا يسيرا   وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيى
نصف الليل فمر بقوم فسمعهم وهم يقولون ان هذا يحيى الليل كله فقال انى استحيى ان اوصف بما لا افعل فكان
بعد ذلك يحيى الليل كله   ويروى انه ما كان له فراش بالليل   ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الاية
ليلته حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الآية   وقال
المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضا بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة
فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاى الرجلين مالك واى
الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر   وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فاذا انا
فى المنام بجارية كاحسن ما يكون وفى يدها رقعة فقالت لى اتحسن ان تقرا فقلت نعم فدفعت الى الرقعة فاذا فيها

االهتك اللذايذ والامانى   عن البيض الاوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيها   وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا   من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق فما بات ليلة الا ساجدا   ويروى عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت فى
المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت الحوراء فقلت زوجينى نفسك فقالت
اخطبنى الى سيدى وامهرنى فقلت وما مهرك قالت طول التهجد   وقال يوسف بن مهران بلغنى ان تحت
العرش ملكا فى صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب
بجناحه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا
مضى ثلثا الليل ضرب وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم   ويقال
ان وهب بن منبه اليمانى ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى فى بيتى شيطانا احب
الى من ان ارى وسادة لانها تدعوا الى النوم وكانت له مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها
وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام   وقال بعضهم رايت رب العزة فى النوم فسمعته يقول وعزتى وجلالى
لاكرمن مثوى سليمان التيمى فانه صلى لى الغداة بوضوء العشاء الآخرة اربعين سنة   ويقال كان مذهبه ان
النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء   وروى عن الله تعالى انه قال ان عبدى الذى هو عبدى حقا الذى
لا ينتظر بقيامه صياح الديك

بيان الاسباب التى بها يتيسر قيام الليل

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظا

فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثانى ان لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على القيام بالليل الرابع ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسى القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد انى ابيت معافا واحب قيام الليل واعد طهورى فما بالى لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم فيقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذلك الذنب فقال رايت رجلا يبكى فقلت فى نفسى هذا مرآى وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى فقلت له اتاك نعى بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يولمك فقال اشد فقلت فما ذاك قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم اقرا حزبى البارحة وما ذاك الا لذنب احدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الدارانى لا يفوت احدا صلاة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة فى اللغة هو البعد والمحتلم مبعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اى شئ تفطر فان العبد ليأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام وتوثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يوثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له وكذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين بدينور بقيت سجانا نيفا وثلثين سنة اسئل عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا فهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربع الاول سلامة القلب عن الحقد على احد من المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر فى صلاته الا فى مهماته ولا يجول الا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنائم الثانى خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر فى اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفى فاذا ذكرت الجنة اشتد شوقى فما اقدر ان انام ولذى النون المصرى فيه

منع القران بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها ان تهجعا

فهموا عن الملك الجليل كلامه ... فرقابهم ذلت لكيما تخضعا

وانشدوا

يا طويل الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات

ان فى القران ان نزلت اليه ... لرقادا يطول بعد الممات

ومهادا ممهدا لك فيه ... بذنوب عملت او حسنات

امنت البيات من ملك الـ ... ـموت وكم نال آمنا بالبيات

الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان كما حكى ان بعض الصالحين رجع من غزوته وامراته كانت تنتظر مرآته تلك الليلة فدخل المسجد فلم يزل يصلى حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح فقال والله انى كنت اتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان لانه فى قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغى ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل فاما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليلته فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى امر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم انه وان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له ايضا لذة فى عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على خاطره فى اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء انعامه والرجاء فى حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال آخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقنى الى الفجر ومرة يقطعنى عن الفجر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحى به قط وقال على بن بكار منذ اربعين سنة ما احزننى شئ سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال ابو سليمان اهل الليل فى ليلهم الذ من اهل اللهو فى لهوهم

ولولا الليل ما احببت البقا فى الدنيا وقال ايضا او عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه
من اللذة لكان ذلك اكثر من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من ثواب اعمالهم وقال
بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق فى خلوتهم بالليل من حلاوة
المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليس من الدنيا انما هى من الجنة اظهرها الله تعالى لاوليائه لا
يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة
فى جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المستيقظين فيملاها انوارا فترد الفوائد
على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان
الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى واحبهم ويشتاقون الى واشتاق اليهم
ويذكرونى واذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك
قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما
تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم ٥
وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك ٥
بعينى ما يتحملون من اجلى وبسمعى ما يشكون من حبى اول ما اعطيهم اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما
اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل
بوجهى عليهم افترى من اقبلت بوجهى عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد
يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون ما يجدون فى قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب
الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق سيأتى الاشارة اليه فى كتاب المحبة ان شاء الله تعالى وفى الاخبار
عن الله سبحانه وتعالى اى عبدى انا الله الذى اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نورى وشكى بعض المريدين
الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال استاذه يا بنى ان لله نفحات فى الليل
والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطى القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتنى
لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع
الشواغل وفى الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها
عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه وفى رواية اخرى يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا
اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر
فى رمضان وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل

اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب احياء كل الليل وهذا شأن
الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا
بطول القيام وردوا المنام الى النهار فى وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا

يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكى ان ذلك محكى على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان
فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب
ابن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الدارانى
وعلى بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلمانى
الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن ابى ثابت ويحيى البكاء البصريون
وكهمس بن المنهال وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو
حازم ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم

المرتبة الثانية

ان يقوم نصف الليل وهذا لا
يحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه
حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الافضل

المرتبة الثالثة

ان يقوم ثلث الليل فينبغى
ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا
يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه
وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا
منهن والا اضطجع فى مصلاه حتى ياتيه بلال فيوذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر الاعلى الا نائما
حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبيل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة
والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد
النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود صلوات الله عليه

المرتبة الرابعة

ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون فى النصف الاخير وقيل السدس الاخير
منه

المرتبة الخامسة

ان لا يراعى التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبى يوحى اليه او لمن يعرف المنازل
للقمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب ذلك فى ليالى الغيم ولكنه يقوم من اول النهار
الى ان يغلبه النوم فينام فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له فى الليل نومتان
وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول
هى اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عينى فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه ٥
يختلف ذلك فى الليالى ودل عليه قوله تعالى فى الموضعين من سورة المزمل بقوله ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثى الليل كانه نصفه ونصف سدسه
فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف
الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ
يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى عن غير واحد انه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

في السحر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك حتى
بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع
حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة

المرتبة السادسة

وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل
القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في
الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليتخير المريد لنفسه ما يراه ايسر عليه وحيث
يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء
ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نايما ويقوم بطرفي الليل فهذه هي المرتبة السابعة ومهما
كان النظر الى المقدار فرتب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في الرتبة الخامسة والسابعة
لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون
ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

بيان الليالي والايام الفاضلة

اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتاكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي
ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل
المريد عن فضايل الاوقات لم ينجح فسبعة من هذه الليالي في شهر رمضان ستة هي اوتار العشر الاخير اذ فيها
تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه
كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر واما الثمان الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشورا
واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة ماثورة
فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات ماية سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرا
في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر ماية مرة ويستغفر الله ماية مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ماية مرة
ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صايما فان الله يستجيب دعاه كله الا ان يدعو في معصية
واما ليلة النصف من شعبان فيها ماية ركعة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات
كانوا لا يتركون ذلك كما اوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب
مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشورا ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم روى ابو هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم
الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليهما وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وفيه كانت وقعة
بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة
والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم

يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلما من اخذ مهناه في الايام
الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشورا ومن فواضل
الايام في الاسبوع الخميس والاثنان ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل الاشهر والايام
للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله الموفق للصواب تم كتاب ترتيب الاوراد وهو آخر
الربع الاول ربع العبادات ويتلوه كتاب آداب الاكل وهو الاول من ربع العادات والحمد لله رب العالمين

تاليف سيدنا ومولانا شيخ الاسلام حجة الانام المحقق المدقق ذو الفنون
العديدة والتصانيف المفيدة ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونور ضريحه ورحم اصوله وفروعه واعاد
علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه ونفحاته
وخلواته وجلواته في الدين والدنيا والآخرة
امين وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء
في سلخ شهر شعبان المكرم
من شهور سنة سبع
وسبعين وتسع
ماية

ربع العادات
٢

كتاب آداب الأكل

الحمد لله الذي احسن تدبير الكاينات بخلق الارض والسموات ۰ وانزل الماء الفرات من المعصرات وانشا الحب والنبات ۰ وقدر الارزاق والاقوات ۰ وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات ۰ والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى اله واصحابه صلاة تتوالى على ممر الاوقات ۰ وتتضاعف على تعاقب الساعات وسلم كثيرا **اما بعد** فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله سبحانه في دار الثواب ولا وصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها قدر الحاجة على تكرار الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القايلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ۰ فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى فيسترسل في الاكل استرسال البهايم في المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التي تزم العبد بزمامها وتلجم المتقي بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فتصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل المومن ليوجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه ادابه ووظايفه وها نحن نرشد الى وظايف الدين في الاكل ونوضح فرايضها وسننها واداتها ومروآتها وهياتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها ۰ الباب الاول فيما لا بد للآكل في مراعاته وان انفرد بالاكل ۰ الباب الثاني فيما يزيد من الاداب بسبب الاجتماع على الاكل الباب الثالث فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزايرين الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة واشباهها

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه

وهو ثلثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه **الاول** ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله عز وجل باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال

فقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية فالاصل في الطعام كونه طيبا حلالا وهو من الفرايض واصول الدين **الثاني** غسل اليدين قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة **الثالث** ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المايدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع وان لم يكن فعلى السفرة فانه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الاخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة فقيل فعلى ماذا كنتم تاكلون قال على السفر وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموايد والمناخل والاشنان والشبع ۰ واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على الموايد منهي عنه نهي كراهية او تحريم اذ لم يثبت فيه نهي وما يقال من انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع بعده منهيا عنه بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المايدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه ۰ والاربع الذي جمعت في انها مبتدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين بامور هي اهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما المايدة فتيسير للاكل وهو ايضا مباح واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فليدرك التفرقة بين هذه المبتدعات **الرابع** ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكيا انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكيا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل نايما ومتكيا الا ما يتنقل به من الحبوب **وروي** ان عليا كرم الله وجهه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه على وجهه والعرب تفعله **الخامس** ان ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التنعم والتلذذ بالاكل قال ابرهيم بن شيبان منذ ثلثين سنة ما اكلت شيا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشره وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جايع

فيكون الجوع احدهما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغى ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن
الطبيب وسياتى فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج فى التقليل منه فى كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات

السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار
الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوى على
العبادة فهو خير كثير لا ينبغى ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة ولو حضر وقتها اذا كان الوقت متسعا
قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء • وكان ابن عمر ربما سمع قراءة الامام
وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن فى تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم
الصلاة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلاة وكان فى التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امر المصلى فتقديمه
احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام
الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا **السابع** ان يجتهد فى تكثير الايدى على الطعام ولو من اهله وولده قال
صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه • وقال انس كان صلى الله عليه وسلم لا ياكل وحده

القسم الثانى فى آداب حالة الاكل

وهو ان يبدا باسم الله فى اوله وبالحمد فى آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره
عن ذكر الله ويقول مع اللقمة بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به
ليذكر غيره وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها فلا يمد اليد الى
الاخرى فان ذلك عجلة فى الاكل وان لا يذم ماكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا كان ان اعجبه اكله
والا تركه • وان ياكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده فيه قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك
ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له فى ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا • وان لا ياكل من ذروة القصعة
ولا من وسط الطعام بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر ولا يقطع بالسكين ولا يقطع
اللحم ايضا فقد نهى عنه وقال انهسوه نهسا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به قال
صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء • ولا يمسح يده بالخبز ولا يانف عن
اكل ما سقط من طعامه • قال صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها وليمط ما كان بها من الاذى
ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدرى فى اى طعامه البركة ولا ينفخ
فى الطعام الحار فهو منهى عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله • وياكل من التمر وترا سبعا او تسعا او احدى عشر
تمرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا يجمعه فى كفه بل يضعه من فيه على
ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ما له عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه فى القصعة
بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فياكله ولا يكثر الشرب فى اثناء الطعام الا اذا غص باللقمة
او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب فى الطب وانه دباغ المعدة **واما الشرب**
فادبه ان ياخذ الكوز بيده اليمنى ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا

الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب • ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فانه صلى الله عليه
وسلم نهى عن الشرب قائما • وروى انه صلى الله عليه وسلم شرب قائما مرة ولعله كان لعذر ويراعى
اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر فى الكوز قبل الشرب ولا يتنفس فى الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد
ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعدما شرب الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم
يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا • واذا ادار الكوز او غيره على قوم فيدار يمنة • شرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبنا وابو بكر عن شماله واعرابى عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابى وقال
الايمن فالايمن • ويشرب فى ثلاثة انفاس يحمد الله فى اواخرها ويسمى الله فى اوائلها ويقول فى آخر النفس الاول
الحمد لله وفى الثانى يزيد رب العالمين وفى الثالث الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا فى حالة الاكل والشرب
دل عليه الآثار والاخبار

القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

وهو ان يمسك قبل الشبع
ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الخبز والطعام قال صلى الله عليه وسلم من اكل ما يسقط
من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده • ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول
اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت • وان يلعق القصعة
يقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين • وان يشكر الله تعالى
بقلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا نعمة الله • ومهما اكل حلالا
قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل
الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك • ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم
عن المائدة حتى ترفع اولا فان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا
وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين • فان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم
الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التى
تعرض لها بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به • وليس من ياكل ويبكى كمن ياكل ويلهو وليقل اذا
اكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه • وان اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك
الدعاء مما خصص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذى
اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شىء ولا يكفى منه شىء اطعمت من جوع وآمنت من خوف
فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه
كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا واجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين
به على معاصيك • واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث
من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يعم غسل الفم باصبعيه ويدلك ظاهر
اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الاشنان اليابس اصابعه
ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله ه والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهو سبعة

الاول ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرابوا للاكل واجتمعوا له **الثاني** ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلموا بالمعروف ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها **الثالث** ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد ان ياكل زيادة على ما ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا ياكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك واستاذنهم فان قلل رفيقه الاكل نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شيء ثلثا لم يراجع بعد ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلام ثلثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام اهون من ان يحلف عليه **الرابع** ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادبا احسن الاكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى تفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤونة القول ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به فهو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحيا وزيادة النشاط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم الي من يحوجني الى تعهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله **الخامس** ان غسل اليد في الطست لا باس به وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست اليه غيره اكراما فليقبله ولا يرده اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله تعالى وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معوية اتدري من صب على يدك قال لا قال صبه امير المؤمنين قال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل الايدي في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا يرفع طست من بين يدي قوم الا مملوء ولا تتشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب على اليد الماء كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال

احدهما لا بد ان يكون قائما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطست اذا سبعة آداب ان لا يبزق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقدم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في اول نزوله عليه وقال لا يرعك ما رايت مني فخدمة الضيف فرض **السادس** ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد يده ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم وان امتنع لسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم **السابع** ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات ه والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين

تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله عز وجل يستحيي ان يساله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يدي اضيافه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لناكل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل الاكل وحده وفي الخبر ثلاث لا يحاسب العبد عليها اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القران ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلام اذا اتاكم الزائر فاكرموه وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من اطعم الطعام وقال صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه

حتى يرويه يقدمه الله تعالى من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ● واما ادابه فبعضها في الدخول
وبعضها في تقديم الطعام ● الاول الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم
وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة وقد نهى عنه قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه ● وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما
ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم
انهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل واما
اذا كان جايعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت اكله فلا باس به ● قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل ابي الهيثم بن التيهان وابي ايوب الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا
والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله
المسعودي له ثلثماية وستون صديقا يدور عليهم في السنة ● ولاخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولاخر سبعة يدور
عليهم في الجمعة وكان اخوانهم معلومهم وبدلا عن كسبهم وكان قيامهم اوليك بهم على قصد التبرك عبادة لهم وان
دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه اذ المراد
من الاذن الرضا لا سيما في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه
مكروه ورب غايب لم ياذن فاكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ● ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
دار بريرة واكل من طعامها وهي غايبة وكان الطعام من الصدقة فقال صلى الله عليه وسلم بلغت الصدقة محلها
وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استيذان اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلا بد
من الاستيذان اولا ثم الدخول ● وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن
فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا ● وروي عن الحسن انه كان قائما ياكل من متاع بقال ياخذ
من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فقال له هشام ما بدا لك يا با سعيد في الورع تاكل متاع الرجل بغير
اذنه فقال يا لكع اتل علي اية الاكل فتلى الى قوله تعالى او صديقكم فقال فمن الصديق يا با سعيد فقال من
استروحت اليه النفس واطمان اليه القلب ● وجاء قوم الى منزل سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب
وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فقال ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا ● وزار قوم بعض
التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر
قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له
قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال يا اخي ان عادوا فعد فهذه اداب الدخول ● واما اداب
التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر فان لم يحضره شي ولم يملك شيا فلا يستقرض لاجل ذلك فيشوش
على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدمه ● ودخل بعضهم
على زاهد وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين لاطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم
اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة ● وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس

بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني فاني
لا اتكلف له انما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف
فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلنا ما لا تجري العادة به فاما ان تقطع هذا
التكلف او اقطع المجي فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ● ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف
بعياله ويؤذي قلوبهم ● وروي ان رجلا دعا عليا كرم الله وجهه فقال اجيبك على ثلث شرايط لا تدخل من
السوق شيا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال ● وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيا فلا يترك نوعا
الا ويحضر شيا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف
لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر ● وقال سلمان امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا ● وفي حديث يونس
النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله تعالى
لعن المتكلفين لتكلفت لكم ● وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة
وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه

الادب الثاني

وهو للزاير ان لا يقترح ولا يتحكم بشي بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه
بين طعامين فليتخير ايسرهما عليه كذلك السنة ● وفي الخبر انه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما ● وروى الاعمش عن ابي وايل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا
خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته واخذ سعترا
فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا
اذا توهم تعذر ذلك على اخيه او كراهته له فان علم انه يسر باقتراحه ويتيسر ذلك عليه فلا يكره الاقتراح فعل
الشافعي ذلك مع الزعفراني اذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان
ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق بها لونا اخر بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون
انكر وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق
الجارية سرورا باقتراح الشافعي ذلك عليه وقال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واخذ يجعل نصفه
في القدح فقلت ايش هو ما تعمل انا اشربه كله في مرة فضحك وقال هذا افضل لك من حجة ● وقال بعضهم الاكل
على ثلثة اقسام مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب

الادب الثالث

ان يشتهي المزور اخاه الزاير ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه
اجر وفضل جزيل قال صلى الله عليه وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المؤمن فقد سر الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف
سيئة ورفع له الف الف درجة واطعمه الله تعالى من ثلث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد

الادب الرابع

ان لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل ينبغي ان يقدم ما كان عنده قال الثوري

اذا زارك اخوك فلا تقول له اتاكل او اقدم لك ولكن قدم فان اكل والا فارفع فان كان لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهره عليه ويصفه لهم • قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك • قال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقرا فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقها فسلوهم عن مسئلة واذا دخل القرا فدلوهم على المحراب

الباب الرابع في آداب الضيافة

وفيها من الاداب ستة الدعوة اولا ثم الاجابة • ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها **فضيلة الضيافة** قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله • وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف • ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل • وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال صلى الله عليه وسلم قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفته الا برهن فاخبرته فقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته اذهبوا بدرعي فارهنها عنده • وكان ابرهيم الخليل عليه السلام اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا وياكل عنده جماعة من بين ثلثة الى عشرة الى الماية وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف • وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام • وقال انس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة • والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر الآن آدابها • اما الدعوة فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته الاتقيا دون الفساق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل طعامك الابرار في دعايه لمن دعا له وقال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي • ويقصد الفقرا دون الاغنيا على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقرا • وينبغي ان لا يهمل اقاربه من ضيافاته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في اصدقايه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاشا للباقين • وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المومنين • وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى من الحاضرين بسبب من الاسباب • وينبغي ان لا يدعو الا من يحب اجابته قال سفين الثوري من دعا احدا الى الطعام وهو يكره الاجابة فعليه خطية فان اجاب المدعو فعليه خطيتان لانه حمله الاكل مع كراهيته ولو علم ما كان ذلك ياكله • واطعام التقي اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق • قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة

قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت من الظلمة نفسهم • واما الاجابة فهي سنة موكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب **الاول** ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولذلك امتنع بعضهم عن نفس الاجابة وقال انتظار المرقة ذل • وقال آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي • ومن المتكبرين من يجيب الاغنيا دون الفقرا وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض في الرمل وهم ياكلون وكان رضي الله عنه على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم الى الغدا يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض فاكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم فواعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم • واما قول القايل ان من وضعت يدي في قصعته ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة اي نعمة وكان يرى ذلك نذالة عند المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه بان الداعي له يتقلد منة وكان يرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة • وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به ان يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وخلاصه منها • قال سري السقطي آه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيه منة • فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد قال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فبليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبة • وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني **الثاني** انه لا ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا ينبغي ان يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي ان يمتنع لاجل ذلك ويقال في التورية او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله تعالى • وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحي فهو اولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت • وهو موضوع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره **الثالث** ان لا يمتنع لكونه صايما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنيته ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول اني صايم • وقال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلسا • والافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب • وقد قيل الكحل والدهن احد القراين **الرابع** ان يمتنع من

الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال وكان يقدم في الموضع منكر من فرش
ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شيء من المزامير والملاهي او التشاغل بنوع من
اللهو والهزل واللعب وكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذا اذا
كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر **الخامس** ان لا يقصد
بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة
وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي
الحذر من معصية الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله تعالى ورسوله وينوي
اكرام اخيه المومن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المومن فانما يكرم الله تعالى وينوي ادخال
السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم من سر مومنا فقد سر الله عز وجل وينوي مع ذلك
زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله تعالى وقد
حصل البذل من احد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه ايضا • وينوي صيانة نفسه عن ان يساء به الظن
في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او احتقار اخ مسلم او ما يجري مجراه فهذه ست
نيات تلحق اجابته بالقربات احادها فكيف مجموعها • وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل
نية حتى في الطعام والشراب • وفي مثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه • والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو
نوى ان يسر اخاه بمساعدته على شرب الخمر او حرام آخر لم ينفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل
لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه
الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فيؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث واما الحضور
فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث
يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الدار بموضع لم
يخالفه البتة لانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض
الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من التواضع لله الرضا بالدون
من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة حجرة النساء وسترهن ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام
فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيفا للمبيت فليعرفه صاحب
الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما وغسل
مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولا وانما يتقدم بالغسل في
اول الطعام لانه يدعو الناس الى مكرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل ينتظر ان
يدخل من يأكل معه • واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف • والمنكر فرش الديباج

واستعمال

واستعمال اواني الذهب والفضة والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة
المكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات قال احمد بن حنبل اذا راى مكحلة راسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم
ياذن في الجلوس الا في ضبة وقال اذا راى كلة ينبغي ان يخرج فان كان تكلف بلا فايدة لا يدفع حرا ولا بردا ولا
يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا راى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال ايضا اذا اكترى
بيتا فيه صورة او دخل الحمام وراى صورة ينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج وكلما ذكره صحيح وانما النظر في
الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير محرم على الرجال قال صلى الله عليه
وسلم هذان حرامان على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة
بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده لا سيما في وقت الزينة اذا لم
يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج
مهما لبسه الجواري والنسا فالحيطان في معنى النسا اذ ليس موصوفا بالذكورة • واما احضار الطعام
فله اداب خمسة **الاول** تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف قال صلى الله عليه وسلم من كان
يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت
الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق اولئك في التاخير الا ان يكون المتاخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك
فلا باس بالتاخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام
اليهم دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة
وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث • قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان
الا في خمس فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء
الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة فقيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي
الثالث رياء **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها
اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة • وفي القران تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة
مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون • ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه
الصلاة والسلام فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام • فان جمع اليه حلاوة بعده
فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابرهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ
وهو الذي احند نضجه وهو احد معنى الاكرام اعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن
والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال تعالى بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم
والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل وتتم هذه الطيبات
بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد بعد الغسل قال المامون شرب الماء البارد يخلص الشكر لله تعالى
وقال بعض الادبا اذا دعوت اخوانك واطعمتهم حصرميه وبورانيه وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة

تنبيه في تقديم الفاكهة

وانفق بعضهم دراهم في ضيافته فقال بعض الحكما لم تكن تحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا
وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المايدة خير من
زيادة لونين ويقال ان الملايكة تحضر المايدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة
وفي الخبر ان المايدة التي نزلت على بني اسرائيل كان عليها من كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها
خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن للموافقة **الثالث**
ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي منها ما يريد فلا يكثر الاكل بعد وعادة المترفهين تقديم الغليظ ليستانف
حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعد وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة
المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المايدة لياكل كل واحد ما يشتهي
وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه • ويحكى عن بعض ارباب المروات
انه كان يكتب نسخة بما يحضره من الالوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشايخ لونا
بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا اخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال
اخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوانا رؤس مشوية طبيخا وقديدا فكنا لا ناكل ننتظر بعدها لونا او حملا فجاءنا
بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤسا
بلا ابدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور • فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده
الرابع الا يبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل من يكون بقية
ذلك اللون اشهى عنده مما يستحضر او بقي فيه حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المايدة
الذي يقال انه خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد به ترك الاستعجال ويحتمل ان يراد به سعة المكان • حكي عن
الثوري وكان صوفيا مزاحا انه حضر عند واحد من ابناء الدنيا على مايدة وقدم اليهم حمل وكان في صاحب المايدة
بخل فلما راى القوم قد مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار
فقام الثوري يعدو اخلف الحمل فقيل له الى اين فقال اكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وامر برد الحمل ومن
هذا الفن لا يرفع صاحب المايدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون اخرهم اكلا كان بعض الكرام
يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثى على ركبتيه ومد يده الى الطعام واكل
وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم فكان السلف يستحسنون ذلك منه **الخامس** ان يقدم من الطعام
قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع ومراياة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه
بان ياكلوا الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع ونوى ان يتبرك بفضل طعامهم اذ في
الحديث انه لا يحاسب عليه • احضر ابرهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مايدته فقال له سفين يا با اسحق اما تخاف
ان يكون هذا سرفا فقال ابرهيم ليس في الطعام سرف • فان لم تكن له هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود
نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه • وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذاك وكان
لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة و

لا يقدمون بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم من الطعام الا قدر الحاجة

يأكلون

يأكلون تمام الشبع • وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شي منه فلعله لا
يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك
خيانة في حقهم • وما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي تسميه الصوفية الذلة الا اذا صرح صاحب
الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يوخذ
واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقا فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما يخصه او ما يرضى به
رفيقه عن طوع لا عن حياء • واما الانصراف فله ثلثة اداب **الاول** ان يخرج مع الضيف الى باب
الدار فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه • وقال صلى الله عليه وسلم ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال
ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك
يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين واني احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث
عند الدخول والخروج وعلى المايدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث
وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا
الثاني ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم • ودعي بعض السلف
برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وخرجوا فخرج اليه صاحب الدار وقال قد خرج
القوم قال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم تبق قال فالقدر امسحها قال قد غسلناها
فانصرف الرجل يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى
التواضع وحسن الخلق • وحكي ان الاستاد ابا القسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده
الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي في الحضور ولقلب الاب في الانصراف فهذه
نفوس قد ذللت بالتواضع لله فاطمانت بالتوحيد وصار صاحبها يشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين
ربه فلا ينكسر بما يجري من العباد من الاذلال كما لا يستبشر بما يجري منهم من اكرام بل يرون الكل من الواحد
القهار ولذلك قال بعضهم اني لا اجيب الدعوة الا لاني اتذكر بها طعام الجنة • اي هو طعام طيب يحمل
عنا كده ومونته وحسابه على غيرنا **الثالث** ان لا يخرج الا برضى صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في
قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد عن ثلثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الضيافة ثلثة ايام فما زاد فصدقة • نعم لو الح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك
ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للمراة
وفراش للضيف والرابع للشيطان

فصل

يجمع ادابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة
الاول حكي عن ابرهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسناده غريب وقد نقل ضده عن ابن عمر قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب

من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار

وهو قيام ● ورأى بعض المشايخ الصوفية المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق
فآكل في البيت وقيل تدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للأكل ووجه الجمع ان الأكل في السوق تواضع
وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك بعادات البلاد واحوال
الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك منه على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة
ومن يليق ذلك بجميع احواله واعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا **الثاني** قال علي كرم الله وجهه
من ابتدأ طعامه غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل
دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده ما يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام
العرب والبسفايجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من
الداء ولن تستشفي النفساء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم
ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل من غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين **الثالث** قال
الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا
فتيا ولا تأكل من المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكل
طعاما الا اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه واذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تحبس
الغائط والبول واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة ● وفي معناه
قول العرب تغد تمدد تعش تمش يعني تمدد كما قال الله تعالى الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال ان حبس البول
يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه **الرابع** في الخبر قطع الغداء مسقمة وترك العشاء
مهرمة ● والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكادة يعني الالية ● قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج
من منزلك حتى تأخذ حلمك اي تتغدى اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو ايضا اقل لشهوة ما يرى في السوق
قال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال اكل لباب البر وصغار المعز وادهن ببنفسج
والبس الكتان **الخامس** الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض كذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو في
يقين من المكروه على شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة ● ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال أتأكل التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الآخر
يعني جانب السليمة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم **السادس** يستحب ان يحمل طعام الى اهل الميت ولما
جاء نعي جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم
فاحملوا اليهم ما يأكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما يهيأ للنوائح والمعينات
عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي ان يؤكل معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا
يقصد الطعام الاطيب ● رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك
تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان آكل واخلع
التزكية او ازكي ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه ● وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم يأكل اياما في السجن

الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض

فكانت

فكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم يأكل فعاتبته المرأة بعد
ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع **الثامن**
حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر الحافي درهما ودفعه الى احمد الجلاء خادمه وقال
اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء
اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمته اليه فاكل واخذ
الباقي فقال بشر تدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر تدرون لم لم
يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل تدرون لم حمل ما بقي منه لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل
وحكى ابو علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل
فكل ما اوقدته لغير الله فاطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع ● واشترى ابو علي الروذباري
احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها
من السكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع** قال الشافعي رحمه الله الاكل على اربعة
انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاثة اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره واربع تقوي
البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة
شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة
وتنظيف الملبس واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والقعود في
استدبار القبلة ● واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم
على اربعة انحاء النوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض والنوم على اليمين
وهو نوم العلماء والعباد والنوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم والنوم على الوجه وهو نوم الشياطين
واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء ● واربع هن من العبادة الا
يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق
ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال رحمه الله لم ار شيئا
انفع في الوباء من دهن البنفسج يدهن به ويشرب تم كتاب آداب الاكل بحمد الله يتلوه ان شاء الله كتاب آداب النكاح وهو الثاني من ربع العادات

كتاب آداب النكاح

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول اذا تفكرت
فكرا عن اوائل بدائعها الا والهة حيرى ● ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا
ومن بدائع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ● وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا
واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا ● ثم عظم امر الانساب وجعل له قدرا ● فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه
ردعا وزجرا ● وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا امرا ● وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا ● فسبحان
من كتب الموت على العباد فاذلهم به هدما وكسرا ● ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام فانشأ منها خلقا وجعله

لكثر الموت حجرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى اله واصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم كثيرا

اما بعد فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وادابه وتشرح مقاصده واربه وتفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف فى ثلثة ابواب الباب الاول فى الترغيب فيه وعنه الباب الثانى فى الاداب المرعية فى العقد والعاقدين ٥ الباب الثالث فى اداب المعاشرة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول فى الترغيب فى النكاح والترهيب عنه

اعلم ان العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلى لعبادة الله عز وجل واعترف اخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلى لعبادة الله تعالى مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال اخرون الافضل تركه فى زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار فى الترغيب فيه والترهيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق من سلم من غوائله او لم يسلم

الترغيب فى النكاح اما من الايات قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهى عنه وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك فى معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اولياءه بسؤال ذلك فى الدعاء فقال تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية ويقال ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الانبياء الا المتاهلين وقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع فقيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له

واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى وقوله عليه الصلاة والسلام النكاح سنتى فمن احب فطرتى فليستن بسنتى وقال ايضا تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط وقال ايضا من رغب عن سنتى فليس منى وان من سنتى النكاح فمن احبنى فليستن بسنتى وقال صلى الله عليه وسلم من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا يستطيع فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب خوف الفساد فى العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين من الفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله

فى الشطر الثانى وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخافة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء فى الاغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج احدهما وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلث فذكر فيه وولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح

واما الاثار فقال عمر رضى الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع فى امرين مذمومين وقال ابن عباس رضى الله عنه لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا فى النكاح فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله انى فقير لا شئ لى وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابى وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى وما يقربنى الى الله تعالى منى لئن قال لى الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجنى قال اذهب الى بنى فلان فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تزوجونى فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شئ لى فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به الى القوم فانكحوه فقال له اولم وجمع له من الاصحاب شيئا للوليمة وهذا التكرار يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم توسم فيه الحاجة الى النكاح وحكى ان بعض العباد فى الامم السالفة فاق اهل زمانه فى العبادة فذكر لنبى زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشئ من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبى عن ذلك فقال انت تارك للتزويج قال لست احرمه ولكنى فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتى فزوجه النبى ابنته وقال بشر بن الحرث فضل على احمد بن حنبل بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسى فقط ولاتساعه فى النكاح وضيقى عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد رضى الله عنه تزوج فى اليوم الثانى من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعنى من التزوج الا قوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فانه روى بعد وفاته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازلى فى الجنة واشرف بى على مقامات الانبياء ولم ابلغ منازل المتاهلين وفى رواية قال لى ما كنت احب ان تلقانى عزبا قال فقلت له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقى بسبعين درجة فقلت بماذا فقد كنا نراك فوقه فقال بصبره على

بغيانه والعيال • وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان من ازهد اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية • والنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق
الانبياء عليهم السلام • وقال رجل لابراهيم بن ادهم طوبى لك قد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة
منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه فقال ما الذى يمنعك من النكاح فقال ما لى حاجة فى امرأة
وما اريد ان اغر امرأة بنفسى • وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من رجل
متاهل افضل من سبعين ركعة من عزب

واما ما جاء فى الترغيب عن النكاح

فقد قال صلى الله عليه
وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا اهل له ولا ولد وقال صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان
يكون هلاك الرجل فيه على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل
التى يذهب فيها دينه فيهلك • وفى الخبر وقد قيل قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين وسئل
ابو سليمان الدارانى عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار
وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة اخرى ما رأيت احدا من اصحابنا
تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امرأة
او كتب الحديث • وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال • وقال ابن ابى الحوارى تناظر
جماعة فى هذا الحديث واستقر رأيهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل معناه ان يكونا له ولا يشغلانه عن
الله • وهو اشارة الى قول ابى سليمان الدارانى ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وبالجملة
لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط فاما الترغيب فى النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا
بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده

آفات النكاح وفوائده

وفيه فوائد
خمس الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن

الفائدة الاولى

الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة
خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل فى اخراج البذر وبالانثى فى التمكين من الحرث تلطفا بهما فى السياقة
الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير فى بث الحب الذى يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت
القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات
على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشية
وحقت به الكلمة وجرى به القلم • وفى التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هى الاصل فى الترغيب فيه
عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله عزبا • الاول موافقة محبة الله تعالى بالسعى فى
تحصيل الولد لابقاء جنس الانسان • الثانى طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من به مباهاته
والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده • الرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله

اما الوجه الاول

فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير واحقها واقواها عند ذوى
البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته • وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات

الحرث وهيأ له ارضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل
وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت
والعقاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة فى الفقار
وهيأ لها فى الانثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على
كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى
ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
بالمراد حيث قال تناكحوا تناسلوا تكثروا • فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض
عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة
من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف واصوات يقرأه كل من له بصيرة
ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية • ولذلك عظم الشرع الامر فى قتل الاولاد وفى الوأد لانه
منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوأدين • فالناكح ساع فى اتمام ما احب الله اتمامه والمعرض
معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة
القرض فقال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا

فان قلت

قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب يوهم
ان فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله عز وجل ومعلوم ان الكل بمشية
الله وان الله غنى عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم او بقاؤهم عن فنائهم • فاعلم ان هذه كلمة حق اريد
بها باطل فان كل ما ذكرناه لا ينافى اضافة الكائنات كلها الى ارادة الله تعالى خيرها وشرها نفعها وضرها ولكن
المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصى مكروهة
وهى مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهى مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول
انه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر • وكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة
الله تعالى وكراهته كالبقاء والله تعالى يقول ما ترددت فى شئ كترددى فى قبض روح عبدى المسلم المؤمن هو
يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه • فقوله لا بد له منه اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور
فى قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفى قوله الذى خلق الموت والحياة ولا مناقضة بين قوله قدرنا بينكم الموت
وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق فيه يستدعى تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها
فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله تعالى
وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله تعالى مقدس عنه
ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفات الله تعالى لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق
داخلة فى علم المكاشفة ووراءها سر القدر الذى منع من افشائه فلنقبض عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه
من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده من آدم عليه السلام
عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن آدم عليه السلام على

نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا
القى الله عزبا **فان قلت** فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد
يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار وانما المتعلق باختيار العبد
احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره
ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له
ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها
بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار
فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة
الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المراة وتضييعها فيما
يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلوا عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي نبه على شدة انكارهم لترك
النكاح مع فتور الشهوة **الوجه الثاني** السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه في تكثير
ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها
ما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المراة العقيم
اذ قال عليه الصلاة والسلام لحصير في ناحية البيت خير من امراة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود
وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب
دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث**
ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن ادم ينقطع الا ثلث وفي الخبر ان الادعية تعرض
على الموتى على اطباق من نور وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد
ذوي الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا
فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال
تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم
الوجه الرابع ان يموت الولد قبله صغيرا فيكون له شفيعا وورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه كما انا الآن اخذ بثوبك وقال ايضا
ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطيا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل
الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر آخر ان الاطفال يجتمعون في موقف القيمة عند
عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري
المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فاين اباؤنا وامهاتنا فتقول الخزنة ان اباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه
كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون بها قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة
واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع

ابائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي ابائهم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان
من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث ادخله الله
الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي عن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج
فيابى برهة من الدهر قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال
لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الاخرة ثم قال رايت في المنام كان القيمة قد قامت وكاني
في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فبينا نحن كذلك
اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد
الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال
ليس لك فينا ولد انما نسقي اباءنا فقلت ومن انتم قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في
قوله تعالى فاتوا حرثكم اني شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الاخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة
ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصن عن الشيطان وكسر التوقان
ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام من تزوج فقد احرز شطر
دينه فليتق الله في الشطر الاخر واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الاثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة
موكل متقاضي لتحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجفله وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه
رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس
يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل
الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى
الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان
اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع او الصبي في لذة الملك والسلطنة
لم ينفع الترغيب فاحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله عز وجل
فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة
وحياة باطنة فالحيوة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحيوة الباطنة هي الحيوة
الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في الكاملة بلذة الدوام فتستحث على
العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسير المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان
وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا او باطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارض الا وتحتها من لطائف الحكم
وعجائبها ما تحار العقول فيه ولكن انما تنكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا
وغرورها واغوائها والنكاح سبب لدفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب
الخلق فان الشهوة ان غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم

عن الله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ● وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة
الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس
تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في اثناء
الصلاة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه
والقلب في حق الله تعالى كاللسان في حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الاخرة قلبه والمواظبة على
الصوم لا يقطع مادة الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك
قال ابن عباس لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح ● وهذه محنة عظيمة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله
تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة ● وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في معنى قوله تعالى وخلق الانسان
ضعيفا انه لا يصبر عن النساء ● وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ● وبعضهم يقول
ذهب ثلث دينه ● وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر ● وهذه بلية غالبة
اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان
على بني آدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما رايت ناقصات عقل ودين اغلب لذوي الالباب منكن ● وانما
ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر فرجي
وقال صلى الله عليه وسلم اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يجوز التساهل فيه لغيره ● وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فانكر عليه بعض الصوفية
فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله جلسة او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر
شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما
خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا انفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر على قلبي معصية
وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال ياكلون كثيرا قال وانت ايضا
لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون
لنكحت كما ينكحون ● وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت ● فالزوجة على التحقيق قوت وسبب
لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امراة فتاقت نفسه اليها ان يجامع
اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس ● روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على
زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته
فليات اهله فان معها مثل الذي معها وقال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب عنها زوجها
فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفين بن
عيينة فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم ● ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة
وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل وذلك لتفريغ
القلب لعبادة الله واخراج عدة الشيطان منه ● وروي انه جامع ثلثة من جواريه في شهر رمضان قبل العشا

الاخرة ● وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ● ولما كانت الشهوة اغلب على امزجة العرب كان استكثار
الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد وهو
نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحيوة
الدنيوية على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة الاخروية التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة
الى يوم من ايامها ● روي انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس رضي الله عنهما وبقي شاب لم يبرح فقال
ابن عباس هل من حاجة قال نعم اردت ان اسال مسئلة فاستحييت من الناس وانا الان اهابك واجلك فقال
ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض به الي فقال اني شاب لا زوجة لي وربما
خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح
الامة خير منه وهو خير من الزنا ● وهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلثة شرور ادناها نكاح الامة
وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمنا باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس رضي الله عنهما الاباحة
في شيء منهما لانهما محذوران ولا غرو ان يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منهما كما يفزع الى تناول الميتة
حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد
المتاكلة من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في النكاح فضل من هذا الوجه
لكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته بكبر سن او مرض او غيرهما فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى
ما سبق من امر الولد فان ذلك عام الا الممسوح وهذا نادر ● ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا
تحصنها المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمان
قلبه بهن والا يستحب له الاستبدال ● وقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بسبع ليال
ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امراة وربما عقد على اربع في عقد واحد
وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن اشبهت خلقي وخلقي
وقال عليه الصلاة والسلام حسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق النبي صلى الله عليه
وسلم ● وتزوج المغيرة بن شعبة ثمانين امراة ● وكان في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا
يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة والمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة
والقلة

الفائدة الثالثة

ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة فان ذلك راحة
للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة
بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس
بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات
ولذلك قال تعالى ليسكنوا اليها ● وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فانها اذا اكرهت عميت
وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو
فيها بمطعمه ومشربه ● فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر لا يكون العاقل طامعا الا

فى ثلث نزودٌ لمعاد او مرمة لمعاش اولذة فى غير محرم وقال صلى الله عليه وسلم لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتى فقد اهتدى يريد بالشرة الجد والمكابدة بجد وقوة وذلك فى ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة • وكان ابو الدردا يقول انى لاستجم نفسى بشئ من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق • وفى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة فهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة • فهذه ايضا فايدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه فى الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهى خارجة عن الفايدتين السابقتين حتى انها تطرد فى حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفايدة تجعل النكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك فاما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يستانس بالنظر الى الماء الجارى والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النسا وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له

الفائدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل المطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمان الدارانى الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للاخرة • وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظى فى معنى قوله تعالى ربنا اتنا فى الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مومنة تعينه على اخرته • فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة الزوجة الصالحة • وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما اعطى عبد بعد الايمان بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه • وقوله لا يحذى اى لا يعتاض عنه عوضا • وقال صلى الله عليه وسلم فضلت على ادم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجى اعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوايد التى يقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل فى هذه الفايدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشاير فان ذلك مما يحتاج اليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل

الفائدة الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل

والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته • وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ولذلك قال بشر رحمه الله فضل على احمد بن حنبل بثلث احدها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر فى رفع اللقمة الى فى امراته وقال بعضهم لبعض العلما من كل عمل قد اعطانى الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال قال ما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه فى الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف ذو عيال قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه • وقال صلى الله عليه وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين • وفى حديث اخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال • وفى حديث اخر اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بالعيال • وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له • وكان ابن عباس اذا حدث بهذا الحديث قال هو والله من غرايب الحديث وغرره • وروى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبى واجمع لهمى قال فرايت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السما فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون فى الهوى يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الى شزرا وقال لمن وراه هذا هو المشوم فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم وخفت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بى اخرهم وكان غلاما فقلت يا هذا من المشوم الذى يومون اليه فقال انت فقلت ولم ذلك قال كنا نرفع عملك فى اعمال المجاهدين فى سبيل الله عز وجل فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى زوجونى فلم يكن يفارقه بعد ذلك زوجتان او ثلث • وفى اخبار الانبيا عليهم السلام ان قوما دخلوا على يونس عليه السلام فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فانى سالت الله تعالى وقلت ما انت معاقبى به فى الاخرة فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها فانا صابر على ما ترون منها • وفى الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك

لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبايث باطنه ولا تنكشف له بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الاخرة ان يجرب
نفسه بالتعريض لامثال هذه الحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه ويرتاض نفسه ويصفوا
من الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة والتكلف لهم والقيام بهم عبادة
في نفسها فهي ايضا من الفوايد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب
الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة ويرتاض به نفسه واما رجل من العابدين
ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلاة او حج او عمرة او غيره فعمله لاهله
واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها
الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن
وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها
واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفايدته اعم واشمل لساير الخلق
من فايدة الكسب في العيال فهذه فوايد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة **واما افات**
النكاح فثلث الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في
هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه
وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك والمتزوج في الاكثر يدخل مداخل السوء ويتبع هوى زوجته ويبيع اخرته
بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله
والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة
فتنادي الملايكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق
بالرجل يوم القيمة اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا
ما كنا نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا
سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وقال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله تعالى احد بذنب
اعظم من جهالة اهله فهذه افة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال
يفي به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الافة او من هو محترف
ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب او اصطياد او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين
ويقدر على ان يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سيل
عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار راى الاتان فلا ينتهي عنها الا
بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه اولى **الافة الثانية** القصور عن القيام
بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا
ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا
ايضا خطر لانه راع ومسئول عن رعيته قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي

ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الابق الهارب لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام
بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فامرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا
والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف الى نفسه نفس اخرى والنفس
امارة بالسوء واذا كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف
اضيف اليها نفس اخرى لن تسع الفارة في جحرها علقت الكنس في دبرها وكذلك اعتذر ابرهيم بن ادهم وقال لا
اغر امراة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه وكذلك اعتذر
بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وكان يقول لو كنت اعول دجاجة
خفت ان اصير جلادا على الجسر وراى سفيان على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل
رايتم ذا عيال افلح وكان سفيان يقول يا حبذا العزبة والمفتاح وسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا
صياح فهذه افة عامة ايضا وان كانت دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير
بعادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري
بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف
مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له والله اعلم
الافة الثالثة وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا
الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل
ما يشغل عن الله عز وجل من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعو الى محظور فان
ذلك مما اندرج تحت الافة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء
ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي
الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للفكر في الاخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابرهيم بن ادهم من تعود افخاذ
النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو سليمان من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه
مجامع الافات والفوايد والحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع
هذه الامور بل تتخذ هذه الفوايد والافات معيارا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الافات
واجتمعت الفوايد بان كان له مال حلال وحسن خلق وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله عز وجل وهو مع ذلك
شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يماري في ان النكاح افضل
له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوايد واجتمعت الافات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامران
وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفايدة في الزيادة في دينه وحظ تلك الافة في النقصان
منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوايد الولد وتسكين الشهوة واظهر الافات الحاجة الى كسب
الحرام والاشتغال عن الله عز وجل فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فايدة
نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الافة الحاجة لكسب الحرام او الاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له اولى فلا

خير فيما يشغل عن الله تعالى ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حياة الولد وحياة الولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين راس المال وفي فساد الدين بطلان الحيوة الاخروية وذهاب راس المال فلا يقاوم هذه الفايدة احدى هاتين الافتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في راسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له اولى لانه مردد بين ان يقتحم الزنا او ياكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح له اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دايما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف افضا النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ان يترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان توزن هذه الافات بالفوايد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شي مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح **فان قلت** فمن امن الافات فالافضل له التخلي لعبادة الله تعالى ام النكاح • فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله تعالى من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وساير اوقات النهار فيها يتخلى فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضا الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الاخرة الا بالصلاة النافلة او الحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النسا انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات • وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل **فان قلت** فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله عز وجل فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الازواج • فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن غلبت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل فرسولنا صلى الله عليه وسلم اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح فلقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان قضا الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضا الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى انهم يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امراته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره • فلا يبعد ان يغير السواقي ما لا يغير

البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يوثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال ولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فاثر التخلي للعبادة وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكاسب واخلاق النسا وما على الناكح من غوايل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء عليهم السلام على الافضل في كل حال • والله تعالى اعلم

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من احوال المراة وشروط العقد

اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد به ويفيد الحل اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضى المراة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا بالغا ولكن لا يزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة • الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امراة سوا كان هو الزوج او الولي او وكيلهما **واما ادابه** فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المراة بل بعد انقضايها وان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن ادابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما وخفيفا والتحميد ايضا قبل الخطبة مستحب ومن ادابه ان يلقي امر الزوج الى سمع المراة وان كانت بكرا فذلك اولى واولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يدوم بينهما ومن الاداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومن ادابه ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وساير الفوايد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ومن ادابه ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عايشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال

واما المنكوحة

فيعتبر فيها نوعان احدهما للحل والثاني لطيب العشرة وحصول المقاصد **النوع الاول** ما يعتبر فيها للحل وهي ان تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة للغير الثاني ان تكون معتدة من الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطي شبهة او كان في استبراء وطي عن ملك يمين • الثالث ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر • الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحها وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده • السادس ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرايل فاذا عدمت كلتي الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف • السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول

الحرة او غير حايف من العنت ● الثامن ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين ● التاسع ان تكون
قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل
فاعنى باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم
وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن ● العاشر ان تكون محرمة بالرضاع
ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك
لا يحرم ● الحادى عشر المحرمة بالمصاهرة وسوان تكون الناكح قد نكح ابنتها او جدتها من قبل او وطيهن بالشبهة
فى عقد او وطى امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فبمجرد العقد على المراة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها
الا بالوطى او يكون ابوه او ابنه نكحها من قبل ● الثانى عشر ان تكون المنكوحة خامسة اى يكون تحت الناكح اربعة
سواها اما فى نفس النكاح او فى عدة الرجعة فان كانت فى عدة بينونة لم يمتنع نكاح الخامسة ● الثالث عشر
ان تكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما
ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما ● الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل
ثلاثا فلا يحل له ما لم يطاها زوج آخر فى نكاح صحيح ● الخامس عشر ان تكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه
ابدا بعد اللعان ● السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام
التحلل ● السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ ● الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح
نكاحها الا بعد البلوغ ● التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفى عنها او دخل بها
فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد فى زماننا فهذه هى الموانع المحرمة **واما الخصال المطيبة للعيش**
التى لا بد من مراعاتها فى المراة ليدوم العقد ويتوفر مقاصده فهى ثمانية الدين والخلق
والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة **الاولى** ان تكون
صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغى ان يقع الاعتنا فانها ان كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها
وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك فيه
سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا
الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها
ولا يصبر عليها ويكون كالذى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتى لا ترد يد لامس
قال طلقها قال فانى احبها قال امسكها ● وانما امره بامساكها خوفا عليه فانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا
معها فراى ما فى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله
او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معها فان سكت ولم ينكر كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا فان انكر وخاصم تنغص عيشه ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المراة لمالها
وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك ● وفى حديث آخر من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها
وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال ايضا لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها

فلعل

فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وانما بالغ فى الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم
تكن متدينة كانت شاغلة فى الدين ومشوشة له **الثانية** حسن الخلق وذلك اصل مهم فى طلب الفراغ
والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها اكثر من
النفع والصبر على لسان المراة مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستا لا انانة
ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة ● اما الانانة فهى التى تكثر الانين والتشكى وتعصب راسها
كل ساعة فنكاح الممراضة والمتمارضة لا خير فيه ● والمنانة التى تمن على زوجها تقول فعلت لاجلك كذا وكذا
والحنانة التى تحن الى زوج آخر او الى ولدها من زوج آخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه ● والحداقة التى ترمى الى
كل شى بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراه ● والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار فى تصقيل
وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق حصل بالتصنع والثانى ان تغضب على الطعام ولا تاكل الا وحدها وتستقل
نصيبها فى غيرها من كل شى وهى لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبى الطعام اذا غضب عنه والشداقة
المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبغض الثرثارين المتشدقين
ويحكى ان السايح الازدى لقى الياس عليه السلام فى سياحته فامره بالتزويج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا
المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية
المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا ● والعاهرة الفاسقة التى تعرف بخليل وخدن قال الله تعالى ولا
متخذات اخدان ● والناشزة التى تعلو على زوجها فى الفعال والمقال ماخوذ من النشز وهو العالى من الارض
وقال على رضى الله عنه شر خصال الرجال خيار خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة
حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت
من كل شى فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها ● فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق
المطلوبة فى النكاح **الثالثة** حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفى بالدميمة
غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس
زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين فان الجمال وحده فى غالب الامر
يرغب فى النكاح ويهون فى امر الدين ● ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالفة والمودة تحصل به غالبا
وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر قبل العقد فقال صلى الله عليه وسلم اذا اوقع الله
فى نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يدوم بينهما اى يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهى
الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة فى الايتلاف وقال صلى الله عليه وسلم ان فى
اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن ● قيل كان فى اعينهن عمش وقيل صغر وكان
بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور ● وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم
ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح ● وروى ان رجلا تزوج على عهد عمر رضى
الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر ضربا

وقال غررت القوم • وروى ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال
انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا
فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق • فالغرور يقع في الجمال والخلق
جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف وينبغي ان يقدم ذلك على
النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالباطن والظاهر ولا يميل اليها فيفرط
في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع في مبادي النكاح ووصف المنكوحات مائلة الى الافراط والتفريط
وقل من يصدق فيه ويقتصد والخداع والاغراء اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوق الى
غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد
اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني
الزهد في كل شي حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا • وقد كان مالك بن دينار يقول يترك
احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر عليها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان
وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واطعمني كذا وكذا • واختار احمد بن
حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها • وروى انه
امراة ليخطب احداهما فقالت الاخت الحسنى لاختها من خطب فقالت لها انا لا اصلح وما اراد الا انت • بانكسا
فبلغ ذلك احمد فقال لا ازوج الا التي بانكسارها • فهذه اداب من لم يقصد التمتع فاما من لم يامن على دينه ما لم
يكن له مستمتع فليطلب الجمال والتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل اذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق
سوداء الحدقة والشعر كبيرة العينين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين
فان الله تعالى وصف نساء الجنة بهذه الاوصاف في قوله تعالى خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي
قوله تعالى قاصرات الطرف • وفي قوله تعالى عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه
تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد الشعر والعيناء الواسعة العين
وقال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب حفظته في
نفسها وماله • وانما يسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج **الرابعة** ان تكون خفيفة المهر قال صلى الله
عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهرا • وقد نهي عن المغالاة في المهر **تزوج** رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث البيت فكان الاثاث رحى يد وجرة ووسادة من ادم
حشوها ليف **واولم** على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدين من تمر ومدين من سويق • وكان عمر رضي
الله عنه ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم
ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد تزوج بعض الصحابة
على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم • وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي وداعة وهو كثير

ابن المطلب بن ابي وداعة على درهمين ثم حملها اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة
ايام فسلم عليها • ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا باس • وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها
وسرعة رحمها اي الولادة وتيسر مهرها وقال ايضا اربكهن اقلهن مهرا • وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة
فيكره السوال عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي
شي للمراة فاعلم انه لص • واذا اهدى اليها شيا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم به الى المكافاة باكثر منه وكذلك
اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال صلى الله عليه وسلم
تهادوا تحابوا • واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله تعالى
وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية
وكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح **الخامسة** ان تكون المراة
ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع من تزوجها قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالولود الودود • فان لم يكن لها زوج
ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين **السادسة** ان تكون
بكرا قال صلى الله عليه وسلم لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك **وفي البكارة** ثلاث فوايد
احداها ان تحب الزوج وتالفه فيوثر ذلك في معنى الود وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالودود • والطباع
مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي
تخالف ما الفته فتقلى الزوج • الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة
ما وذلك يثقل على الطبع مهما تذكره وبعض الطباع في هذا اشد نفورا • الثالثة انها لا تحن الا الى الزوج
الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا **السابعة** ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل بيت
الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها فان لم تكن مودبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم
فان العرق نزاع **الثامنة** ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث
بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة
فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء • ويجب
على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر
عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها قال صلى الله عليه وسلم النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته
والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج
ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله تعالى لما قطع من حق الرحم وسوء
الاختيار • قال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله تعالى فان احبها اكرمها وان ابغضها
لم يظلمها • وقال صلى الله عليه وسلم من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ٥ والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب الثالث

في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة   اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والرعاية والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز وفي الوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق **الادب الاول** الوليمة وهي مستحبة قال انس رای رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت امراة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة   واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق وتمر وقال صلى الله عليه وسلم طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب   ويستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير   روى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام امر بذلك   ويستحب اظهار النكاح وقال صلى الله عليه وسلم فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت   وقال صلى الله عليه وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف   وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويرات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها اه

الادب الثاني حسن المعاشرة معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله عز وجل وعاشروهن وقال تعالى في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل هي المراة   وآخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه فجعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم وفي ايديكم يعني اسرا اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله   وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امراة فرعون   واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل   وراجعت امراة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال اتراجعيني يا لكعا فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم جاء الى حفصة فقال لها لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة   وروي انه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك   وجرى بينه وبين عايشة رضي الله عنها كلام حتى ادخل النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر حكما بينهما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدوة نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا او لم نرد هذا منك   وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي فتبسم صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك منها حلما وكرما   وكان يقول اني لاعرف غضبك علي من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك   ويقال ان اول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها   وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك   وكان يقول لنسائه لا تؤذوني في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها   وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان

الادب الثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء   وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه صلى الله عليه وسلم يسابق عايشة رضي الله عنها في العدو فسبقته يوما وسبقها صلى الله عليه وسلم في بعض الايام فقال عليه الصلاة والسلام هذه بتلك   وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة رضي الله عنها سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشورا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانا انظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله   وقال صلى الله عليه وسلم خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي   وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا   وقال لقمان ينبغي للعاقل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا   وفي تفسير الخبر المروي ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله   وقال صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك   ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج اكلا ما وجد غير سايل عما فقد

الرابع ان لا يبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال في ذلك فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا اكبه الله تعالى في النار   وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن   وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله عز وجل ملكه المراة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية واطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله   اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله عز وجل الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا قال تعالى والفيا سيدها لدا الباب   فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ومثل المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا

وان ارخيت عذارها فترا اجذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رحمه الله
ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي ● اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظتك
بلينك وفظاظتك برفقك ● وقال بعض الحكماء ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك زوجتك وولدك وخادمك فصلاح
حالهم بالتعدي عليهم ● وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك
قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه
فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانه حمارك ● وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض
وكلما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع
ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك
منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال صلى الله عليه وسلم مثل المراة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم
بين مائة غراب ● والاعصم يعني الابيض البطن ● وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك
قبل المشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر ● وقال صلى الله عليه وسلم
استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن امراة سوء فانها المشيبة قبل المشيب ● وفي لفظ آخر ان دخلت عليها
لسنتك وان غبت عنها خانتك ● وقد قال صلى الله عليه وسلم في خيرات النساء انكن صواحبات يوسف
يعني ان صرفكن ابا بكر رضى الله عنه من التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى ● وقال الله تعالى حين
افشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال ذلك في خير ازواجه
وقال صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم تملكهم امراة ● وزجر عمر رضى الله عنه امراته يوما وقد راجعته وقال ما
انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما انت ● فاذا فيهن شر وفيهن ضعف
فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج
بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها

الخامس

الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتجسس الى البواطن
فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبغت النساء ● ولما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سفر قال قبل دخوله المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه رجلان فسبقا فراى كل واحد
في بيته ما يكره ● وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج ● وهذا في تهذيب
اخلاقها ● وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة
ولان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم ● وقال علي رضى الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك
فترمى بالسوء من اجلك ● فاما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغار
والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان ياتي المؤمن ما حرم الله عليه ● وقال عليه الصلاة والسلام اتعجبون من غيرة سعد
والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر
من الله تعالى ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدح من الله تعالى ومن اجل ذلك وعد

الجنة ● وقال صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي في الجنة قصرا وفيه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر
فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر رضى الله عنه وقال اعليك اغار يا رسول الله ● وكان الحسن يقول
اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار ● وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة ما يحب الله
ومنها ما يبغض الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة
والغيرة التي يبغضها الله تعالى فالغيرة في غير الريبة والاختيال الذي يحبها الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال
وعند الصدمة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال صلى الله عليه وسلم اني لغيور وما من
امرء لا يغار الا منكوس القلب ● والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق قال
صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضى الله عنها اي شيء خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه
وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها ● وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب
والكوى من الحيطان لئلا تطلع النسوان على الرجال ● وراى معاذ امراته تطلع من الكوة فضربها ● وراى امراته دفعت
الى غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها ● وقال عمر رضى الله عنه اعروا النساء يلزمن الحجاب ● وانما قال ذلك
لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة والثياب الرثة وقال عودوا نساءكم لا ● وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن للنساء في حضور المساجد والصواب الان المنع الا للعجائز وقد استصوب ذلك في زمان الصحابة رضى الله
عنهم حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء بعده لمنعهن من الخروج
ولما قال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض
ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا
تقول بلى ● وانما استجرى على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا
من غير اظهار العذر ● وكذلك كان صلى الله عليه وسلم قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن
الا برضى ازواجهن ● والخروج الان ايضا مباح للمراة العفيفة برضى زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا
لمهم لان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة يقدح في المروة وربما يفضي الى الفساد واذا خرجت فينبغي
ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه الصبي
الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي
الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقيب او منعوا من الخروج
الا لضرورة

السادس

الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف
بل يقتصد قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله ● وقال صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله
ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الدينار الذي
انفقته على اهلك ● وقيل كان لعلي رضى الله عنه اربع نسوة وكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم
وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب ● وقال ابن سيرين يستحب

للرجل ان يعمل لاهله فى كل جمعة فالوذجة • وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تغيير فى العادة
وينبغى ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم
الحال من غير صريح اذن من الزوج • ولا ينبغى ان يستاثر على اهله بماكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر
الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان زماعلا ذلك فلياكل بخفية بحيث لا يعرفه اهله ولا ينبغى ان يصف
عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فليقعد العيال كلهم على مايدته • قال سفيان بلغنا ان الله
وملايكته يصلون على اهل بيت ياكلون فى جماعة • واهم ما يجب عليه مراعاته فى الانفاق ان يطعمها من الحلال
ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة فى ذلك عند
ذكر افات النكاح **السابع** ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم
زوجته احكام الصلاة وما يقضى منها فى الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا • فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها بدعة ان استمعت اليها ويخوفها بالله تعالى
اذا تساهلت فى امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما
الذى لا بد من ارشاد النسا اليه فى امر الحيض بيان الصلوات التى تقضى فانها مهما انقطع دمها قبل الغروب بمقدار
ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر وان انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشا وهذا اقل
ما تراعيه النسا فان كان الرجل قايما بتعليمها فليس لها الخروج لسوال العلما وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها
فى السوال واخبرها بجواب المفتى فليس لها الخروج للسوال فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسوال بل عليها ذلك
ويعصى الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما يجب عليها من الفرايض فليس لها الخروج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا
برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها فى الاثم
الثامن اذا كان له نسوة فينبغى ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب
واحدة منهن اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضا
واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفى لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل
وانما عليه العدل فى العطا والمبيت اما فى الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم اى لا تعدلون فى شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت
فى الوقاع • وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن فى العطا والبيتوتة فى الليالى ويقول اللهم
هذا جهدى فيما املك ولا طاقة لى فيما تملك ولا املك • يعنى الحب والمودة كانت عايشة رضى الله عنها
احب نسايه اليه وساير نسايه يعرفن ذلك فكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وفى كل ليلة فيبيت عند
كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عايشة فقلن يا رسول الله قد اذنا
لك ان تكون فى بيت عايشة فانه يشق عليك ان تحمل فى كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم فقال
حولونى الى بيت عايشة • ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها
لعايشة وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسايه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعايشة ليلتين
ولساير ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى احدى نسايه فى
غير نوبتها فجامعها طاف من يومه او ليلته على ساير نسايه فمن ذلك ما روى عن عايشة رضى الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسايه فى ليلة واحدة • وعن انس انه صلى الله عليه وسلم طاف على تسع نسوة
فى ضحوة نهار **التاسع** فى النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتيم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من
الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها لينظرا
بينهما ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما • وقد بعث عمر رضى الله عنه حكمين الى زوجين فعادا
ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا الرجلان
واحسنا النية وتلطفا فى الامر فاصلح ما بينهما واما اذا كان من المراة خاصة فالرجال قوامون على النسا
فله ان يودبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذلك اذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغى
ان يتدرج فى تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره فى المضجع او انفرد عنها
بالفراش وهجرها وهو فى البيت من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينفع ضربها ضربا غير مبرح بحيث يولمها ولا يكسر
لها عظما ولا يدمى لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما
حق المراة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا
يهجر الا فى البيت • وله ان يغضب عليها ويهجرها فى امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التى هو فى بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك
هديتك اى اذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم انتن اهون على الله ان تقمئننى ثم غضب عليهن
كلهن شهرا الى ان عاد اليهن **العاشر** فى اداب الجماع ويستحب ان يبدا باسم الله تعالى ويقرا قل هو الله احد
اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلى العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبى
وقال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان • واذا قربت من الانزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذى
خلق من الماء بشرا الاية • وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة
ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغطى راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك بالسكينة • وفى الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردا تجرد
العيرين اى الحمارين • وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وسلم لا يقع احدكم على امراته كما
تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول قال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز فى
الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثانى ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث
ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويوانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها

منه ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر أوله وآخره والنصف منه يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه
الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهية ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم
ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقا لأحد التأويلين لقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من غسل واغتسل
ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي وطرها أيضا فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها
إيذاء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا للإنزال والتوافق في وقت الإنزال
ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ
عدد النساء أربع فجاز التأخير إلى هذا الحد نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها
واجب عليه وإن كان لا تثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء به ولا ينبغي أن يأتيها في الحيض
ولا بعد انقطاعه قبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد وله أن يستمتع
بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتى إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير المأتى دائم فهو
أشد تحريما من إتيان الحائض وقوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم يعني أي وقت شئتم وله أن يستمني بيديها
وأن يستمتع بما تحت الإزار منها سوى الوقاع وينبغي أن تتزر المرأة بإزار من حقوها إلى فوق الركبة في حالة
الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها فإن أراد
أن يجامع ثانيا بعد أخرى فليغسل فرجه أولا وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول ويكره الجماع
في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولا وضوءه للصلاة فهو سنة قال
ابن عمر رضي الله عنه قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ ولكن فيه رخصة
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد إلى فراشه فليمسح
وجه فراشه أو لينفضه فإنه لا يدري ما حدث بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحد أو يخرج دما أو يبين من
نفسه جزءا وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنابتها
من الآداب أن لا يعزل بل يسرح الماء إلى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله تعالى كونها إلا
وهي كائنة هكذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربعة مذاهب
فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم
الإيذاء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهة فإنها تطلق
لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره
للقاعد في المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة وللحاضر في مكة مقيما بها أن لا يحج كل سنة والمراد
بهذه الكراهة ترك الأولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له في جماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وإنما
قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه
على الجهاد والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الإمناء في الرحم وإنما قلنا لا كراهة فيه

بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات النهي إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا
أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل
وليس بارتكاب نهي ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر
إلى الإنزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب إلى بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع
عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالاستجهاض والوأد لأن ذلك جناية على الولد وهو
موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة فتستعد
لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش فإن نفخ فيه الروح واستوت
الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود
من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إما
من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض قال بعض أهل التشريح إن المضغة تخلق بتقدير الله تعالى من دم الحيض
وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في صورة دم الحيض وانعقاده كالإنفحة للبن إذ بها
ينعقد الرائب وكيف ما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي
في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول
كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل
ما لم يمتزج بماء المرأة وهو الصحيح أو دمها على قولهم وفيه نظر فهذا هو القياس الجلي **فإن قلت**
فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه
إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي فأقول النيات الباعثة على العزل خمس الأولى في السراري
وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهي
عنه الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا
أيضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في
الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضا غير منهي عنه فإن قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في
التوكل والثقة بضمان الله تعالى حيث قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فلا جرم فيه سقوط عن ذروة
الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول إنه منهي عنه
الرابعة الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد من تزويجهن من المعرة كما كانت عادة العرب في قتلهم الإناث فهذه
نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في
اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها
رجل فتتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح الخامسة أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في
النظافة فتحترز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى
كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي فاسدة واستأذنت

واحدة منهن على عائشة رضى الله عنها لما قدمنا لبصرة فلم تاذن لها • فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولد
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا • قلنا
فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اى ليس موافقا لنا على سنتنا وسنتنا فعل الافضل **فان قلت**
فقد قال صلى الله عليه وسلم فى العزل ذلك الواد الخفى وتلا عليه الصلوة والسلام واذا الموؤدة سئلت
هذا فى الصحيح قلنا وفى الصحيح ايضا اخبار صريحة فى الاباحة وقوله عليه الصلوة والسلام الواد الخفى
كقوله الشرك الخفى وذلك يوجب كراهة لا تحريما • فقد قال ابن عباس رضى الله عنه العزل
هو الواد الاصغر فان الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه
وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه على رضى الله عنه لما سمع وقد لا تكون موؤدة الا بعد سبع اى بعد
سبعة اطوار وتلا الاية الواردة فى اطوار الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر اى نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى
فى الاية الاخرى واذا الموؤدة سئلت • واذا نظرت الى ما قدمناه فى طرق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت
منصب على وابن عباس رضى الله عنهما فى الغوص على المعانى ودرك العلوم • كيف ومن المتفق عليه فى الصحيحين
عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ينزل
وفى لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا • وفيه ايضا عن جابر انه قال
ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان لى جارية وهى خادمتنا وساقيتنا فى النخل وانا اطوف
عليها واكره ان تحمل فقال صلى الله عليه وسلم اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم
اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال صلى الله عليه وسلم قد اخبرتكم انه سياتيها ما قدر لها وهذا كله فى
الصحيحين

الحادى عشر فى اداب الولادة

وهى خمسة • الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه
بالانثى فانه لا يدرى الخيرة لهم فى ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة فيهن
اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه وسلم من كان له ابنة فادبها فاحسن تاديبها وغذاها فاحسن غذاءها
واسبغ عليها من النعمة التى اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة • وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يرزق ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة • وقال
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو
فى الجنة كهاتين • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى
شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه • وعن انس رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة
حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله تعالى ومن بكى من خشية
الله حرم الله بدنه على النار • وروى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت له ثلث بنات او
اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل وثنتان

يا رسول الله قال وثنتان فقال رجل وواحدة فقال او واحدة • الادب الثانى ان يؤذن فى اذن المولود
روى نافع عن ابيه قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم اذن فى اذن الحسن لما ولدته فاطمة رضى الله عنها
وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن فى اذنه اليمنى واقام فى اذنه اليسرى
رفعت عنه ام الصبيان • ويستحب ان يلقن اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه
والختان فى اليوم السابع ورد فيه خبر • الادب الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك حق الولد قال
صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال صلى الله عليه وسلم احب الاسما الى الله تعالى عبد الله وعبد
الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى قال العلما كان ذلك فى عصره اذ كان ينادى
يا ابا القاسم واما الآن فلا باس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته قال صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى
قيل ان هذا ايضا كان فى حيوته • وتسمى رجل ابا عيسى فقال صلى الله عليه وسلم ان عيسى لا اب له فكره
ذلك • والسقط ينبغى ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معوية بلغنى ان السقط يوم القيمة وراء ابيه
يقول انت ضيعتنى وانت تركتنى لا اسم لى فقال عمر بن عبد العزيز وكيف وقد لا يدرى انه غلام او جارية
فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعمر فقال صلى الله عليه وسلم
انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فحسنوا اسمائكم ومن كان له اسم مكروه يستحب ان يبدله
بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله وقال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة
تزكى نفسها فسماها زينب • وقد ورد نهى فى تسمية افلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال ثم بركة فيقول
لا • الادب الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا باس بالشاة ذكرا كان او انثى • روت
عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر فى الغلام بشاتين مكافئتين وعن الجارية بشاة
وروى انه عليه الصلاة والسلام عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة من الاختصار على واحدة وقال صلى الله
عليه وسلم مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى • ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره
ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر • روى انه صلى الله عليه وسلم امر فاطمة رضى الله عنها يوم سابع الحسين
ان يحلق راسه وتتصدق بزنة شعره فضة قالت عائشة رضى الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم • الادب الخامس
ان يحنكه بتمرة او حلاوة • روى عن اسما ابنة ابى بكر الصديق رضى الله عنها انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير
بقباء ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان
اول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول
مولود ولد فى الاسلام وفرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم

... عشر فى الطلاق

وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله عز وجل وانما يكون مباحا
اذا لم يكن فيه ايذا بالباطل ومهما طلقها فقد اذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة
من جانب المؤذى قال الله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اى لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها
ابوه فليطلقها قال ابن عمر رضى الله عنهما كان تحتى امراة احبها وكان ابى يكرهها ويامرنى بطلاقها فراجعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امراتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها
لا لغرض فاسد مثل عمر رضي الله عنه ومهما آذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة
الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة مهما بذت على اهله
وآذته فهي فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان
تفتدي ببذل المال ويكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة
على البضع قال الله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما دونه لائق بالفداء فان سالت
الطلاق بغير ما باس فهي آثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقها من غير
ما باس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وقال صلى الله عليه وسلم المختلعات هن المنافقات
ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور **الاول** ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في
الحيض او الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها
طلق ابن عمر رضي الله عنهما امراته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم
تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النسا وانما امره بالصبر
بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط **الثاني** ان يقتصر على طلقة واحدة
فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في
العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة وان طلق ثلثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر
مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اياها
اعني زوجة المحلل بعد ان زوجت منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة
كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني واعني بالكراهة تركه النظر
لنفسه **الثالث** ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها
بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب
ما لم يسلم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم
بعض اصحابه بطلاق امراتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف
درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احداهما فنكست راسها وسكتت واما الاخرى
فبكت وانتحبت فسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا
امراة بعدما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن عليه السلام ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام
فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عايشة رضي الله عنها حيث قالت
لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
عبد الرحمن بن الحارث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال الا ارسلت الي
فكنت اجيئك قال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه

وقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما
ساءها ويسرني ما سرها وانت مطلاق واخاف ان تطلقها فان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك
واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها
زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي يقول ما اراد عبد الرحمن
الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على
المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين
لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر بذلك علي وقال ولو كنت بوابا على باب الجنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على ان من طعن في حبيبه من اهل او ولد لنوع حيا فلا ينبغي
ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه
والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم الى قوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال تعالى وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته **الرابع** ان لا يفشي لها سرا لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في افشاء
سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اذا اراد طلاق امراته فقيل له
ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة
غيري فهذا بيان ما على الزوج

القسم الثاني من هذا الباب

النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة
الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار
كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل
قد خرج الى السفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المراة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيعي
زوجك فمات ابوها فاستامرت فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل اليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبرها ان الله عز وجل غفر لابيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المراة
خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج
الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات
باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار
فاذا اكثر اهلها النسا فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر
وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النسا فقلت اين النسا فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران
يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عايشة رضي الله عنها اتت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله اني فتاة اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى

تقدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذا قال بل تزوجي فانه خير • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت انى امراة ايم واريد ان اتزوج
فما حق الزوج فقال صلى الله عليه وسلم ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها على نفسها وهى على ظهر بعير
ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطى شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن
حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من
بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها الملئكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وفى الحديث والولد لو الدم من عظم
الحق عليه وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما تكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها
في صحن دارها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها • والمخدع بيت في بيت وذلك للستر
وقال صلى الله عليه وسلم المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان • وقال صلى الله عليه وسلم للمراة
عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة واذا ماتت ستر القبر العشر عورات • فحقوق الزوج
على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والاخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف
عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كان عادة نساء السلف • كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته
او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر
فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته
اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكل ويبقى الرزاق • وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد
ابن ابي الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت
اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان انفقه على اخوانك
واعرف بذلك الصالحين فيكون ذلك لي طريقا الى الله تعالى فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي
سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزوج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها
قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان في منزلنا كر من جص ففني من
غسل ايدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا ممن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة
فكانت تطعمني الطيباب وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في
اهل الشام برابعة العدوية في البصرة • ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي تخاف فساده فان
اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر • ومن حقها على الوالدين
تعليمها حسن المعيشة واداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بن خارجة الفزاري قال لابنته عند التزوج
انك خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا
يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكون لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي

عنه

عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان ناى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا
ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا • وقال رجل لزوجته

خذي العفو مني تستديمي مودتي • ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة • فانك لا تدرين كيف المغيب
واني رايت الحب في القلب والاذى • اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

والقول الجامع في اداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا تكثر صعودها واطلاعها
قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته
في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها وان خرجت باذنه فمختفية في حالة رثة تطلب
المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى
صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همها صلاح شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها
وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة
على نفسها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ومقدمة حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في
نفسها مستعدة في الاحوال كلها للتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان
عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة
امراة امت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا او ماتوا وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله عز وجل على
كل آدمي دخول الجنة قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال
لي يا محمد هذه امراة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله
لها ذلك • ومن ادابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها وما لها ولا تزدري زوجها لقبحه • فقد روي ان الاصمعي
قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها اما هذه
ارضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسات في قولك لعله ان يكون احسن فيما بينه
وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي انا اسات فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي به
قال فاسكتتني • وقال الاصمعي رايت في البادية امراة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة
فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت • ولله مني جانب لا اضيعه • وللهو مني والبطالة جانب •
ومن اداب المراة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط باسباب
اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال • روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك
دخيل يوشك ان يفارقك الينا • ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه
اكثر من اربعة اشهر وعشرا وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها سفين بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت

به جارية ثم سمحت بعارضها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلثة ايام الا على زوج اربعة اشهر
وعشرا • ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا للضرورة
ومن آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار مما تقدر عليه • روى ان اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شي غير فرسه وناضحه فكنت اعلف
فرسه واسوسه واكفيه مؤنته وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت
انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكانما اعتقني
ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال صلى الله عليه وسلم
اخ اخ ليُنيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان من اغير
الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني استحييت فجئت الى الزبير فحكيت ما جرى فقال والله
لحملك النوى على راسك اشد علي من ركوبك معه • فهذا جملة ما اوردنا في كتاب النكاح وآدابه وما
يجب للزوج على الزوجة وعظم حقه عليها تم كتاب آداب النكاح والحمد لله رب العالمين وصلوته على اشرف
خلقه محمد وآله وصحبه وسلامه • تتلوه ان شا الله تعالى كتاب آداب الكسب •

كتاب آداب الكسب والمعايش

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله حمد موحد انمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى • ونمجده تمجيد من
يصرح بان كل شي ما سوى الله باطل ولا يحاشي • وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له ولا فراشا • ونشكره اذ رفع السما لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض لهم بساطا وفراشا
وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا • لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا
به عن ضرعة الحاجات انتعاشا • ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم
عليه عطاشا • وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا • وسلم كثيرا •

اما بعد فان الرب الواحد الوهاب • رب الارباب • ومسبب الاسباب جعل الآخرة
دار الثواب والعقاب • والدنيا دار التمحل والاضطراب • والتشمير والاكتساب • وليس التشمير
في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة
ومدرجة اليها والناس ثلثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن
معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال فهو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين
ولن ينال رتبة الاقتصاد ما لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد • ولن ينتهض طلب الدنيا وسيلة
الى الآخرة وذريعة • ما لم يتادب في طلبها بآداب الشريعة • وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات
وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب ان شاء الله تعالى • الباب الاول في فضل
الكسب والحث عليه • الباب الثاني في علم صحيح البيع والشرا والمعاملات • الباب الثالث في

بيان العدل واجتناب الظلم في المعامله • الباب الرابع في بيان الاحسان فيها • الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا • فذكره في معرض الامتنان • وقال تعالى وجعلنا لكم فيها
معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال
تعالى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله

واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة
وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهدا • وقال صلى الله عليه وسلم
من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر
وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا
ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه
ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين
او ذرية ضعافا ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه
مهنة • وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم احل ما اكل الرجل من كسبه وكل
بيع مبرور وقال صلى الله عليه وسلم احل ما اكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح • وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق • روى ان عيسى عليه السلام راى رجلا فقال ما تصنع قال اتعبد
قال من يعولك فقال اخي قال اخوك اعبد منك • وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم شيئا يقربكم
من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه
وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطا عنها فاتقوا الله واجملوا في
الطلب امرنا بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطا شي من الرزق
على ان تطلبوه بمعصية الله عز وجل ان الله لا ينال ما عنده بمعصية • وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق
موائد الله فمن اتاها نال منها • وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من
ان ياتي رجلا آتاه الله من فضله فيساله اعطاه او منعه • وقال صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه
بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر

واما الآثار فقد قال لقمان لابنه يا بني استغن
بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله
وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به • وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن
طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السما لا تمطر ذهبا ولا فضة • وكان زيد بن مسلمة يغرس في
ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكون اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة •
فلن ازال على الزوراء اعمرها • ان الكريم على الاخوان ذو المال •

وقال ابن مسعود انى لاكره ان ارى رجلا فارغا لا فى امر دنياه ولا فى امر آخرته • وسئل ابرهيم عن التاجر الصدوق
اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الى لانه فى جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال
والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده • وخالفه الحسن البصرى فى هذا • وقال عمر رضى الله عنه ما من موضع
يأتينى الموت فيه احب الى من موطن اتسوق فيه لاهلى ابيع واشترى • وقال الهيثم ربما يبلغنى عن الرجل يقع فى
فاذكر استغنائى عنه فيهون ذلك على • وقال ايوب كسب فيه شىء احب الى من سؤال الناس • وجاءت ريح عاصفة
فى البحر فقال اهل السفينة لابرهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس
وقال ايوب قال لى ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعنى الغنى عن الناس • وقيل لاحمد ما تقول
فيمن جلس فى بيته او فى مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقى تحت ظل رمحى وقوله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا
وتروح بطانا فذكر انها تغدو فى طلب الرزق • وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر
ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم اولى • وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الى من ان اراك
فى زاوية المسجد • وروى ان الاوزاعى لقى ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى
هذا اخوانك يكفونك فقال دعنى عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغنى انه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت
له الجنة • وقال ابو سليمان ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفك
فاحرزهما ثم تعبد • وقال معاذ بن جبل ينادى يوم القيامة اين بغضاء الله فى ارضه فيقوم سؤال المساجد
فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه عن ذلك الا
الكسب والتجارة • **فان قلت** فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحى الى ان اجمع المال وكن من التاجرين
ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين • وقيل لسلمان الفارسى اوصنا
فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا جابيا ؏
فاعلم ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا
من كل شىء ولكن التجارة اما ان تطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة
على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا للصرف الى الخيرات والصدقات فهى مذمومة لانه اقبال على
الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك جابيا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا
ولا جابيا واراد بالتاجر طالب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم
بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب
افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله وينادى بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة
بل من الاشتغال بالعبادات البدنية • وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او
رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب فى علوم الاحوال والمكاشفات او عالم يشتغل بتربية علم الظاهر مما
ينتفع الناس به فى دينهم كالمفتى والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل

وللفرع

بامورهم

بامورهم كالسلطان والقاضى والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف
المسبلة على العلماء والفقراء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه صلى الله عليه وسلم
كان جامعا لهذه المعانى الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة رضى الله عنهم على
ابى بكر رضى الله عنه بترك التجارة لما ولى الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح فكان يأخذ كفايته من مال
المصالح ورأى ذلك اولى ثم لما توفى اوصى برده الى بيت المال ولكنه رآه فى الابتداء اولى ولهؤلاء الاربعة
حالتان اخريان احديهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدى الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة او
صدقة من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس على الخيرات
وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم • الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا فى محل النظر والتشدد
التى رويناها فى السؤال وذمه تدل ظاهرا على ان التعفف عن السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير
ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكل الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى فى السؤال
من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم او العمل من الفائدة
له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته فى اشتغاله بالعلم والعمل ويهون عليه بادنى تعريض فى
السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغى ان يستفتى المريد فيه
قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال • فقد كان فى السلف
من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم كل سنة مرة واحدة فى ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا
يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكلفين لهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لخيراتهم خيرا مضافا
لهم الى عباداتهم فينبغى ان يدقق النظر فى هذه الامور فان اجر الآخذ كاجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين
به على الدين والمعطى يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعانى امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح
من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذى به
الاكتساب جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد فى كل
واحد بابا ونبتدى بذكر اسباب الصحة فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ؏ والله تعالى اعلم ؏

الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع

والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار
المكاسب فى الشرع • **اعلم** ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة
على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب محتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا
الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة ولم يقع على سبب اشكالها
فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جملى فلا يدرى متى يجب عليه التوقف ؏
والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكنى اصبر الى ان تقع لى الواقعة فعندها اتعلم واستفتى فيقال له

بيان

وبما تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له
من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر
رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا
اكل الربا شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلم
والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها

العقد الاول البيع

وقد احله الله تعالى وله ثلثة
اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ

الركن الاول

العاقد ينبغي ان لا يعامل بالبيع اربعة
الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل ولا يصح مع الصبي وان اذن
فيه الولي عند الشافعي رحمه الله وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة اليهما فضاع في ايديهما
فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب
وغيرهم ان لا يعاملوا العبد ما لم ياذن لهم السيد في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون
له في الشرا للسيد والبيع له فيعول اي يعتمد على الاستفاضة او على قول عدل يخبر بذلك فان عامله بغير اذن
السيد فعقده باطل وما اخذ منه مضمون عليه لسيده وما سلمه ان ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا
يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة به اذا اعتق واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليامره
بان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة
وما اخذ منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه ايضا مضمون له بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته ولكن لا
يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا الامة المسلمة ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل
فهي معاملات مردودة وهو عاص بها لربه عز وجل واما الجندية من الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد
والسراق والخونة واكلة الربا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيا لاجل انه
حرام الا اذا عرف شيا بعينه انه حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام

الركن الثاني

في المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين الى الاخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر
فيه ستة شروط • الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب ولا خنزير ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع
العاج ولا الاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز
بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات الميتة التي لا تؤكل وان كان يصلح للاستصباح او طلي السفن
ولا باس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في
غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه
بالبيض وهو اصل حيوان فانه اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضي بطهارتها اذا
انفصلت من الظبية في حال الحياة • الثاني ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفارة والحية
ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق في اخراجها من السلة وعرضها على
الناس ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والاسد وما يصلح للصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل

لاجل الحمل ويجوز بيع الببغا والطاووس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج باصواتها والنظر
اليها غرض صحيح مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهي رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور
المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار
يتسامح بها واما الثياب والاطباق التي عليها صور الحيوانات يصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اتخذي منه نمارق فلا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة
واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك • الوجه الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا
له من جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استيناف
العقد فلا ينبغي ان يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا
على انه لو عرف لرضي به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يجري في الاسواق فواجب
على العبد المتدين ان يحترز منه • الرابع ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر
على تسليمه لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على
ظهر الدابة واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع • والمعجوز عن تسليمه شرعا
كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا
وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع • الخامس ان يكون
المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من
هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذه الكرباس او خذ من اي
جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذ من اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده
المتساهلون في الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف الشيء او عشره فان ذلك جائز • واما العلم
بالمقدار فلا يحصل بالكيل او الوزن او النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما
لا يعلمان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو
قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك هذه الصبرة من الدراهم وبهذه القطعة من الذهب وهو
يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار • واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الاعيان
فلا يصح بيع الغائب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان
هذا اشد المذهبين فلا يجوز بيع التوزي في المسوح اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز
بيع الارز في قشره التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز والجوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرين ويجوز بيع
الباقلا الرطب في قشره للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن يجعل اباحة بعوض
فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستتر الخلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في اخراجه افساد
كالرمان وما يستتر خلقته • السادس ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة هذا

وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول
فكل من اشتراه وباعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه
بشرط الكيل لا يتم الا بان يكاله فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة
فهو جائز قبل القبض

الركن الثالث

لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ
دال على المقصود مفهم اما صريح او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز
مهما قصدا به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا كان في ثوبين او دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح
اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما يختاره ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرطا على
خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيئا آخر او ان يحمل المبيع الى داره او اشترى الحطب بشرط النقل
الى بيته فكل ذلك فاسد الا اذا افرد استيجاره على النقل باجرة معلومة مفردة عن الشرى للمنقول
ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد بيع عند الشافعي اصلا وانعقد
عند ابي حنيفة ان كانت في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس
المحقرات في المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى بزاز ياخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله
الى المشتري ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويسلمها الى البزاز
فياخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب ولا قبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون
على حانوت البياع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فمن يزيد يقول هذا علي بتسعين ويقول الآخر
علي بخمسة وتسعين ويقول الآخر بمائة فيقول له زن فيزن ويسلم وياخذ المتاع من غير ايجاب وقبول
وقد استمرت بهذا العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلاثة الاول
اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد
احل الله عز وجل البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم
وتسلم عادي فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب
النفيسة وما يكثر التنازع فيها اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم يصدر مني الا
مجرد تسليم وذلك ليس ببيع • الاحتمال الثاني ان يسد الباب كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان
العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان الصحابة
ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك
نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض عن ذلك بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل
هذا تتقارب والثاني ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا
ويعلم ان البايع قد تملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك • الاحتمال الثالث
ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه
نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج الى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه وهو اقرب

الاحتمالات الى الاعتدال فلا باس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على
الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط
في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن فان له طرفان واضحان
اذ لا يخفى ان شرى البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة
وطالب الايجاب والقبول فيها يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم
الوزن لامر حقير لا وزن له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني العبيد والدواب والعقارات والثياب
النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها
هي في محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك
ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكله • واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل
باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع
دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول
الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من
نقله الى الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب
والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع
المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان يمتنع بان البايع قد تملكه بغير
ايجاب وقبول فان ذلك لا نعرفه تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرايه او اقر البايع
به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه
يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن

فان قلت ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان
اصحابها يبيعون بالمعاطاة في البيع والشرا او سمع منهم ذلك او رآه ايجب عليه الامتناع من الاكل ام لا

اقول يجب عليه الامتناع من الشرا اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن
من المحقرات واما الاكل فلا يجب عليه الامتناع منه فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك
فلا ينبغي ان نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق فكل مطعوم جرى
فيه بيع معاطاة فتسليم البايع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام
والاذن في الطعام لمن يريد المشتري فينزله منزلة ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم
من اردت فانه يحل له • ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه يحل الاكل ويلزمه الضمان
بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في
ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة
من عليه وان كان قادرا على مطالبته فانما لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان

يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا بان يستوفى دينه مما سلم اليه فيأخذ بحقه لكن على الاحوال كلها جانب البائع اغمض لان ما اخذه فقد يريد الملك فيه التصرف ولا يمكنه التملك الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضاه استفاده من الفعل دون القول واما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من سياق هذا ان الضيف يضمن ما اكله وانما يسقط الضمان عنه اذا اتلف البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهو الاحتمالات وظنون رددناها ولا يمكننا الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه

العقد الثاني في عقد الربا

وقد حرم الله تعالى الربا وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد وطعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة به حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب انه يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فيحترز منه في ثلاثة امور في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة وان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليه اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس اذا لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة واما اذا كانت نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان تقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشترى بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعه بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسيئة

وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري به الخبز نسيئة او نقدا فهو حرام ومعاملة العصار اذ يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون وغير ذلك مما يتخذ منه الدهن ليؤخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر اجزاء اللبن فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا او بجنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز ان يباع به متماثلا ومتفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متماثلا ومتفاضلا فهذه جملة مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا شك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري

العقد الثالث

السلم وليراع التاجر فيه عشر شروط الاول ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر من حنطة لم يصح في احد القولين الثاني ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف يتفاوت فيه القيمة تفاوتا لا يتغابن فيه الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الرؤية في البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد والى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم وقد يتأخر السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده وعدمه غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله ان يمهله ان شاء او يفسخه ويرجع في راس المال ان شاء السابع ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا الثامن ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا البلد وثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام مهما كان راس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا

العقد الرابع الاجارة

ولها ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون

معلوم الصفة والقدر والتحرز فيه عن امور جرت العادة بها ومو كرا الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة
مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكترى ان يصرف الى العمارة لم يجز لان عمله فى الصرف الى العمارة مجهول
ومنها استيجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ واستيجار حمال الجيفة بجلد الجيفة واستيجار الطحان
بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز
ان يجعل اجرة ● ومنها ان يقدر فى اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم
يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة لم تنعقد الاجارة ● الركن الثانى المنفعة المقصودة بالاجارة وهى
العمل وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه
وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها فى
الفقهيات وانما نشير الى ما تعم به البلوى فليراع فى العمل المستاجر عليه امور خمسة ● الاول ان يكون
متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان او اشجار ليجفف عليها الثياب
او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجرى فى مجرى حبة سمسم وحبة بر من الاعيان فى ذلك
لا يجوز بيعها ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياعون عوضا
عن جاههم وحشمتهم وقبول قولهم فى ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها
ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا اما بكثرة التردد واما بكثرة الكلام فى تاليف امر المعاملة ثم لا
يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطا عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق ● الثانى ان لا يتضمن
الاجارة استيفا عين مقصود فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه ولا اجارة المواشى للبنها ولا اجارة البساتين
لثمرها ● ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق
وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما ● الثالث ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا
فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على التعليم وغيره وما يحرم فعله
فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع فى قطعه او استيجار
الحايض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش او استيجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن
زوجها او استيجار المصور على صور الحيوانات او استيجار الصانع على صنعة الاوانى من الذهب والفضة
وكل ذلك باطل ● الرابع ان لا يكون العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث لا تجرى النيابة فيها عن المستاجر
فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى ساير العبادات التى لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر ويجوز
على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفى اخذ الاجرة عن امامة صلاة التراويح وعلى
الاذان وعلى التصدى للتدريس واقراء القران خلاف اما الاستيجار على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة
بعينها لشخص معين فصحيح ● الخامس ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب
والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة
وكل ما يثير خصومة فى العادة فلا يجوز اهمالها وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به

بجليات

بجليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسال فان الاستقصا شان المفتى لا شان العوام

العقد الخامس القراض

وليراع فيه ثلثة اركان **الركن الاول** راس المال وشرطه ان يكون
نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز
على صبرة من الدراهم لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه يضيق طريق التجارة

الركن الثانى الربح وليكن معلوما بالجزوية بان يشرط له الثلث او النصف او ما شاء فلو
قال على ان لك من الربح مائة والباقى لى لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين
بل بمقدار شايع **الركن الثالث** العمل الذى على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين
وتاقيت فلو شرط ان يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان
الربح لم يجز لان القراض ماذون فيه فى التجارة وهو البيع والشرا وما يقع من ضرورتهما فقط فهذه حرفة اعنى الخبز
ورعاية المواشى ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشترى الا من فلان او لا يتجر الا فى الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب
التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ
فله ذلك فاذا فسخ فى حالة المال كله نقد لم يخف وجه القسمة وان كان عرضا ولا ربح فيه رد عليه ولم
يكن للمالك تكليفه ان يرده الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيا وان قال العامل ابيعه وابا المالك
البيع فالمتبوع راى المالك الا اذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على راس المال ومهما كان ربح فعلى
العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليه
بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكوة فاذا كان قد ظهر من الربح
شئ فالاقيس ان زكاة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس للعامل ان يسافر بمال القراض
دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكن يضمن الاعيان والاثمان جميعا لانه عدوانه بالنقل يتعدى الى الثمن
المنقول وان سافر بالاذن جاز ونفقة مثله وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل
الذى لا يعتاد التاجر مثله على راس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان يبذل عليه
اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد فى السفر لمال القراض
فنفقته فى السفر على مال القراض فاذا رجع فعليه ان يرد بقايا الات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما والله اعلم

العقد السادس الشركة

وهى اربعة انواع ثلثة منها باطلة **الاولى** شركة
المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لنشترك فى كل ما لنا وعلينا وما لاهما متمايزان وهى باطلة
الثانية شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك فى اجرة العمل **الثالثة** شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما
حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل فهو باطل وانما الصحيح **الرابعة** المسماة
شركة العنان وهو ان يخلطا مالهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف ثم
حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول
وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف

القراض النقد • فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدرى • واما
معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها من ثلثة وجوه
من اهمال شروط البيع او اهمال شروط السلم او الاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط على
هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة فى كل مدة ثم التقويم ثم الحسب ما يقع عليه التراضى وذلك مما يرى القضاء باباحته
للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن يجب الضمان باكله ويلزمه قيمته
يوم الاتلاف فيجتمع فى الذمة تلك القيم فاذا وقع التراضى على مقدار فينبغى ان يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا
يبقى عهدة ان تطرق اليه تفاوت فى التقويم فهذا ما يجب القناعة به فان تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج
فى كل يوم ومساعدة تكليف شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير من ذلك فيه عسر
واذا اكثر كل نوع سهل تقويمه

الباب الثالث

فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة • اعلم ان المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها
ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به العامل لسخط الله اذ ليس كل نهى مقتضيا فساد العقد وهذا الظلم نعنى به ما
يستضر به الغير وهو ينقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل

القسم الاول فيما يعم ضرره وهو

انواع **الاول** الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه
مذموم فى الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن كفارة
لاحتكاره • وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ
الله منه وقيل فكانما قتل نفسا • وعن على رضى الله عنه انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه • وعنه
ايضا انه احرق طعام محتكر بالنار • فى فضل ترك الاحتكار عن النبى صلى الله عليه وسلم من جلب
طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفى لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وقيل فى قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته • وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة
حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى الغد فوافق سعة فى السعر
فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك
فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب ان
نربح اضعافه بذهاب شئ من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق
به على فقراء البصرة وليتنى انجو من اثم الاحتكار كفافا لا على ولا لى • واعلم ان النهى مطلق ويتعلق النظر به
فى الوقت والجنس • اما الجنس فيطرد النهى فى اجناس الاقوات واما ما ليس بقوت ولا هو معين على
القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهى عنه وان كان مطعوما • واما ما يعين
على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغنى عن القوت فى بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا
فى محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم فى السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجرى مجراه • واما الوقت
فيحتمل ايضا طرد النهى فى جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التى ذكرناها فى الطعام الذى صادف فى البصرة

سعة فى السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون فى تاخير بيعه ضرر ما فاما اذا
اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم
ينتظر قحطا فليس فى هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان فى ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها
اضرار فينبغى ان يقضى بتحريمه ويعول فى نفى التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام
واذا لم يكن اضرار فلا يخلو احتكار الطعام عن كراهية لانه ينتظر مبادى الضرار وهو ارتفاع الاسعار وهو
انتظار مبادى الضرار مكروه محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار ايضا هو دون
الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة فى الاقوات مما لا
تستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغى ان يطلب فيما خلقت من جملة
المزايا التى لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا
فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان ان يكون جزارا فانها
صنعة تقسى القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة • **النوع الثانى** ترويج الزائف من الدراهم
فى اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع
ولا يزال يتردد فى الايدى ويعم الضرر به ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذى
فتح ذلك الباب قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر
من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شئ • وقال بعضهم انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة
معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزائف بدعة اظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده
فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتى سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص
من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة
سنة ومائتى سنة يعذب بها فى قبره ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اى
نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه • وفى مثله قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما
قدم واخر • وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره • وليعلم ان فى الزائف خمسة امور • الاول انه
اذا رد عليه شئ منه فينبغى ان يطرحه فى بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه فى بيع آخر وان افسده
بحيث لا يمكن التعامل به جاز • الثانى انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصى به لنفسه ولكن لئلا
يسلم الى مسلم زائفا وهو لا يدرى فيكون آثما بتقصيره فى تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله
ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم • الثالث انه اذا سلم وعرف المعامل
انه زائف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب
فى اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذى يخص معامله فقط • الرابع انه اذا اخذ الزائف ليعمل بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل
فى بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه فى بئر وان كان عازما على ان يروجه فى معاملة فهذا شر روجه الشيطان

عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضا • الخامس ان الزايف نعني به ما لا نقرة فيه ا
اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد
فقد اختلف العلما في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار
النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة
عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق
التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ منه
الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه • وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من
المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من المتعبد
وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي
لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي
وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج ولما ظهر لي
من خلق فرسي فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قايم فرايت في النوم كان فرسي يخاطبني ويقول لي
بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زايفا
لا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت منه الدرهم • فهذا مثال ما يعم
ضرره وليقس عليه امثاله

القسم الثاني

ما يخص ضرره المعامل وكل ما يستضر به
المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه
فكل ما لو عومل به لشق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم
غيره • قال بعضهم من باع اخاه شيا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانق فانه قد
ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته • فاما تفصيله ففي اربعة
امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه • اما الاول
فهو ترك الثنا فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا
وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة وان اثنى على السلعة
بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه لانه لم يتكلم بها قال الله
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد • الا ان يثني على السلعة بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم
يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة
واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخاه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف
عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكباير التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد
جعل الله عز وجل عرضة لايمانه وقد اسا فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله تعالى
من غير ضرورة • وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد • وفي الخبر اليمين

الكاذبة

الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب • وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة
لا ينظر الله اليهم يوم القيمة عايل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه • واذا كان الثنا على السلعة
مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين • وقد روي عن يونس
ابن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشرا فاخرج غلامه سفط الخز فنشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة
فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثنا على السلعة • فمثل هولاء هم
الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الاخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا •
الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منه شيا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما
غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني
كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله
ويدل على تحريم الغش ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فراى
بللا فقال ما هذا فقال اصابته السما فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا
ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف
فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان
شيت فخذ وان شيت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع قال انا بايعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم • وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة بثلثماية درهم وغفل
واثلة فذهب الرجل بالناقة فسعى وراه وجعل يصيح به وقال يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر
فقال ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا تتابع السير فعاد وردها فنقصها البايع ماية درهم فقال لواثلة
رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم • وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد ان يبيع بيعا الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا
بينه • فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضايل وزيادة
المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك
يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم
بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان يعلم ان تلبيسه العيوب
وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من متفرقات التلبيسات يهلكه
الله دفعة واحدة • فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط لبنها بالماء ويبيعه فجاء سيل فغرق
البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت
البقرة • كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا
كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما • وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما
فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان لم يصدق بهذا

الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والالف
المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له في بعض
احواله • عرف ان معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لابد
من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناه خير من ربح الدنيا فان فوايد اموال
الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي
هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال لا اله الا الله يدفع عن
الخلق سخط الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم على آخرتهم • وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة
دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله عز وجل كذبتم لستم بها صادقين • وفي حديث آخر من
قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن
من استحل محارمه • ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع
راس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة • وعن بعض التابعين قال لو دخلت الجامع
وهو غاص باهله فقيل لي من خير هؤلاء لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم قلت
من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم • والغش حرام في البيوع والصنايع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع
بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها
عيب فبه يتخلص • وسال رجل حذا ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين
سواء ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احد النعلين
على الاخرى • ومن هذا الفن ما سيل عنه احمد رضي الله عنه من الرفو بحيث لا يتبين فقال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه
وانما يحل للرفا اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان
ان يذكر العيوب التي في المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه
لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم
لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب
نادرا فليذكره وليقنع بقيمته • باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرا اليك من عيب فيها انها تقلب العلف
برجلها • وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين
فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة • الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك
بتعديل المكيال والميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون • ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى
وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه
بكماله يوشك ان يتعداه • وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة
واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض ومن اخسر ممن باع طوبى

بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعهم ويودي
حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر
فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب تكحيله فقال
يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة • وقال بعض السلف عجبا للتاجر والبايع كيف ينجو يزن ويحلف
بالنهار وينام بالليل • وقال سليمان عليه السلام لابنه كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين
المتبايعين • وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك تقول
لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ بالآخر اشار به الى فسقه مظلمة بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد
والمسامحة والعفو فيه ابعد • والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة
وفي قراة عبد الله بن مسعود ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان
فان النقصان والرجحان يظهر بميله • وبالجملة كل من ينتصف من غيره لنفسه ولو في كلمة ولا ينصف بمثل
ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • فان تحريم ذلك
في المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال
فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب ميزان في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل
عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على
ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد عن ذنبه ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت
تفاوتا عظيما فبذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم
ويبقى بعضهم الفا او الوف سنين فنسال الله عز وجل ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن
الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه
لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر
الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيمة على الصراط • وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله
فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن
وقس على هذا ساير التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت
الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده مدا في الذرع ليظهر تفاوت في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض
صاحبه للويل • الرابع ان يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تلقي الركبان ونهى عن النجش • اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد
فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقى فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا
الشرى منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبايع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر
مع زوال التلبيس • ونهى عليه الصلاة والسلام ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه
قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره

وهذا فى القوت محرم وفى سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهى ولانه تاخير للتضييق على الناس
على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق واما النجش فهو ان يتقدم الى البائع بين يدى المشترى الراغب ويطلب
السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما قصده تحريك رغبة المشترى فيها فهذا ان لم تجر مواطاة مع البائع فهو
فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففى ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه
تغرير بفعل يضاهى التغرير فى المصراة وتلقى الركبان فهذه المناهى تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البائع
والمشترى سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب
وقد حكى عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان
قصب السكر قد اصابته فى هذه السنة آفة فاشترى السكر فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين
الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا
الى بائع السكر فدفع اليه الثلاثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت لى فقال انى قد
كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتنى الآن وقد طيبتها
لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيى منى فتركها لى فبكر اليه من
الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبى فاخذ منه ثلاثين الفا • فهذه الاخبار فى المناهى
والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفى من البائع غلاء السعر او
من المشترى تراجع الاسعار فان فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت
بما قام على او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم عليه ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب ونقصان ولو اشترى
باجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه او ولده وجب ذكره لان المعامل يعول على عادته فى الاستقصاء
لانه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته • والله اعلم

الباب الرابع فى الاحسان فى المعاملة

وقد امر الله عز وجل بالاحسان والعدل جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجرى مجرى سلامة راس المال
والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجرى من التجارة مجرى سلامة راس المال الربح ولا يعد من العقلاء
من قنع فى معاملات الدنيا براس ماله فكذا فى معاملات الآخرة فلا ينبغى للمتدين ان يقتصر على العدل •
واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال تعالى ان الله
يامر بالعدل والاحسان وقال تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين ونعنى بالاحسان فعل ما ينتفع
به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد
ذكرناه • وينال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور • الاول فى المغابنة فينبغى ان لا يغبن صاحبه
بما لا يتغابن به فى العادة فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن
يراعى فيه التقريب فان بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته فى المبيع او لشدة حاجته
فى الحال الى البيع او لقلة خبرته بالمبيع فينبغى ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم

يكن اخذ الزيادة ظلما فقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك
ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن • يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب فيها
كل حلة منها اربعماية درهم وضرب قيمتها مايتين فمر الى الصلاة وخلف ابن اخيه فى الدكان فجاء اعرابى وطلب
حلة باربعماية فعرض عليه من حلل المايتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه ومشى بها وهى على يديه فاستقبله
يونس بن عبيد فعرف حلته فقال بكم اشتريتها فقال باربعماية فقال لا تسوى اكثر من مايتين فارجع حتى تردها
فقال هذا يسوى ببلدنا خمسماية وانا ارتضيتها فقال له يونس انصرف فارجع فان النصح فى الدين خير من
الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مايتى درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله وقال اما استحييت اما اتقيت
الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وقد رضى بها فقال فهلا رضيت له بما
ترضاه لنفسك • وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفى الخبر غبن المسترسل
حرام • وكان الزبير بن عدى يقول ادركت ثمانية عشر من الصحابة رضى الله عنهم ما منهم احد يحسن يشترى
لحما بدرهم • فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وان كان من غير تلبيس فهو من الاحسان وقل ما يتم هذا الا بنوع تلبيس
واخفاء لسعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل عن سرى السقطى انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب فى
روزنامجه ثلاثة دنانير وكانه راى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فاتاه الدلال
وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلثة وستين دينارا فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز
بتسعين فقال السرى قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلثة وستين فقال الدلال وانا عقدت عقدا
بينى وبين الله لا اغش مسلما لست آخذه منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا هو باعه • فهذا
محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال • ويروى عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها
خمسة وبعضها بعشرة فباع فى غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابى
المشترى طول النهار حتى وجده وقال ان الغلام قد غلط فباعك ما يسوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد
رضيت قال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما ان تاخذ
شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان تاخذ دراهمك وترد شقتنا فقال اعطنى
خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الاعرابى يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل له هذا محمد بن المنكدر فقال
لا اله الا الله هذا الذى نستسقى به فى البوادى اذا قحطنا • فهذا احسان فى ان لا يربح فى العشرة الا
نصفا او واحدا على ما جرت به العادة فى مثل ذلك المتاع فى ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت
معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة • كان على رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة
ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره • وقيل لعبد الرحمن
ابن عوف ما سبب يسارك فقال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فاخرت بيعه ولا بعت بنسيئة
وقيل انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح بها الف درهم وربح من نفقته عليها اليوم
الف درهم • الثانى فى احتمال الغبن للمشترى • ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير

فلا باس ان يحمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل
الشرا فاما ان اشترى من غنى تاجر يطلب من الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن ليس محمودا بل هو تضييع مال
من غير اجر ولا حمد فقد روى في حديث من طريق اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور ● وكان اياس بن
معوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين كان يقول لست بخب والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين
ولكن يغبن الحسن ويغبن ابي يعني معاوية بن قرة ● والكمال في ان لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي
الله عنه قال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع ● وكان الحسن والحسين وغيرهم من خيار السلف يستقصون
في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير
ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله ● وقال بعضهم انما اغبن عقلي وبصري فلا
امكن الغابن منه واذا وهبت فاعطي لله ولا استكثر له شيا

الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون

والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة
في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل
البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا ● فليغتنم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى
الله عليه وسلم اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا
وفي لفظ اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله ● وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه
حوسب فلم يجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتياني
سامحوا الموسر وانظروا المعسر ● وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك
فتجاوز الله عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وسلم من اقرض دينا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا
جاء الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ● وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي
غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري
بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر ● فقيل في معناه ان الصدقة قد تقع في
يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذل الاستقراض الا محتاج ● ونظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل
يلازم رجلا بدين فاومى الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه ● وكل من باع
شيا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق الى طلبه فهو في معنى القرض وروي ان الحسن باع بغلة له باربعماية
درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا با سعيد فقال قد اسقطت عنك مايه قال له
فاحسن يا با سعيد قال قد وهبت لك مايه اخرى فقبض من حقه مايتين فقيل له يا با سعيد هذا نصف
الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا ● وفي الخبر خذ حقك في عفاف وافيا او غير واف يحاسبك
الله حسابا يسيرا

الرابع في توفية الدين

ومن الاحسان فيه حسن القضا وذلك بان يمشي الى
صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضا ● ومهما
قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضا

مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاه وكل به ملايكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه
وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ● ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله
وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم
يكن قد اتفق قضاوه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال
دعوه فان لصاحب الحق مقالا ● ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان ان يكون الميل الا
من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن الغنا والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا ينبغي ان
تكون الاعانة للمشتري اكثر فان البايع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج هذا هو الاحسن الا
ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه واعانة صاحبه اذ قال صلى
الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم
نصرة له

الخامس ان يقيل من يستقيله

فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع فلا
ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه المسلم قال صلى الله عليه وسلم من اقال نادما
صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة او كما قال

السادس

ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء
بالنسية وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فان كان في صالحي السلف من له دفتران
للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيه اسما من لا يعرف من الضعفاء والفقراء وذلك ان الفقير كان يرى الطعام
او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمن وكان يقول خذه واقض
ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر اصلا ولا يجعله
دينا لكن يقول خذ ما تريد فان يسر لك فاقضه والا انت في حل منه وسعة فهذه طريقة تجارات السلف
وقد اندرست والقايم بها محي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل
وورعه وعقله ولذلك قيل

لا يغرنك من المرء قميص رقعه ● او ازار فوق كعب الساق منه رفعه

ولدى اره الدرهم والدينار ● وانظر غيه او ورعه

وكذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا
في صلاحه ● وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ايتني بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال
له عمر انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل
به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا
فقال اظنك رايته في المسجد يهمهم بالقران يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى فقال نعم فقال اذهب
فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فايتني بمن يعرفك ● والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح

فى الاخرة لا يفى به ما ينال فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغى ان يشفق
على دينه ونفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف
اولى الاشيا بالعاقل احوجه اليه فى العاجل واحوج شئ اليه فى العاجل احمده عاقبة فى الاجل وقال
معاذ بن جبل رضى الله عنه فى وصيته انه لا بد لك من نصيبك فى الدنيا وانت الى نصيبك من الاخرة
احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه وقال تعالى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اى لا تنس نصيبك منها للاخرة فانها مزرعة الاخرة وفيها تكتسب الحسنات والسيئات
وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية والعقيدة فى ابتداء
التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما
يكتسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لسائر
الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان فى معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر فى كل ما يراه ويسمعه فى السوق فاذا اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا فى طريق الاخرة
فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر فى الدنيا ربح فى الاخرة **الثانى** ان يقصد القيام فى صنعته
او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك
الخلق وانتظام امر الدين بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم على صناعة واحدة وتعطلت البواقى
هلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتى رحمة اى اختلاف هممهم فى الصناعات
والحرف ومن الصناعات ما هى مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين فى الدنيا
فليشتغل بصناعة مهمة ليكون بقيامه بها كافيا عن المسلمين مهما فى الدين وليجتنب صناعة النقش
والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما وضع لتزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذووا الدين فاما
عمل الملاهى والالات التى يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة
الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصايغ مراكب الذهب وخواتم الذهب للرجال فكل ذلك
من المعاصى والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكاة فيها وان كنا لا نوجب الزكاة فى الحلى
اذا قصدت للرجال كانت محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلى المباح ما لم يقصد بها فيكتسب
حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم
بغلاء السعر ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة
وكذا الدباغ وما فى معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة
استغناء الدلال عن الكذب والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل
وقد يكثر ولا ينظر فى مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغى ان
ينظر الى قدر التعب وكرهوا شراء الحيوان لان المشترى يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذى هو
بصدده لا محالة وخلوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق

الربا عسير ولانه طلب لدقايق الصفات فى ما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفى
ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقايق النقد فقل ما يسلم الصيرفى وان احتاط ويكره للصيرفى وغيره
كسر الدرهم الصحيح والدنانير الا عند الشك فى جودته او عند ضرورة قال احمد بن حنبل ورد نهى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة فى الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشترى بالدنانير دراهم ثم يشترى
ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز وقال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الى من البز ان لم يكن فيها
ايمان وقد روى خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفى حديث اخر لو اتجر اهل الجنة لتجروا فى البز
ولو اتجر اهل النار لاتجروا فى الصرف وقد كان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز والتجارة
والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر
والوراقة وقال عبد الوهاب الوراق قال لى احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب
ولو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك ثم قال لى لا تكتب الا مواضعة واستثن الحواشى وظهور الاجزاء
واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الراى الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون
ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما ان مخالطة
العقلاء تزيد فى العقل وعن مجاهد ان مريم مرت فى طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق
فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقرا وحقرهم فى اعين الناس فاستجيب دعاؤها
وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا
الاذان وصلاة التراويح وان حكم بصحة الاستيجار عليه وكذا تعليم القران وتعليم علم الحديث فان هذه اعمال
حقها ان يتجر بها للاخرة فاخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الاخرة فلا يستحب ذلك **الثالث**
ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الاخرة واسواق الاخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
فينبغى ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لاخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاذكار والاوراد وكان
عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول
النهار واخره للاخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم
كانوا فى المساجد بعد وفى الخبر ان الملايكة اذا صعدت بصحيفة العبد فى اول النهار وفى اخره ذكر وخير كفر
الله عنه ما بينهما من سيئ الاعمال وفى الخبر تلتقى ملايكة الليل وملايكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة
العصر فيقول الله تعالى وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون
فيقول الله تعالى اشهدكم انى غفرت لهم ومهما سمع الاذان فى وسط النهار للظهر والعصر فينبغى ان لا يعرج
على شغله وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فان ما يفوته من فضيلة التكبير مع الامام فى اول الوقت لا توازيها
الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلما وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون
الاسواق للصبيان واهل الذمة وكانوا يستاجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك معيشة لهم وقد

جاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا
رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة

الرابع ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله تعالى
في السوق بين الغافلين افضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وكالحي
بين الاموات • وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
كتب الله له الف الف حسنة • وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين
لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله تعالى في السوق يجيء يوم القيمة له ضوء كضوء الشمس وبرهان كبرهان
الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد اهلها • وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم
اني اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر كل ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة
خاسرة • وقال ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية
ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل
المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة
ركعة وثلثون الف تسبيحة قال فسبق الي فهمي انه يعني نفسه • فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم
في الدنيا فان من يطلب الدنيا للاستعانة بها على طلب الآخرة كيف لا يدع ربح الآخرة والسوق والبيت والمسجد
له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى وقال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث ما كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع
عن المتجردين للدين كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبه يكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم وربحهم • وقد
قيل من احب الله عاش ومن احب الدنيا طاش والعاقل على دينه فاش والاحمق يغدو ويروح في لاش

الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج وبان يركب البحر في التجارة فهما
مكروهان • يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق • وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو • وكان
عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فان بها باض الشيطان وفرخ • ويروى عن
معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر ان ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فانت صاحب الاسواق زين لهم الكذب
والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل وآخر خارج منها • وفي الخبر شر البقاع الاسواق وشر
اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا • وتمام هذا الاحتراز ان تراقب وقت كفايته فاذا حصل وقت كفايته
انصرف واشتغل بتجارة الآخرة وهكذا كان صالحوا السلف فقد كان منهم اذا ربح دانقا انصرف قناعة به
وكان حماد بن سلمة يبيع الخز في سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابرهيم بن بشار
قلت لابرهيم بن ادهم امر اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته
وتطلب ما لا يفوتك اما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي
انك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في

الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون به

السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع
الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة
رابه امرها سأل عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة • وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال
من اين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه فقال انا معشر
الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين
فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم • فسأل صلى الله عليه وسلم عن اصل الشيء واصل
اصله ولم يزد لان ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال ان
شاء الله تعالى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسأل عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من
يعامله فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم
البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانهم معينون لهم بذلك على الظلم • وحكي عن رجل انه تولى عمل
سور لعمارة ثغر من الثغور فقال وقع في نفسي من ذلك شيء وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض
الاسلام لكن كان الامير الذي تولى من جهته من الظلمة قال فسألت سفيان فقال لا تكونن عونا لهم على
قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم
ليوفوك اجرك فيكون قد احببت بقاء من يعصي الله • وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى
الله في ارضه • وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق • وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم
الاسلام • وقد دخل سفيان على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال
اخبرني باي شيء تكتب فان كان حقا اعطيتك • وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان
يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولني الكتاب اولا حتى انظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة
ومعاملتهم اشد انواع الاعانة فينبغي ان يجتنبه ذو الدين ما وجد اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم
الناس عنده الى من يعامل والى من لا يعامل ولكن من يعامله اقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم
اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي ان اعامل من الناس فيقال عامل من
شئت ثم اتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى وقت آخر فكان يقال لا تعامل احدا
الا فلانا وفلانا واخشى ان يأتي زمان يذهب هذا ايضا • وكانه قد كان الذي خاف ان يكون انا لله وانا
اليه راجعون

السابع ينبغي ان يراعي ويراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه
مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعله وقوله انه لم اقدم عليها ولاجل
ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيمة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة
على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر علي خمسين
الف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقيل هذه معاملات الناس عدد من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان
صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من اول المعاملة الى آخرها فهذا ما يجب على المكتسب في معاملته من العدل

والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين
فان راعى مع ذلك وظايف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين والله سبحانه وتعالى اعلم

كتاب الحلال والحرام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال ثم ركب صورته
في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سايغا كالماء الزلال
ثم حماه بما اتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة
والصيال وقهرها بما افترض عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال
فلقد كان يجري من ابن ادم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يبدرقه الى
اعماق العروق الا الشهوات المايلة الى الغلبة والاسترسال فبقي لما زم بزمام الحلال خايبا خاسرا
ما له من ناصر ولا وال والصلاة على نبيه الهادي من الضلال وعلى اله خير آل **اما بعد**
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه
الفريضة من بين ساير الفرايض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرست
بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل
دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش من النابت في الموات
وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش
من النبات لم يبق وجه الا الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال
فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلاث
بها مقترنات كيف ما تقلبت وتصرفت الحالات ولما كانت هذه بدعة في الدين ضررها واستطار
في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على
وجه في التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب الباب
الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجة الحلال والحرام الباب الثاني في مراتب الشبهات
ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها
في الحلال والحرام الباب الرابع في كيفية خروج التايب عن المظالم المالية الباب الخامس في ادرارات
السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم الباب السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم الباب
السابع في مسايل متفرقة تعم البلوى ويجب النظر فيها والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب الأول في الحرام والحلال

وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال

وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين ثم قال سبحانه وتعالى فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من
الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال عز وجل ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل اكل
الربا في اول الامر موذنا بمحاربة الله ورسوله وفي اخره متعرضا للنار والايات الواردة في الحلال والحرام لا
تحصى واما الاخبار روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما
قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلما اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل
المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله تعالى
ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهدا وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما
نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروي ان سعدا سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسال الله ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب مطعمك تستجب دعوتك
ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشردا في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام
وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فقيل الصرف النافلة
والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار
وقال صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة اجزا فتسعة منها في طلب الحلال وروي هذا مرفوعا وموقوفا على بعض
الصحابة ايضا وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه
وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح وامسى في طلب
الحلال بات مغفورا له واصبح والله راض عنه وقال صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من ماثم فوصل به
رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال صلى الله عليه وسلم خير
دينكم الورع وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله تعالى
قال في بعض كتبه يا موسى اتعلم انه لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب المتقربون الي
بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد الي المتعبدون بمثل البكا من خيفتي فقال موسى يا رب فماذا اعددت لهم
اذا فعلوا ذلك فقال اما الزاهدون فاحللهم الفردوس يتبوون منها حيث شاوا واما البكاوون من خيفتي فاسكنهم
الرفيق الاعلى واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم درهم من ربا اشد عند الله
من ثلاثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة
صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا
ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال تعالى
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير الاية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به
لم يقبل منه وان تركه وراه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب اداب الكسب تكشف

عن فضيلة كسب الحلال **واما الآثار** فقد روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم
سال عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيئ قال حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم
قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعا • وفي بعض الاخبار انه صلى الله عليه وسلم اخبر
بذلك فقال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا • وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن ابل
الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيا • وقالت عايشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الا
وهو الورع • وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل الله ذلك منكم
الا بورع حاجز • وقال ابراهيم بن ادهم لم يدرك من ادرك الاجابة الا من كان يعقل ما يدخل جوفه • وقال
الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين • وقيل لابراهيم بن ادهم لم لا
تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت • وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان
كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال • وقال يحيى بن معاذ الطاعة
خزانة من خزاين الله ومفتاحها الدعا واسنانها لقمة الحلال • وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرء وفي
جوفه حرام • وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرايض
بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من اراد
ان يكاشف بايات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة • ويقال من اكل الشبهة اربعين
اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون • وقال ابن المبارك رد درهم من [illegible]
الشبهة احب الي من ان اتصدق بماية الف درهم وماية الف حتى بلغ ستماية الف • وقال بعض السلف
ان العبد ياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله ابدا • وقال سهل من اكل الحرام
عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعت جوارحه ووفقت للخيرات
وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام
ذل في طلب الحلال تساقطت ذنوبه كما تساقط ورق الشجر • وروي في اثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس
للناس قال العلما تفقدوا منه ثلاثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان
كان سيء الطعمة فلا تجالسوه فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلحه فلا
تجالسوه • وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب • وزاد اخرون
وشبهتها عتاب • وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله فساله عنه فقال نحن
لا ناكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الاخرة ولو اكلنا مما
تاكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل
فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي رايتني
شربتها احب الي من ثلثماية ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية وحشية • وقد كان
بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسال احدا شيا ولو اعطاني السلطان

شيا لاكلته فهجره الامام احمد مدة حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال احمد كيف تمزح بالدين اما علمت ان الاكل
من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا • وفي الخبر انه مكتوب في التوراة
من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النار ادخله • وعن علي رضي الله عنه انه لم ياكل بعد قتل عثمان
ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة • واجتمع فضيل بن عياض وابن المبارك عند وهيب بن الورد
بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا اكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة
وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما يشبهه قال ان اصول الضياع قد
اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفين قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون
عليه فلما افاق قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا حتى القاه فكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسالها فقالت
هو من شاة بني فلان فسال عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي انها من اين كانت ترعى فسكتت
فلم يشرب لانها كانت ترعى في موضع للمسلمين فيه حق فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان
يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته • وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث
تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة • فهكذا كانوا
يحترزون عن الشبهات

اصناف الحلال ومداخله

اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما
يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها ولا ياكل من غيرها
فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الان
نشير اليه في سياق يسير وتقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل من جهة اكتسابه **القسم
الاول** الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما • وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض
لا تعدو ثلثة اقسام فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان • فاما
المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث يضر بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم
والخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم الا من حيث الضرر • وفايدة قولنا انها لا تحرم
مع انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام لم يصر به محرما • واما النبات فلا يحرم منه الا ما يزيل
العقل او يزيل الحياة او الصحة • فمزيل العقل الخمر والبنج وساير المسكرات • ومزيل الحياة السموم • ومزيل
الصحة الادوية في غير وقتها • وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها
ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة • واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا بقلته او لعجنه
بغيره فلا يحرم • واما الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول
في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر • وما يحل اكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا
وروعي فيه شروط الذابح والالة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبايح وما لم يذبح ذبحا شرعيا
او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والخل
والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفسا والعقرب وكل

ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره
لم يلتفت في الخصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك
وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل
الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ● ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر
لم يجب اراقتها اذ المستقذر جرمه اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه
للاستقذار ● وكذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الاكل لا لنجاسته فان الصحيح
ان الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما لا استقذارا ● واما الحيوانات المأكولة اذا ذبحت بشرط
الشرع فلا يحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضي بنجاسته منه بل تناول النجاسة مطلقا
محرم ولكن ليس في الاعيان شيء نجس الا من الحيوانات ● واما من النبات فالمسكرات فقط وليس ما يزيل العقل
ولا يسكر كالبنج نجسا فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه مظنة السوء ومهما وقعت قطرة من
النجاسة المائعة او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل
فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وطلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته

القسم الثاني

ما يحرم لخلل في وجه اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال
اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره فالذي بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان يكون من
غير مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا والمأخوذ
قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة
عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية
ويحصل من هذا السياق ستة اقسام ● الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد
والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من
الادميين فاذا انفك عن الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات ● الثاني
الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا
اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل
هذه الشروط في كتاب السير وكتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية ● الثالث ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند
امتناع من هو عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به
استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل
ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقوف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكوة
والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان الماخوذ حلالا ● الرابع ما يؤخذ تراضيا
بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول
مع ما يتعبد الشرع بها من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة

والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات ●
الخامس ما يؤخذ بالرضى من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد
ولم يؤد الى ضرر بوارث وغيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات ● السادس ما يحصل
بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسبه من بعض الجهات الخمسة على وجه الحلال ثم كان ذلك
بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كان واجبا
وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل الحلال اوما انا الى جملتها ليعلم المريد انه ان
كان طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور فكل ما ياكله من جهة من هذه الجهات ينبغي
ان يستفتي فيه اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك كذلك يقال للجاهل
لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم

درجات الحلال والحرام

اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب من
بعض واصفى من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها
في الثانية كالفانيد وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل فكذلك الحرام بعضه خبيث في
الدرجة الاولى وبعضه في الثانية او الثالثة او الرابعة ● وكذلك الحلال تتفاوت درجات صفائه
وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ
يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر احر من سكر فكذا غيره فلذلك نقول
الورع عن الحرام على اربع درجات ● الاولى ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة
ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء ● الثانية ورع الصالحين
وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع
الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية ● الثالثة ما لا تحرمه الفتوى
ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهذا ورع المتقين قال
صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس ● الرابعة ما لا باس
به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله
او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال
جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد ● الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي
يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهو ايضا على درجات في الخبث فالماخوذ بعقد فاسد
كالمعاطاة مثلا فيما لا تجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر بل المغصوب
اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء الغير وليس في المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق التعبد
فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده
وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من

فقيرا او صالح او يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات الايذا تختلف باختلاف
درجات الموذي فهذه دقايق في تفصيل الخبايث لا ينبغي ان يغفل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة
لما اختلفت درجات النار واذا عرفت مثارات الغلظ فلا حاجة في حصرها في ثلاث درجات او اربع
فان ذلك جاري مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حصر له ويدلك على اختلاف درجات
الحرام في الخبث ما سياتي في تعاريض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل ميتة او
اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذه على بعض **امثلة الدرجات الاربع
في الورع وشواهدها اما الدرجة الاولى** وهو ورع العدول فكل ما اقتضى
الفتوى تحريمه مما يدخل في المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو
الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق فلا نحتاج الى
امثلة وشواهد **اما الدرجة الثانية** فامثلتها كل شبهة لا يجب اجتنابها ولكن يستحب
اجتنابها كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلتحق بالحرام ومنها ما يكره
اجتنابها والورع منه ورع الموسوسين كما يمتنع من الاصطياد خوفا ان يكون الصيد قد افلت من انسان
اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله كل ما اصميت ودع ما
انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب اخر
فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد
في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل منه فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على
سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه فقال وان اكل فقال وان اكل وذلك
لان حال ابي ثعلبة هو فقير مكتسب لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله يحكى عن ابن سيرين
رحمه الله انه ترك لشريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في قلبه شي مع اتفاق العلما على انه
لا باس به وامثلة هذه الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب
اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة **اما الدرجة الثالثة** وهو ورع المتقين فيشهد لها
قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وقال
عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدردا ان من
تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما
فيكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم على رجل مائة درهم فحملها واخذ تسعة وتسعين
وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز وكل ما يستوفيه ياخذه بنقصان حبة
وما يعطيه يزنه مع زيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح

الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال وتترك
الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكراء فكتبت كتابا واردت ان اخذ من تراب
الحائط لاتربه واجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت نفسي وما قدر تراب من حائط فاخذت من التراب
حاجتي فلما نمت فاذا انا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حائط
ولعل معنى ذلك انه يرى كيف تحط منزلته فان للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين ومن ذلك
ما روي ان عمر رضي الله عنه انه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنته حتى اقسمه بين
المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا احببت ان تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها اثر
الغبار فتمسحين بها عنقك فاصيب عطفيك الرايحة بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك للمسلمين فاخذ بانفه حتى لا يصيبه الرايحة وقال هل ينتفع الا
برايحته لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال
صلى الله عليه وسلم كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفوا
السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيم العطارة قالت كان عمر يدفع
الى امراته طيبا من طيب المسلمين فتبيعه امراته قالت فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر
باسنانها فتعلق باصبعها شي منه فقالت به هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر فقال لها ما
هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرة من ماء فجعل يصب
على الخمار الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له رايحة ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها
منه شي فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر ورع التقوى لخوف اداء ذلك الى
غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها ردعا وزجرا وانفا وخوفا من ان
يتعدى الامر الى غيره ومن ذلك ما سيل احمد بن حنبل رضي الله عنه عن رجل يكون في المسجد فيحمل مجمرة
لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا برايحته
وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رايحة الطيب فقد يقصد وقد يبخل به فلا
يدري انه يتسامح به ام لا وسيل احمد بن حنبل عن من سقط منه ورقة من احاديث فهل لمن وجدها ان
يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم يكتبها وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبه يرضى به
ام لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن
الزينة لانه يخاف منها ان تدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سيل احمد بن حنبل
عن النعال السبتية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا
ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة
في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة مما به باس اي مخافة ان يفضي
اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك

الشهوة ثم الشهوة تدعوا الى الفكر والفكر الى النظر والنظر الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنيآء
وتجملهم مباح فى نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعوا الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل فى تحصيله
وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة وفى وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم
بالحذر ثانيا فقل ما تخلو عاقبته عن خطر وكذا اكل ما اخذ بالشره فقل ما يخلو عن غرور وخطر حتى كره
احمد بن حنبل تجصيص الحيطان فقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحائط فزينة
لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شئ مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك
خوفا من سريان اتباع الشهوات فى المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما شهوة واحدة
واذا عودت النفس المسامحة استرسلت الشهوة فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله فكل حلال
انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب فى الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداؤه الى
معصية البتة

اما الدرجة الرابعة

وهى ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل
ما لا يتقدم فى اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه فى الحال والمآل قضآء
وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادة الله واستبقآء الحياة لاجله وهؤلاء هم الذين
يرون كل ما ليس لله فهو حرام امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم وهذه رتبة الموحدين
المتجردين عن حظوظ انفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد ولا شك فى ان من يتورع عما يتوصل اليه
بمعصية او يستعان عليه بمعصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه بمعصية او كراهية
فمن ذلك ما روى عن يحيى بن يحيى انه شرب الدوآء فقالت له امراته لو مشيت فى الدار قليلا حتى يعمل
الدوآء فقال هذه مشية لا اعرفها وانما احاسب نفسى منذ ثلثين سنة فكانه لم يحضره نية
فى هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام عليها وعن سرى انه قال انتهيت الى حشيش فى
جبل ومآء يخرج منه فتناولت الحشيش وشربت من ذلك المآء وقلت فى نفسى ان كنت اكلت يوما حلالا
طيبا فهو هذا اليوم فهتف بى هاتف ان القوة التى اوصلتك الى هذا الموضع من اين هى فرجعت
وندمت ومن هذا ما روى عن ذى النون المصرى انه كان جائعا محبوسا فبعثت له امراة صالحة
طعاما على يد السجان فلم ياكل منه ثم اعتذر وقال جآءنى على طبق ظالم يعنى ان القوة التى اوصلت الطعام
الى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى فى الورع ومن ذلك ان بشرا كان لا يشرب المآء من الانهار
التى حفرها الامرآء فان النهر سبب لجريان المآء ووصوله اليه وان كان المآء مباحا فى نفسه فيكون
كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجرا وقد اعطيت اجرتهم من الحرام وكذلك امتنع بعضهم من العنب
الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته من مآء يجرى فى النهر الذى حفرته الظلمة
وهذا ابعد عن الظلم من شرب نفس المآء لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك المآء وكان بعضهم

اذا مر فى طريق الحج لم يشرب من المصانع التى عملها الظلمة مع ان المآء مباح ولكنه بقى محفوظا بالمصنع والمصنع
عمل بمال حرام فكانه انتفاع به وامتناع ذى النون من الطعام على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد
السجان لا توصف بانه حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكنه وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذا
الحرام ولذلك تقيأ الصديق من اللبن خيفة ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا
يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه
خياط يخيط فى المسجد فان احمد رضى الله عنه كره جلوس الخياط فى المسجد وسئل عن المغازلى يجلس فى قبة
من المقابر فى وقت يخاف من المطر فقال المقابر انما هى من امر الآخرة واطفى بعضهم سراجا اسرجه غلامه
من قوم يكرم ما لهم وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقى فيه عود من حطب مكروه وامتنع ان يحكم شسع نعله
فى مشعلة سلطان فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو
الامتناع مما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من
كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات فى الاحتياط
فكل ما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيمة واسرع جوازا على جسر الصراط وابعد
عن ان ترجح كفة سياته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل فى الآخرة على حسب تفاوت هذه الدرجات
فى الورع كما تتفاوت دركات النار فى حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام فى الخبث واذا علمت حقيقة
الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام

الباب الثانى فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتميزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من
الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات واقع فى الحرام كالراعى يرعى
حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص فى اثبات الاقسام الثلثة والمشكل منها القسم
المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه
الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذى خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى
عينه او خلا عن اسبابه ما يتطرق اليه تحريم او كراهة ومثاله المآء الذى ياخذه الانسان من المطر
قبل ان يقع على ملك احد ويكون هو واقفا عند اخذه وجمعه من الهوا فى ملك نفسه او فى ارض مباحة
والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة فى الخمر والنجاسة فى البول او حصل بسبب
منهى عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق
امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن
اخذ ظبية فيحتمل ان يكون ملكها صياد ثم افلتت منه وكذلك السمك يتصور ان يكون قد تزلق من
الصياد بعد وقوعه فى يده او فى خريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى مآء المطر المختطف من الهوا
ولكنه فى معنى مآء المطر فالحذر الاحتراز عنه وسواس فلنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلحق به

امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في الضبية او صنارة في اذن السمك او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان تكون كيّا لا يقدر عليه الا بعد الصيد ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا ويغيب عنه المعير فيخرج منها ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذ لم يدل على موته سبب قاطع او مشكوك اذ الشبهة المحذورة ما ينشأ من الشك **الشك** عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى تساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه صلى ثلثا او اربعا اخذ بالثلاثة اذ الاصل عدمه ولو سئل الانسان ان صلاة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنة كانت اربعا او ثلثا لم يتحقق قطعا انها اربع واذا لم يقطع جوز ان تكون ثلاثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونه ثلاثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا ملحق بالحلال المطلق وملحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه ٥ وامكن طريان محلل ولكن لا يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان صدران عن سببين مقتضيين للاعتقادين **مثارات الشبهة اربعة المثار الاول** الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمال كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا الا بالمثال والشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة **القسم الاول** ان لا يكون عدم الحل معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها مثاله ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوات وغيرها وعلى هذا يترك قوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله غير كلبك ولذلك كان عليه الصلاة والسلام اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سال عنه حتى يعلم ايما هو وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية فاكلتها فخشيت ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها اذ قال صلى الله عليه وسلم امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فاكفانا القدور

ثم امهله الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا **القسم الثاني** ان يعرف الحل ويشك في التحريم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امراتين وطار طائر فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامراتي طالق وقال الاخر ان لم يكن غرابا فامراتي طالق والتبس امر الغراب فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولم يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى تحل لسائر الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وافتى الشعبي في الاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للاخر انت حسود فقال الاخر احدنا زوجته طالق ثلثا فقال الاخر نعم فاشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد به التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فان قلت فاي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم انه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم في غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان يتوضا به فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان ههنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان يشك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطائر ان يتحقق نجاسة احد الانائين ويشتبه عليه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة ٥ فبطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على احدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف اصحاب الشافعي في الانائين على ثلاثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول نفس النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهدون وهو الصحيح ولكن وزانه ان تكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز له الاجتهاد اذ لا علامة في تحريمهما عليه لانه لو وطئهما كان مقتحما على الحرام قطعا وان وطئ احدهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينهما من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه فينبغي ان لا يحكم بالتحريم فان قيل فلو كان الانا آن لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضا كل واحد باناءه لانه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطء في زوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بالعلامة ليدفع به قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في الفقهيات ولسنا نقصد الآن الا التنبيه على قواعدها **القسم الثالث** ان تكون الاصل التحريم ولكن طرا ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا

ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع
مثاله ان يرمي الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات
بسقطة او بسبب آخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وان لم يظهر عليه
فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد
تحقق والاصل انه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك فان قلت
فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عائشة رضي الله عنها
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت او انميت
قال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله شيء
وكذلك قال عليه الصلاة والسلام لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما
امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهى
عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بان يفضي الى الموت
سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شاك في تمام السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او على الحرمة
فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك في ما طرأ عليه فالجواب ان نهي ابن
عباس ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه
قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثر غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو
انه ان وجد اثرا آخر فقد تعارض السببان فتعارض الظن فان لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم
به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة
وغيرها اما قول القائل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعته فيكون شكا في السبب فليس كذلك
بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت وطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من
جرح وغاب فوجد ميتا انه يجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في
باطنه كما يموت الانسان فجأة فينبغي ان لا يجب القصاص الا بحز الرقبة والجرح المذفف لان العلل
القاتلة في الباطن لا يؤمن ولاجلها يموت الانسان الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع ان القصاص مبناه
على الشبهة وكذلك جنين المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح
وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على الاسباب
الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه
فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي في
هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة
والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان
يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم اكل دل ابتداء انبعاثه انه نزل منزلة آلته وانه يسعى

في وكالته ونيابته ودل اكله آخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السببان الدالان
فتعارض الاحتمالان والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري
له جارية فاشترى جارية ومات قبل ان يبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للموكل وطؤها لان
للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل مرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم
الاول لا بالقسم الثالث

القسم الرابع

ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن
طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب
ضعيف ولا يبقى حكم مع غالب الظن ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانائين بالاعتماد
على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذا اذا قال
ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب ووجد ميتا حرمت
زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق وقد نص الشافعي ان من وجد في الغدران ماء متغيرا
احتمل ان يكون بطول المكث او بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان
يكون تغيره بالبول وبطول المكث لم يجز استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال
النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة
الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل الحل هل يزول بذلك
اذ اختلف قوله في التوضي من اواني المشركين ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة والصلاة مع
طين الشوارع اعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل
والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من اواني مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه
فاذا مأخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في احدهما يوجب التردد في الآخر والذي اختاره ان الاصل
هو المعتبر فان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الاصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه
في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه
او ظن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن وبان الفرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشيء
وبين ما لا يستند الى علامة وكل ما حكمناه في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة
الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين
لا يقضى في الفتوى بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس فان
الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا

المثار الثاني للشبهة

شك منشؤه الاختلاط
وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر فلا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر
من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج
بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد
والدور والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون فيما يقصد عينه كالعروض اولا

بقصد كالنقود فتخرج من هذا التقسيم سبعة اقسام **القسم الاول** ان تستبهم العين
بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بذكية او بعشر مذكاة او تختلط رضيعة بعشر نسوة او تزوج احدى
الاختين ثم تلتبس فهذه شبهة تجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا
واذا اختلط بعدد محصور صار الجملة كالشئ الواحد وتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في
هذا بين ان يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسئلة الطائر او
يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في
طريان التحريم كطلاق احدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان
يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر اغلب في نظر الشرع فلذلك يرجح
وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب الاجتناب اولى **القسم الثاني**
حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة بلد كبير
فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل
بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسعة حلال ولا قائل به بل
العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او بسبب من الاسباب
لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك
الشرا والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مجن وغل رجل من الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شرى المجن والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما
سرق وكذلك كان يعرف ان في الناس من يرابي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية وبالجملة ان الدنيا لا تنفك عن الحرام الا اذا عصم الناس
كلهم عن المعاصي وذلك محال واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا في بلد معين الا اذا وقع
بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا عصر من الاعصار فان قلت
فكل عدد فهو محصور في علم الله تعالى فما حد المحصور ولو اراد انسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه
ايضا ان مكن منه فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول
كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور
وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن
وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك الامثلة
الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول تقع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط
متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الاثم بينه

وبين

وبين الله سبحانه وتعالى فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فانه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر
القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الاحكام
من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم
ههنا به والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه
حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه
ورع واخذه حلال لا يفسق به اكله ومن العلامات ان يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من
العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل على ما نحونا اليه الاثر والقياس **اما الاثر** فما علم في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربا تؤخذ من ايدي اهل
الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الربا اذ قال صلى الله عليه وسلم اول ربا اضعه ربا عمي العباس بن عبد المطلب ما ترك الناس الربا
باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وساير المعاصي حتى روي ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكونوا قد فهموا ان تحريم الخمر
تحريم لثمنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا
متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها وكذلك ادرك اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم من البيع والشرا في الاسواق بسبب نهب المدينة وقد نهبها
اصحاب يزيد ثلثة ايام وكان الذي يمتنع منهم عن تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا
مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه
تفطن من الشرع لما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في مثل هذا لجاز
مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن وشعر الخنزير
وشحمه كاللحم المذكور في القران تحريمه والربا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى
بفهم الشرع من غيرهم **واما القياس** فانه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب
العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا
محالة الى الاختلال فان قيل فقد نقلتم انه صلى الله عليه وسلم امتنع من اكل الضب وقال اخشى
ان يكون مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه او نقول الضب
شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول فان قيل فهذا معلوم في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغير ذلك ولكن
كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر في ايدي الناس بفساد
المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم تشهد علامة معينة
في عينه بالتحليل او التحريم اهو حرام ام لا فاقول ليس ذلك حراما وانما تركه من الورع وهذا الورع

أهم من الورع إذا كان قليلا   ولكن الجواب عن هذا أن قول القايل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط
محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما
ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام
ثلثة قليل وهو النادر وكثير وهو أكثر ومثاله أن الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض
وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة
ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير   والفقيه إذا تساهل وقال السفر
والمرض غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط   والصحيح والمقيم هو
الأكثر والمسافر والمريض كثير والخنثى والمستحاضة نادر   فإذا فهم هذا فنقول قول القايل الحرام
أكثر باطل لأن مستند هذا القايل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات
الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم

أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس بالأكثر فإنهم الجندية إذ لا يظلم إلا
ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من
الجند ماية ألف مثلا فيملك إقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد
عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعية لهلك الكل إذ كان يجب على
كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد
منهم يجمع من ألف وزيادة   وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل

وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست
بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا وغيره لو
عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الإنسان بوهمه في البلد
مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك
المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هذا أيضا
من معاملة صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب هذا على
النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها واستعظامها إياه وإن كان نادرا حتى ربما يظن
أن الربا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثرون وهو خطاء فإنهم الأقلون وإن كان
فيهم كثرة **وأما المستند الثالث** وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن
والنبات والحيوان والحيوان حاصل بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون
عدد أصولها إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسماية ولا يخلو هذا أن يتطرق ظلم
إلى الواحد من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى
زماننا هذا   وكذا بزور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسماية أصل أو ألف إلى أول الشرع ولا يكون

هذا حلالا إلا ما لم يكن أصله وأصل أصله حلالا وكذلك إلى أول زمن النبوة   وأما المعادن فهي التي يمكن
نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا يخرج إلا من دار
الضرب وهي في أيدي الظلمة بل المعادن في أيدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها
بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا   فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق إليه
عقد فاسد ولا ظلم البتة وقت النيل ولا وقت الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر
أو محال فلا يبقى إذا حلال إلا الصيد والحشيش في الصحاري والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لا
يقدر على أكله بل يفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد فيكون
قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخييلا   [illegible] أن هذه الغلبة لم تنشأ من
كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما عددناه من قبل وهو تعارض الأصل
والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب
يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه يجوز الصلوة
في الشوارع إذا لم تر فيها نجاسة وأن طين الشوارع من المطر طاهر وأن الوضوء من أواني المشركين جايزة والصلاة
في المقابر المنبوشة جايزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه   ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه
من ماء في جرة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم أوانيهم
من أيديهم بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل
أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة وأن الطهارة في تلك الثياب محال
أو نادر بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنها تداس بالبقر والحيوانات وهي
تبول عليها وتروث وقلما يخلص ذلك منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها
مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد
لا تزيلها وما كانوا يحترزون عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون فيها ويجلسون على التراب
ويمشون في الطين من غير ضرورة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليها ويستنزهون من
ذلك ومتى تسلم الشوارع من النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ولا ينبغي أن يظن
أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل في عصرهم أو كانت تحرس
عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة
مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين فأما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم إلى مجاري
الأحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير وقع أو دم ولم يزل
الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدي المختلفة تغمس فيها على
الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض   ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم
الحل بحكم النجاسة   فإن قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمر الطهارات ويحترزون

من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه   قلنا ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلاة بالنجاسة
معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان نعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها
وانما تسامحوا حيث لم يجب الاجتناب وكان من محل تسامحهم هذه الصور التي تعارض فيها الاصل
والغالب   فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح   واما تورعهم
في الحلال فانه كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لان امر الاموال مخوف والنفس
تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة
ان يشغل قلبه وهل حكي عن واحد منهم انه احترز من الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في
ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المسلك على الجواب الذي قدمناه في المسلكين
السابقين ولا نسلم ما ذكروه من ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثر اصوله فليس بواجب ان تكون
في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم فيها النظر مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما
ان الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فكذا كل مال في كل
عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة الى غيره اقل
وليس يدري ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب
بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب الحبوب
المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها تؤكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال
ان فروع الحرام اكثر ولم يزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام فليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة
الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات
واما المعادن فانها مخلاة مسبلة ياخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد ياخذ السلاطين منهم
ويأخذون الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه فاما ما ياخذه
الآخذ منه فيأخذه من السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستيجار
عليها فالمستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقى له واستحق الاجرة فكذلك النيل
اذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمال وذلك قليل بالاضافة الى
ما دفع اليه ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته   واما دار الضرب
فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون
اليها الذهب المكسور والنقد الردي ويستأجرونهم على السبك والضرب وياخذون مثل وزن ما سلموه
الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز   وان فرضت دنانير مضروبة من ذهب السلطان
فهي بالاضافة الى اموال التجار اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة
لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى يتوفر عليهم مال بحشمة السلطان فما ياخذ عوض عن حشمته
وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب

ولا للسلطان من جملة ما يخرج منها من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون اكثر فهذه اغاليط سبقت
الى القلوب بالوهم وتشمر لترتيبها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه وقبحوا تمييز من يميز
بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال   فان قيل فلو قدرت غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير
محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذي نراه ان تركه ورع وان
اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائره   بل ازيد واقول
لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستأنف تمهيد الشروط من
وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه انه اذا وقعت
هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة   احدها ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا جوعا من عند اخرهم
الثاني ان يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون على ذلك اياما الى الموت   الثالث ان يقال
يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة
الرابع ان يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على الحاجة   الخامس ان يقتصروا مع
شروط الشرع على قدر الحاجة   اما الاول فلا يخفى بطلانه   واما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر
الناس على سد الرمق وزجوا اوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت
الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة   واحكام الخلافة والقضاء والسياسات
بل اكثر احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين   واما الثالث وهو الاقتصار
على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما
اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين انواع الفساد فتمتد الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم
ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر
الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا ايضا محتاجون وان كان في حقي زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو
زائد على حاجة يومه واذا لم نراع حاجة اليوم او السنة فما الذي نراعي فكيف يضبط هذا ويؤدي الى
بطلان سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان يقال كل ذي
يد على ما في يده فهو اولى به ولا يجوز ان يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع
واذا لم يجز الا بالتراضي فللتراضي ايضا منهاج في الشرع يتعلق به المصالح فلا يعتبر اصل التراضي ويعطل
تفصيله   واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطرق الشرع من اصحاب
الايدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة
ولا لادخاله في فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة مما في ايدي الناس وكذا
ايدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج
فلا يبقى الا ان يجب على السلطان ان يخرج كل زيادة على الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها اهل
الحاجة ويدر على الكل الاموال يوما فيوما او سنة فسنة وفي ذلك تكليف شطط وتضييع اموال

اما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا وأما
التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في البحر او يترك حتى يتعفن
فان الذي خلقه الله تعالى من الفواكه واللحوم والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر
حاجتهم ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكوة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغناء عن الناس
اذا اصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجتهم وذلك هو غاية القبح بل اقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان
لوجب عليه ان يستانف الامر ويمهد تفصيل اسباب الاملاك بالتراضي وساير الطرق ويفعل ما يفعله
لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق
في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة البتة فان لم يبعث للصلاح لم يجب
هذا ونحن نجوز ان يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فتفوت دنياهم ويضلون في دينهم فانه يهدي
من يشاء ويضل من يشاء ويحيي من يشاء ويميت من يشاء ولكنا نقدر الامر جاريا على ما الف من سنة الله تعالى
في بعثه الانبيا صلوات الله عليهم لصلاح الدين والدنيا وما لي اقدر هذا وقد كان الذي ما اقدره
فلقد بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه
قريب من ستماية سنة والناس منقسمون الى المكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان والى مصدقين له قد شاع
فيهم الفسق كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة والاموال كانت في ايدي المكذبين
له والمصدقين اما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام واما المصدقون فتساهلوا
مع اصل التصديق كما تساهل الآن المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها او
كثير منها حراما وعفى صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال ومهد
الشرع وما قد ثبت تحريمه في شرع لم ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بان يسلم الذي في يده
الحرام فانا لا ناخذ في الجزية من اهل الذمة ما نعرف بعينه انه ثمن خمر او مال ربا فقد كانت اموالهم في ذلك
الزمان كاموالنا الآن وامر العرب كان اشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان ان الاحتمال الرابع متعين في
الفتوى والاحتمال الخامس طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار من المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا
بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج
على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام
وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف
الدنية والصناعات الخسيسة بطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك ايضا فالمحترفون انما سخروا لينتظم
الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه
ما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بامور
الدنيا وتلك قسمة سبقت بها المشية الازلية واليها الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم

التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل
او الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه في انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل جلي محصل على تجويز
ليس من المصالح المرسلة اذ ما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه
حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فاقول ان سلم ان الحرام هو
الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم مع وجود الربا
والسرقة والغلول والنهب وقد قدر زمان ما يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه
ثلاثة امور **البرهان الاول** التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة اقسام واثبتنا القسم
الخامس فان ذلك اذا اجري فيما اذا كان الكل حراما كان اجرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل
وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما يتخيل من يتخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع به
فانا لا نشك في ان مصلحة الدين والدنيا مراد للشرع وذلك معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا
نشك في ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة او الحاجة او الى الحشيش والصيد مخرب للدنيا اولا وللدين
بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات المظنونة
المتعلقة باحاد الاشخاص **البرهان الثاني** ان يقاس على محل مجرد مردود الى اصل تتفق
الفقهاء الاكيسون بالاقيسة الجزوية اليه وان كانت الجزويات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة
الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره
لخرب العالم والقياس المحرر الجزوي هو انه قد تعارض اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة
من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية
واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة
احترازا عن الاواني التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا
مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول
الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات
بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق
بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء
بدخول النجاسة عليه فلا فرق والجواب الثاني ان اليد دالة دلالة ظاهرة على الملك نازلة منزلة
الاستصحاب فاقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله
اذ الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله اقامة
لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة
معينة **البرهان الثالث** هو ان ما دل على جنس لا يحصر ولم يدل على عين لم يعتبر وان كان
قطعا فبان لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه ان يحصر ما علم انه ملك زيد لحقه بمنع من التصرف

فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد
لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان مالكه محصور في عشرة اشخاص مثلا او عشرين
امتنع التصرف فيه فالذي يشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد ام لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان
له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون
هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضايع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح
الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف
نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك اليه ويحل له
فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ان ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان فنقول والسلطان لم يجوز
له التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو متردد بين
تضييعه وبين صرفه الى مهم والصرف الى المهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا
يعلم تحريمه ان يحكم به لمن له اليد ويترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار
على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من
المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع
المصلحة كيفما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق
غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما لم يواخذ
السلطان والفقراء الاخذون منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه
ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر
في امتزاج المايعات والدراهم والعروض في يد مالك واحد وسياتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج
عن المظالم ان شاء الله تعالى **المثار الثالث للشبهة** هو ان يتصل بالسبب المحلل
معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب
فساد العقد وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القراين البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح
بالسكين المغصوبة والاحتطاب بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي
ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه
الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر تطلق
لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه هاهنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة
ايضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم
فان اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذه كراهة لا شبهة واذا
عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهة
لها ثلاث درجات الاولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة

تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد منه
في الذبيحة بسكين مغصوب والمقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل
به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر وفيه
شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت حق الحبس
كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها
بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبح ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم
يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود العقد
وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع
بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة درهم او صلاة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق
فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء ويجر ذلك
الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا
انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فتكون الكراهة
اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وساير معاملاتهم
وقد حكي عن بعضهم انه اشترى من رجل شيئا فسمع انه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما
اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي والمفسدات
لا ينقطع من يوم السبت وساير الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم فقد
قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات فانها وان كانت
لا تضر صاحبها ربما اوهمت عند الغير ان مثل هذا مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو
مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به فاطرحوه فكما ان الموسوس
في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذلك بعض الموسوسين يسبق الى اوهامهم ان مال الدنيا كله
حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وذلك عين الضلال واما مثال اللواحق فهو كل تصرف يفضي في سياقه
الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قاطع
الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ فيه والاقيس ان ذلك صحيح والماخوذ
حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوبة والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان
الاعانة على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد والماخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من
الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن
يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة
ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهية فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق
بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم يستعينون بذلك

على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر ولا الفدان وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى ان
لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا الى الحد المتنطع
المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما
يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا
ممن قال الله تعالى فيهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة لا
ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له من غير علم وتصرف
بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه احرق
كرمه خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو شيئا خاصا يوجب
الاحراق اذ ما احرق نخله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من
الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات واما المقدمات فللتطرق للمعصية
اليها ايضا ثلاث درجات الدرجة الاولى وهي العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في
المتناول كالاكل من شاة اعتلفت من علف مغصوب ورعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد
كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان
لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها
كل يوم على رقبته الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان يشرب من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق
كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر
وعبيد الله انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رعيتما في الحمى فقالا
نعم فشاطرهما فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما
قلنا ليس كذلك لان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس هو عين العلف فلا شركة لصاحب
العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلا وراى ذلك مثل شطر الابل فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد
ابن ابي وقاص ماله لما قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل ذلك لا يستحقه العامل
وراى ان شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا والرتبة الوسطى ما نقل عن بشر
من امتناعه من ماء يساق من نهر احتفره الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتناع
بعضهم من عنب كرم سقي بماء جرى في نهر حفره بعض الامراء وهو ارفع مما قبله وابلغ في الورع وامتناع
آخر من الشرب من مصانع السلاطين في طريق الحج واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال وصل
اليه على يد سجان وقوله انه جاءني على طبق ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر الرتبة الثالثة
وهي قريبة من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يدي رجل عصى الله تعالى بالزنا او القذف
وليس هذا كما لو عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجبان

قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف آكل الحرام اذ الكفر
لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع
والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد
المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز صانع لان الفخاري الذي عمل الكوز كان قد عصى
الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان هذا وسواسا ● ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام لكان هذا ابعد
من يد السجان لان الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها من العدول عن الطريق
فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تتداعى اليه هذه الامور واعلم ان كل هذا خارج
عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه تختص بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق بها ولو اجتمعوا
على ذلك لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصديقين والصالحين ● والفتوى في مثل هذا
ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وعرف ذلك
اذ قال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب ● فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو
اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها ● بل لو اقدم على حرام في
علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما هو حلال في فتوى علماء
الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه لكان ذلك يضره ● وانما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به
ان القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب الموسوس عن الاعتدال
ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجده في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى
بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوسين في الطهارة ونية الصلاة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء
لم يصل الى جميع اجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار
ذلك حكما في حقه وان كان مخطئا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد
على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل
ما ينطلق عليه الاسم من البقرة لاجزاهم ● فلا تغفل عن هذه الدقائق التي اوردناها نفيا واثباتا فان من
لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل عن درك مقاصده ● واما المعصية في العوض فلها
ايضا درجات ثلاث ● الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيئا في الذمة ويقضي
ثمنه من غصب او مال حرام ● فينظر فان سلم البايع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله قبل
قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد
فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك
ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما ● فان قضى الثمن من الحرام وابراه البايع مع العلم بانه حرام
فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البايع ● وان ابراه على
ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه يبرئه عما اخذه ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للابراء ●

فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة • وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي يرى الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بقبض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء واما بالاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن • وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل هذا كله اذا اقبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البائع او من غير طيبة قلبه • فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البائع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبرئه او يوفيه من حلال او يرضى هو بالحرام ثمنا ويبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهة فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليم المبيع اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع • ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضى البائع قبل توفية الثمن او سلم الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي ثمنه من الحلال او من الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن • وتتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض فالمرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب • الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا وحراما ولكن يكون معصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والاخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب • وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها • ومهما كان العوض عليه حراما فبدله حرام فان احتمل تحريمه ولكن ابيح بظن فبدله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهيته اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مرات ثم امر بان يعلفه الناضح • وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد اذ يجب طرده في الدباغين والكناسين ولا قايل به وان قيل به فلا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر من مخامرة الحجام والفصاد لها فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسح بالقطنة • ولكن السبب ان الحجامة والفصد جراحة هي تخريب لبنية الانسان واخراج لدمه وبه قوام حياته والاصل فيه التحريم وانما يحل لضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد ولا صبي ولا معتوه الا باذن ولي او قول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرة الحجام لما حجمه ابو طيبة ولولا انه محتمل للتحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع

بين عطاياه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى • وهذا ينبغي ان نذكره في القراين المقرونة بالسبب فانه اقرب اليه الرتبة السفلى وهي درجة الوسواس وذلك ان يحلف انسان ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة **روي** عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يحنث واستشهد بان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها واكلوا اثمانها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاعة فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عن ذلك وتشبيه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية السرف في هذا الطرف • وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعداد التقريب والتفهيم • فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم تقبل له صلاة اربعين يوما ما كان عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم • قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة وان اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها • ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرق الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره

المثار الرابع للشبهة الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة العبد فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وذلك اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض المشابه **القسم الاول** ان تتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القران او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه • فاتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتاه به مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع والقراين وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اوسعها عليه بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتاه امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد • وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها قط تورعا عنها وحذرا من الشبهة فيها • وتنقسم هذه ايضا على ثلاث مراتب • المرتبة الاولى ترجح ما يتاكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجح المذهب الاخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام وهو اقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة رحمه الله او غيره من الايمة كان الورع مهما وان افتى المفتي بالقول الاخر ومن ذلك الورع

عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي لان الاية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواردة فيها فانه صلى الله
عليه وسلم قال لكل من ساله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله تعالى فكل ونقل ذلك على التكرار
وقد شهر الذبح بالتسمية وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم المومن يذبح على اسم
الله سمى او لم يسم ● واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الاية وساير الاخبار عن ظواهرها واحتمل ان يخصص هذا
بالناسي ويترك الظواهر ولا تأول وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان
تعميمه وتاويل الاية ممكنا امكانا اقرب ورجحنا ذلك ولا ينكر وقع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم
واقع في الدرجة الاولى ● المرتبة الثانية وهي مزاحمة درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي
يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحيح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه
صحة لا يتطرق الاحتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده ● وكذلك صح انه اكل الضب على مايدة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين فالظن بابي حنيفة رحمه الله انه لم يبلغه هذه الاحاديث ولو
بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو
لم يخالف وعلم الشي بخبر الواحد ● المرتبة الثالثة ان لا يشتهر في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما
بخبر الواحد فيقول القايل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا
عدولا فالغلط جايز عليهم والكذب لغرض خفي جايز عليهم فان العدول ايضا قد يكذبون والوهم جايز عليهم
لانه قد يسبق الى سمعهم خلاف ما يقوله القايل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا
يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما اذا تطرق تهمة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف
وجه ظاهر وان كان عدلا ● وخلاف من خالف في اخبار الاحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل
الاجماع وقوله انه ليس بحجة ● ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان ان ياخذ ميراث
الجد ابي الاب ويقول ليس في كتاب الله ذكر الا للبنين ● والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم
غير معصومين فالغلط عليهم جايز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات
القران اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقراين
والدلالات ● وكل ذلك وسواس فاذا لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك
ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت قلبه فيه وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز
القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقايع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي
الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ● ولا يخلو عن حزازة في مظان الكراهة
وما اعز مثل هذا القلب وكذلك لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل احد الى فتوى القلوب وانما
قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله **القسم الثاني** ان تتعارض العلامات الدالة
على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله في غير النهب فيرى مثلا في يد
رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على انه حرام

فيتعارض الامران وكذلك يخبر عدل بانه حرام واخر بانه حلال او يتعارض شهادة فاسقين او قول صبي
وفاسق فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي تفصيله
في باب التعرف والبحث والسؤال **القسم الثالث** تعارض الاشباه في الصفات التي
تناط الاحكام ● مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل داخل فيه وان الذي ابتدا التعلم
منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع
الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه
اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميل الى احدهما
وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شي له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير
معلوم انه غني وتتصدى بينهما مسايل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه
لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتصدى منه
النظر في مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار
دونها وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وقيمتها
وكذلك فيما لا يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كالات الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في
سنين وشي من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم اذ قال دع ما يريبك الى
ما لا يريبك ● وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن
وتخمين وحدس فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب
وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الاخر
زايد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله سبحانه
وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق
ثلثة ارطال زايد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا
جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ اذ العرب وساير اهل اللغات لم يقدروا
متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانها لا تحتمل ما دونها
وما فوقها من الاعداد وساير الفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا
لفظ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الا ويتطرق الشك الى اوساط في مقتضياتها
تدور بين اطراف متقابلة وتعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية
مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب عموم هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك ساير الالفاظ
وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا
مطمع في استيفايها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب الى طرفين متقابلين
وكل ذلك من الشبهات التي يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب

بموجب قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك • وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها •
فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ
مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط
ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به وقد يؤدي ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في
اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ
به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح
المفتي فاما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره
متساهل يطمئن الى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق
الاحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه
فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وقيل في الزبور ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلاتكم ولا الى صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه
لاجلي فذلك الذي ايده بنصري واباهي به ملائكتي • والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب •

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال
وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا اخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ من كل
احد وتاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام اخرى ومندوب اليه مرة ومكروه مرة
فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشا الريبة ومثارها
اما امر يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال **المثار الاول احوال المالك** وله بالاضافة
الى معرفتك ثلاثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة
الحالة الاولى ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه
كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم ونحو ذلك من العلامات •
فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل الصلاح
او اهل الفساد فهو مجهول • واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا فوجدت رجلا خبازا او قصابا
او غيرهما ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول لا يدرى حاله ولا نقول
انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء
لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه • وقد عرفت بما سبق ان الورع ترك ما لا يدرى
قال يوسف بن اسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته • وتكلم جماعة في اشد الاعمال
فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك شيء في صدري
تركته • فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك

طعاما

طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما
دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة
وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا تسيء الظن به
فان اسات الظن به في عينه لانك رايت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك
ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل على ذلك انا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم في
غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق
وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يسال عن كل ما يحمل اليه بل سال في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة
الحال تدل عليه وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن ان ما يحمل اليهم بطريق الصدقة
ثم اسلام المعطي ويده لا يدلان على انه ليس بصدقة وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسال اصدقة
ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة • وكذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط الحديث الذي
رواه انس بن مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع • ودعاه الرجل الفارسي فقال صلى الله عليه وسلم
انا وعائشة فقال لا قال فلا ثم اجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة •
ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك • وسال ابو بكر رضي الله عنه غلامه عن كسبه لما رابه من امره شيء
وسال عمر رضي الله عنه الذي سقاه من ابل الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يالفه
كل ليلة • وهذه اسباب الريبة • وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته
من غير تفتيش بل لو راى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين
يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه يستحق
احسان الظن به • وازيد على هذا واقول ليس له ان يساله بل ان كان يتورع ولا يدخل جوفه الا ما يدري
من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لا بد له من اكله فلياكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء
وهتك ستر وايحاش فهو حرام بلا شك **فان قلت** فلعله لا يتاذى بالسؤال • فاقول لعله
يتاذى وانت تسال حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم
باقل من الاثم في اكل شبهة او حرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسال غيره من
حيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك اكثر وان سال من حيث لا يدري هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر
وفيه تجسس وتشبه بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه في اية واحدة قال الله تعالى •
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا • وكم
من زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان
عنده ذلك طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب اخيه المسلم ان
يتاذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري به اذا لم يكن ثم علامة

توجب الاجتناب • فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المالوف من الصحابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم فى الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فليس يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق ما فى الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل له انه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسال عن المتصدق عليها وكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع **الحالة الثانية** ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورته ثم حكمه • اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما فى يده دلالة اما فى خلقته او فى زيه وثيابه او من فعله وقوله • اما الخلقة فان يكون على هيئة الاتراك والبوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون الشعر مفرقا على راسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزى اهل الفساد والظلم والاجناد وغيرهم • واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل ايضا فى المال وياخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان يشترى من مثل هذا شيئا او يأخذ منه هدية او يجيبه الى الضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع • ويحتمل ان يقال ان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورثت ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذى نختاره ونفتى به لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب • وهذا له وقع فى القلب لا ينكر ولان النبى صلى الله عليه وسلم سال اصدقة هو او هدية وسال ابو بكر رضى الله عنه غلامه • وسال عمر رضى الله عنه ساقيه اللبن وكل ذلك كان فى موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس جلى ليس يشهد لتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام عارضتها هذه الدلالات فاذا تقابلا فلا استحلال لا مستند له وانما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا وامكن ان يكون لطول المكث فان راينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به او بغيره تركنا الاستصحاب • وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد تدل على الظلم بالمال • اما القول والفعل المخالف للشرع ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه انه يامر بالغصب والظلم او يعقد عقد الربا • فاما اذا راه وقد شتم غيره فى غضبه او اتبع نظره امراة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج فى طلب المال ولا يكتسب الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد فليستفت العبد فى مثل هذا قلبه • واقول ان هذا ان راه من مجهول فله حكم وان راه ممن عرفه بالورع فى الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر اذا تعارضت الدلالتان بالاضافة الى المال فتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج فى المال ولا يتحرج فى غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء

والقراءة

والقراءة وياكل من حيث يجد فالحكم فى مثل هذه المواقع ما يميل اليه القلب فان هذا امر بين العبد وبين الله تعالى فلا يبعد ان يناط بسبب خفى لا يطلع عليه الا هو ورب الارباب وهو حكم حزازة القلب • ثم ليتفطن لدقيقة اخرى وهى ان هذه الدلالة ينبغى ان تكون بحيث تدل على ان اكثر ما له حرام بان يكون جنديا او عامل السلطان او نائحة او مغنية او مغنيا فان دل على ان فى ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع **الحالة الثالثة** ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا فى حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته فى الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه فهاهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما فى المجهول فبالاولى والاقدام هاهنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما • واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقى ولا ياكل طعامك الا تقى • فاما اذا علم بالخبرة انه جندى او مغن او مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فهاهنا السؤال واجب لا محالة كما فى موضع الريبة بل اولى **المثار الثانى** ما يستند الشك فيه الى سبب فى المال لا فى حال المالك • وذلك بان يختلط الحرام بالحلال كما لو طرح فى سوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس يجب على من يشترى فى تلك البلدة وذلك السوق ان يسال عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما فى ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد • والدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشرى من الاسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسالون فى كل عقد وانما السؤال ينقل عن احادهم نادرا فى بعض الاحوال وهى محال الريبة فى حق شخص معين • وكذلك كانوا ياخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون فى تلك المغانم شئ مما اخذوه من المسلمين وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رضى الله عنه وصاحبه اولى به بالثمن عند ابى حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا • وكتب عمر رضى الله عنه الى اذربيجان انكم فى بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته • اذن فى السؤال وامر به ولم يامر بالسؤال عن الدراهم التى هى اثمانها لان اكثر دراهمهم لم تكن اثمان الجلود وان كانت هى ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك • ولذلك قال ابن مسعود انكم فى بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا المذكى من الميتة • فخص بالاكثر الامر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها فى العادات فلنفرضها • **مسئلة** شخص معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكانه طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضى او الرئيس او العامل او الفقيه الذى له ادرار على سلطان ظالم له ايضا مال موروث ودهقنة او تجارة او رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربى ايضا معاملات فاسدة فان كان الاكثر من ماله حراما لم يجز الاكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته الا بعد التفتيش فان ظهر ان الماخوذ من وجه حلال فذلك والا ترك وان كان الحرام اقل والماخوذ مشتبه فهذا فى محل النظر لانه على رتبة بين الرتبتين

اذ قضينا بانه لو اشتبه مذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث ان
مال الرجل الواحد كالمحصور لاسيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان • ويخالفه من وجه اذ الميتة
يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط هذا المال يحتمل ان يكون خرج من يده وليس موجودا
في الحال • فان كان المال قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط الميتة ٥
واحد وان كان المال واحتمل ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذاك ويشبه من وجه
الاختلاط بغير محصور كما في الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك
في ان الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا منافيا للعدالة وهذا من حيث المعنى
غامض لتجاذب الاشباه ومن حيث النقل ايضا غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل
هذا وكذا عن السلف يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدام من
اقدم منهم على الاكل كاكل ابي هريرة طعام معوية مثلا ان قدر في جملة ما في يده حرام فذلك ايضا
يحتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانته ان عين ما ياكله من وجه مباح • فالافعال في مثل
هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتاخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا
لاخذته • وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا
واستدل باخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سياتي في باب بيان اموال السلاطين • فاذا كان
الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما • وان تحقق وجوده في الحال كما
في مسئلة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا ادري ما اقول فيه وهو من المشتبهات التي يتحير المفتي
فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور • والرضيعة اذا اشتبهت بنسوة قرية فيها
عشر نسوة وجب الاجتناب وان كانت ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما اعداد لو سئلت عنها
لكنت لا ادري ما اقول فيها • ولقد توقف العلماء في مسائل هي اوضح من هذا • اذ سئل احمد بن حنبل رضي
الله عنه عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ان الصيد للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري فروجع
فيه مرات فقال لا ادري • وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن
درك الحكم في جميع الصور • وقد سال ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملة قوم يعاملون السلاطين
فقال ان لم يعاملوا سوى السلاطين فلا تعاملهم وان عاملوا السلاطين وغيرهم فعاملهم • وهذا
يدل على ان المسامحة في الاقل ويحتمل المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا
يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او لمعاملتهم السلطان
مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها • فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فان ما يعطيك من الحلال وما ياخذ من
الحلال اكثر من الحرام • وسئل ابن مسعود في ذلك فقال السائل ان لي جارا لا اعلمه الا خبيثا يدعونا
ونحتاج فنستسلفه فقال اذا دعاك فاجبه واذا احتجت فاستسلفه فان لك المهنا وعليه

المأثم • وافتى سلمان بمثل ذلك • وقد علل علي رضي الله عنه بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الاشارة
بان عليه المأثم لانه يعرفه ولك المهنا اي انت لا تعرفه • وروي انه قال رجل لابن مسعود ان لي
جارا ياكل الربا فيدعونا الى طعامه افناتيه قال نعم روي في ذلك عن ابن مسعود روايات كثيرة مختلفة
واخذ مالك والشافعي جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد خالط مالهم الحرام قلنا اما ما روي
عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع
سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره • ولست انكر ان رخصته صريحة في الجواز
وفعله محتمل للورع ولكنه ان صح فمال السلطان له حكم آخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسياتي
بيان ذلك • وكذلك فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسياتي حكمه وانما
كلامنا في آحاد الخلق واموالهم قريبة الحصر • واما قول ابن مسعود فقيل انما نقله خوات التيمي وهو
ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال لا يقولن احدكم اخاف وارجو فان الحلال
بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فانها
الاثم • فان قيل فلم قلتم اذا كان الاكثر حراما لم يجز الاخذ مع ان الماخوذ ليس فيه علامة تدل على
تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى ان من سرق مال من هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب
ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور
اذا كان الاكثر هو الحرام ولا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك لانه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط
القليل بغير المحصور فان ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بانه لا يحرم والجواب ان اليد دلالة ضعيفة
كالاستصحاب وانما يؤثر اذا سلمت عن معارض قوي فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام المخالط
موجود في الحال في المال غير خال عنه وتحققنا ان الاكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب
ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم يحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما
يريبك الى ما لا يريبك • فلا يبقى له محل اذ لا يمكن ان يحمل على اختلاط حرام قليل بحلال غير محصور اذ كان
ذلك موجودا في زمانه صلى الله عليه وسلم وكان لا يدعه • وعلى اي موضع حمل هذا كان هذا في معناه ٥
وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فان تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب
وللكثرة تاثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة رحمه الله لا يجتهد في الاواني
الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد والعلامة وقوة الكثرة • ومن قال
ياخذ اي اناء اراد بغير اجتهاد بنى على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب ايضا فيلزمه التجويز ها هنا بمجرد
علامة اليد ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب فيه • ولا يطرد ايضا في ميتة اشتبهت
بذكية اذ لا استصحاب في الميتة اذ اليد لا تدل على انه غير ميتة وتدل في الطعام المباح على انه ملك
فها هنا اربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط او كثرة وانحصار واتساع في المخلوط وله علامة

خاصية في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن غفل عن مجموع الاربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا
يشبهه فحصل مما ذكرناه ان المختلط في ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اكثره او اقله وكل واحد منهما
اما ان يعلم بيقين او بظن عن علامة او بوهم والسؤال يجب في موضعين وهو ان يكون الحرام يقينا او ظنا
كما لو راى تركيا مجهولا يحتمل ان يكون كل ما له من غنيمة • وان كان الاقل معلوما باليقين فهو محل التوقف ويكاد
يشير اكثر السلف وضرورة الاحوال الى الميل الى الرخصة • واما الاقسام الثلاثة الباقية فالسؤال
عنها غير واجب اصلا مسئلة اذا احضر طعام انسان علم انه دخل في يده حرام من ادرار كان قد اخذ
او من وجه آخر ولا يدري انه بقي الى الآن ام لا فله الاكل ولا يلزمه التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع • ولو
علم انه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر انه الاكثر ام الاقل فله ان ياخذ بانه الاقل وقد سبق ان امر الاقل مشكل
وهذا يقرب منه مسئلة اذا كان في يد المتولي للميراث والاوقاف والوصايا مالان يستحق هو احدهما
ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف ينظر
فيه فان كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي او كان المتولي ظاهر العدالة فله ان ياخذ بغير بحث لان
الظن بالمتولي ان لا يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذي يستحقه وان كانت الصفة خفية او كان المتولي
ممن عرف من حاله انه يخلط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال اذ ليس هاهنا يد ولا استصحاب يعول عليه
وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيها لان اليد لا تخصص
الهدية عن الصدقة ولا استصحاب فلا ينجي منه الا السؤال فان السؤال حيث اسقطناه في المجهول
انما اسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى لو يعلم انه مسلم واراد ان ياكل من يد لحام من ذبيحته واحتمل
ان يكون مجوسيا لا يجوز له ما لم يعرف انه مسلم اذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الاسلام
الا اذا كان اكثر اهل البلدة مسلمين فيجوز ان يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الخطاء
ممكنا فيه فلا ينبغي ان يلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد بالتي لا تشهد مسئلة له ان يشتري في
البلد دارا وان علم انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع
وان كان في سكة عشر دور مثلا احدها مغصوبة او وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ووجب البحث عنه •
ومن دخل بلدة وفيها رباطات ومدارس خصص بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة
تلك المذاهب فليس له ان يسكن ايها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لان ذلك من باب اختلاط في المحصور
فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات والمدارس في البلد لا بد وان تكون مخصوصة
محصورة حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له ان يسال صاحب الطعام والمال اذا
لم يامن غضبه ولا يامن قط غضبه وانما اوجبنا السؤال اذا تحقق ان اكثر ماله حرام وعند ذلك لا
يبالي بغضب مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك والغالب ان مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم
ان كان ياخذ من يد وكيله او غلامه او تلميذه او بعض اهله ممن هو تحت رعايته فله ان يسال مهما
استراب لانهم لا يغضبون من سؤاله ولان عليه ان يسال ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سال ابو بكر

رضي الله عنه غلامه وسال عمر رضي الله عنه للذي سقاه من ابل الصدقة وسال ابا هريرة ايضا لما ان قدم
عليه بمال كثير فقال ويحك اكل هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد
رفق في صيغة السؤال ولذلك قال علي رضي الله عنه ليس شيء احب الى الله من عدل امام ورفقه ولا
شيء ابغض الى الله من جوره وخرقه مسئلة قال الحارث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق او اخ
وهو يامن غضبه لو ساله فلا ينبغي ان يساله لاجل الورع لانه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون
قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي الى البغضاء • وما ذكره حسن لان السؤال اذا كان من الورع لا من
الوجوب فالورع في مثل هذه الامور احترازا عن هتك الستر واثارة البغضاء اهم وزاد على هذا فقال
وان رابه منه شيء ايضا لم يساله ويظن به انه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فان كان لا يطمئن
قلبه اليه فليحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لاني لم ار احدا فعله من العلماء • فهذا
منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحته فيما اذا خالط المال الحرام القليل وذلك عند التوهم
لا عند التحقيق لان لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق
في السؤال مسئلة ربما يقول القائل اي فائدة في السؤال لمن بعض ماله حرام ومن يستحل المال
الحرام ربما يكذب فان وثق بامانته فليثق بديانته في الحلال • فاقول مهما علم بمخالطة الحرام لمال انسان
وكان له غرض في حضورك ضيافته او قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه
فينبغي ان يسال من غيره وكذلك ان كان بياعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله انه
حلال فلا فائدة في السؤال منه وانما يسال من غيره • وانما يسال من صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما يسال
المتولي عن المال الذي تسلمه انه من اي جهة وكما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة
فان ذلك لا يؤذي ولا يتهم القائل فيه • وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري طريق الكسب الحلال فلا
يتهم في قوله اذا اخبر عن طريق صحيح • وكذلك يسال عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهاهنا
يفيد السؤال • واذا كان صاحب المال متهما فليسال من غيره فاذا اخبره عدل واحد قبله فان اخبره
فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا امر بينه وبين الله تعالى
والمقصود ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الاحوال
وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة في ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة بالعدالة
الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها • وقد قبل ابو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق
وكم من شخص تعرفه وتعرف انه قد يقتحم المعاصي ثم اذا اخبرك بشيء وثقت به • وكذلك اذا اخبرك
صبي مميز عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فاما اذا اخبرك به مجهول
لا تدري من حاله شيئا اصلا فهذا مما جوزنا الاكل من يده لان في يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال
اسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله من اثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة
يفيد ذلك ظنا قويا في النفس الا ان اثر الواحد فيه غاية الضعف فلينظر الى حد تاثيره في القلب

فان المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قرائن خفية تضيق عنها نطاق النطق فليتامل
فيه • ويدل على وجوب الالتفات اليه ما روي عن عقبة بن الحرث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني تزوجت امراة فجاءتنا امراة سوداء فزعمت انها قد ارضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال انها
سوداء تصغر من شانها فقال صلى الله عليه وسلم وكيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها
دعها عنك وفي لفظ آخر كيف وقد قيل • ومهما لم يعلم كذب المجهول ولا يظهر ان له غرضا في ذلك كان له
وقع في القلب لا محالة فلذلك يتاكد الامر في الاحتراز فان اطمان القلب اليه كان الاحتراز حتما واجبا
منه **مسئلة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذلك قول فاسقين ويجوز
ان يترجح في قلبه قول احد العدلين او الفاسقين ويجوز ان يترجح احد الجانبين بالكثرة او بالاختصاص
بالخبرة والمعرفة مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع
شيئا في يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرف
بالصلاح جاز الشراء منه وكان تركه من الورع • وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان يكثر
نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا
وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضها علامة خاصة هي شكل المتاع ونوعه
فالامتناع من شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر ان احكم
فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه
والا حل له شراؤه واكثر هذه الوقائع يلتبس الامر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس
فمن توقاها فقد استبرا لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة**
لو قال قائل قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه فذكر له انه من شاة فسال عن الشاة
من اين هي فذكر له فترك السؤال فيجب السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او اثنين
او ثلثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا
او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان
كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق كسب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسؤال واحد
وان قال من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشتريتها انقطعت الريبة • وان كانت الريبة من
الظلم وكان ذلك فيما بين العرب فان العرب يتوالد في ايديهم المغصوب فلا ينقطع بقوله انه من شاتي
ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتي فان اسنده الى الوراثة من ابيه وحال ابيه مجهولة انقطع السؤال
وان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان اكثره حرام فبكثرة التوالد وطول
الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير حكمه فلينظر الى هذه المعاني **مسئلة** سئل عن جماعة من
سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم اليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر
على جهة اخرى غير هؤلاء وهو مخلط وينفق الكل على هؤلاء فاكل طعامه حلال او حرام او شبهة • فالجواب

فقلنا

ان هذا يلتفت الى سبعة اصول • الاصل الاول ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة
والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة والمستحقرات فليس في هذا الا شبهة الخلاف • الثاني
ان ينظر الى الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم
يعرف فالغالب انه يشتري في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب ولا ينشا من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد
وهو شراؤه بعين حرام • الثالث انه من اين يشتريه فان اشتراه ممن اكثر ماله حرام لم يجز وان كان ممن اقل
ماله حرام ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشتريه ممن ماله حلال او ممن لا يدرى
حاله بيقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشا من هذا تحريم بل
شبهة احتمال • الرابع انه يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم كالنائب وله ان يشتري لهم
ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية او بصريح اللفظ واذا كان الشراء يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ
والغالب انه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا
ممن لا يحضرون فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يبين انهم
ياكلون من ملك الخادم • الخامس ان الخادم يقدم الطعام اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير
عوض فانه لا يرضى بذلك وربما يقدم اليهم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا قرض
لانه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن لاستبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فاشبه اصل ينزل عليه هذه
الحالة الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله انه يطمع في ثواب وذلك
صحيح والثواب لازم وها هنا ما طمع الخادم في ان ياخذ ثوابا عما قدمه الا حقهم من الوقف ليقضي به
دينه من الخباز والقصاب والبقال وغيرهم فهذا ليس فيه شبهة اذ لا يشترط اللفظ في هدية ولا في
تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية مع انتظار ثواب • الاصل
السادس ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب
حتى ان له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا لم يرض رد عليه وها هنا قد رضي الخادم
بما ياخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به
الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا ان في يده الوقف الآخر الذي ياخذه بقوة هؤلاء السكان
فكانه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في ايدي السكان فهذا
كالخلل المتطرق الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضي التحريم وانه متى يقتضي الشبهة وهذا
لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا ينقلب الهدية حراما بتوصل المهدي بسبب الهدية الى حرام • الاصل
السابع انه يقضي دين القصاب والخباز والبقال من ارتفاع الوقفين فان وفى ما اخذ من حقهم بقيمة
ما اطعمهم فقد صح الامر • وان قصر عنه ورضي القصاب والخباز باي ثمن كان حراما او حلالا فهذا خلل
تطرق الى ثمن الطعام ايضا فيلتفت الى ما ذكرناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام هذا
اذا علم انه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا ان كل هذا

ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وذلك بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد منها
احتمال الحرام صار احتمال الحرام بكثرته بها اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب
والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وانما اوردناها ليعرف
كيفية تخريج الوقايع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك مما يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما

النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج

اعلم ان كل من تاب وفي ماله ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام
وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما
ان يكون في اعيان متميزة كالعبيد والثياب والدواب والدور فان كان في المتماثلات او كان شايعا في المال
كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه
بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب والدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهوله فان
كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف • وان اشكل فله طريقان
احدهما الاخذ باليقين والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن
لا نجوز في الصلاة الا الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس
في اعداد الركعات علامة يوثق بها • اما ها هنا فلا يمكن ان يقال ان الاصل ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له
الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا
يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه حلال • وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال تجارة
قد فسد بعضه فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن
وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع القدر المستيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد
فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب على ظنه الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وان شك فيه
جاز الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه في
يده فيكون الحل اغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام • ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا
ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الاخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو
من المشكلات • فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي
في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهي العشر فله ان يطرح
واحدة اي واحدة كانت وياخذ الباقي ويستحله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل طرح التسعة
واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال انها هي الحرام • فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل باخراج البدل
لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا تتطرق المعاوضة اليها فلنكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض في

درهم معين اشتبه بدرهم اخر • فمن له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل احمد بن حنبل رحمه الله
عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن انية فلما قضى الدين حمل المرتهن اليه انيتين وقال لا ادري
ايتهما انيتك فتركهما كليهما فقال المرتهن هذه هي التي لك وانما كنت اختبرتك فقضى دينه ولم ياخذ
الرهن • وهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض المسئلة في درهم له مالك معين حاضر فنقول اذا رد احد
الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الاخر لانه لا يخلو اما ان يكون المردود في
علم الله تعالى هو الماخوذ فقد حصل المقصود وان كان غيره فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالا
ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له
درهم في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه فلما اخذه وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح
فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الاخر انه لم يدخل في ملكه
فنقول لانه ايضا وان كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له ايضا درهم في يد الاخر وليس يمكن الوصول
اليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله تعالى ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل في علم
الله سبحانه كما يقع التقاوض • ولو اتلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا
لو القى كل واحد منهما ما في يديه في البحر او احرقه كان قد اتلفه ولم يكن عليه عهدة للاخر بطريق التقابض
فكذلك اذا لم يتلف فان القول بهذا اولى من المصير الى ان من ماخذه درهما حراما ويطرحه في الف درهم
لرجل اخر فيصير كل المال محجورا عليه ولا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي اليه فانظر ما في هذا
من البعد وليس فيما ذكرناه الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعل المعاطاة بيعا فحيث يتطرق اليه
احتمال اذ الفعل تضعف دلالته حيث يمكن اللفظ وها هنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع
غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل
دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض • فان قيل فلم جوزتم تسليم قدر حقه
في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف
عليه من الرطب اذا اخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال وان لم يساعده واصر وقال لا اخذ درهما
اصلا الا عين ملكي فان اشتبهم فاتركه ولا اهبه واعطل عليك ما لك فاقول على القاضي ان ينوب عنه
في القبض حتى يطيب للرجل ما له فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به فان عجز عن القاضي ولم
يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز عن ذلك فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف اليه
درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات اظهر والزم • فان قيل فينبغي ان لا يحل
له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته فاي حاجة الى الاخراج او الى التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل
له ان ياخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز له ان ياخذ الكل فان اخذ لم يجز له ذلك • وقال اخرون ليس له
ان ياخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال • وقال اخرون يجوز للاخذ في التصرف ان
ياخذ منه واما هو فلا يعطي فان اعطى عصى هو دون الاخذ واحد ما جوز اخذ الكل وذلك لان المالك

لو ظهر فله ان يطلب حقه من هذه الجملة اذ يقول لعل المصروف الذي لي فيه غير عين حقي فهذا المال يترجح
بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب الى الحق يقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما
يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز هذا ان يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الاخر ان
يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع آخر اذ الاختلاط من الجانبين وليس
ملك احدنا بان يقدر فائتا اولى من الاخر الا ان ينظر الى الاقل فيقدر انه فائت او ينظر الى الذي خلط فيجعل
بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا اوضح في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلافات
من غير عقد • واما اذا اشتبهت دار زيد ودار عبد بعبيد فلا سبيل الى المصالحة والتراضي فان ابا
ان يأخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان يقوم عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق
ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليهم بقدر النسبة • وان كانت متفاوتة اخذ من صاحب
البيع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت الى البيان
او الاصلاح والاصطلاح لانه مشكل • وان لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل ان
يتولى ذلك بنفسه فهذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمال ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه
على العلة وهذا في الخلط ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض اغمض اذ لا يتبع البعض بالبعض
ولذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل بها يتم بيان هذا الاصل **مسئلة** اذا ورث مع جماعة
وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة
نصفا وهو قدر حقه ساهمه الورثة فان النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو
المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب في نصيب الاخرين **مسئلة**
اذا وقع في يده مال اخذ من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي
ان يحسب اجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا
تصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه • وتقدير اجرة العبيد والثياب
والاواني وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارته مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا
كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى • وما ربحه على المال المغصوب في
عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منها فهو ملك له وحق ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما
كما سبق حكمه • وان كان باعيان ذلك المال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل ينفذ باجازة المغصوب منه
للمصلحة ويكون المغصوب منه اولى به والقياس ان تلك العقود تمنع ويسترد الثمن وترد الاعواض
وان عجز عنه لكثرته فهي اموال الحرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب
اخراجه ليتصدق به ولا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده **مسئلة**
من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه من حلال ام من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال
باتفاق العلماء • وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك

ولكن

ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل انه لم يكن يأخذ في عمله شيئا او كان قد اخذ
ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب • وان علم ان بعض ماله
كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد • وقال بعض العلماء لا يلزمه بل الاثم على المورث
واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الان طاب ماله اي لوارثه
وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان ممن كان في الصحابة
من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن
اين يؤخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه
حراما يقينا

النظر الثاني في المصرف

فاذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان يكون له
مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا فلينتظر حضوره او الايصال اليه وان
كانت له زيادة ومنفعة فليجمع فوائده الى وقت حضوره • واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس
من الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن وارث ام لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى
يتضح الامر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على
جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به • واما ان
يكون من مال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات
ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون
عاما للمسلمين • وحكم القسم الاول لا شبهة فيه واما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولاه
القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن
كما لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه ضمانا قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا
فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف • فاما عين
الصارف فانما نطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف
هو اولى عند القدرة عليه • فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا
يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام • وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان
فلما علم انهما من غير وجهه رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا
ارضاه لنفسي • فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس •
اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه
فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى • ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم
من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين كذبه المشركون وقالوا للصديق رضي الله عنه الا ترون ما
يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر بما قمرهم به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه

وسلم هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار **وأما الاثر** فان ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية ولم
يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم ان هذا عنه ان رضي
والا فالاجر لي ● وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش قال يتصدق به ● وروي ان رجلا
سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها وقال له
تفرق الناس فاتى معوية فابى معوية ان يقبضها منه فاتى بعض النساك فسأله فقال له ادفع
خمسها الى معوية وتصدق بما بقي فبلغ معوية قوله فاعجبه وتلهف اذ لم يخطر له ذلك ● وقد
ذهب احمد بن حنبل والحرث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك **وأما القياس** فهو ان هذا
المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير قد وقع اليأس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان
صرفه الى الخير اولى من القائه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك
ولم تحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير
سد خلته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح
ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطير من ثماره وزرعه ● واما قول من قال لا
نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا
الاجر وترددنا بين التضييع وبين التصدق ● وقول القائل لا نرضى لغيرنا الا ما نرضاه لانفسنا
فهو كذلك ولكنه علينا حرام فنقول ذلك الحرام علينا لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله له
دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ●
ونقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى ذلك فيهم
لان الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ
منه بقدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فكذلك اذا كان هو الفقير ولنرسم
في بيان هذا الفصل ايضا مسائل **مسئلة** اذا وقع في يده مال من سلطان فقال قوم يرده الى
السلطان فهو اعلم بما تولاه فيتقلد ما تقلده وهو خير من ان يتصدق به واختار المحاسبي ذلك
وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من مال السلطان ويتصدق
به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة له على الظلم وتكثير
لاسباب ظلمه والرد عليه تضييع لحق المالك ● والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى
مالكه ان يتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من ان يرده الى السلطان لانه
ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع ● وان كان له مالك معين
فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم على الظلم وتفويت لبركة دعاء الفقير للمالك
وهذا ظاهر فاذا وقع في يده من ميراث ولم يتعهد هو بالاخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة التي

يئس عن معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان يتملكه وان كان غنيا لان الشرع
فيه من حيث انه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وهاهنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر
في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدق **مسئلة** اذا حصل في يده مال لا مالك له
وجوزنا له قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكوة فقال قوم ياخذ كفاية
سنة لنفسه وعياله وان قدر على شراء ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا ما اختاره
المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى
في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه
حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فني الحلال عاد اليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما
انفقه منه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم انه لا ياكل الا الخبز ويترك اللحم ان قدر على ذلك والا
اكل اللحم من غير تنعم وتوسع ● وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك
في ان الورع يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي تصدق
به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا اذا اخذه لفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن له
متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه **مسئلة** اذا كان في يده حلال وحرام او
شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه او
له في نفسه منه في عبده وعياله واولاده الصغار والكبار من اولاده يحرسهم من الحرام ان كان
لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فليطعمهم بقدر الحاجة ● وبالجملة كل ما يحذره في غيره
فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم بنفسه والعيال ربما يعذرون اذ لم يعلموا
لانهم لم يتولوا الامر بانفسهم فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما
يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كاجرة الحمام والصباغ والقصاب والحمال والحجام والاطلاء
بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص
بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غناء به عنه هو اولى ان يكون طيبا واذا دار بين
القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام
فالنار اولى به ● واما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا
هو الاظهر عندي وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه
لما روي انه لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام ● وهذا محتمل ولكن
امثال هذا ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال
اولى ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم لانه يثبت ويبقى
فان قيل فاذا كان الكل متصرفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره وبين جهة وجهة وما مدرك
هذا الفرق ● قلنا عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فمنع من كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل ان له ايتاما
فقال اعلفوه الناضح • فهذا يدلك على الفرق بين ما ياكله هو او دابته واذا انفتح سبيل الفرق فينبغي
عليه التفصيل الذي ذكرناه **مسئلة** الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع
عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسع
والتضييق فيكون الامر على ثلاث مراتب • واما اذا انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه
وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير فان
كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام عليه وليخبره جمعا بين
حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكرهه ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره
لان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة القلب وان لم يكن يعرفه صاحبه ولذلك تقيا ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل • فهذا وان افتينا بانه حلال للفقير فانما احللناه للفقير
بحكم الحاجة فهو كالخنزير والميتة والخمر اذا احللناه للضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسئلة** اذا كان
الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع من مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل
ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق • وان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه
ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر على الامتناع فليوافقهما
وليقلل الاكل بان يصغر اللقم ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور • والاخ والاخت قريب من
ذلك لان حقهما ايضا مؤكد • وكذلك اذا البسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل
وليلبسه بين يديها ولينزعه في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر
وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقائق • وقد حكي عن بشر انه سلمت اليه امه رطبة
وقالت بحقي عليك الا اكلتها وكان يكره ذلك فاكلها ثم صعد غرفة فصعدت امه وراءه فراته يتقيا
فانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة • وقد قيل لاحمد بن حنبل رضي الله عنه سئل بشر
هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني
عن ذلك فقال بر والديك فماذا تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن
ان تداريهما • من كان في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب
عليه الزكوة اذ معنى الزكوة ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه
او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه
من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا • واذا وجب عليه التصدق بما زاد على قدر حاجته حيث
يغلب على ظنه تحريمه فالزكوة اولى بالوجوب وان لزمه كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص
بيقين • وقد قال قوم عليه الجمع وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم •

وقال المحاسبي يكفيه الاطعام • والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها
من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه
مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من
جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام وامسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج فان كان ماشيا
فلا باس فانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى
زيادة المركوب فلا يجوز له الاخذ لمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد • وان
كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالاقامة في انتظاره اولى من الحج
ماشيا بالمال الحرام **مسئلة** من خرج للحج الواجب بمال فيه شبهة فليجتهد يوم عرفة ان يكون قوته
من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه
بين يدي الله تعالى ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه ذلك الوقت
حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا للحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم
يقدر فليلزم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة
ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته **مسئلة** سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن رجل مات
ابوه وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته فقال يدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه
دين فقال يقضي ويقضى قال افترى ذلك قال افتدعه محتسبا بدينه • وما ذكره صحيح وهو يدل على
انه يرى التحري باخراج المعاطاة قدر الربح فانه راى ان اعيان امواله ملكا له بدلا عما بذله في المعاطاة
الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على انه يقين فلا يترك
بسبب الشبهة

الباب الخامس

في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا
بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل ذلك المال الى يد السلطان من اين هو • وفي صفته التي بها يستحق
الاخذ • وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق •
النظر الاول في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء مما يشترك فيه
الرعية قسمان • القسم الاول الماخوذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل
من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشرط والمعاقدة • والقسم
الآخر الماخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة التي لا يتعين
لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليست تؤخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك
من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كل ذلك حرام فاذا كتب للفقيه
او غيره ادرارا وصلة او خلعة على جهة فلا يخلو اذ ذلك من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له على الجزية
او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين

أو على بياع من جملة التجار أو على الخزانة • فالأول الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة
فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال
بشرط أن لا تكون الجزية مضروبة إلا على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فإنه أيضا في
محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد ويشترط أن يكون الذمي الذي يؤخذ منه الجزية
مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امرأة إذ لا جزية
عليهما فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر
في جميع ذلك • الثاني المواريث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر في أن الذي خلفه هل كان ماله
كله حراما أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه فإن لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف
إليه مصلحة ثم في المقدار المصروف • الثالث الأوقاف وكذلك يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع
زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقا له في جميع شرائطه • الرابع ما أحياه السلطان وهو
لا يعتبر فيه شرط إذ له أن يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن الغالب هل أحياه بإكراه
الأجراء أو بأداء أجرتهم من الحرام فإن الإحياء يحصل بحفر القنى والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض
ولا يتولى ذلك السلطان بنفسه فإن كانوا مكرهين على العمل لم يتملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا
مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهو يورث شبهة وقد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض •
الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة من أرض أو ثياب وخلعة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف
فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله • السادس
أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال الغنيمة والمصادرة وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو
أكثر الإدرارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فإنها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين
السابع ما يكتب على بياع يعامل السلطان فإن كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وإن كانت
معاملته مع غير السلطان أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق إلى
العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام • الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجمع عنده من الحلال والحرام
فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تجمع على مال حلال وعلى
حرام واحتمل أن يكون ما سلم إليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام
وهو الأغلب لأن غالب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز فقد
اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا أتيقن أنه حرام فلي أن آخذه • وقال قوم آخرون لا يحل أن يأخذ
ما لا يتحقق أنه حلال ولا يحل شبهة أصلا • وكلاهما إسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب
إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق • ولقد احتج
من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حلال وحرام مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روي عن جماعة
من الصحابة رضي الله عنهم أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم فمنهم أبو هريرة وأبو سعيد

الخدري

الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب وجرير بن عبد الله وجابر وأنس والمسور بن مخرمة • فأخذ أبو سعيد وأبو
هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك • وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج • وأخذ كثير من التابعين
منهم كالشعبي وإبراهيم النخعي والحسن وابن أبي ليلى • وأخذ الشافعي من هرون الرشيد ألف دينار في دفعة واحدة
وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة • وقال علي رضي الله عنه خذ ما أعطاك السلطان فإنما يعطيك من
الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر • وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه أن يحمل على
ما لا يحل ألا ترى قول أبي ذر للأحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه • وقال
أبو هريرة إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل • وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة كان إذا أعطاه
معوية سكت وإذا منعه وقع فيه • وعن الشعبي عن مسروق لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار
أي يحملهم ذلك على الحرام لا أنه في نفسه حرام • وروى نافع عن ابن عمر أن المختار كان يبعث إليه المال
فيقبله ثم يقول لا أسأل أحدا ولا أرد ما رزقني الله تعالى وأهدى إليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة
المختار • ولكن هذا يعارضه ما روي عن ابن عمر أنه لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والإسناد في رده
أثبت • وعن نافع أنه بعث ابن معمر إلى ابن عمر بستين ألفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من
بعض من أعطاه وأعطى السائل • ولما قدم الحسن بن علي على معوية رضي الله عنهم قال لأجيزنك بجائزة
لم أجزها أحدا قبلك من العرب ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف فأخذها
وعن حبيب بن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل له ما هي قال
مال وكسوة • وعن الزبير بن عدي أنه قال قال سلمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا
فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فاقبل فإن المهنأ لك وعليه الوزر وإذا ثبت هذا في
المربي فالظالم في معناه • وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا يقبلان جوائز
معوية • وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عشارا على أسفل الفرات فأرسل إلى
العشارين أطعمونا مما عندكم فأرسلوا طعاما فأكل وأكلنا معه • وقال العلاء بن زهير الأزدي
أتى إبراهيم أبي وهو عامل على حلوان فأجازه فقبل وقال إبراهيم لا بأس بجائزة العمال إن للعمال مؤنة ورزقا
ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله • فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز
السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في معصية الله وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من
امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبي ذر وغيرهم من الزهاد
فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعا وتقوى
فإقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك
عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثون ألفا • وما نقل عن الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صير في
وإن ضاق وقت الصلاة لأني لا أدري أصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم
على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضا فهذه شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم

والجواب ان ما نقل من اخذ هؤلاء محظور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم وان كان يتطرق
الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة فى الدرجة بتفاوتهم
فى الورع فان للورع فى حق السلاطين اربع درجات الدرجة الاولى ان لا ياخذ من مالهم شيئا اصلا
كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضى الله عنه حسب جميع ما كان
اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحكى ان عمر رضى الله عنه كان يقسم
مال بيت المال فدخلت عليه ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة
عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فادخل عمر اصبعه
فاخرجه من فيها وطرحه على المال وقال يا ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم
وبعيدهم وكنس ابو موسى الاشعرى بيت المال فوجد درهما فمر ابن لعمر فاعطاه الدرهم فرآه عمر
فى يد الغلام فقال من اعطاك هذا فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان فى اهل المدينة
بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة
ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر
فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا
يريبك ولقوله صلى الله عليه وسلم ومن تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات فى الاموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه وسلم حين
بعث عبادة بن الصامت عاملا على الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجى يوم القيمة ببعير تحمله على
رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها ثغار فقال يا رسول الله اهكذا يكون قال نعم والذى نفسى
بيده الا من رحم الله قال فوالذى بعثك بالحق لا اعمل على شئ ابدا وقال صلى الله عليه وسلم
انى لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدى وانما اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وانما اخاف التنافس فى المال
ولذلك قال عمر رضى الله عنه فى حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال انى لم اجد نفسى فيه الا
كالولى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروى ان ابنا
لطاوس افتعل كتابا من لسانه وارسله الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثماية دينار فباع طاوس
ضيعة له وبعث بها الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هى الدرجة العليا
فى الورع الدرجة الثانية هو ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذ من جهة
حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الاثار او اكثرها او ما
يختص منها باكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر رضى الله عنهما فانه كان من المبالغين فى الورع
فكيف يتوسع فى مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك
انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو فى مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله بها
فقالوا له انا لنرجو الله لك حفرت الابار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت

فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى وفى
حديث آخر انه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا قد اصبت
منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لى فقال له ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه
الى الخيرات وعن ابن عمر ايضا انه قال فى ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ نهبت الدار الى
يومى هذا وروى عن على رضى الله عنه انه كان له سويق فى اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل
هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما انى لا اختمه بخلا به ولكنى اكره ان يجعل فيه ما ليس منه
واكره ان يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المالوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شئ الا خرج منه فطلب
منه نافع بثلاثين الفا فقال انى اخاف ان تفتننى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له اذهب فانت
حر وقال ابو سعيد الخدرى ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن
به وبمن كان فى منصبه انه اخذ ما لا يدرى انه حلال الدرجة الثالثة ان ياخذ ليتصدق به على
الفقراء ويفرقه على المستحقين فان كل مال لا يتعين له مالك هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان
لو لم يوخذ منه لم يفرقه واستعان به على الظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه فى يده
وهذا قد رآه بعض العلماء وسياتى وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك
ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعايشة وغيرهما رضى الله عنهما وما يقتدون بهما
لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض فى مجلسه بعد تفرقة ستين الفا وعايشة رضى الله عنها فعلت
مثل ذلك وجابر بن زيد قيل جاءه مال فتصدق به وقال رايت ان اخذه منهم واتصدق به احب الى
من ان ادعه فى ايديهم وكذلك فعل الشافعى مما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى انه
لم يمسك منه لنفسه حبة واحدة الدرجة الرابعة ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرقه بل يستنفقه
ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء فى زمن الصحابة والتابعين بعد الخلفاء
الراشدين لم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل على رضى الله عنه حيث قال فان ما ياخذه
من الحلال اكثر وهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن انما توقفنا فيه فى حق
احاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدى اجتهاد مجتهد الى
جواز اخذه ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت
هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة فى زماننا لا تجرى مجراه وانها تفارقه من وجهين
قاطعين احدهما ان اموال السلاطين فى عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال من اموالهم
هو الصدقات والفىء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شئ يد السلطان ولم يبق الا الجزية
ثم انها توخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع فى الماخوذ والماخوذ
منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين

ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره ۝ الوجه الثاني ان الظلمة في
العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين الى
استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم
من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به فكانوا ياخذون منهم ذلك
ويفرقونه ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون
بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون الالسن فيهم وينكرون المنكرات منهم فما كان يحذر ان يصيبوا
من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس ۝ فاما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية
الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر بهم والاستعانة بهم على اغراضهم مع العلم بغشيان مجالسهم
وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ
نفسه بالسؤال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالدعاء والثناء ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه
عند الاستعانة به رابعا وبتكثير جمعهم في مجلسهم وموكبهم خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة
له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد
ولو كان في فضل الشافعي مثلا ۝ فاذا لا يجوز ان يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال ۝
لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه
بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ۝ ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم
وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما
سنبين في الباب الذي يلي هذا ۝ فاذا قد تبين مما تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل
فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته فيساق اليه ذلك
ولا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ
ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا

النظر الثاني من هذا الباب في قدر الماخوذ وصفة الاخذ

وهو ان نفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد
تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما
احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء وانما النظر في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا
يجوز صرفها الا لمن فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة
فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه وهذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام
عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا
ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم
به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق ۝
الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الحديث والفقه والتفسير

والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم
يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط بهم مصالح الدنيا باعمالهم ويدخل فيه الاجناد
المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العرامة واهل البغي واعداء الاسلام ويدخل فيه
الحساب والكتاب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال
لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين ۝
وبالاجناد حراسة الدنيا ۝ والدين والملك توأمان فلا يستغني احدهما عن الآخر ۝ والطبيب وان كان
لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن ترتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في
العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة
المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان
الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار
بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة
المال فقد اخذ الحسن رضي الله عنه من معاوية في دفعة واحدة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر يعطي
جماعة لكل واحد اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة ۝ ولجماعة
اخرى لكل واحد ستة آلاف وهكذا ۝ وهذا مال لهؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص كل
واحد ما لا يكثر فلا باس ۝ وكذا للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد
كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة
كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات في ضروب
التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان ۝ وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما
ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده
وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد ان ياخذوا
وهل يجوز لهم الاخذ بقدر حصصهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل ما اعطي ۝ اما الاول فالذي
نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في
الاستبدال له فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجب الطاعة له كما تجب طاعة الامراء وقد ورد في
الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر ۝ والذي نراه ان الخلافة منعقدة
للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنهم وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين
للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهري المستنبط من كتب كشف الاسرار وهتك الاستار تاليف القاضي
ابي بكر ابي الطيب رضي الله عنهم والرد على الروافض من الباطنية ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول
الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولاية
الآن لبطلت المصالح راسا فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة

ثم بعد صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة
فهو سلطان نافذ الحكم والقضاة في اقطار الارض ولاة نافذوا الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في
كتاب الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلا نطول الآن به ۝ واما الاشكال الاخر وهو ان السلطان
اذا لم يعمهم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربعة
مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذ فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدرى ان حصته منه دانق
او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قدر قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته
على المسلمين ۝ وقال قوم له ان ياخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال
فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون ۝ وهذا هو القياس لان المال ليس
مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم
يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هو الحق غير متعين وانما يتعين
بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم
المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو
صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الاخرين لجاز له ان ياخذ والتفضيل جائز في العطاء
سوى ابو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال انما فضلهم عند الله تعالى وانما الدنيا بلاغ
وفضل عمر في زمانه فاعطى عايشة رضى الله عنها اثنى عشر الفا وزينب عشرة الاف وجويرية ستة الاف
وكذا صفية ۝ واقطع عمر لعلي خاصة واقطع عثمان من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا رضى الله
عنهما فقبل منه ولم ينكر عليه وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التى نقول فيها
ان كل مجتهد مصيب وهى كل مسئلة لا نص فيها على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فتكون في معناها
بقياس جلى كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل
واحد من ابى بكر وعمر مصيب باتفاق الصحابة وان الفاضل ما رد في زمان عمر الى المفضول شيا مما كان
قد اخذه في زمان ابى بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة
واعتقدوا ان كل واحد الراى حق فليوخذ هذا الجنس دستورا الى الاختلافات التى تصوب فيها
كل مجتهد فاما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلى لغفلة او سوء راى وكان في القوة بحيث
ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص
وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين
والدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذ وانما
يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنايه واطرايه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم
اخذ المال منهم غالبا عنها الا به سنبينه ان شاء الله تعالى ۝ والله تعالى الموفق بمنه وكرمه

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين

الظلمة

الظلمة وتحريم اموالهم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم ۝ اعلم ان لك مع الامراء
والعمال الظلمة ثلثة احوال ۝ الحالة الاولى وهى شرها ان تدخل عليهم ۝ والثانية وهى دونها ان يدخلوا
عليك ۝ والثالثة وهى الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ۝ اما الحالة الاولى وهى الدخول عليهم
فهى حالة مذمومة جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والآثار فننقلها لتعرف
ذم الشرع لها ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم ۝ فاما الاخبار
فانه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد
يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم ۝ وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لا يسلم من عذاب ان نعمة
ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدى امراء يظلمون ويكذبون
فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض ۝ وروى ابو هريرة انه صلى
الله عليه وسلم قال ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء ۝ وفي الخبر خير الامراء الذين ياتون
العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء ۝ وفي الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا
السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضى الله عنه ۝ واما
الآثار فقد قال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هى قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير
فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه ۝ وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا
تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك مثله او افضل منه ۝ وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه
الا القراء الزوارون للملوك ۝ وقال الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله عز وجل من عالم يزور عاملا وقال
سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه
يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربته اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا
وحاسبت نفسى بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم ۝ وقال
عبادة بن الصامت رضى الله عنه حب القارى الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء ۝ وقال ابو ذر
من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلمة ۝ وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان
ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله تعالى واستعمل عمر بن عبد العزيز
رجلا فقيل له انه كان عاملا للحجاج فعزله فقال له الرجل انما عملت له على شئ يسير فقال له عمر حسبك
بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا ۝ وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من
الله بعدا ۝ وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب
ابن الورد هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين ۝ وقال محمد بن مسلمة الذباب
على العذرة احسن حالا من قارئ على ابواب هؤلاء الظلمة ۝ ولما خالط الزهرى السلطان كتب اخ له في
الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك ان يدعو الله لك ويرحمك
اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله تعالى لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت
وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا
حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى
ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب
ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله عز
وجل فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الآية وإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ
عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء
في الأرض ولا في السماء والسلام ● فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع
الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان
متعرض لأن يعصي الله إما بفعله وإما بقوله وإما بسكوته وإما باعتقاده ولا ينفك عن أحد هذه الأمور ● أما
الفعل فالدخول عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام
ولا يغرنك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فتات خبز فإن ذلك صحيح في غير المغصوب ● أما
المغصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذا الاجتياز فيجري هذا
في كل واحد على الانفراد فيجري أيضا في المجموع والغصب إنما تم بفعل الجميع وإنما يتسامح به إذا انفرد إذ لو علم
المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل
فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل فيجعل طريقا اعتمادا على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لا ينقص الملك
لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح أولا ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة
بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا
فإن فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول عليه
غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستظلال به فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث إنه دخول ولا
بقوله السلام عليك ولكن إذا سجد أو ركع أو مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته
التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لأجل غناه لا لأمر آخر يقتضي التواضع
نقص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح إلا مجرد السلام فأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فذلك
معصية إلا عند خوف أو لإمام عادل أو لعالم أو لمن يستحق ذلك بأمر ديني ● قبل أبو عبيدة بن الجراح يد عمر
رضي الله عنه لما لقيه بالشام فلم ينكر عليه ● وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع من رد جوابهم في السلام والإعراض
عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات ● فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن
يسقط بالظلم ● فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان
أغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل ● فأما السكوت فإنه سيرى في مجالسهم
من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى منكرا وسكت عنه

فهو شريك في ذلك المنكر بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام
بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب
عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله ● فإن قلت إنه يخاف على نفسه فهو معذور في
السكوت ● فهذا حق ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعذر فإنه لو لم يدخل ولم
يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر ● وعند هذا أقول من علم فسادا في
موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ذلك الموضع ليجري ذلك الفساد بين يديه وهو
يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته ● وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثني عليه أو يصدقه
فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه أو يظهر له الحب والموالاة والاشتياق
إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فإنه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه
الأقسام ● وأما دعاؤه فلا يحل له إلا أن يقول أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك في
طاعته وما يجري هذا المجرى ● فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما
في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ● فإن جاوز الدعاء
إلى الثناء وذكر ما ليس فيه فيكون بذلك كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله
عليه وسلم إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ● وفي خبر آخر من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام فإن
جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة فإن التزكية
والثناء عليه فذلك إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيها كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه
وتضعيف لدواعيه والإعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ● وقد سئل سفيان عن ظالم أشرف
على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه يموت فإن ذلك إعانة له وقال غيره يسقى إلى أن تثوب
إليه نفسه ثم يعرض عنه ● فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقائه فإن كان كاذبا
عصى معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يبغضه في الله تعالى
ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن أحب ظالما فإن أحبه لظلمه فهو
عاص لمحبته وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يبغضه وكان الواجب عليه أن يبغضه وإن اجتمع
في شخص واحد خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر وسيأتي في كتاب الأخوة
والمتحابين في الله وجه الجمع بين الحب والبغض فإن سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق إلى
قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة فيزدري نعمة الله عليه ويكون مقتحما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال يا معشر المهاجرين والأنصار لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق ● هذا مع ما فيه
من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثير سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به وكل ذلك
إما مكروه وإما محظور ● ودعي سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان
فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقيل ادخل

من الباب واخرج من الباب الآخر قال والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح • فلا يجوز
الدخول عليهم الا بعذرين • احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع لخاف اذى او
راى امتناعه يفسد عليهم طاعة الرعية واضطرب به السياسة فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم
ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية • الثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه
اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني عليهم ولا يدع نصيحة
يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول • الحالة الثانية ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام
لا بد منه واما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاكرام
كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في
خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر له ايضا غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن
الله تعالى عنه • فان كان الدخول عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا
باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله اذى من غضبه فترك
الاكرام بالقيام اولى • ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو
يتوقع ان يتركه اذا عرفه فليعرفه وذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعرف تحريمه من السرف والظلم فلا
فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق
المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل به غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك
عن الوصول الى غرضه فاذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف مما هو مستجر عليه والارشاد الى
ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيها اثرا وهو ايضا لازم على كل من
اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر • وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت
الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا انا عنده
اذ دق الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رأيتك امتلأت
رعبا قال حماد لانه عليه الصلاة والسلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد
ان يكثر به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال اردها
على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا مما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتأخذها فتقسمها قال
لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني • الحالة
الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم
على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يأسف
على ما يفوته بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله
تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم
من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم • وما قال ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال ٥

يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها
وعليهم حسابها ونحن منها برآء • وكل ما احاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك
من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لا محالة •
والمعصية ينبغي ان تكره فانها اما ان يغفل عنها او يرضى بها او تكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضى
فلا بد من الكراهة فلتكن جناية كل احد على حق الله تعالى كجنايته على حقك • فان قلت الكراهة لا تدخل
تحت الاختيار فكيف تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ٥
ومخالف له فانما لا يكره معصية الله من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه فالمعرفة واجبة والمحبة
لله تعالى واجبة واذا احبه كره ما يكرهه واحب ما يحبه وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضى ان
شاء الله تعالى • فان قلت فلقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم
ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الله قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل
له يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية
بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه بغير اذنه وقال
كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم ٥
رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد
غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ولم
تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني
اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني
سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة
او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم علي بامرة امير المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان
اكذب واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى انبياءه باسمائهم فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه
فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول
اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال هشام عظني
فقال سمعت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول ان في جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ
كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام فخرج • وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع
الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفع وقال ارفع الينا
حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق
الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر درهما واري ها هنا امورا لا تطيقها الجمال • فهكذا
كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا فكانوا يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم • ودخل

ابن ابى شملة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون يوم القيمة من غصصها ومرارتها
ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله تعالى بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا
نصب عينى ما عشت • ولما استعمل عثمان بن عفان عبد الله بن عباس اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابطاء عليه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الرجل اذا ولى ولاية تباعد الله عنه • ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرأت
فى بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصانى ومن اغر ممن اغتر بى ايها الراعى السوء
دفعنا اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما ما تتقعقع فقال له
والى البصرة اتدرى ما الذى جراك علينا وجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك
لما فى ايدينا • وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع
صدره على مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان
الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال له عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك
الله بهم • وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابى حازم فدعاه فلما دخل
عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان
تنتقلوا من العمران الى الخراب قال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب
يقدم على اهله واما المسئ فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال يا ليت شعرى ما لى عند الله قال
ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل حيث قال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال
سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين • ثم قال سليمان يا ابا حازم اى عباد الله اكرم على الله قال
اهل المروة والتقى قال فاى الاعمال افضل قال اداء الفرايض مع اجتناب المحارم قال فاى الدعاء
اسمع قال قول الحق عند من يخاف ويرجا قال فاى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس
اليها قال فاى الناس احسن عملا قال رجل تعلم العلم وعمل به قال فاى المؤمنين اخسر قال من خطا
فى هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعافنى قال لا
ولكن نصيحة تلقيها الى قال يا امير المؤمنين ان اباك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة
من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم قتلة عظيمة وقد رحلوا فلو شعرت بما قالوا وما
قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت فقال ابو حازم ان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على
العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذ المال من حله
فتضعه فى حقه فقال سليمان ومن يقدر على هذا قال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال
سليمان ادع لى قال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك
فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصنى واوجز قال عظم ربك ونزهه ان يراك حيث
نهاك او يفقدك حيث امرك • وقال عمر بن عبد العزيز لابى حازم عظنى فقال اضطجع ثم اجعل الموت

عند

عند راسك ثم انظر ما تحب ان تكون فيه تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره ان تكون فيك تلك الساعة
فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة • ودخل اعرابى على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابى
فقال يا امير المؤمنين انى مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال يا اعرابى
انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نامن غشه فكيف بمن نامن غشه ونرجو نصحه
فقال الاعرابى يا امير المؤمنين انه قد تكنفك رجال اساؤا الاختيار لك واختاروا الاختيار لانفسهم
وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله عز وجل ولم يخافوا الله فيك حرب
الاخرة سلم الدنيا لهم فلا تامنهم على ما ايتمنك الله عز وجل عليه فانهم لم يبالوا فى الامانة
تضييعا وفى الامة خسفا وعسفا وانت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح
دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان يا اعرابى اما
انك قد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك قال اجل يا امير المؤمنين ولكن لك لا عليك •
وحكى ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال له اتق الله يا معاوية واعلم انك فى كل يوم يخرج عنك وفى
كل ليلة عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد
نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه
زايلون والذى نحن صايرون اليه باق ان خيرا فخير وان شرا فشر • فهكذا كان دخول اهل العلم
على السلاطين اعنى علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيدخلون ويتقربون الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص
ويستنبطون لهم بدقايق الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه فى معرض
الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفى هذا غروران يغتر بهما الحمقى
الاول ان يظهروا ان مقصدهم فى الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم بذلك
وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم • وعلامة الصدق فى طلب الاصلاح
انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه من العلماء ووقع موقع القبول وظهر له اثر الصلاح
فينبغى ان يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم ممن وجب عليه ان يعالج مريضا ضايعا قام
بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف فى قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور
الثانى ان يزعم ان قصده الشفاعة لمسلم فى دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم
ذكره • واذا ظهر طريق الدخول اليهم فلنتكلم فى الاحوال العارضة فى مخالطة السلاطين ومباشرة
اموالهم مسايل مسئلة اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين
فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان حكمه انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذه
وتتولى تفرقته ولا تعصى باخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا يتصدى النظر فى الاولى فنقول
الاولى ان تاخذه ان امنت ثلث غوايل • الغايلة الاولى ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله
طيب ولولاه لما كنت تمد يدك اليه ولا تدخله فى ضمانك فان كان الامر كذلك فلا تاخذه فان ذلك

محظور ولا يبقى الحرج في مباشرتك للتفرقة بما يحصل له من الجراة على كسب الحرام • الغايلة الثانية
ان ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون بك في الاخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون
فهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي رحمه الله على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته
واخذه على نية التفرقة • فالمقتدى والمتشبه بهم ينبغي ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله
سبب ضلال الخلق كثير • وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا اتى به الى الملك بمشهد من الناس فاكرهه
على اكل لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل فقيل له لم لا تاكل فقال الناس
قد اعتقدوا انى طولبت باكل لحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت • ودخل
وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان غلاما وكان في غداة باردة فقال لغلامه
هلم ذلك الطيلسان والقه على ابي عبد الرحمن طاوس وكان قد قعد على كرسي فالقاه عليه فلم يزل
يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه
لو اخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا ان يقول من بعدي اخذه طاوس ثم لا يصنع به ما
اصنع به اذا لفعلت • العلة الثالثة ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك واثارته
لك بما انفذه اليك فاذا كان كذلك فلا يقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين اعنى ما
يجيب الظلمة اليك فانك ان احببته لا بد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عايشة رضي الله عنها
جبلت القلوب على حب من احسن اليها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه
قلبي • فبين ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك • وروى ان بعض الامراء ارسل الى مالك بن دينار
بعشرة الاف فاخذها وفرقها كلها فاتاه محمد بن واسع وقال له ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق
فقال سل اصحابي فسالهم فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله اقلبك اشد حبا له الان ام قبل
ان ارسل اليك فقال لا بل الان فقال انما كنت اخاف هذا • وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه
وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو
مذموم قال سليمان وابن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال الله تعالى ولا تركنوا
الى الذين ظلموا فتمسكم النار • قيل لا ترضوا باعمالهم • فان كنت من القوة بحيث لا يزداد حبا بذلك
فلا باس بالاخذ • وقد حكى عن بعض عباد البصرة انه كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان
تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ
بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه • وبهذا يتبين ان اخذ المال الحرام منهم الان
وان كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوايل مسئلة
ان قال قايل ان جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز ان يسرق ماله او يخفي وديعته وينكر وتفرق على
الناس فنقول ذلك غير جايز لانه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم ان يرده اليه وليس هذا
كما اذا بعثه اليك فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف

مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثل هذا فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يجوز ان
يسرق ويحتمل ان يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل
اليه بل من وجد لقطة وظهر ان صاحبها جندي واحتمل ان يكون قد صارت اليه بشراء في الذمة او
غير ذلك مما يسوغ لوجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا يجوز
انكار ودايعهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط
الحد بالدعوى مسئلة المعاملة معهم حرام لان اكثر اموالهم حرام فما يوخذ عوضا فهو حرام فان اد
الثمن من موضع يعلم حله فينبغي ان ينظر فيما سلم اليهم فان علم انهم يعصون الله تعالى به كبيع الديباج
منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في الصحة وان امكن
ذلك وامكن ان يلبسها نساؤهم فهي شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي معناه
بيع الفرس منهم لاسيما في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة بفرسه
وهي محظورة • فاما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل
به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير
الاسباب وهذه الكراهة جارية في الاهداء اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم
اولادهم الكتابة والترسل والحساب • واما تعليم القران فانه يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك
حرام الا من وجه يعلم حله • ولو انتصب وكيلا لهم ليشتري لهم في السوق من غير اجرة ولا جعل فذلك
مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انه يقصدون به المعصية كالغلام والديباج •
للبس والفرس المركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمباح حصل التحريم
ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهية مسئلة الاسواق التي بنوها
بالمال الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها وان سكنها باجرة واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه
وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخر فالاولى ترك الشرا منهم
فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكرى حوانيتهم وكذلك معاملة اهل السوق التي لا خراج لهم عليها
احب الينا من معاملة اهل سوق لهم عليها خراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذون الى الخراج فيحصل به
الاعانة وهو غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنا بالناس عن زراعة
الارض فلا معنى للمنع منه ولو حرم هذا لحرم على المالك زراعة ارضه حتى لا يطلب خراجها وذلك
مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعاش مسئلة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام
كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون
الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء وياخذون من اموالهم ويختلطون بهم والطباع مجبولة على
التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهم سبب لانقياد الخلق اليهم • واما الخدم والحشم
فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم من مال مصلحة ولا جزية ولا ميراث ولا من وجه

حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بما لهم وقد صار في ايدي قضاتهم قريبا مما في ايدي حشمهم
وخدمهم ولهذا قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة
انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء
لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله
تعالى وكنفه ما لم يمارى قراؤها امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقرآن
ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفيان لا تخالط
السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة
وصاحب البريد وصاحب الطين الذي يختم به وصاحب الشرطة بعضهم شركاء بعض • وقد صدق
فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر له وقال ابن مسعود آكل الربا
وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم • وكذا رواه جابر وعمر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه • وامتنع سفيان من
مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب • فكل من حوا ليهم من خدمهم ظلمة
مثلهم يجب بغضهم في الله تعالى جميعا • وروي عن عثمان بن زائدة انه ساله بعض الجند عن الطريق
فسكت واظهر ان به صمما وخاف ان يكون متوجها الى ظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا •
وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واصحاب الحمامات
والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم ولا مع الكفار من اهل الذمة
وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين اموال اليتامى والمساكين المواظبين على اذى الناس الذين تعاونوا
على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية فالفسق لازم لا
يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله • واما معصية الولاة بالظلم فهو
متعد فيغلظ امرهم كذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله سبحانه مقتا فيجب
ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم يقال للشرطي دع
سوطك وادخل النار وقال صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب
البقر • فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشارب
وسائر الهيئات المشهورة فمن رؤي على تلك الهيئة وجب اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه
الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم ومساواة الزي تدل على مساواة القلب فلا يتجانن الا مجنون
ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الصالح فليس
له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة • وقد روي ان
الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم

فقال

فقال يا رب ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم
ولهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب • وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم مسئلة المواضع التي بناها
الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر • اما القنطرة
فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنها معدلا تأكد الورع وانما جوزنا
العبور وان وجد عنها معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان ترصد للخيرات
وهذا خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل
العبور عليها اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك
الذي يعرفه • واما المسجد فان بني في ارض مغصوبة او بخشب مغصوب من مسجد اخر او ملك معين
فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج
المسجد فان الصلاة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء وان عصى فاعل
ذلك بالوقوف في الغصب • وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد اخر ان
وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على
بعد وان لا يكون له مالك معين فهو لمصالح المسلمين • وان كان في المسجد الكبير بناء لسلطان
ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع • قيل لاحمد بن حنبل ما حجتك في ترك
الخروج الى الصلاة ونحن بالعسكر فقال حجتي الحسن وابرهيم التيمي وغيرهما خافا على انفسهما ان
يفتنهما الحجاج وانا اخاف ان افتن ايضا • واما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لانه
غير منتفع به وانما هو زينة والاولى ان لا ينظر اليه • واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك
معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنها
فانها محل شبهة • واما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول
فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلاة فيتوضا وكذلك مصانع طريق مكة • واما الرباطات
والمدارس فان كانت التربة مغصوبة والآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة
في الدخول فيها • وان التبس المالك فقد ارصد لجهة من الخير والورع الاجتناب ولكن لا يلزم الفسق
بدخولها • وهذه الابنية ان صدرت من خدم السلطان فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال
الضائعة الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك
للولاة وارباب الامر مسئلة الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى عليها البتة
وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط
حرام جاز العبور ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه الى السقف كما يقف في
الشارع لعذر • فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او المطر او غيره فهو حرام لان السقف لا يراد

الا الذلك وهكذا الحكم من يدخل مسجدا او ارضا مباحة سقف وحوط بغصب فانه بمجرد التخطي لا
يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فايدة في الحيطان والسقف لحر او برد او تستر عن
بصر وغيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام واذ لم يحرم الجلوس على الفرش الغصب لما فيه من
المماسة فالانتفاع بالارض للاستقرار عليها والاستظلال بالسقف لا فرق بينهما ه

[illegible]

وقد سئل عنها في الفتاوى **مسئلة** سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا
ويشترى طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا • فقلت اما الصوفية
فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضى الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة
اما الحل فلان ما يعطاه خادم الصوفية انما يعطاه بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية
فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان
يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطى فلا يتسلط الخادم على الشرابه والتصرف
فيه لان ذلك مصير الى المعاطاة لا يكتفى وذلك ضعيف ثم لا صاير اليه في الصدقات والهدايا
ويبعد ان يقال زال الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه اذ
لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد منهم لا يصرف نصيبه الى
وارثه • ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف فلا يتعين له مستحق لان ازالة الملك الى الجهة
لا يوجب تسليط الآحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد الى
يوم القيمة فانما يتصرف فيه الولاة • والخادم لا يجوز ان ينتصب نايبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال
هو ملكه وانما يطعم الصوفية يوما ويشترط التصرف والمروة فان منعهم عنه منعوه من ان يظهر نفسه
في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله **مسئلة** سئل عن ما اوصى به للصوفية
فمن الذي يجوز ان يصرف اليه • فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته
بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي • والضابط الكلي ان كل من هو بصفة
اذا نزل في خانقات الصوفية لم يكن نزوله فيه واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم
والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا يكون مشتغلا بحرفة
وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقات ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال
الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل
الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصى للصوفية ولسنا
نعتبر فيه الصغاير • واما الحرفة والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل
والتاجر والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هولاء لا يستحقون ولا ينجبر هذا
بالزي والمخالطة • فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما فلا يليق بالصوفية تعاطيه فاذا تعاطى

ذلك لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق لان ذلك تخير بمساكنته
اياهم في بقية الصفات • واما القدرة على الحرفة من غير مباشرة لا يمنع • واما الوعظ والتدريس
فلا ينافيان اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان
يقال صوفي مقرى وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس وفقيه ويتناقض ان يقال صوفي دهقان
وصوفي تاجر وصوفي عامل • واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى الثروة الظاهرة
فلا يجوز معه اخذ ما اوصى به للصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه • وكذلك
اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات •
واما المخالطة لهم ومساكنتهم فله اثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او مسجده على زيهم ومتخلق
باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي • فان لم يكن على زيهم ووجد
بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة
والزي ينوب عن كل واحد منهما عن الآخر • والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم
يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم
واما لبس المرقع من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود
الشرايط المذكورة • واما المتاهل المتردد بين الرباط والمسكن لا يخرجه ذلك عن جملتهم **مسئلة**
ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف الصرف
الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم وعلى مايدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على
التسامح حتى جاز الانفراد به في الغنايم المشتركة • وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف
وكان ذلك من مصالح معايشهم • وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى هولاء بخلاف الوقف
وكذلك من حضرهم من العمال والتجار والقضاة والفقهاء والعلماء ممن له غرض في استمالة قلوبهم يحل له الا
برضاهم فان الواقف لا يوقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن
ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام ولا ياكل وان رضوا به اذ ليس لهم
تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم • واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم
وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا • والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت
الى خرافات بعض الحمقى يتوهمون ان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة في
كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما • واما الفقيه
اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فله الاكل معهم بطريق التبعية
فكان عدم الزي يجبره المساكنة ولكن برضى اهل الزي • وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور متقابلة
لا تخفى اطرافها في النفي والاثبات وتتشابه اوساطها فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرى لدينه
وعرضه كما نبهنا عليه في باب الشبهات **مسئلة** سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد

منهما تصدر عن الرضى ولا يخلو عن غرض وقد حصر مآخذها دون الاخرى فقلت باذل المال لا يبذله
قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب واما عاجل فالعاجل اما مال واما فعل او اعانة على مقصود
معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه لطلب محبته اما للمحبة فى عينها واما للتوصل بالمحبة الى
غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذا خمسة **الاول** ما غرضه الثواب فى الآخرة وذلك
اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او عالما او نسيبا بسبب دينى او صالحا فى نفسه متدينا
فما علم الآخذ انه يعطى لحاجته فلا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه
لا يحل له ان علم انه كاذب فى دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل له ان ياخذ الا ان يكون فى
العلم كما يعتقده المعطى فان كان خيل اليه كمالا فى العلم حتى انبعث بذلك على التقرب ولم يكن
كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا فى الباطن فسقا لو
علمه المعطى لما اعطاه وقل ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما
ستر الله الجميل هو الذى يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون كانوا يوكلون فى الشراء من لا يعرف انه
وكيلهم حتى لا يسامحوا فى البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك محظور والتقوى خفى لا
كالعلم والنسب والفقر فينبغى ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن **الثانى** ما يقصد به العاجل
من غرض معين كالفقير يهدى الى الغنى طمعا فى خلعته فهذه هبة بشرط ثواب ولا يخفى حكمها وانما
يحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه عند وجود شروط العقود **الثالث** ان يكون المراد اعانة
بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدى الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده
فهذه هبة بشرط ثواب تعرف بقرينة الحال فينظر فى ذلك العمل الذى هو الثواب فان كان حراما
كالسعى فى تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم معين على كل
من يقدر عليه او شهادة معينة فيحرم ايضا وهى الرشوة التى لا يشك فى تحريمها • وان كان مباحا
لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستيجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض
وهو جار مجرى الجعالة وكقوله اوصل هذه القصة الى السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج
الى تعب وعمل متقوم • او قال اقترح على فلان ان يعيننى فى غرض كذا او ينعم على بكذا وافتقر فى
تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدى القاضى فليس بحرام اذا كان
لا يسعى فى حرام • وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه او تلك
الفعلة من ذى الجاه مفيدة كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصة بين يدى
السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت فى الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهى عنه
كما سياتى فى هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاغصان
فى هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يوخذ عن الجاه • ويقرب من هذا اخذ
الطبيب الاجر على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بعلم النبت لقلع البواسير

او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله فى التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه
ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به • ودون هذا الحاذق
فى الصناعة كالصيقل مثلا الذى يزيل اعوجاج السيف والمراة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع
الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة ثمنا كثيرا فى ثمن السيف والمراة فهذا لا ارى باسا
باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل فى تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن
نفسه كثرة العمل **الرابع** ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن
طلبا للاستيناس وتاكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب اليه
فى الشرع قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا • وعلى الجملة فلا يقصد الانسان فى الغالب ايضا
محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة فى محبته ولكن اذا لم يتعين تلك الفائدة ولم يتمثل فى نفسه غرض
معين يبعثه فى الحال او المال سمى ذلك هدية وحل اخذها **الخامس** ان يطلب التقرب الى
قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض
له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى اليه فان كان جاهه
لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها
فان كان جاهه ولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال
السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذه رشوة عرضت
فى معرض الهدية اذ القصد بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه
اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وآية انه لا يبغى المحبة انه لو ولى فى الحال غيره لسلم المال
الى غيره فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا فى كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه
دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة فى مقابلة جاه محض فى غرض معين واذا تعارضت المشابهة
القياسية وعضدت الاخبار والآثار احدهما تعين الميل اليه • وقد دلت الاخبار على تشديد الامر
فيها قال صلى الله عليه وسلم ياتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة
يقتل البرئ ليوعظ به العامة • وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضى الرجل للرجل الحاجة
فيهدى اليه الهدية • ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها ولا تبرع بها لا على قصد اجرة
فلا يجوز ان ياخذ بعده شيئا فى معرض العوض • وشفع مسروق شفاعة فاهدى له جارية فغضب
وردها وقال لو علمت ما فى قلبك ما تكلمت لك فى حاجتك ولا اتكلم فيما بقى منها • وسئل طاوس
عن هدايا السلطان فقال سحت • واخذ عمر ربح مال القراض الذى اخذه ولداه من مال بيت المال
وقال انما اعطيتما لمكانكما منى وعلم انه اعطى لاجل جاه الولاية • واهدت امراة ابى عبيدة بن الجراح
الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافاتها بجوهر فاخذه عمر وباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه فى بيت
مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة هدايا الملوك غلول • ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان له هدية ولنا رشوة • اى كان يتقرب اليه
لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض
ما معه فقال هذا ما لكم وهذا لى هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا جلست فى بيت ابيك
وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لى استعمل الرجل منكم فيقول هذه لكم وهذه
هدية لى الا جلس فى بيت امه ليهدى اليه والذى نفسى بيده لا ياخذ منكم احد شيا بغير حقه الا
اتى الله يوم القيمة يحمله فلا ياتين احدكم يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع
يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت • واذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضى والوالى
ينبغى ان يقدر نفسه فى بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو فى بيت امه تجوز له ان ياخذه فى ولايته
وما يعلم انه يعطى لولايته حرام اخذه وما اشكل عليه فى اصدقايه انهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا
فهو شبهة فليجتنبه • تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله وعونه ويتلوه ان شا الله تعالى كتاب آداب الصحبة والمعاشرة

كتاب آداب الصحبة والمعاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى غمر صفوة عباده بلطايف التخصيص تطولا وامتنانا • والف بين
قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا • ونزع الغل من صدورهم فظلوا فى الدنيا اصدقا واخدانا • وفى الاخرة
رفقا وخلانا • والصلاة على محمد المصطفى وعلى اله وصحبه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا
واحسانا **اما بعد** فان التحاب فى الله تعالى والاخوة فى دينه من افضل القربات والطف ما
يستفاد من الطاعات فى مجارى العادات • ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله
تعالى • وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوايب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام
بحقوقها يتقرب الى الله زلفى • وبالمحافظة عليها ينال الدرجات العلى • ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب
فى ثلثة ابواب • الباب الاول فى فضيلة الالفة والاخوة فى الله تعالى وفى شروطها ودرجاتها
وفوايدها • الباب الثانى فى حقوق الصحبة وادابها ولوازمها • الباب الثالث فى حقوق المسلم
والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الاسباب • والله الموفق للصواب

الباب الاول

فى فضيلة الالفة والاخوة ودرجاتها وشروطها وفوايدها **فضيلة الالفة والاخوة**
اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتوادد والتالف
والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر • ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن
الخلق لا تخفى فى الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى
وانك لعلى خلق عظيم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق

وقال اسامة قلنا يا رسول الله ما احسن ما اعطى العبد فقال حسن الخلق • وقال صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق • وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن وقال
صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرء وخلقه فتطعمه النار • وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة
عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك
وتعطى من حرمك • ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت
الثمرة فكيف وقد ورد فى الثناء على نفس الالفة وانقطاع الوحشة لا سيما اذا كانت الرابطة هى
الدين والتقوى وحب الله تعالى من الايات والاخبار والاثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله تعالى
مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
الف بينهم وقال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا اى بالالفة • ثم ذم الفرقة وزجر عنها فقال واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون • وقال صلى الله عليه وسلم ان اقربكم منى مجلسا يوم
القيمة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقال صلى الله عليه وسلم المومن
الف مالوف ولا خير فى من لا يالف ولا يولف • وقال صلى الله عليه وسلم فى الثناء على الاخوة فى
الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر اعانه • وقال صلى الله عليه وسلم
مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احدهما الاخرى وما التقى المومنان قط الا افاد الله
احدهما من صاحبه خيرا • وقال صلى الله عليه وسلم فى الترغيب فى الاخوة فى الله من اخا اخا فى الله
رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشئ من عمله • وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله
فقال له ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطايفة من الناس
كراسى حول العرش ومنابر من نور تقضى عليها يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون
ويخاف الناس ولا يخافون هم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء يا
رسول الله فقال هولاء المتحابون فى الله ورواه ابو هريرة فقال فيه ان حول العرش منابر من نور
عليها اقوام وجوههم نور ولباسهم من نور وجوههم نور ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون
والشهدا فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون
فى الله • وقال صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان فى الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه
ويقال ان الاخوين فى الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من الاخر فى الاخرة رفع الاخر معه الى
مقامه وانه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت
فى الله تعالى لم تكن دون عمل الاولاد وقد قال الله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم
من شئ • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من اجلى
وحقت محبتى للذين يتحابون من اجلى وحقت محبتى للذين يتباذلون من اجلى وحقت محبتى للذين
يتناصرون من اجلى • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيمة اين المتحابون لجلالى اليوم

اظلهم فى ظل عرشى حيث لا ظل الا ظلى • وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل
الا ظله امام عادل وشاب نشاء فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود
اليه ورجلين تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه ورجل
دعته امراة ذات حسن وجمال فقال انى اخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله
ما انفقت يمينه • وقال صلى الله عليه وسلم ما زار رجل رجلا فى الله تعالى شوقا اليه ورغبة فى لقايه
الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار اخاه فى الله
فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخى فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال
لقرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فماذا تريد منه قال احبه فى الله قال
فان الله تعالى ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة وقال صلى الله
عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله • فبهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم
فى الله كما يكون لهم اخوان واصدقاء يحبهم فى الله • ويروى ان الله عز وجل اوحى الى نبى من الانبيا اما
زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدوا
وهل واليت فى وليا • وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر على منة فترزقه منى محبة • ويروى
ان الله عز وجل اوحى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتنى بعبادة اهل السموات والارض وحب فى الله ليس
وبغض فى الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيا • وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله تعالى ببغض اهل
المعاصى وتقربوا الى الله تعالى بالتباعد عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال
جالسوا من يذكركم الله رويته ومن يزيد فى علمكم كلامه ومن يرغبكم فى الاخرة عمله • وروى فى الاخبار
السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا وكل خدن
وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو • واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام مالى اراك منتبذا
وحدانا فقال الهى قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا فكل خدن لا
يوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه عدو لك يقسى قلبك ويباعدك منى • وفى اخبار داود انه قال
يا رب كيف لى ان يحبنى الناس كلهم واسلم فيما بينى وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بينى
وبينك • وفى بعضها خالط اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة • وقال
صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله اهل التقى وان ابغضكم
الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان • وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا نصفه من
النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك الصالحين
وقال صلى الله عليه وسلم ما احدث عبد اخا فى الله الا احدث الله له درجة فى الجنة • وقال صلى الله
عليه وسلم المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمرا فى راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل
الجنة يضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس لاهل الدنيا فتقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى

المتحابين

المتحابين فى الله فيضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب
على جباههم المتحابون فى الله **اما الاثار** قال على رضى الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة فى الدنيا
والاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم • وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
والله لو صمت النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه وانفقت مالى علقا فى سبيل الله ثم اموت يوم اموت
وليس فى قلبى حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيا • وقال ابن السماك
عند موته اللهم انك تعلم انى اذ كنت اعصيك وكنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى اليك
وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق بالابرار الا باعمالهم
ان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم • وهذا اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة
فى بعض الاعمال او كلها لا ينفع • وقال الفضيل فى بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور
الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باى عمل عملته باى شهوة تركتها
باى غيظ كظمته باى رحم قاطع وصلتها باى زلة لاخيك غفرتها باى قريب باعدته فى الله باى بعيد
قاربته فى الله • ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى هل عملت لى عملا قط قال
الهى ذكرتك وصليت لك وصمت لك وتصدقت لك فقال ان الصلاة لك برهان والصوم جنة
والصدقة ظل والذكر نور فاى عمل عملت لى قال موسى عليه السلام الهى دلنى على عمل هو لك قال يا موسى
هل واليت فى وليا قط هل عاديت فى عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب فى الله والبغض
فى الله • وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام سبعين سنة يعبد الله لبعثه الله يوم
القيمة مع من يحب • وقال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله • وقال رجل لمحمد بن واسع انى لاحبك
فى الله فقال احبك الله الذى احببتنى له ثم حول وجهه وقال اللهم انى اعوذ بك ان احب فيك وانت
لى مبغض • ودخل رجل على داود الطائى فقال له ما حاجتك فقال له زيارتك فقال اما انت
فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى انا اذا قيل لى من انت فتزار امن الزهاد انت لا
والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة
فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله لمرائى شر من فاسق • وقال عمر رضى الله عنه اذا اصاب احدكم ودا
من اخيه فليتمسك به فقل ما يصيب ذلك • وقال مجاهد المتحابون فى الله تعالى اذا التقوا فكشر
بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما تتحات ورق الشجر فى يوم عاصف وقيل كما تتحات ورق الشجر
فى الشتاء اذا يبس • وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على وجه المودة والرحمة عبادة **بيان
معنى الاخوة فى الله تعالى وتمييزها عن الاخوة فى الدنيا** اعلم ان الحب فى الله والبغض فى الله غامض
وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب
الاجتماع فى المكتب او فى المدرسة او فى السوق او على باب السلطان او فى الاسفار والى ما ينشا اختيارا
ويقصد وهو الذى نريد بيانه اذ الاخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على

الافعال الاختيارية فلا ترغيب لا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمحادثة وهذه
الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد اذ لا تقصد مخالطة
والذى يحب انما يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراه واما ان يحب للتوصل به
الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على ذات المحبوب او مقصورا على الدنيا وحظوظها
واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام القسم الاول
ومو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن ومو ان يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برويته
ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ فى حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب
واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاحة والموافقة بين الطباع ثم ذلك
المستحسن اما ان يكون مى الصورة الظاهرة اعنى حسن الخلقة واما ان يكون مى الصورة الباطنة اعنى
كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة
العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل
فى ايتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ولا حسن
فى خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشى منجذب اليه بالطبع
والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها • وعن ذلك عبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر
منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين الذى عبر عنه بالتناكر والايتلاف نتيجة التناسب الذى عبر
عنه بالتعارف وفى بعض الاخبار ان الارواح تلتقى فتتشام فى الهوا وكنى بعض العلما عن هذا بان قال ان
الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاى روحين من فلقتين تعارفا هناك
فالتقيا تواصلا فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان ارواح المومنين لتلتقى على مسيرة يوم وليلة
وما راى احدها صاحبه قط وروى ان امراة بمكة كانت تضحك النسا واخرى بالمدينة فنزلت المكية •
بالمدينة فدخلت على عايشة رضى الله عنها فاضحكتها فقالت لها اين نزلت فقالت بالمدينة فقالت •
صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث • والحق
فى هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للايتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والاخلاق ظاهرا
وباطنا امر مفهوم • واما الاسباب التى اوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها
وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة
فيقتضى التناسب والتوادد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة • وهذا لو
صدق لكونه كذلك فى مجارى سنة الله تعالى فى خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من •
الاشكال فى اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر وما اوتينا من العلم الا قليلا •
ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم لو ان مومنا

دخل الى مجلس فيه مائة منافق وفيه مومن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة
مومن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه • وهذا يدل على ان شبه الشى منجذب اليه بالطبع وان كان
هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان فى عشرة الا وفى احدهما وصف من الاخر وان
اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما
غرابا مع حمامة فتعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا واذا هما اعرجان فقال
من هاهنا اتفقا • ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان الطير يتفق مع جنسه واذا
اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا فى الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى خفى تفطن له الشعرا
حتى قال قائلهم •

وقائل كيف تفارقتما • فقلت قولا فيه انصاف •
لم يك من شكلى ففارقته • والناس اشكال والاف •

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال او مال بل لمجرد المناسبة
والمجانسة فى الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل فى هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود
قضاء الشهوة فان الصور الجميلة مستلذة فى عينها وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى
الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الماء الجارى والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا
الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يومن بالله الا انه اذا اتصل
به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاوها وان لم يتصل
به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا
يذم القسم الثانى ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب
محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك
احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعمان ولا يلبسان ولكن هما وسيلة الى المحبوبات
اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او بجاهه ويحب خواصه
لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره فى قلبه فالمتوصل اليه ان كان مقصور الفايدة على الدنيا لم
يكن حبه من جملة الحب فى الله وان لم يكن مقصور الفايدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا
كحب التلميذ للاستاذ فهو ايضا خارج عن الحب فى الله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه
العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله عز وجل بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق
فمحبوبه الجاه والمال والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس فى شى من
ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يومن بالله تعالى اصلا • ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح
فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعية
بولاية القضاء ونحو ذلك كان الحب مذموما • وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما
يكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوسل اليه فانها تابعة له غير قايمة بنفسها القسم

الثالث أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه فى الدنيا بل يرجع الى حظوظه
فى الآخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوصل به الى تحصيل
العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله تعالى •
وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة
التعظيم فى ملكوت السموات اذ قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت
السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة فى تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل
صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه الى رتبة العظمة فى ملكوت السماء فهو محب فى الله • بل الذى
يتصدق باموال لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله اذا احب طباخا
لحسن صنعة الطبخ فهو من جملة المحبين فى الله عز وجل • وكذا لو احب من يتولى له ايصال الصدقة
الى المستحقين فقد احبه فى الله • بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من خدمه بنفسه فى غسل ثيابه وكنس
بيته وطبخ طعامه ليفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده من استخدامه فى هذه الاعمال الفراغ ◌
للعبادة فهو محب فى الله • بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله او يواسيه بكسوته
وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التى يقصدها فى دنياه ومقصوده من جميع ذلك الفراغ للعلم
والعمل المقرب الى الله فهو محب فى الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولى الثروة
وكان المواسى والمواسا جميعا من المتحابين فى الله • بل نزيد عليه ونقول من نكح امرأة صالحة ليتحصن
بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له منها ولد صالح يدعو له واحب زوجته
لانها آلة الى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله ولذلك وردت الاخبار بوفور الاجر والثواب
على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته • بل نقول كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه
وحب لقائه فى الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا فى الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته
لما هو محبوب عنده وهو رضى الله عز وجل • بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع فى قلبه محبتان محبة الله ومحبة
الدنيا واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله تعالى والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه
للامرين فهو من المحبين فى الله كمن يحب استاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة فى
المال فاحبه من حيث ان فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو
محب فى الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب فى العاجل حظا البتة اذ الدعا الذى امر به النبيون
صلوات الله عليهم فيه جمع بين الدنيا والآخرة فمن ذلك قوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة
وقال عيسى عليه الصلاة والسلام فى دعائه اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسئ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى
فى دينى ولا تجعل الدنيا اكبر همى فجعل عليه السلام دفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل
الدنيا اصلا من همى بل قال لا تجعل الدنيا اكبر همى • وقال نبينا صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم انى
اسألك رحمة انال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة وقال اللهم عافنى من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة •

وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة فى الآخرة مناقضا لحب الله عز وجل • فحب السلامة والصحة
والكفاية والكرامة فى الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله عز وجل • والدنيا والآخرة عبارة عن
حالتين احديهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها
اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالة راهنة فالحالة الراهنة لا بد ان تكون مطلوبة
ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهى التى احترز
عنها الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنها • والى ما لا يضاد وهى التى لم يمتنعوا منها كالنكاح
الصحيح واكل الحلال وغير ذلك • فما يضاد حظوظ الآخرة فحق على العاقل ان يكرهه ولا يحبه
اعنى انه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم
عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا
يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه وتحصل فيه كراهة
الضرر المتعلق به • والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم
منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان فى زمرة المتحابين فى الله ولكن بشرط واحد
وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر
الذى ينقص بسبب فقده فهو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله • وليس بمستنكر
ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض مرتبطة لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان ازداد زاد
الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هى
اكثر مما يوصل اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الاخروية
والدنيوية فهو داخل فى جملة الحب فى الله تعالى • وحده والحقيقة ان كل حب لولا الايمان بالله
واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله • وكذلك كل زيادة فى الحب لولا الايمان بالله تعالى
لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب فى الله وذلك وان دق فهو عزيز قال الجريرى تعامل
الناس فى القرن الاول بالدين حتى ذهب الدين فتعاملوا فى القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم
تعاملوا فى القرن الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرغبة والرهبة القسم الرابع
ان يحب لله وفى الله لا لينال منه علما ولا عملا ولا يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات
وادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق
بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد • فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه
واحب من يخدمه واحب من يثنى عليه واحب من يثنى على محبوبه واحب من يتسارع الى رضى محبوبه حتى
قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه • وهو كما قال ويشهد له التجربة فى احوال
العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ له التجربة ثوب المحبوب ويخفيه فيذكر من جهته
ويحب منزله ومحلته وجيرانه قال مجنون بنى عامر

• امرّ على الديار ديار ليلى • اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا •
• وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا •

فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها • وكذلك حب الله سبحانه اذا غلب وقوي على القلب استولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته • ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة الثمر مسح بها عينيه ووجهه واكرمها وقال انه قريبة العهد بربنا • وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمته وتارة لذاته لا لامر آخر وهو اشرف ضروب المحبة واعلاها وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة من ربع المنجيات • وكيف ما اتفقت محبة الله تعالى فاذا قويت تعدت الى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى تتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه • ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب وقرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيها وقد انتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية الله وقال سمنون

• وليس لي في سواك حظ • فكيف ما شئت فاختبرني •

وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة ان شاء الله تعالى • والمقصود ان حب الله تعالى اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل واثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن او تادب بادب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله تعالى الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله تعالى وقوته • وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله تعالى ولله من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله ولانه مشغول بعبادة الله الا انه اذا ضعف لم يظهر اثره فلا يظهر به ثواب ولا اجر فاذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله • ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال والمآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبياء المتقرضين صلوات الله عليهم اجمعين • وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن اعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند

الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله تعالى لانهم خواص عباد الله • ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب من يحبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد تغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب • وعنه عبر من قال

• اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد •

وقول من قال • فما لجرح اذا ارضاكم الم • وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه او في عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا الا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله • وقال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده ابو بكر الصديق رضي الله عنه عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل جبريل عليه السلام فاقراه من الله السلام وقال له يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فاقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال يا ابا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله عز وجل ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال اعلى ربي اسخط انا عن ربي راض انا عن ربي راض فيحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في العلم او في العبادة او في الخير فانما احبه في الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه • فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ايضا ولكنا نزيده بيانا ان شاء الله تعالى

بيان البغض في الله سبحانه

اعلم ان من يحب في الله لابد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلابد ان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب لسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى هل واليت في وليا او عاديت في عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له زوجة حسناء جميلة فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه

ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض له ثلاثة اولاد احدهم ذكي بار والاخر بليد عاق والاخر بليد بار
وذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي
ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متجاذبا
فيهم متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان يعطى كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال
والصحبة والقطيعة وساير الافعال الصادرة منه **فان قلت** فكل مسلم فاسلامه طاعة منه
فكيف ابغضه في الاسلام • فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها
بحال كافر فاجر لادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق
الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في اخر فتكون معه
على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش
منه فلا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته
مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة
عند غلبة الجناية وتارة الى الطرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان تكون فيمن
يطيع الله عز وجل ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى **فان قلت** فبماذا يمكن اظهار البغض
فاقول اما في القول فيكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة واخرى بالاستخفاف والتغليظ في القول
واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا
اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما جرى مجرى الهفوة التي يعلم
انه متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى في ذلك الاغماض والستر واما ما اصر عليه من صغيرة او كبيرة
فان كان ممن تاكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر وسياتي وفيه خلاف بين العلماء واما
اذا لم تتاكد صحبة واخوة فلا بد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات
اليه • واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية
وخفتها وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احديهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهي اقل الدرجات
والاخرى السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه
طريق المعصية • فاما ما لا يؤثر فيه فلا ومثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امراة لو تيسر له
نكاحها لكان مغبوطا فيها بالمال والجاه والجمال الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في
بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له مقصوده وقدرت على تشويش امره لتفويت غرضه
فليس لك الا السعي في تشويش امره اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس
وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك
ويقبل نصحك فهذا احسن وان لم يتنظر ذلك منه ولكن رايت ان تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه
فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه

نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم • اذ تكلم مسطح
ابن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال
فنزلت هذه الاية • وانه معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واطالة
اللسان في مثل عايشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك
الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من
ظلمك واما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة
الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية
قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح • وطرق السلف رضي
الله عنهم قد اختلف في اظهار البغض في الله مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض للظلمة
والمبتدعة وكل من عصى الله تعالى بمعصية متعدية منه الى الغير فاما من عصى الله تعالى في نفسه
فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة • فقد كان احمد
ابن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله اني لا اسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان
الي شيئا لاخذته • وهجر الحارث المحاسبي على تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال له انك تورد اولا
شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم • وهجر ابا ثور في تاويله قول النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق ادم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال وان
كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدر له اورث هذا تساهلا
في المعادات والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة واكثر البواعث على الاغضاء على المعاصي المداهنة
ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر
بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر
لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية
في حق الله تعالى وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن
مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له **فان قلت** فاقل الدرجات في اظهار البغض
الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه **فاقول**
لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين كانوا يشربون الخمر ويتعاطون
الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا
منقسمين في ذلك الى من يغلظ القول ويظهر البغض له والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى
من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقايق دينية تختلف فيها طرق
السالكين لطريق الاخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته • ومقتضى الاحوال
في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي الى التحريم والايجا

فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله تعالى واصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب
الى غيره وانما المتعدى افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف
في حق عوام الخلق اصلا **بيان مراتب الذين يبغضون في الله تعالى وكيفية معاملتهم** فان قلت
اظهار العداوة والبغض بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والفساق والعصاة
على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلك واحد ام لا ۰
فاعلم ان المخالف لامر الله سبحانه لا يخلو اما ان يكون مخالفا في عقده او مخالفا في عمله والمخالف
في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع لبدعته او ساكت اما لعجزه او باختياره **فاقسام
الفساد في الاعتقاد ثلثة الاول** الكفر فالكافر ان كان محاربا فهو مستحق للقتل والارقاق وليس
بعد هذين الامرين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار
الى اضيق الطرق وترك المفاتحة له بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف
عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى
الاصدقاء فهو مكروه كراهية شديدة تكاد تنتهي ما يقوى منها الى حد التحريم قال الله تعالى لا
تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الى آخر الآية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء الاية ۰ وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما **الثاني** المبتدع الذي
يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر على جزية ولا
يسامح بعقد ذمة ۰ وان كانت بدعته مما لا يكفر بها فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا
محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد من الانكار على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين
يعتقدون كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق ۰ اما المبتدع
الذي يدعو الى البدعة ويزعم انما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد ۰
فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته
وتنفير الناس عنه اشد ۰ وان سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وان علم ان الاعراض عنه
والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام
وان كان واجبا فقد يسقط بادنى غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء الحاجة وغرض
الزجر اهم من هذه الاغراض ۰ وان كان في ملاء من الناس فترك الجواب اولى تنفيرا للناس عنه
وتقبيحا لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان والاعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق
وقال عليه الصلاة والسلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب
بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم **الثالث** المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء

به فامره اهون والاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام
سريعة الانقلاب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب
في الاعراض ۰ وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان
البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها **واما العاصي بفعله** وعمله لا باعتقاده
فلا يخلو من احوال اما ان يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة
والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك
ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب
الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب او يزني وهذا الذي لا
يدعو الى غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد من الصغيرة او الكبيرة اما ان يكون
مصرا عليها او غير مصر فهذه التقسيمات يحصل منها ثلثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها
اشد من بعض فلا يسلك بالكل مسلكا واحدا **القسم الاول** وهو اشدها ما يتضرر به الناس
كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم
والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى
من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض والاستحباب
في اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجر لهم او لغيرهم كان الامر
فيه اكد واشد **القسم الثاني** صاحب الماخور الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها على
الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يحتاج بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو
قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله الى العفو اقرب ولكنه
من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والقطيعة
وترك السلام وجواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره **القسم الثالث** الذي
يعصي في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور تخصه فالامر فيه اخف ولكنه في
وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع به ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن
المنكر واجب ۰ واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه
من العود وجب النصح فان لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالافضل النصح والزجر بالتلطف او
بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم
انه مصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف
باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق
نوع من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى
هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استحقاقه وعنفه من كبر وعجب والتذاذ باظهار

العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقة عن هذا مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او الخوف من ثايره وحشة ونفرة فى جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك مردود الى اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل الاخرة فكل راغب فى اعمال الدين مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقايق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتى فيه وقد يصيب الحق فيه وقد يخطى وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد لا يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الاخرة وسياتى بيان هذه الدقايق فى كتاب الغرور من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى ويدل على تخفيف الامر فى الفسق الظاهر الذى هو بين العبد وبين الله تعالى ما روى ان شارب خمر ضرب مرات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه الله ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظ هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل • فلا بد وان يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوايد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود وبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط • ويطلب من الصحبة فوايد دينية ودنيوية اما الدنيوية فالانتفاع بالجاه والمال او مجرد الاستيناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها ايضا اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل • ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة • ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات فى طلب القوت ومنها الاستعانة فى المهمات لتكون عدة فى المصايب وقوة فى الاحوال • ومنها التبرك بمجرد الدعاء • ومنها انتظار الشفاعة فى الاخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مومن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة اخيك وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع فى اخوانه • ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوايد تستدعى كل فايدة منها شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغى ان يكون فى من تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل فلا خير فى صحبة الاحمق والى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وان طالت قال على رضى الله عنه لا تصحب اخا الجهل واياك واياه

• فكم من جاهل اردى حليما حين اخاه • يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ما شاه •
• وللشئ من الشئ مقاييس واشباه • وللقلب على القلب دليل حين يلقاه •

القاصر

يكن

كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدرى ومن ذلك قول القايل

• انى لآمن من عدو عاقل • واخاف خلا يعتريه جنون •
• فالعقل فن واحد وطريقه • ادرى ولكن الجنون فنون •

ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى • وقال الثورى النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة • ونعنى بالعاقل الذى يفهم الامور على ما هى عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشيا على ما هى عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير فى صحبته • واما الفاسق المصر على الفسق فلا فايدة فى صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يومن غايلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه • وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يومن بها واتبع هواه • وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا • وقال تعالى واتبع سبيل من اناب الى • وفى مفهوم ذلك زجر عن الفاسق واما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شومها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد قال عمر رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش فى اكنافهم فانهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك عليه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين القوم ولا امين الا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى امورك الذين يخشون الله • واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال يا بنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مونة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها فان راى منك حسنة عدها وان راى منك سيية سدها اصحب من اذا سالته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا امرك وان تنازعتما اثرك • فكانه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قايما بجميعها • قال ابن اكثم قال المامون واين هذا فقيل له تدرى لم اوصاه بذلك قال لا قيل لانه اراد ان لا يصحب احدا • وقال بعض الادبا لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك فى النوايب ويوثرك بالرغايب وينشر حسنتك ويطوى سيتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال على رضى الله عنه • ان اخاك الحق من كان معك • ومن يضر نفسه لينفعك • ومن اذا ريب زمان صدعك • شتت فيك شمله ليجمعك • وقال

بعض الحكما لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيا من امر دينك فينفعك او رجل تعلمه شيا
من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه • وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله
فلا يشبع منه واخر مر كله فلا يوكل منه والاخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك
واخر فيه ملوحة فخذ منه عند الحاجة فقط • وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لا تصحب خمسة
الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب •
والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما
تكون اليه • والجبان فانه يسلمك بنفسه ويفر عند الشدة • والفاسق فانه يبيعك باكلة او
اقل منها فقيل وما اقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها • وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق
احب الي من ان يصحبني قارئ سيء الخلق • وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد
لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق به في دنياك ورجل تزيد معه معرفة وتنتفع به في اخرتك ۞
والاشتغال بغير هذين حمق كبير • وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلثة اصناف من الناس
الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين • واعلم ان هذه الكلمات اكثرها
غير محيطة بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة
اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في الصحبة للاخرة • والاخوة كما قال
بشر الاخوان ثلثة اخ لاخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به • وقل ما يجتمع هذه المقاصد في
واحد بل متفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المامون الاخوان ثلثة احدهم مثله
مثل الغذاء لا يستغنى عنه والاخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث
مثل الداء لا يحتاج اليه قط • ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل
مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات منها ما له ظل وليس له ثمرة وهو مثل الذي ينتفع في الدنيا
دون الاخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمرة وليس له ظل وهو مثل الذي
يصلح للاخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمرة وظل جميعا فيصلح للدنيا والاخرة ومنها ما ليس له
واحد منهما كام غيلان تمزق الثياب ولا طعام فيها ولا شراب ومثاله من الحيوانات مثال
الفارة والعقرب كما قال الله تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير •

وقال الشاعر • الناس شتى اذا ما انت ذقتهم • لا يستوون كما لا تستوي الشجر •
هذا له ثمر حلو مذاقته • وذاك ليس له طعم ولا ثمر •

فاذا من لم يجد رفيقا يواخيه ويستفيد منه احد هذه المقاصد فالوحدة اولى به • قال
ابو ذر الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة • واما الديانة وعدم الفسق
فقد قال الله تعالى واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفاسق والفساق تهون امر المعصية
على القلب وتبطل نفرة القلب عنها • قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم

الصالحة

الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من
شرنا • واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل
الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد
تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الاخرة • قال علي
رضي الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من تستحيون منه • وقال احمد بن حنبل ما اوقعني في بلية
الا صحبة من لا احتشمه • وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب
تحيى بالحكمة كما تحيى الارض الميتة بوابل المطر • فهذا ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها
وفوايدها فلنشرع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها ۞ والله تعالى اعلم بالصواب ۞

الباب [illegible] في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا
يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب اداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك
عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعا وبالاخلاص وبالوفاء
وبالتخفيف وترك التكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق **الحق الاول** في المال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما
باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ترافقا
على مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة
في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستيثار والمواساة في المال مع الاخوة على ثلاث
مراتب ادناها ان تنزله بمنزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلك فاذا سنحت له
حاجة فكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان احوجته
الى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة **الثانية** ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته
اياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره
بينه وبين اخيه باثنين **الثالثة** وهي العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك
وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجة المتحابين • ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما
روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين ۞
النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال اردت ان اوثر اخواني ۞
بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سببا لحياة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك
في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما
مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك

الافضال فليواخ اهل القبور واما الدرجة الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوى الدين
روى ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان قد آخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة الف درهم
فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله اما استحييت من الله ان تدعى الاخوة فى الله
وتقول هذا ومن كان فى الدرجة الدنيا من الاخوة فينبغى ان لا تعامله فى الدنيا قال ابو حازم اذا كان
لك اخ فى الله فلا تعامله فى امر دنياك وانما اراد به من فى هذه الرتبة واما الرتبة العليا فهى
التى وصف الله المومنين بها فى قوله تعالى وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اى كانوا اخلطا
فى الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلى لانه اضافه الى نفسه
وجا فتح الموصلى الى منزل اخ له وكان غايبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخرج حاجته
فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله تعالى سرورا بما فعل وجا رجل
الى ابى هريرة فقال انى اريد ان اواخيك فى الله فقال اتدرى ما حق الاخوة قال عرفنى قال ان لا تكون
احق بدينارك ودرهمك منى فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عنى وقال على بن الحسين رضى
الله عنهما لرجل هل يدخل احدكم يده فى كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من غير اذن قال لا قال
فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن البصرى رضى الله عنه فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم
قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق بلغنى ان احدهم يمنع اخاه
الدرهم قاله كالمتعجب منه وجا رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له انى اريد
ان ارافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك لشيك منك قال لا قال اعجبنى صدقك وكان ابرهيم
ابن ادهم اذا رافقه رجل لا يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل
الى ابرهيم فى بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراكه فجعلها فى القصعة
وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراك قال ذلك الثريد الذى اكلته ايش كان قال
كنت تعطيه شراكين او ثلثة فقال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا رآه
راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر رضى الله عنهما اهدى لرجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال اخى فلان احوج اليه منى فبعثه اليه فبعثه ذلك
الانسان الى آخر فلم يزل يبعثه واحد الى واحد حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وروى
ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا
يعلم وذهب خيثمة يقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن
ابن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال سعد بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به فكانه
قبله ثم آثره به وذلك مواساة والبداية ايثار والايثار افضل من المواساة قال ابو سليمان
الدارانى لو ان الدنيا كلها لى فجعلتها فى فم اخ من اخوانى لاستقللتها له وقال ايضا انى لالقم اللقمة
اخا من اخوانى فاجد طعمها فى حلقى ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقرا

قال على رضى الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخى فى الله احب الى من ان اتصدق بماية درهم على المساكين
وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخوانى فى الله احب الى من ان اعتق رقبة واقتداء
الكل فى الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين
احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم منى
فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيها حق الله او اضاعه
فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله فى الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بئر ليغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب
وقام ليستر حذيفة من الناس فابى حذيفة وقال بابى انت وامى يا رسول الله لا تفعل فابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروى ان مالك بن دينار ومحمد بن
واسع دخلا منزل الحسن وكان غايبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل
ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجى صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل
وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى
ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط فى بيوت الاخوان من الصفا فى الاخوة
كيف وقد قال الله تعالى او صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفتاح
بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه
الاية واذن لهم فى الانبساط فى طعام بيوت الاخوان والاصدقا الحق الثانى فى الاعانة بالنفس
فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السوال وتقديمها على الحاجات الخاصة ومن ايضا لها درجات
كما للمواساة بالمال وادناها القيام بالحاجة عند السوال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار
واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية
فلعله ان يكون قد نسى فان لم يقضها فكبر عليه اربعا واقرا هذه الاية والموتى يبعثهم الله وقضى
ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا فقال لما اسديته الى فقال
خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضا للصلاة
وكبر عليه اربع تكبيرات وعده فى الموتى وقال جعفر بن محمد انى لاسارع الى قضاء حوائج اعداى
مخافة ان اردهم فيستغنوا عنى هذا فى الاعداء فكيف فى الاصدقاء وكان فى السلف من يتفقد
عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله
فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه اذ كانوا يرون منه ما كانوا يرونه من ابيهم فى حياته وكان
الواحد منهم يتردد الى دار اخيه ويسال عن حالهم ويقول هل لكم من حاجة هل تريدون زيتا وكان

يقوم بها من حيث لا يعرف اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة اذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه
كما يشفق على نفسه فلا خير فيها • قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم يضرك عداوته •
وقال صلى الله عليه وسلم الا وان لله اوانى في ارضه وهى القلوب فاحب القلوب الى الله
اصفاها واصلبها وارقها • اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة
فينبغى ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم من حاجتك متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل
عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن السؤال واظهار الحاجة الى الاستعانة
بل تقوم بحاجته كانك لا تدرى انك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بل متقلد منة
بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره • ولا ينبغى ان تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في
البداية بالاكرام والزيادة والايثار والتقديم على الاقارب والاولاد كان الحسن يقول
اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اولادنا واهلينا يذكروننا الدنيا واخواننا يذكروننا
الآخرة • وقال الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت العرش يوم القيمة يشيعونه
الى الجنة وفى الاثر ما زار رجل اخا له في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت
وطابت لك الجنة • وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل
فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وروى ان ابن عمر رضى الله عنهما كان يوما يلتفت يمينا وشمالا
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال
له اذا احببت احدا فاسأله عن اسمه واسم ابيه ومنزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا
اعنته • وفى رواية وعن اسم جده وعشيرته • وقال الشعبى في الرجل يجالس الرجل فيقول اعرف
وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكا وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال جليسى وقال
ما اختلف رجل الى مجلسى ثلاثا من غير حاجة له الى فعلمت مكافاته في الدنيا • وقال سعيد بن
العاص لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وفى
قول الله تعالى رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ او
بحضور في مسرة دونه بل يتنغص بفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه الحق الثالث على اللسان
بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته بل يتجاهل
عنه وتسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا تنافسه وان تسكت عن التجسس والسؤال
عن احواله ما يكتمه واذا رايته في طريق او في حاجة ولم يفاتحك بذكر غرضه ومصدره ومورده
فلا تسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان تسكت عن اسراره التى بثها
اليك فلا تبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة
فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن • وان تسكت عن القدح في احبابه واهله وولده • وان تسكت
عن حكاية قدح غيره فيه فان الذى سبك من بلغك قال انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم

فهو احد

لا يواجه احدا بشئ يكرهه • والتأذى يحصل اولا من المبلغ للمدح ثم من القايل نعم لا ينبغى ان يخفى
ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به يحصل اولا من المبلغ للمدح ثم من القايل واخفاء ذلك من الحسد
وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهى
عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالى بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق
فان كان يظن انه اساءة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى اهله فهو من الغيبة وذلك
حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا واحدا
مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة
كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاى الرجال المهذب وكل ما لا
تصادفه في نفسك في حق الله تعالى فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق
الله عليك والامر الثانى ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب لاعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من
تصاحبه اصلا فما من الناس احد الا وله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية
والمنتهى • فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام
واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوى والعيوب • قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير
والمنافق يطلب العثرات • وقال الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذى اذا راى خيرا ستره واذا راى شرا اظهره • وما من شخص الا
ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا وروى ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت بالامس تثنى عليه
واليوم تذمه فقال لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضانى بالامس فقلت
احسن ما علمت فيه واغضبنى اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان
لسحرا • وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر اخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفى
حديث اخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان • ولذلك قال الشافعى رحمه الله ما احد من المسلمين
يطيع الله فلا يعصيه ولا احد يعصى الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب على معاصيه فهو عدل •
واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله تعالى فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى • وكما يجب
عليه السكوت بلسانك عن مساويه فكذلك يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن
فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهى عنه ايضا وحده الا ان تحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان تحمل
على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده
على سهو او نسيان ان امكن • وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى تفرسا وهو الذى يستند الى علامة فان ذلك
يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما انشاه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له
وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على ان تنزله على الوجه الاردى من غير علامة تخصصه بها وذلك

نصيحة انيقة يكره العاقل على العمل بموجبها البتة

ذكر مورد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحرا

من كانت طاعته اغلب على معاصيه فهو عدل

جناية عليه بالباطل وذلك حرام في حق كل مؤمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المؤمن
عن المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به الظن السوء • وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن
اكذب الحديث • وسوء الظن يدعو الى التجسس والتحسس وقد قال صلى الله عليه وسلم ولا تجسسوا ولا
تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار • والتحسس بالمراقبة بالعين
فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح واظهار
الجميل ان الله تعالى وصف به في الدعاء فقيل يا من اظهر الجميل وستر القبيح • والمرضي عند الله من تخلق
باخلاقه فانه ستار للعيوب وغفار للذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عن من هو مثلك
او فوقك وما هو بكل حال لا عبدك ولا مخلوقك • وقال عيسى عليه السلام كيف تصنعون اذا رايتم
اخاكم نائما وقد كشفت الريح عن ثوبه فقالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان
الله من يفعل هذا قال احدكم يسمع الكلمة من اخيه فيزيد عليها ويشيعها باكثر منها **واعلم** انه لا يتم ايمان
المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بما يحب ان يعامله به ولا
شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره لاشتد
عليه غضبه وغيظه فما ابعده عن الحق اذا كان ينتظر منه ما لا يضمر له ولا يعزم عليه لاجله وويل له
في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون فكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الاية • ومنشاء
التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود الحسود
يمتلي باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد مجالا فاذا وجد فرصة
انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد
فالانقطاع اولى • قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة
منه • ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله عز
وجل **وقد** روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة
فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد
انزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما
جاءكم به انا نجد نعته ونعت امته في التوراة انه لا يحل لامرء ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة
على اخيه المسلم **ومن ذلك** ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعك اياه ولك ان تنكره وان كنت
كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج
الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن
هذه حقيقة الاخوة ولذلك لا يكون العمل بين يديه مرائيا وخارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية
لان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه وسلم من ستر عورة اخيه ستر

الله عورته في الدنيا والاخرة **وفي** خبر اخر كانما احيا موؤدة من قبرها وقال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل
بحديث ثم التفت فهي امانة وقال صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس مجلس فيه سفك دم
حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس
المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره • وقيل لبعض الحكماء كيف حفظك السر
قال انا قبره **وقد** قيل ان صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه
اي لا يطيق الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به • فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي
عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم **وقد** قيل لاخر كيف تحفظ السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر • وقال
اخر استره واستر اني استره • وعنه عبر ابن المعتز فقال •

ومستودعي سرا تبوأت كتمه • فاودعته صدري فصار له قبرا •

وقال اخر واراد الزيادة عليه

وما السر في صدري كثاو بقبره • لاني ارى المقبور ينتظر النشرا •
ولكنني انساه حتى كانني بما • كان منه لم احط ساعة خبرا •
ولو كان كتم السر بيني وبينه • عن السر والاحشا لم اعلم السرا •

وافشى بعضهم سرا الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت **وكان** ابو سعيد الثوري يقول اذا
اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يساله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه
وقيل لابي يزيد من يصحب من الناس فقال من يعلم منك ما يعلمه الله ثم يستر عليك كما يستر الله وقال
ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما • ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان
اخفاءه عند الرضى تقتضيه الطباع السليمة كلها • قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند
غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال • ولذلك قيل

وترى الكريم اذا تصرم وصله • يخفي القبيح ويظهر الاحسانا •
وترى اللئيم اذا تقضى وصله • يخفي الجميل ويظهر البهتانا •

وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما اني ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا
لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلع منك
على خيانة قال الشعبي كل كلمة من هؤلاء خير من الف كلمة **ومن ذلك** السكوت عند المماراة والمدافعة عن
كل ما يتكلم به اخوك • قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك • وقد قال صلى الله عليه وسلم
من ترك المراء وهو مبطل بني له قصر في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة • هذا
مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب المحق اعظم لان السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت عن
الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمنافسة
فانها عين التدابر والتقاطع لان التقاطع اولا يقع بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله

عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال صلى الله عليه
وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله ولا يسلمه بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم
واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو
عن فهم الشئ على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفى حديث ابى امامة الباهلى
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره
ذروا المراء فان نفعه قليل فانه يهيج العداوة بين الاخوان • وقال بعض السلف من لاحى الاخوان
وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته • وقال عبد الله بن الحسين اياك ومماراة الرجال فانك لن
تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم • وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان واعجز منه
من ضيع من ظفر به منهم • وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقال الحسن
لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل • وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التمييز بمزيد العقل
والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم
بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال
صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق
والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف فى الحذر عن المماراة الى حد لم يروا السؤال ايضا
وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغى ان يقوم ولا يسال قال ابو سليمان
الدارانى كان لى اخ بالعراق وكنت اجيئه فى النوايب فاقول له اعطنى من مالك شيئا فكان يلقى الى
الكيس فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شئ فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه
من قلبى • وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ضيع حق الاخاء واعلم
ان قوام الاخوة بالموافقة فى الكلام والفعل وبالشفقة قال ابو عثمان الحيرى موافقة الاخوان خير من
الشفقة عليهم وهو كما قال الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره
تقتضى النطق بالمحاب بل النطق اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما يراد
بالاخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى • فعليه ان يتودد اليه
بلسانه ويتفقده فى احواله التى يحب ان يتفقد فيها كالسؤال عن عارض ان عرض له واظهار شغل
القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التى يكرهها ينبغى ان يظهر بلسانه وافعاله
كراهتها • وجملة احواله التى يسر بها ينبغى ان يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها • فمعنى الاخوة
المساهمة فى السراء والضراء وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره • وانما
امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة • واذا
عرفت ايضا انه يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحابب

بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال صلى الله عليه وسلم
تهادوا وتحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه اليه فى غيبته وحضوره قال عمر رضى الله عنه
ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له فى المجلس وتدعوه باحب
اسمائه اليه ومن ذلك ان تثنى عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يوثر هو الثناء عنده فان
ذلك من اعظم الاسباب فى جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى
على عقله وخلقه وهيئاته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط
ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه واكد من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح
به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه فى حقك بل على نيته وان لم يتم
قال على رضى الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة • واعظم من ذلك
تاثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض
فحق الاخوة التشمر فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه • والسكوت عن
ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الاخوة • وانما شبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى لينصر احدهما الآخر وينوب عنه وقد قال صلى الله
عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام • والخذلان لان اهماله
لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه واخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت
لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك • وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك
شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه • والملك الذى
يمثل فى المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم
الميتة حتى انه من راى فى المنام انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك فى تمثيله يراعى
المشاركة والمناسبة بين الشئ وبين مثاله فى المعنى الذى يجرى من المثال مجرى الروح لا فى ظاهر
الصورة • فاذا حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب فى عقد الاخوة قال
مجاهد لا تذكر اخاك فى غيبته الا كما تحب ان يذكرك فى غيبتك • فاذا لك فيه معياران احدهما
ان تقدر ان الذى قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذى كنت تحب ان يقوله اخوك فيك
فينبغى ان تعامل المتعرض لعرضه به • والثانى ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يستمع عليك ويظن
انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له بمسمع منه ومراى كذلك ينبغى ان تكون
فى مغيبه فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لى بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمعه لو
حضره • وقال آخر ما ذكر اخ لى بغيب الا تصورت نفسى فى صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال
فى • وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه • وقد نظر ابو الدرداء الى
ثورين يحرثان فى فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى ابو الدرداء وقال هكذا الاخوان

فى الله تعالى كعملان لله فاذا وقف احدهما وقف الاخر • وبالموافقه يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا فى اخائه
فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والخلوة
والجماعة والاختلاف والتفاوت فى شىء من ذلك مماذقة فى المودة وهو دخل فى الدين ووليجة فى
طريق المؤمنين • ومن لم يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والصحبة
فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق فلا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا •
فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام
على حد الفرق بين المشقة فى القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضى حقوقا كثيرة فى
الاحوال متقاربة بل مترادفة بل على الدوام • والجوار لا يقتضى حقوقا قريبة فى اوقات متباعدة
لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال
فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه فى الدنيا والاخرة فان
علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر له آفات ذلك الفعل وفوائد
تركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والاخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن
الحسن ولكن ينبغى ان يكون ذلك فى سر لا يطلع عليه احد فما كان فى الملاء فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى
السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وسلم النصح بين الملاء تقريع وقال صلى الله عليه وسلم
المؤمن مرآة المؤمن • اى يرى منه ما لا يرى من نفسه فليستفيد المرء من اخيه معرفة عيوب نفسه
ولو انفرد لم يستفد ذلك كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة • وقيل لمسعر
اتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وان قرعنى فى الملاء فلا • وقد صدق
فان النصح على الملاء افتضاح والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفى ظل ستره فيوافقه
على ذنوبه سرا وقيل يرفع كتاب عمله الى الملائكة مختوما الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة
اعطوه الكتاب مختوما ليقرأه واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد وتستنطق جوارحهم
بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا فنعوذ بالله من الخزى يوم القيمة يوم العرض الاكبر فالفرق
بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث
على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار
وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن • وقال ذو النون لا
تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان
الا بالعداوة **فان قلت** اذا كان فى النصح ذكر العيوب وفيه ايحاش للقلب فكيف يكون ذلك من حق
الاخوة **فاعلم** ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين
الشفقة وهو استمالة للقلوب اعنى قلوب العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل

الدين

مذموم تتعاطيه او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكى نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت
ذيلك قد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك • والصفات المذمومة عقارب وحيات
وهى فى الاخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر من الاجساد وهى
مخلوقة من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضى الله عنه يستدعى ذلك من اخوانه
ويقول رحم الله امرأ اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذى بلغك عنى مما
تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغنى ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغنى انك
جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر رضى الله عنه اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما
فقال لا **وكتب** حذيفة المرعشى الى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب
لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع
الغافلين وانتبه من رقدة الموتى واعلم ان من قرأ القران ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بآيات الله
من المستهزئين **وقد** وصف الله الكاذبين ببغضهم للناصحين اذ قال الله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين
وهذا فى عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغى ان
يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف فى النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى
الى حد لا يؤدى الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت
عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك فى دينه ودنياه **واما** ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب
فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح فى شىء ولا منه بسبيل نعم ان
كان بحيث يؤدى استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب فى السر خير من القطيعة • والتعريض به خير
من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغى ان يكون قصدك من اخيك اصلاح
نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال ابو بكر
الكتانى صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا فوهبته يوما شيئا على ان يزول ما بقلبى فلم يزل فاخذت بيده
يوما الى البيت وقلت له ضع رجلك على خدى فابى فقلت له لا بد ففعل فزال ذلك من قلبى • وقال
ابو على الرباطى صحبت عبد الله الرازى وكان يدخل البادية فقال تؤثر على ان تكون انت الامير او انا
فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة قلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له
اعطنى فقال الست قلت انت الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسى الى الصباح وعليه
كساء وانا جالس يمنع عنى المطر فكنت اقول فى نفسى ليتنى مت ولم اقل انت الامير

الحق الخامس

العفو عن الزلات والهفوات • وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون فى دينه بارتكاب معصية او فى
حقك بتقصيره فى الاخوة **اما** ان تكون فى الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليها فعليك التلطف
فى نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقى مصرا فقد اختلف
طرق الصحابة والتابعين فى ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضى الله عنه الى الانقطاع فقال

اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في
الله • واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير
اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى • وقال ابرهيم النخعي
لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس
بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث
عمر رضي الله عنه وقد سئل عن اخ كان قد اخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل
الله باخي فلان فقال ذاك اخو الشيطان فقال مه فقال له قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال له اذا
اردت الخروج فاذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب الاية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق
الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت
فان شئت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم عقد اخوه
بينه وبين الله ان لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى اربعين يوما في كلها يسأله عن هواه
فيقول القلب مقيم على حاله وما هو زال ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى من قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره
بذلك فاكل وشرب بعد ان كان يتلف ضرا وهزلا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة
فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان اخذ بيده واتلطف
به في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين في زمن بني اسرائيل
كانا في جبل فنزل احدهما يشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغية عند اللحام فرمقها بعينه وعشقها فواقعها
واقام عندها ثلثا واستحيى ان يرجع الى اخيه من خيانته قال فافتقده اخوه واهتم بشأنه فنزل الى المدينة
فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل عليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه فانكر
الاخر انه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي قد علمت شأنك وقصتك وما كنت احب الي ولا اعز
من ساعتك هذه فلما راى ذلك لم يسقط من عينه قام فانصرف معه • فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه
من طريق ابي ذر رضي الله عنه وطريقته اسلم واحسن فان قلت فلم قلت هذا الطف وافقه ومقارف
هذه المعصية لا يجوز مواخاته ابتداء فيجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول
بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك في مقارفة المعصية فاقول اما كونها
الطف فلما فيها من الرفق والاستمالة والتلطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة
ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر • واما كونها افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة
القرابة فاذا انعقد تاكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد • ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره
وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت به فاقة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب
ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي المت به فالاخوة عدة للنوائب

وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب • والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته
رجع لا محالة على قرب واستحيى من الاصرار بل الكسلان اذا صحب الحريص في العمل يحرص حياء منه
قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة والعبادة رجع
نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا • وهذا تحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة
النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في
عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب
والى هذا ذهب ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي
واخوة الدين اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال احب
اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى
مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة • وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة
سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله • فاذا الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا
جوابنا عن ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان
يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون
الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه • ونسبته الى تركها ابتداء
كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله تعالى من ترك النكاح قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة • وقال بعض السلف في زلات
الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا ابقيتم من محبة عدوكم
وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان
احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم في الذي شتم الرجل الذي
اتى بفاحشة اذ قال مه وزجره لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم • فهذا كله يبين الفرق بين الدوام
والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذورة وليس من سلم
عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم من اتيان المهاجرة فالتباعد هو الاولى وفي الدوام
تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة اولى وهذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا
خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب
او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك
فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت
المعيب لا اخوك • فان ظهر عيب بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا
يمكن • وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان
فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل

وقال الاحنف بن قيس حق الصديق ان يحتمل منه ثلثة ظلم الغضب وظلم الزلة وظلم الهفوة • وقال اخر ما شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها له وان شتمني لئيم فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل وقال •

• واغفر عوراء الكريم ادخاره • واصفح عن شتم اللئيم تكرما • مفرد

وقد قيل • خذ من خليلك ما صفى • ودع الذي فيه الكدر •

• فالعمر اقصر من معا • تبة الخليل على الغير •

ومهما اعتذر اليك اخوك كاذبا كان او صادقا فاقبل عذره قال صلى الله عليه وسلم من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل ما على صاحب المكس من الاثم • وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن سريع الغضب سريع الرضى • فلم يصفه بانه لا يغضب وقد قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ • وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتألم بل تنتهي الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم باسباب الغضب طبع القلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة • وترك العمل بمقتضاه ممكن • وقد قال الشاعر •

• ولست بمستبق اخا لا تلومه • على شعث اي الرجال المهذب •

وقال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن ان ترى في جوابه ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك • وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة • وقال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما • وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا • وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك الحق السادس الدعا للاخ في حيوته وبعد مماته بكل ما تحبه لنفسك ولاهله ولكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاك له دعاء لنفسك على التحقيق • وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك • وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك ابدا يا عبدي • وفي حديث آخر يستجاب للرجل في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه • وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد • وكان ابو الدرداء يقول اني لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم • وكان محمد بن يوسف الاصبهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى • وكان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم • يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له اجر من شاهد جنازته وصلى عليه •

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء وينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعا للاموات بمنزلة الهدية للاحيا فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفا والاخلاص • ومعنى الوفا الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت ظل عرشه فذكر فيهم رجلين اجتمعا على ذكره وتفرقا عليه • وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة • ولذلك روى انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين • فمن الوفا مراعاة جميع اقاربه واصدقائه والمتعلقين به فمراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ بنفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديها من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي ان يتميز في القلب على سائر الكلاب • ومهما انقطع الوفا بدوام المحبة شمت الشيطان به فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله تعالى ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم • وقال تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي • ويقال ما تواخى اثنان في الله تعالى فتفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله عز وجل سلبه الله من كان يؤنسه • وذلك لان مجالسة الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين • ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشيا مجالسة الاخوان • والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما تكون لغرض تزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة في الله ان لا يحسده في دين ولا دنيا وكيف يحسده وكل ما لاخيه يرجع اليه فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم • ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه فان ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لوم • ومن ذلك قول القائل

• ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا • من كان يألفهم في المنزل الخشن •

واوصى بعض السلف ولده فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه تقرب منك واذا استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك • وقال بعض الحكما اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير • وروى الربيع ان الشافعي رضي الله تعالى عنه آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي اليه هذه الابيات

• اذهب فودك من فؤادي طالق • ابدا وليس طلاق ذات البين •

• فان زعوت فانها تطليقة • ويدوم ودك لى على ثنتين •
• وان امتنعت شفعتها بمثالها • فتكون تطليقتين فى طهرين •
• فاذا الثلاث اتتك منى بتة • لم تغن عنك ولاية السبتين •

واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق فى امر يتعلق بالدين بل من الوفاء المخالفة وقد كان الشافعى اخا محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمنى بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعى فقال • مرض الحبيب فعدته • فمرضت من حذرى عليه • واتى الحبيب يعودنى • فشفيت من نظرى اليه • وظن الناس لحسن مودتهما وصدقهما انه يفوض امر حلقته بعد وفاته اليه فقيل للشافعى فى علته التى مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومى اليه فقال الشافعى سبحان الله ايشك فى هذا ابو يعقوب البويطى فانكسر عندها محمد ومال اصحابه الى البويطى مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله ولكن كان البويطى افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعى لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يوثر رضى الخلق على رضى الله تعالى فلما توفى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رضى الله عنه واثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذى ينسب الان الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف فيه واظهره • والمقصود ان الوفا بالمحبة من تمامها قال الاحنف بن قيس الاخاء جوهرة نفيسة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للافات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك والرضى حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع من اسبابها كما قيل • وجدت مصيبات الزمان جميعها • سوى فرقة الاخوان هينة الخطب وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما تخيل الى ان حسرتهم ذهبت من قلبى ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كى لا يتهم ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقايق الحيل فى التضريب ومن لم يحترز منه لا تدوم مودته اصلا • وقال رجل لحكيم قد جئت خاطبا مودتك قال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت لا تسمع على بلاغة ولا تخالفنى فى امر ولا توطينى عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعى رضى الله عنه اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه منه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم • وقال

بعض الحكماء من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره فقد اثم واثموا ومن جعل نفسه فى قدره فقد تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا • وتمام التخفيف طى بساط التكليف حتى لا يستحيى منه فيما لا يستحيى من نفسه • قال الجنيد ما تواخى اثنان فى الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة فى احدهما • وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجاك الى الاعتذار • وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه • وقالت عايشة رضى الله عنها المومن اخو المومن لا يغتنمه ولا يحتشمه • وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطايفة كل طبقة ثلاثون رجلا الحارث المحاسبى وطبقته وحسن المسوحى وطبقته وسرى السقطى وطبقته وابن الكريبى وطبقته فما تواخى اثنان فى الله واحتشم احدهما عن صاحبه او استوحش الا لعلة فى احدهما • وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكليف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ • كان جعفر بن محمد يقول اثقل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منه • واخفهم على قلبى من اكون معه كما اكون وحدى وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لا لك ولا عليك وانت عنده سواء • وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على التحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده • وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شيت • وقال اخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسات ويحمل عنك مؤنة نفسك وقايل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغى ان يواخى كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلفه هذه الشروط حتى تكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا لله تعالى والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان فى هذا الزمان اين اخ لى فى الله فاعرض الجنيد عنه حتى اعاده ثلاثا فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويحمل اذاك فهو لعمرى قليل وان اردت اخا فى الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندى جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل • واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر على ان تنفعه وتتضرر به وهو الاحمق والسيئ الخلق فهذا الثالث يجب ان تجتنب فاما الثانى فلا تجتنبه لانك تنتفع فى الاخرة بشفاعته وبدعايه وبثوابك على القيام بحقه • وقد اوحى الله الى موسى عليه السلام ان اطعتنى فما اكثر اخوانك اى ان واسيتهم واحتملتهم ولم تحسدهم وقال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بينى وبينهم خلاف لانى كنت معهم على نفسى • ومن هذه شيمته كثر اخوانه • ومن التخفيف وترك التكليف ان لا تعترض فى نوافل العبادات • كان طايفة من الصوفية يصطحبون على شرط المواساة بين اربعة معا ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له الاخر صم وان صام الدهر كله لم يقل له الاخر افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الريا والتحفظ لا محالة وقيل من سقطت كلفته دامت الفته

ومن خفت مؤنته دامت مودته ۞ وقال بعض الصحابة ان الله لعن المتكلفين ۞ وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتى برآء من التكلف ۞ وقال بعضهم اذا عمل الرجل فى بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع اهله فى بيت اخيه ويجامعها لان البيت يتخذ للاستخفاء لهذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب فى تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه مرحبا واهلا وسهلا اى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة فى ذلك كله اى لا يشتد علينا شى مما تريده ۞ ولا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسئ بنفسه فاذا راهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم قال ابو معاوية الاسود اخوانى كلهم خير منى قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى لى الفضل على انفسهم ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ۞ ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له ۞ فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة ۞ والكمال فى رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اى ينبغى ان تكون معتقدا ذلك فى نفسك ابدا وسياتى وجه ذلك فى كتاب الكبر والعجب ۞ وقد قيل فى معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان ۞

۞ تذلل لمن ان تذللت له ۞ يرى ذلك للفضل لا للبله ۞

۞ وجانب صداقة من لا يزال ۞ على الاصدقاء يرى الفضل له ۞

وقال آخر ۞ كم من صديق عرفته بصديق ۞ صار احظى من الصديق العتيق ۞

۞ ورفيق رايته فى طريق ۞ صار عندى هو الصديق الحقيق ۞

ومهما راى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا فى عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ۞ ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه فى كل ما يقصده ويقبل اشارتهم عليه فقد قال الله تعالى وشاورهم فى الامر ۞ ولا ينبغى ان يخفى عنهم شيئا من اسراره ۞ كما روى عن يعقوب ابن اخى معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمى معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر ابن الحرث يريد مواخاتك وهو يستحيى ان يشافهك بذلك وقد ارسلنى اليك يسالك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان تشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا اذا احببت احدا فلا احب مفارقته ليلا ولا نهارا وازوره فى كل وقت واوثره على نفسى فى كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب فى الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه فشاركه فى العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واجملهن اليه وخصه بذلك لمواخاته وانا اشهدك انى قد عقدت له اخوة بينى وبينه وعقدت اخاه فى الله تعالى لرسالتك ولمسئلتك على ان لا يزورنى ان كره ذلك ولكنى

ازوره متى احببت وامره ان يلقانى فى مواضع نلتقى فيها وامره ان لا يخفى عنى شيئا من شانه وان يطلعنى على جميع احواله فاخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به ۞ فهذه مجامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على نفسك للاخوان ولا تكن لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن مساويهم وعيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسئلته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة ۞ وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه اصحابه وتعجبا مما يتحدثون به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء بفعله وتوقيرا له صلى الله عليه وسلم واما السمع فكان يسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا يقطع حديثهم عليهم بمراده ومنازعته ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون ۞ واما اليدان فان لا يقبضهما عن معونتهم فى كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فان يمشى وراءهم مشى الاتباع لا مشى المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعدون متواضعا ۞ ومهما تم الاخاء خفت جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاخاء انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب الظاهرة عنوان ادب الباطن وعلامة صفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ۞ ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله تعالى ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلا انواع الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن الخلق درجة القائم الصائم وزيادة ۞ خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة من الاداب آداب المعاشرة والمجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكما ان اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع من غير مذلة وكن فى جميع امورك فى اوسطها فكلا طرفى قصد الامور ذميم ۞ ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك فى انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطى والتثاوب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك

من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك
بولدك او جاريتك ولا بشعرك وتصنيفك وساير ما يخصك ولا تتصنع تصنع المراة في التزين
ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا
على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم
وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم ● واخفهم في غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا
عبدك فتسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك
ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك
فتكلم **وان** قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك
وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك على ان تدخل بينه وبين اهله
وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة
لا تنعش وزلة لا تقال ● واياك وصديق العافية فانه اعدا الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من
عرضك ● واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث
اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تخص بالسلام من قرب منك عند الجلوس ● ولا تجلس على
الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واعانة الملهوف وعون الضعيف وارشاد
الضال ورد السلام واعطاء السايل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارشاد لموضع البصاق
فلا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولا عن شمالك اوتحت قدمك اليسرى **ولا تجالس** الملوك
فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوايج وتهذيب الالفاظ
والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة
وان لا تتجشى بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده **وعلى الملك** ان يحتمل كل شيء الا افشا السر والقدح
في الملك والتعرض للحرم **ولا تجالس** العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء
الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم ● واياك ان
تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة
ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط
المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث
الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتتبين الذنوب **وقد** قيل لا يكون المزاح
الا من سخف او بطر **ومن** بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه قال صلى الله عليه وسلم
من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد
ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك ٥

الباب الثالث

في

في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان
اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد
من تعلم ادب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته
التي بها وقعت المخالطة والرابطة **اما القرابة** وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها واما
الجوار واما صحبة السفر او المكتب او الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحد من هذه الروابط
درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين اكد وكذلك حق الجار
يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي في بلاد الغربة
يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة
وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل اكد منه ● والمعرفة
بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب
اكد من حق صحبة السفر ● وكذلك الصداقة تتفاوت درجاتها فانها اذا قويت صارت اخوة فاذا ازدادت
صارت محبة وان ازدادت صارت خلة ● والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما تمكن من حبة القلب ●
والخلة ما تخلل سر القلب وكل خليل حبيب ● وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى
بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من
الاخوة وتعرف ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم
خليل الرحمن ● اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يكن
يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله عز وجل وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه
مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة هارون من موسى الا النبوة فعدل بعلي عن النبوة
كما عدل بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة ٥
واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه عن ذلك بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا **وكان**
صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله **وقد** روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان
الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله تعالى ● فاذا ليس قبل المعرفة
رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل
فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة وانما تفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة
والاخوة حتى ينتهي اقصاهما الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما اثر ابو بكر الصديق رضي الله عنه نبينا
صلى الله عليه وسلم وكما اثره طلحة ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم
فنحن الان نريد ان نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين
فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب اداب النكاح **حقوق المسلم** وهو ان تسلم عليه اذا لقيته ٥
وتجيبه اذا دعاه وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا اقسم

عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره
له ما يكره لنفسه وورد ذلك جميعه في اثار واخبار • وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم
وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى رحماء
بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد
قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح
قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومنها ان يحب للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره
لنفسه • قال النعمن بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المومنين في توادهم
وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه اشتكى ساير الجسد كله منه وتداعى سايره بالحمى وروى
ابو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا
يوذي احدا من المسلمين بقول ولا بفعل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يامر فيه بالفضايل فان لم تقدر فدع
الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها على نفسك • وقال صلى الله عليه وسلم افضل المسلمين
من سلم المسلمون من لسانه ويده • وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله
اعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المومن قال من امنه المومنون على انفسهم
واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال
ان تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب ه
فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادى يا فلان هل يوذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا بما
كنت توذي المومنين • وقال صلى الله عليه وسلم لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن
ظهر الطريق كانت توذي الناس وقال ابو برزة قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله علمني
شيا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين • وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح شيا عن طريق
المسلمين كان يوذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب الله له حسنة اوجب له بها الجنة • وقال
صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه • وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل
لمسلم ان يروع مسلما • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره اذى المومنين • وقال الربيع بن خثيم
الناس رجلان مومن فلا توذيه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم فلا يتكبر عليه
فان الله لا يحب كل مختال فخور • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اوحى الي ان تواضعوا
حتى لا يفخر احدكم على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يانف ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجتهما ومنها ان لا يسمع بلاغات ه

الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة قتات • وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك •
ومنها ان لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلثة ايام مهما غضب عليه • قال ابو ايوب الانصاري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض
هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام • وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة
عثرته • وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف عليه السلام بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين
وقالت عايشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تصاب حرمة الله
فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا • وقال صلى الله عليه وسلم ما
نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا رفعه الله ومنها
ان يحسن الى كل من قدر على الاحسان اليه منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى علي
ابن الحسين عن ابيه عن جده رضوان الله عليهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى
اهله والى غير اهله فان لم تصب اهله فانت اهله • وباسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
راس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر • وقال ابو هريرة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها ولم تكن
ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لا ينصرف عنه حتى يفرغ
من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلثا فان لم يوذن له والا انصرف قال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلث فالاولى يستنصتون والثانية
يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعامل كلا منهم بحسب
طريقته فانه ان اراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه والغبي بالبيان اذى وتاذى ومنها ان يوقر
المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم
صغيرنا والتلطف بالصبيان • وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم •
ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذنهم قال جابر قدم وفد جهينة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه فاين الكبر وفي الخبر ما وقر
شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يوقره • وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا
يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى الله له بطول العمر • قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد
غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على
الكريم • والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم يقدم
من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعوا اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويامر
الصحابة ان يحملوا بعضهم وربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى

الله عليه وسلم بين يديه وحملك وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان صلى الله عليه وسلم
يوتى بالصبى الصغير فيدعو له بالبركة وبالتسمية فياخذه فيضعه فى حجره فربما بال الصبى فيصيح به بعض
من يراه فيقول صلى الله عليه وسلم لا تزرموا الصبى فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعايه له وتسميته
ويبلغ سرور اهله فيه وان لا يروا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا اغسل ثوبه بعد ذلك ومنها
ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار
قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب ۰ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق الوجه وقال بعضهم يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة
فقال ان من موجبات الجنة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما البر هين
وجه طلق وكلام لين وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة
وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال
اعرابى لمن هى يا رسول الله قال لمن طيب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ۰ وقال
معاذ بن جبل قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء
بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح
وقال انس رضى الله عنه تعرضت للنبى صلى الله عليه وسلم امراة وقالت لى معك حاجة وكان معه
ناس من اصحابه فقال اجلسى فى اى نواحى السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت
حاجتها ۰ وقال وهب بن منبه ان رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سبتا يفطر فى كل سبعة ايام
فسال الله تعالى ان يريه كيف تغوى الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو
اطلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الامر الذى طلبته فارسل الله تعالى
اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلنى اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذى تكلمت به
اعجب الى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس قد احاطت
بالارض واذا ليس احد من الناس الا وحوله الشياطين كالذباب فقال اى رب من ينجو من هذا فقال
الورع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفى به وقد قال صلى الله عليه وسلم العدة دين ۰
وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية ۰ وقال صلى الله عليه وسلم ثلث فى المنافق اذا حدث كذب ۰
واذا وعد اخلف ۰ واذا اوتمن خان ۰ وقال ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك ومنها
ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتى اليهم الا ما يحب ان يوتى اليه ۰ وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل
العبد الايمان حتى تكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام ۰
وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يوتى اليه ۰ وقال صلى الله عليه وسلم لابى
الدرداء يا ابا الدرداء احسن مجاورة من جاورك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما

وقال الحسن اوحى الله تعالى الى ادم عليه السلام باربع خصال قال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة
لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التى لى فان تعبدنى لا تشرك بى شيا
واما التى لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التى بينى وبينك فعليك الدعاء وعلى الاجابة
واما التى بينك وبين الناس فتصحبهم بالذى تحب ان يصحبوك به وسال موسى صلى الله عليه وسلم
ربه تعالى فقال اى رب اى عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ومنها ان يزيد فى توقير من
دل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روى ان عايشة رضى الله عنها كانت فى
سفر فنزلت منزلا فوضعت طعاما فجاء سايل فقالت عايشة رضى الله عنها ناولوا هذا المسكين قرصا
ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين قرصا وتدعين هذا الغنى
الى الطعام فقالت ان الله انزل الناس على منازل لا بد لنا ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين
يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطى هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا وروى انه صلى الله عليه وسلم
دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس وامتلا المجلس فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا
فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس على هذا
فاخذه جرير فوضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال
ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتنى فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال
اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ومنها كل من له عليه حق قديم فليكرمه روى ان ظئر رسول الله صلى
الله عليه وسلم التى ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بامى ثم اجلسها على الرداء
ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال اما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس
من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب لها سهمه من خيبر فبيع ذلك
من عثمان بن عفان رضى الله عنه بماية الف درهم ۰ وربما اتاه صلى الله عليه وسلم من ياتيه وهو على
وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه فيدعها ويضعها تحت الذى يجلس اليه فان ابى عزم عليه
حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا ۰ قال صلى الله عليه وسلم الا
اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذات
البين هى الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين ۰ وعن النبى صلى الله
عليه وسلم فيما رواه انس قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال
عمر يا رسول الله بابى انت وامى ما الذى اضحكك قال رجلان من امتى جثيا بين يدى رب العزة فقال
احدهما يا رب خذ لى مظلمتى من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من
حسناتى شىء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شىء فقال يا رب
فليحمل عنى من اوزارى ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم
عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع بصرك

فانظر في الجنان فيقال يارب ارى مداين من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى نبى هذاه
اولاى صديق او لاى شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا لمن اعطى الثمن فيقول يارب من يملك ذلك
فيقول الله تعالى انت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن اخيك قال يارب لقد عفوت عنه
فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة • وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب
من اصلح بين اثنين فقال خيرا او غاخيرا • ومما يدل على وجوب الاصلاح لان ترك الكذب واجب
ولا يسقط الواجب الا بواجب اكد منه وقد قال صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا ان يكذب
الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامراته ليرضيها •
ومنها ان يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستر الله عليه في
الدنيا والاخرة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة
وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى امرء من اخيه عورة فيسترها عليه
الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لماعز لما اخبره الرجل لو سترته بثوبك لكان خيرا لك •
فاذا على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره قال ابو بكر رضى الله عنه
لو اخذت شاربا لاحببت ان يستره الله ولو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله وروى ان عمر
رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامراة على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارايتم
لو ان اماما راى رجلا وامراة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال
على كرم الله وجهه ليس ذلك لك اذا يقام عليك الحد ان الله تعالى لم يامن على هذا الامر اقل من اربعة
شهدا • ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى فقال على رضى الله
عنه مثل مقالته • وهذا يشير الى ان عمر رضى الله عنه كان مترددا فى ان الوالى هل له ان يقضى بعلمه
فى حدود الله تعالى فلذلك راجعهم فى معرض التقدير لا فى معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك
فيكون قاذفا باخباره ومال راى على الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع بستر
الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه فى ذلك منها كالمرود
فى المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضى تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في
حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذى هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كشف ستر الله تعالى كيف
اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق فى كشفه فنرجوا ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر
ففى الحديث ان الله تعالى اذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها فى الاخرة وان
كشفها فى الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر
رضى الله عنهما ليلة بالمدينة فبينما نحن نمشى اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا
باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدى وقال اتدرى بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت

ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما قد نهانا الله عنه قال الله تعالى
ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم ومما يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية
انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه
ولم يدخل الايمان فى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله
عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته • وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لو رايت احدا
على حد من حدود الله تعالى ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معى غيرى • وقال بعضهم كنت قاعدا مع
عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل باخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه ففعلوا
فوجدوه نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمرته ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك
واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او قرطق فلما فرغ قال للذى جاء به ما انت منه قال عمه فقال
له عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت الخزية انه ينبغى للامام اذا انتهى اليه حد ان يقيمه
ان الله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا ثم قال انى لاذكر اول رجل قطعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتى بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال
وما يمنعنى لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم انه ينبغى للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو
يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفى رواية اخرى كانما سفى
فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره وروى ان عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة
من الليل فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امراة وعنده خمر فقال يا عدو الله
اظننت ان الله يسترك وانت على معصية فقال الرجل وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل ان كنت قد عصيت
الله واحدة فقد عصيت الله فى ثلث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وليس
البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت على وقال
تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية وقد دخلت بيتى بغير اذن ولا سلام فقال له عمر هل عندك
من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المؤمنين ان عفوت عنى لا اعود الى مثلها ابدا فعفى عنه
وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبى صلى الله عليه وسلم
يقول فى النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله تعالى ليدنى منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره
من الناس ويقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى اذا قرره بذنوبه وراى فى نفسه
انه قد هلك قال له يا عبدى انى لم استرها عليك فى الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى
كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين • وقال صلى الله عليه وسلم كل امتى معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة ان يعمل الرجل السوء
ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم من استمع ستر قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه الآنك يوم القيمة
ومنها ان يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا

الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم • وقال صلى الله عليه وسلم كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه فقال
نعم يسب اباء غيره فيسبون ابويه وقد روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسايه فمر
به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان ان هذه صفية فقال يا رسول الله من كنت
اظن فيه فاني لم اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم • وزاد في رواية اخرى اني
خشيت ان يقذف في قلبكما شيء وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته
في العشر الاواخر من شهر رمضان وكان معتكفا • وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا
يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امراته على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المومنين
انها امراتي قال فهلا حيث لا يراك احد من الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له
عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوتى واسال
وتطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا لتوجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما احب • وقال معاوية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا الي توجروا اني اريد الامر فاوخره كي تشفعوا الي فتوجروا وقال
صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال الشفاعة
تحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى اخر وتدفع بها المكروه عن اخر وروى عكرمة عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على
لحيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض
بريرة مغيثا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك فقالت يا رسول الله
اتامرني فافعل فقال لها لا انما انا شافع ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند
السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدا بالسلام •
وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت النبي
صلى الله عليه وسلم ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر
حسناتك فاذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال انس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا التقى المومنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لاحسنهما بشرا
وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها • وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا ولا تومنون حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول
الله قال افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملايكة
سبعين مرة • وقال صلى الله عليه وسلم الملايكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه وقال صلى الله

عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزى عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم السجود
فاعطى الله هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم
وقال ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملايكة والمصافحة ايضا سنة مع السلام
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له عشر
حسنات • وجاء اخر فقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة فجا اخر فقال سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقال ثلثون حسنة وكان انس رضي الله عنه يمر على الصبيان ويسلم عليهم • ويروى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك • وروى عبد الحميد بن بهرام انه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد
يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده للتسليم • واشار عبد الحميد بيده حكاية وقال صلى الله عليه
وسلم لا تبدوا اليهود والنصارى بالتسليم ولا تصافحوهم واذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم الى اضيقه
وقالت عايشة رضي الله عنها ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام
عليكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم قالت عايشة رضي الله عنها فقلت بل عليكم السام واللعنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان الله تعالى يحب الرفق في كل شيء فقالت عايشة الم تسمع ما
قالوا قال فقد قلت عليكم وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل
على الكثير والصغير على الكبير وقال صلى الله عليه وسلم لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود
الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالكف • قال ابو عيسى اسناده ضعيف • وقال صلى الله
عليه وسلم اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم وليست الاولى
احق من الاخرة • وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمين
فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة • وقال
الحسن المصافحة تزيد في الود • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المومن اخاه
المصافحة • ولا باس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا له روى عن ابن عمر انه قال قبلنا يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقبلت يده وروى ان اعرابيا قال يا رسول الله ايذن لي ان اقبل راسك ويدك فاذن له ففعله
ولقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان • وعن البرا بن عازب
انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضى فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ورد عليه ومد
يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت اظن هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه السلام كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا
عليه رد عليه ملا خير منهم واطيب او قال وافضل والانحنا عند السلام منهي عنه قال انس رضي
الله عنه قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قلنا فيقبل بعضنا بعضا قال لا قلنا فيصافح

قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به في الخبر عند القدوم من السفر وقال ابو ذر رضي الله عنه ما
لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت
وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس
ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد
والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه ما يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك وروى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال لهم اذا رايتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم وقال صلى الله عليه وسلم
من سره ان يتمثل الرجال له قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم لا يقم الرجل
الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فلياته فانما هي كرامة
اكرمه بها اخوه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه وروى انه سلم رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجبه فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول
ابتداء عليكم السلام فقد قال ذلك رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام
ان عليكم السلام تحية الميت قال ثلثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما جالسا في المجلس اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الاخر فادبر ذاهبا فلما
فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما احدهم فاوى الى الله فاواه
الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله
عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا وسلمت ام هاني على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له ام هاني فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا
بام هاني ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل
دونه وينصره روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد
عليه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى
الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم
القيمة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره
فلم ينصره اذله الله عز وجل بها في الدنيا والاخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى
بها في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى
اليه ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله عز وجل
في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ مسلم يخذل مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته الا خذله الله
في موضع يحب فيه نصرته ومنها تشميت العاطس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في العاطس
يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله
ويصلح بالكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت اخر فقيل له عن ذلك
فقال ان هذا حمد الله والاخر سكت وعن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك
الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وقال صلى الله عليه وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلثا
فان زاد فهو زكام وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك
مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او
بيده وروى خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن
ابيه ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا
فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب
الكلمات فقال الرجل انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رايت اثني عشر ملكا كلهم
يبتدرونها ايهم يكتبها وقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته
وقال صلى الله عليه وسلم ان العطاس من الله والتثاوب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده
على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابراهيم النخعي اذا عطس في قضاء الحاجة
فلا باس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك
ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني قال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة
والغائط فقال اذكرني على كل حال ومنها انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم
خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر قال ابو الدرداء
انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى
ادفع بالتي هي احسن وقال ابن عباس في قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام
والمداراة وقال في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحيا
والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له
لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيمة
من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وفي الخبر خالطوا الناس

باعمالهم وزايلوهم بالقلوب • وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته
بدا حتى يجعل الله له منه فرجا **ومنها** ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويخلط بالمساكين ويحسن الى
الايتام • وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة المساكين **وكان** سليمان عليه السلام في ملكه اذا دخل المسجد ورای مسكينا يجلس اليه
وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة احب لعيسى عليه السلام من ان يقال له يا مسكين
وقال كعب الاحبار ما في القران من يا ايها الذين امنوا فهو في التوراة يا ايها المساكين • وقال عبادة بن
الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنيا وثلثة للنساء وباب للفقراء والمساكين • وقال
الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي ان اكون اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضى
المساكين عنك • وقال صلى الله عليه وسلم اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال
الاغنيا • وقال موسى عليه السلام الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم • وقال صلى الله عليه
وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري الى ما تصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا **واما
اليتيم** فقد قال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة
البتة وقال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين واشار باصبعيه • وقال
صلى الله عليه وسلم من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة • وقال
صلى الله عليه وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم
يساء اليه **ومنها** النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم
المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه • وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم مراة اخيه فاذا راى به شيئا فليمط عنه • وقال صلى الله عليه وسلم
من قضى لاخيه حاجة فكانما خدم الله عمره • وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم
القيمة • وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها
كان خيرا له من اعتكاف شهرين • وقال صلى الله عليه وسلم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله
له ثلثا وسبعين مغفرة • وقال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره
ظالما قال تمنعه من الظلم وقال ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن وان تفرج عنه غما
او تقضي عنه دينا او تطعمه من جوع • وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله
اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم • وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر
الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال
صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم • وقال معروف الكرخي من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم
فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال **وبكى** علي بن الفضيل يوما
فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله عز وجل وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة

ومنها ان تعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله • وادب العائد خفة
الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع • وادبه عند
الاستيذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل له من ولا يقول يا غلام لكن يحمد ويسبح
وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله كيف هو
وتمام تحياتكم المصافحة • وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده
قرت فيه • وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات
منزلا في الجنة • وقال صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى اليه ملكين فقال انظروا
ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاوه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله تعالى وهو اعلم فيقول لعبدي
علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر
عنه سياته • وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه • وقال عثمان رضي الله عنه مرضت
فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها لذلك مرارا **ودخل** صلى الله عليه وسلم على علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك
او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن **ويستحب** للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة
الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر • وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا شكى احدكم بطنه
فليسال امراته شيئا من صداقها فليشتري به عسلا فيشرب بماء السماء فيجمع له الهني والمري والشفا
المبارك **وجملة** ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وقلة الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدوا
على خالق الدوا • وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه
من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت
سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا اكبريا ربنا
وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت
لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت اوليائك الذين سبقت لهم منك الحسنى **وروي**
انه صلى الله عليه وسلم قال عيادة المريض فواق ناقة • وقال طاوس افضل العيادة اخفها • وقال ابن
عباس عيادة المريض مرة سنة فما ازداد فنافلة • وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث • وقال صلى الله عليه
وسلم اغبوا في العيادة واربعوا **ومنها** ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله
قيراط من الاجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد • ولما روى ابو هريرة هذا الحديث
وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا في قراريط كثيرة • والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار كان
مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة تذهب الاول والاخر
لا عقل له • وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت

ولا والله لا اعلمه ما دمت حيا • وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز ولا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم • ونظر
ابراهيم الزيات الى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه
ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع
الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله **ومنها**
ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه • وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى
المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكى القوم فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك فقال
هذا قبر امنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني
ما يدرك الولد من الرافة على الوالدة • وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده
ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد • وقال مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته فتقول انا بيت الدود
انا بيت الوحدة انا بيت الوحشة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما اعددت لك فما اعددت لي •
وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري • وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك
فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان غبت عنهم لم يغتابوني • وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر
لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم • وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا وينادي مناديا
اهل القبور من تغبطون فيقولون نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي
ويذكرون الله ولا نذكره • وقال سفيان من اكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره
وجده حفرة من حفر النار • وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل
فيه فاضطجع ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل
ان لا ترجع • وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا
ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات
واصابت الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب
الله تعالى **وآداب المعزى** خفض الجناح واظهار الحزن وترك التبسم **وآداب** تشييع الجنازة دوام
الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتذكر في الموت والاستعداد له وان يمشي وراء الجنازة بقربها
والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل اداب تنبه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق • والجملة الجامعة في
ذلك ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك فانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا
فلعله يختم له بالصلاح ويختم لك بمثل حاله الان ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان
الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط
من عين الله عز وجل ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم

كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير • ولا تعادينهم بحيث تظهر العداوة فيطول
الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا
في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم
فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في
وجهك وحسن بشرهم لك فانك اذا طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما لا
تجده • ولا تشكوا اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر
كما في العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر بذلك ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا
تنال الغرض ولا تنظر اليهم بعين التكبر لاستغنائك عنهم فان الله تعالى يلجئك اليهم عقوبة على التكبر
باظهار الاستغناء • واذا سالت احدا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه
فيصير عدوا يطول عليك مقاساته • ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع
منك ويعاديك ويكون وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على شخص • ومهما رايت منهم
كرامة وخيرا فاشكر الله تعالى الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم • واذا بلغك عنهم
غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوؤك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا
تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بذلك • ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد
انك لو استحققت ذلك لجعل لك ربك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب
وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم صموتا عن باطلهم نطوقا بحقهم • واحذر صحبة اكثر الناس فانهم
لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على
القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويواخذون على الخطاء والنسيان ولا يعفون يغرون
الاخوان على الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم
الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم
ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب
المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم • ولا تعول على مودة
من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد وتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره
او تسافر معه او يعاملك في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه
الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلا لك فهذه جملة اداب
المعاشرة مع اصناف الخلق **حقوق الجار** اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة
الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة
جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق والجار الذي له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو
الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق

الاسلام • واما الذى له حق واحد فالجار المشرك • فانظر كيف اثبت للمشرك حق بمجرد الجوار وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما • وقال صلى الله عليه وسلم ما
زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه • وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم جاره • وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوايقه • وقال صلى الله عليه
وسلم اول خصمين يوم القيمة جاران • وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته
ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لى جارا يوذينى ويشتمنى ويضيق على فقال له
اذهب فانه قد عصى الله فيك فاطع الله فيه • وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم
النهار وتقوم الليل وتوذى جيرانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى النار • وجاء
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبر ثم
قال له فى الثالثة او الرابعة اطرح متاعك فى الطريق فجعل الناس يمرون فيقولون ما لك فيقال اذاه
جاره فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهرى
مرسلا ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامره عليه الصلاة والسلام ان ينادى على
باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهرى اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون
هكذا واومى الى اربع جهات • وقال صلى الله عليه وسلم اليمن والشوم فى المراة والمسكن والفرس
فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها •
ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه
وشومه صعوبته وسوء خلقه • واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار
ايضا قد كف اذاه وليس فى ذلك قضاء حق فلا يكفى احتمال الاذى بل لا بد من الرفق وابتداء الخير
والمعروف • يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى ويقول يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وسد
بابه دونى وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره فى دين ركبه وكان يجلس فى ظل جداره فقال ما
قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها فعدمها فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها • وشكى بعضهم كثرة
الفار فى داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهربوا الى بيت الجيران
فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسى • وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام
وان لا يكثر عن حاله السوال ويعوده فى حالة المرض ويعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنيه
فى الفرح ويظهر الشركة له فى السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح على عوراته ولا يضايقه
فى وضع الجذع على جداره ولا فى مصب الماء من ميزابه ولا فى مطرح التراب من فنايه ولا يضيق طريقه
الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر فيما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته
اذا نابته نايبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمه
ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده فى كلمته ويرشد الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى

جملة الحقوق التى ذكرناها للمسلمين عامة • وقد قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك
اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه
خير هنيته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت
فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا توذه بقتار قدرك
الا ان تغرف له منها • وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا
من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم • وقال مجاهد كنت عند
عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال له يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا
فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه
سيورثه • وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان يطعم الجار اليهودى والنصرانى من الاضحية • وقال
ابو ذر اوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل
بيت من جيرانك فاغرف لهم منها • وقالت عايشة رضى الله عنها قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لى جارين احدهما مقبل بابه والاخر ناى بابه عنى وربما كان الذى عندى لا يسعهما فايهما اعظم حقا
قال صلى الله عليه وسلم المقبل عليك ببابه • وراى الصديق ولده عبد الرحمن وهو يماظ جارا له فقال
لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون • قال الحسن بن عيسى النيسابورى سالت عبد الله ابن
المبارك فقلت الرجل المجاور ياتينى يشكو غلامى وانه اتى اليه امرا والغلام ينكر فاكره ان اضربه فلعله
برى واكره ان ادعه فيجد على جارى فكيف اصنع قال ان غلامك لعله يحدث حدثا يستوجب فيه الادب
فتحفظه عليه ذلك فاذا اشتكاه جارك فادبه على ذلك الحدث وتكون قد ارضيت جارك وادبته
على ذلك الحدث • وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين • وقالت عايشة رضى الله عنها خلال المكارم
عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى ابيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن احب
فقالوا ما هى يا ام المومنين فقالت صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السايل والمكافاة بالصنايع
وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف وراسهن الحياء •
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن
شاة • وقال صلى الله عليه وسلم ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنى
وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لى ان اعلم اذا احسنت واذا اسات قال صلى الله عليه وسلم
اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت وان سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات
وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له جار فى حايط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه
عليه • وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه فى جدار جاره شاء
ام ابى • وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة فى حايطه
وكان ابو هريرة يقول ما لى اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم • وقد ذهب بعض العلماء الى وجوبه

ذلك • وقال صلى الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه •
حقوق الاقارب والرحم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا الرحمن وهذه
الرحم شققت لها اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم
من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه وفي رواية فليتق الله ويصل رحمه •
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم لرحمه وامرهم
بمعروف وانهاهم عن منكر • وقال ابو ذر اوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلة
الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا • وقال صلى الله عليه وسلم ان الرحم معلقة
بالعرش وليس الواصل بالمكافي لكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها • وقال صلى الله
عليه وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونوا فجارا فتنمى اموالهم ويكثر
عددهم اذا وصلوا ارحامهم • وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة
عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال صلى الله عليه
وسلم ان الله قد منع من بني مدلج بصلتهم الرحم • وقالت اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما قدمت
علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم • وفي رواية اخرى افاعطيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليها • وقال
صلى الله عليه وسلم الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق
بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هو في سبيل
الله وللفقراء والمساكين قال صلى الله عليه وسلم وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وقال صلى الله
عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح • وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم افضل
الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عن من ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه
كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا • وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم
على الحقوق وربما يوجب ذلك وحشة وقطيعة الرحم **حقوق الوالدين والولد** لا يخفى انه اذا
تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تاكد الحق فيها وقد قال صلى الله
عليه وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى الله عليه وسلم بر
الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله • وقال صلى الله عليه وسلم
من اصبح مرضيا لوالديه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن اصبح مسخوطا لابويه اصبح له بابان
مفتوحان الى النار وان امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وقال
صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم •
وانه صلى الله عليه وسلم قال بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك وروي ان
الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق

والديه

والديه كتبته عاقا • وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه
اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا • وقال صلى الله عليه وسلم ما على احد
اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له
مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء • وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شيء ابرهما
به بعد وفاتهما قال عليه الصلاة والسلام نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما
واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان
يصل الرجل اهل ود ابيه • وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد ضعفان • وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال هي ارحم من
الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر قال بر والديك قال ليس لي
والدان قال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حق كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم
رحم الله والدا اعان ولده على بره • اي لم يحمله على العقوق لسوء عمله وقد قيل ولدك ريحانتك
سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام
يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل
فراشه فاذا بلغ ثلثة عشر سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده
وقال ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الاخرة • وقال
صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالدين يحسن ادبه ويحسن اسمه • وقال صلى الله عليه وسلم
كل غلام مرتهن او رهينة بعقيقته تذبح يوم السابع ويحلق راسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة
اخذت صوفة منها فاستقبلت بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم
يغسل راسه ويحلقه بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت
عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام
ان من لا يرحم لا يرحم • قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي
وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انقيه فضرب يدي ثم اخذ فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن
بنا اذ لم يكن جارية ودخل الحسين يعثر والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله ثم قرا قول الله
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة • وقال عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث امر فلما
قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود فقد ظننا انه قد حدث امر فقال صلى الله عليه وسلم ان ابني كان
قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته • وقال صلى الله عليه وسلم ان ريح الولد من ريح الجنة

وقال يزيد بن معاوية ارسل ابى الى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال يا له ابا الحسن ما تقول فى
الولد قال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على
كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم فيمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم قفلا
فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت على وانا
مملو غيظا وغضبا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتى الف درهم ومائة
ثوب فارسل يزيد الى الاحنف فقاسمه اياها فهذه الاخبار الدالة على تاكد حق الوالدين وكيفية القيام
بحقهما تعرف مما ذكرناه فى حق الاخوة فان هذه الرابطة اكد من الاخوة بل يزيد هاهنا امران احدهما ان
اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب بالحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان
بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك
ان تسافر فى مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج
لطلب العلم نفل الا اذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلاة والصوم اذا لم يكن فى بلدك من يعلمك
وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال
ابو سعيد الخدرى هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه الصلاة
والسلام هل باليمن ابواك قال نعم قال فهل اذنا لك قال لا فقال عليه الصلاة والسلام فارجع الى ابويك
فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما يلقى الله تعالى به بعد التوحيد ٥
وجاء آخر الى النبى صلى الله عليه وسلم يستشيره فى الغزو فقال عليه الصلاة والسلام الك والدة قال
نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجلها وجاء آخر فى طلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت
والدى فقال عليه الصلاة والسلام ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير
الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم اذا استصعبت على احدكم دابته
وساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليؤذن فى اذنه **حقوق المملوك** اعلم ان ملك النكاح قد
سبق حقوقه فى آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضى حقوقا فى المعاشرة ولا بد من مراعاتها
فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم
مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم
فبدلوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك
طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا
متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعف عنه كل
يوم سبعين مرة وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى كل يوم سبت فاذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه
وضع عنه منه وعن ابى هريرة انه رأى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما
هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وقالت جارية
لابى الدرداء انى سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا قال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك
قال اذهبى فانت حرة لوجه الله تعالى وقال الزهرى متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف
ابن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذ اتته خادم
له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس
يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله تعالى لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا
عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وانت تعصى مولاك واغضبه يوما فقال
انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل جاريته بالعشاء فجاءت
مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت فاراقتها على راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتينى فقالت
يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال الله تعالى والكاظمين
الغيظ قال قد كظمت غيظى قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله عز وجل
يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله تعالى وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بوجه الله فسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك يده فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سألك بوجه الله تعالى فلم تعفه فلما رأيتنى امسكت يدك قال فانه
حر لوجه الله يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال صلى الله
عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان
لى اجران فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم عرض على اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون
النار فاما اول ثلثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف
ذو عيال واول ثلثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله تعالى وفقير فخور
وعن ابى مسعود الانصارى قال بينما انا اضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى اعلم ابا مسعود مرتين
فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط فقال والله لله اقدر عليك منك عليه
وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شئ يطعمه الحلوى فانه اطيب لنفسه رواه
معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه
وليأكل معه وان لم يفعل فليناوله وفى رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفى حره وعلاجه
ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه وان لم يفعل فليأخذ لقمة فليروغها واشار بيده فليضعها
فى فيه وليقل كل هذه ودخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال له يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم
فى شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية فعلمها واحسن اليها ثم اعتقها
وتزوجها فذلك له اجران وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجملة حق المملوك

ان يشركه فى طعمه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه لهفوته او بجنايته فى معاصيه وجنايته فى حق الله تعالى وتقصيره فى طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته • وروى فضالة بن عبيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا تسأل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصى امامه ومات عاصيا فلا تسأل عنه وامراة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنها وثلثة لا يسأل الله تعالى عنهم رجل نازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل فى شك من الله والقنوط من رحمة الله تعالى • تم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة والحمد لله

كتاب العزلة

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذى اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته • بان صرف هممهم الى مؤانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته • وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته • وحقر فى قلوبهم النظر الى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجارى فكرته • فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى فى خلوته • واستوحش بذلك عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته • والصلاة على محمد سيد انبيائه وخيرته • وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته **اما بعد** فان للناس اختلافا كثيرا فى العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الاخرى مع ان كل واحد منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعوا اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة واختيارها وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه فى كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق فى ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين الباب الاول فى نقل المذاهب والحجج فيها والباب الثانى فى كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل • والله اعلم ه

الباب الاول

فى نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فى ذلك • اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثورى وابرهيم بن ادهم وداود الطائى وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتألف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبى وابن ابى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى واحمد بن حنبل وجماعة ه والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلنقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبيين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده على التعريض لذكر الغوائل والفوائد فنقول قد روى عن عمر رضى الله عنه قال خذوا حظكم من العزلة • وقال ابن سيرين العزلة عبادة • وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا • اتخذ الله

صاحبا ودع الناس جانبا • وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائى عظنى فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد • وقال الحسن رضى الله عنه كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى واعتزل الناس فسلم وترك الشهوات فصار حرا وترك الحسد فظهرت مروته وصبر قليلا فتمتع طويلا • وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشر فى عزلة الناس • وقال يوسف بن مسلم العابد لعلى بن بكار ما اصبرك على الوحدة وكان قد لزم الوحدة والبيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم • وقال سفيان الثورى هذا وقت السكوت وملازمة البيوت • وقال بعضهم كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشأ يقول

• قليل الهم لا ولد يموت • ولا امر تحاذره يفوت •
• قضى وطر الصبا وافاد علما • فغايته التفرد والسكوت •

وقال ابرهيم النخعى لرجل تفقه ثم اعتزل • وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له • وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا قال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله تعالى • وقال الفضيل انى لاجد للرجل عندى يدا اذا لقينى ان لا يسلم على واذا مرضت ان لا يعودنى • وقال سليمان الدارانى بينا الربيع ابن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصك جبينه فشجه وجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع ه فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى خرجت جنازته • وكان سعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لا لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق • وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثورى يقول والله الذى لا اله الا هو لقد حلت العزلة • وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدرى ما يكون فى القيمة فان كان فضيحة كان من يعرفك قليلا • ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال الك حاجة قال نعم قال ما هى قال ان لا ارالك ولا ترانى • وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول لوددت انى فى مكان ارى الناس ولا يرونى فبكى الفضيل وقال يا ويح على افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يرونى • وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه • وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة

ذكر حجج المائلين الى الخلطة ووجه ضعفها احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى فالف بين قلوبكم فامتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى معانى كتاب الله تعالى واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدر وهى الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافى ذلك • واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف • وهذا ايضا ضعيف لانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذى يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته حسن الخلق الذى ان خالط الف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا

بنفسه وطلبا للسلامة من غيره ● واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية وبقوله
صلى الله عليه وسلم من شق عصى المسلمين وهو في اسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام وهذا ضعيف لان المراد به
الجماعة الذي اجتمعت اراؤهم على امام بعقد البيعة والخروج عليهم بغي وذلك مخالفة في الراي وخروج عليهم
وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رايهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيها
تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعريض للعزلة ● واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث اذ
قال عليه الصلاة والسلام من هجر اخاه فوق ثلاث فمات دخل النار ● وقال عليه الصلاة والسلام لا يحل لمسلم ان
يهجر اخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من هجر اخاه ستة ايام فهو كسفك دمه ●
قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع السلام والكلام
والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجر فوق ثلاث جائزة في موضعين
احدهما ان يرى فيها استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه ● والنهي عنه وان كان عاما
فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم هجرها
ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد الى غرفة
له وهي خزانته فلبث فيها تسعا وعشرين فلما نزل قيل له انك لبثت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون
تسعا وعشرين ● وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق
ثلثة ايام الا ان يكون ممن لا يؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن حيث قال هجران
الاحمق قربة الى الله عز وجل ● فان ذلك يدوم الى الموت فان الحماقة لا ينتظر علاجها ● وذكر عند محمد بن عمر الواقدي
رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص مهاجرا لعمار بن ياسر حتى ماتا رضوان
الله عليهما ● وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ● وكانت عائشة مهاجرة لحفصة
رضي الله عنهما ● وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات ● وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة
واحتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة
والسلام لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما
والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة
قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من
القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تفعل ذلك فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاته في اهله ستين عاما الا تحبون
ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله تعالى فواق ناقة ادخله الله الجنة ●
واحتجوا بما روى معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ
القاصية والناحية والشاردة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد ● وهذا انما اراد به
من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ان ذلك منهي عنه الا لضرورة

ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله الاية وقال تعالى فاعتزلكم وما
تعبدون من دون الله الاية اشار الى ان ذلك بركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا
دعوتهم الى الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة
اذ روي انه عليه الصلاة والسلام قيل له الوضوء من جرة مخمرة احب اليك ام من هذه المطاهر التي يتطهر منها
الناس قال عليه الصلاة والسلام بل من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين ● وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه لما طاف بالبيت عدا الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم
وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال العباس رضي الله عنه ان هذا النبيذ شراب
قد مغث وخيض بالايدي افلا اتيك بشراب انظف من هذا في جرة مخمرة في البيت فقال صلى الله عليه وسلم
اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي الناس فشرب منه ● فاذا كيف يستدل باعتزال
الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم ● واحتجوا ايضا بقول موسى عليه السلام وان لم
تؤمنوا لي فاعتزلون فانه فزع الى العزلة عند الياس منهم وقال الله تعالى في اصحاب الكهف واذا اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف امرهم بالعزلة ● وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه
وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة وتلاحقوا به في
المدينة بعد ان اعلى الله تعالى كلمته ● وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند الياس منهم فانه صلى الله عليه وسلم
لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار ● واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون فانما
اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين ● واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني
لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك ● وروي
انه صلى الله عليه وسلم قيل له اي الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من
قال عليه الصلاة والسلام رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى
الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي ● وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله صلى
الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على ما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من
حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يأمر جميع الصحابة رضي الله عنهم بذلك ورب
شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كمن قد تكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى الجهاد
وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل ● وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم ● وعلى هذا ينزل
قوله صلى الله عليه وسلم رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره ● فهذه اشارة الى شرير بطبعه من
يتأذى الناس بمخالطته ● وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي
الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة
فهذا تعرض لامر لا يليق بالعزلة ● واحتجوا بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس

قالوا بلى قال واشار بيده نحو المغرب قال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه ، الا
انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلاة ويؤتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله
اعتزل شرور الناس • فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطا بالتصريح بفوايد العزلة
وغوايلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها ان شاء الله تبارك وتعالى ه وبالله المستعان ه

الباب الثاني

في فوايد العزلة وغوايلها وكشف الحق في فضلها • اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة
النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوايده
فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوايد العزلة وهي تنقسم الى فوايد دينية ودنيوية والدينية
تنقسم الى ما تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى التخلص من
ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالريا والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة من الجلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى تمكن
من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى التخلص من المحذورات التي تعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة
الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف مرؤته الجليس بالمخالطة كالنظر الى
زهرة الدنيا او التأذي بسوء خلق الجليس في مرايه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله وسوء
خلقه والى هذا يرجع مجامع فوايد العزلة فلنحصرها في ستة فوايد **الفايدة الاولى** الفراغ للعبادة ه
والفكر والاستيناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله تعالى في امر
الدنيا والاخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة والعزلة وسيلة
اليه ولهذا قال بعض الحكما لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله تعالى
هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله
ولا شك ان في هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في
ابتداء امره يتبتل في جبل حرا ويعتزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان ببدنه
مع الخلق وبقلبه مقبل على الله عز وجل حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر رضي الله عنه خليله فاخبر عليه الصلوة
والسلام عن استغراق همته بالله فقال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن
صاحبكم خليل الله • ولن يتسع للخلق الجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله تعالى سرا الا قوة النبوة
فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاولياء به اليه • فقد
نقل عن الجنيد رحمه الله انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم • وهذا انما
يتيسر للمستغرق بحب الله تعالى استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب
الخلق من خالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ه
ملمة تشوش عليه امرا من امر دنياه فقد استغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم

لشدة استغراقه • وامر الاخرة اعظم عند العقلا فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة
بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكما ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة قال ليستدعوا بذلك دوام
الفكر ويثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المغفرة وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك
على الوحدة فقال انا وحدي انا جليس الله عز وجل اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه
صليت • وقيل لبعض الحكما اي شيء افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله عز وجل وقال سفيان
ابن عيينة لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان فقال ما تهنيت
بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن رآني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان
الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك فقال اني وجدت راحة قلبي في مجالسة من عنده
حاجتي • وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا
رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه
فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس قال
امر شغلني عن الناس قال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني
عن الحسن وعن الناس فقال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب ه
فرأيت ان اشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة وبالاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه
عندي من الحسن فالزم ما انت عليه • وقيل بينا اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس
ما جاء بك فقال له احببت لأنس معك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره • وقال
الفضيل اذا رايت الليل اقبل فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهة
لقاء الناس وان يجيء من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخرة
قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الاخرة • وقال ذو النون المصري سرور المومن
ولذته في الخلوة بمناجاة ربه • وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد
قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره • وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله تعالى • ويروى عن بعض
الصالحين انه قال بينا انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما رآني
تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا
الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله
عز وجل ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والف الوحدة والانفراد فلما
نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين
ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري
تزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما
الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذا في الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله تعالى

وفي مثل ذلك قيل • واني لاستغشي وما بي غشية • لعل خيالا منك يلقى خياليا •
واخرج من بين الجلوس لعلني • احدث عنك النفس بالسر خاليا •

ولذلك قال بعض الحكما انما يستوحش انسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة للناس ويطرد الوحشة عن نفسه واذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة • وقد قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس • فاذا هذه فايدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص • ومن تيسر له بدوام الذكر الانس بالله تعالى وبدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله تعالى سبحانه ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفايدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض لها الانسان غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا • اما الغيبة فاذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها فهي طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله عز وجل وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم • واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه في آخر هذا الربع ان شا الله تعالى ومن خالط الناس فلا يخلو من مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله تعالى بسكوته وان انكر تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاصي هي اكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق • وقد قام ابو بكر الصديق رضي الله عنه خطيبا فقال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر ولم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسال العبد حتى يقول له ما منعك اذا رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك للغوايل في الصدور كما قيل •

وكم سقت في آثاركم من نصيحة • وقد يستفيد البغضة المتنصح •

ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مايل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مايلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحايط حتى يحكمه بدعامة استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك • واما الريا فهو الداء العضال الذي يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز عنه فكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهم بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال صلى الله عليه وسلم تجدون من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه • واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال بقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه وذلك نفاق محض قال ابن مسعود ان الرجل منكم يخرج من بيته فيلقى الرجل له اليه حاجة فيقول له انت وانت فيمدحه ولا يحظى من حاجته بشي فيرجع وقد اسخط الله تعالى عليه ما معه من دينه من شي • قال سري لو دخل علي اخ فسويت لحيتي بيدي لدخوله لخشيت ان اكون في ديوان المنافقين • وكان الفضيل يوما جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا علي قال والله هي بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك • وقال بعض العلما ما احب الله عبدا الا احب الا يشعر به • ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لا تخاطبني بامير المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا • فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة • وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال اصبحت لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني • وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفا مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا • وكان ابو الدردا اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار • وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكر ذا الى ذا واذم ذا الى ذا واحمد ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا • وقيل لاويس القرني كيف اصبحت قال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي • وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد • وقيل لبعض الحكما كيف اصبحت قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي • وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس • وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت فقال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة • وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله تعالى فيه • وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك قال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة • وقيل لحسان بن ابي سنان ما حالك فقال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب

وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين
منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده
غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا • وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سؤاله من غير اهتمام بامره
فيكون به مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله عز وجل وان سالوا
عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا
لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الان اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن
الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق • واية
ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الاخر كيف انت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل
بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد
والالسنة تنطلق بالسؤال وقال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذ سلمت والله القلوب فاما
الان كيف اصبحت عافاك الله كيف اصبحت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة فان شاءوا
غضبوا علينا وان شاءوا لا • وانما قالوا ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة قال رجل لابي بكر
ابن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال انما حدث ذلك في زمان الطاعون
الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من
الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت • والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن انواع
من التصنع والرياء والنفاق وكان ذلك مذموم بعضه وبعضه محذور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص
من ذلك فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لاذايه فيذهب
دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم • واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم
فهو داء دفين قل ما ينتبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا
عليه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد والاستثقال له اذ
يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه فانما الوازع عنه شدة
وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل
اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر
الى الاغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح
اليه من النعم الجليلة فكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره عن ملاحظة
احوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار
والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا ولا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال ٥
واستتماما للاقتداء • ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله تعالى واقبالهم
على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك

ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله
عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة • وانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله تعالى وليس ينزل عند الذكر عين ذلك
ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة في القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف مما هو ملابس له من
القصور والتقصير • ومبدأ الرحمة هو فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر احوال
الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نظمه وهو ان ذكر الفاسقين
تنزل اللعنة ولان كثرة ذكرهم يهون على الطبع كثرة المعاصي واللعنة هو البعد من الله تعالى ومبدأ البعد من الله
تعالى هي المعاصي والاعراض عن الله تعالى بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع
ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدأ سقوط ذلك وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان
هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح يعلق بالثوب ولا يشعر بها فكذلك
يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك
ان لم يهب لك منه تجد ريحه • ولهذا نقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احداهما انها غيبة
والثانية وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على السامعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الاقدام
عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف
يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم
ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على
حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة لم يتنزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه
بقتال علي ومعاوية رضي الله عنهما ويخمن في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد
الخطا يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن
الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكايد
الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المراغمين للشيطان فيها بقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا فقال مثل الذي يجلس يسمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يسمع كمثل رجل
اتى راعيا فقال له يا راعي اجزر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة منها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم
وكل من ينقل هفوات الائمة فهذا مثاله ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان
اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وهم
يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلاة يقتضي تركها
الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ذلك لا سبب له الا ان الصلاة تتكرر
والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا حريرا او خاتما من
ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو

اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع
الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها • فتفطن لهذه الدقايق واحترز
من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة وتهون
عليك المعصية وتضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله رؤيته وسيرته فالزمه ولا
تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانه غنيمة العاقل وضالة المومن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان
الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت بطبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته
لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالخلطة واياك ان تحكم مطلقا عن العزلة او
الخلطة بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول عنه بلا اونعم خلف من القول محض ولا حق في المفصل
الا بالتفصيل **الفايدة الثالثة** الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها
والتعرض لاخطارها وقل ما يخلوا البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة من ذلك
قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت
عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما تامرني فقال صلى الله عليه وسلم الزم
بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة
وروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال
ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن • وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال سياتي على الناس زمان
لا يسلم لذي دين دينه الا من يفر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي
يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك
الزمان حلت العزوبة قيل وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزوج قال عليه الصلاة والسلام اذا كان ذلك
الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته
قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده
ذلك موارد الهلكة • وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغني المتاهل عن
المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان ولقد كان هذا
باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة • وقال ابن مسعود ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فما تامرني ان ادركت
ذلك الزمان قال عليه الصلاة والسلام كف نفسك ويدك وادخل دارك قلت يا رسول الله ان دخل على داري
قال فادخل بيتك قلت فان دخل على بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله
حتى تموت • وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معاوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان
ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمومن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبيناهم
كذلك يمشون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين واخذوا

فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم الطريق ذات الشمال فتاهوا وضلوا واناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح
وتبين الطريق فغدوا • وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد مفارقتها وزوالها • وعن ابن عمر رضي
الله عنهما انه لما بلغه ان الحسين عليه السلام توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلثة ايام فقال له اين تريد
قال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا ايمانهم فابى فقال
اني محدثك حديثا ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا
وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي هو
خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل • وكان في الصحابة رضي الله عنهم
عشرة آلاف فما حف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا • وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال
فساد الزمان وحيف الايمة • ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه ولم يخرج فقيل له لزمت القصر وتركت
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم
عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية • فاذا الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احد فوايد العزلة
الفايدة الرابعة الخلاص من شرار الناس فانهم يوذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة
ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب فربما يرون منك من الاعمال
والاقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم ليدخرونها لوقت يظهر فرصة للشر فاذا
اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكما لعبده اعلمك بيتا خير من عشرة
الاف درهم فقال ما هما قال • اخفض الصوت ان نطقت بليل • والتفت بالنهار قبل المقال •
• ليس للقول رجعة حين يبدوا • بقبيح يكون او بجمال •
ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه
يستعد لمعاداته ولنصب المكيدة عليه وله ولتدسيس غايلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر
يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على امور يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها والميل اليها • قال المتنبي
• اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه • وصدق ما يعتاده من توهم •
• وعادى محبيه بقول عداته • واصبح في ليل من الشك مظلم •
وقيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار • وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه وممن
يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرنا اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها ولهذا
اشار اكثر من اختار العزلة • وقال ابو الدرداء اخبر تقله • وقال الشاعر
• من حمد الناس ولم يبلهم • ثم بلاهم ذم من يحمد •
• وصار بالوحدة مستانسا • يوحشه الاقرب والابعد •
وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرين السوء • وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة فقال ما بقي

فيها الاحاسد لنعمة او فرح بنقمة • وقال ابن السماك كتب الينا صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى
بهم فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد • وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه
ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد
ذلك فقال هو زهدني في الندماء • وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم
من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليس امتع من دفتر • وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من
اولياء الله تعالى فقال بلغني انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله
تعالى اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه • وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهي
بقاء الستر على الدين والمروة والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف • وقال الشاعر

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة • ولكن عارا ان يزول التجمل •

ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى
السلامة مع انكشافها • وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك له والناس اليوم شوك لا ورق فيه •
واذا كان هذا حكم زمانه وهو في آخر القرن الاول فلا ينبغي ان تشك في ان الاخير شر • وقال سفيان بن
عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد مماته اقلل من معرفة الناس فان التخلص
منهم شديد ولا احسب رايت ما اكره الا ممن عرفت • وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده
واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس
السوء • وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر • وهذه الاشارة الى
مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء • وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا
دبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه • وقال بعضهم اقلل من المعارف فانه اسلم لدينك
وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع • وقال بعضهم
انكر من تعرف ولا تعرف من لا تعرف **الفائدة الخامسة** ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك
عن الناس فاما انقطاع طمع الناس عنك ففيه كل الجدوى فان رضى الناس غاية لا تدرك واشتغال المرء
بنفسه وباصلاح نفسه اولى • ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة المرضى وحضور الولائم والاملاكات
وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عوائق ويستقبل فيها معاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار
فيقولون قمت في حق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة وقد قيل ان من لم يعد
مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه
كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له شغل
يشغله في دين او دنيا • قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء • وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب •

فان الداء اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب •

وقال الشافعي رضي الله عنه اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام • واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا
فائدة جزيلة فان من نظر الى هذه الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة
في اكثر الاطماع فيتأذى بها ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال تعالى ولا
تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم • وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى
من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم • وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما
مما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت • وحكي ان المزني رحمه الله خرج
من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان فقيرا مقلا • فالذي هو في بيته لا يبتلى بهذه الفتن فان
من شاهد زينة الحياة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر
او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات
فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له واما في الآخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك
قال ابن الاعرابي • اذا كان باب الذل من جانب الغنى • سموت الى العلى من جانب الفقر • اشار الى ان الطمع يوجب
في الحال ذلا **الفائدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان
رؤية الثقيل هو العمى الاصغر • قيل للاعمش مم عمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء • وحكي انه دخل
عليه ابو حنيفة رحمه الله فقال له في الخبر ان من سلبه الله كريمتيه عوضه الله عنهما خيرا منهما فما الذي عوضك
فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما ما هو خير منهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم • وقال ابن سيرين
سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشي علي • وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء •
وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني اثقل علي من الجانب الآخر وهذه
الفوائد ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تاذى
برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله تعالى واذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او
نميمة او غير ذلك لم يصبر على مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم

باب المخالطة وآفات العزلة

اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من المؤانسة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة وكل
ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة والدواعي اليها ما هي
وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب والتادب والايناس والاستيناس ونيل الثواب وانالته
في القيام بالحقوق والاعتقاد واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها
فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبعة **الفائدة الاولى** التعليم والتعلم وقد ذكرنا
فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وفي

بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا
يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل
فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل • ومن اعتزل قبل التعلم فهو
في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله
بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله تعالى
وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو
يرى نفسه من العباد • والعلم هو اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة
ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا
خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب يضاعف لا محالة مرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم
واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار
بالاصحاب والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم • وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل
ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا يطلب الا الكلام المزخرف يستميل به العوام
في معرض الوعظ او الجدال المعقد يتوصل به الى افحام الاقران فيتقرب به الى السلطان ويستعمله في معرض
المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال
وتولية الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعراض والاعتزال عنهم فان صودف
طالب منهم لله تعالى ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في
بلد كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف فلا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم
ان يكون الا لله • وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله تعالى فانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم
ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين عنها او زاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي
اشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم فان
فيها التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله تعالى فان لم يؤثر في الحال اثر في المآل • فاما الكلام
والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه في
الدنيا الى الله تعالى بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذه الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة
في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان يتجزر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله تعالى وبالترغيب في الآخرة
والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا خلاف ولا
في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان به نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد حالا من الجاهل المغرور
او المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه
تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال صلى الله عليه
وسلم ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الحديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني اشتهي

ان احدث

ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من الدنيا واذا قال
الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا
قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث • ولذلك قال ابو سليمان الداراني من طلب الحديث او تزوج او اشتغل
بالسفر فقد ركن الى الدنيا • وهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالعزلة هو الحزم
وترك الاستكثار من الاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه او بتعليمه فالصواب له ان كان
عاقلا في مثل هذا الزمان ان يترك ذلك فلقد صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك
والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت
عنهم ثلبوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة
فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم
ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا
واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم
وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا
ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة • فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق
فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكانه يهدي تحفة اليهم
ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف اليهم ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم ان المدرس المسكين
قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة
الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه
ويسترذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده اليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه
ان سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل
والقيام في معاذير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه
ثوران الاساود والآساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه في العقبى
والعجب انه مع هذا البلاء كله يمنيه نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول له لا تفتر عن
صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشر علم
دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله تعالى واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح
فاي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى
تأمل ان الفساد لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال
والحرام فيلحظهم اعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك
قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسدت الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور
والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء • **الفائدة الثانية** النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس

فبالكسب فى المعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع فى جهاد من
المخالطة ان طلب موافقة الشرع فى ذلك كما ذكرنا فى كتاب الكسب وان كان معه ما لو اكتفى به قانعا لاقنعه
فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق المكاسب فى الاكثر الا من المعاصى الا ان يكون غرضه الصدقة فاذا اكتسب
من وجهه وتصدق فهو افضل له من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقيق فى معرفة
الله تعالى ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد لذكر الله تعالى اعنى من حصل
له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه
فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففى النهوض بقضاء حوايج المسلمين ثواب لا ينال ذلك الا بالمخالطة ومن قدر
عليها مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل فى عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال
البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة **الفايدة الثالثة** التاديب والتادب
ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة بتحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات فهى من الفوايد
التى تستفاد بالمخالطة فهو افضل من العزلة فى حق من لم يتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهوته
ولهذا انتدب خدام الصوفية فى الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس
واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمتهم الى الله تعالى كان هذا هو المبدا فى الاعصار الخالية والان فقد
خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك القانون كما مال سائر شعائر الدين فصار يطلب للتوسع بالخدمة التكبر بالاستتباع
والتدرج الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذا فالعزلة خير من ذلك ولو الى القبر وان
كانت النية رياضة النفس فهو خير من العزلة فى حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه فى بداية الارادة فبعد
حصول الارتياض ينبغى ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع به
المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الاخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها
جمحت به فى الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمره بدابة يروضها ولم يركبها ولا يستفيد منها
الا الخلاص فى الحال من عضها ورفسها ورمحها وهى لعمرى فايدة مقصودة ولكن مثلها حاصل فى البهيمة الميتة
والدابة انما تراد لفايدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من الم الشهوات فى الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغى
ان يقنع بها كالراهب الذى قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب حبست نفسى حتى لا اعقر الناس
وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغى ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه لم يعقر الناس ايضا بل ينبغى ان
يتشوف الى الغاية والمقصودة بها ومن فهم ذلك اهتدى الى الطريق وقدر على السلوك واستبان له ان العزلة
اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة له اخرى واما التاديب فانما نعنى به ان يروض
غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق
اليه من دقايق الافات والريا ما يتطرق

الى نشر العلم الا ان تخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك يرى فيهم
قلة وفى طلبة العلم كثرة فينبغى ان يقيس ما يتيسر له مع الخلوة بما يتيسر له مع المخالطة وتهذيب القوم ويقابل
احدهما بالاخر وليوثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه
مطلقا بنفى ولا اثبات **الفايدة الرابعة** الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات
ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس فى الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بموانسة من لا يجوز
موانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس فى مشاهدة احواله واقواله
فى الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح
القلب لتهييج دواعى النشاط فى العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان فى الوحدة وحشة وفى
المجالسة انس يروح القلب فهى اولى اذ الرفق فى العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يمل حتى تملوا ٭ وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق على الدوام ما لم تروح وفى تكليفها
الملازمة الملل تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق داب المستبصرين
ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة ادخلت بلادا لا انيس
بها وهل يفسد الناس الا الناس ٭ فلا يستغنى المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم
والليلة ساعة فليجتهد فى طلب من لا يفسد فى ساعته تلك عليه سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم
المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ٭ وليحرص ان يكون حديثه وقت اللقا فى امور الدين وحكاية احوال
القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد وفى ذلك متنفس ومستروح للنفس وفيه
مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا تنقطع شكواه ولو انه عمر اعمارا طويلة والراضى عن نفسه
مغرور قطعا فهذا النوع من الاستيناس فى بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة فى حق بعض الاشخاص
فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم ليجالس **الفايدة الخامسة** فى نيل الثواب وانالته
اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعات
ايضا فى سائر الصلوات فلا رخصة فى تركه الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد
عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك فى حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور
على قلب مسلم ٭ واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه فى المصايب ويهنوه على النعم فانهم
ينالون به ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم فى الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه
فينبغى ان يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التى ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة
وقد حكى عن جماعة من السلف مثل ذلك وغيرهم ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل
كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا
للعبادة وفرارا من الشواغل **الفايدة السادسة** من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات
ولا يقدر عليه فى الوحدة وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة فقد روى فى الاسرائيليات ان حكيما من

الحكما عسف ثلثمائة وستين مصحفا فى الحكمة حتى ظن انه نال عند الله منزلة فاوحى الله تعالى الى نبيه قل لفلان
انك قد ملأت الارض نفاقا وانى لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد فى سرب تحت الارض وقال الآن بلغت
رضا ربى فاوحى الله الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضاى قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم
وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى فى الاسواق معهم فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له الآن بلغت رضاى
فكم من معتزل فى بيته وباعثه التكبر ومانعه من المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم
ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه ٥
الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا عن مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس فى زهده وتعبده
من غير استغراق وقت فى العبادة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ويفرحون بتقرب العوام
والسلاطين اليهم واجتماعهم على ابوابهم وطرقهم وتقبيلهم يدهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال
بنفسه هو الذى يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث
قال وهل جئتنى الا لتتزين لى واتزين لك • وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذى زاره حاجتى ان لا اراك ولا
ترانى • فمن ليس مشغولا عن نفسه بذكر الله تعالى فاعتزاله عن الناس سببه اشتغاله بالناس لان قلبه تجرد
للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة لهذا السبب جهل من امور احدها ان التواضع ٥
والمخالطة لا يضع من منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان على رضى الله عنه يحمل التمر والملح فى ثوبه
ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله • وكان ابو هريرة وحذيفة وابى وابن مسعود
رضى الله عنهم يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على ظهورهم • وكان ابو هريرة يقول وهو وال والحطب
على راسه طرقوا للامير كم • وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشترى الشئ فيحمله الى بيته بنفسه فيقول
له صاحبه اعطنى احمله فيقول صلى الله عليه وسلم صاحب المتاع احق بحمله • وكان الحسين بن على رضى الله عنهما
يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان رضى الله عنه يجلس على الطريق
وياكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المتكبرين **الوجه الثانى:** ان الذى يشغل نفسه بطلب
رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنوا عنه من الله شيئا
وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه
واسخط عليه الناس بل رضى الناس غاية لا تدرك فرضى الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعى رحمه الله
ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله ٥
ولذلك قيل • من راقب الناس مات غما • وفاز باللذة الجسور • ونظر سهيل الى واحد من اصحابه
وقال له اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد
حقيقة هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس من عينه ولا يرى فى الدنيا الا خالقه وان
احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالى باى حال يرونه • وقال الشافعى
رحمه الله ما من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن من اهل طاعة الله عز وجل • وقيل للحسن يا ابا سعيد

ان قوما يحضرون مجالسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك فى السؤال فتبسم ثم قال للقايل هون
على نفسك فانى حدثت نفسى بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لانى
قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومميتهم ومحييهم لم يسلم منهم • وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عنى السنة
الناس فقال تعالى هذا شئ لم اصطفه لنفسى فكيف اصنعه بك • واوحى الله تعالى الى العزير عليه السلام ان لم
تطب نفسا بان اجعلك علكا فى افواه الماضغين لم اكتبك عندى من المتواضعين • فاذا من حبس نفسه فى البيت
لحسن اعتقادات الناس واقوالهم فيه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذا لا
يستحب العزلة الا لمن يستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته
وكثرت افاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوايل خفية فى اختيار العزلة ينبغى ان تتقى فانها مهلكات فى
صور منجيات **الفايدة السابعة** التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجارى احوالهم والعقل الغريزى
ليس كافيا فى تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما يفيدها التجربة والممارسة ولا خير فى عزلة من لم تحنكه
التجارب فالصبى اذا اعتزل بقى غمرا جاهلا بل ينبغى ان يشتغل بالتعلم ويحصل له فى مدة التعلم ما يحتاج
اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب
ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه فى الخلوة فان كان تجرد بالتخلى تيسر وكل
غضوب او حقود او حسود اذا خلا ونفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكة فى نفسها يجب
اماطتها وقهرها ولا يكفى تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلى
بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمدة ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصره فان
لم يكن معه من يحركه وربما يظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل فى نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك
او اصابه مشرط حجام لانفجر منه القيح وفار فوران المحتبس المختنق اذا حبس عند الاسترسال فكذلك القلب
المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وساير الاخلاق الذميمة انما تتفجر منه خبائثه اذا حرك وعن
هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان منهم يستشعر فى نفسه
كبرا كان يحمل قربة من ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد فى الاسواق ليجرب به نفسه
فان غوايل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك **حكى** عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلثين
سنة مع انى كنت اصليها فى الصف الاول ولكنى تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا فى الصف الاول فقمت
فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس الى وقد سبقت بالصف الاول فعلمت ان جميع صلاتى
كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الى ورؤيتهم اياى فى زمرة السابقين الى الخير • والمخالطة
لها فايدة ظاهرة فى استخراج الخبائث ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دايمة
وسياتى غوايل هذه المعانى ودقايقها فى ربع المهلكات فان الجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكوا
العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلاة ولا يراد الا للصلاة
افضل من الصلاة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العا

حتى قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي • فمعنى تفضيل العلم يرجع
الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اى تعدى فايدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد بها
العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث
بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط
له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم
والعمل الصالح كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا
الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة وغوايلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل
نفيا واثباتا خطا بل ينبغى ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى
الفايت بسبب مخالطته من هذه الفوايد المذكورة ويقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح
الافضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة
والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فكذلك يجب الاعتدال فى المخالطة
والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوايد والافات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح
وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها لا يجوز ان يحكم بها على غيره
المخالف له فى الحال والفرق بين العالم والصوفى فى ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفى لا يتكلم الا
عن حاله فلا جرم ان تختلف اجوبتهم فى المسايل والعالم هو الذى يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال
نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصر ولذلك سيل
الصوفية عن الفقر فما من واحد الا اجاب بجواب سوى جواب الاخر وكان ذلك حقا بالاضافة الى حاله وليس
حقا فى نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلا وقد سيل عن الفقر فقال اضرب بكميك
الحايط وقل ربى الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذى لا يسال ولا يعارض وان عورض سكت وقال سهل
بن عبد الله الفقير الذى لا يسال ولا يدخر وقال اخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك من حيث لم
يكن لك لم يكن لك وقال ابرهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سيل منهم مايه
لسمع منهم مايه جواب مختلفة قل ما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب
على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما فى التصوف ويثنى عليه بل كل واحد منهم
يدعى انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التى تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون
الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطا ورفع الاختلاف ومثال
نظر هولاء ما رايت من نظر قوم فى ادلة الزوال بالنظر فى الظل فقال بعضهم هو فى الصيف قدمان وحكى عن
اخر انه نصف قدم واخر يرد عليه ويقول انه فى الشتا سبعة اقدام وحكى عن اخر انه خمسة اقدام واخر يرد
عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هولاء اخبر عن الظل الذى راه ببلد نفسه
فصدق فى قوله واخطا فى تخطيه صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفى لا يحكم

على العالم

على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذى يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة فى بلاد مختلفة ويقول فى بعضها لا يبقى ظل وفى بعضها يطول وفى بعضها
يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة • فان قلت فمن آثر العزلة وراها افضل له
واسلم فما آدابه فى العزلة • فنقول انما يطول النظر فى آداب المخالطة وقد ذكرناها فى كتاب آداب الصحبة
واما آداب العزلة فلا تطول فينبغى للمعتزل ان ينوى بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة
من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة
الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة
وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغا
الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى اثنا الصلاة
او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار فى السمع كوقوع البذر فى الارض فلا بد ان ينبت وتتفرع
عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله
تعالى والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس
واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقى من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغا الى ما يقال فيه
من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يورث فى القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال
القلب به لا بد ان يكون واقفا عن سيره فى طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب
واما بالفكر فى جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سماواته وارضه واما بالتامل فى دقايق الاعمال
ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والاصغا الى جميع ذلك مما يشوش
القلب فى الحال وقد يتجدد ذكره فى دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح
ليستريح نفسه اليه فى اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيها عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر على
العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه
عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسى ويمسى على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه الصبر عشرين
سنة لو قدر تراخى الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من
لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت فان من انس بذكر الله
ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل
الله تعالى عليه ورحمته كما قال سبحانه عن الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند
ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله • وكل متجرد لله تعالى فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت
فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد
النفس كما قالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • تم كتاب
العزلة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آداب السفر والحمد لله وحده

كتاب آداب السفر

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذى فتح بصاير اوليايه بالحكم والعبر • واستخلص هممهم لمشاهدة عجايب صنعه فى الحضر والسفر • فاصبحوا راضين بمجارى القدر • منزهين قلوبهم عن التلفت الى منتزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح فى مسارح النظر ومجارى الفكر • فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر • والصلاة على محمد سيد البشر • وعلى اله واصحابه المقتفين لاثاره فى الاخلاق والسير وسلم كثيرا **اما بعد** فان السفر وسيلة الى الخلاص من مهروب عنه او الوصول الى مرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحارى والفلوات • وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات • واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التى نشا عليها عقيب الولادة • الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الاباء والاجداد • لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء عرضه السموات والارض ظلمة الرمس وضيق الحبس • ولم ار فى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام • الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه فى خطر خطير • لم يستغن فيه عن دليل وخفير • فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل • واقناع السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل • اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق • وخلا عن الطايفين متنزهات الانفس والملكوت والافاق • واليه دعا الله عز وجل بقوله تعالى سنريهم آياتنا فى الافاق • وبقوله تعالى وفى الارض آيات للموقنين • وفى انفسكم افلا تبصرون • وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين • وبالليل افلا تعقلون • وبقوله تعالى وكاين من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون • فمن تيسر له هذا السفر لم يزل فى سيره متنزها فى جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر فى الوطن وهو السفر الذى لا تضيق فيه المناهل والموارد • ولا يضر فيه التزاحم والتوارد • بل تزيد بكثرة المسافرين غنايمه • وتتضاعف ثمراته وفوايده • فغنايمه دايمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة • الا اذا بدت للمسافر فترة فى سفره • ووقفة فى حركته • فان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان فى هذا الميدان والطواف فى متنزهات هذا البستان • ربما سافر بظاهر بدنه فى مدة مديدة • فراسخ عديدة • مغتنما بها تجارة الدنيا او ذخيرة الاخرة فان كان مطلبه العلم والدين • او الكفاية للاستعانة على الدين • كان من سالكى سبيل الاخرة وكان له فى سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واشياع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوايد تلحقه بعمال الاخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه فى بابين ان شاء الله تبارك وتعالى ه

الباب الاول

فى الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفى نية السفر وفايدته وفيه فصلان **الفصل الاول**

فى فوايد السفر وفضله ونيته • اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوايد وله آفات كما ذكرناه فى كتاب آداب الصحبة والعزلة والفوايد الباعثة على السفر لا تخلوا من هرب وطلب فان المسافر لا يخلوا اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية فى الامور الدنيوية كالطاعون والوبا اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة وخصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذية فى بلد فيهرب منها واما امر له نكاية فى الدين كمن ابتلى فى بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيوثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب منه فهو اما دنياوى كالمال والجاه او دينى والدينى اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاق نفسه وصفاتها على سبيل التجربة واما علم بايات الارض وعجايبها كسفر ذى القرنين وطوافه فى نواحى الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هى الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان مكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاوليا والعلما وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احيا فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة فى الاقتداء بهم فهذه من اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام **القسم الاول** السفر فى طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية واما علم باخلاقه فى نفسه او علم بايات الله فى ارضه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته فى طلب علم فهو فى سبيل الله عز وجل حتى يرجع • وفى خبر اخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام فى طلب الحديث الواحد وقال الشعبى لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى ما كان سفره ضايعا • ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا فى حديث بلغهم عن عبد الله بن انيس الانصارى يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه • وقل مذكور فى العلم محصل له من زمان الصحابة رضى الله عنهم الى زماننا هذا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله • واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الاخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبايث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذى يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله الخبء فى السموات والارض وانما سمى السفر سفرا لانه يسفر عن مكارم الاخلاق ولذلك قال عمر رضى الله عنه للذى زكى عنده بعض الشهود هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه • وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا ساح طاب واذا طال مقامه فى موضع تغير • وبالجملة فالنفس فى الوطن مع مواتاة الاسباب لا يظهر خبايث اخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من المالوفات المعهودة فاذا احتملت وعثاء السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوايلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا فى كتاب العزلة فوايد المخالطة والسفر مخالطة

مع زيادة اشغال واحتمال مشاق • واما ايات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوايد للمستبصرين ففيها قطع
متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوانات والنبات وما من شيء منها الا وهو شاهد
لله تعالى بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد • واما الجاحدون والغافلون
والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن ايات
الله محجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون • وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان
الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن فان السمع الظاهر لا يدرك به الا الاصوات
ويشارك فيه للانسان جميع الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق
المقال يشبه قول القايل حكاية لكلام الوتد والحايط قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم
يتركني فان الحجر الذي وراءي لم يتركني وراء الحجر الذي ورائي • وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع
شهادات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون
تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة
لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير
ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسمع كلام الله الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات
ومن سافر ليستقري هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات لم يطل
سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من احاد الذرات فما له وللتردد
في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات والارض فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصاير
مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دايبة بالحركة على توالي الاوقات فمن الغرايب ان يدأب في الطواف
باحاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرايب ان تطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار
السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل
الاول من منازل السايرين الى الله تعالى والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به
المسير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن او القصور ولذلك قال بعض
ارباب القلوب ان الناس يقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غضوا اعينكم حتى تبصروا • وكل
واحد من القولين حق الا ان القايل الاول اخبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني اخبر عما بعده من
المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطأها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما
ياخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء السبيل • والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطريق
ولكن السايحين السالكين بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى
واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد
ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب •
واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام • وما اودع الله تعالى العز والملك في الدين والدنيا

الافي

الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر •
• يرى الجبناء ان الجبن حزم • وتلك خديعة الطبع اللئيم •
فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة ايات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا بصدده
ولنبين **القسم الثاني** وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج فقد ذكرنا فضل ذلك واداب
واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وزيارة قبور الصحابة
والتابعين وساير العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارة قبره بعد وفاته •
ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع منه قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد
المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى • لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا
فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء وبين الاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كانت تتفاوت في الدرجات
تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عز وجل وبالجملة في زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات
والفايدة في زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء الصالحين
عبادة وفيه ايضا تحريك الرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم واداجهم هذا سوى ما ينتظر من الفوايد
العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله تعالى فيه فضل كما ذكرناه
في كتاب اداب الصحبة • وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله تعالى • واما البقاع فلا معنى
لزيارتها سوى المساجد الثلثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب
بركة البقاع الا الى المساجد الثلثة وقد ذكرنا فضل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل
كثير • خرج ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس
ثم كر راجعا من الغد الى المدينة • وقد سال سليمان عليه السلام ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد
لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه
كيوم ولدته امه فاعطاه الله عز وجل ذلك **القسم الثالث** ان يكون السفر للهرب من سبب
مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه
وكثرة العلايق والاسباب • فان ذلك تشويش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله تعالى
فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا
والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي
لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته
فالمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا
يتم مقصوده الا بالعزلة والخمول وقطع العلايق التي لا بد منها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده
الله بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه ويطمين به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب
عنده وجود الاسباب والعلايق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله تعالى وذلك

مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يستعد
بهذه القوة الانبياء عليهم السلام والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب
فيها مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة في ذلك مثال تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء
فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو
اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن
الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا تبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند
اليأس من الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة
الوطن خيفة الفتن قال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهورين •
وهذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري
وقد علق نعليه بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت له الى اين يا ابا عبد الله فقال قد بلغني عن قرية فيها
رخص اريد ان اقيم بها فقلت له وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخصا فاقم بها فانه اسلم
لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر • وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء
فقد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا • وقد كان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من
اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسناتي اسرار
الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى **القسم الرابع** السفر هربا مما يقدح
في البدن كالطاعون او في المال كغلاء السعر او ما يجري مجراه فلا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في
بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابها ولكن يستثنى
منها الطاعون فلا ينبغي له ان يفر منه اذ ورد النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي
الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عائشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن
قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تاخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه
المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف • وعن مكحول عن ام ايمن قال اوصى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك وان امراك
ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج لا تترك الصلاة عمدا فانه من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه
ذمة الله تعالى اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله تعالى لا تفر من الزحف
وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم
اخفهم في الله تعالى • فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم
عليه وسياتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منها ان السفر ينقسم الى

مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج
من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب
اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث
للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نيته الآخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب
والمندوب ومحال في المكروه والمحظور • واما المباح فمهما كان قصده لطلب المال مثلا للتعفف عن
السؤال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال والتصدق بما فضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح
بهذه النية من اعمال الآخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة خرج عن كونه من اعمال الآخرة فقوله
صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات •
فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف ان الله عز وجل قد وكل بالمسافرين
ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كان نيته الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته
اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة اعطي من البصيرة والفطنة
واعطي من التذكرة والعظة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت واما النظر في ان
السفر هو الافضل او الاقامة فذلك يضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا
منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان في السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم
وتشتت القلب في حق الاكثرين • والافضل في هذا ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا
تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر
ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة
على العمل بالعلم في الانتهاء فاما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا في حق الاقوياء
فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله تعالى فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه
وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته فان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع •
والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم يشتغل
بالحط والترحال وهو مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدى
به في سيرته وتستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر
والعمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق
الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا
البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا
الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا
عقولهم وادبانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص
الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقات حكم نافذ ولا تاديب للمسافرين نافع

ولا حجر عليهم فاهم فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة
من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي
آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سوداء تمرة ويتوهمون ان المشاركة في
الظواهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لم يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء
الله فان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من يسافر الى الحج
او عمرة من غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن
والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان العلوم
لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل
غير العلم واما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع الى العمل
بالقلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب للنفس
بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة
بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ ايضا خسيسة
ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتأذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي
تسبيب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج
في البلاد كالبهائم المترددة الى الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الناس
حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت على الصوفية
لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخر وراء الصلاح ومن اقل احوال هؤلاء اكلهم
اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي
كافر وفقيه يهودي وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي ايضا عبارة عن عدل مخصوص فلا يقتصر
عن دينه على القدر الذي تحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم ماله
على سبيل التقرب الى الله تعالى حرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا واعني به لو كان المعطي بحيث لو عرف
بواطن احوالهم ما اعطاهم واخذ الاموال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى فمن زعم انه علوي وهو كاذب واعطاه مسلم ماله
لحبه اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو علم انه كاذب لم يعطه شيئا فاخذه عليه حرام
وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه
عن عورات لو انكشفت للراغبين في مواساته لفترت رغبتهم عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا
بانفسهم مخافة ان يسامحوا لاجل دينهم فيكونون كالبائعين بالدين اذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من
باطنه ما يعلمه الله لم ينقبض ذلك فتورا في رايه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه ان ذلك ممتنع
او عزيز والمغرور الجاهل بنفسه احرى بان يكون جاهلا بامر دينه فان اقرب الاشياء الى قلبه قلبه واذا

التبس

التبس عليه امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من
كسبه ليأمن هذه الغائلة ولا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشفت له عورات باطنه لم يمنعه ذلك
من مواساته فان اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان كنت تعطيني
لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت اني شر
الخلق او من شرارهم فان اعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه
بركاكة الدين وعدم استحلاله لم ياخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو انه ان يقول
ذلك مظهرا انه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم لها بعين المقت والازدراء
فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو المدح والاطراء فكم من ذام نفسه وهو
لها مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود فاما الذم في الملا فهو عين الرياء الا اذا
اورده ايرادا يحصل للمستمع يقينا بانه مقترف للذنوب ومعترف لها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن
الاحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم ان مخادعة الله او مخادعة
لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر
وفضيلته

الفصل الثاني

في آداب السفر للمسافر من اول نهوضه الى آخر رجوعه وهي احد
عشر ادبا **الاول** ان يبدأ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ورد
الودائع ان كانت عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن
عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام
ومن اظهار مكارم الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد
يصلح في الحضر ما لا يصلح في السفر ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا
تشكوا في صلاحه والسفر من اسباب الضجر ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة
الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر
وتمام حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه
الا باعانة بمركوب او زاد او توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح او مطايبة في بعض الاوقات من غير
فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني** ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده
بل الرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين
خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يسافر الرجل وحده وقال صلى الله
عليه وسلم الثلاثة نفر وقال صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك
ويقولون هو امير امره رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا احسنهم خلقا وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى
الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر
ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا في الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما

الهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير واذا كثرت المدبرون فسدت الامور في الحضر
والسفر الا ان مواطن الاقامة لا تخلوا عن امير عام كامير البلد وعن امير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين
له امير الا بالتامير فلهذا وجب التامير لانه يجمع شتات الاراء ثم على الامير ان ينظر لمصلحة القوم وان يجعل
نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال ابو علي ان تكون انت الامير
او انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره فامطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله
طول الليل على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له الله الله لا تفعل يقول لم تقل ان
الامارة مسلمة لك فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل له انت الامير
فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقد قال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وتخصيص الاربعة من
بين سائر الاعداد لابد ان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلوا عن رحل يحتاج الى حفظه
وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها فان كانوا ثلاثة كان المتردد الى الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا
يخلوا عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو
عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذا ما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة
واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة اليه فلا
تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للامن من المخاوف ولكن الاربعة خير الرفاقة الخاصة لا الرفاقة
العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط الى اخر الطريق للاستغناء عنه **الثالث**
ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال لقمان ان الله عز وجل اذا استودع شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك
وخواتيم اعمالك ◆ وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع
اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة ◆ وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث ما توجهت
فهذا دعاء المقيم المودع ◆ وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر اردته فقال الا اعلمك
يا ابن اخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال استودعك الله الذي لا تضيع
ودايعه ◆ وعن انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد سفرا فاوصني فقال له
في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت واينما كنت شك في ذلك
الراوي ◆ وينبغي اذا استودع الله تعالى ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي ان عمر رضي الله عنه
كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر رضي الله عنه ما رايت احدا اشبه باحد من
هذا بك فقال الرجل اخبرك عنه يا امير المؤمنين بامر اني اردت الخروج الى سفر وامه حامل به فقالت تخرج
وتدعني على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث

فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذا من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت
لصوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي
ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه هو اشبه بك من الغراب بالغراب
الرابع ان يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة كما وصفنا في كتاب الصلوة ووقت الخروج يصلي لاجل
السفر فقد روى انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي
فالى اي الثلاثة ادفعها الى ابني او اخي او ابي فقال صلى الله عليه وسلم ما استخلف احد في اهله من خليفة
احب الى الله تعالى من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرا فيهن بفاتحة الكتاب
وقل هو الله احد ويقول اللهم اني تقربت بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهي خليفة في اهله وماله
وحرز حول داره حتى يرجع الى اهله **الخامس** اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول
ولا قوة الا بالله اعوذ بالله ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال اللهم
بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انك انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما
اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر
لي ذنبي ووجهني للخير حيث ما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم
الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ۝ فاذا استوت على الدابة فليقل الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انك انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور ◆ ۝
السادس ان يرحل من المنزل بكرة روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك
وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها ◆ ويستحب ان يبتدي في الخروج يوم الخميس ◆ وروى كعب بن مالك عن
ابيه قال قل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس ◆ وروى انس انه صلى الله عم
قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم السبت ◆ وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية بعثها اول النهار ◆
وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم خميسها ◆ وقال عبد الله بن عباس
اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عم
يقول اللهم بارك لامتي في بكورها ◆ ولا ينبغي ان يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة
واليوم منسوب اليها وكان اوله من اسباب وجوبها ◆ والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكنفه على رحله غدوة او روحة احب الي من الدنيا وما
فيها **السابع** ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون اكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم
بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ◆ ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع
وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب
البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه واصرف عني

مهمة للمسافر
من الادعية المأثورة

شر شرارهم فاذا انزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر
ولا فاجر من شر ما خلق فاذا اجن عليه الليل فليقل يا ارض ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر
ما يدب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد وله ما سكن فى الليل
والنهار وهو السميع العليم • ومهما علا شرفا من الارض فى وقت السير فينبغى ان يقول اللهم لك الشرف على كل شرف
ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملئكة والروح
جللت السموات بالعزة والجبروت **الثامن** ان يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال
او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم • كان صلى الله عليه وسلم اذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش
ذراعه واذا نام فى اخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه على كفه • والغرض من ذلك ان لا يستثقل فى
النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدرى فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما ينوبه فى سفره والمستحب فى الليل
ان يتناوب الرفقا فى الحراسة فاذا نام واحد حرس اخر وهو السنة ومهما قصده عدو او سبع فى ليل او نهار
فليقرا اية الكرسى وشهد الله وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبى
الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتى بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبى الله وكفى سمع
الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز تحصنت
بالله العظيم واستعنت بالحى القيوم الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى
لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك
واماءك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين **التاسع** ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا
تطيق ولا يضرب فى وجهها فان ذلك منهى عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتاذى به الدابة وكان
اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهورها كراسى
ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فذلك سنة وفيه اثار عن السلف • كان بعض
السلف يكترى بشرط ان لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع فى ميزان
حسناته لا فى ميزان المكارى ومن اذى البهيمة بضرب وحمل ما لا تطيق طولب به يوم القيمة اذ فى كل كبد
حرى اجر وقال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم اكن احملك فوق طاقتك
وفى النزول ساعة صدقتان احداهما ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب المكارى وفيه فائدة اخرى
وهى رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من تخدر الاعصاب بطول الركوب وينبغى ان يبين للمكارى ما
يحمله شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستاجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذى القلب ويحصل الزيادة
فى الكلام فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكارى ولا ينبغى ان يحمل
فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه قال رجل لابن المبارك
وهو على دابته احمل لى هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استاذن المكارى فانى لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر
كيف لم يلتفت الى قول الفقها لان هذا مما يسامح به لكنه سلك طريق الورع **العاشر** ينبغى ان يستصحب

ستة اشيا قالت عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر حمل معه خمسة اشياء المراة
والسواك والمدرى والمكحلة والمشط وفى رواية اخرى لعايشة رضى الله عنها ستة اشيا المراة والقارورة والمقراض
والسواك والمكحلة والمشط وقالت ام سعيد الانصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه فى السفر
المراة والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد فى
النظر وينبت الشعر • وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه اكتحل لليمنى ثلثا ولليسرى اثنين • وقد زاد الصوفية
الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه • وانما زادوا هذا لما
راوه من الاحتياط فى طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول
ولنزح الماء وكان الاولون يكتفون بالتيمم ويغفون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن
المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضا عمر رضى الله عنه يوما من جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض والجدار
عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما
تصادم السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط فى الدين فمستحسن وقد ذكرنا احكام المبالغة فى الطهارات
فى كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغى ان يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط فى الطهارة ما لا يمنعه ذلك
من عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه اربعة اشيا فى السفر والحضر الركوة والحبل
والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا **الحادى عشر** فى اداب الرجوع من السفر كان
النبى صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون
لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على المدينة فليقل اللهم اجعل
لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغى ان
يطرقهم ليلا فقد ورد النهى عنه • وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل
البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغى ان يحمل لاهل بيته ولاقاربه تحفة
من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهو سنة وقد روى انه لم يجد شيئا فليضع فى مخلاته حجرا • وكان هذا مبالغة
فى الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتاكد الاستحباب
فى تاكيد فرحهم واظهار التفات القلب فى السفر الى ذكرهم بما يستصحبه فى الطريق لهم فهذه جملة من الاداب
الظاهرة • واما الاداب الباطنة ففى الفصل الاول بيان جملة منها وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة
دينه فى السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغى ان يجاوز همه منزله بل ينزل
حيث ينزل قلبه وينوى فى دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة
او حكمة ينتفع بها لا ليحكى عنه ذلك ويظهر انه لقى المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا
ان يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس فى مدة الاقامة الا الفقرا الصادقين • وان كان قصده زيارة
اخ فلا يزيد على ثلثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته • واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم

عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكما يدخل البلد فلا يشتغل بشيء سوى
زيارة الشيخ بزيارة منزله فاذا كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه الى ان يخرج فاذا خرج تقدم اليه
بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فاذا سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن اولا
واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائهم ولا ذكر اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا
يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع
من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وتلاوة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك
الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع الى ما كان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة
في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما
وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان بحق لظهر اثره ۞ وقال
رجل لابي عثمان المغربي خرج رجل مسافر فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه ۞ واشار
بهذا القول الى ان من ليس له في السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة وليكن سفر المريد من قطع
هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني

فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات ۞ اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى
ان يتزود لدنياه وآخرته ۞ اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا
بلا زاد فلا بأس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم
ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرة ايام مثلا ويقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان
لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا قدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى بيده الى
التهلكة ولهذا سر سيأتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك
لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله له ملكا او شخصا آخر حتى يصب
الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المطعوم
والمشروب حيث لا ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسيأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه ملتبس
الا على المحققين من علماء الدين ۞ واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلاته
وعبادته فلا بد ان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر
كالقصر والجمع والفطر وذلك كانت تلزمه وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم
بالقبلة واوقات الصلاة فانه في البلد يكتفي بغيره في محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج
الى ان يتعرف بنفسه فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين **القسم الاول** العلم برخصة السفر
والسفر يفيد في الطهارات رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل
رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع رخص **الرخصة**

الاولى المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين ان لا ننزع
خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن ۞ فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم احدث فله ان يمسح على خفيه من وقت
حدثه ثلاثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا ويوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شروط ۞ الاول ان يكون اللبس
بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز له المسح عند
الشافعي رضي الله عنه حتى ينزع خف اليمنى ويعيد لبسه ۞ الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح
على الجورب وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد عليه في المنازل لانه فيه قوة على الجملة بخلاف جورب
الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف ۞ الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق
فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه وللشافعي رحمه الله قول قديم انه يجوز ما دام يستمسك
على الرجل وهو مذهب مالك ولا بأس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت ۞ والمداس
المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل
الشق بشراج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا استتر
بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه ۞ الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزعه
فالاولى استئناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز ۞ الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل الفرض لا
على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلاثة اصابع خرج من شبهة الخلاف واكمله
ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ان يبل اليدين
ويضع رؤوس اصابع اليد اليمنى على رؤوس اصابع الرجل اليمنى ويمسحهما بان يجر اصابعه الى جهة نفسه ويضع
رؤوس اصابع يده اليسرى على عقبه من اسفل الخف ويمدها الى راس القدم ۞ ومهما مسح مقيما ثم سافر او
مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة ۞ وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه
بعد المسح على الخف في السفر فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا
مسح ثلاثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن
له ان يصلي الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستأنف الحساب
من وقت الحدث ۞ ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة
قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيم
ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية او عقرب او شوكة
فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فنزل طائر فاحتمل الآخر
ثم رمى به فخرجت منه حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى
ينفضهما **الرخصة الثانية التيمم** والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا
عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل
في ترددهم لقضاء الحاجة بالتردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا

وكذا ان احتيج اليه لعطشه فی يومه او بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه
لعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله اما بثمن او بغير ثمن • ولو كان يحتاج اليه لطبخ مرقة او
لحم او لبل فتيت كعك يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه ان يجتزى بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة
ومهما وهب له الماء وجب قبوله وان وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزم
الشرا وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز
الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى الرحل وطلب البقايا من الاوانى والمطاهر فان نسى الماء فی رحله
او نسى بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره فی الطلب وان علم انه يجد الماء فی آخر الوقت
فالاولى ان يصلى بالتيمم فی اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله • وتيمم ابن عمر فقيل
له اتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها • ومهما وجد الماء بعد الشروع فی الصلوة
لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء واذا وجد قبل الشروع فی الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد
صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه بكفيه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه
ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج اصابعه ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة
واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فی ذلك ذكرناه فی كتاب الطهارة فلا نعيده
ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم واذا اراد الجمع بين الفرضين فعليه ان يعيد
التيمم للصلاة الثانية ولا ينبغى له ان يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فان فعل وجب عليه اعادة التيمم
ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة • ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فاستعمله ثم ليتيمم
بعده تيمما تاما **الرخصة الثالثة** فی الصلاة المفروضة القصر • وله ان يقتصر فی كل واحدة من الظهر
والعصر والعشا على ركعتين ولكن بشروط ثلثة • الاول ان يؤديها فی وقتها فان صارت قضاء فالاظهر لزوم
الاتمام • الثانی ان ينوى القصر فان نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك فی انه نوى القصر والاتمام لزمه
الاتمام • الثالث ان لا يقتدى بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام فان شك فی ان امامه مقيم او مسافر
لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه مسافر لان شعار المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند عقد النيه وان شك فی ان
امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان
فی سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلابد من معرفته والسفر هو الانتقال من
موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهايم وراكب التعاسيف ليس له الرخص وهو الذى لا يقصد
موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خراب البلد وبساتينها التى
قد يخرج اهل البلد اليها للتنزه فاما القرية فللمسافر منها ينبغى ان يجاوز البساتين المحوطة دون التى ليست
بمحوطه ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شى نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك
هو الوطن فله الترخص اذ كان مسافرا بالانزعاج عنها والخروج مرة • واما نهاية السفر فباحد ثلثة امور
الاول الوصول الى العمران من البلد الذى عزم على الاقامة به • الثانی العزم على الاقامة ثلثة ايام فصاعدا

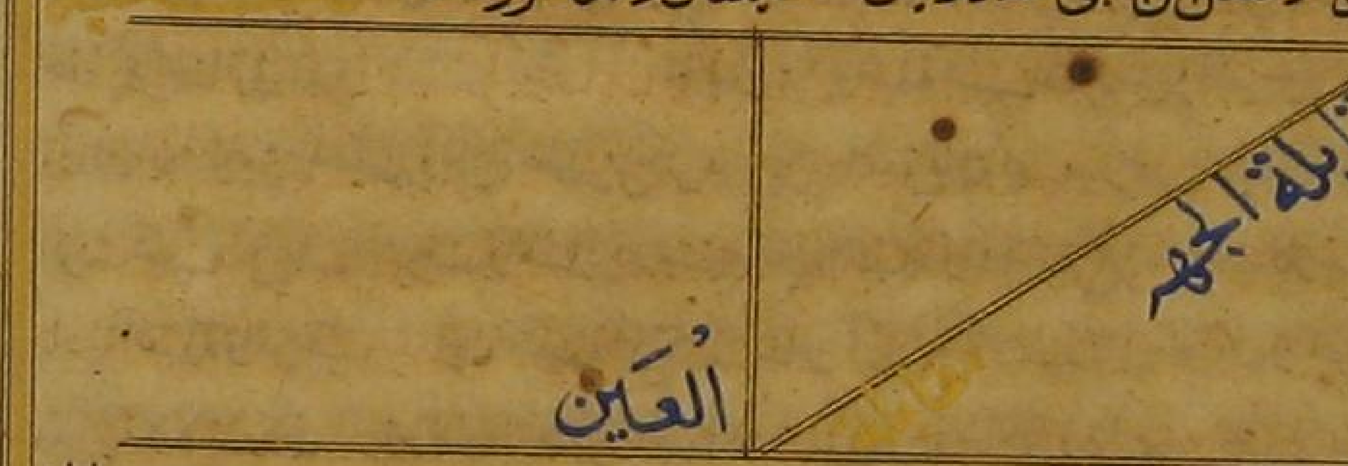
اما فی بلد او صحرى • الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام فی موضع واحد ثلثة ايام سوى يوم الدخول
لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم نجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر
فله ان يترخص وان طالت المدة على اقيس القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة
الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان تطول المدة
او تقصر ولا بين ان يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاءه ثلثة ايام او لغيره فقد ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
فی بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن انه عليه الصلاة والسلام لو تمادى القتال
لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا
هذا معنى القصر واما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال وكل
ميل اربعة الاف خطوة • ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المراة
هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها فی قطع الطريق او قتل
انسان او طلب ادرار مال حرام من سلطان او يسعى بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا فی غرض
والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية
ولا يجوز فيه الترخص • واما الفسق فی السفر كشرب الخمور وغيره لا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه
فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والاخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان
الباعث المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص • والمتصوفة الطوافون فی البلاد
من غير غرض صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة فی ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص **الرخصة
الرابعة** الجمع بين الظهر والعصر فی وقتيهما وبين المغرب والعشا فی وقتيهما فذلك ايضا جائز فی كل سفر طويل
مباح وفی جوازه فی السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر
وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم اولا ان كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان
قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم لصلاة العصر جاز عند المزنى وله وجه فی القياس اذ لا مستند لايجاب
تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة فی العصر فيكفى النية فيها واما الظهر فجار على القانون
ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغى ان يجمع بين سنن الصلاتين اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التى بعد الظهر
يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه لو صلى الراتبة التى للظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وهى واجبة
على وجه واذا اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل الظهر والاربعة المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين
وصلى سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد
الفرض • ولا ينبغى ان يهمل النوافل فی السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما ناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع
عليه وجوز له اداءها على الراحلة كيلا يتعوق عن الرفقة بسببها • وان اخر الظهر الى العصر فيجرى على هذا الترتيب
ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فی الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره فی هذا الوقت وكذلك يفعل
فی المغرب والعشا • والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان

خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع العصر جميعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية
اما بنية الترك او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقتها
اما لنوم او لشغل فله ان يؤدى الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل
عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها لان الاظهر ان وقت الظهر
والعصر صار مشتركا فى السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحايض قضاء الظهر اذا طهرت قبل المغرب وكذلك
ينقدح ان لا تشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم
يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذى جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر
او على تاخيره • وعذر المطر يجوز الجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهى متعلقة بفرايض الصلوات
ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر فى الحضر فعليه اداء العصر وما مضى انما ذلك مجزيا
بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر **الرخصة الخامسة فى التنفل راكبا** وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى على راحلته ايماء اينما توجهت به دابته • واوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة • وليس على المتنفل الراكب
فى الركوع والسجود الا الايماء وينبغى ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض به لخطره
بسبب الدابة فان كان فى مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه **واما** استقبال القبلة فلا يجب لا فى ابتداء
الصلوة ولا فى دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن فى جميع صلاته اما مستقبلا للقبلة او متوجها
فى صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى
القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم يبطل وان طال ففيه اختلاف • وان جمحت به الدابة
فانحرفت فلا تبطل صلاته لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف
ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء **الرخصة السادسة** التنفل للماشى جايز فى السفر ان يومى بالركوع والسجود
ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فايدة الرخصة وحكمه حكم الراكب ولكن ينبغى ان يحرم بالصلاة مستقبلا
للقبلة لان الانحراف فى لحظة لا عسر فيه عليه بخلاف الراكب فان فى تحريف الدابة وان كان العنان بيده نوع
عسر وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك • ولا ينبغى ان يمشى فى نجاسة رطبة تحت رجليه عمدا فان فعل بطلت
صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يشوش المشى على نفسه بالاحتراز من النجاسات
التى لا تخلو عنها الطرقات غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلى الفريضة راكبا او ماشيا كما
ذكرناه فى التنفل **الرخصة السابعة** الفطر وهو فى الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه تمام
ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صايما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية النهار
وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من
الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس فى عهدة القضا بخلاف المفطر فانه فى عهدة القضا وربما يتعذر عليه
ذلك بعايق فيبقى فى ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار افضل فهذه ثمانية رخص يتعلق ثلثة منها
فى السفر الطويل وهو القصر والفطر والمسح ثلثة ايام واثنتان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهو سقوط الجمعة

وسقوط

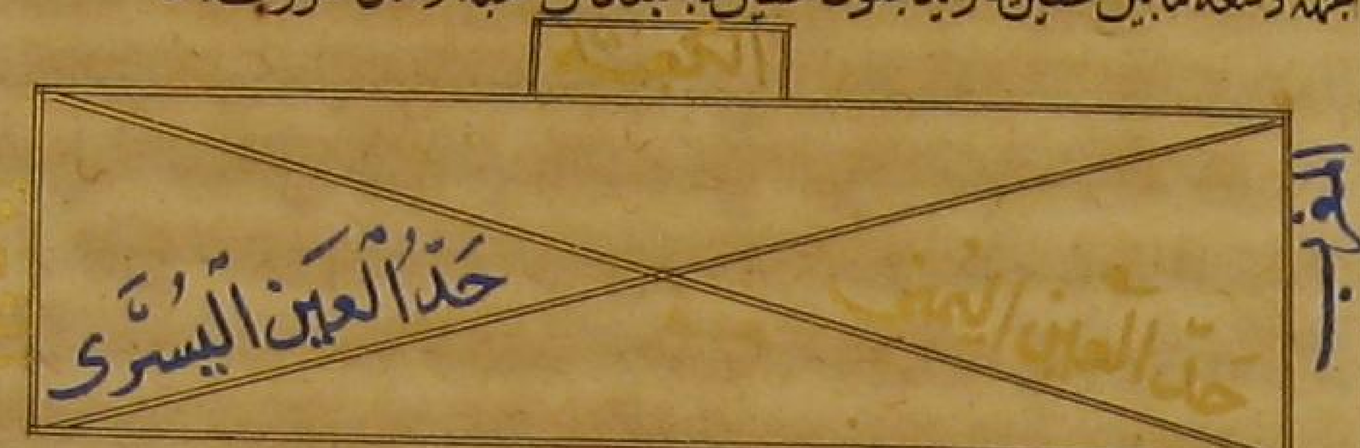
وسقوط القضا عند اداء الصلاة بالتيمم فاما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه وفى القصير
والجمع بين الصلاتين ففيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلاة الفرض راكبا او ماشيا للخوف فلا
يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلاة فى الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيه الحضر والسفر
مهما وجدت اسبابها **فان قلت** فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له فاعلم
انه ان كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص
فى ذلك لان الترخص ليس بواجب عليه واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على
شط نهر يوثق ببقاء مايه او يكون معه فى الطريق عالم يقدر على استفتايه عند الحاجة فله ان يوخر الى وقت الحاجة
اذا ما كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة **فان قلت** التيمم يحتاج اليه لصلاة لم يدخل
بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع
الا فى سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتدا السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد فى الطريق
من يتعلم منه لان الاصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكلما يتوقع وجوبه توقعا
ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة
كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا جل اذا للمسافر ان ينشى السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم
وان كان عازما على ساير الرخص فعليه ايضا ان يتعلم القدر الذى ذكرناه من علم التيمم وساير الرخص فانه اذا لم يعلم
القدر الجايز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه **فان قلت** فان لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا
يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلاته فاسدة وهى غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلى
النفل على نعت الفساد والتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلاة واتمام
اركانها كلها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع فى المحظور فهذا بيان ما
خفف عن المسافر فى سفره **القسم الثانى** ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات
وذلك ايضا واجب فى الحضر ولكن فى الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى
الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد يشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم
بادلة القبلة والمواقيت **اما** ادلة القبلة فهى ثلثة اقسام • ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار
وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها • وسماوية وهى النجوم • **فاما** الارضية •
والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او وراءه او قدامه فليعلم
ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل فى بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد
واقليم حكم اخر • **واما** السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلا بد ان يراعى قبل
الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهى بين الحاجبين او هى على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى
الحاجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو فى البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال
بدليله الذى سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى موقع الشمس منه وقت العصر فانه فى هذين الوقتين يحتاج الى

القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه • واما القبلة وقت المغرب فانها
تدرك بموضع الغروب وهو بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مايلة الى وجهه او قفاه وبالشفق
ايضا تعرف القبلة للعشاء الاخرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في
الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين
فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة
به فعليه ان يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي لانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته
عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد
الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما وراءها فيقع في مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه
في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب
وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب
وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطأ
من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن
لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل
معنى ذلك على قوم اذ قالوا ان قلنا ان المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا ان المطلوب
الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف بانه لا
تصح صلاته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين او
مقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة
لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان مستقيمتان وهذه صورته ٥



والخط الخارج من موقف الامام قدر انه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين فاما مقابلة الجهة
فيجوز فيها ان يتصل الخط الخارج من بين عينيه الى الكعبة من غير ان تتساوى الزاويتان عن جنبي الخط بل لا
تتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى
ساير النقط من يمينها او شمالها كان احدى الزاويتين اضيق فيخرج من مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة
الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا
لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا خارجين من العينين يلتقي

طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية قايمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في
الجهة وسعة ما بين الخطين يتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته ٥



فاذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين اذا كانت الكعبة مما يمكن
رؤيتها وان كان لا يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند
المشاهدة فمجمع عليه • واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة
رضي الله عنهم والقياس • اما الكتاب فقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه ومن قابل جهة
الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها • واما السنة فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل
المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة • والمغرب تقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي بذلك
جهتها وروي هذا اللفظ ايضا عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما • واما فعل الصحابة رضي الله عنهم فما روي
ان اهل مسجد قبا كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين للكعبة لان المدينة
بينهما فقيل لهم قد حولت القبلة الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم
وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا يعرف الا بادلة هندسية يطول النظر فيها
فكيف ادركوا ذلك على البديهة في اثناء الصلاة في ظلمة الليل • ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد
حوالي مكة وفي ساير بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك
الا بدقيق نظر الهندسة • واما القياس فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار
الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بامور هندسية لم يرد الشرع بالنظر اليها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها
فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة • واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو
حصر جهات العالم في اربع فقوله صلى الله عليه وسلم في ادب قضاء الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا
تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا • وقال هذا بالمدينة والمشرق عن يسار المستقبل بها والمغرب عن يمينه
فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان
تفرض ستة او سبعة او عشرة وكيف ما كان فكيف حكم الباقي بل الجهات تثبت بما في الاعتقادات بناء على
خلقة الانسان وليس له الا اربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان
في ظاهر النظر اربعا والشرع لا يبنى الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امره

الاجتهاد فيها ويعلم به ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما يعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء
ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل
احدهما بالاخر ويحتاج فيه الى الات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا القدر الذي لا بد من
تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب **فان
قلت** فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي فاقول ان كان سفره على قرى متصلة فيها محاريب وكان
معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن شيء
من ذلك عصى لانه تعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم
هذه الادلة وصعب عليه الامر بغيم مظلم او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في
الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطا والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق
بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره
بذلك في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج
الى الاستدلال كما ليس للعامي ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة الى حيث
يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق
بل العدالة شرط في جواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق
فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان
رآه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه
قبول قوله فليطلب غيره وكذلك اذا رآه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا
او صلة من غير ان يعلم الذي ياخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى
والرواية والشهادة **واما** معرفة اوقات الصلوات الخمس فلا بد منها ووقت الظهر يدخل بالزوال بان كل شخص
لا بد ان يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال فاذا زالت
الشمس اخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب فليقم المسافر في موضع او لينصب عودا
مستقيما وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الصلاة
وطريقه في معرفة ذلك ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فاذا كانت مثلا ثلاثة اقدام بقدمه
فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا زاد عليه ستة اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ
ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من اول
الصيف وان كان من اول الشتاء فينقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر
وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر
في موضع ظهرت له القبلة فيه بدليل اخر يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه مثلا ان كان
كذلك في البلد **واما** وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد يحجب الجبال الغروب عنه فينبغي ان ينظر الى

جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب **واما** وقت العشاء فيعرف
بغيبوبة الشفق وهو الحمرة وان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون
بعد غيبوبة الحمرة **واما** الفجر فيبدو في الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم
يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا
وجمع كفيه انما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار به الى انه معترض وقد يستدل
عليه بالمنازل وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح
يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم
على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان
طلوعها وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك بالبلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل
لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا
بقيت اربع منازل الى طلوع قرص الشمس فبمقدار منزلة يتيقن انه الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلتين
يتحقق طلوع الصبح الصادق او الكاذب ويبقى من الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه انه من وقت
الصبح الصادق او الكاذب وهو مبدا ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي ان
يترك الصائم التسحر ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فاذا تحقق صلى
ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ويقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به
لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد
الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا في العرض حتى يبدو مبادي الصفرة وقد
غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذي في جامعه باسناده
عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد كلوا
واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر فهذا صريح في رعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر
وسمرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال ابن عباس كلوا واشربوا
ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذا لا ينبغي ان يعتمد الا على ظهور الصفرة فكانها
مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه
النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير الصلاة الى ان يتيقن فتسمح بفوات فضيلة اول
الوقت وتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم على اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوائل
الاوقات لا اوساطها والله تعالى اعلم تم كتاب اداب السفر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه
ان شاء الله تعالى كتاب السماع والوجد والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد واله وسلامه

كتاب السماع والوجد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق
الى لقائه ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح
الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين شيئا
سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصايرهم وان
قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرايرهم فان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن
او مهيج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا
تشوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم
فقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين
اصفيائه وخاصته والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى اله واصحابه ايمة الحق وقادته
وسلم كثيرا **امّا بعد** فان القلوب والسرائر خزاين الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها
جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل الى
انتشار خفاياها الا بقداح السماع ولا منفذ للقلوب الا من دهليز السماع الا بالاسماع فالنغمات
الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما
يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل روح
السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع
حتى ابدت بموارداتها عن مكامنها وكشفت بها عن مساويها ومحاسنها وجب شرح القول في السماع
والوجد وبيان ما فيهما من الفوايد والافات وما يستحب فيهما من الاداب والهيئات وما يتطرق
اليهما من خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين الباب الاول
في اباحة السماع الباب الثاني في ادابه واثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلما [illegible]

وكشف الحق فيه بيان اختلاف العلما والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع
حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما حركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة
فتسمى التصفيق والرقص فنبدا بحكم السماع وهو الاول وننقل منه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه
ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القايلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد
حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلما الفاظا يستدل
بها على انهم راوا تحريمه وقد قال الشافعي رحمه الله في كتاب القضا ان الغنا لهو مكروه يشبه الباطل
ومن اكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا
يجوز عند اصحاب الشافعي رحمه الله بحال وسواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او
مملوكة وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكي عن الشافعي

رحمه الله انه كان يكره الطقطقة بالقضيب وكان يقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القران وقال
الشافعي يكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشي من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج
واكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروة واما مالك فقد نهى عن
الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب ساير اهل المدينة الا ابرهيم
ابن سعد وحده واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك ساير
اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري
ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة
ابن شعبة ومعوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان وقال
لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى
فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا
مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد اعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان
اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي
وذو النون يستمعون فقال كيف انكر السماع واجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان عبد الله بن جعفر
الطيار يسمع وانما انكر اللعب واللهو في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلثة اشيا فما
نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخا مع الوفا
ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه
وجده في الدين وتشمره وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع وحكي عن بعضهم انه قال
اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم بن بنت منيع وابو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل
ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في ان يسمع فقال ابن داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع
وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القسم بن بنت منيع اما جدي احمد بن بنت منيع حدثني عن
صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني انت من ابيك وقال لابن
بنت منيع ودعني انت من جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن داود لا قال فان
كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد المقصور يحرم
عليه قال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين وكان ابو الحسن العسقلاني الاسود من الاوليا
يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكي
عن بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف
فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا تثبت عليه الا اقدام العلما وحكي عن ممشاد الدينوري
انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيا فقال صلى
الله عليه وسلم ما انكر منه شيا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقران ويختمون بعده بالقران وحكي عن طاهر

ابن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت يوما طايفة
يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر قال
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جانبه ابو بكر الصديق رضي
الله عنه واذا ابو بكر يقول شيا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره ٥
كالواجد لذلك فقلت في نفسي ما كان يجب لي ان انكر على اوليك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستمع وابو بكر رضي الله عنه يقول فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا
حق بحق او قال حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطايفة في ثلثة مواضع عند
الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم
يستمعون بوجد ويشهدون حقا ٥ وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له يؤتى به يوم القيمة في جملة
حسناتك او سياتك فقال لا في الحسنات ولا في السيات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم ٥ هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده
الاقاويل فيبقى متحيرا او مايلا الى بعض الاقاويل بالتشهي فكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك
انما يكون بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره ان شا الله تعالى **بيان الدليل على اباحة السماع**
اعلم ان قول القايل السماع حرام معناه ان الله تعالى يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة
الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص ٥ واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
بقوله او فعله ٥ وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص
بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كساير المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في
جوابنا عن ادلة المايلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض لكن
نستفتح ونقول قد يدل القياس والنص جميعا على اباحته اما القياس فهو ان الغنا اجتمع فيه معان ينبغي
ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم
انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم ٥
كاصوات الجمادات وساير الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو
حلال بالنص والقياس اما القياس فانه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان
عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المنظرات الجميلة
كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة ساير الالوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة
القبيحة ٥ وللشم الروايح الطيبة وهي في مقابلة الروايح المستبشعة ٥ وللمس لذة اللين والنعومة
والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة
فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذ كصوت العنادل والمزامير ومستنكر كنهيق الحمير
وغيره فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على ساير الحواس ولذاتها واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت

الطيب ٥ الحسن امتنان الله تعالى على عباده به اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو حسن الصوت وفي الحديث
ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران
من صاحب القينة الى قينته ٥ الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة
على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته فكان يحمل من مجلسه عليه
السلام اربعماية جنازة وما يقرب منها في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى الاشعري رضي
الله عنه لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقال الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه
على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون ذلك في القران للزمه ان يحرم سماع صوت
العندليب لانه ليس يقرا القران واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع تفهم منه الحكمة ٥
والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن ٥ الدرجة الثانية
النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت
موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير
والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيره واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان او غيره
كصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك
يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوان وانما وضعت المزامير على صوت الحناجر وهو تشبيه
للصنعة بالخلقة وما من شي توصل اهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال من الخلقة التي
استاثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتدا وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات
يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم صوت العندليب وساير الطيور ولا فرق بين
حنجرة وحنجرة ولا فرق بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من ساير
الاجسام باختيار الادمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من
هذه الا الملاهي والاوتار والمزامير ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما
يلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر
في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من
قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوءتين وحرم قليل
الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه
ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه
فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلث علل احدها انها تدعو الى شرب الخمر لان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر
ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية انها تقرب العهد بشرب الخمور تذكر مجالس الانس بالشرب فهي
سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام ولهذه العلة
نهوا عن الانتباذ في المزفت والحنتم والنقير وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها بعينها فان مشاهدة

صورتها تذكرتها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار لذة في التذكر ولا لذة في رؤية القنينة واواني الشرب لكن من حيث التذكر لها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عنه لخصوص هذه العلة الثالثة الاجتماع عليها لما ان صارت من عادة اهل الفسق فيمنع التشبه بهم لانه من تشبه بقوم فهو منهم ولهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم ولهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها من عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو ولهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا آلات الشراب واقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون ويخدمون الجميع ويحيون بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان في ذلك تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وترك الشعر على الراس في بلاد صار القباء من لباس اهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وكشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منه صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يتذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بارباها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليس العلة في تحريمه مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ∘ فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سياتي بيانه في العوارض المحرمة ∘ الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحته لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام واذا لم يحرم الآحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن به والحق فيه ما قال الشافعي رحمه الله اذا كان الشعر كلاما فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محذورا لا يتضمنه الآحاد ولا محذور هاهنا وكيف يحرم انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وانشدت عائشة رضي الله تعالى عنها

∘ ذهب الذين يعاش في اكنافهم ∘ وبقيت في خلف كجلد الاجرب ∘

وروى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابا بكر رضي الله عنه اذا اخذته الحمى يقول ∘ كل امرئ مصبح في نفسه ∘ والموت ادنى من شراك نعله ∘ وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

∘ الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ∘ بواد وحولي اذخر وجليل ∘

∘ وهل اردن يوما مياه مجنة ∘ وهل يبدون لي شامة وطفيل ∘

قالت عائشة رضي الله عنها فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة ∘ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يقول ∘ هذا الحمال لا حمال خيبر ∘ هذا ابر ربنا واطهر ∘ وقال ايضا مرة اخرى ∘

∘ اللهم ان العيش عيش الآخرة ∘ فارحم الانصار والمهاجرة ∘

وهذا في الصحيحين ∘ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وينافح وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ∘ ولما انشده النابغة شعره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك ∘ وقالت عائشة رضي الله عنها كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار وهو يبتسم ∘ عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء ابن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انجشة كذلك رويدك بالقوارير ∘ ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة والخلفاء رضي الله عنهم وما هو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة ونغمات شهية ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث هو كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وينصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء والكلال تحت المحامل والاحمال اذا سمعت منادي الحداء تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف نفسها في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر بذلك لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود

الدينوري المعروف بالدقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبايل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني
خباه فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو
ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في حقي الى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا
يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا اكل ما لم اشفع في هذا العبد
فقال ان هذا افقرني واهلك جميع مالي فقلت له ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهور
هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلثة ايام في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها
ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما
اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بير هناك فلما سمع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على
وجهي فما اظن اني قط سمعت صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مايل
عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على ساير البهايم فان جميعها
تتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على راس داود عليه السلام لاستماع صوته • ومهما كان النظر
في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان نحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص
واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب وقال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما
هو فيه • فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة تعتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ترتبط بها اثار في القلب وهي
سبعة مواضع • الاول غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها
اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وغيرها تاثير ذلك تهييج
الشوق الى حج بيت الله الحرام واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق واجتلابه وان لم يكن حاصلا
واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه في وعظه
ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر
فان الوزن اذا انضاف الى الشعر صار كلاما اوقع في القلب فاذا اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه
فان اضيف اليه الطبل او الشاهين وحركات الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جايز ما لم تدخل فيه المزامير والاوتار التي
هي من شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له
ابواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج الى الحج فيحرم تشويقه الى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق الى الخروج فان التشويق الى
الحرام حرام وكذلك اذا كانت الطرق غير امنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق الثاني
ما يعتاده الغزاة بتحريض الناس على الغزو فذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم
اشعار الحج وطرق الحانهم لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة
واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه والاشعار المشجعة مثل قول المتنبي • شعر

• فان لا تمت تحت السيوف مكرما • تمت وتقاسي الذل غير مكرم • وقوله ايضا
• يرى الجبناء ان الجبن حزم • وتلك خديعة الطبع اللئيم •

وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو •
ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الى الغزو • الثالث الرجزيات التي يستعملها
الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيه للقتال وفيه التمدح
بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك مباح في كل
قتال مباح ومندوب اليه في كل قتال مندوب اليه ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور
لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وخالد وغيرهما ولذلك
يقال ينبغي ان يمنع الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف
صرامة النفس ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال • وكذلك ساير الاصوات والالحان المرققة
للقلب والالحان المرققة المحزنة تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير
الاراء عن القتال المندوب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو به مطيع • الرابع •
اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكابة • والحزن قسمان محمود ومذموم
فالمذموم بكاء الحزين على ما فات قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والحزن على الاموات
من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله عز وجل وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه
بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح في النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في
امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكى ادم عليه السلام
وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام
محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب وقد كان عليه الصلاة والسلام
يحزن ويبكي حتى كانت الجنايز ترفع من مجلس نياحته ويحزن ويبكي وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه فذلك
محمود لان المفضي الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار
المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكى ليتوصل به الى بكاء غيره واثارة حزنه • الخامس السماع في اوقات
السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس
وفي وقت قدوم الغايب وفي وقت الوليمة والعقيقة وكذلك عند ولادة الولد وعند ختانه وعند حفظه
القران وكل ذلك معتاد لاظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل
ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد هم بالدف والالحان عند قدوم رسول
الله صلى الله عليه وسلم • طلع البدر علينا من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي •
فهذا اظهار السرور لقدومه عليه الصلاة والسلام وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص
والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سياتي في
احكام الرقص وهذا جايز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب السرور ويدل
على هذا ما روي في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها انها قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا التى اسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن
الحريصة على اللهو ● اشارة الى طول مدة وقوفها ● وروى البخارى ومسلم فى حديث عقيل عن الزهرى عن
عروة عن عائشة رضى الله عنها ان ابا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام منى تدففان
ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم
عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد ● وقالت عائشة رضى الله عنها رايت النبى صلى الله عليه
وسلم يسترنى وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم
امنا يا بنى ارفدة يعنى من الامن ● وفى حديث عمرو رضى الله عنه عن ابن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه تغنيان
وتضربان ● وفى حديث ابى الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم
على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترنى بردائه
لكى انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلى حتى اكون انا التى انصرف ● وروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كنت
العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ياتينى صواحب لى فكن يتقنعن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان النبى صلى الله عليه وسلم يسربهن الى فيلعبن معى ● وفى رواية ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لها ما هذا قالت بناتى قال فما هذا الذى ارى فى وسطهن قالت فرس قال فما هذا الذى عليه
قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت او ما سمعت انه كان لسليمان بن داود خيل لها اجنحة قالت فضحك
النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ● والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان فى اتخاذ اللعب من
الخرق والرقاع من غير تكميل صورة بدليل ما روى فى بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقاع ● وقالت
عائشة رضى الله عنها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع
على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرنى وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان
بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامنى وراءه
وخدى على خده ويقول دونكم يا بنى ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبى ● وفى صحيح مسلم
فوضعت راسى على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التى انصرف فهذه الاحاديث كلها فى الصحيحين
وهو نص صريح فى ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دليل ينبه على انواع من الرخص ● الاول اللعب ولا يخفى
عادة الحبشة فى الرقص واللعب ● والثانى فعل ذلك فى المسجد ● والثالث قوله النبى صلى الله عليه وسلم
دونكم يا بنى ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما ● والرابع منعه عليه الصلاة والسلام
لابى بكر وعمر رضى الله عنهما عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اى هو وقت السرور وهذا من اسباب
السرور ● الخامس وقوفه صلى الله عليه وسلم طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها
وفيه دليل على ان حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد
والتقشف فى الامتناع والمنع منه ● والسادس قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة رضى الله عنها تشتهين

ان تنظرين فلم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق كان
الرد سبب الوحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور واما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه ● والسابع الرخصة فى
الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزامير الشيطان وفيه بيان ان المزمار المحرم غير ذلك ●
والثامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار
فى موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار سمعه فيدل على ان صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير
بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب
بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج فى اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور
وفى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر اسباب الفرح وهو كل ما يجوز
الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام او كلام فهو ايضا مظنة
السماع ● السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان فى مشاهدة المعشوق
فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف
اليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشئ المرجو
ففى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الاطناب فى وصف
حسن المحبوب وهذا حلال اذا كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغى الى
غنائها لتتضاعف لذته فى لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معانى الوصال
والفراق القلب فتترادف اسباب اللذة فهذا نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا
كلها الا لعب ولهو وهذا منه وكذلك ان غضبت منه جارية او حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب
فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم ذلك بعده اذ لا يجوز
تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء واما من يتمثل فى نفسه صورة صبى او امراة لا يحل له
النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل فى نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر فى الافعال المحظورة ومهيج
للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر الفساق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة لا ينفكوا
عن اضمار شئ من ذلك وذلك ممنوع فى حقهم لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ● ولذلك سئل
حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع ● السابع سماع من احب
الله سبحانه وتعالى وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شئ الا رآه فيه ومنه ولا يقرع سمعه قارع الا
سمعه منه او فيه فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورى زناد قلبه ومستخرج منه احوالا
من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك
الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود والمصادفة اى صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها
قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا للروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات
كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهى غاية

مطالب المحبين لله عز وجل ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات
وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح
لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم
المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب
حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة
واتساع أسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل
ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل
قوى إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة المطعم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الألحان من
فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل فكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدركه
حاسة باطنة في القلب من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى
حتى يكون السماع محركا له فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته
والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب إن محمدا قد عشق
ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء • واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل
يحب الجمال ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال
والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام
إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها فيقال إن فلانا
جميل وحسن ولا يراد صورته وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل
بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة
في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى يبذلون أرواحهم وأموالهم في نصرتهم
ونصرة مذاهبهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجب أن يعقل عشق رجل لم يشاهد قط صورته
أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته الرضية والخيرات الحاصلة من علمه
لأهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا يرى الخير إلا منه بل لا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة
من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار
والأسماع وسائر الحواس من مبتدإ العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن
قدرته ولمعة من أنوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين
بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الإنباء عن فرط محبته •
فسبحان من احتجب عن الظهور لشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا
من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت
العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتناثرت الأعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد •

لأصبحت تحت مبادي أنوار تجليه دكا فأنى يطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسيأتي تحقيق هذه
الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل المتحقق بالمحبة لا يعرف غير الله تعالى إذ
ليس في الوجود تحقيقا إلا الله تعالى وأفعاله ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة
الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه بياض وجلد
وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره • وكل
موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث إنها صنع الله تعالى فرأى
من الصنع صفات الصانع كما يرى من حيث التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت محبته ومعرفته
مقصورة على الله عز وجل غير مجاوزة إلى سواه ومن حد هذا العشق أن لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو
قابل للشركة إذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير إما في الوجود أو في الإمكان وأما هذا الجمال فلا يتصور له
ثان في الإمكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على حب غير الله مجازا محضا لا حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه
من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة
الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والأنس بل يجنب عن هذه
الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان فإن الألفاظ
إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله عنه والإيهام يختلف باختلاف الأفهام
فلينتبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد
غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماوات قالت الله عز وجل قال فمن خلق الأرض قالت
الله عز وجل قال فمن خلق الجبال قالت الله عز وجل قال فمن خلق هذا الغيم قالت الله عز وجل قال إني لأسمع لله
شأنا ثم رمى بنفسه عن الجبل فتقطع • وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله سبحانه وتمام قدرته فطرب له فرمى
بنفسه من الوجد وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله عز وجل • رأيت مكتوبا في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا
وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله فلم تشتاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره في أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته
وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والندب إليه في بعض المواضع **فإن قلت** وهل له حالة يحرم فيها
فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في
نفس المستمع أو في مواظبته لأن أركان السماع هو المسمع والمستمع وآلة الإسماع **العارض الأول**
أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها ويخشى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام
لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا
يجوز محادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته **فإن قلت** هل تقول إن
ذلك حرام بكل حال حسما للباب أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة فأقول إن هذه المسألة
محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان أحدهما أن الخلوة إلى الأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيف

الفتنة او لم يخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصورة والثانى
ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الحسم بل يتبع فيه الحال
وصوت المراة داير بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما
فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر فى اول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك
السماع بل هو اشد وصوت المراة فى غير الغنا ليس بعورة فلم يزل النساء فى زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن
الرجال فى السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغيره ولكن للغنا مزيد اثر فى تحريك الشهوة فقياس هذا
على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات فينبغى ان يتبع مثار
الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاشبه والاقيس عندى فيتايد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عايشة
رضى الله عنها اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز عنه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه صلى
الله عليه وسلم فلذلك لم يحترز فاذا يختلف هذا باختلاف احوال المراة واحوال الرجل فى كونه شابا او
شيخا ولا يبعد ان يختلف الامر فى مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صايم وليس للشاب
ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع فى الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك
ايضا بالاشخاص **العارض الثانى** فى الالة بان تكون من شعار الشرب والمخنثين وهى المزامير والاوتار وطبل
الكوبة فهذه ثلاثة انواع وما عدا ذلك فهو باق على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل والطبل
والشاهين والضرب بالقضيب وساير الالات **العارض الثالث** فى نظم الصوت وهو الشعر فان كان
فيه شى من الخنا والفحش والهجو وهو كذب على الله تعالى او على رسول الله صلى الله عليه وسلم او على الصحابة
رضى الله عنهم كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وبغير الحان والمستمع شريك
القايل وكذلك ما فيه وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدى الرجال فاما هجو الكفار واهل البدع
فذلك جايز وقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك واما التشبب وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن
القد والقامة وساير اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بلحن وغير لحن وعلى المستمع
ان لا ينزله على امراة وان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصى بالتنزيل
واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغى ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه
سواء كان اللفظ مناسبا او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة فالذى يغلب على قلبه
حب الله عز وجل يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله عز
وجل وبذكر الفراق الحجاب عن الله عز وجل فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوايق الدنيا
وافاتها المشوشة لدوام الانس بالله تعالى ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل يسبق
المعانى الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روى عن بعض الشيوخ انه مر فى السوق فسمع واحدا يقول الخيار
عشرة بحبة فغلبه الوجد فسيل عن ذلك فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار واجتاز بعضهم

فسمع قايلا يقول يا سعتر برى فغلب عليه الوجد فقيل له مم كان وجدك قال سمعت كانه يقول اسع ترى برى
حتى ان العجمى قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنصوصة بلغة العرب فان فى بعضها توازن الحروف العجمية
فيفهم منها معان اخر وانشد بعضهم وما زارنى فى الليل الا خياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا
فتواجد عليه العجمى فسيل عنه فقال انه يقول مازارم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل فى العجمية على المشرف
على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عند ذلك خطر هلاك الاخرة والمحترق
فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته
فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الاخرة فجدير بان تشوش عليه عقله وتضطرب عليه اعضاوه
فاذا ليس فى تغيير اعيان الالفاظ كبير فايدة بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى ان يحترز من السماع باى
لفظ كان والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة
بمجارى همته الشريفة **العارض الرابع** فى المستمع وهو ان تكون الشهوة غالبة عليه وكان فى غرة الشباب
وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع عند ذلك حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين
او لم يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته
وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فيشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر وذلك
هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى والقتال فى القلب داير
بين جنود الشيطان وهى الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا فى قلب قد فتحه الله باحد الجندين
فاستولى عليه بالكلية وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج الى ان تستانف
اسباب القتال لازعاجه فكيف يجوز تكثير اسلحته وتشحيذ سيوفها وسنانها والسماع مشحذ
لاسلحة جنود الشيطان فى حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به **العارض
الخامس** ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة
فيكون فى حقه محظورا ولكنه ابيح فى حقه كساير انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه
وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة
بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة
الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فهو ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهية شديدة
ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلوب اذ راحة القلب معالجة
له فى بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فيشتغل فى ساير الاوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة او
فى الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ولو استوعب
الخيلان الوجه فما اقبح ذلك فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره
بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كساير المباحات **فان قلت** فقد ادى مساق هذا

الكلام الى انه مباح فى بعض الاحوال دون بعض فلو اطلقنا القول ولا بالاباحة اذ اطلاق القول فى المفصل بلا
او نعم خلف وخطاء كما علم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشاء من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا
من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق فيه الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل اهو حلال
ام لا قلنا انه حلال على الاطلاق مع انه حرام على المحرور الذى يضربه واذا سئلنا عن الخمر قلنا انه حرام وانما
ابيح لعارض الحاجة مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هى من حيث انه خمر حرام وانما
ابيح لعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم لعارض الضرورة وما يكون لعارض فلا يلتفت
اليه فان البيع حلال ويحرم لعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض فالسماع من جملة
المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهم وانما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف
الغطاء عن دليل الاباحة فلا يبالى من خالف بعد ظهور الدليل • واما الشافعى رضى الله عنه فليس تحريم الغنا
من مذهبه اصلا وقد نص الشافعى رحمه الله وقال فى الرجل يتخذ صناعة لم تجز شهادته وذلك لانه من
اللهو المكروه الذى يشبه الباطل ومن صنعه كان منسوبا الى السفاهة وهو سقوط المروة وان لم يكن
محرما بين التحريم • وان كان لا ينسب نفسه للغناء ولا يوتى لذلك ولا ياتى لاجله وانما يعرف لانه قد يطرب
فى الحال فيترنم فيها لم يسقط هذا من مروته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا
تغنيان فى بيت عايشة رضى الله عنها • وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعى عن اباحة اهل المدينة
للسماع فقال لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه والاوصاف فاما الحدا وذكر الاطلال
والمرابع وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث انه قال هو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح
ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا
يكرهه بل اللهو واللغو لا يواخذ الله به ان عنى به انه فعل لا فايدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان
يضع يده على راسه فى اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فايدة فيه ولا يحرم بل قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو
فى ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشى والمحالفة فيه مع انه لا فايدة فيه لا يواخذ به فكيف يواخذ بالشعر
والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم
وانما يدل على خلوه عن الفايدة فالباطل ما لا فايدة له فقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسى منك وقولها
اشتريت عقد باطل مهما كان القصد للعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك المحقق الذى منع
الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع الذى ذكرناها او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة
لعب الشطرنج وذكر انى اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروة فهذا
يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه ايضا بل قد يرد الشهادة بالاكل فى السوق
وما يخرم بالمروة بل الحياكة مباحة وليست من صنايع ذوى المروة وقد رد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة
فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن بغيره من كبار الائمة وان ارادوا التحريم فما ذكرنا
حجة عليهم

بيان حجة القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقول الله تعالى ومن الناس

من يشترى لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصرى والنخعى ان لهو الحديث هو الغناء • وروت عايشة
رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد
بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غنا الاجنبية للفساق ومن يخاف عليه الفتنة
حرام وهم لا يقصدون من القينة الا ما هو محظور فاما غنا الجارية لما لكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل
يجوز لغير ما لكها عند عدم الفتنة بدليل ما روى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عايشة رضى الله
عنها واما شرا لهو الحديث بالدين استبداء لانه ليضل عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه
وليس كل غنى بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد به فى الاية ولو قراء القران ليضل به
عن سبيل الله كان حراما • حكى عن بعض المنافقين انه كان يوم الناس ولا يقراء الا بسورة عبس لما فيها من العتاب
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم • واحتجوا بقوله تعالى
افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بلغة حمير يعنى السمد
فنقول ينبغى ان يحرم الضحك وعدم البكاء ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على
المسلمين لاسلامهم فهذا ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم فى معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى والشعراء
يتبعهم الغاوون واراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر فى نفسه واحتجوا بما روى عن جابر
رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنا فقد جمع بين النياحة والغناء
قلنا لا جرم استثنى كما استثنى عنه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى
الغناء الذى يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم
العيد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهم عند قدومه عليه الصلاة والسلام بقولهم طلع البدر
علينا من ثنيات الوداع واحتجوا بما روى ابو امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع احد صوته بغناء
الا بعث الله تعالى اليه شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض
انواع الغنا الذى قدمناه وهو الذى يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق فاما
ما يحرك الشوق الى الله تعالى او السرور بالعيد او حدوث ولد او قدوم غايب فهذا كله يضاد مراد الشيطان
بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التى نقلناها من الصحاح والتجويز فى موضع واحد نص فى الاباحة
والمنع فى الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيه اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه
فقط وما ابيح فعله حرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود واحتجوا بما روى عقبة بن عامر ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال كل شى يلهوا به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امراته قلنا
فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفايدة وقد يسلم ذلك على ان التلهى بالنظر الى الحبشة خارج
عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحظور غير المحظور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم الا
باحدى ثلث • فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبته امراته لا فايدة له الا بالتلذذ وفى هذا دليل على
ان التفرج فى البساتين وسماع اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل ولا يحرم عليه شى منها

وان جاز وصفه بالباطل احتجوا بقول عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما ان كان هذا دليل تحريم الغنا فمن اين ثبت ان عثمان
رضي الله عنه كان لا يترك الا الحرام احتجوا بقول ابن مسعود الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل
ورفعه بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح • قالوا ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم
رجل يغني فقال الا لا اسمع الله لكم • وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنه في طريق فسمع زمارة راع
فوضع اصبعيه في اذنيه وعدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت له لا فاخرج اصبعيه
وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا وقال
بعضهم الغناء رائد من روائد الفجور • وقال يزيد بن عبد الملك اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة
وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوا النساء فان الغناء داعية الزنا
فنقول قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض
نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك ايضا لا يوجب
تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر انواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام والزرع
ينبت الرياء والنفاق في القلب • ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب
المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته
وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من المباحات واما قول ابن عمر الا
لا اسمع الله لكم لا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا يرفثون محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من
مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا
بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال يكثر فيها وجوه الاحتمال • واما وضعه اصبعيه
في اذنيه فيعارضه انه لم يامر نافعا بذلك ولا انكر عليه سماعه وانما فعل ذلك هو لانه راى ان ينزه سمعه
في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه او ذكر هو اولى به وكذلك فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر ففعل ابن عمر ايضا لا يدل على التحريم بل يدل على ان الاولى تركه ونحن
نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولى تركها اذا علم ان ذلك يؤثر في القلب فقد
خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب ابي جهم اذ كان عليه اعلام شغلت قلبه
افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة
الراعي تشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من
القلب بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دائم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك
قال الحضرمي ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم فالانبيا
عليهم السلام على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة • واما قول الفضيل هو
رقية الزنا وكل ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمتكلمين من الشباب ولو

كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فغاية ما يذكر فيه
ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب وهو كذلك لكن الدنيا كلها لهو ولعب
وقال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التي
هي سبب لوجود الولد وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن الصحابة رضي الله عنهم كما سياتي تفصيله في كتاب آفات اللسان واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج
في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعباء الفكر والقلوب اذا
اكرهت عميت وترويحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة
يوم يبعث النشاط في سائر الايام والمواظب على الصلوات في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض
الاوقات ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر
على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء فاللهو دواء القلب عن داء الاعياء والملال فينبغي ان يكون مباحا
ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا
يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب
له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي
لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه
التلطف بها للسياقة الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غناء عنه • تم

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة
بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلثة **المقام الاول** في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال
المستمع وللمستمع اربعة احوال • احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ
الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتبة السماع اذ الابل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي
هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة • الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله على
صورة مخلوق اما معينا او غير معين وهذا سماع الشبان وارباب الشهوة ولكن تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم
ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها • الحالة الثالثة ان ينزل
ما يسمعه من احوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع
المريدين لا سيما المبتدئين فان المريد لا محالة له مراد هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه وتعالى
ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات
هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر خطاب او عتاب او قبول او رد او وصل او هجر
او قرب او بعد او تلهف على ما فات او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او وحشة او استيناس
او وفاء بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح بوصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او هو

الفراق وترادف الحسرات وطول الفراق وعز الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلابد ان يوافق
بعضها حال المريد في طلبه فيجرى ذلك مجرى القداح الذى يورى زناد قلبه فتشتعل به نيرانه ويقوى به
انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ
على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى
منه حظ • ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كى لا يظن الجاهل ان المستمع للابيات فيها ذكر الفم
والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعانى من الابيات ففى حكايات
اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى انه سمع بعضهم قائلا يقول • قال الرسول غدا يزور • فقلت تدرى
ما يقول • واستفزه القول والحزن وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان الياء نونا فيقول قال الرسول
غدا نزور حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول
الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة مرة • وحكى الرقى عن ابن الدراج انه قال
كنت انا وابن الفوطى مارين على الدجلة بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة وعليها رجل وبين يديه
جارية تغنى وتقول • في سبيل الله ود كان منى لك يبذل كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظرة
بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت هذا البيت فاعادت فكان
الشاب يقول وهذا والله تلونى مع الحق في حالى فشهق شهقة ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا
فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله تعالى قال ثم خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا
من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شئ لى في سبيل الله تعالى وكل جوارى احرار وهذا القصر للسبيل
ثم رمى ثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون
فلم يسمع له بعد ذلك خبر • والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه
عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما
يوافق حاله سمعه من الله تعالى كانه يخاطبه ويقول كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل • ومن كان سماعه من الله
تعالى وعلى الله وفيه ينبغى ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والا خطر له في
السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به ففى سماع المريد المبتدى خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا
على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو
يخاطب به ربه فيضيف التلون الى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق
وقد يكون عن جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من
الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته
ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن تصدر منه
افعال مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له في العادة انه ذو بداوات وانه متلون ولعل الشاعر
لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا كذلك

فى حق الله تعالى كفر محض بل ينبغى ان يعلم انه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك
العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدى ايمانى ويحصل للعارف البصير بيقين كشفى حقيقى وذلك من اعاجيب اوصاف
الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير
ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتداره
القلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المصطفى لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين
والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء
بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه تعالى قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال تعالى
ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون • فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت
من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولعمرى تأدب اللسان والظاهر
مما يقدر عليه الاكثرون فاما تأدب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد
والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم
ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفا الزلال الذى لا يثبت عليه الا اقدام
العلماء • لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذى يكاد يحل عقدة الادب
عن السر الا من عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا
برأس • ففى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر من يهيج السماع منه الشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية
الخطا ههنا كفر • واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد احدهما
مصيب في الفهم والاخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالاضافة الى
اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول • سبحان جبار السما ان المحب لفى عنا •
فقال صدقت وسمعه رجل اخر فقال كذبت فقال بعض ذوى البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق
كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر • والتكذيب كلام مستانس بالحب مستلذ لما هو
يلاقيه بسبب فرط حبه غير متأثر او كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر لخطر الصد في
المال وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم • وحكى عن
ابى القسم بن مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة انسان وهناك
قوال ينشد • واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى • فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عما وقع
لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه
ذلك فقيل له فماذا عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه
اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات لان الاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة
بعد لم يقع الوصول اليها • ولا فرق بين المعنى الذى فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه

فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا ان يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين • وكان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت •

• وداد كم هجر وحبكم قلى • ووصلكم صرم وسلمكم حرب •

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلات منها دار حبرة الا امتلات عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا

• تنح عن الدنيا فلا تخطبنها • ولا تخطبن قتاله من تناكح •
• فليس يفي مرجوها بمخوفها • ومكروهها اما تاملت راجح •
• لقد قال فيها الواصفون فاكثروا • وعندي لها وصف لعمري صالح •
• سلاف قصاراها ذعاف ومركب • شهي اذا استلذذته فهو جامح •
• وشخص جميل يؤنق الناس حسنه • ولكن له اسرار سوء قبائح •

والمعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره عيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره عن احوال هي درجات بعد ما بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله تعالى غير متناه والوصول الى اقصى درجات القرب محال • المعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها ويَنظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيسمع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه • وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه • الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقدمات فيعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد لله تعالى فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه الى رؤيته والى عينه التي بها رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من التذاذه وانما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين

فتطرأ ايضا في حق الخالق ولكنها تكون في الغالب كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم يطقه القوى البشرية فربما يضطرب تحت اعبائه اضطرابا يهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت • ما زلت انزل من ودادك منزلا • تتحير الالباب عند نزوله •

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطع وبقيت اصوله مثل السيوف فكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بالصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى اليد والسكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى الصفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله تعالى عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود فيه الا للحاضر ومثاله المراة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويعرب عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر

• رق الزجاج ورقت الخمر • فتشابها فتشاكل الامر •
• فكانما خمر ولا قدح • وكانما قدح ولا خمر •

وهذه مغاصة من مقامات علوم المكاشفة منها نشا خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المراة بصورة الحمرة اذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات **المقام الثاني** بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه **اما الصوفية** فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق • فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق • وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع قال جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفا فادركت به منازل الرضا واخرجني الى رياض النزهة والفضا • وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة

حل له استماع العبارة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية • وقال بعضهم السماع غذا الارواح لاهل المعرفة
لانه وصف يدق عن ساير الاعمال ويدرك برقه الطبع لرقته وبصفاء السر لصفايه ولطفه عند اهله • وقال
عمرو بن عثمان المكى لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المومنين الموقنين • وقال بعضهم الوجد مكاشفات
من الحق وقال ابو سعيد بن الاعرابى الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة
السر وايناس المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت • وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق
بالغيب فلما ذاقوه وسطع فى قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب • وقال ايضا الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار
النفس والتعلق بالعلايق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا
القلب ورق وصفا ونجعت فيه الموعظة وحل من المناجات فى محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية
وقلب شاهد وسر ظاهر يشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنده • وقال
ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فايدة او شوق
الى غايب او اسف على فايت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر
بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعى فيه
فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدى بالنعم والمتولى واليه
يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية من هذا الجنس فى الوجد كثير • واما الحكما فقال بعضهم
فى القلب فضيلة شريفة تعذر على قوة النطق اخراجها باللفظ واخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت
وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر • وقال بعضهم نتايج السماع استنهاض العاجز
من الراى واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام والاراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو
ما كدر ويمرح فى كل راى ونية فيصيب ولا يخطى ويأتى ولا يبطى • وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم
فالسماع يطرق القلب الى العلم الروحانى • وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن
الايقاعات والالحان فقال ذلك عشق عقلى والعاشق العقلى لا يحتاج ان يناغى معشوقه بالمنطق الجرمى بل
يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها
روحانية • واما العاشق البهيمى فانه يستعمل النطق الجرمى ليعبر عنه وعن ظاهر شوقه الضعيف وعشقه
الداثر • وقال آخر من حزن فليستمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها
وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفايه ونقايه من الغش والدنس • والاقاويل المفرقة
فى السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذى الوجد عبارة عنه فنقول انه
عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين
فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال
ليست من العلوم بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه
الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعفت بحيث لم تؤثر فى تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على

خلاف عادته او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمى
وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب ظهوره وتغييره الظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير
بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه
وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك • والى المعنى الاول اشار ابو سعيد
ابن الاعرابى حيث قال فى الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب • ولا يبعد ان
يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع
منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة
قبل الورود ومنها صفا القلب والسماع مؤثر فى تصفية القلب والصفا سبب الكشف ومنها انبعاث
نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير
على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله • وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير
حمل الاثقال فبواسطة هذه الاسباب يكون السماع سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما تمثل له
الحق فى صورة مشاهدة او فى لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان فى اليقظة وبالرؤيا
اذا كان فى المنام وذلك جزو من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة كما روى عن محمد بن مسروق
البغدادى قال خرجت ليلة فى ايام جاهليتى وانا نشوان وكنت اغنى هذا البيت

• بطرآباذ كرم ما مررت به • الا تعجبت ممن يشرب الماء •

فسمعت قايلا يقول • وفى جهنم ماء ما تجرعه خلق • فابقى له فى الجوف امعاء •

قال فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة • فانظر كيف اثر الغناء فى تصفية قلبه حتى تمثل
له حقيقة الحق فى صفة جهنم فى لفظ موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر • وروى عن مسلم العبادانى قال
قدم علينا مرة صالح المرى وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد وسالم الاسوارى فنزلوا على الساحل قال
فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاؤوا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قايل يقول رافعا
صوته • وتلهيك عن دار الخلود مطاعم • ولذة عيش عنها غير نافع •
• ففى طيبها نقص الحساب وحرمها • يورثك الزقوم يوم الوقايع •

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه والله لقمة
وكما يسمع صوت الهاتف عند صفا القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب
القلوب بصور مختلفة وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملايكة للانبياء عليهم السلام اما على حقيقة صورتها
واما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة وقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام
فى صورته مرتين فاخبر عنه انه كان سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو
بالافق الاعلى الى آخر الآيات • وفى مثل هذه الاحوال من الصفا يقع الاطلاع على ضماير القلوب وقد يعبر
عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله •

وحكى ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن
فكان يذكر له تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى بعض المشايخ من الصوفية وساله فقال معناه ان تقطع الزنار
الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معنى الحديث فاسلم وقال الآن عرفت انك مومن وان
ايمانك حق ۝ وحكى عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقرا في الجامع فاقبل شاب طيب الرائحة
حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم
وقال اي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاءني واكب على يدي واسلم
وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطي فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق
ففي هذه الطايفة لانهم يقولون حديثه سبحانه او يقرؤن القرآن فلبست عليكم فلما اطلع علي الشيخ وتفرس
في علمت انه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية ۝ والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليه
الصلاة والسلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين
على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات
وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ۝ والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى
هذا يدل ما روي ان ذا النون المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه
في ان يقول شيئا فاذن له فانشا يقول

شعر

صغير هواك عذبني ۝ فكيف به اذا احتنكا ۝
وانت جمعت من قلبي ۝ هوى قد كان مشتركا ۝
اما ترثي لمكتئب ۝ اذا ضحك الخلي بكا ۝

فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك
الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو
الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس ۝ فاذا قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى
حالات ۝ واعلم ان كل واحد منهما ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة
عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك
فانك تجد في احوالك القريبة لهما شواهد اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان
في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على
التعبير عنه وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في
قلبه بالذوق ولا شك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور
في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن ان تنالها العبارة وهذا مما يفطن له المواظبون على النظر في المشكلات
واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر

الانسان

الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي
يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد
تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود
بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق
بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون وبين المنزحف ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا
ذوق له ۝ وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع
عن غناء مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التي ليست مفهومة تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير
عن عجايب تلك الاثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي
اضطرب قلبه بسماع الاوتار والشاهين وما اشبهها ليس يدري الى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كانها
تتقاضى امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا
له سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة
المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق
اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت
نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة
الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولكن لا يدري انه يشتاق الى
الوقاع لانه ليس يدري صورته ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الاعلى
واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفردوس الاعلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسامي
كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة
ليعرف بالمقايسة فالسماع محرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه فانساه
ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش
ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها
ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن اظهاره ۝ واعلم ايضا
ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به
الريا واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنها ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة
واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال الشريفة ولذلك امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق
اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير المتكلف بالآخر طبعا وكل من يتعلم القرآن اولا يحفظه
تكلفا ويقراه تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه
في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب نفسه اليه بعد انتهائه الى آخرها ويعلم انه قراها

في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم تمرن على الكتابة يده فتصير الكتابة له
طبعا فيكتب اوراقا وهو مستوفي القلب بفكر آخر • فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل لها
الى اكتسابه الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة
وكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يقع الياس منها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره
فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم
النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا
خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف
من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان ينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين
بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى
في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر لها اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين
والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري • ويدل على امكان تحصيل الحب
وغيره من الاحوال بالاسباب قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب
ما يقربني الى حبك • فقد فزع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام
الوجد الى مكاشفات والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف
والى المطبوع **فان قلت** ما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله تعالى ويظهر على
الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن اولى
به من الغناء فنقول • الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك
يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله • وكلما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والاقشعرار والخشية
ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله • فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال
وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
زينوا القرآن باصواتكم وقال لابي موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود • واما الحكايات الدالة
على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود خبر
عن الوجد فان الشيب يحصل من الخوف والحزن وذلك وجد • وروي ان ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فكانت عيناه تذرفان بالدمع • وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قرئ عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق • وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم

قرأ ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى • وكان صلى الله عليه وسلم اذا مر باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار
وجد • وقد اثنى الله تعالى على اهل الوجد بالقرآن فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق • وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل • واما ما
نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من
مات في غشيته • سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة مغشيا
عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا • وروي ان زرارة بن اوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس
بالرقة فقرأ فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه • وكان ابو جهير من التابعين قرأ عليه صالح المري
فشهق ومات • وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه • وسمع
علي بن الفضيل قارئا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك
ما علمه منك • وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية • فقد كان الشبلي رحمه الله في مسجده ليلة من
رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن
الناس انه قد فارق روحه واحمر وجهه وارتعد وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب ويردد ذلك مرارا
وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرايت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن
فغشي عليه فقلت اقرءوا عليه تلك الآية فقرئ فافاق فقال من اين قلت هذا فقال رايت يعقوب عليه السلام
كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق فاستحسن ذلك • ويشير الى
ما قاله الجنيد رحمه الله قول الشاعر • وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها • وقال بعض الصوفية
كنت اقرأ ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فجعلت ارددها واذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية
فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي
آية من كتاب الله تعالى فتحدوني على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما
طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك
فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة في التوجه الى الله تعالى • وسمع رجل من اهل
التصوف قارئا يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فاستعادها من القارئ وقال كم
اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه • وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم يوم الازفة
الآية فصعق واضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه • وكان
ابراهيم بن ادهم رحمه الله اذا سمع احدا يقرأ اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله حتى كاد يرتعد • وعن محمد بن صبيح
قال كان رجل يغتسل من الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل يضطرب
حتى غرق ومات • وذكر ان سلمان الفارسي رضي الله عنه ابصر شابا يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده فاحبه سلمان
وفقده فسال عنه فقيل انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا عبد الله ارايت تلك
القشعريرة التي كانت مني فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله قد غفر لي بها كل ذنب • وبالجملة لا يخلو

صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلاً فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها • قال جعفر الخلدي دخل رجل
من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل
المارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل
شهقة وخرج **فإن قلت** فإن كان سماع القرآن مفيداً للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون
المقرئين فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا في مجالس المغنيين وأن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة
قارئ لا قوال فإن كلام الله أفضل من الغناء لا محالة • فاعلم أن الغناء أشد تهييجاً للوجد من القرآن من سبعة وجوه
الوجه الأول أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن
استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين
وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود
وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والأبيات إنما نظمها الشعراء إعراباً بها عن أحوال القلب فلا يحتاج
في فهم الحال منه إلى تكلف نعم من يستولي عليه حال غالبة قاهرة لم يبق فيه متسعاً لغيره ومعه تيقظ وذكاء ثاقب
يتفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله
في أولادكم حال الموت المحوج إلى الوصية وأن كل إنسان لا بد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك
أحد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعاً فيغلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر كلمة الله في قوله يوصيكم الله فيدهش
بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظراً لهم
في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بعد موتنا فلا نشك في أنه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء ويورثه
ذلك استبشاراً وسروراً • أو يخطر له من قوله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين تفضيل الذكر بكونه رجلاً
على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأن من ألهاه غير الله عن الله فهو
في الإناث لا من الرجال تحقيقاً فيخشى أن يحجب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخر في أموال الدنيا فأمثال هذا قد
يحرك الوجد ولكن لمن به وصفان أحدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والأخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل
للتنبه بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذي هو ألفاظ
مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها • وروي أنه كان أبو الحسين النوري مع جماعة في دعوة فجرى بينهم
مسألة في العلم وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم **شعر**

• رب ورقاء هتوف بالضحى • ذات شجو صدحت في فنن •
• ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً • فبكت حزناً فهاجت حزني •
• فبكائي ربما أرقها • وبكاها ربما أرقني •
• ولقد أشكو فما أفهمها • ولقد تشكو فما تفهمني •
• غير أني بالجوى أعرفها • وهي أيضاً بالجوى تعرفني •

قال

قال فما بقي من القوم أحد إلا قام وتواجد • ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم حقاً
وجداً **الوجه الثاني** أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكلما سمع أولاً عظم أثره في القلب
وفي الكرة الثانية يضعف أثره وفي الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده
على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل ببيت آخر يجدد
له أثر وإن كان معرباً عن ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريباً بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان
المعنى واحداً وليس يقدر القارئ على أن يقرأ قرآناً غريباً في كل وقت ودعوة لأن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه
وكله محفوظ ومتكرر • وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون ويسلمون
فيسمعون القرآن ويبكون فقال هكذا كنا كما كنتم ثم قست القلوب • ولا تظنن أن قلب الصديق رضي الله عنه
كان أقسى من قلب الأجلاف من العرب وأنه أخلى عن حب الله تعالى ولكن التكرر على قلبه اقتضى المرور عليه وقلة
التأثر به لما حصل له من الأنس بالله وبكلامه بكثرة سماعه إذ محال في العادة أن يسمع السامع آية لم يسمعها
قبل فيبكي ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة يرددها ويبكي ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريباً جديداً ولكل
جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من
كثرة الطواف وقال خشيت أن يتأنس الناس بهذا البيت أي يأنسوا به • ومن قدم حاجاً فرأى البيت أولاً بكى
وزعق وربما غشي عليه إذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهراً ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر فإذاً المغني يقدر
على الأبيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر على ذلك في الآيات **الوجه الثالث** أن لوزن الكلام بذوق الشعر
تأثيراً في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون
الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه مثلاً أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع
وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن إذاً مؤثر فلذلك
طاب الشعر **الوجه الرابع** أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والدستانات
وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها
وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل بقصره ومده والوقف والوصل والقطع
فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن
الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوماً كما في الأوتار والمزمار وسائر الأصوات التي لا تفهم
الوجه الخامس أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب
بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب
ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة
اللهو واللعب • والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته
صورة اللهو عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهو بل ينبغي أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع
الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال

فيعدل الى الغناء الذى لا يستحق من المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة
العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف فى العرس وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال
او لفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع
بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبى يعلم ما فى غد • على وجه الغناء فقال صلى الله
عليه وسلم دعى هذا وقولى ما كنت تقولين • وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذى هو
لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه تفويت الاسباب التى بها يصير السماع محركا
للقلب • فوجب فى الاحترام العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة
الى الغناء **الوجه السادس** ان المغنى قد يغنى ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره
فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارى فربما يقرأ آية لا توافق حالهم اذ القرآن
شفا للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفا المغرور الآمن
وتفصيل ذلك مما يطول فاذا لا يؤمن ان لا يوافق المقرو الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة
كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه والاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص
عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى الا على ما اراد الله تعالى واما قول الشاعر فيجوز
تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل الخطا لموافقة الحال فوجب توقير كلام الله تعالى وصيانته
عن ذلك هذا ما ينقدح لى فى علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن سماع القرآن فى حالة الجمع والاوقات وها هنا
وجه سابع ذكره ابو نصر السراج الطوسى فى الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفاته
وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه
وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ
لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما فى الابيات من الاشارات
واللطائف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق للمخلوق فما
دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا
لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله تعالى الذى هو صفته وكلامه
الذى منه بدا واليه يعود هذا حاصل كلامه واعتذاره • وقد حكى عن ابى الحسين الدراج انه قال قصدت
يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت اسأل عنه وكل من سألته
قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت فى نفسى قد جئت هذا
الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه
مصحف وهو يقرأ واذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فاقبل علي وقال من اين اقبلت فقلت
من بغداد فقال وما الذى جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو ان فى بعض هذه البلدان
قال لك انسان اقم عندنا حتى نشترى لك دارا وجارية كان يقعدك ذلك عن المجىء فقلت ما امتحننى

الله بشىء من ذلك ولو امتحننى ما كنت ادرى كيف اكون ثم قال تحسن ان تقول شيئا فقلت نعم فقال هات
فابتدأت اقول • رأيتك تبنى دائبا فى قطيعتى • ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى •
كأنى بكم والليت افضل قولكم • الا ليتنا كنا اذا الليت لا يغنى •
قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال يا بنى
تلوم اهل الرى يقولون يوسف زنديق من صلاة الغداة هو ذا اقرأ فى المصحف فلم تقطر من عينى قطرة وقد
قامت على القيامة بهذين البيتين • فاذا القلوب ولو كانت محترقة فى حب الله تعالى فان البيت الغريب منها
يهيج منها ما لا تهيجه تلاوة القرآن وذلك لوزن الشعر ومشاكلته الطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر
البشر على نظم الشعر واما القرآن فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل فى
قوة البشرية لعدم مشاكلته للطبع • روى ان اسرافيل استاذ ذى النون المصرى دخل عليه رجل فرآه
وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن ان تترنم بشىء فقال لا فقال انك بلا قلب اشارة
الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف فى غيره فيتكلف طريق
التحريك اما بصوت نفسه او بغيره فقد ذكرنا حكم المقام الاول فى فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثانى
فى الوجد الذى يصادف فى القلب فلنذكر الآن اثر الوجد اعنى ما يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة
وتمزيق ثوب وغيره **المقام الثالث** فى السماع ونذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار
الوجد وما يذم • واما الآداب فهى خمس جمل **الاول** مراعاة الزمان والمكان والاخوان • قال الجنيد
السماع يحتاج الى ثلاثة اشيا والا فلا تسمع الزمان والمكان والاخوان • ومعناه ان الاشتغال به فى وقت
حضور طعام او خصام او صلاة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة
الزمان فيرعى حالة فراغ القلب • والمكان فقد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل
القلب فيجتنب ذلك • واما الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكرى السماع متزهد الظاهر مفلس
عن لطائف القلوب مستثقلا بالمجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى
مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثوب فكل ذلك
مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففى هذه الشروط نظر للمستمع **الثانى** وهو نظر
للحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى ان يسمع فى حضورهم فان سمع فليشغلهم
بشغل آخر والمريد الذى يستضر بالسماع احد ثلاثة اقلهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق الا الاعمال
الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو
ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه الثانى هو الذى
له ذوق السماع ولكن بقى فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر
انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فينقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال
الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه

لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع
نزّل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع
قال سهل رحمه الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد
ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير
ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب
حفظ الضعفاء عنه • قال الجنيد رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشي قال نعم
في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني ادخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لو رايته انا لقلت له ما
احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به قال الجنيد صدقت الادب الثالث
ان يكون مصغيا الى ما يقوله القايل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه
المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعات قلبه ومراقبة ما يفتح الله له
من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بان يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف
متحرزا عن التنحنح والتثاوب مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق
والرقص وساير الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراياه ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما
عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد
الى هدوه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع وجده على القرب ولا ان يتواجد خوفا
من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفا والرقة • حكي ان شابا كان يصحب الجنيد وكان اذا سمع شيئا
من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل
شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه نفسه فشهق شهقة وتلفت نفسه وحكي ان موسى
عليه السلام قص في بني اسرائيل فخرق واحد منهم ثوبه وقميصه فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل له مزق
لي قلبك ولا تمزق ثيابك • وقال ابو القسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم
قوال خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو والريا في السماع وهو ان ترى من نفسك حالة ليست فيك شر من ان تغتاب ثلثين
سنة او نحو ذلك فان قلت فالافضل الذي لا يحركه السماع ولا يوثر في ظاهره او الذي يظهر عليه • فاعلم ان عدم
الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لكمال القوة
على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع
مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دايم فهو المرابط
للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان تكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه هكذا
كنا حتى قست القلوب • معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في
سماع معاني القران على الدوام فلا تكون القراة جديدا في حقنا طاريا علينا حتى نتاثر بها • فاذا قوة الوجد تحرك
الباطن وقوة العقل والتماسك يضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الاخر اما لشدة قوته واما لضعف ما

يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضرب نفسه على الارض اتم وجدا من الساكن
باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في
ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شي • اشارة الى ان القلب مضطرب
جايل في الملكوت والجوارح متادبة في الظاهر ساكنة • وقال ابو الحسن محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله
ستين سنة فما رايته تغير عند شي كان يسمعه من الذكر والقران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يوخذ
منكم فدية الاية فرايته قد تغير وارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد
ضعفنا • وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد
ضعفت فقيل له وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا
تغيره الواردات وان كانت قوية • وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة
الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي في الصلاة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في
كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دايما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يوثر السماع
في زيادته كما روي ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت
ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفا بعض ما بي • وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم
اتم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هولاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا في
نادر المساعدة لاخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال
بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم
وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون في غير
سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس • وبعض ما نقل عنه ترك السماع يظن انه كرهه كان سبب تركه
استغناوه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من اهل اللهو
فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان • قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من
الادب الرابع ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح اذا لم
يقصد به المراياه لان التباكي استجلاب الحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه
ولو كان حراما لما نظرت عايشة رضي الله عنها الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ
عايشة في بعض الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم حجلوا لما ورد عليهم سرور اوجب ذلك
وذلك في قصة ابنة حمزة رضي الله عنه لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة رضوان الله
عليهم فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال لجعفر اشبهت خلقي
وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال عليه الصلاة والسلام هي لجعفر
لان خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة رضي الله عنها اتحبين ان
تنظري الى زفن الحبشة • والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان مهيجه فرحا

محمودًا فالرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحًا فهو مباح وان كان مذمومًا فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد
ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس فينبغي
ان يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه الا
عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او
يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق
متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل
حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه كالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك
النفس ساعة اضطر من باطنه ان يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب وقد يكون كذلك فهذا لا يوصف
بالتحريم فقد ذكر عند السري رحمه الله حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري
فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه ولم يرجع ومعناه انه في بعض الاحوال قد ينتهي الى هذا الحد
في بعض الاشخاص فان قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم
يمزقونها قطعًا صغارًا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح اذا خرق قطعًا مربعًا تصلح
لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعًا لانه تمزيق لغرض وكذلك
ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود وهو مباح ولكل
مالك ان يقطع كرباسه بمائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي ان تكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها
في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعًا به فهو تضييع
محض لا يجوز بالاختيار الادب الخامس موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء
وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من اداب الصحبة وكذلك
ان جرت عادة طائفة بوضع العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط
عنه ثوبه بالتخريق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم
ولا بد من مخالفة الناس في اخلاقهم بالمساعدة كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة
وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة رضي الله عنهم فليس كل ما يحكم باباحته
منقولا عن الصحابة رضي الله عنهم وانما المحذور بدعة تراغم سنة مأمورًا بها ولم ينقل النهي عن شيء من هذا
والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض الاحوال كما رواه انس رضي الله عنه ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به باسا في
البلاد التي جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فان القصد منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب به
فكذلك سائر انواع المساعدة اذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا باس بمساعدتهم عليها بل
الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الادب ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل
رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجميع منه

اثر التكليف ومن يقوم عن صدق لا يستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب محك للصدق
والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له اذا كانوا اشكالا غير اضداد فان قلت
فما بال الطباع ينفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام ان انه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين الا
وينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راى الحبشة يزفنون في المسجد وما انكره
لما ان كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبًا
مقرونًا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن اشبههم وهو مكروه لذوي
المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذوي المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فمن سال
فقيرًا شيئًا فاعطاه رغيفًا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سال ملكا فاعطاه رغيفًا او رغيفين كان ذلك منكرًا
عند الناس كافة ومكتوبًا في تواريخ الاخبار من جملة مساويه يعير به اعقابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال
ما فعله حرام لانه من حيث انه اعطى خبزا لفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع بالاضافة الى
الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الابرار وحسنات الابرار
سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا نظر اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه
لا تحريم فيه والله اعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان السماع قد يكون حرامًا محضًا وقد يكون مباحًا وقد
يكون مستحبًا وقد يكون مكروهًا اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك
السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين
ولكنه يتخذه عادة له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت
الحسن واما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة والله اعلم

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب الا بحمده • ولا تستماح النعم الا بواسطة كرمه ورفده
والصلاة على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده • وعلى اله الطيبين • واصحابه الطاهرين من بعده •
اما بعد فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين • وهو المهم الذي ابتعث الله
تعالى له النبيين اجمعين • ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة
وفشت الضلالة • وشاعت الجهالة • واستشرى الفساد • واتسع الخرق وخربت البلاد • وهلك العباد
وان لم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد • وقد كان الذي خفنا ان يكون • انا لله وانا اليه راجعون •
اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه • وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه • واستولت على القلوب مداهنة
الخلق • وانمحقت عنها مراقبة الخالق • واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم • وعز
على بسيط الارض مؤمن صادق لا ياخذه في الله لومة لائم • فمن سعى في تلافي هذه الفترة • وسد هذه الثلمة
اما متكفلا بعملها • او متقلدا لتنفيذها • مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا باعبائها • ومتشمرا في

احيا بها كان منشا را من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى اماتتها ❁ ومستبدا بقربة تتضائل في درجات القرب دون ذروتها ❁ وها نحن نشرح علم ذلك في اربعة ابواب ❁ الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته ❁ الباب الثانى في اركانه وشروطه ❁ الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المالوفة في العادات ❁ الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر ❁ والله تعالى اعلم

الباب الاول

في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والنهى عن المنكر والمذمة في اهماله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه ❁ واشارات العقول السليمة اليه ❁ الايات والاخبار والاثار واضاعته ❁ اما الايات فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ❁ ففى الاية بيان الايجاب فان قوله ولتكن امر فظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر فقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الاخرين اذ لم يقل كونوا كلكم امرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة يدعون فاذا مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الاخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين ❁ فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الاخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ❁ فقد نعت المؤمنين بانهم يامرون بالمعروف والذى هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الاية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ❁ وهذا غاية التشديد اذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهى عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ❁ وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ❁ فبين انهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ❁ وهذا امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ❁ فبين انهم اثموا بترك النهى وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد الاية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن

الفساد

الفساد وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين فذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية والاصلاح نهى عن البغى واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فامر الله بقتاله فقال فقاتلوا التى تبغى وذلك هو النهى عن المنكر فيها ما روى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال في خطبة خطبها يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعملون بالمعاصى وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروى عن ابى ثعلبة الخشنى انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بنفسك ودع عنك العوام فان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الاية فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان ياتى زمانها يامرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله تعالى يقول لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجى وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة في بحر لجى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هى مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلم ينكروه وروى ابو امامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وترككم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تامروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا

رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون
قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله
قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران
وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما
فان اللعنة تنزل على من حضره حين لا يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من
حضره قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرء شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم
اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور
المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة هذا
المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق
والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا لمثل ما نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه لا يقبل
ممن تكلم وراوا الفتن ولم يامنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم ولا يسلمون منه فراوا ان مجاورة السباع
واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل
الله جل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع
تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسالها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث
انه يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن
مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا قط الا وله حواري فيمكث النبي عليه
الصلاة والسلام بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون
بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون
ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مسلم جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء
ذلك اسلام قال ابن مسعود رضي الله عنه كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون
فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون
عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل وقال اللهم اني نهيتهم فعصوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم
فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني
ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل عنهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم
فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني ولو
سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود وكان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال
ابن عباس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال

بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله عز وجل وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها قال فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم
يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عائشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف
قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بمعروف ولا ينهون عن منكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسى عليه
الصلاة والسلام يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه والذي
يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب اذا اتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان
النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال
ابو ذر الغفاري رضي الله عنه قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء يرزقون
يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابو بكر ومن هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال
والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة الف باب
منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عيناء
كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت
الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت
يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله
فان لم يقتله فان القلم لا يجري بعد ذلك عليه وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد
منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر **واما الآثار**
فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا
يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون
فلا يغفر لهم وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه
وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل
فراى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته
وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان
في غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة رضي الله عنه ياتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة
حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم وينهاهم واوحى الله الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا

من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم
وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة
وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك
قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت
التوراة وكذب ابو مسلم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم
يجدون في انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت ان آثم وهذا يدل
على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد من ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد
بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما عبد
عمل في شيء من دينه بما امر به او نهى عنه وتعلق به عند فساد الامور وتشوش الزمان فهو ممن قام لله في
زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه
فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم
لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر ان يسكره
فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام
واحد به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه ٥

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب
عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط **الركن الاول**
المحتسب وله شروط وهي ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيها احاد
الرعايا وان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه
اطراح ما اطرحناه **الشرط الاول** وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه
امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق
للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا
ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة فيها وسائر القربات
وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد واحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال
المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته
فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر **واما الشرط الثاني**
وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد لاصل الدين وعدو له
الشرط الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه

بالمنكر الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم
تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم قالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه وبما روي ان الله
تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا
من طريق القياس بان هداية الغير فرع للاهتداء فكذلك تقويم الغير فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب
الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق
ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها
فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء قد اختلف
في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولهذا قال سعيد بن جبير
لو لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير وان
زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو
الكفار ويحتسب عليهم بالمنع عن الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر
وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول
شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل
كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على
شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل
فمن اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب علي
الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني بالعصيان في احدهما ان اعصي الله بالثاني اذا كان النهي واجبا علي فمن اين يجب سقوطه
باقدامي اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر على ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي فان قيل
فليلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلاة فانا اتوضا وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب
في السحور والصوم جميعا ولكن يقال احدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدا
بنفسه ثم يقوم غيره والجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك
عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب احدهما على
الآخر تحكم واما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم من توضا ولم يصل كان مؤديا امر الوضوء وكان عقابه اقل ممن
يترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى عنه ولم ينته كيف والوضوء شرط
لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة واما الحسبة فليس شرطا في الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما
فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنا الرجل بامراة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل
يحتسب في اثناء الزنا ويقول انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما انا محرم لك فاستري وجهك
فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستبشعه كل عقل سليم والجواب ان الحق قد يكون شنيعا وان الباطل

قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قولها في تلك الحالة لا
تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية
حق وان قلتم مباح فاذا لها ان تقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول
ان كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر
واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لشيئين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع
تنفر عن ترك المهم والاشتغال بما لا يعني فتنفر ايضا عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول الطعام
مغصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لان الشهادة بالزور اشد وافحش
من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على ان ترك الغيبة ليس
بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته اكثر من
ضرره من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر بالطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى
بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع وترى مسيئا وما
صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم
بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكر
الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي والوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله
لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه ان يحتسب بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في
اسقاط فائدة الوعظ ثم اذا سقطت فائدته سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام
القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت
لم تقدم على ذلك فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان
من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه
حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم
انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب
وهو الوعظ فقد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا
حجر على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة
واما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم به ولكن امرهم دل على قوة علمهم
وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله
وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم
وتاكيد الحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط
الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم
وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم

اذا رآه يزني لان منعه من ذلك حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان
منع المسلم بفعله فهو تسليط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد
قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال
للمحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة
والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه ان
رأينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات فليس يليق بغرضنا الآن **الشرط الرابع**
كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط
فاسد فان الآيات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عنه عصى اذ يجب نهيه اينما رآه وكيفما رآه
على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا
يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم
ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم
من يد من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام
الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت
للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول
اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما
آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز
التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى
اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين فكذلك النهي وشرح القول
في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي بيانه الاولى التعريف والثانية الوعظ بالكلام اللطيف والثالثة
السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى
الرابعة المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب
المغصوب منه ورده الى صاحبه والخامسة التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو
عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد
يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن
اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي بيانه اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام
واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق
مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف
يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي والمنع عن شرب الخمر فانه تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر
الى الامام واما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادة السلف

على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم عن الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فليامر او نهى عن منكر فلينه
فان لم يستطع فبقلبه فان كان الوالي راضيا به فذلك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج
الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الايمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة
في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان ترك ذلك يا ابا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى
ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم
روي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحي الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق
فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد او القرب حتى اذا صار عند
حلت بينه وبينه وقد قال تعالى سواء العاكف فيه والباد حتى اذا صار عنده ومن جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان
يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها
في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين
الله له الفرس قال ثم صيروه الى بيت واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل
البقل فاذن به المهدي فقال من اخرجك قال الذي حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال ما اخاف ان اقتلك فرفع
عبد الله اليه راسه وضحك وهو يقول لو كنت تملك موتا او حياة فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع
الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة وكان يعمل في ذلك حتى نحر مائة
وروي عن جابر بن عبد الله قال تنزه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال
له هرون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ما شانك قالت ليس
هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ
راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع وقال له احتفظ بهذا فانه طلبة
امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول
لك ثم دخل على هرون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه فضرب
به الارض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت وجنتاه فقال له سليمان بن جعفر ما هذا الغضب
يا امير المؤمنين ارسل الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة قال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا
فجاء الرسول وقال اجب امير المؤمنين فقال نعم فقال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون
قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر فقالوا
نقوم الى مجلس آخر اصلح فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال
له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال له نحن نعشيك فقال لا حاجة
لي في عشائك فقال له هرون اي شيء تريد منه قال في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال
دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت

وجعل يستحي هرون ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرؤون هذه الاية على
المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ورايت منكرا فغيرته فقال فغيره
فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال اتبع هذا الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي
امير المؤمنين فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض
قد غاصت فجعل يعالجها ولا يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين
يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه يعالج قلعها من الارض وهو يقول

ارى الدنيا لمن هي في يديه ... هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما انت محتاج اليه

ويروى عن سفيان قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا
بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط
الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفين الثوري فقال يا سفين لو كان المنصور ما احتملك
على هذا قال سفين الثوري فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال يا
حسن الوجه ولم يقل يا امير المؤمنين قال فاطلبوه فطلب سفين فاختفى وقد روي عن المامون انه بلغه
ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر
بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك
وكان المامون جالسا على كرسي ينظر في كتاب او قصة واغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم
يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال ماذا تقول
حتى اعاد ثلثا فلم يفهم عنه فقال اما رفعت او اذنت لي حتى ارفع فقال قد اذنت فنظر المامون تحت قدمه
فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا اهل البيت
ونحن الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المؤمنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير انا اعوانك
واولياؤك فيه لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة نبيه قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض يامرون بالمعروف الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك بحرمتهما وان استكبرت
عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن
عملا فقل الآن ما شئت فاعمل فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر بالمعروف فامض
على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر الرجل على ذلك ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل عن الاستغناء

عن الاذن فان قلت افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ
على الاستاد والرعية على الوالي مطلقا كما تثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاد
على التلميذ والسلطان على الرعية او بينهما فرق فاعلم ان الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق في
التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب فللولد الحسبة بالرتبتين
الاولين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة
الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا
فيه نظر وهو بان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط من ثيابه المنسوجة بالحرير ويرد الى الملاك ما
يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه من ادرار ورزق من ضريبة المسلمين اذا
كان صاحبه متعينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة
فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه
الا ان فعل الولد حق وسخط الوالد منشاه حبه للباطل والحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك
بل يلزمه ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا
وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو
كانت له آنية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس
تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله محال النظر فان قلت ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف
والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص واما النهي
عن التعنيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص
ما يوجب الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه حدا في الزنا ولا ان يباشر اقامة
الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته وقد
ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز
له ايذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في
العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح
ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها وهذا يدل على تاكد الحق ايضا واما
الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الولد فليس معه الا التعريف والنصح واما المرتبة الثالثة
ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته وردها الى الملاك وتحليل الخيوط من ثيابه الحرير
واراقة الخمور من بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد الشرع بالنهي عنه
كما ورد النهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشاه
النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما
التلميذ والاستاد فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاد المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة

لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه روي انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب
على الوالد فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه كونه قادرا ولا يخفى ان
العاجز ليس له حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله فيكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود رضي الله عنه
جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط
الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف منه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها
ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل
من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه
الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا
لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة
السلاطين في الظلم والمنكرات فليلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه
الحالة الثانية ان ينتفي المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار
وهذه هي القدرة المطلقة الحالة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم
فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعار الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الحالة الرابعة عكس هذه وهو ان يعلم انه
يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود
الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكنه يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا
ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك
في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان
انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل
من غير اخلاص في الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم
الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب الاية وليس كذلك
فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله عز وجل اي من لم يفعل ذلك
فقد اهلك نفسه وقال البراء ابن عازب رضي الله عنه التهلكة ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال
عبيدة هو ان يذنب الذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ذلك ايضا في الحسبة
ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم
اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه لا يقتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته
واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم وكذلك يجوز للمحتسب
بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في رفع المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية
قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح
وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الاهلاك فان المقصود من الحسبة ان يؤثر في الدين

اثر او تعديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له في الدين بل ينبغي ان يكون هذا حراما وانما تحب
له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فايدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه
غيره من اصحابه او اقاربه او رفقايه فلا يجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر
يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو
وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه
الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا
لمنكر واما شربهم للخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون
وليس يبعد فان هذه المسايل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر
الذي تفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره لياكلها وعلم انه لو منعه من ذلك لذبح انسانا
واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه من ذبح انسان او قطع طرفه يحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه
دقايق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقايق نقول العامي ينبغي له
ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى
ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض معه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتاكد
ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته
فيودي الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطا عن ذلك ان شا الله تعالى فان قيل وحيث اطلقتم القول بعلمه
بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب في
معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في
موضع آخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا او انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل
ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة
وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فايدة فيه
اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا علم الياس عنه من المامور فلا فايدة فيه
فاما اذا لم يكن ياس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما
بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال
هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب
بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب
فان ذلك ممكن في كل حسبة فان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات
وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه
اذا علم انه لا ضرر عليه او ظن انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان
قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه

والمتهور

والمتهور الشجاع يستبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى كانه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا
التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور
في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال
الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او
افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك
دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد
في تخذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما لا يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا
التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة
ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن
عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلا الضعف
على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول
على راي لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه
كذلك الامر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره
طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه
ان يكره السعاية به الى السلطان او ان يقدح فيه في مجلس من يتضرر بقدحه فيه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به
قلنا هذا ايضا نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه
نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة امور اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة
واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه
ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة
الى جميع ما في الدنيا من المطالب وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد
من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما
هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود نعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل
وزواله او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات
حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف
اصلا فلنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح
حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا
من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه
من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة
وجاها في المستقبل اما خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية

ومهما كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما
الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما تحقق تدعو اليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد
على محذور السكوت عن المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم انه
في تأخره شدة الضنا وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز لمثله ترك استعمال الماء
والعدول الى التيمم واذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا
بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم
مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور فلا يبعد ان
يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما في المال
فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه
لقطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص
له في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر
على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع
عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه الامور كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن
الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى
والطبع فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن
لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين في هذا ان يراقب قلبه ويعلم ان الله مطلع على
باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من خير او شر محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة
ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد **واما القسم الثاني** وهو فوات الحاصل فهو مكروه
معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على
سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال والجاه وهذا احد اسباب شرف العلم فانه
يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب
فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة فلم يلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق
واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره
ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا بأس بان يفدي دينه بدنياه
ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المؤلمة في الضرب
وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح
جانب الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملأ من الناس او يطرح منديله
في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم
للقلب وهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد بين الناس حاسرا

حافيا فهذا يرخص في السكوت لان المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب الما يزيد على الم ضربات متعددة
وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو المرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة
تجمل وكذا الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب لكلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف المشي
راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان
يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا العذر وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل
والتحميق والنسبة الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا
زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم او باغتياب فاسق او شتمه او تعنيفه
او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا ينفك الحسبة عن ذلك الا اذا كان المنكر
هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت عن المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة
لانها سبب لزيادة المعصية وان علم انه يترك بذلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا يجب عليه الحسبة لان غيبته
ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت
العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والمال
والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك
لا خطر له واما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه دونهم لان تأذيه بامر نفسه
اشد من تأذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره
فاذا ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه
الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر آخر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء المسلم ايضا وليس له ذلك
الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على
ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منهم بواسطته فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى
اقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى في
مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها
ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه
وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتله عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس
خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا نمنعه عنه ونقاتله اذ ليس غرضنا حفظ
نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتله في الحسبة ليس معصية وقطعه طرف نفسه
معصية وذلك كدفع الصائل على مال المسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم
بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية
وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فلو علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال
حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حال

مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولا نبالي بما يأتي على روحه فاذا المعصية لها ثلاثة احوال احديها ان
تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الاحاد الثانية ان تكون المعصية
راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم
يؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للاحاد والرعية الثالثة ان يكون المنكر متوقعا كالذي
يستعد لكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه
عائق فلا يثبت للاحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا
يجوز للاحاد ولا للسلطان الا اذا كانت المعصية معلومة منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي
اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمامات النساء
للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع
ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه
معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل
مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف
عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة الركن الثاني المحتسب فيه
وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث
عنها **الاول** كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر
اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان راى مجنونا يزني
بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف
هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ
المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر
بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر الى النسوة الحسان كل ذلك من الصغائر ويجب النهي
عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في كتاب التوبة الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال
وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الاحاد بعد انقراض المنكر واحتراز عما سيوجد
في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه
لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق
وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء
وما يجري مجراه **الشرط الثالث** ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره
واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فيه
مشهورة وقد اوردناها في كتاب اداب الصحبة وكذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فراه على
حالة منكرة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت عصيت الله في وجه فقد عصيته انت من ثلثة

اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها
وقد تسورت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه
عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة وكذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسالهم عن الامام
اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار علي رضي الله عنه بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي واحد وقد
اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم في كتاب اداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت فما حد الظهور والاستتار
فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر في
الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان
الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات
المالوفة منهم بحيث يسمع اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت
او رائحة فاذا فاحت رائحة الخمر فان احتمل ان يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان
علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر الخمر في
الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا راى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر علامة خاصة
فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق محتاج ايضا الى الخل وغيره فلا يجوز ان يستدل باخفائه وانه
لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما يكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر ان
له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف
بشكله اذا كان الثوب الساتر له دقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير
مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستر الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة
يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان يخصص ذلك بحاسة
البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم فاذا انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان
يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت
المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارة المعرفة فلا رخصة فيه اصلا **الشرط الرابع** ان يكون كونه منكرا
معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكل الضب والضبع
ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شرب النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام
وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ
وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا من محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين
الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص راه افضل العلماء
ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا
مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو
ان يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل

بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان لم
يكن صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول
له اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه او لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر
آخر في المحسوسات وهو ان يجامع الاصم مثلا على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امراته زوجه اياها ابوه في
صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها
اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه
حلال في علم الله قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته على صفة
في قلب المحتسب مثلا من مشية او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريفه الخروج من ذلك ولكن علم
وقوع الطلاق في الباطن فاذا راه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به
والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا
ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند
الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل الجاهل
لا يمنع منه هذا هو الاظهر والعلم عند الله فيحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وان الشافعي
يعترض على الشافعي فيه ليكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة
والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا فيه بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيها ان
راى انه لا يجري الاحتساب الا في معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في امثال الخمر
والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد
في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره ان
الاستدبار هو الصواب وراى من راى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد غير معتد
به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت فان ثبت فلا يعتد به فان قلت اذا كان لا يعترض
على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي في قوله ان الله تعالى لا يرى ولا في قوله
ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله ان الله جسم وله صورة وانه
مستقر على العرش بل لا ينبغي ان يعترض على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء ايضا
ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب
من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما ثبت بظاهر النص ان الله تعالى يرى فالمعتزلي ينكره بالتاويل فكذلك
ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولي ومسئلة الشفعة بالجوار ونظائرهما فاعلم
ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي
لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطاؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة
الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطاء المخطي فيه قطعا

فلا يبقى لخطائه الذي هو جهل محض عذر فاذا البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وينكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا
انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطاهم معلوم على القطع بخلاف
الخطاء في مظان الاجتهاد فان قلت فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض القدري عليك ايضا
في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله تعالى يرى وفي سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند
المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم انا لاجل هذا التعارض نقول ننظر الى
البلدة التي اظهرت فيها تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن
السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة واهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس
لاحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان فان راى السلطان الراي الحق ونصره واذن لواحد بزجر المبتدعة
عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الاحاد يتقابل
الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعى فيها هذا التفصيل الذي
ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بان القرآن
مخلوق او ان الله لا يرى او انه مستقر على العرش مماس له او غير ذلك من البدع تسلط الاحاد على المنع منه ولم يتقابل
الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط

الركن الثالث المحتسب عليه

وشرطه ان يكون بصفة يصير
الفعل الممنوع منه في حقه منكرا واقل ما يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي لو
شرب الخمر لمنع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني
بمجنونة او ياتي بهيمة يجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره
ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح
وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيا لتوجه اصل الانكار عليه لا ما بها يتهيا للتفاصيل فان قلت
فاكتف بكونه حيوانا ولا يشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع
المجنون من الزنا واتيان البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله
صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر
والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان فعله معصية والثاني حق المتلف عليه
فهما علتان تنفصل احديهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه
فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى
العلتين ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال الانسان اذ البهيمة
لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتة
ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت
جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع
الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي

لا لطمة بالبهيمة المالية او الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه
لطايف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد
يتردد في منعهما من لبس الحرير وفي غير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث ان شاء الله تعالى فان قلت
فكل من راى بهايم قد استرسلت في زرع انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل من راى مالا لمسلم اشرف على الضياع فهل
يجب عليه حفظه فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره
وان قلتم لا يجب فهل يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا
بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران
في ماله او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلمين بل هو اقل درجات الحقوق
والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب في رد السلام فان الاذى في هذا
اكثر من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة
لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر
على الدافع فيه واما ان كان عليه تعب وضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في منفعة بدنه وفي
ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة
فاما ايجابه فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهايم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب
بتنبيه صاحب الزرع من نومه او باعلامه يلزمه ذلك فاهماله التعريف والتنبيه كاهمال التعريف القاضي بالشهادة
وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله
باخراج البهايم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيرجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه
كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل الى المصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية
كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع فيه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع
المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في
تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهو غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل
فيه ما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف العلما في مسئلتين تقرب من غرضنا احدهما
ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضايعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا
ان يفصل ونقول ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او تترك كما لو كان في مسجد
او رباط يتعين من يدخله وكلهم امنا فلا يلزمه الالتقاط وان كان في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها
كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب
كونه انسانا محترما والملتقط ايضا انسان وله حق وان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كان ذهبا او
ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقايل يقول التعريف
والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقايل يقول ان هنا

القدر

القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين ويترك هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم
فانه لا يلزمه السفر الى بلد اخرى الا ان يتبرع به واذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه
الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان في الطرف الاخر من البلد واحوج الى الحضور
في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فاذا الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق
الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزمه احتماله ووسط
يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها
اذ لا علة تفرق بين اجزايها المتقاربة لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف
عن هذا الاصل **الركن الرابع نفس الاحتساب** وله درجات واداب فاولها التعرف ثم التعريف ثم
النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه
ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود **الدرجة الاولى** وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة
بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار
ولا ان يستنشق ليدرك رايحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه
بما يجري في داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او بان في داره خمرا اعدها للشرب
فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستيذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب
للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته دون شهادته ففي جواز الهجوم على
داره بقول هؤلاء نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يدخل الى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم
عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل انه كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت
احسن من اذاعة ما ظننت **الدرجة الثانية** التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا عرف انه منكر
تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذه ليست بصلاة ولو رضي بان لا يكون
مصليا لترك اصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل
والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب
عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطا والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف
عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس
وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد
من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل
قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه
ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة موذيا للقلب فلا بد وان يعالج دفع اذاه
بلطف الرفق فيقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلما ولعل
قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة الطمانينة في الركوع

والنجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور
وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور
الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت على خطاء في غير امر الدين
فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جداء

الدرجة الثالثة

النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا
او فيمن اصر عليه بعد ان عرفه كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب وعلى الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري
مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد في ذلك ويحكى له سيرة
السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى
اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وها هنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها وانها
مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل وربما يقصد بالتعريف الاذلال
واظهار التمييز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر
اقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه
وهو غاية الجهل وهذه منزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله
تعالى عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما
من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة
الخفية المتداعية الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع
ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة
عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي
بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه
نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى فيه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى
عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني قيل لداود الطائي ارأيت رجلا
دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قيل انه يقوى عليه قال اخاف
عليه السيف قيل انه يقوى عليه قال اخاف عليه الداء الدفين وهو العجب

الدرجة الرابعة

السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي
الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابرهيم صلوات الله عليه اف لكم ولما تعبدون من دون
الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش لما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه
مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل اما تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا
المجرى فان كل فاسق هو احمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق

من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذه المرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف
والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة
فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب
والاستحقار له والازدراء بمحله لاجل المعصية وان علم انه لو تكلم لضرب ولو اكفهر واظهر الكراهة بوجهه
لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار به

الدرجة الخامسة

التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه
عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب
وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض واما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة
تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما
ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن
الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان يدفعه او يجره اذا قدر ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز
ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك
كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو
ان لا يأخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق
الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد
بالكسر وحد الكسر ان يصير ذلك الى حال يحتاج في استيناف صلاحه الى تعب يساوي تعب الاستيناف
من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها
بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر
الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا يزيد حرمة ملكه في الظروف
على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال عليه الزمان وادركه الفساق
ومنعوه فله كسرها وهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل
عليه اشغاله فله كسرها وليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث
تكون الاراقة متيسرة فاذا كسر لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل
في الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون عن
الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر اعدامه
المنكر فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك
اذا رأى المصلحة فيه واقول ان له ان يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا رأى
الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد

الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجرا للناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون
واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا
لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة
لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها وانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد
الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها
تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر
الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما
معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر
وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغاية فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها والله اعلم

الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لاضربن رقبتك او
لآمرن بك وما اشبهه وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا
يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك ولاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ان
قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه
الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس
ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه
بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا اشار
بعض الناس انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل فان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا
غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك
اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام

الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه
شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان
يكف والقاضي قد يرهق من يثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق
وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج
الى شهر السلاح وكان يقدر به على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجروح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امراة
او كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك
فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه ويراعي فيه التدريج وكذلك
يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل حال ولا فرق في ذلك
بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا
بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للآحاد

الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى
اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا

قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يؤدي الى تحريك
الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد
الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون
فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد
من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا
باس بقتله والمسلم ان قتل فشهيد وكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما
فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر
على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وسلاحه وبنفسه واعوانه فالمسالة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات
الاحتساب فلنذكر آدابها

بيان آداب المحتسب قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات
ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلث صفات في المحتسب العلم والورع
وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه
والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فلا كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد عن الحد المأذون
شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب
ويورث ذلك جراة واما حسن الخلق فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع
لا يكفي فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى
التحقيق فلا يتم الورع الا بحسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه
في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله تعالى واشتغل بنفسه
بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الاوصاف الثلثة بها تصير الحسبة من القربات وبها
تندفع المنكرات فان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه
الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم
فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون
فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يامر بالمعروف فكن من
آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل

لا تلم المرء على فعله … وانت منسوب الى مثله
من ذم شيئا واتى مثله … فانما يزري على عقله

ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن تسقط اثره عن القلوب بظهوره للناس
وقد روي عن انس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه
كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه
كله واوصى بعض السلف بنيه فقال اذا اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب

من الله تعالى فمن وثق بالثواب لم يجد مس الاذى فاذا من اداب الحسبة توطين النفس على الصبر وكذلك قرن الله تعالى الصبر
بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان يا بنى اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن
الاداب تقليل العلايق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلايق حتى يزول عنه المداهنة فقد روى عن بعض المشايخ
انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار
اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيا لسنورك فقال
ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فان من لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على
الحسبة ومن طمع فى ان تكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه منطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب
لابى مسلم الخولانى كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى
عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما
استدل به المامون رحمه الله تعالى اذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى
من هو خير منك الى من هو شر منى وامره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب
فى الرفق بالانبياء عليهم السلام فقد روى ابو امامة رضى الله عنه ان غلاما شابا اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبى الله اتاذن لى فى الزنا فصاح الناس به فقال النبى صلى الله عليه وسلم قربوه ادن منى فدنى حتى جلس
بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك فقال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم
اتحبه لابنتك فقال لا جعلنى الله فداك فقال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف
انه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل ذلك لا جعلنى الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه
وقالا جميعا فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الاخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال
اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شى ابغض اليه منه يعنى الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان
سفين بن عيينة قبل جوايز السلطان فقال الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال
سفين يا با على ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل
ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعونى انا اكفيكم فقال يا ابن اخى ان لى اليك حاجة فقال وما حاجتك
يا عم قال اريد ان ترفع من ازارك قال نعم وكرامة فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة قال لا ولا كرامة وشتمكم وقال
محمد بن زكريا الغلابى شهدت عبد الله بن محمد بن عايشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا فى طريقه
غلام من قريش سكران وقد قبض على امراة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عايشة
فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخى ثم قال الى يا ابن اخى فاستحيى الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال امض معى
فمضى معه حتى صار الى منزله وادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه
ولا تدعه ينصرف حتى تاتينى به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيى منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امرنى
تاتيه فادخله عليه فقال اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله تعالى وانزع
عما انت عليه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفع راسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسالنى عنه يوم القيمة انى لا اعود

لشرب النبيذ ولا لشى مما كنت فيه وانا تايب فقال ادن منى فقبل راسه وقال احسنت يا بنى فكان الغلام بعد ذلك
يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا فعليكم
بالرفق فى جميع اموركم تنالون به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض لها وبيده سكين
لم يدن منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينما الناس كذلك والمراة تصيح من يده اذ مر بشر بن الحرث
فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل الى الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت
المراة لحالها فسالوه ما حالك فقال ما ادرى ولكنى حاكنى شيخ وقال ان الله تعالى ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت
لقوله قدمى وهبته هيبة شديدة لا ادرى من ذلك الرجل فقالوا له ذاك بشر بن الحرث فقال واسوءتاه كيف
ينظر الى بعد هذا اليوم وحم الرجل من يومه ومات اليوم السابع فهكذا كانت عادة اهل الدين فى الحسبة وقد
نقلنا فيها اخبارا واثارا فى باب البغض فى الله والحب فى الله من كتاب اداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام
النظر فى اداب الاحتساب وبالله التوفيق ولله الحمد والمنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الباب الثالث فى المنكرات المالوفة فى العادات

نشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع فى حصرها واستقصائها فمن ذلك منكرات المساجد اعلم
ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت
عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم فى الشرع يجب تبليغه
الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا
فمما يشاهد كثيرا فى المساجد اساءة الصلاة بترك الطمانينة فى ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلاة بنص
الحديث فيجب النهى عنه الا الحنفى الذى يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة اذ لا ينفع النهى معه ومن راى مسيئا
فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد فى الاثر وفى الخبر ما يدل عليه انه ورد فى الغيبة ان المستمع
شريك القايل وكذلك كلما يقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام
او عمى فكل ذلك يجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهى عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف
فى المسجد تضيع اكثر اوقاته فى مثل ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا افضل له من ذكره
وتطوعه فان هذا فرض وهى قربة تتعدى فايدتها فهى افضل من نافلة تقتصر عليه فايدتها وان كان ذلك يمنعه
عن الوراقة مثلا او عن الكسب الذى هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له
ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان كان يحتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه
والذى يكثر اللحن فى القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه
اللسان فان كان اكثر ما يقراه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر
على التسوية فلا باس له ان يقرا ولكن ينبغى ان يخفض به صوته حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا
كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله اعلم ومنها تراسل المؤذنين
فى الاذان وتطويلهم مد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين وانفراد كل واحد منهم

باذان ولكن من غير توقف في انقطاع اذان الاخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل
ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان
للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع من الاذان بعد الصبح فان ذلك مشوش للصلاة والصوم
على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح وبعده حتى لا يعول على اذانه في صلاة وترك سحور وكان معه مؤذن اخر
معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد
في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او من جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت
مما يخرج من المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف رضي الله عنهم ومنها
ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه
واجب واما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه
وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها
ولكنه ترك الاحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في
اخباره فهو فسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار
الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس
على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله ورحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو
منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اقرب والبق بطباع الخلق فانهم
الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيمة ليدخل النار
كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادى مناد يوم القيمة ليدخل الجنة كل الناس الا
رجلا واحدا لخفت ان اكون انا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار
والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهو منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين
ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه
زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل
يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور
المساجد للصلاة ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء
بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا
وقراءة القران بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القران ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه
شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وقيام
السؤال وقراءتهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه الاشياء منها ما هو حرام لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية

الاطبا

الاطباء وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بالتلبيس على
الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء
عيب عن المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الكتب والادوية والاطعمة فهذا ايضا
في المسجد لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس
بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام
حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة
بشرط عدم الاصرار فان ذلك القليل من هذا لو فتح بابه خيف ان ينجر الى الكثير فليمنع منه ولكن هذا المنع الى الوالي
او الى القيم بمصالح المسجد من جهة الوالي لانه يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للاحاد المنع مما هو مباح في نفسه
لخوفه ان ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ولا باس بدخول الصبي المسجد اذا
لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك عادة فهذا
يجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما رويناه في الصحيحين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقف لاجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت الى الحبشة يلعبون ويزفنون بالدرق والحراب يوم العيد
في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى
نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظرهم عائشة رضي الله عنها تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يا
بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم او شتمهم او نطقهم بما هو
فحش او تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيرها فاما المجنون الهادي الساكت الذي قد علم بالعادة
سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني القيء والايذاء باللسان
وجب اخراجه وكذا ان كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه فائحة فهو
منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الثوم والبصل عن حضور المساجد ولكن
يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان قال قائل ينبغي ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغي
ان يلزم القعود في المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى
الاحاد بل الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما بمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا
بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار اثر السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصي
يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر اثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة
قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصول الخمر الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان يعول عليه

منكرات الاسواق

من المنكرات المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة
واربح فيها درهما وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان به
شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فليلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع مال
اخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي

حتى يحرم ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفا بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه
وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة العقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة
وكذا ساير التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان فتلك
يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس
الذهب والحرير اعني الفضة واعني بالحرير ما لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يلبسه الا الرجال فكل
ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة الذي يلتبس على الناس بقصارتها ابتذالها واستعمالها
ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يؤدي الى الالتباس
وكذلك جميع انواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم يذكر

منكرات الشوارع

فمن المنكر المعتاد في الشوارع وضع الاساطين وبنا الدكاك متصلا بالابنية المملوكة وغرس الاشجار
واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب والاطعمة وغيرها على الطرقات فكل ذلك منكر ان كان
ذلك يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارة وما لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع
الحطب واحمال الاطعمة في الطريق على القدر الذي ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا
يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطرق بحيث تضيق الطريق وتنجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر
حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعي هي
الحاجة التي تراد الشوارع لاجلها في العادة دون ساير الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق
ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا
منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك نعم لا يترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة نقلها وكذلك تحميل الدواب
من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب على باب دكانه وتلويث الطريق بالدم
منكر يجب المنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا للطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش
النجاسة واضرارا بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح الكناسة على جواد الطريق وتبديد قشور
البطيخ او رش الما بحيث يخشى منه التزلق والتعثر فكل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة
من الحائط الى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب ويضيق الطريق ولا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول
عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطريق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين
الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على
الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها
الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا
بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع
صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع

منكرات الحمامات

فمن ذلك الصور التي تكون على باب الحمام او داخل الحمام فذلك منكر يجب ازالته على كل من دخل الحمام او داي الصور
ان قدر عليها فان كان الموضع مرتفعا لم يصل اليه بيده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان
مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه ان يشوه وجوهها بحيث يبطل تصويرها ولا يمنع من تصوير الاشجار وساير النقوش سوى
صور الحيوانات ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ
بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي
الدلاك لتغميز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع حايل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة
وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذميات في الحمام فكيف
يجوز لها كشف العورة للرجال ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس
في الحوض وماؤه قليل فانه منجس الماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية
والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف
وهو ان يقول له انا محتاج الى ان تغسل يدك اولا ثم تغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذاي وتفويت الطهارة
علي هذا وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمامات ومجاري
مياهها حجارة ملسا مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي
الى السقطة والسقطة تؤدي الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام
منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فتزلق به انسان فانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث
يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ على الحمامي تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان
على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ العادة تنظيف الحمام كل يوم والرجوع في مواقيت
اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفي الحمام امور اخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نطول
باعادتها

منكرات الضيافة

فمن ذلك فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمر فضة او
ذهب وكذلك الشرب منها او استعمال ماء الورد فيها او مما راسه منها وكذلك تعليق الستور وعليها
الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النسا على السطح للنظر الى الرجال مهما كان
في الرجال شبان يخاف الفتنة بينهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم
يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزرابي المفروشة
فليس بمنكر وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فانه قد يكون بعض رؤس المجامر
على شكل طاير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد حكي ان
احمد بن حنبل رحمه الله خرج من الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت
الثياب المفروشة حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل
حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرته للفسق وانما النظر
في مجالسته بعد ذلك وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله عز وجل
وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب

على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزا لعموم قوله عليه الصلاة
والسلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يانس به فاذا بلغ
عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره
فينبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ واما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في
حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله تعالى والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب
والحرير للنساء من غير اسراف   ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان ذلك
جرح مولم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير
مهم بل في التقريط بتعليقه في الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه
واجب والاستيجار عليه غير صحيح والاجرة الماخوذة عليه حرام الا ان يثبت فيه من جهة النقل رخصة ولم يبلغنا
الى الآن فيه رخصة   ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على
عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة له والاعراض
عنه كما ذكرنا في باب البغض في الله   وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش
والكذب لم يجز الحضور معه وعند الحضور يجب الانكار وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني
ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل حديث لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من
جملة المنكرات كقول الانسان مثلا قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت القول عليك الف مرة وما يجري هذا
المجرى مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد به الشهادة وسياتي حد المزح المباح
والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات   ومنها الاسراف في الطعام والبناء فانه منكر وفي
المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب
وتخريقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع
الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة
والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف ه
بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا وله عيال واولاد ولا معيشة لهم ولا كسب
فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه من ذلك قال الله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا   انزل هذا في رجل كان بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء
وقال الله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا   فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان
له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في اعمال البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان
يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو ايضا اسراف محرم
وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها

وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب
والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا
يمكن حصرها فقس بها منكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية
وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات تستدعي استيعاب جميع
تفاصيل الشرع اصلا وفرعا فلنقتصر على هذا القدر منها

المنكرات العامة

اعلم ان كل قاعد في بيته
اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ه
فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد
والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا
في كل قرية   وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد
ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم
فان اكثرها تكون شبهة فان قام بهذا الامر واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم
فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم   وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف
غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم   وكل
من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق
لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشان الفقيه ه
وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته
ولا يخرج الا الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي
وكذلك كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان
يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته
ويقدر على تغيير البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا
يقدر على تغييره وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح   فحق على كل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها
بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى
اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف لبلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا
الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج
ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه
فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه ويشغله عن تزجية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق
العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه والله تعالى اعلم

الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع

بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاولتان وهما التعريف والوعظ
واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من
المحذور اكثر واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة
يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض
للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله
على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصف النبي صلى
الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لا تاخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما
له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك ان قتل
فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين
عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله تعالى وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف
ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف رضي الله عنهم وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين
في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي من
انكار ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي
عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما اكثر ما رايت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما الى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق
جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبيناهم كذلك اذ طلع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت
ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه
ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده
لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة
قبل ذلك ليرفاه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا
قط قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم
لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم منه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم كذلك اذ طلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا انت الذي
تقول كذا لما كان بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم فيقول صلى الله عليه وسلم نعم انا الذي اقول ذلك قال
فلقد رايت منهم رجلا اخذ بمجامع ردائه قال وقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه دونه ويقول وهو يبكي
ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت منه

صلى الله عليه وسلم وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه على
عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر رضي الله عنه فاخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي ان معاوية رضي الله عنه حبس العطاء
فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية انه ليس من كدك ولا كد ابيك ولا كد امك قال فغضب معوية
ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم فغاب عنهم ساعة ثم رجع اليهم وقد اغتسل فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفى
النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدي ولا كد
ابي فهلموا الى عطاياكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا ابو موسى الاشعري رضي الله عنه اميرا
بالبصرة وكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انشا يدعو لعمر رضي الله عنه
فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر رضي الله
عنه يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه
فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت فقلت انا ضبة بن محصن العنزي قال فقال لا مرحبا ولا
اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا يا عمر استحللت اشخاصي من مصري بلا ذنب
اذنبته ولا شيء اتيته قال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن اخبرك انه كان اذا خطبنا حمد الله
واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم انشا يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت اين انت
من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو
يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال فقلت غفر الله لك يا امير المؤمنين
قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك ان احدثك بليلته
ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين
خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون
امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما راى ابو بكر رضي الله عنه انها قد حفيت حمله على عاتقه
وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل
بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه ابو بكر قدمه
مخافة ان يخرج منه شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه فنهشته حية وجعلت دموع ابي بكر تتحدر
على خديه من الم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته
عليه الطمانينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال

بعضهم نصلي ولا تزكي فاتيته لا الوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار
في الجاهلية خوار في الاسلام فيماذا اتالفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني
عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا
يومه ثم كتب الى ابي موسى يلومه   وعن الاصمعي قال دخل عطا بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على
سريره وحوله الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على
السرير وقعد بين يديه وقال له يا ابا محمد قل حاجتك قال يا امير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله
فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور
فانهم حصون المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم
ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة
لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف
هذا وابيك الشرف   وروي ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب واذا مر بك رجل
عليه سمت حسن فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطا بن ابي رباح وهو لا يعرفه
فقال له يا شيخ ادخل على امير المؤمنين فانه امر بذلك فدخل عطا على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا
عطا من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك امرتك ان تدخل
الي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له حاجبه
ما مر بي غيره ثم قال لعطا اجلس ثم اقبل عليه يحدثه عطا وكان فيما حدثه عطا ان قال له بلغنا ان في جهنم
واديا يقال له هبهب اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين عتبة باب
المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المؤمنين فقبض عطا على ذراع
عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطا وانصرف فبلغنا ان عمر بن عبد العزيز
قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي   وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك
ابن مروان فقال له عبد الملك تكلم فقال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال الا ما كان
لله قال فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا امير المؤمنين
ان الناس في القيمة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك
ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات نصب عيني ما دمت حيا   وروي عن ابن عائشة ان الحجاج دعا فقهاء
البصرة وفقهاء الكوفة قال فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري اخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي
الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسائلنا اذ ذكر علي بن ابي طالب رضي
الله عنه فنال منه ونلنا مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك
ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الاية فعلي

ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب
سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان تحظرها عليه ولا تحول بينه وبينها
واقول انه كانت له هنات والله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن
السرير فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت
صدره فقال اليك عني يا عامر تقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس
تكلمه بهواه فتقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت فقال عامر يا ابا
سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذلك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة   قال وبعث الحجاج
الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك
على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك لسانك واياك
ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك   وحكي ان حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل قال
انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلث خصال ان سئلت لاصدقن وان ابتليت
لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل
بالظنة قال فما تقول في امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة
من خطاياه فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شققوا له القصب ثم جعلوه على لحمه
ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه
في اخر رمق قال اخرجوه وارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا له يا حطيط الك حاجة
قال شربة ماء فاتوه فشرب ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة رحمه الله   وروي ان عمر بن هبيرة دعا فقهاء اهل
البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقراءها فجعل يسالهم وكلم عامر الشعبي فجعل لا يساله عن شيء
الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة يعني الشعبي
وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن وامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا ابا
عمرو اني امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ومامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب
حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر فاخذ عليهم فيه فاقبض
طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المؤمنين اني قد قبضته على ذلك
من النحو فيكتب الي ان لا ترده عليهم فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل علي في
هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت لك قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما السلطان
والد يخطي ويصيب قال فسر بقولي واعجب به ورايت البشر في وجهه وقال فلله الحمد واقبل على الحسن فقال
ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل مامور
على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك
ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحفظها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة وتقول انى
انما قبضت من عطايهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى الطاعة فيبلغ امير المومنين انى قبضتها
على ذلك النحو فيكتب الى ان لا ارده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير
المومنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله فاعرض كتاب امير المومنين على كتاب الله عز وجل
فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك
ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك
ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة وان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك
من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة فى معصية الله وانى احذرك باس الله الذى لا يرده عن القوم المجرمين
فقال ابن هبيرة اربع على ضلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب
الحلم وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى ولاية من امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال
الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من
ينصح لك فى دينك ويحملك على امر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة قد بسر وجهه
وتغير لونه قال الشعبى فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك
عنى يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادى اليه
وكنا اهلا ان يفعل بنا ذلك فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربى بين المقاريف وما
شهدنا مشهدا الا برد علينا وقال الله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبى وانا اعاهد الله انى لا اشهد سلطانا
بعد هذا المجلس فاحابيه وودخل محمد بن واسع على بلال بن ابى برده فقال له ما تقول فى القدر فقال جيرانك
اهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر وعن الشافعى رضى الله عنه قال حدثنى عمى محمد بن على قال انى لحاضر
مجلس امير المومنين ابى جعفر وفيه ابن ابى ذيب قال وكان والى المدينة الحسن بن زيد قال واتى الغفاريون فشكوا
الى ابى جعفر من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن ابى ذيب قال فساله فقال ما تقول فيهم
يا ابن ابى ذيب قال اشهد انهم اهل تحطم فى اعراض الناس كثير والاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون
يا امير المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن ابى ذيب ما تقول فى الحسن بن زيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابى ذيب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله
عن نفسك فقال ما تقول فى قال تعفينى يا امير المومنين قال اسالك بالله الا اخبرتنى قال سالتنى بالله كانك
لا تعرف نفسك قال والله لتخبرنى قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته فى غير اهله واشهد ان الظلم
ببابك فاش قال فجثا ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده فى قفا ابن ابى ذيب فقبض عليه وقال له اما والله لولا
انى جالس ههنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن ابى ذيب يا امير المومنين
قد ولى ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاخذا الحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا انافهم قال فخلى
ابو جعفر سبيله وقال والله لولا اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابى ذيب والله يا امير المومنين انى انصح لك

من ابيك المهدى قال فبلغنا ان ابن ابى ذيب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفين الثورى فقال له يا ابا
الحرث لقد سرنى ما خاطبت به هذا الجبار ولكن سانى قولك له ابيك المهدى فقال يغفر الله لك يا ابا
عبد الله كلنا مهدى كلنا كان فى المهد وعن الاوزاعى عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الى ابو جعفر المنصور امير
المومنين وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد على واستجلسنى ثم قال ما الذى
بطا بك عنا يا اوزاعى قال قلت ما الذى تريد منى يا امير المومنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال
قلت فانظر يا امير المومنين ان لا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه وجهت
اليك واقدمتك له قال قلت تجهله ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بى الربيع واهوى بيده الى السيف
فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام فقلت يا امير المومنين
حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه
فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها
سخطا يا امير المومنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال مات
غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذى
لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم
بنفسه فى ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما
ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم
من سوء يا امير المومنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم
واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فيام من وراء فيام ليس
منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثنى مكحول عن عبد بن روبم
قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلم
فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف من شقق ابشارهم
وسفك دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المومنين حدثنى مكحول عن زياد
عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه فى خدش خدشه
اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبى صلى الله عليه
وسلم بالاعرابى فقال اقتص منى فقال الاعرابى قد احللتك بابى انت وامى وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على
نفسى فدعا له بخير يا امير المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب فى جنة عرضها السموات
والارض التى يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير
المومنين ان الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين تدرى ما جاء فى
تاويل هذه الاية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة
الضحك فكيف بما عملته الايدى وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغنى ان امير المومنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت ان اسأل عنها فكيف عمن حرم عدلك وهو على
بساطك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه الآية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا اقعد الخصمان بين يديك فكان لك في
احدهما هوى فلا تتمنين في نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة
يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا
الهزيل على الكلاء والماء يا امير المومنين انك بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه
واشفقن منه يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرو الانصاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان
لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس الا اتي به يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار ينتفض
به ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان
مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوي في النار سبعين خريفا فقال له عمر رضي الله عنه ممن سمعت هذا قال من ابي
ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه من
يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى
وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم امارة
على مكة او الطايف او اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها خير من امارة لا
تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيئا اذ اوحى الله اليه وانذر عشيرتك
الاقربين فقال يا عباس ويا حمزة عمي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم وقد
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل اريب العقل لا يطلع منه على عورة ولا يحنق
منه على جرة ولا ياخذه في الله لومة لائم ثم قال الامراء اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد
في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا
هلاك الا ان يرحمه الله وامير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه شر الرعاء الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين
ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر
ليوم القيمة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله عز وجل امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد
عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها والذي
بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في
مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت
وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى

النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله تعالى على وحيه قال اخاف ان ابتلى
بمثل ما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا
يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على ساير الانبيا
كفضل جبريل على ساير ملايكة السماء وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت
تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب وبعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين
ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى فانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه
ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت فقال الي اين فقلت الى
الولد والوطن باذن امير المومنين ان شاء الله قال فقد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها
والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل
هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة فقلت افعل ان شاء الله قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين
به على خروجه فلم يقبله فقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم
يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم امير المومنين المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف
في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت
الصلاة فيخرج فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حتى اسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم
اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في
مشيته حتى ملا مسامعه من قوله ثم رجع فجلس ناحية من المسجد وارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول وقال اجب
امير المومنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك
تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما
امرضني واقلقني فقال يا امير المومنين ان امنتني على نفسي انباتك بالامور من اصولها والا اقتصرت على نفسي فلي
فيها شغل شاغل فقال له انت امن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر
من البغي والفساد في الارض انت قال ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء على يدي والحلو والحامض
في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المومنين ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين واموالهم
فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحجبة
معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا
ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح
وامرت ان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع
ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما راك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم
لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا

لا تخونه وقد تحزلنا فاتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف
لهم امرا الا اقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم
وكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا به على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
من رعيتك لينالوا الظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولاء القوم شركاوك
في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان اراد رفع قصة اليك عند ظهورك
وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب
المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه
ويلوذ به ويشكو او يستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا اجهد واخرج وظهرت انت صرخ بين يديك فضرب
ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر فما بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية
وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل ياتي من اقصى
البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى
سلطانهم فينتصف له وقد كنت يا امير المومنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب
سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراوه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة التي
نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان ذهب سمعي فان بصري لم يذهب
نادوا في الناس الا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا
يا امير المومنين مشرك بالله قد غلبت رافته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مومن بالله وابن
عم نبي الله صلى الله عليه وسلم لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد
من ثلثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض
من مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة
الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله الذي يعطي من يشاء وان قلت اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك
الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع
وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حتى اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب
غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير
المومنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله
عز وجل وما انت فيه من امر الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في
العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الملك الحق
المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك
الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال ليتني لم اخلق ولم اك شيا ثم قال كيف احتيالي
فيما خولت ولم ار من الناس الا خاينا فقال يا امير المومنين عليك بالايمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال

العلما قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب
وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل
وانا ضامن عن من هرب منك ان ياتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني
ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرسي عليك
بالرجل ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا
هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله قال بلى
قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد آلى على نفسه ان يقتلني ان لم آتيه بك قال ليس الى ذلك من سبيل
قال يقتلني قال ولا يقتلك قال فكيف قال تحسن تقرا قال لا قال فاخرج من مزود كان معه رقا فيه
مكتوب شيء قال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعا الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهدا
قلت يرحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني ما هذا الدعا وما فضيلته قال من دعا به مسا وصباحا
هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاوه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على
عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا يقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت
بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية
عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار
امر الدنيا والآخرة بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن
خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك امنا واسالك مستانسا
وانك المحسن الي واني المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي وابتغض اليك ولكن الثقة بك حملتني على
الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي
هم غير امير المومنين فدخلت فسلمت عليه فرفع راسه الي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر قلت لا والله يا
امير المومنين ثم قصصت عليه امري مع الشيخ قال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر
بنسخه واعطاني عشرة الاف درهم ثم قال اتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام وعن ابي عمران
الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلما فهنوه بما صار اليه وفيه وفتح بيوت الاموال واقبل
يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلما والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان قبل
مواخيا لسفين بن سعيد الثوري قديما فهجره سفين ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه
فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون وكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن
الرحيم من عبد الله هرون الرشيد امير المومنين الى اخيه سفين الثوري اما بعد يا اخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى
واخا بين المومنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك
واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك
في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت

نظرحه

بيوت الاموال عليهم واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني قد استبطاتك فلم تاتني فقد
كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا عبد الله ما جاء في فضل المومن في زيارته ومواصلته فاذا
ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفين وخشونته
فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال له يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق
به الى الكوفة فاذا دخلتها فاسئل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفين الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه
وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق
به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفين فقيل له هو في المسجد قال عباد فاقبلت
الى المسجد فلما راني قام قايما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا
الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما راني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة
فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم
السلطان فهم خايفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد راسه وردوا السلام علي برؤس الاصابع فبقيت
واقفا ما منهم احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم وقلت ان المصلي هو
سفين فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم
وادخل يده في كمه ولفها بعباته واخذه فقلبه بيده ثم دحاه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم يقراه فاني
استغفر الله ان امس شيا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خايف من فم حية تنهشه
ثم فضه وقراه واقبل سفين يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهره فقيل
له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه
من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شي مسه ظالم عندنا فيفسد علينا
ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفين بن سعيد بن المنذر الثوري الى
العبد المغرور بالامال هرون الذي سلب حلاوة الايمان اما بعد اني قد كتبت اليك باني قد صرمت حبلك وقطعت
ودك وقليت موضعك وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال
المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على
نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي
الله عز وجل يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المولفة قلوبهم والعاملون عليها
في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القران واهل العلم والارامل والايتام ام هل
رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم بانك ستقف
بين يدي الملك العدل وتفكر في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القران ومجالسة الاخيار
ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون
بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون

يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام
عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله عز وجل احشروا
الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما
الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى النار وكاني بك يا هرون قد اخذت
بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك على سياتك بلاء
على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت
لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة
عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صاير الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا
بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه واخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر دنياه واخرته
فاياك واياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى الي الكتاب منشورا
غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة في قلبي فناديت يا اهل الكوفة
فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله عز وجل فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت
لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباة قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من
اللباس الذي كنت البسه مع امير المومنين فاقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب
امير المومنين هارون حافيا راجلا فهزى بي من كان على باب الخليفة ثم استوذن لي فلما دخلت عليه وبصرني هرون
على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قايما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول
وخاب المرسل ما لي وللدنيا ما لي وللملك يزول عني سريعا ثم القى الكتاب اليه منشورا كما دفع اليه فاقبل هرون
يقراه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسايه يا امير المومنين لقد اجترى عليك سفين
فلو وجهت اليه واثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال له هرون اتركونا يا عبيد
الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه ان سفين امة وحده فاتركوا سفين وشانه ثم لم يزل كتاب
سفين الى جنب هرون يقراه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم
عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد
فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان
يؤذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته
يا امير المومنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا امير
المومنين حدثني ايمن بن نايل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة
على ناقة له صهبا لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المومنين خير لك من
تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم
يا امير المومنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف عن جماله كتب في خالص ديوان الله عز وجل من

الابرار قال احسنت يا بهلول مع الجايزة قال اردد الجايزة على من اخذتها منه فلا حاجة لى فيها قال يا بهلول
فان يكن عليك دين قضيته قال يا امير المومنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون اجمعت اراؤهم ان قضاء الدين
بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك او يقيمك قال فرفع بهلول راسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين
انا وانت من عيال الله عز وجل فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هرون السجاف ومضى وعن ابى العباس
الهاشمي من ولد صالح بن المامون قال دخلت على الحرث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا ابا عبد الله حاسبت نفسك
فقال هذا كان مرة قلت له فاليوم قال اكاتم حالى انى لاقرأ اية من كتاب الله عز وجل فاضن بها ان تسمعها نفسى
ولولا ان يغلبنى فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا فى محرابى اذا انا بفتى حسن الوجه طيب الرايحة
فسلم على ثم قعد بين يدى فقلت له من انت فقال انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين فى محاريبهم ولا
ارى لك اجتهادا فاى شئ عملك فقلت كتمان المصايب واستجلاب الفوايد قال فصاح وقال ما علمت ان
احدا بين جنبى المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان
اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسألون الله تعالى كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح
صيحة غشى عليه فمكث عندى يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث من ثيابه فعلمت زوال عقله فاخرجت له
ثوبا جديدا وقلت له هذا كفنى قد اثرتك به فاغتسل واعد صلاتك قال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف
بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لى قم فلم يزل يمشى حتى دخل على المامون امير المومنين فسلم عليه ثم
قال له يا ظالم وانا الظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيرى فيك اما تتقى الله عز وجل فيما قد
ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت قال انا
رجل من السياحين فكرت فيما عمله الصديقون قبلى فلم اجد لنفسى فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلى الحقهم
قال فامر بضرب عنقه فاخرج وانا قاعد على الباب ملفوفا فى ذلك الثوب ومناد ينادى من ولى هذا
فلياخذه قال حارث فاختبئت عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت فى مسجد
فى المقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى فاذا هو بين وصايف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت
والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة
ركبان فقلت من انتم قالوا الكاتمون احوالهم حرك هذا كلامه له فلم يكن فى قلبه مما وصفت شئ فخرج للامر والنهى وان الله عز وجل انزله منا
وغضب لعبده وعن احمد بن ابرهيم المقرى قال كان ابو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا
يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف
بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ راى زورقا فيه ثلثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه
لم يعرف فى التجارات ولا فى البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح اى شئ فى هذه الدنان قال واى
شئ عليك امض لشغلك فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له احب ان
تخبرنى اى شئ فى هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفى فضولى هذا خمر للمعتضد يريد ان يتم به مجلسه فقال
النورى وهذا خمر قال نعم قال احب ان تعطينى ذلك المردى فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردى حتى

انظر ما يصنع فلما صار المردى بيده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا بعد دن حتى اتى على آخرها الا دنا واحدا
والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ يونس بن افلح فقبض على النورى واشخصه الى حضرة
المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه
وهو جالس على كرسى حديد وبيده عمود يقلبه فلما رانى قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة
قلت الذى ولاك الامامة ولانى الحسبة يا امير المومنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه وقال
ما الذى حملك على ما صنعت قلت شفقة منى عليك اذ بسطت يدى الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه
قال واطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع راسه وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت فى تخلصه
علة اخبر بها امير المومنين ان اذن فقال هات خبرنى فقلت يا امير المومنين انى قدمت على الدنان بمطالبة
الحق سبحانه وتعالى بذلك وغمر قلبى شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق فاقدمت عليها
بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فوجدت فى نفسى كبرا على ان اقدمت على مثلك وامتنعت ولو اقدمت
عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنانا لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير
ما احببت ان تغيره من المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المومنين بغضت التغيير الى لانى كنت اغير عن الله
وانا الآن اغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا امير المومنين تامر باخراجى سالما فامر له بذلك
وخرج الى البصرة وكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسأل حاجة يسألها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفى المعتضد
ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة
السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر
كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع السنة العلماء فسكتوا
وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا الله وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعية
بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه
حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال ولله الحمد والمنة

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق كل شئ فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه
وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين
وسلم كثيرا اما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال
نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسراير القلوب هى مغارس الافعال ومنابعها وانوار السراير هى
التى تشرق على الظواهر فتزينها وتحليها وتبدل المحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه
ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم

ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب
ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها وإعادتها
فان كل الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالاسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الأسانيد
ليجتمع فيه مع جمع الآداب تجديد الايمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه
أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف الى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته
التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام
الصمم والله تعالى ولي التوفيق والاقتدا بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فانه
دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ونذكر فيه أولا بيان تأديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من
محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان
آدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع المقدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكرهه ثم بيان جوده وسخائه
ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب
ومكارم الأخلاق وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الأخلاق فاستجاب
له دعاءه وفاء بقوله تعالى ادعوني أستجب لكم فأنزل الله عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن قال سعد
ابن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ
القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما أدبه بالقرآن بمثل قوله تعالى خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور وبقوله تعالى ولمن
صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور وبقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله تعالى
وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وبقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم وبقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وبقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم
يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله
تعالى ليس لك من الأمر شيء تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو صلى الله عليه
وسلم المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ثم يشرق منه النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب
الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق
بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال

وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه انظر الى عميم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذي زينه بالخلق
الكريم ثم أضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين للخلق أن
الله تعالى يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها قال علي كرم الله وجهه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم
في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي أن يسارع الى مكارم الأخلاق
فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو
خير منه لما أتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب
فاني بنت سيد قومي وان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم
يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طي فقال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك
مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق وان الله يحب مكارم الأخلاق فقام
أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا
حسن الأخلاق وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حف الاسلام
بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف
واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار
لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الداعي لدعوة الطعام والدعاء عليه والعفو
والاصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه
الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء
والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة
والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال أنس رضي الله عنه فلم يدع
نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا أو قال شيئا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي
من ذلك كله هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية وقال معاذ رضي الله عنه
أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد
وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل
ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما
أو تكذب صادقا أو تصدق كاذبا أو تطيع آثما أو تعصي اماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله تعالى
عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا أدب عباد
الله ودعاهم الى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب

بيان جملة من محاسن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الناس
وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات
محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو

الى منزله حتى يبرا منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير
ويضع ذلك في سبيل الله لا يسال شيا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيوثر منه حتى ربما احتاج قبل
انقضا العام ان لم ياته شي وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن
وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن
او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر على اجابة الامير والمسكين يغضب لربه عز
وجل ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين
على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال لا انتصر بالمشركين او قال
بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه
بماية ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وياكل ما حضر
ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او
شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل
متكا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه
لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنايز ويمشي وحده بين اعدايه بلا حارس اشد الناس تواضعا
واسكنهم في غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شي من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة
ومرة حبرة يمانية ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف
خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهبا ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا
رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الروايح الردية ويجالس الفقراء
ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان
يوثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد ويقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من
غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت
هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في ماكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى
او فيما لا بد له من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه
يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يكتب
ولا يقرا نشا في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية غنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن
الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة والغبطة والخلاص في
الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتاسي به في فعله امين يا رب العالمين

باب جملة اخرى من ادابه واخلاقه مما رواه ابو البختري

قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المومنين بشتيمة الا جعلها الله رحمة وكفارة وما لعن امراة
قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا

وكان اذا سيل ان يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعا عليه ودعا له وما ضرب بيده احدا قط
الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شي صنع اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله وما خير بين امرين قط
الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان ياتيه احد حر او عبد
او امة الا قام معه في حاجته وقال انس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق ما قال لي في شي قط كرهه لم فعلته
ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل ان يبعثه
في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيية
السيية ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابا وملكه بالشام يا تزر على وسطه هو ومن معه رعاة القرآن
والعلم يتوضا على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدا من لقيه بالسلام ومن قاومه او
فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ وكان اذا لقي احدا
من اصحابه بداه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى
وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته واقبل عليه وقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى
صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيده عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من
مجالس اصحابه لانه كان حيث انتهى به المجلس جلس وما رئي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد
الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط
ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه وكان يوثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فان ابى
ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه
من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه الى الجالس اليه ومجلسه مع
ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى
بما كناه به وكان يكني ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنا ويكني الصبيان فيستلين
به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان اراف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس
للناس ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله
الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان
اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار كان
كلامه كخرزات النظم قالت عايشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون
الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل عليه السلام وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد
وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه

وكان

وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا
والغضب الا الحق ويعرض عمن يتكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا
يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه
وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى
تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما
وهو عليه الصلاة والسلام متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا يا اعرابي لا تفعل فانا ننكر لونه
فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال
يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك
هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من اكثر الناس تبسما
واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة وعظ وكان اذا سر ورضي فهو احسن الناس
رضا واذا وعظ وعظ بجد وان غضب ولم يكن يغضب الا لله لا يقوم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها
وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه
وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا
لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط
مستقيم

بيان آدابه واخلاقه في الطعام

كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما وجد وكان احب الطعام
اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها
نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي
الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه
الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكل الشيطان وجاءه عثمان بن
عفان رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في
البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج
فيأتي كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب وكان ياكل خبز الشعير غير منخول وكان ياكل القثاء
بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما اكله بالرطب
ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت به شاة فاشار بالنوى اليها
فجعلت تاكل من كفه اليسرى وهو ياكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل العنب خرطا يرى زؤانه على
لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يتقاطر منه وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين
وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه
كل يوم لفعل وكان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس صلى الله عليهم وسلم قالت عائشة
رضي الله عنها كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي
يصطاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصطاد له ويؤتى به فياكله وكان اذا اكل اللحم لم يطاطئ راسه اليه
ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينهسه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر
الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان ياكل
من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان
لا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك وكان لا ياكل
الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط ولكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وما عافه لم يبغضه الى
غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه
من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع
البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى
عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلث
دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعبه عبا وربما كان يشربه
بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان كان من على
يساره اجل رتبة قال الذي على يمينه السنة ان تعطى فان احببت آثرته واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه
وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكن اكره الفخر والحساب بفضول
الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا
يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل وما يشرب بنفسه
صلى الله عليه وسلم

بيان آدابه واخلاقه في اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما
وجد من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان تعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها
احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس يلبسه فتحسن خضرته على بياض
لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود
الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها
وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انا عبد البس كما يلبس العبد
وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين
كتفيه وربما ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون
ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي
البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت وامي ما فعل
ذلك الكساء الاسود قال كسوته قالت ما رأيت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده وقال انس

رضى الله عنه وربما رايته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط
يستذكر به الشئ وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير
عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه وجعلها سترة بين يديه ثم يصلى اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة
على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على رضى الله عنه فربما طلع على فيها فيقول صلى الله
عليه وسلم اتاكم على فى السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما اوارى به
عورتى واتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة
وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا
كان فى ضمان الله وحرزه وخير ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه
ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما ينتقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره
وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو
الفقار وكان له سيف يقال له المخذم واخر يقال له الرسوب واخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه
من فضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلث حلق من فضة وكان اسم قوسه المكتوم وجعبته الكافور وكان
اسم ناقته القصوى وهى التى تسمى العضبا واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب
لبنها غيبة وكان له مطهرة من فخار يتوضا فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا
فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم
واجسامهم يبتغون بذلك البركة

باب عفوه مع القدرة

كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم فى
العفو مع القدرة حتى اتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله
لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدا
وروى جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم حنين من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل
يا نبى الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا لم اعدل قد خبت اذا وخسرت ان
كنت لا اعدل فقام عمر رضى الله عنه فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل
اصحابى وكان صلى الله عليه وسلم فى حرب فراى من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسيف فقال من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال
من يمنعك منى قال كن خير اخذ فقال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال لا غير انى لا اقاتلك ولا اكون معك
ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وروى انس رضى الله عنه ان
يهودية اتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجئ بها اليه فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك
فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها قال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبريل عليه السلم
بذلك حتى استخرجه وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا اظهره عليه قط وقال على رضى الله
عنه بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها

ضعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فاذا الظعينة فقلنا اخرجى الكتاب فقالت ما
معى كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لننزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله عليه وسلم
فاذا فيه من حاطب ابن ابى بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرا ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين
لهم قرابات بمكة يحمون بها اهليهم فاحببت اذ فاتنى ذلك منهم من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى
ولم افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن دينى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك
لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم صلى الله عليه وسلم قسمة فقال
رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال
رحم الله اخى موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى
شيا فانى احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر

بيان اغضائه عما كان يكره

كان صلى الله عليه
وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر من
مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكره دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه ولم يقل له شيا حتى خرج فقال
لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعنى الصفرة وبال اعرابى فى المسجد بحضرته فهم به اصحابه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه اى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من
القذر والبول والخلاء وفى رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابى يوما يطلب منه شيا فاعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابى لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه
فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابى وزاده شيا ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابى
نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى نفس اصحابى من ذلك شئ
فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان من الغد او
من العشى جاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال فزدناه فزعم انه رضى اكذلك فقال
الاعرابى نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل هذا الاعرابى كمثل
رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين
ناقتى وانى ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحبها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت
واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار

بيان سخاوته وجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيا وكان على رضى
الله عنه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واجرى الناس صدرا واصدق الناس لهجة
واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله

ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سئل شيأ قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فساله فاعطاه غنما
بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيأ قط فقال لا وحمل
اليه تسعون الفا فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله فقال ما
عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم النبى صلى الله عليه
وسلم وعرف السرور فى وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى شجرة
فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه نعما
لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم**
كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس واشجعهم قال على رضى الله عنه لقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله
عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقى القوم القوم
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه الصلاة والسلام قليل
الكلام قليل الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا وكان الشجاع هو الذى يقرب منه
فى الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
قالوا وكان قوى البطش ولما غشيه المشركون نزل فجعل يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رئى يومئذ
احد كان اشد منه صلى الله عليه وسلم **بيان تواضعه عليه السلام** كان صلى الله عليه وسلم اشد
الناس تواضعا فى علو منصبه قال ابن عامر رضى الله عنه رايته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك
اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب
دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع فى بيته مع اهله فى حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون
له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتى صلى الله عليه وسلم برجل فارعدت من
هيبته فقال له هون عليك فلست بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحا
به مختلطا بهم كانه احدهم فياتى الغريب فلا يدرى ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه
الغريب فبنوا له دكانا من طين وكان يجلس عليه وقالت له عائشة رضى الله عنها كل جعلنى الله فداك متكيا
فانه اهون عليك قال واصغى براسه حتى كاد ان يصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا فى سكرجة حتى لحق بالله عز وجل وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا
قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الاخرة اخذ معهم وان تحدثوا فى طعام وشراب تحدث معهم
وان تحدثوا فى الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ثم نهض عنهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا
ويذكرون اشيأ من امر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان صورته
وخلقته صلى الله عليه وسلم** كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قامته انه لم يكن بالطويل البائن
ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى

الطول

الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى
الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله فى الربعة واما لونه
فكان ازهر اللون ولم يكن بالادم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا
حمرة ولا شئ من الالوان **ونعته** عمه ابوطالب فقال ـــــ

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة فقال انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه
والرقبة والازهر الصافى عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه صلى الله عليه وسلم فى وجهه كاللؤلؤ
الرطب وريحه اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنها ليس بالسبط ولا الجعد
القطط كان اذا مشطه بالمشط ياتى كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه كان
الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا تخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه
تتلالا وكان شيبه فى الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس
وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته
وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابوبكر رضى الله تعالى عنه حيث يقول ـــــ

امين مصطفى للخير يدعوا كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة
المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان فى عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من
كثرتهما وكان اقنى العرنين اى مستوى الانف وكان مفلج الاسنان اى متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل
سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل
الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفى لحيته وياخذ شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول
ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلالا فى بياض الفضة وفى حمرة
الذهب وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرايا فى استوايه وكالقمر فى
بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن فى صدره ولا فى بطنه شعر غيره وكانت له
عكن ثلاث يغطى الازار منها واحدة وتظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اى رؤس العظام
من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الايمن فيه شامة
سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل
الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا
مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبى فيعرف من بين الصبيان
بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق فى السمن بدن فى آخر زمانه وكان
لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن واما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشى كانما يتقلع

من صخر وتحدر من صبب يخطوا تكفيا ويمشى الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان صلى الله عليه وسلم يقول
انا اشبه الناس بآدم عليه السلام وكان ابى ابراهيم صلوات الله عليه اشبه الناس بى خلقا وخلقا وكان يقول
انا لى عند ربى عشرة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو بى الكفر وانا العاقب الذى ليس بعدى احد وانا الحاشر
الذى يحشر الله العباد على قدمى وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا
وانا قثم قال ابو البخترى القثم الكامل الجامع صلى الله عليه وسلم

بيان آياته ومعجزاته الدالة على صدقه

اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم واصغى الى سماع اخباره المشتملة
على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف
الخلق وقوده اياهم الى الطاعة مع ما يحكى به من عجايب اجوبته فى مضايق الاسوله وبدايع تدبيراته فى مصالح
الخلق ومحاسن اشاراته فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقها والعقلا والعلما عن ادراك اوايل دقايقها فى
طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك فى ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها البشرية بل لا يتصور ذلك
الا باستمداد من تاييد سماوى وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمايله واحواله
شواهد قاطعة بصدقه حتى ان الاعرابى الجح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق
بمجرد شمايله فكيف من يشاهد اخلاقه ومارس احواله فى جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه
لتعرف محاسن الاخلاق وليتنبه لصدقه صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله تعالى
اذ اتاه الله جميع ذلك وهو رجل امى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط فى طلب علم ولم يزل بين
اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له محاسن الاخلاق والاداب ومعرفة مصالح
الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته بالله وملايكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا
صريح الوحى ومن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر
من اياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب
بالصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يديه غير مرة اذ شق له القمر
بمكة لما سالته قريش آية واطعم النفر الكثير فى منزل جابر وفى منزل ابى طلحة ويوم الخندق ومرة ثمانين من اربعة
امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس رضى الله
عنه فى يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير حملته بنت بشر فى يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم
ونبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فشرب العسكر كلهم وهم عطاش وتوضوا من قدح صغير ضاق ان
يبسط يده فيه واهرق وضوءه عليه الصلاة والسلام فى عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى فى بئر الحديبية
فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية الف وخمسماية ولم يكن
فيها قبل ذلك ماء واعر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يزود اربعماية راكب من تمر كان فى
اجتماعه كربضة بعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقى بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت
عيونهم ونزل بذلك القرآن فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله تعالى الكهانة بمبعثه

صلى الله عليه وسلم فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذى كان يخطب عليه لما عمل له المنبر
حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمنى الموت واخبرهم بانهم
لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الآية مذكورة فى سورة يقراء بها فى جميع
جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التى فيها واخبر عليه الصلاة
والسلام بالغيوب وانذر بان عثمان رضى الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمار تقتله الفية
الباغية وان الحسن رضى الله عنه يصلح الله به بين فيتين عظيمتين من المسلمين واخبر صلى الله عليه
وسلم عن رجل قاتل فى سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان قتل ذلك الرجل نفسه وهذه الاشيا
كلها لا تعرف البتة بشئ من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكهن ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه
اليه واتبعه سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه فى الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له
فانطلقت الفرس وانذره بان سيوضع فى ذراعيه سوارى كسرى فكان كذلك واخبر بمقتل الاسود
العنسى الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج على ماية من قريش وهم ينتظرونه
فوضع التراب على رؤسهم فلم يروه وشكى اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه
مجتمعين احدكم ضرسه فى النار مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال
لاخرين منهم آخركم موتا فى النار فسقط آخرهم موتا فى النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فاتتاه
واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا صلى الله عليه وسلم النصارى الى المباهلة فامتنعوا واخبرهم
ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما
فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله صلى الله عليه وسلم فحيل بينهما وبين ذلك ودعا
عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر صلى الله عليه وسلم انه يقتل ابى
ابن خلف الجمحى فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكانت فيه منيته واطعم صلى الله عليه وسلم السم
فمات الذى اكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر يوم
بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر
عليه الصلاة والسلام بان طوايف من امته يغزون فى البحر فكان كذلك وزويت له الارض فارى
مشارقها ومغاربها واخبر بان ملك امته سيبلغ ما زوى له منها وكان كذلك كما اخبر فقد بلغ ملكهم من
اول المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال
كما اخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء واخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بانها اول اهله لحاقا به فكان
كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الاسدية اطولهن
يدا بالصدقة واولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حايل لا لبن لها فدرت فكانت سبب اسلام ابن
مسعود رضى الله تعالى عنه وفعل ذلك مرة اخرى فى خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه
فسقطت فردها صلى الله عليه وسلم بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل فى عين على كرم الله وجهه

وهو ارمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه
وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها وقل زاد جيش كان معه صلى الله عليه
وسلم فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في
العسكر الا ملئ من ذلك وحكى الحكم بن ابي العاص مشيته عليه الصلاة والسلام مستهزئا به فقال
صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب صلى الله عليه وسلم امراة فقال ابوها
ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال صلى الله عليه وسلم فليكن ذلك فبرصت
وهي ام شبيب بن البرصا الشاعر الى غير ذلك من اياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرنا على
المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم ان احاد هذه الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو
القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله تعالى عنه وسخاوة حاتم ومعلوم ان احاد وقايعهم غير متواترة
ولكن مجموع الوقايع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القران وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق
وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصحاء العرب
وبلغاء الخلق وجزيرة العرب يومئذ مملوة بالالاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم
وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة من مثله ان شكوا وقال لهم قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك
تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه ثم عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا
ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد
قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسماية سنة فلم يقدر احد على معارضته واعظم بغباوة
من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى
الان ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه
ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من امن به وصدقه واتبعه في كل ورد وصدر فنسال
الله تبارك وتعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال
بمنه وسعة جوده انه قريب مجيب وبالاجابة جدير وهو على كل شيء قدير
هذا اخر كتاب اخلاق النبوة وهو اخر ربع العادات وبه كمل نصف الكتاب
من احيا علوم الدين ويتلوه ان شا الله تعالى في المجلد الثاني
كتاب شرح عجايب القلب وهو اول ربع المهلكات
وكان الفراغ من كتابته خامس شهر شوال ٩٧٨
على يد الفقير يحيى سبط المرضع
نفع الله به
امين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق
انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السراير العالم بمكنونات الضماير المستغني
في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب
ومفرج الكروب والصلوة على محمد نبيه سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين
وعلى اله الطيبين الطاهرين اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها من جملة
اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي
الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله
وهو العامل لله وهو الساعي الى الله والمتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح
اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد واستخدام الراعي للرعية
والصانع للآله والقلب هو المقبول عند الله سبحانه اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا
صار مستغرقا بغير الله سبحانه وهو المخاطب والمعاتب والمطالب والمعاقب وهو الذي يسعد
بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة
لله سبحانه وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله سبحانه
وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه
اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه
وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره
اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء
وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين
من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع
اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد
ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا

في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر
ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن
فلا بد وان نقدم عليه كتابين كتاب في شرح صفات القلب واخلاقه وكتاب في كيفية رياضة القلب
وتهذيب اخلاقه ثم نندفع في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب
الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الاوهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل [illegible]

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعاني هذه الاسامي
واختلاف معانيها وحدود مسمياتها واكثر الاغاليط منشاؤه الجهل بمعنى هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا

فمن ذلك لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب
الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع ومعدنه
ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء
وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك
فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ البهايم تدركه بحاسة البصر فضلا من الآدميين
والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة
الانسان وهي المدرك العالم من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولهذه اللطيفة علاقة
مع القلب الجسداني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقها به يضاهي تعلق
الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان
وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم
المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا
ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر
الى ذكر حقيقتها اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم
لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى ساير اجزاء البدن وجريانه
في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والبصر والسمع والشم منه على اعضائه يضاهي فيضان النور من
السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور
الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج في
زوايا البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته
حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء
الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى

الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معني القلب وهو الذي اراده
الله تعالى بقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر رباني عجيب تعجز اكثر العقول والافهام
عن درك كنه حقيقته

اللفظ الثالث النفس

وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه
معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي بيانه وهذا
الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان
فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك
التي بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان
وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب
بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان
فاذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها
تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض
واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا
النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته
العالمة بالله تعالى وبساير المعلومات

اللفظ الرابع العقل

وهو ايضا مشترك لمعاني مختلفة
ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق
الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون
هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة
حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك
اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون
اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل
فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث بطوله فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسماء موجودة وهو القلب
الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهواني والعلوم وهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة
ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها يتوارد عليها فالمعاني
خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين والعلماء قد التبس عليهم اختلاف الالفاظ وتواردها فتراهم
يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس
وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسما فلاجل كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد
في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى

عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت
متعلقة بساير البدن ومستعملة لها ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها
ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل بن عبد الله التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي ولا
يظن انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما
بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا تستقيم هذه النسبة الى الله تعالى فلا تستقيم
النسبة ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب وغيرها من العوالم جنود مجندة لا
يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا الله تعالى ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا
وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهم في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان
وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وساير الاعضا الظاهرة
والباطنة فان جميعها خادمة للقلب مسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة
القلب لا تستطيع له خلافا وعليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت
واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضا وتسخر الاعضاء والحواس للقلب يشبه تسخر
الملايكة لله تعالى من وجه فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملايكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح
والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها في معرفة نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود
من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقايه
فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده
العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى
الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت الدنيا دنيا لانها ادنى المنزلين فاضطر الى ان يتزود من هذا
العالم والبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان
يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذا
الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما
احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب
الذي يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل
ذلك امور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذا لا ينفعه شهوة الغذا
والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والشم والذوق واللمس والسمع وظاهر وهو العين
والاذن والانف والفم وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا يحويها مجلدات كثيرة

وقد ذكرنا طرفا منه يسيرا في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلثة أصناف صنف
باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع المنافي الضار كالغضب وقد يعبر
عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا
الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث
هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء
معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء
المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش بالاصابع
وقوة البصر انما يدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانه من
عالم الملك والشهادة انما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك
من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس
والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه
فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر
فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله
بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتذكر وحفظ وتفكر ولولا خلق الله تعالى قوة
الفكر والحفظ والتذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما تخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة
واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه الفهم اعني فهم الضعفاء يطول ومقصود
هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب
ذلك من افهامهم والله الموفق بجوده وكرمه

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه
ويحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه
وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والفكر
كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب
الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا
وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون
الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلثة امثلة

المثال الاول

نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته
ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة
العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب
والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه
الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته
ومعارضته في آرائه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد
الخبيث بل مستدلا في اشارته بان الصواب في نقيض رأيه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله
مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا
ومأمورا مدبرا لا آمرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل
وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب
وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح
مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرأيت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال فيمن نهى النفس عن الهوى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب
رياضة النفس

المثال الثاني

ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر
لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي
هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم
فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة قال الله تعالى فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند
لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير
اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث

مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه
وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في
نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته
مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته
وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة
الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان

اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله
بها على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا
حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراك الباطن فلنذكر ما يختص
به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم
بالامور الدينية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات
بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في
مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على

جميع الاغراض زايدا على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في ساير النظريات
اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى
وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة
فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذائذ
الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعاقبة
الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا
اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث
ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي
في حصول هذه العلوم فيه درجتان احديهما ان تستمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة
المستحيلات وجواز الجايزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة
الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم
والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب
والفكر وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليه وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا
للكتابة لقدرته عليه وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى تتفاوت الخلق فيها
بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي
على سبيل المناداة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطي الحصول
وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء عليهم السلام ودرجات الترقي فيه غير محصورة
اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى المراتب رتبة النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنكشف له كل الحقايق
او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا
بالمعنى والحقيقة لا بالمكان والمسافة والجهة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله تعالى ولا
حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل
فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نومن بالنبوة والنبي عليه
صلوات الرحمن ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي صلى الله عليه وسلم وكما لا يعرف الجنين
حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من
العلوم النظرية فلا يعرف العاقل ما انفتح على اولياء الله تعالى وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله تعالى غير
مضنون بها على احد ولكن انما يظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها تطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق
المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشارة بقوله عليه السلام ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول

هل من داع فاستجيب له وبقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم
لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وكل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن
القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان
القلوب كالاواني ما دامت مملوة بالماء لا يدخلها الهواء والقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال
الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء
ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم العلم بالله تعالى وصفاته
وافعاله وفيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال والبدن مركب النفس
والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجله خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار
في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان
تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الفرس والحمار في امور ويفارقهما في امور
وهي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملايكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين الملايكة والبهايم
فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يتحرك ويحس بالاختيار فهو حيوان ومن حيث صورته
وقامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه
وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة فحقيق ان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا
وربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع انواع اللذات البدنية ياكل كما تاكل
الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور او شرها كخنزير او ضرعا ككلب او حقودا كجمل
او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او جمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من
الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله
فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان تجعل لقاء الله مقصدك والدار
الاخرة مستقرك والدنيا منزلك والبدن مركبك والاعضاء خدمك ويستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب
الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريد اذ تجمع
اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان
مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمسة مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد
باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروايح وكذلك
سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
وليسلم صاحب البريد الى الخازن وهي القوة الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منه ما يحتاج
اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه
فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله عليه واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدائه
وهي الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة وفي عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره

ووطنه ومستقره للآخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لأعداء الله
تعالى مخذلا لحزب الله تعالى فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذى
ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضى الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه
ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى تمثيله القلوب ان
لله تعالى فى ارضه آنية وهى القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها فى الدين
واصفاها فى اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى
مثل نوره كمشكاة قال ابى بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات فى بحر لجى مثل قلب المنافق
وقال زيد بن اسلم فى لوح محفوظ هو قلب المومن وقال سهل التسترى مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى
فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلته

اعلم ان الانسان قد اصطحب
فى تركيبه وخلقه اربعة شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهى الصفات السبعية
والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة
والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من
الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه فى نفسه امر ربانى كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربى فانه يدعى
لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالربانية والانسلاخ
عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق
الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن بالجهل وحب الاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على
جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهايم بالتمييز مع مشاركته
لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى استنباط الحيل ووجوه الشر
ويتوصل الى الاغراض بالمكر والخديعة والحيلة ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان
ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع فى
القلب وكان المجموع فى اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم الخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضارى والكلب العقور ليس
كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفى باطن الانسان
ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه وشرهه والخنزير يدعو بشرهه الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو
بغضبه الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى احدهما بالآخر ويحسن لهما ما
هما مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته
النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب تكسر سورة الشهوة
ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل

الامر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال
فى استنباط الحيل وتدقيق النظر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دايما فى عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس
مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو
كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم او اليقظة
لراى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب
شى من شهوة انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته او راها ماثلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا
لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر فى حيل الوصول الى طاعته وهو ساعى فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج
الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته
وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا بطول
نهاره فى عبادة هولاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ
العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء قد سخره لخدمة هولاء فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولاء
الثلث صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا وربما مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها
صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرنا والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والطمع والملق
والحسد والشماتة وغيرها وأما طاعة الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف
والاستشاطة والكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها
واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر والخديعة والحيلة والدهاء والجربزة
والتلبيس والتضريب والغش والخبث وامثاله ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر
فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقايق الاشياء ومعرفة الامور على ما هى عليها والاستيلاء
على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة
وردها الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن
الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب
صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة
والوقار وغيرها والقلب فى حكم المرآة وقد اكتنفته هذه الامور الموثرة فيه وهذه الآثار على التوالى واصلة الى
القلب اما الآثار المحمودة التى ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب اشراقا ونورا وضياء حتى يتلالأ فيه
جلية الحق وينكشف منه حقيقة الامر المطلوب فى الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب الذى يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا
بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب فلا يزال
يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله
تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم

لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا
الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين
بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل
فى اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر فى القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك يئسوا من الآخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن
مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه
فهو الران وقال النبى صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد وفيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة
الله بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصى اسود قلبه ومن اتبع
السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التى يتنفس فيها ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة
وقال عليه السلام القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب
الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل
البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المدتين غلب عليه حكم
له بها وفى رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب
الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم هو القلب اعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة
المخدومة من جميع الاعضاء وهى بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان
للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع فى المرآة ويحصل فيها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة
صورة تنطبع فى مرآة القلب وتتضح فيه وكما ان المرآة غير وصورة الاشخاص غير وحصول مثالها فى المرآة غير
فهى ثلثة امور فكذلك هاهنا ثلثة امور القلب وحقايق الاشياء وحصول نفس الحقايق فى القلب وحضورها
فيه فالعالم عبارة عن القلب الذى فيه يحل مثال حقايق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقايق الاشياء والعلم
عبارة عن حصول المثال فى المرآة كما ان القبض يستدعى مثلا قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين
السيف واليد بحصول السيف فى اليد يسمى قبضا وكذلك مثال وصول المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت
الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما
كان السيف موجودا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف فى اليد نعم القبض
عبارة عن حصول السيف بعينه فى اليد والمعلوم بعينه لا يحصل فى القلب فمن علم النار لا يحصل عين النار
فى قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان لا يحصل
فى المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك يحصل مثال مطابق لحقيقة المعلوم فى القلب يسمى علما وكما
ان المرآة لا ينكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل

ويصقل والثانى لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة
الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس الجهل بالجهة التى
فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة
لان تنجلى فيها حقيقة الحق فى الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنه لهذه الاسباب الخمسة
اولها نقصان فى ذاته كقلب الصبى فانه لا تنجلى له المعلومات لنقصانه والثانى لكدورة المعاصى والخبث الذى
تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته
وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اى حصل فى
قلبه كدورة لا يزال اثره ابدا وغايته ان يتبعه بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا
محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد
بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التى تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة
جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب
ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم والثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان
صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذى بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون
مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل فى حضرة
الربوبية والحقايق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق آفات الاعمال وخفايا عيوب
النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل
الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فى صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلايقها فكيف لا
يمنع عن الكشف الحقيقى والرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر فى حقيقة من الحقايق قد لا
ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فيحول
ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب
عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم
محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقايق
الخامس الجهل بالجهة التى منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول
الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق
الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى
ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان
على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان
من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقر وانسان بل لا بد من اصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى فى لا

اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما
العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من
الجهل بالجهة التي الوصول فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه في المرآة فانه ان رفع المرآة بازاء
وجهه لم يكن قد حاذى به شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا او بازائه كان قد عدل بالمرآة
عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث
يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه
المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابل العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة
فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك
الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق العلوم والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة
الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى انه
له خاصية يميز بها عن السموات والارض والجبال وبها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة
والتوحيد وقلب كل آدمي مستقل لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها والوصول
الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت
السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر
قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي وسمائي
ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب
فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي
الله عنه رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك
والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض عبارة عن
عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناهي على الجملة واما عالم الملكوت
وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية لها نعم الذي يلوح للقلب
منه مقدار متناهي ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت
دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى
الله وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينه عند قوم وهو سبب استحقاق
الجنة عند اهل الحق وتكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته
وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها
ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه

يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان
له ثلاث مراتب **المرتبة الاولى** ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض **والثانية** ايمان المتكلمين
وهو ممزوج بنوع استدلال **والثالثة** ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه
المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات **الدرجة الاولى**
ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته بالقول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع
وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود
الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم فيما جاؤا به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا
عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان
سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة
وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب
اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعون من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطا لانهم القي اليهم
الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق **الدرجة الثانية**
ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك
ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت
به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم
بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اذ الصوت قد يشبه الصوت
وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا
يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا **الدرجة الثالثة** ان تدخل الدار فتنظر بعينك وتشاهده
فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة
فيجتمع في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم
وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل
له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن
لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما
مقادير المعلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك والآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة
المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالاضافة الى العلوم **بيان حال القلب بالاضافة الى**
اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق
المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية
ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا يوجد
بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدري من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد

لايكون في مكانين والشيء الواحد لايكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه
منذ الصبى مفطورا عليها ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ومن اين حصل له اعنى انه لايدرى فيه سببا قريبا
والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذى خلقه والى مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين
قد يسمى عقليا قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع
مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اذا تقرب
الناس الى الله بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل
بالمكتسبة ولكن مثل على هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التى بها ينال القرب
من رب العالمين والقلب جارى مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار
لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصر وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جارى مجرى
ادراك البصر ورؤيته لاعيان وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهى
تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذى به سطر الله تعالى
العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه
لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب
البشر قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف
خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس في ذاته من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة
والبصيرة الظاهرة صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين
النفس التى هى اللطيفة المذكورة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل
لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه وقال ما كذب
الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وما اراد
به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم عليه السلام حتى يذكر في معرض الامتنان وكذلك سمى ضد ادركه
عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلى اما العلوم الدينية وهى الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء
عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وفهم معانيه بعد السماع وبه كمال
صفة القلوب وبه سلامته عن الادواء والامراض والعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان
كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية
والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدى اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا
غنى بالعقل عن السماع ولا بالسماع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى
بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور واياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم

العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء وكذلك
امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى ركبها
الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم
العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية
وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما ناقض عنده
بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير فيه وينسل من الدين
انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله
مثال الاعمى الذى دخل دارا فتعثر فيها باوانى الدار فقال ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لا ترد الى
مواضعها فقيل له تلك الاوانى في مواضعها وانما انت لست تهتدى الى الطريق لعماك فالعجب منك
انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيله على تقصير غيرك وهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية
والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم
وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وبصفاته
وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعنى ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت
بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما
ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس
في علوم الدنيا وفى علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في
دقائق علوم الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا في الغالب فيكون
احدهما مانعا من الكمال في الثانى ولذلك قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله اى البله في امور
الدنيا وقال الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا
من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك
طريق الشرق بما يوجد في الغرب فكذلك يجرى امر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا
ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال
الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم
وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التى تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فاما قلوب
سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيه ۵ والله اعلم

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم ان العلوم التى ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال وتختلف الحال في حصولها

فتارة يهجم على القلب كانه القى فيه من حيث لا يدرى وتارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل
لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما ونفثا فى الروع والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا
واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدرى العبد انه كيف حصل
ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى
فى القلب والاول يسمى الهاما ونفثا فى الروع والثانى يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء
والاصفياء والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب
مستعد لان تنجلى فيه حقيقة الحق فى الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التى سبق ذكرها
فهى كالحجاب المسدل الحايل بين مراة القلب واللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى
القيمة وتجلى حقايق العلوم من مراة اللوح فى مراة القلب يضاهى انطباع صورة من مراة فى مراة تقابلها
والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب ريح محركة فكذلك قد تهب رياح الالطاف
وتكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلى فيها بعض ما هو مسطور فى اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام
فيعلم به ما سيكون فى المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطا وفى اليقظة ايضا حتى
ينقشع الحجاب بلطف من الله تعالى فيلمع فى القلب من وراء ستر الغيب شئ من غرايب العلم تارة كالبرق الخاطف
واخرى على التوالى الى حد ما ودوامه فى غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب فى نفس العلم ولا فى محله
ولا فى سببه ولكن يفارقه فى جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحى الالهام فى شئ
من ذلك بل فى مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل فى قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء فاذا عرفت
هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم
وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة
ومحو الصفات المذمومة وقطع العلايق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله
هو المتولى لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور
فى القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة
وتلالا فيه حقايق الامور الالهية وليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة
الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف
لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالعلم والدراسة للكتب بل بالزهد فى الدنيا والتبرى عن علايقها وتفريغ
القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق فى ذلك اولا
ان يقطع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية
والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوى فيها وجود كل ذلك وعدمها ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على
الفرايض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قران ولا بالتامل فى تفسير ولا بكتبة

حديث

حديث وغيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شئ سوى ذكر الله فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قايلا بلسانه الله الله على
الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهى الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه
الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه
وهياة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهى الى هذا الحد
واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات
الرحمة ولا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمة فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت
ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا فيلمع لوامع
الحق فى قلبه ويكون فى ابتدايه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا
وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل
اولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك
وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه
وافضاه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطاوا
ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى حالة فثباته ابعد
منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن اشد تقلبا من القدر
فى غليانها وقال قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفى اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل
ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم تشبث بالقلب خيالات فاسدة تطمين النفس
اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضى العمر دون النجاح فيه فكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين
سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم
اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهى ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبى صلى الله عليه وسلم
لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحى والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن ذلك
فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه
بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار
لما لم ينكشف لساير العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا
بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما
انا لو فرضنا حوضا محفورا فى الارض احتمل ان يساق الماء اليه من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل
الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافى فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم
وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمسة مثل الانهار ويمكن ان تساق

العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن ان يسد عنه هذه الانهار
بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله
فان قلت وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في
علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين وكما
ان المهندس يصور صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات
والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي
خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى
صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليه ولو انعدم السماء والارض وبقي هو لوجد صورة السماء والارض في نفسه
كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال
فالحاصل في القلب موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة
الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني
ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبعه وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود
صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض
وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على
اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل
اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثال في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب
والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها فلنرجع الى المقصود
فنقول القلب قد يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين
يتصور فيها ان يحصل صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما
ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس
فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة
اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي
صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة
وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت
نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت
ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في
المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال صلى الله
عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال الله
تعالى في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم

ان اقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين
علوم الانبياء والاولياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح
الى عالم الملكوت وعلم الحكماء ياتي من ابواب الحس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي
الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني
في تعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها
الى القلب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل
الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة
لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك
وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه فلما
فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين ايضا انهم قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير
صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا جانبهم قد تلالات فيه
عجائب الصبغ الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان جانبهم قد صار كالمرآة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن
جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلالا فيه جلية
الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلماء والحكماء باكتساب نفس العلوم وتحصيل نقشها في القلب
وكيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله
التراب لا ياكل محل الايمان وتكون وسيلته المقربة له الى الله تعالى اما ما حصله من نفس العلم او ما حصله من
الصفا والاستعداد لقبول نفس العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما
انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني بالدرهم وصاحب الخزائن المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء
بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار
ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر
ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدمه فيضيء
مرة وينطفي اخرى فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف
العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على
ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى وتصيب جوانبه النار
قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان
العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان
آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء
كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية
ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين

ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال
وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان
من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود
في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خير من الف مثله الا الانسان او المؤمن اشارة الى
تفضيل قلب العارف المؤمن فانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون تفضيلا للمؤمنين على
المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم على الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد
وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمن
بسبع مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي
الالباب وقال فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه
الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ
المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمرحوم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي
يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما
اعظم الغبن على من يخسر حظه منه وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق
ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب
والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على
العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم
يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من
غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق
والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه بسؤال النور فقال اللهم اعطني نورا
وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله
تعالى فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع
له الصدر وانشرح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي
كرم الله وجهه ما عندنا شيء اسره النبي الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله
يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو
الدرداء يقول المؤمن ينظر في وراء ستر رقيق والله انه الحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف

ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في
ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم
علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله يقذفه
في قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر
منهم وقرأ ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم
هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح
الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصها
بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي
ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني والى
مثله الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك
علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما
ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر
ذلك عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال الصديق لعائشة رضي الله عنهما انما هما اخاك وكانت زوجته حاملا
فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال الفاروق في اثناء خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف له ان العدو
قد اشرف عليه فحذره لمعرفة ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك قال دخلت على
ذي النورين وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها شزرا وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل علي
احدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت اوحي بعد رسول الله فقال
لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز رحمه الله قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه
خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت
الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داويه دخل ابو العباس
ابن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من
اين ياكل هذا الرجل قال فصاح يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد النقيب
قال دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت
ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بلى انك بخيل فقلت ما فتح الله اليوم علي بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني
قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال
فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فناولته الصرة فقال اعطها المزين
فقلت انها دنانير فقال اوليس قيل لك انك بخيل فناولتها المزين فقال المزين عادتنا اذا جلس الفقير
بين يدينا ان لا ناخذ عليه اجرا فرميت الدنانير في دجلة فقلت ما اعزك احد الا اذله الله تعالى وقال حمزة
العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده

فاذا به يا نبي خلفي وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير
مشهورا بالكرامات وقال ابرهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب فلم يقرا فاتحة الكتاب مستويا فقلت في
نفسي ضاع سفري فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه فقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح
على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الاسد وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم
الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي عن تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم
تخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج
عن الحصر والحكاية لا تنفع للجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي
لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا
يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من متيقظ
غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل
كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق
الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص يكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا
لا يسمى نبيا بل يسمى وليا ومن امن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى
خارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما
جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل جاز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا
ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف
الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملئكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار
عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف
منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال
ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما
ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال
بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة النفس فالتفت الى شماله وقال ما تقول رحمك الله ثم
التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته
فسالته عن التفاته فقال لم يكن في المسئلة عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب
اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبت واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله
صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت
الغالب فيه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب
بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى
جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر

رضي الله عنه

رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه يتجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله
على افواه العلماء لا ينطقون الا بما هياه الله لهم من الحق وقال اخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب ينصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف ينصب
اليه السهام من الجوانب او هو مثل مراة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة
ولا يخلو عنها او مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة
في القلب في كل حال اما من الظواهر كالحواس الخمس واما من الباطن كالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة
في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة
الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وتنتقل
من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما
من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار
واعني به ادراكات وعلوم اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان
القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال
لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والعزم يحرك الاعضاء والخواطر
المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار
الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي
الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث
دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنار حيطان
البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلب
وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف
الذي به يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا
فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة
العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد
بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم في الخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك
والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة
مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان
والملك فقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو
ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو
فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب من هذين اللمتين قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن والله تعالى عن أن يكون له إصبع مركبة
من لحم ودم وعظم منقسم بالأنامل ولكن روح الإصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فإنك لا تريد
إصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد وكما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك فالله تعالى إنما يفعل ما
يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب
الأجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح
أحدهما على الآخر وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع
الإنسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه
لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة صار قلبه
مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من الصفات
البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا
يأمر إلا بخير وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة حتى صار لا ينبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد
الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات
الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك
وألهم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستكن ويستوطن
ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وملكوها فامتلأت للداعي إلى إيثار العاجلة
واطراح الآخرة ومبدأ استيلائه اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو
الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح آثار الملائكة قال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء
ابن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فإن كان فيه شيء
عالجوه وإلا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى إن عبادي ليس لك
عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى أفرأيت
من اتخذ إلهه هواه إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله
حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه
واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبر إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب إلا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء
انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز أن يكون أيضا مجالا للشيطان فذكر الله
هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان
ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وإنما الشيطان يطوف بقلبهم في أوقات

الغفلات

الغفلات على سبيل الخلسة قال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وقال
مجاهد في معنى قوله من شر الوسواس الخناس هو منبسط على قلب الإنسان فإذا ذكر الله خنس وانقبض وإذا غفل انبسط
على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما
قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان
واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل
أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه
فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان
ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل
اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن إبليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين
أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق
فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال
أتهاجر وتذر أرضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل
فتقتل وتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان
حقا على الله أن يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد
أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة
وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون
بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من أحد إلا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة
والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو
ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يداخل بدن الإنسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال
الباحث عن هذا مثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج إلى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها
وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشرور قد علم ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة وعلم أن الداعي
إلى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع
كثيرة في كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه وقال ألم
أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه
لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى
والشهوات وذلك كاف للعاملين فأما معرفة حقيقة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين
المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة إلى معرفته نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى
ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاما
وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض

والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد فيه يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق فهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا يتناهى وبه يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد والمذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحدة والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص اذا للمؤمن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور فقلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الكثيرة والعبد فيها مثال المسافر الذي بقي في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة فالعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله فيهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه عنها فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ۵ والله تعالى اعلم ۵

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حفظ الحصن وحراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى

الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبا
ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهى كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق
عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شئ اعماه حرصه واصمه اذ
قال صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم ونور البصيرة هو الذى يعرف به مداخل الشيطان فاذا غطاه
الحرص او الحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كلما يوصل الى شهوته وان كان منكرا فاحشا فقد
روى ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما ركب البحر وحمل فى السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى فى السفينة شيخا
لم يعرفه فقال له نوح عليه السلام ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معى وابدانهم
معك قال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك
منهن بثلث ولا احدثك باثنين فاوحى الله الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك بالثنتين فقال وما
الثنتان فقال هما لا يكذبانى هما اللتان لا يخلفانى بهما اهلك الناس الحرص والحسد وبالحسد لعنت وجعلت
شيطانا رجيما والحرص ابيح لادم الجنة كلها فاصبت حاجتى منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة
فان الغضب غول العقل فاذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما
يلعب الصبى بالكرة فقد روى ان ابليس لقى موسى صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى انت الذى اصطفاك الله
برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لى الى ربى ان يتوب على قال موسى نعم
فدعا ربه موسى فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقى موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر آدم ليتاب
عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك على حقا بما
شفعت لى الى ربك فاذكرنى عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرنى حين تغضب فان وحيى فى قلبك وعينى
عينك واجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فانى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده
وزوجته واهله حتى يولى واياك ان تجالس امراة ليست ذات محرم لك فانى رسولها اليك ورسولك اليها وقد
اشار فى هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن سجود آدم ميتا
هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبياء لابليس باى شئ تغلب ابن آدم قال اخذه عند الغضب وعند
الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اى اخلاق بنى آدم اعون لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه
كما تقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم واذا رضى جئت حتى اكون فى قلبه واذا
غضب طرت حتى اكون فى راسه ومن ابوابه حب التزين فى الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا
راى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه الشيطان وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها
وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها
فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شئ الى شئ الى ان يساق اليه اجله فيموت
وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة
الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان وروى ان

ابليس ظهر ليحيى بن زكرياء عليهما السلام فراى عليه معاليق من كل شئ فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه
الشهوات التى اصبت بها بنى آدم قال فهل فيها شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك
قال لا قال لله على ان لا املاء بطنى من طعام ابدا فقال ابليس ولله على ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة
الطمع فى الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس
حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى
ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد روى صفوان
ابن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عنى شيئا اعلمك قال لا حاجة لى به قال انظر فان
كان خيرا اقبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت
ومن ابوابه العجلة وترك التثبت فى الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتانى من الله
وقال تعالى خلق الانسان عجولا وقال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغى ان تكون
بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة تحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال تروج الشيطان
شره من حيث لا يدرى روى انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست
رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقى الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا
الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم وقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها
الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة
الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهى
مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على الطريق انبعث من قلبه عشر
شهوات يحتاج كل واحد الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسع مائة اخرى فقد كان قبل وجود المائة
مستغنيا فالآن وجد مائة وظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا الى تسع مائة اخرى ليشترى دارا ويعمرها
وليشترى جارية وليشترى اثاث البيت وليشترى الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك
لا آخر له فيقع فى هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قال
ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما ذا فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا ما ندرى قال ابليس انا آتيكم بالخبر
فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
فينصرفون خائبين وقالوا ما صحبنا قط قوما مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال
ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروى ان عيسى عليه السلام توسد
حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت فى الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى
الحقيقة من يملك ما يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان فان القائم بالليل
مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسدها ولو لم يكن
ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تحرك رغبته فى النوم هذا فى حجر فكيف من يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطية

والمستنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع
من الانفاق والتصدق ويدعوا الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعد للكافرين كما نطق به القرآن قال
خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم فلن يغلبنى على ثلث ان آمره باخذ المال من غير حقه
وانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه قال سفين ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ
فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع
الاموال والاسواق هى معش الشياطين روى عن ابى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان
ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال فاجعل
لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لى طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لى شرابا
قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى قرانا قال الشعر قال فاجعل لى كتابا قال
الوشم قال فاجعل لى حديثا قال الكذب قال فاجعل لى مصايد قال النسا ومن ابوابه العظيمة التعصب
للمذاهب والهوى والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد
جميعا فان الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقايصهم وجرى نقصانهم صفة مجبولة فى طبع الانسان من
الصفات السبعية فاذا اخيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلب حلاوته على قلبه
فاشتغل به بكل همة وهو به فرحان مسرور يظن انه يسعى فى الدين وهو ساعى فى اتباع الشيطان ترى الواحد
يتعصب لابى بكر رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاطى لانواع الفساد
ولو رآه ابو بكر لكان هو اول عدو له اذ موالى ابو بكر من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما احبه وكان من سيرته
ان يضع حجرة فى فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولى ان يدعى ولاءه وحبه وترى فضوليا
آخر يتعصب لعلى كرم الله وجهه وكان من زهد على وسيرته انه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع
راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا للثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب على
رضى الله عنه ويدعيه وهو اول خصمايه يوم القيمة وليت شعرى من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحياة
قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله
عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وساير الصحابة من الاهل والولد بل من
نفوسهم والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى
ابليس عدو الله تعالى وعدو اوليايه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله تعالى لا بل
لو كشف الغطاء وعرف هولاء ما يحبه الصحابة فى امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا على
اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابى بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى
الآخر انه اذا مات محبا لعلى لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة وهى
بضعة منه اعملى فانى لا اغنى عنك من الله وهذا مثال اوردناه من جملة الاهوا وهكذا حكم المبغضين للشافعى وابى
حنيفة ومالك واحمد وغيرهم من الايمة وكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه

اذ يقول له كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك
خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مسلكى ومذهبى الذى سلكته وذهبت فيه الى الله ثم ادعيت مذهبى كاذبا
فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت
فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه
الا بالتعصب فخبوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ
مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا
ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون
الله منها وهى الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون
عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات
قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى
يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم
يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلوم ولم
يتبحروا فيها على التفكر فى ذات الله وصفاته فى امور لا يبلغها حد عقلهم حتى يشككهم فى اصل الدين او يخيل اليهم فى الله
تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره يظن ان ذلك هو المعرفة
والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا فى عقل نفسه واثبت الناس
عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء قالت عايشة رضى الله عنها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتى احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تعالى فيقول من خلق الله تعالى فاذا وجد
احدكم ذلك فليقل آمنت بالله وبرسله فان ذلك يذهب عنه والنبى صلى الله عليه وسلم يامره فى علاج هذا الوسواس
بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلما وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم
ويتركوا العلم الى العلماء فالعامى اذا زنى او سرق كان خيرا له من ان يتكلم فى العلم فانه من تكلم من غير اتقان العلم فى الله تعالى
وفى دينه وقع فى الكفر من حيث لا يدرى كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد
والمذاهب لا تحصر لها وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشىء على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك
او يقصر فى القيام بحقوقه او يتوانى فى اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات
ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احترز منه روى عن على بن الحسين عليهما السلام ان صفية بنت حيى اخبرته ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم
مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيى قالا يا رسول الله نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجرى من ابن
آدم مجرى الدم وانى خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف شفق على دينهما فحرسهما وكيف شفق على امته فعلمهم طريق

الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلى لا يظن به الا خيرا اعجابا
منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين
السخط بعضهم
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ● ولكن عين السخط تبدى المساويا
فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء
الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث
هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض
مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره
فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله

فان قلت

ما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله ● فاعلم ان علاج
ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا
الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه ان
شاء الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن
له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارته بالتقوى
وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب ولا يدفع سلطان
الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص
ذلك بالتقوى ومثل الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر بان تقول له
اخس فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فانه يهجم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب
الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر الى حواشي
القلب ولم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى
والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس
الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الاخبار والآيات الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان
المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان
الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن
سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا وقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا شاركه
في طعامه وشرابه ولباسه ● وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا
بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته
من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق
المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا اللعين قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه
الاستعاذة قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع الآن ما شئت ● روى عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان

يأتي النبي

يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه
جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق النهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال
ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه ● وقال الحسن بن علي بينا انا نجي جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا آويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال صلى الله
عليه وسلم اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق نبيا ما ارسلته حتى وجدت
برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان عليه السلام لاصبح طريحا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر
طريقا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما
طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن طمع ان يشرب دواء قبل
الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما ينفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر
دواء والتقوى احتماء تخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع
العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب
عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه فان ذكر الله بلسانه
وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم يفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط
يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلواتك فراقب
قلبك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى
انك لا تتذكر ما نسيت من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة
محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها والصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم
لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان
شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما كان يفر من
عمر رضي الله عنه ولذلك كان وهب بن منبه يقول اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه
في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته
بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوا ولا يستجب لك فكذلك تذكر الله تعالى
ولا يهرب الشيطان عنك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا
وقد قال الله تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم
حق الله تعالى فلم تقوموا بحقه وقراتم القرآن فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فواطأتموه على المعاصي
وقلتم نخاف النار فارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم
وراء ظهوركم وفرشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم ● فالداعي الى المعاصي

فجاء

المختلفة شيطانٌ واحدٌ او شياطينُ مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع
العدو ولا تسأل عن صفته كما يقال كل البقل من حيث توتى به ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور
الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانًا يخصه ويدعو اليه فامّا
طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات تدل على اختلاف
الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد
جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر اسمائهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فامّا ثبر فهو
صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب
الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل على اهله يريه العيب
فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وكسبه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب
وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملئكة
فيهم كثرة وقد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال
ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من
ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذبون عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم
لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغرفاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وقال ايوب بن زيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشئون معهم قال جابر بن عبد الله ان آدم
عليه السلام لما هبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال
الله عز وجل لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال الله عز وجل اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرًا
الى ما اريد قال رب زدني قال الله عز وجل باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس رب هذا العبد
الذي كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال الله تعالى لا يولد له ولد الا يولد لك ولد قال رب زدني
قال تجري منه مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم
في الاموال والاولاد وعن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلثة اصناف صنف
حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله تعالى
الانس ثلثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الآية
وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله قال وهيب
ابن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكرياء عليهما السلام فقال له انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن
بني آدم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه
ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نايس منه ولا نحن
ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الآخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم
كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء

بكن

كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورته فهي صورته الحقيقية او هو مثال له تمثل به وان كان
صورته الحقيقية فكيف يرى بصورة مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان
بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما
بالمشاهدة الا بانوار النبوة كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته مرتين وذلك انه عليه السلام سأله ان
يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحرا فطلع له جبريل عليه السلام فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة
اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبًا وكان يراه في صورة دحية الكلبي
وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له
في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما
المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا تمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم
فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم وكما روى عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من
قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد
على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا
ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد يراه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة
يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان
يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك
والشهادة لان احدهما متصل بالآخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي
ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم
الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة
على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما
الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكيا للصفة وموافقا لها
لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة
كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق
ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب
التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة واما المقصود ان تصدق
بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة
والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة
وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حواليه كالنائم

[illegible]

اعلم ان هذا امر غامض وقد ورد فيه آيات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينهما الا على سماسرة العلماء فقد روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واذا هم بحسنة
فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على
العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها
كتبت له الى سبع مائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث
بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المواخذة فقوله الله تعالى
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسؤلا
فدل على ان عمل الفواد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم
قلبه وقال تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسئلة عندنا
لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبداء ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح
فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها
لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل
الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا
قال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف
ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم
العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبداء
ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة
فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت اليه وربما يعوقه
عايق فيتعذر عليه العمل فهاهنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم
الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما
لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس
عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعه عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث
النفس كما روي عن عثمن بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح
قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا
ان رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت
الله لاطعمني فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد
بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يواخذ به والاضطراري لا يواخذ به
واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يواخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركها خوفا من الله تعالى وندم على همه كتبت

له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله
والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى اشد من جده في
موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق
الفعل بعايق او تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل
ما ورد في الصحيحين مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك
يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من
اجلي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة وتعذر عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل
مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد النية والارادة مع
انه قتل مظلوما فكيف يظن بان الله لا يواخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان
يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتب حسنة واما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث
النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار والمواخذة به تكليف لما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج
بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي
لا يواخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم
يفرق بين هذه الاقسام الثلثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يواخذ باعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد
وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفواد كل ذلك كان عنه مسؤلا اي مما يدخل تحت الاختيار فلو
وقع البصر بغير اختياره على غير محرم لم يواخذ بها فان اتبعها نظرة ثانية كان مواخذا بها لانه مختار وكذا خواطر القلب
تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمواخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا واشار الى
القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب وقال عليه السلام
الاثم حواز القلوب وقال عليه السلام البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم
قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطيا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له
ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان
كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امرأته كل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوساوس هل تتصور ان تنقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمسة فرق فقالت فرقة
ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه
يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر
محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا
تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبته للقلب وكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة
ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوية
وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل
هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر
يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد
يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما
امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب
صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوساوس واخبر عنه
والوساوس اصناف **الاول** ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان
لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظم حق
الله تعالى وعظم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما
واذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار
اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله تعالى يدفعه عن ذلك فينقطع
وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك
عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب
به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله تعالى لان المعرفة والايمان تدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع
بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة
وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا خنس الشيطان عن
تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى المجاهدة في دفعه فيكون
الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان يكون وسوسة بمجرد الخواطر
وتذكر الاحوال الغائبة والفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعوده
فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما
في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال النبي صلى الله عليه
وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور
ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو قد تأذى به وقد يتفكر بمقدار ركعتين

وركعتان في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في
فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه لكان كانه لا يراه واذا تصور هذا
من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان
بالله واليوم الآخر فاذا تأملت جملة هذه الاقسام واصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها
ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا طويلا بعيد
وهو محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده
صلى الله عليه وسلم خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان
بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع
وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه
الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره
حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في
العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب
قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى
امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال
البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة لانه آخر درجة
ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرناه بكيفية الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار
والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء وتأثر به اصابه
من جانب آخر ما يضاده فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل الملك به فصرفه عنه وان جذبه
شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين
ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم
ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به ويقول لا
ومقلب القلوب وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول
الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه
اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال عليه السلام مثل
القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب
كمثل ريشة في ارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث
لا يهتدى اليه لا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر

والتردد بينهما ثلاثة **قلب** عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق فتنقدح فيه خواطر الخير
من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده
فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب
فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا
ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى
امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي
هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد
الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات
يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا
والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله تعالى بوجهه عليه وهو القلب المطمئن
المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله يا ايتها النفس المطمئنة **القلب الثاني** المخذول
المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتحة فيه ابواب الشياطين المسدودة عنه
ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي
منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل
في موافقة الهوى ومساعدته فيستولي له ويساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته
لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه
بالتزيين والغرور والتلبيس والاماني ويوحي ذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد
والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ
انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب
حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن
السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من
خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت
وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم وبقوله ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع
الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى
وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه
والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر
او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله
المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه انوار البصيرة

فينطفي نور الحياء والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلب يبتدئ فيه خواطر
الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى
الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل
ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان
حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا
من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما
شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم
يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان
وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع
بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر
بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك
ارايت لو كنت في صيف حار ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس ام تطلب لنفسك
الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا
يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في
القلب الغالب عليه الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين
معرضا عن حزب الله واوليائه مساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده
عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه
على العاجلة وتهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه
وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال
من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات
والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا
ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعات ومن خلق
للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر
الحمقى بقوله ان الله تعالى رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم فان العمر طويل فاصبر حتى تتوب
غدا ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل
وما يجري مجراها فالاحمق يوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا واستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها

لهلا واستعملهم بالمعاصى وعرف الخلق علامات اهل النار واهل الجنة فقال تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار
لفى جحيم ثم قال تعالى فيما روى عنه النبى صلى الله عليه وسلم هولاء فى الجنة ولا ابالى وهولاء فى النار ولا ابالى فتعالى
الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجايب القلب فان استقصاءه
لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع
بالظواهر ولا يجترى بالقشور عن اللباب بل يتشوف الى معرفة دقايق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع
ان شاء الله تعالى آخر كتاب عجايب القلب ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بمشية الله تعالى

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق

وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ۵

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن فى تصويره وزين
صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوض
تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص
عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد صلى الله
عليه وسلم عبده ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذى كان يلوح نور النبوة فى اساريره
ويستشف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلم الكفر
ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا الا بقليله ولا بكثيره اما بعد فان الخلق الحسن
صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين
ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازى الفاضحة
والرذايل الواضحة والخبايث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها فى سلك الشيطان اللعين
وهى الابواب المفتحة من القلب الى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هى الابواب
المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس
الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذى لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء
بضبط قوانين العلاج للابدان وليس فى مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض
القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من
القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق فى معرفة عللها
واسبابها ثم الى تشمير فى معالجتها واصلاحها فمعالجتها هى المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو
المراد بقوله تعالى وقد خاب من دساها ونحن فى هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية
القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتى فى بقية الكتب من هذا
الربع وغرضنا الآن النظر الكلى فى تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه ومظهرا لنعمته لديه وانك لعلى خلق
عظيم وقالت عايشة رضى الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن قوله تعالى خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال عليه السلام هو ان تصل من قطعك وتعطى من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال عليه السلام
اثقل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال
يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق
ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورايه فقال يا رسول الله ما الدين فقال
حسن الخلق والتفت اليه فقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق
وقال رجل يا رسول الله اوصنى فقال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدنى
قال خالط الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال افضل قال حسن الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرء وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق توذى جيرانها بلسانها فقال لا خير
فيها هى من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع فى
الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما
خلق الله تعالى الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اى المومنين افضلهم ايمانا قال
احسنهم خلقا وقال عليه السلام انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال
عليه السلام سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا واحسنهم وجها وعن ابى مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك الصحة والصبر والعفة وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كرم الرجل دينه ومروته عقله وحسبه حسن خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال حسن الخلق وقال عليه السلام
ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدوا بشي من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل او حلم
يكف به السفيه او حسن خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة اللهم
اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير
ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة فيما يكون لها زوجان في الدنيا
فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما اخلاقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق
بخير الدنيا والآخرة وقال عليه السلام ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصايم القايم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي
رواية اخرى يدرك درجة الظمان في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فادخله على ربه
وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف
العبادة وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويسألنه ويستكثرن
من ذلك عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يضحك فقال عمر مما اضحكك اضحك الله سنك بابي انت وامي يا رسول الله فقال عجبت من هولاء اللاتي عندي
لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب قال عمر فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال يا عدوات
انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله فقال رسول الله ايها يا ابن الخطاب والذي
نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء
الخلق ذنب لا يغفر وسوء الخلق خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم

الآثار قال ابن لقمن الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فان كانتا اثنتين
قال الدين والمال قال فان كانت ثلثا قال الدين والمال والحيا قال فان كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن
الخلق قال فان كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمع
فيه هذه الخصال فهو نقي تقي لله ولي ومن الشيطان بريء وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال
انس ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل دركة في جهنم وهو عابد
وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخار المكسرة لا
يرقع ولا يعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب

ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفره وكان يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال ارحم عليه
فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعالي الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم
والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق من زاد عليك في الخلق زاد عليك
في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق
سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيآت سئل ابن عباس ما الكرم فقال
ما بين الله تعالى في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل
بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد
كماله الا المصطفى صلوات الرحمن عليه واقرب الخلق الى الله السالكون آثاره بحسن الخلق ٥

بيان حقيقة حسن الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته بل لم يستوعبوا
جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وان كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته
المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف
الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرماني هو كف
الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا والواسطي قال ايضا
هو رضاء الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله عز وجل وسئل سهل عن الخلق فقال
ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا تتهم مولاك في
الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبينه عز وجل
وفيما بينك وبين الخلق وقال علي كرم الله وجهه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع
على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يوثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الخراز هو ان
لا يكون لك همة غير الله فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات ايضا
وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال
فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة
وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة
وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله
امره بالاضافة الى نفسه فقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه به على ان الجسد
منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله عز وجل والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة
عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث
تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعال
قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال على

النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان يصدر
منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه
السخاء والحلم فها هنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما
والرابع هيئات للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة
عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث
او لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحدة وكل انسان خلق
بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة
فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئات التي بها تستعد
النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن
الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر كذلك
في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت
وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث
فاما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل لها ادراك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال
وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها
ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة
الغضب فحسنها في ان يقتصر في انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها
في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة
وتحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ
الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج ان
يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي
يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت
فهو حسن الخلق مطلقا ومن فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي حسن
بعض اجزاء وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها
يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة يسمى ذلك تهورا وان مالت الى الضعف
والنقصان يسمى ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة يسمى شرها وان مالت الى النقصان يسمى
خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة
ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة
ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة
والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطاء في جميع الافعال الاختيارية

ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال
والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها
ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق
الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن
والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن
تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل
وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه
الطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان
يختار فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر
النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما
افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها
فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما
خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة
والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث
والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء
واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الصفات والفضائل الاربعة وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو
قريب من الله بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون
بين الخلق ملكا مطاعا يرجع كل الخلق اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق
كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان المبعد اللعين
فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال عليه السلام وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في
اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل
ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي
ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء
على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في
الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه والله تعالى اعلم

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها وان الطباع
لا تتغير فاستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة
لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا
القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع
الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا
ينقلع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بلا فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ
العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات
ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة
ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة
والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى
ما لا مدخل للاختيار الآدمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا
وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا
وجعل فيه قوة قبول الكمال بعده ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح
ولا نخل الا انه خلق خلقة يمكن ان يصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية
فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو
اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة
والمجاهدة قدرنا عليه ولقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة
فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة
وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على
التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق
له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة
له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب **الاولى** هو الانسان الغفل الذي
لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته
ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه
يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان **الثاني** ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود
العمل الصالح بل زين له سوء عمله فرآه حسنا فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء
الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه فيحتاج الى امرين

الاول قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والآخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه
بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم **الثالث** ان يعتقد في الاخلاق القبيحة
انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور
وذلك لتضاعف اسباب الضلال **الرابع** ان يكون مع نشوه على الراي الفاسد وتربيته
على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع في قدره وهذا هو
اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل
وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق فقط والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال
الآخر وهو ان الآدمي ما دام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا
غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة
خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع
لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل
الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب
اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في
صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته
منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب
ولو بطل الغضب لبطل جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام
لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكلم
بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما
العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي
الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال
فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا يشك فيها والذي يدلك على ان المطلوب هو الوسط
في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله عليه
فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا
واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال
الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان
يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص

على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب في ان
يصفو عن الوصفين جميعا فاذا لم يمكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين
وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين جميعا فكذلك السخا بين التبذير
والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور
ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا وامساك
المال راسا ولا يرخص في شيء من ذلك لانه لو رخص في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه
وظن انه القدر المرخص فيه فاذا اقصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا قدر سورته حيث يعود الى
الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد ه
فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وامساكه بحق ه

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونهما
مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان
ويولد كامل العقل حسن الخلق وقد كفي سلطان الغضب والشهوة بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع
فيصير بغير معلم عالما وبغير مؤدب مؤدبا كعيسى ويحيى عليهما السلام وكذا سائر الانبياء ولا يبعد ان يكون
في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل
فيه ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني لاكتساب هذه
الاخلاق المجاهدة والرياضة اعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا
ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليها تكلفا
مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا وكذا من اراد ان يحصل
لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها
مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا ه
تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون
الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود
جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال
الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني
في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال ه
السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك
قال وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال عليه السلام اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره
خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان

دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ
واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك
كره الانبياء عليهم السلام والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر
كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب
وانما يتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان تقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها
حب الله تعالى فلا يكون شيء احب اليه من الله تعالى ومن لقاء الله تعالى فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي
يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى ه
وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير
الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانك ترى ه
الملوك المتنعمين في احزان دائمة وترى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر
معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلبه ما له وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ
به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما
على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء وعودها بل ترى الفاجر
العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه
وبقوته بالصبر على ذلك يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره
فيصبر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها
من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم
الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في خنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين
والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على
الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى
القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج
عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى
ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات
الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى
طبعه لمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببا حياتها فكل قلب مال الى حب شيء
سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى
دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة
وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني
النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها وكل فعل يجري على

الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة
صفة له نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب
عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا وكان الخط الحسن
هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة
فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو
التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس فكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا
حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما
ان من طلب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة لتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها
وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب
الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل
راسا فيفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان
عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس اثره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا على التدريج مثل نمو البدن
وارتفاع القامة فكذلك قليل الطاعة فلا يحس بتاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان
بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان
خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا
على التوالي يسوف نفسه يوما يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه
بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير
فيصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي كرم الله وجهه الايمان يبدو في القلب لمعة بيضاء
فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب
نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت ان الاخلاق
الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم
وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث
حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم
منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل
درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما
ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان الطريق الى تهذيب الاخلاق

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة في النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض كما ان الاعتدال في مزاج
البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل

والاخلاق الردية عنها وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة لها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه
وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك
كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعويد والتعليم تكتسب
الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق
ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان
الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه وكذا النفس منك ان كانت زكية
طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها
وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن
الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة
التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع
ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج
الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن
يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يكفي
لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة
والقلة ولا بد له من معيار يعرف مقدار النافع منه والضار فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض
الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج
ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف ذلك التفت
معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ
المتبوع الذي يطب نفس المريد ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص
وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك
الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي سنه
وحاله ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع
فيعلمه اولا الطهارة والصلوة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا
بترك ذلك فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه
ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ
قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره بان يخرج الى السوق
للكدية والسؤال فان عز الرياسة لا ينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك
مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة فان راى الغالب عليه النظافة في
البدن والثياب وراى قلبه مائلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه

بكنس المواضع القذرة اوملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى يتشوش عليه رعونته فى النظافة فان الذين
ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التى
تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ٥
ومن راعى فى ثوبه شيا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف
الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغى
ان ينقل عن الخلق المذموم الى مذموم آخر اخف منه كالذى يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان
الماء لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبى فى المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما اشبهه ثم ينقل من اللعب
الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك الى الترغيب فى الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل عن الجاه الى الترغيب
فى الآخرة وكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة واحدة فلينقل الى جاه اخف مما هو فيه وكذلك ساير الصفات
وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم كلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ٥
ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى لا يقوى به نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا
الى النكاح وهو عاجز عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز
وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذلل نفسه وتنكسر شهواته فلا علاج فى مبادى الارادة
انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء الخلق ٥
ويامره بخدمة من ساء خلقه ومراعاته حتى يمرن نفسه على الاحتمال فمن كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن
نفسه شدة الغضب وكان يستاجر من يشتمه على ملاء من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة
له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه
خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام
طول ليله على قصبة واحدة وبعض الشيوخ فى ابتداء ارادته كان يكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على
راسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه فى البحر
اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود وريا البذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا
ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتى فى بقية الكتب وانما الغرض الآن التنبيه على ان الطريق الكلى فيه سلوك مسلك
المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله جميع ذلك كله فى كلمة واحدة فقال تعالى ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هى الماوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسر من الله
اسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغى ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه نقض العزم الفت ذلك
وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغى ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس من كتاب
المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وفسدت به الرياضة بالكلية

بيان علامات امراض القلب وعلامات عودها الى الصحة

اعلم انه كما ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى
لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليدان يتعذر عليهما البطش ومرض العينان يتعذر عليهما
الابصار وكذلك مرض القلب هو ان يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله
تعالى وعبادته والتلذذ به وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال
الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التى
للآدمى ما يتميز به عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل او الوقاع او الابصار او غيرها بل بمعرفة الاشياء على ما
هى عليه واصل الاشيا وموجدها ومخترعها الذى جعلها اشيا هو الله تعالى فلو عرف كل شى ولم يعرف الله تعالى
فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها
من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية فمن عنده شى احب اليه
من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة
فهذه علامات المرض وبهذا تعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها
ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواءه ٥
مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وان وجد من قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم
العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا
واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات
وباطنها عادات ومراءاة فهذه علامات اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر فى
العلة التى يعالجها فان كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله تعالى فانما علاجه ببذل المال وانفاقه
ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا داء فيكون كمن عالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة
وهى ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون
على الوسط فى غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذى يوجبه الخلق المذموم فان كان
اسهل عليك والذ من الذى يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ ٥
عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد فى المواظبة على البذل فان صار البذل
لغير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك
ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا
تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج
ولا يترجح عندك البذل على الامساك وكل قلب صار كذلك فقد جاء الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب ان
يكون سليما عن ساير الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشى مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة ٥
العلايق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية
مرضية داخلة فى زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان
الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو ادق من الشعر فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى

لا علاج فى مبادى الارادة انفع من الجوع

الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقل ما ينفك العبد عن مثل هذا الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى
احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الآخر الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان
كان مثل البرق وقال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى
الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عز الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله سبحانه في كل يوم سبع عشرة مرة
بقوله اهدنا الصراط المستقيم اي قد وجبت قراءة الفاتحة في كل ركعة رأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما
أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان
لم يقدر على حقيقة الاستقامة وكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا
عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب
امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم فيرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين
نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربع طرق ان يجلس بين يدي شيخ كبير بصير بعيوب
النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ
مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده
ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله
فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين
كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال
ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفاه فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادمين على مائدة واحدة وان
لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غيرهما قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان
يسأل حذيفة ويقول انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من
آثار النفاق وهو على جلال قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا
كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر
بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس
بعيب عيبا او مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا
تخالط قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كان شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بنصيحة غيرهم
وقد آل الامر الى امثالنا وابغض الخلق من نصحنا ويعرفنا عيوبنا وكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان
فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا
به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا يدوم المها الا يوما فما دونه ونكاية الاخلا[ق]

الدنية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابدا او آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها
بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول انت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه
ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك من ضعف الايمان نسأل الله ان يلهمنا رشدنا
ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه
ان يستفيد عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان
بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول
على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر
على السنتهم ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب
نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما
يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها
عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل
لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد انما رأيت جهل الجاهل فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا ذكيا
عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى نصحا
لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور
العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد
فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره
فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اغوار الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم درجات وكلا
وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة
الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله
وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدته وروي ان الله عز وجل اوحى الى
داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها
عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه
وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله وما الجهاد
الاكبر فقال عليه السلام جهاد النفس وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال عليه

السلام كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا
الا ان يغفر الله تعالى ويستر برحمته وقال سفين الثورى ما عالجت شيا اشد من نفسى مرة لى ومرة على وكان
ابو العباس الموصلى يقول يا نفس لا فى الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كانى
بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد
من نفسك وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام
والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات
ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات
وليس على العبد شئ اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام
وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها
بايدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتامن من بوايقها فى ساير الايام وتصفيها من ظلم شهواتها
فتنجوا من غوايل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية حقيقة فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى
مسالك الطاعات كالفرس الفارة فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه
وشيطانه ونفسه فاحترز من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض
الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها ومنعت قلبه الفوايد وقال
جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح
بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامة وقال وهيب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال ايضا من احب شهوات
الدنيا فليتهيا للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزاين الارض يا يوسف
ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلام قال
الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردى فلم اجد
الحلاوة التى كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة
مطروح على الطريق فلما احس بى قال يا ابا القسم الى الساعة فقلت يا سيدى عن غير موعد فقال بلى قد سالت
محرك القلوب بان يحرك قلبك لى ففعلت قد فعل عز وجل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواها فقلت
اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعى قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من
الجنيد وانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشى السلم على الماء البارد فى الدنيا لعلى لا احرمه فى الآخرة
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال
على عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا
راى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما امنعك الا لكرامتك على فاذا اتفق العلماء والحكماء على
ان الطريق الى سعادة الآخرة لا يتم الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم
تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس

بشئ مما لا يوجد فى القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر
اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع
الى الدنيا الا من لا حظ له فى الآخرة بحال ولا خلاص عنه الا ان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله عز وجل وحبه
والتفكر فيه وتقتصر من الدنيا على ما يدفع به عوايق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقترب منه
فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله تعالى قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا فى ضرورات المعيشة فهو من
الصديقين ولا ينتهى الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثانى
من استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر فى قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين
والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه
ينجو منها سريعا بقدر قوة غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على
قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى فى قلبه وتمكنه من صميم فواده وان
كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القايل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا
خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسياتى ذلك فى كتاب
ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص كنت فى جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها
فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان ورايت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام
عليك فقال وعليك السلام يا ابرهيم قلت كيف عرفتنى قال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت ارى لك حالا
مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير قال وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك شهوة
الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان المه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه فى الدنيا فتركته ومضيت
وقال السرى منذ اربعين سنة تطالبنى نفسى ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك
طريق الله ما لم يمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن اراد
حفظ لسانه من الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت عنه شهوة الكلام فلا يتكلم الا
بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمى البصر الى كل شئ جميل لم يتحفظ عن النظر الى
ما لا يحل وكذلك ساير الشهوات لان الذى يشتهى به الحلال هو بعينه يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد
وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعود الاقتصار على قدر الضرورة فى الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات
المباحات ووراء هذه آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى
تصير ممتلية بها كالسكران الذى لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب
الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة
الدنيا فى الآخرة الا متاع وقال عز من قايل اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى متاع الغرور واولو الحزم
من ارباب القلوب جربوا قلوبهم فى حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التاثر بذكر الله
تعالى واليوم الآخر وجربوها فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة فى

وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله
فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها
دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المومن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال عليه السلام المومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام
من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال عليه السلام من
كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المومنين هي حسن الخلق فقال اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا
وقال عليه السلام اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال عليه السلام من سرته حسنته وساءته
سيئته فهو مومن وقال عليه السلام لا يحل لمومن ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما
وقال عليه السلام انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره   وجمع بعضهم
علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل
قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا
عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن
الخلق   وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همته في الصلوة والصيام والعبادة
والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة   وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص
والامل والمومن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله   والمومن آمن من كل احد الا من الله والمنافق
خائف من كل احد الا من الله   والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله   والمومن يحسن ويبكي
والمنافق يسيء ويضحك   والمومن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا   والمومن يزرع ويخشى الفساد
والمنافق يقلع ويرجو الحصاد   والمومن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد   واولى ما
يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره فيدل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق
احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا
وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية
البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضحك ثم امر باعطائه   ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم   ويحكى عن ابن ادهم انه خرج الى بعض البوادي فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال
نعم قال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط
فشجه شجة موضحة ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم
فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت
عبد من بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله تعالى له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف
سالت الله له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر   ودعي ابو عثمن

الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمن فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا
فقال ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمن ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات
وابو عثمن لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمن الذي رأيت مني هو خلق الكلب اذا دعي اجاب
واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمن اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم
يقل شيئا فقيل له الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضا صلوات
الله عليهم كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له
الحمام فدخل ذات يوم واطبق الحمامي باب الحمام ومضى في بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل
ونزع ثيابه ودخل الحمام فرأى علي بن موسى عليهما السلام فظن انه بعض خدم الحمام فقال قم فاحمل الي الماء فقام علي
وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما
خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل انه خاف مما جرى فهرب فقال عليه السلام لا ينبغي ان يهرب ليس الذنب له انما
الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان عبد الله الخياط كان يتعامل على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في
الخياطة وكان اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه
فقضي من القضاء ان عبد الله قام يوما من الحانوت لبعض حوائجه فتقدم المجوسي الى التلميذ واسترجع ما خاطه ودفع اليه
درهما زيفا فلما نظر اليه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني
بهذه المعاملة مدة وانا اصبر عليه واخذ الدرهم والقيه في البئر كيلا يغر به مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة
حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات
والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره
وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن فوقه ومن دونه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال
الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق
فقال من قيس بن عاصم المنقري قيل وما بلغ من خلقه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه
شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله
وقيل كان اويس القرني اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي
فتمنعوني من الصلوة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان بقي في قلبك شيء فقله
كيلا يسمع بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان عليا دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم
يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك
فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي
اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم
فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله
وهذا منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما

ذكرناها فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة
والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل
نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل
مؤدب له ومعلم وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه من نار الآخرة اولى وصيانته
بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب
الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه
الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من
الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدا مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء
فاذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض
فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب فهو مبشر
بكمال العقل عند البلوغ والصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات
شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اكله ويأكل مما يليه ولا يبادر الى
الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام ولا الى من يأكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم
ولا يلطخ ثوبه ويده ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه
من يكثر الاكل بالبهائم وان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي الذي لا يكثر الاكل ويمدح بين يديه
الصبي المتأدب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان
ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون
منه ويكرر عليه ذلك ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان
الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في
ابتداء نشوه خرج في حالة الكبر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة
وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب بتعلم القرآن وباحاديث الاخيار وحكايات
الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة
الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من
الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في
بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله
لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان

عادتنا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه ولا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعوده الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم في الكلام ويمنع ان يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وان ذلك فعل اولاد اللئام ويمنع اليمين راسا صدقا وكذبا حتى لا يتعود في الصغر ويمنع من ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر سنا منه وان يقوم لمن فوقه ويوسع المكان له ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فانه يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد من الصبيان ولا غيرهم بل يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الصلاة والطهارة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام والكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وان المقصود منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله تعالى وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود

من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال سهل التستري كنت ابن ثلث سنين وكنت اقوم الليل وانظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما يا بني الا تذكر الله تعالى الذي خلقك فقلت يا خالي كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احد عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في سري فقال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني اخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وتعلمت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنى عشر سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلث عشرة سنة فسالت اهلي ان يبعثوا بي الى البصرة اسال عنها فجئتها فسالت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتأدب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير فيطحن لي ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام وان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسة وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر فكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون

قد انهمكوا في شهواتهم وخاضوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق
لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى وعادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل
بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل
مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة وان تنبه متنبه من نفسه
او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في
بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه
وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد
والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية والسد بين المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية
وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه
قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار
الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك
التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق
صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في
معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة فان غلب عليه التعصب لعقيدة
ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب اصلا واما
المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر
المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره
وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار معانيه وكذا لا
بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن
المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به وكذلك
المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان
كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير
خفير ودليل فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف
على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك
الاعمى على شط النهر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقي في متابعته شيئا
ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطاء شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم
وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع
والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه

ينقص

ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما
ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات
قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا
الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر
يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره
وينضاف الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة
والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة
فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال
ابرهيم الخواص اجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه يسهله العزلة ولكن
المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام
يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه
فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر
فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ
الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل فيها لينفجر اسفل الحوض فينفجر منه الماء النظيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح
الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر
الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه او يتدثر بكساء او
ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن
يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه
بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك
العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل اعني تلك الصفات اسرار العلائق
التي قطعها في اول الارادة وآثارها اعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى
المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف
ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص مكفي قد كفي اكثر الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق
المجاهدة هو مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف
بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة
بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر
الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على

قلبك من الجمعة الى الجمعة التى تأتينى شيئ غير الله حرام عليك ان تأتينى فهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة
واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك
الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال
وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله او
ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة جارية على اللسان من
غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى
يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب
عن كل ما سواه لان القلب اذا اشغل بشيئ خلا عن غيره اى شيئ كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا
محالة وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله
واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا ٥
فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس عن هذه الكلمة وانها
ما هى وما معنى قولنا الله ولاى معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد
عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك
والخواطر منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره ٥
فشرطه ان لا يبالى به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الآية وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما
يشك فيه فينبغى ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد فى قلبه من الاحوال من فترة ونشاط او التفات الى
علقة او صدق فى ارادة فينبغى ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احد ثم ان شيخه ينظر فى
حاله ويتأمل فى ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغى له ان
يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور ما يكشف به حقيقته وان علم ان ذلك مما لا
يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من فهمه وينبغى ان يتانق
الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال
فاسد فلم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم
ومن تجرد للفكر وقطع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان
سلم كان من ملوك الدين وان اخطأ كان من الهالكين ولذلك قال عليه السلام عليكم بدين العجائز وهو تلقى اصل
الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر فى العدول عن ذلك كثير ولذلك
يجب على الشيخ ان يتفرس فى المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده
الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن المجاهدة
فى صف القتال ينبغى ان يسقى القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة فى زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم

ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف من الاحوال وما يبدو من
اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيئ من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا بل ينبغى
ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذى لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس
ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق
الى التحقيق وقلت مرة بعد اخرى دلنى على عمل اجد فيه قلبى مع الله فى كل وقت على الدوام فقال لى لا تنظر الى
الخلق فان النظر اليهم ظلمة فقلت لا بد لى منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت فلا بد لى من ذلك
قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم ولا بد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم
فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين
وتريد ان تجد قلبك مع الله تعالى هذا لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله تعالى ولا يمكن
ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الله سبحانه
وتعالى فى الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف
به اصلا واذا انكشف للمريد شيئ من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا او نصحا او يتصدى للتذكير
فيجد للنفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر فى كيفية ايراد تلك المعانى وتحسين الالفاظ
المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القران والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب
والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء القلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة
بين الله تعالى وبين الخلق لدعوة عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة وتتضح كيد الشيطان
بان يظهر فى اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك فى باطنه عقرب
الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراط ٥
مستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذى عضدنى وايدنى بمن يوازرنى على اصلاح عباده كالذى وجب عليه
ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاءه من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد مجيئه
فالغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففى كثرتهم استرواح وتناصر فينبغى ان يعظم الفرح بهم وهذا عزيز
الوجود جدا فينبغى ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتحت له اوائل
الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين الله
تعالى ان الشر قديم فى الطبع وان ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال عز من قائل ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ٥
ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريدين وتربيتهم فى التدريج الى لقاء الله تعالى اما تفصيل الرياضة فى كل صفة
فسيأتى بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذى
هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولا يتمكن منها الا
بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك
الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل

ربع المهلكات ثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد
وكتاب في كسر شره الكلام وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل
وكتاب في ذم الريا وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات
وتعليم طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربع ان شا الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح
صفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق
تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما يأتي في هذه الكتب ان شا الله ثم كتاب تهذيب الاخلاق

كتاب كسر الشهوتين

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح
والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ
عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي باماتيه فهو الذي يرشده
ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه
للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب
عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه
ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ
به ويشتهيه ويكثر عليه مما يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف
يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن
معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته
وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه

اما بعد

فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار
اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات اذ يتبعها
شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة الى المال والجاه اللذين
هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات
وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريآء ثم
يتداعا ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا
وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو راض ذلك العبد نفسه بالجوع وضيق
به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله تعالى ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى
الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة

البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على
فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها
بيان فضيلة الجوع ثم بيان فوائد الجوع ثم بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير
ثم بيان اختلاف احكام الجوع وفضله باختلاف احوال الناس ثم بيان الريا في ترك الشهوة ثم بيان القول
في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة الفرج
والعين فالاول من ذلك

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل
الله وانه ليس من عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملاء بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه
ورضي بما يستر به عورته وقال عليه السلام سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد
الخدري قال رسول الله عليه السلام البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة قال
الحسن قال رسول الله عليه السلام افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى
كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام
والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال
عليه السلام ما ملاء آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فاعلا فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة ابن زيد وحديث ابي هريرة الحديث الطويل ذكر
فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا هم الاتقيا
الاخفياء الانقياء الذين اذا شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يتفقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة
السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب
ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها منهم
احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون
ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى
امر الله تعالى الذي ذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس
لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما
هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك
الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين عليهم السلام
وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار رواه الحسن وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم انه قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى انصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء وقال عيسى عليه
السلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل ورواه طاوس عن النبى عليه السلام هكذا
وفى التورية مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا
بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله تعالى يبغض القارئ السمين وفى الخبر المرسل ان الشيطان يجرى من ابن
آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفى الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال عليه السلم
المؤمن ياكل فى معا واحد والمنافق ياكل فى سبعة امعا اى ياكل سبعة اضعاف اكل المؤمن اذ يكون شهوته سبعة
امثال شهوته ويكون المعا كناية عن الشهوة لان الشهوة هى التى تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذ المعا وليس المعنى
به زيادة عدد معا المنافق على معا المؤمن وروى الحسن عن عايشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ادموا قرع ابواب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة فقال عليه السلام بالجوع
والظما وروى ان ابا جحيفة تجشا فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقصر من جشايك فان اكثر الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا فى الدنيا وكانت عايشة تقول ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما امتلى شبعا قط وربما بكيت له رحمة مما ارى من الجوع فامسح بطنه بيدى واقول نفسى لك الفدا
لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخوانى من اولى العزم من الرسل قد صبروا
على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجد فى استحى ان ترفهت فى
معيشتى ان يقصر بى دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الى من ان ينقص من حظى غدا فى الآخرة وما من شى احب الى من
اللحوق باخوانى واخلاى قالت عايشة والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جات
فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى اتيتك
منه بهذه الكسرة فقال عليه السلام اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما
اشبع النبى عليه السلام اهله ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال عليه السلام ان اهل الجوع
فى الدنيا هم اهل الشبع فى الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاء وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كان له
درجة فى الجنة فما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اياك والبطنة فانها ثقل فى الحياة
نتن فى الممات وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة وقال لقمن لابنه يا بنى اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل يعاتب نفسه اى شى تخاف
اتخاف ان تجوع لا تخف ذلك فانت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس
يقول الهى اجعتنى واعريتنى وفى ظلم الليل اجلستنى فباى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى وكان فتح الموصلى يقول اذا
اشتد مرضه وجوعه الهى ابتليتنى بالجوع والمرض وكذلك تفعل باوليايك فباى عمل اودى شكر ما انعمت به على
وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى
يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول اجعتنى واجعت عيالى وتركتنى
فى ظلم الليل لا مصباح وانما تفعل ذلك باوليايك فباى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع

الراغبين منبهة وجوع التايبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة
وفى التورية اتق الله تعالى واذا شبعت فاذكر الجايع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشاى احب الى من قيام
ليلة وقال الجوع عند الله فى خزانته لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل التسترى يطوى نيفا وعشرين ليلة لا
ياكل وكان لا يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يرى فى القيمة عمل بر افضل من
ترك فضول الطعام والاقتداء بالنبى عليه السلام فى اكله وقال لم ير الاكياس شيا انفع من الجوع للدين والدنيا
وقال لا اعلم شيا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال جعل الحكمة والعلم فى الجوع وجعل المعصية والجهل
فى الشبع وقال ما عبد الله بشى افضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال وقد قال فى الحديث ثلث للطعام
فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل
ويكون اذا جاع ليلة سال الله تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا انما صار الابدال
ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر من السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع
وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله تعالى على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من
شا الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر
على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام
وسيل حكيم باى قيد اقيد نفسى قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابنا
الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان
عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت لهم الارض
الا بالجوع ولا والاهم الله الا بالجوع وقال ابو طالب المكى مثل البطون مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار
انما حسن صوته لخفته ورقته وانه مجوف غير ممتلى فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل
للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى عن عيسى عليه
السلام انه مكث يناجى ربه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين
يديه فقعد يبكى لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولى الله ادع الله تعالى لى فانى
كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى بل كان
اذا حضر شى اكلته من غير فكر ولا خاطر وروى ان موسى عليه السلام لما قربه الله تعالى نجيا كان قد ترك الاكل اربعين
يوما ثلثين ثم عشرا على ما ورد فى القرآن انه امسك بغير امر ثلثين يوما فزيد عشرة ايام لاجل ذلك

بيان فوايد الجوع وآفات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك
فينبغى ان يعظم الفضل فى كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما
يجرى مجراه فاعلم ان هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته فى مرارة الدواء وكراهيته فاخذ
يتناول كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه فى خاصية فى الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك

الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا شماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في
الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم عين المنفعة،
وفيها وجوه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقى من درجة الايمان الى درجة العلم ويرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد
صفا القلب وانقاء القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار في الدماغ
كشبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار ويحرمه عن سرعة الادراك
بل الصبى اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطئ الفهم والادراك وقال ابو سليمن عليك
بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوى وقال عليه السلام من اجاع بطنه عظمت
فكرته وفطن قلبه وقال عليه السلام احيوا قلوبكم بقلة الضحك والشبع وطهروها بالجوع تصفو
وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال ابن عباس قال عليه
السلام من شبع ونام قسى قلبه ثم قال لكل شئ زكوة وزكوة البدن الجوع وقال الشبلى ما جعت لله يوما
الا رايت في قلبى بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل
الى المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحرى
ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بنى اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة
وقال عليه السلام نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله تعالى المساكين والدنو منهم لا
تشبعوا فتطفئوا نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلى في خفة من الطعام باتت الحور حوله حتى يصبح

الفايدة الثانية

رقة القلب وصفاوه الذى به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر
فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر حتى كان بينه وبينه حجابا من قسوة
القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه
قال ابو سليمن احلى ما تكون العبادة الى اذا التصق ظهرى ببطنى وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين قلبه
مخلاه من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا
شبع عمى وبار فاذا تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة به فهى فايدة ثانية

الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبداء الطغيان
والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشئ كما يذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف
على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا بشربة ماء
تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عز مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون
دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا
الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها

فقال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت واذا شبعت شكرت او كما قال والبطر والفرح باب من ابواب
النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار
فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر
ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايعين
وينسى الجوع والعبد لما يشاهد بلاء الا ويتذكر به بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة
ومن جوعه جوع اهل النار حين انهم يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغى ان
يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذى يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسى
عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغى ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة بلاء فاولى ما
يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب الذى اقتضى
اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام تجوع وفى يدك
خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعو
الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع
وهى من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشا المعاصى كلها
الشهوات والقوى ومادة الهوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما
السعادة كلها فى ان يملك الرجل نفسه والشقاوة فى ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا
بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا
تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بى فيورطنى ولان احمله على
الشدايد احب الى من ان يحملنى على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا وقد عصيت او هممت
بمعصية وقالت عايشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما
شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هى خزاين الفوايد ولذلك
قيل الجوع خزانة من خزاين الله تعالى واول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا تتحرك
عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه
الجوع من كل ذلك فاذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم
الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا تخفى غايلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك
فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزنى كما ان الفرج يزنى فان ملك عينه بغطاء التقوى فلا
يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض
له فى اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة
الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخالطه معه شئ
من الشهوات وياكل بنصف بطنه رفع الله عنه مؤونة النساء

ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر
المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي
كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر
والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد
حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد
فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره للتهجد ثم يحتاج الى مؤونة
الحمام وربما يقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد
قال ابو سليمن الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم
منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له

الفائدة السابعة

تيسير المواظبة على
العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام
او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه
لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السرى رايت مع على الجرجاني سويقا يستف منه
فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين
سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة له فينبغي ان يستوفي
منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بان يصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل
الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر
لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة
فيه ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمن الداراني الى ست آفات فيه فقال
من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع
ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع
يدورون حول المزابل

الفائدة الثامنة

من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة
الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر
والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤون وتبعات لا يخلو
الانسان فيها بعد التعب من انواع المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد
جمع اربعة اطبا هندي ورومي وسوادي وعراقي فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه
فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض
وقال العراقي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد
يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء فقالوا وما هو عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي

ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك وانت تشتهيه فقالوا صدق وذكر لبعض الفلاسفة من الطباء
اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت
كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة راس الداء والحمية اصل
الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل
خبز الحنطة بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال
بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته الملح
ولان يقلل من الملح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الحديث المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع
وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما

الفائدة التاسعة

خفة المؤونة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه
غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي
او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والعماة والمؤمن خفيف
المؤونة كما قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لنفسي وقال آخر اذا اردت ان استقرض
من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه
عن الشيء الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول مذموم في ثلثة احوال ان كان من
اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه
وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج البطن والشبع
وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم
اديموا قرع ابواب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في ساير الشهوات وصار حرا واستغنى عن الناس
واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى وصار من تجار الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة

الفائدة العاشرة

ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على المساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر
فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله وليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى
او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن اذا قرا قوله انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال الآية قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرايق التي زينها بالنجوم وحملة العرش
العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قالت لا
ثم عرضها على الارض كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الشم البواذخ الصعاب الصلاب قيل لها هل تحملين الامانة
بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا
بامر ربه فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا آلافا فما ذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا
قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء

رغيف كبرده ديدكلرى اتمك احمر

وهم من الله في عافية يقول قايلهم بيعني ارض كذا وكذا وازيد كذا ايبكي احدهم على شماله ويأكل من غير ملكه فخذ منه بحره
وماله حرام حتى اذا بلغت به الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ايتني بشيء يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم
انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين اليتيم والمسكين الذين امرك الله بهم وهذه اشارة الى هذه الفايدة
وهو صرف فاضل الطعام الى الفقراء ليدخر به الاجر فذلك خير من ان يأكل حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك
اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما ما كان الرجل منهم يمسي وعنده من
الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد
للجوع تتشعب عن كل واحدة فوايد لا تنحصر درها ولا يتناهى غزرها فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الآخرة ولهذا قال
بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي
رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد يدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدق
بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج
البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير
قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الماكول في تناول المشتهيات وتركها ٥

الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل
دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا من طعامه المعتاد
فان كان مثلا ياكل رغيفين في كل يوم واراد ان يرد ذلك الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه
جزوا من ثمنية وعشرين جزوا او جزوا من ثلثين فيرجع الى رغيف مثلا في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل
ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك في كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات

الدرجة الاولى اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين
وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها
وهي الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صايما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي ان لا
يبالي لو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل منها قايما مع قوة الاكل وسئل سهل عن
بدايته وما كان يقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق
الارز فاسويه مخلطا ثلثماية وستين كرة آخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف قال اكل بلا حد ولا توقيت
ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام

الدرجة الثانية ان يرد نفسه
بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون مقدار هذا الثلث
البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون
العشرة وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع

الدرجة الثالثة ان يرد نفسه

الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلثه
للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله صلى الله عليه وسلم للنفس

الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني
في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وها هنا طريق خامس
لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم
يقدر على منع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع
الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادم بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او ادما
فليس ذلك بالجوع وقيل انه يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة
ومعرفة ذلك غامض والصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا
انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان
قوت جماعة من الصحابة رضي الله عنهم صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع
الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو قدر ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة
لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على
ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم نخل لكم الشعير ولم ينخل لرسول الله وخبزتم
المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث
ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المومن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة
من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وشرطا شرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله
وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا لان اكل المومن
عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا
درجات

الدرجة العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار
حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما او اربعين وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن
ابن ابرهيم دحيم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمن الخواص
وسهل بن عبد الله وابرهيم الخواص وقد كان الصديق الاكبر رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن
الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوي سبعة وروي ان الثوري وابن ادهم كانا
يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلما من طوى اربعين يوما
من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض هذه الطايفة على
راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب

ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانه معجزة لا تكون الا لنبى صادق فقال له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك
ما انت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم انه الحق وانك على الباطل فقال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى
خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فاطوى الى تمام الستين فعل كذلك فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن احدا يجاوز
المسيح عليه السلام وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة
ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وانساه جوعه ولذة حاجته

الدرجة الثانية

ان يطوى يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة ۝

الدرجة الثالثة

وهى ادناها ان يقتصر فى اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل
وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة
روى ابو سعيد الخدرى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون
فى كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم لعايشة اياك والاسراف فان اكلتين فى يوم من السرف وكان
اكلتين فى يوم سرف واكلة واحدة فى يومين اقتار واكلة فى كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود فى كتاب الله
تعالى ومن اقتصر فى اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكله سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل
الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو المعدة لفراغ القلب ورقة الفكر واجتماع
الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفى حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابى هريرة قال ما
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان يقوم حتى تزلع قدماه وما واصل وصالكم هذا قط
غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفى حديث عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان
كان يلتفت قلب الصايم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب فى التهجد ايضا فالاولى ان يقسم
طعامه بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد
بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان
يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هى الطرق فى
مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده

الوظيفة الرابعة

فى نوع الطعام وترك الادام
واعلا الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلا الادام اللحم
والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الاخرة الامتناع عن
الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه
وقساوة فى قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى ويصير الدنيا جنة فى حقه
ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه واشتهى
نفسه الانقلاب منها ويكون الموت اطلاقا واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم
لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من افات الشبع فانها تجرى فى اكل الشهوات
وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب بترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها

خى

حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى
انه من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصى بتناوله ولكن تربى نفسه بالنعيم فيانس بالدنيا ويالف
اللذات ويسعى فى طلبها فيجره ذلك الى المعاصى فهم من شرار الامة لان مخ الحنطة تقود بهم الى اقتحام امور تلك الامور
معاصى وقد قال صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام
والوان اللباس يتشدقون فى الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام فيما قال له واذكر انك ساكن القبر
فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ۝
وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه قال التقى
ملكان فى السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى ۝
وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من
علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله اعظم
من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات كما اوردناه فى كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر
كان مريضا واشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم يوجد ثم وجد بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف
ثم شويت وحملت اليه على رغيف فقام سايل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له
الغلام اصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها
فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسايل هل لك ان تاخذ درهما وتتركها فقال نعم فاعطاه وردها
فوضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم
فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرى اشتهى شهوة فرد شهوته واثرها على نفسه غفر الله
له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها
الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضى الله عنه ان
يزيد بن ابى سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاه فاعلمنى فاعلمه فدخل عليه فقرب
عشاه فجاه بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قربوا الشوا وبسط يزيد يده فكف عمر وقال الله الله يا يزيد يا ابن
ابى سفيان اطعام بعد طعام والذى نفس عمر بيده ان خالفتم عن سنته صلى الله عليه وسلم ليخالفن بكم عن
طريقه وعن يسار بن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص ومن غير امره وروى ان عتبة الغلام
كان يعجن دقيقه ويجففه بالشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى تتهيا فى الدار الاخرة الشوا والطعام الطيب
وكان ياخذ الكوز فيغرف من حب كان فى الشمس نهاره فيقول مولاه له يا عتبة لو اعطيتنى دقيقك فخبزته
لك وبردت لك الماء فيقول يا ام فلان قد سددت عنى كلب الجوع وروى عن مالك بن دينار انه بقى اربعين
سنة يشتهى لبنا فلم ياكله واهدى اليه يوما رطبا فراودوه فى اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين
سنة وقال احمد بن ابى الحوارى اشتهى ابو سليمن الدارانى رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة
ثم طرح الرغيف واقبل يبكى وقال عجلت الى شهوتى بعد اطالة جهدى وشقوتى قد عزمت على التوبة فاقلنى

قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقى الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لى
نفسى لو اطعمتنى الليلة من هذا فاقسمت الا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما
اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط فقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا تمرة فما
زاد فيكم ما نقص منى او نقص منى ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا خمسين سنة اشتهت نفسى لبنا
منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق الله تعالى وقال حماد بن ابى حنيفة اتيت داود الطائى والباب عليه
مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك ثم اشتهيت تمرا فاليت الا تاكليه فسلمت ودخلت فاذا هو
وحده ومر ابو حازم بالسوق فرأى فيها من الفواكه فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة
الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتينى
حتى نظرت واشتهيت وغلبتينى حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى فقراء ايتام من جيرانه وقال موسى
الاشج نفسى تشتهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة فما اطعمتها وقال احمد بن خليفة نفسى منذ عشرين سنة ما تطلب
منى الا الماء حتى تروى فما ارويتها وروى ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما ان كان بعد ذلك قال قد استحييت
من نفسى ان ادافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترى قطعة لحم وشواها ووضعها على خبز فلقى صبيا فقال
الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه وجعل يبكى ويقرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهى تمرا سنين كثيرة فلما ان كان ذات يوم اشترى بقيراط
ورفعه حتى يفطر عليه فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا من جرائتى عليك وشراى التمر بالقيراط
وقال لنفسه ما اظن ان هذا اصاب احدا الا بذنبك آليت لا ذقتيه وتصدق به واشترى داود الطائى
بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيمة ولم يكن
ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل
مع خبزك تمرا ولا تزيد على الخبز شيئا فقال وانا ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى
فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه
فى الترك هو اذا ترك شيئا لم يعاود فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرنى الجنيد ان اشترى له التين الوزيرى
فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف
فى قلبى هاتف اما تستحيى تركته من اجلى ثم تعود اليه وقال صالح المرى قلت لعطاء السليمى انى متكلف لك شيا
فلا ترد على كرامتى قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدى شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت له
لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد نعت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته وقلت سبحان الله
رددت على كرامتى فلما راى وجدى لذلك قال لا يسوءك هذا انى قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسى فى
المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك لانى كلما اردت ذلك ذكرت قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه
الاية قال صالح فبكيت وقلت فى نفسى انا فى واد وانت فى آخر وقال السرى ان نفسى تطالبنى منذ ثلثين سنة
ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا يقول له نفسه انا اصبر لك على طى عشرة ايام

واطعمنى

واطعمنى بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوى عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروى
ان عابدا دعى بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له
العابد مه اى شئ تصنع اما علمت ان فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى
استدار من السحاب الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الارض والرياح والارض وبنى آدم والبهائم حتى صار اليك
ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفى الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستين
صانعا اولهم ميكائيل الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التى تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك
وملائكة الهوى ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم
الجوعى فسالته عن الزهد اى شئ هو فقال اى شئ سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اى شئ
تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما تملكه بطنه تملكه
الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل فقال لعبد الرحمن بن المتطبب عن شئ يوافقه من الماكولات فقال
تسالنى فاذا وصفته لك لم تقبل منى فقال بشر فصفه لى حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل
بعد ذلك اسفيذباجا فقال بشر تعلم شيا اقل من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال
ما هو قال الهندبا والخل ثم قال تعرف شيا اقل ثمنا من السفرجل قال لا قال انا اعرف هو الخرنوب الشامى ثم
قال تعرف شيا اقل ثمنا من الاسفيذباج ويقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناه
فقال عبد الرحمن فانت اعلم منى بالطب فلم تسالنى فقد عرفت ان هؤلاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات ومن
الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها وفى بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال
فلم يرخصوا لانفسهم الا فى قدر الضرورة والشهوات ليس من الضرورات حتى قال ابو سليمن الملح شهوة لانه
زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة ومنتهى النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغى ان لا يغفل عن نفسه ولا
ينهمك فى الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغى ان لا يواظب على اكل
اللحم قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه
وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغى ان ياكل ويجامع
فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط فى الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع
بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر
وفى الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك فى ان يصلى اربع
ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزوا من القرآن عقيب كل اكلة وكان الثورى اذا شبع ليلة احياها واذا
شبع فى يوم واصله بالذكر والصلوة وكان يقول اشبع الزنجى وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى
شيا من طيبات الفواكه فينبغى ان يترك الخبز وياكل الفاكهة بدلا عن الخبز ليكون قوتا ولا يكون تفكها ولئلا يجمع
للنفس بين شهوة وعادة ونظر سهل الى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له ابتدا بالتمر فان قامت به كفايتك
والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهى

صوابه فقال

الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات
فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها فطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما ياتينا من العراق
فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها
بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد
نفسه ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهواته قال بعض عباد البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها
وقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل
الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي تعالى من الكرامة والنعمة وكان اول شيء استقبلني به
خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية والذي اسلفوا هو ترك الشهوات لاهلها ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات
النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور
ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة
الله في الشريعة ان كلما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه
يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود
الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا
فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان
اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اسائته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام
الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل
كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل
المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل
الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع من العبادة والمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل
فيه اثر ليكون متشبها بالملئكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء
بهم واذ لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال
طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية
على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال
تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة
التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون
عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملئكة في الخلاص فاشبه احواله به البعد

وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر قوله
صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان
بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع
اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا
بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل
فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه
في نفسه فيامره بالجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه فرغ عن تاديب نفسه فاستغنى عن
التعذيب ولما كان اغلب الاحوال على النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي يحس بالمه
في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل وترد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع
عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق او مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط
المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن
تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قل ما تتادب تادبا كاملا وكثيرا
ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما
يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص
ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يكن له تقدير وتاقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى
نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان عليه السلام يدخل على اهله فيقول صلى الله عليه وسلم هل عندكم
من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا لصائم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم
ثم ياكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت عائشة قد اهدي لنا حيس فقال صلى الله عليه وسلم
كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات
منها انه كان يقتات بورق النبق مدة ومنها انه كان ياكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثة
دراهم في ثلث سنين فقيل له وكيف انت في وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت
اني اكل كثيرا بل لا اقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل
فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف
في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابن ادهم الى بعض اخوانه دراهم
فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله قال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال
واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له
الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث والذي
ياخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم وسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح

بقى منذ عشرين سنة وعن سرى السقطى انى منذ اربعين سنة اشتهى ان اغمس جزرة فى دبس فلم افعل فتراه متناقضا او
تحير اوتقطع بان احدهما مخطى والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه
الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط او غبى مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسى فليس نفسى
اطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين من الشهوات فنقتدى بهم والمغرور يقول وما
نفسى باعصى على من نفس معروف وابن ادهم فاقتدى بهم وارفع التقدير عن ماكولى فانا ايضا ضيف فى دار مولاى
فمالى وللاعتراض ثم انه لو قصر احد فى حقه وتوقيره او فى ماله وجاهه بتطريقة واحدة قامت عليه القيمة واشتغل
بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير فى الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا
لمن سطع فى مشكاة الولاية او النبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة فى استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا
بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا
لله تعالى فى اكله وافطاره وينبغى ان يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء فى كفه ويقول اشربها
فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عنى حسابها وتركها فهذه اسرار لا ينبغى ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر
على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغى ان يدعوه الى غاية الجوع حتى
يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقى اليه
كل ساعة انك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد فى
كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يأمره بما لا يفعله وينفره ذلك من رياضته والقوى اذا اشتغل
بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم
للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى ان لا يترك فى كل حال
ولذلك ادب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما ماذوما بسمن فعلاه بالدرة وقال
لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا
قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او قلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات **الآفة الاولى**
ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف انه يشتهيها فيخفى الشهوة ويأكل
فى الخلوة ما لا يأكله فى الجماعة وهذا هو الشرك الخفى سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل
تعلم به باسا فقال يأكل فى الخلوة ما لا يأكله فى الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلى بالشهوات
وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده
من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين
ولذلك شدد امر المنافقين فقيل ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر

وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحى الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون
بالشهوات بل بالمعاصى ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه
الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلب الخلق وقد كان بعضهم يشترى الشهوات ويعلقها فى بيته وهو فيها من الزاهدين
ولكن يبغى به تلبيس حاله ليصرف عن حاله قلوب الغافلين حتى لا يشوش عليه حاله فنهاية الزهد الزهد فى الزهد
باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها
كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهى طريق من يعطى
جهرا فياخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغى ان يفوته اظهار شهوته
ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغى ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك
لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان
فى معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدى به فى الفعل ولا
ينزجر باعتقاده انه تارك الشهوات

الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح
ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهى شهوة الاكل واطاع شهوة هى شر
منها وهى شهوة الجاه وتلك هى الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة
الطعام فليأكل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت لك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيا يسيرا ولا تعط
نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة ويكون نقصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال
جعفر الصادق عليه السلام اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسى فان اظهرت شهوتها لها اطعمتها منها وكان ذلك
افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منه شيا وهذا طريق فى
عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع فى شهوة الرياء كان كمن هرب من
عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام

القول فى شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين **الاولى** ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان
لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب
يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق
الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان
لم تضبط وتقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل فى تفسير قوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة
وعن ابن عباس فى قوله ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انه قال فى تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه
وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومنيى وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه
الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروى ان موسى عليه السلام كان جالسا فى بعض مجالسه اذ اقبل
ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوان فلما دنا منه خلع البرنس ووضعه ثم اتاه فقال السلام عليك يا نبى الله قال

موسى عليه السلام من انت قال هو ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك فقال جئتك لاسلم عليك لمنزلتك
من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه
الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه فاحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل
لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابه حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به
ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون صاحبه حتى احول
بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث
الله نبيا فيما خلا الا لم يايس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله
الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي
وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب
واعظم الشهوات شهوات النساء وهذه الشهوة لها ايضا افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل
حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيخرج عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام
الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهواتهم للاستكثار من الوقاع كما
يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم
عادية فينام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام
والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قيل فقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غريب الحديث انه قال شكوت الى جبرئيل عليه السلام ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة
فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن فكان طلبه القوة
لهذا المعنى لا للتنعم واللذة والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال والجهال الى العشق
وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع
وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منها حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة
اين اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر
العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سبعه
افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا
فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد وحتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج
فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من
يكسر العشق في اول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف
عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها
الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا
تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم

جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة
للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال النبي صلى الله عليه وسلم
معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزوج وفعله

اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزوج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره
الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمن
الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى امراة
تستانس بها فقال لا آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله وقال ايضا ما شغلك عن الله تعالى من
اهل ومال وولد فهو عليك شوم وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وكان استغراقه بحب الله
تعالى بحيث كان يخاف احتراقه فيه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك منه الى قالبه فيهدمه فلذلك
كان يضرب بيده على فخذ عائشة رضي الله عنها احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه
لقصور طاقة قالبه عنه وقد كان طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق
الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف
اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه وسلم
فشرط العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع
الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا بل قدر على حفظ الفرج
فالنكاح له اولى لتسكين الشهوة والا فمهما لم يحفظ فكره ويفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من
كبار الصغائر وهو يؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه
قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما كانت
فتنة داود عليه السلام من اجل النظرة وقال داود لابنه عليهما السلام امش خلف الاسود والاسد ولا تمش خلف
المراة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدو الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي
قوسي العتيقة وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من
سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال عليه السلام ما تركت بعدي
فتنة اضر على الرجال من النساء وقال عليه السلام اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل
كانت من النساء وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا
فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه
القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا
وميمونة جالستان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس باعمى لا يبصرنا فقال عليه السلام

وانما لا يبصر انه فعمياوان انتما وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادات في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من تأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة فاقول لست اعني تفرقة فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء واخرى يابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوطا وقال السلف سيكون في هذه الامة ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذن آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فوادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال عني ما كان بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاشد فرايت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه تزوج فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية وقال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقيل ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق الحسن ٥ تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى الاب وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء معي او قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما

قرب الزفاف اصابت المراة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه رمد ثم اظهر انه ذهب بصره حتى زفت المراة اليه وزال عن اهلها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق الحسن وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو له اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمن الهاشمي وكان يملك غلته في كل يوم ثمانين الف درهم فكتب الى كبراء البصرة وعلمائها في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمضي الايام والليالي حتى تتمها مائة الف درهم وانا اصير اليك مثلها ومثلها فاجيبيني الى ما سالت والسلام فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تركتك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله تعالى طرفة عين وهذا اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو اقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوة بثلثة امور بالجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم ينفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادته فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد الا اتاه من قبل النساء وقال ايضا وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء عندي اخوف من النساء وعن عبد الله بن وداعة السهمي قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال اهل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او ثلثة فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت افكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت وكنت وحدي وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا فقال سعيد ففكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته وبين المسجد فخرجت فاذا هو سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيتك قال لا انت احق ان تؤتى فقلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها الى الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء وقال بارك الله فيكما ولكما برحمته ٥ وانصرف فغلقت الباب ودخلت ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شانك فقلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد

جاء بها على غفلة فقالوا سعيد رحمك فقلت نعم وهو ذا هي في الدار معي فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت
وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام فاقمت ثلثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل النساء
ومن احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج فمكثت شهرا
لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد شهر اتيت سعيدا وهو في حلقة فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى
تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو
فقال ان رابك شيء فالعصا وانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت
سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك
يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في
الزفاف في تلك الليلة لعرفه غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفية نار الشهوة بالنكاح ٥

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوات اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى
منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة وليس
في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوايق فايدة
وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا
من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين
فلذلك قال عليه السلام من عشق وقدر وعف وكتم ومات فهو شهيد وقال عليه السلام سبعة يظلهم
الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال اني اخاف
الله رب العالمين وقصة يوسف في امتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه
بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمن بن يسار
كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه
قال سليمن فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت
وانت سليمن الذي لم تهم اوالذي هم بها اشارة الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا وعن سليمن ايضا
ما هو اعجب من هذا وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة
وانطلق الى السوق ليبتاع شيا من الطعام من السوق وجلس سليمن في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها على
ما ذكرنا واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فراعها حسنه وجماله فانحدرت اليه وعليها البرقع
والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه وسفرت عن وجهها كانها فلقة قمر فقالت هبني فظن انها تريد طعاما
فقام الى فضيل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك
الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في البكاء والنحيب فلم يزل كذلك يبكي فلما رات ذلك منه سدلت
البرقع على وجهها ورفع رحلها حتى رجعت الى خيمتها على راس الجبل فجاء رفيقه وراه قد انتفخت عيناه من البكاء

وانقطع

وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ
ثلث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمن
فانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان حتى انتهى
وقت فريضة فنهضا الى الصلوة فلما انتهى سليمن الى مكة طاف وسعى فاتى الحجر فاحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل طوال
له شعرة حسنة ورايحة طيبة فقال سليمن من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم
قلت ان في شانك وشان امراة العزيز لعجبا او لشانا عجيبا فقال له يوسف عليه السلام شانك وصاحبة
الابواء اعجب وروي ان عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر
ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم
من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم انه كان لي ابوان كبيران شيخان فكنت لا
اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نايمين
فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او ولدا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى بلغ الفجر والصبية يتضاغون
عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه
الصخرة فانفرجت شيا لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت من احب الناس الي
فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي
بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع
عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب التي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انك
تعلم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال
فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من الابل والبقر والغنم والرقيق من اجرك فقال
يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيا اللهم ان كنت فعلت
ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه
الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث
انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم يقصدها لا يواخذ بها
والمعاودة يواخذ بها قال عليه السلام لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع
بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على
النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع للمعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة
عن الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ
به وياثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اثم به فلا يخلو في كلا حالتيه عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ
العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الافات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي

غاية القوة ونهاية التوفيق ويروى عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها
الى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك ولكني اخاف الله
تعالى قال فانت تخافينه فانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء
بني اسرائيل فساله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله تعالى حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال
ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية
فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت انه ليس لك عمل وانا الذي دعوت
وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله عز وجل
بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم
المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه والقامة والسمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل
فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع
مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت
له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا
فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يتشرف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني
على ان لقيتك في هذا الوقت بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير
ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغوفة فالله الله عز وجل في امري وامرك فمضى الشاب الى
منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا فكتب كتابا وخرج من منزله فاذا المراة واقفة في موضعها فالقى
الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تعالى اذا عصي حلم فاذا عاد
العبد في المعصية ستره الله تعالى فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات
والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء
كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثوا الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح
غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع الممضة ذلك الله رب العالمين
فاقصد به عز وجل على صدق المسالة وارجعي اليه فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب
لدى الحناجر الاية فاين المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد
اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله تعالى وبكت بكاء
شديدا وقالت اسال الله تعالى الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي
بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك
قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول
ثم افاقت ومضت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل في العبادة حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد
ذلك ثم يبكي بكاء شديدا فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت

عليها

قطعها الى ذخيرة لي عند الله تعالى وانا استحيي من الله تعالى ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده عز وجل تم كتاب كسر الشهوتين

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين
الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه
به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته وارسله ثم امده عن
ستره بلسان يترجم عما حويه القلب وتعقله ويكشف عن ستره الذي ارسله فاطلق بالحمد مقوله وفتح
بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده الذي اكرمه ونجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وآي فصله ودين سبله صلى
الله عليه وعلى آله ومن قبله ما كبر عبد لله او هلله فان اللسان من نعم الله
العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر
والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم
خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل
ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في
سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير
الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب
وله في الشر مجر سحب فمن اطلق عذبة لسانه واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا
جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم ولا
ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته
في عاجله وآجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى
الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤونة في تحريكه فقد تساهل الخلق في الاحتراز
عن آفاته وغوائله والحذر عن مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق
الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكر كل واحدة منها بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق
الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا
يعنيه ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة
التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين
المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لانسان او لحيوان او جماد ثم
آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية

والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقايق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باموز الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف انها قديمة او حادثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفين عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال عليه السلام من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلثة بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال عليه السلم تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال عليه السلم الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد به البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال عليه السلام ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال عليه السلام قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي قال فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس قال عليه السلام لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوايقه وقال عليه السلام من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على الصديق رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الله اهذا شيء تقوله ام سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله عز وجل قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني فقال عليه السلم اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه

وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال عليه السلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سفين قالوا لعيسى عليه السلم دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب عن البراء قال جاء اعرابي الى النبي عليه السلام فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال عليه السلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال عليه السلام ان الله عز وجل عند لسان كل قايل فاتقى الله امرء علم ما يقول وقال عليه السلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال ابن مسعود قال عليه السلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال عليه السلم ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلم العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال عليه السلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كان النار اولى به

وأما الآثار

فقد روي عن الصديق رضي الله عنه انه كان يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام ويشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك على ساير عمله وقال الحسن تكلموا عند معاوية والاحنف بن قيس ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت قال ابو بكر بن عياش اجتمع اربع ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع عليه لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان ابن المعتمر لم يتكلم بعد عشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع ابن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وقيل انه كان اذا اصبح وضع قرطاسا نقيا وقلما وكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المسا فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطاء والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض

فى الباطل والتحريف فى الزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سيّاقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قل ما يقدر على ان يزم
اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض خطر وفى الصمت
سلامة فلذلك عظم فضل هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغة للفكر والعبادة والذكر والسلامة من
تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك
على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة
وقسم لا ضرر فيه ولا منفعة اما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفى
بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا
القسم الرابع وقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقائق الرياء
والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق
آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من
صمت نجا فلقد اوتى والله جوامع الكلم وجواهر الحكم ولا يعرف احد ما تحت كلماته من بحار المعانى الا خواص العلماء
وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز منها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن الآن نعد آفات اللسان
ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام فى الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهى
عشرون آفة

الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك

اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع
الآفات التى ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم
اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك
اذ تستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر والذكر وما كان ينفتح لك من نفحات
رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه او لو هللت الله تعالى وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر
فى الجنة ومن قدر على ان يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال
من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى
فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرا ونطقه الا ذكرا هكذا قاله النبى صلى الله عليه وسلم راس مال العبد
اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا فى الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه
صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه وفى حديث آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقيل
مريض فخرج يمشى حتى اتاه فلما دخل عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة
يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله عز وجل قال هى امى يا رسول الله قال عليه السلام وما
يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ٥

ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه فان كان كلامه مباحا فربما لا يتهيأ له الجنة مع المناقشة فى الحساب فانه
نوع من العذاب وعن محمد بن كعب القرظى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل
من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا
اخبرنا باوثق عملك فى نفسك ترجو به ثوابا فقال انى لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وتركى ما لا يعنينى
وقال ابو ذر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان قلت بلى يا رسول الله
فقال عليه السلام هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن
من الدهم الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه
رب متكلم فى امر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك
واذكر اخاك اذا تغيب عنك كما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى
بالاحسان مأخوذ بالاجرام وقيل للقمان ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنينى وقال
مورق العجلى امر انا فى طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنينى
وقال عمر رضى الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشى الله
ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك ان
تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر فى حال ولا مآل مثاله ان تجلس مع قوم فتحكى معهم اسفارك وما رأيت فيها
من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت به من مشايخ البلاد ووقائعهم
فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر واذا بالغت فى الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا
تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشئ مما خلقه الله تعالى فانت
مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التى ذكرناها ومن جملته ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال
مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشئ مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر
الاسولة فيها آفات فانك تسأل غيرك مثلا عن عبادته فتقول هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل
عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان
كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته
بالسؤال اما للرياء او الكذب او الاستحقار او للتعب فى حيلة الجواب وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك
سؤالك عن المعاصى وكل ما يخفيه ويستحيى منه وسؤالك عما يحدث به غيرك فتقول ماذا تقول وفيم انتم وكذلك
ترى انسانا فى الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وان لم يذكره بصدق
وقع فى الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لا تسمح نفسه بان يقول
لا ادرى فيجيب عن غير بصيرة ولست اعنى بالتكلم بما لا يعنى هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال
ما لا يعنى ما روى ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب فيما يرى فاراد ان يسأله عن ذلك
فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم

وقليل فاعله اى جعل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم
ذلك فلم يسأله فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في ريا وكذب فهو مما لا يعنى
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة
بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت
بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكته يقدر على ان يقتنص بها الحور
العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة وان يضع
حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان
في هذا على غير المعتزل شديد جدا

الآفة الثانية فضول الكلام

وهو ايضا مذموم
وهذا ايضا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما لا يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره
بكلام مختصر ويمكنه ان يقرره ويجسمه ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول
اى فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن رباح ان من كان قبلكم
كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى او سنة رسوله او امر بمعروف
او نهى عن منكر او تنطق لحاجة في معيشتك التي لا بد لك منها ويقولون اتنكرون ان عليكم لحافظين كراما
كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحى احدكم لو نشرت صحيفته
التي املا صدر نهاره وكان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام
لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله
في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام
لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله قال الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف
قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا
علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال صلى الله عليه وسلم قولوا بقولكم
ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة
المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام
ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك
صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر او اقل وروى ان سليمن بن داود عليهما السلام
بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق فرفع راسه الى السماء
ثم نظر الى الناس فهز راسه فساله سليمن عليه السلام عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما اسرع
ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم

والا امسك والفاجر انما يرسل لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر سقطه وكذبه ومن كثر ماله كثرت
ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال عليه السلم
كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني فقال عليه السلم اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية
انه قال عليه السلم ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال عليه السلم ما اوتي رجل شرا من فضل لسانه
وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه
الحديث فليسكت فان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون
الكلام اليه احب من الاستماع وان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان
وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها
وقال ابرهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث

الآفة الثالثة الخوض في الباطل

وهو الكلام في
عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني
المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة
واحوالهم المكروهة فان ذلك كله مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو
ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا بد له من غلبة الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون
للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها
وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما
تهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة
من سخطه عز وجل ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله تعالى عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال وكان علقمة
يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال عليه السلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه
يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا
ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال عليه
السلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين
وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم
القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا فان
بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل
هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه
ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى في قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن
في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في الباطل

الآفة الرابعة المراء والجدال

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال

عليه السلام ذروا المراء فانه لا يفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا
في اعالي الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال عليه
السلام ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال عليه السلام لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا
وقال عليه السلام ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة
في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا
تجادل الناس بالقران فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضة
للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته
وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدل من الدين بشيء وقال ايضا
المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد
اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال سفين لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة
وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية
تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك
اثما ان لا تزال مماريا وقال عليه السلام تكفير كل لحظة من المراء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم
لثلث ولا تترك العلم لثلث لا تتعلم لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه
ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن
كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا يفارقك اخ لك اذا صحبك عن
قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال كثير وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار
خلل فيه قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض وكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم
يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة
اللغة والعربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون
بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه لكذا
وكذا واما في قصده مثل ان تقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري
مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال
في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة
فهي عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك
ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر له خطاه ليتبين به فضل نفسه
ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا ياثم به لو سكت واما الباعث على هذا فهو الترفع
باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل فهو من

تزكية النفس فهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما التنقيص
للاخر فهي من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان
مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهو مجاوز حد الكراهة
بل هو معصية مهما حصل منه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على
ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتماريين كما يثور
التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه واخجاله واما
علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي في ذلك
في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه
تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي ان ابا حنيفة قال لداود الطائي رحمهما
الله لم آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت
ذلك فما رايت مجاهدة علي اشد منه وهو كما قال لان من يسمع من غيره خطاه وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر
عنه جدا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعالي الجنة لشدة
ذلك على النفس فاكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقايد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد
عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطاء محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا
راى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس فان
ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فيستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد
فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه
عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود
المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا تقوت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع
عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات
يشق مجاهدتها فكيف مجموعها

الآفة الخامسة الخصومة

وهي ايضا مذمومة وهو وراء المراء
والجدال والمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة
والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال
او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت
عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم
والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن
ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني
والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال

فقمت لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك ابدا قال عرفت انه حقي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب شيئا مولك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل فالذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسليط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليهما في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب فاذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم عن الاثم فلا يذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل او تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقال تعالى وقولوا للناس حسنا وقد قال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى قال واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل له يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله عز وجل يعوضك منه ثواب المحسنين وقال ايضا الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر

الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع

فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال عليه السلام ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام وقالت فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه السلام الا هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه سعد يساله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال عليه السلام اسجع كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض فما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم مكروه في الشرع ويزجر عنه والله الهادي الى الصراط المستقيم

الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان

وهو مذموم منهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان نسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال عليه السلام ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال عليه السلام الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال عليه السلام اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال عليه السلام البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا ان يكون المراد بالبيان المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك

مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة فى بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب
الى القبول ولم يضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبيان يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيى الانسان من بيانه فان الاولى
فى مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال عليه السلام ان الله تعالى لا يحب الفاحش المتفحش الصياح
فى الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى امامى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء فان احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا وقال
ابرهيم بن ميسرة يجاء بالفاحش المتفحش يوم القيمة فى صورة كلب او فى جوف كلب قال الاحنف بن قيس الا اخبركم
بادوا الداء اللسان البذى والخلق الدنى فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور
المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجرى اكثر ذلك فى الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة
فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها
ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله تعالى حيى كريم يعف ويكنى كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة
كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وعنها عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها فى الشتم والتعيير وهذه
العبارات متفاوتة فى الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها
محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من
لفظ التغوط والخراة وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغى ان يذكر الفاظه الصريحة فانه
فحش ولذلك يستحسن فى العبارة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل فى الحجرة كذا او قيل
من وراء الستر او قالت ام الاولاد وقيل فى الدار فالتلطف فى هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضى الى الفحش
وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغى ان يعبر عنه بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذى
يشكوه وما يجرى مجراه فالتصريح بذلك داخل فى الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هارون
كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه فخرج له خراج فى ابطه فقلنا نسأله ماذا يقول قلنا من اين خرج فقال من
باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة اهل الفساد والخبث واللؤم
ومن عادتهم السب وقال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك
بشىء يعلمه فيك فلا تعيره بشىء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده
وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على باس ان انتصر منه فقال عليه السلم
المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال عليه السلم المستبان ما قالا فعلى البادى حتى يعتدى المظلوم
وقال عليه السلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال عليه السلم ملعون من سب والديه وفى رواية
من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال عليه السلم يسب الرجل فيسب
الآخر اباه

الآفة الثامنة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان

وذلك مذموم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال عليه السلم لا تلاعنوا بلعنة الله عز وجل ولا بغضبه سبحانه
وتعالى ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن الحصين بينما رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه السلم
خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة وكانى انظر الى تلك الناقة تمشى فى الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء
رضى الله عنه ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله تعالى وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمع صلى
الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة
مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال عليه
السلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم على بعير فلعن البعير فقال عليه السلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وكان ذلك انكارا واللعن
عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم
بان يقول لعنة الله على الظالمين والكافرين وينبغى ان يتبع فيه لفظ الشرع لان فى اللعنة خطرا لانه حكم على
الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه الا الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله والصفات
المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق وللعن فى كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم
كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانى اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة
الله على اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والقدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة واكلة
الربوا وكل ذلك جائز ولكن فى اصناف المبتدعة خطر لان معرفة المبتدعة غامضة فيما لا يرد فيه لفظ ماثور فينبغى
ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالث اللعن على
شخص بعينه وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع فيه تفصيل لان كل شخص ثبت
لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك ابو جهل لعنه الله وفرعون لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر
وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه فى زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى فهذا فيه نظر لانه ربما
يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن الكافر لكونه كافرا فى الحال كما يقول
للمسلم رحمه الله لكونه مسلما فى الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اى ثبته الله
تعالى على الاسلام والطاعة الذى هو سبب الرحمة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان
هذا سؤال للكفر وهو فى نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على
الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس فى ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا
فى الكافر فهو فى زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول فى دعائه على قريش كان قد
عين باللعن قوما فقال اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى
ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه اذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل
قوله تعالى ليس لك من الامر شىء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعنى انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم
ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم وان كان فيه اذى على مسلم

لم يجز كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال ابو بكر رضى الله عنه
هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وسعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد فقال يا رسول الله هذا
قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابى قحافة فقال ابو بكر يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام
فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابى بكر فامسك وانصرف ثم اقبل على ابى بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم
الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك فهذا يدل
على ان لعنة فاسق بعينه غير جايز وعلى الجملة ففى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر فى السكوت عن لعنة
ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين او امر به قلنا فهذا لم يثبت اصلا ولا
يجوز ان يقال انه قتله او امر به فانه لم يثبت فضلا عن اللعنة ولانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق
بل يجوز ان يقال انه قتل ابن ملجم عليا كرم الله وجهه وقتل ابو لولوة عمر رضى الله عنه فان ذلك ثبت متواترا
فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق
الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال عليه السلام ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان كان
كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر
ببدعة او غيرها كان مخطيا لا كافرا وقال معاذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما
او تعصى اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عايشة رضى الله عنها فقالت ما فعل
فلان لعنه الله قلت توفى قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتوذوا به الاحيا وقال
عليه السلام ايها الناس احفظونى فى اصحابى واخوانى واصهارى فلا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت
فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين رضى الله عن الحسين لعنه الله او الآمر بقتله
قلت الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فوحشى
قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر فتاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن
والقتل كبيرة ولا ينتهى الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس فى السكوت خطر فهو اولى
وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمومن ليس بلعان فلا ينبغى ان يطلق اللسان
باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس الموصوفين المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال
بذكر الله تعالى اولى فان لم يكن ففى السكوت سلامة وقال مكى بن ابرهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابى بردة
فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما ذكرناه لما ارتكب منك فقال ابن عون
انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا ولان يخرج من صحيفتى لا اله
الا الله احب الى من ان يخرج لعنة الله وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنى فقال اوصيك

ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المومن يعدل قتله
وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابى قتادة قال كان يقال من لعن مومنا
فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعا
على الانسان بالشر حتى اذا دعا على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه او لا سلمه الله وما يجرى مجراه
وكل ذلك مذموم وفى الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيمة
وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده

واما الشعر فكلام وحسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان يمتلى جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلى شعرا وعن مسروق انه سيل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل
له فى ذلك فقال انا اكره ان يوجد فى صحيفتى شعر وسيل بعضهم عن شى من الشعر فقال اجعل مكان هذا
ذكرا فان ذكر الله تعالى خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره قال
صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعراء المدح والذم والتشبيه وقد يدخلهم الكذب وقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع فى المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق فى التحريم
بالكذب كما قيل
ولو لم يكن فى كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سايله
فان هذا عبارة عن الوصف
بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغة فى صنعة الشعراء ولا يقصد منه ان
يعتقد صورته وقد انشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار منها لو تتبعت لوجد فيها مثل
ذلك ولم يمنع منه قالت عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت
اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت
فبهت انظر اليه قالت فنظر الى فقال صلى الله عليه وسلم ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك
فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلى لعلم انك احق بشعره قال وما يقول
يا عايشة ابو كبير الهذلى فقلت
ومبرا من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل
قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فى يده وقام الى فقبل ما بين عينى وقال جزاك الله يا
عايشة خيرا ما سررت منى كسرورى منك ولما قسم النبى صلى الله عليه وسلم الغنايم امر للعباس بن مرداس
باربع قلايص فانبعث يشكوا فى شعر له فى آخره
وما كان بدر ولا حابس ... يسودان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار ماية من الابل ثم رجع وهو من ارضى
الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابى انت وامى انى
لاجد الشعر يدب على لسانى مثل دبيب النمل ثم يقرصنى كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله

الآفة العاشرة المزاح

صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين
واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك
ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه
انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة
فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة فاما الافراط فيه فانه
يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار
فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله
يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان
وقد قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه
من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر
سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن
الآخرة قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل يا اخي هل اتاك انك
وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رؤي ضاحكا حتى مات
وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطا السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر
وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر
لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار
وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا
يبكي الست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب فهذه آفة الضحك
والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك ضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص
له صعب فسلم فجعل كلما دنى الى النبي عليه السلام ليساله نفر به وجعل اصحاب النبي عليه السلام يضحكون منه
ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك فقال عليه السلام
نعم وافواهكم ملاى من دمه واما اداء المزاح الى اسقاط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به
وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح مع الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح
الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاحة
فانها تورث الضغينة وتجر القبيحة تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال
وقال عمر رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقال لكل شيء بذر وبذر العداوة
المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله وهو ان تمزح ولا تقول الا

حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه فتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ
الانسان المزاح حرفته ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع
الزنوج ابدا لينظر رقصهم ويتمسك بان رسول الله اذن لعائشة رضي الله عنها في النظر اليهم وهم يرقصون في يوم
عيد وهذا خطاء اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار عليه ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان
يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم لا اقول الا حقا قال
عطا سال ابن عباس رجل فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم فقال الرجل فما كان مزاحه قال
ابن عباس انه كان كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا وقال البسيه واحمدي الله واجلي وجري منه ذيلا
كذيل العروس روى انس انه صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس وروي انه كان عليه السلام كثير التبسم وعن
الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله عليه السلام لا تدخل عجوز الجنة فبكت
فقال عليه السلام انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك
فقال عليه السلام ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت
لا والله فقال عليه السلام ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المعهود المحيط بالحدقة وجاءته امراة اخرى
فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه السلام نحملك على ابن البعير فقالت يا رسول الله ما اصنع به لا
يطيقني ولا يحملني فقال وهل من بعير الا وهو ابن البعير وكان يمزح بذلك وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال
له ابو عمير وكان عليه السلام يقول يا ابا عمير ما فعل النغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة خرجت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بدر فقال تعالى حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا
فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي
بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني وقالت عائشة سابقني النبي عليه السلام
فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصنعت حريرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلين او لالطخن وجهك فقالت
ما انا بذائقة فاخذت من الصحفة شيئا فلطخت وجهها به ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض
لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي ورسول الله عليه السلام يضحك
وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له
يا رسول الله ان عندي امراتين احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع
قبل ان يضرب الحجاب فقالت ابي احسن ام انت فقال لا بل انا احسن منها واكرم فضحك عليه السلام من مسئلة
عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسين
ابن علي [illegible] فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلا قد خرج
وجهه وما قبلته قط فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم واكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان

وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل   وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وقد رآه يأكل تمرًا اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه   وروى ان خوات بن جبير كان جالسًا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرًا لجمل لى شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعدما قدمت حتى طلع على وانا اصلى فى المسجد فجلس الى فطولت فقال عليه السلام لا تطول فانى انتظرك فلما فرغت قال لى يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت فاستحييت فقام فكنت اتفرر منه حتى لحقنى وهو على حمل وقد جعل رجليه من شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله تعالى   وكان نعيمان الانصارى رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب يوما لعنك الله فقال عليه السلام لا تفعل انه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة عسل ولا طرفة الا اشترى ثم جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالب نعيمان بثمنه جاء به الى النبى عليه السلام وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام او لم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه والله لم يكن عندى ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك عليه الصلوة والسلام ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم الآية ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء اذا كان بحضرة المستهزاء به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة   قالت عائشة رضى الله عنها حكيت انسانا فقال صلى الله عليه وسلم ما احب انى حاكيت انسانا ولى كذا وكذا   وقال ابن عباس فى قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمسلمين والكبيرة القهقهة بذلك وهذه اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب   وعن عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ثم وعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك احدكم مما يفعل مثله   وقال عليه السلام ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجىء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجىء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما زال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما يأتيه   وقال معاذ بن جبل قال النبى عليه السلام من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارًا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرًا منهم اى لا تستحقره استصغارًا فلعله خير منه وهذا انما يحرم فى حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه

مسخرة فربما فرح بان يسخر منه صناعة ولعبا كانت السخرية به من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح فانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزاء به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجرى بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته وعلى صورته وخلقته اذا كان قصيرًا او ناقصًا بعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل فى السخرية المنهى عنها

الآفة الثانية عشرة افشاء السر

وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى امانة   وقال عليه السلام مطلقا الحديث بينكم امانة   وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك   ويروى ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابة ان امير المؤمنين اسر الى حديثا وما اراه يطوى عنك حديثا بسطه الى غيرك قال فلا يا بنى لا تحدثنى به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت له يا ابة فان هذا ليدخل بين الرجل وابنه فقال لا والله يا بنى ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر فاتيت معوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخى من رق الخطاء فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم اذا لم يكن فيه اضرار فقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر فى كتاب آداب الصحبة فلا نعيده

الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب

فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال عليه السلام العدة عطية   وقال عليه السلام الواى مثل الدين او افضل والواى الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل بوفائه بالعهد حيث قال تعالى انه كان صادق الوعد فيقال انه واعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين يوما فى انتظاره   ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا انى قد زوجته ابنتى فلانة   وعن عبد الله بن ابى الحمساء قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيته يومى والغد فاتيته فى اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا هاهنا اتردد منذ ثلث انتظرك   وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء قال ينتظر ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التى تجىء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله عز وجل وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفى به فهذا هو النفاق   وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان   وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كان فيه خصلة واحدة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء ثم عن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغى ان يجعل نفسه معذورًا من غير ضرورة حاجزة فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتى بثلثة من السبى

فاعطا اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة عليها السلام تطلبه منه وهي تقول الا ترى اثر الرحا يا رسول الله في يدي فذكر
موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة عليها السلام لما سبق من موعده له مع
انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة   ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم الغنايم التي لهوازن
بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال عليه السلام صدقت فاحتكم ما شئت
قال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال عليه السلام هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبه موسى عليه السلم
التي دلته على عظام يوسف عليه السلم كان احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلم فقال حكمي ان ترد
شابة فادخل الجنة معك قال وكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون افتح من صاحب الثمانين
والراعي وقد قال ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ اخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي
فلم يجد فلا اثم عليه

الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين

وهو في قبايح الذنوب وفواحش العيوب   وقال اسمعيل بن اوسط سمعت الصديق رضي الله عنه يخطب بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى
وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار   وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب
باب من ابواب النفاق   وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل
والمخرج فان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب   وقال عليه السلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو
لك مصدق وانت له فيه كاذب   وقال ابن مسعود قال عليه السلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى
يكتب عند الله كذابا   ومر صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك
من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال عليه السلم اوجب احدهما
بالاثم والكفارة   وقال عليه السلم الكذب ينقص الرزق   وقال عليه السلم التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس
الله تعالى قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون   وقال عليه السلم ثلثة نفر لا يكلمهم
الله تعالى يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره   وقال
عليه السلم ما حلف حالف بالله تعالى فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة ۵
وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فية فنصب نحره حتى يقتل او يفتح
الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يوذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع
قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة
يشناهم الله تعالى التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان   وقال عليه السلم ويل للذي يحدث
فيكذب ليضحك الناس او القوم ويل له ويل له   وقال النبي عليه السلم رايت رجلا جاني فقال لي قم فقمت معه
فاذا انا برجلين احدهما قايم والاخر جالس بيد القايم كلوب من حديد يلقمه شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم
يجذبه فيلقمه الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب
في قبره الى يوم القيمة   وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المومن

فقال

فقال قد يكون من ذلك فقال يا نبي الله هل يكذب المومن فقال عليه السلم لا ثم اتبعها قوله تعالى انما يفتري الكذب
الذين لا يومنون بايات الله   وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر
قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب   وقال عليه السلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا
يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زاني وملك كذاب وعايل مستكبر   وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي فذهبت لاخرج لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال عليه
السلم وما اردت ان تعطينه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة   وقال عليه السلم لو افا
الله تعالى علي نعما عدد هذه الحصا لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا   وقال عليه السلم
وكان متكيا الا انبيكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال الا وقول الزور   وقال ابن
عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به
وقال انس قال عليه السلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قولوا وما هي قال عليه السلم اذا حدث احدكم فلا
يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ايتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم   وقال عليه
السلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم   وخطب
عمر رضي الله عنه بالجابية فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم هذا فقال احسنوا الى اصحابي
ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يحلف ويشهد ولم يستشهد   وقال عليه السلم
من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين   وقال من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو احد ۵
الكذابين   وقال عليه السلام من حلف على يمين بآثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله تعالى يوم القيمة
وهو عليه غضبان   وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها فقال عليه السلم على كل خصلة
يطبع او يطوي عليها المومن الا الجناية والكذب   وقالت عايشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد عند اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه
على الكذب فما ينحل من حلده حتى يعلم انه قد احدث لله تعالى منها توبة   وقال موسى عليه السلم يا رب اي عبادك
خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه   وقال لقمان لابنه يا بني اياك والكذب فانه
شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه   وقال عليه السلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك
ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة   وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول
ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة   وقال معاذ قال عليه السلام اني اوصيك بتقوى الله
وصدق الحديث واداء الامانة ووفاء بالعهد وبذل الطعام وخفض الجناح
قال علي كرم الله وجهه اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة   وقال
عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري   وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم
اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة

وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ايضا الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما الآخر وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت مذ علمت ان الكذب يشين صاحبه ۵

بيان ما رخص فيه من الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان تحصيل المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجب فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن الثناء عليك ولقيت الآخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين الرجلين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بعني بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال عليه السلام لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه يخلع النساء اللاتي يتزوج فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال

انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فاسال ابن الارقم فساله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجاءت وعمتها فقال انت التي تحدثين زوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع الى امر الله تعالى انه ناشدني الله فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي كرم الله وجهه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض او مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان ويساله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت وما شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وذلك بان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وبين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة منهن انها احب اليه وان كانت امراته لا تطيعه الا بوعد مما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او تعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب مباح بضرورة او حاجة مهمة فان شك في كونها مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شيء المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال عليه السلام من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له واعطي ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث الذي ليس يثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم قد روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه

لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغنى عنه فانما يتعلل ظاهرًا بالاصلاح فلهذا يكتب ذلك من اني بكذبه فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبًا بحيث لا يجوز تركه كما يؤدي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضايل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطاء محض اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يترك الا بضرورة ولا ضرورة فيها اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد في الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القايل ان ذلك تكرر على الاسماع فسقط وقعها وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذورات الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي عن ابن عباس وغيره مثله وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعًا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله به وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده الابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت امرأته ما جئت به مما ياتي به العمال من عراضة اهليهم ولم يكن جاء به فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد الله سبحانه وتعالى وحفظه عليه وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه يقول للجارية قولي اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس هاهنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دايرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هو هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا يفهم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساك امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال يا بني اتق الله واياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرًا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فايدة فيه نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير وما اشبهه واما الكذب كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرير اذ قال انه نعيمان وكما يعتاده الناس من مداعبة الحمقى بتغريرهم بان امرأة قد رغبت في تزويجك فان فيه ضرر

ويؤدي ذلك الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة كقوله قلت لك كذا ماية مرة وطلبتك ماية مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلب مرارا لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم تبلغ ماية وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عايشة حين هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة فوجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشربه ثم ناوله عايشة فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه وقال عليه السلام لا تجمعن جوعا وكذبا فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال عليه السلام ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر قال خوات التيمي جاءت اخت الربيع بن خثيم عايدة الى بني لي فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه وقال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينه في المنام ما لم تر او يقول علي ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد شعيرة

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضًا الآية وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله تعالى بينه وبين الدم والمال قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضًا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال

عليه السلام لا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى اخاك بيشر حسن واذا ادبر
فلا تغتابه   وقال البرا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن
بلسانه ولم يومن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله
عورته يفضحه في جوف بيته   واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تايبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة
ومن مات وهو مصر عليها فهو اول من يدخل النار   وقال انس امر رسول الله عليه السلام الناس بصوم يوم وقال
لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا فجعل الرجل يجي فيقول يا رسول الله ظللت صايما فاذن لي
لافطر فاذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صايمتين وانهما يستحيان
ان ياتياك فاذن لهما ان يفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال صلى الله عليه وسلم انهما لم يصوما
وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صايمتين ان يستقيا فرجع اليهما فاخبرهما
فاستقاتا فقات كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده
لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار   وفي رواية انه لما اعرض عنه جاء بعد ذلك فقال يا رسول الله انهما والله قد
ماتتا او كادتا ان تموتا فقال عليه السلام ايتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او بقدح فقال عليه السلام لاحديهما قيئي فقاءت
من قيح ودم وصديد حتى ملات القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال عليه السلام ان هاتين صامتا عما
احل الله وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس   وقال انس خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شانه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله تعالى في
الخطيئة من ستة وثلثين زنية يزنيها الرجل واربى الربوا عرض الرجل المسلم   وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال اما انهما ليعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يمشي بالنميمة
او قال يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يتنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرزت
على قبرهما   وقال عليه السلام اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا   ولما رجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا فقال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم في
طريقه بجيفة وهما معه فقال عليه السلام لهما انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال عليه السلام ما اصبتما
من اخيكما انتن من هذه   وكان اصحابه رضي الله عنه يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل
الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين   وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فقيل
له كله ميتا كما اكلته حيا فياكل ويضج ويكلح   وروي ايضا مرفوعا كذلك   وروي ان رجلين كانا قاعدين عند
باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شي فاقيمت الصلوة فدخلنا فصليا
مع الناس فجال في انفسهما مما قالا فاتيا عطا فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وان كانا صايمين امرهما
ان يقضيا صيام ذلك اليوم   قال مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي
ياكل لحوم الناس   وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة
وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المومن من الاكلة في الجسد   وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون ٥

العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس   وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك
فاذكر عيوب نفسك   وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى من عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه   وكان
الحسن يقول يا ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا بصلاح ذلك العيب
فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا   وقال
مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى
عليه السلام ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شي من خلق الله الا احسنه
وسمع زين العابدين رضوان الله عليه رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار   وقال عمر
رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء

بيان معنى الغيبة وحدودها

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله
او في قوله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فذكر العمش والحول والقرع والقصر والطول
والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه   واما النسب فانه يقول ابوه نبطي او هندي
او فاسق او خسيس او زبال او اسكاف او شي مما يكرهه كيف كان   فاما الخلق فان يقول انه سي الخلق بخيل
متكبر مراي شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وكل ما يجري مجراه   واما في افعاله المتعلقة بالدين
كقوله سارق وكذاب وشارب وخاين وظالم ومتهاون بالصلوة وبالزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن
النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه عن الرفث والغيبة
والتعرض لاعراض المسلمين   واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب يتهاون بالناس ولا يرى لاحد
حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نووم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه
واما في ثوبه انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كبير العمامة   واما الدين فقد قال قوم لا غيبة فيه لانه ذم
ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلوتها
لكنها توذي جيرانها فقال عليه السلام انها في النار   وذكر امراة اخرى بانها بخيلة فقال عليه السلام فما خيرها اذن وهذا
فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسوال ولم يكن للتنقص فلا يحتاج اليه في غير مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة فعلى هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك وآكل لحم اخيك بدليل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره
قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته   وقال معاذ
ابن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال عليه السلام اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول
الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه   وعن حذيفة عن عايشة رضي الله عنهما انها ذكرت امراة فقالت
انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها   وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك ٥
والكل في كتاب الله تعالى الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك   وذكر لابن سيرين

ابرهيم فقال النخعي ولم يقل الاعور وقالت عايشة لا يغتابن منكم احد احدا فاني قلت لامراة وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال عليه السلم الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته ٥

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتب والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عايشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال عليه السلم اغتبتها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها حكت واومات قال عليه السلم ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شي من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان قال ما بال قوم يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة يفهم بها عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون انهم بجهلهم جمعوا بين فاحشتين الريا والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحيا نسال الله تعالى ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب غيره فيذكر بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما نبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه وجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايدة اعمالهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر اسم الله ويستعمل اسمه الة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا وكذا يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسال الله تعالى ان يروح سره ٥ ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعا له لاخفاه له في خلوة او عقيب صلوة ولو كان يغتم لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعا والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله تعالى من بلايه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قال احدهما للاخر فلان لنووم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلا مع الخبز فقال عليه السلم قد ايتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما ٥ والقايل كان احدهما والاخر مستمع وقال عليه السلم للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الميتة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج عن اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فلم يفعل لزمه وان كان يقول بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي بان يشير باليد اي اسكت او بحاجبه او راسه وجبينه وغير ذلك فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مومن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله تعالى يوم القيمة على رؤس الخلايق وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال عليه السلم من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادته

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية يطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة فاما الثمانية **فالاول** تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دايما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر وقطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضبون فيغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر المساوي والعيوب فيهلك معهم **الثالث** ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه لتسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ليس من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله وكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شي فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة

وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل
نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك [illegible] الحسد وهو انه ربما
يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد
ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفون عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع كلام الناس بالثناء
عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد
قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق [illegible] اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك
فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك
قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار المستهزا به [illegible] الاسباب الثلثة
التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان
الشوبة [illegible] ان ينبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكرات والخطأ في الدين فيقول ما اعجب
ما رايت من فلان لانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل عليه
الشيطان ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف
يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به
فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير
به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذلك تعجبه ولكنه ساقه الى شر من حيث لا يدري فالرحمة والغم ممكن دون
ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه [illegible] الغضب لله تعالى فانه
قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه
بالامر بالمعروف ولا يظهر على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا
عن العوام فانهم يظنون ان الرحمة والتعجب والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطاء بل
المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان رجلا
مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلم فلما جاوزهم قال رجل منهم اني
لابغض هذا لله فقال له اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فادركه فاخبره
بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسال ان يدعوه فدعاه
وساله فقال قد قلت ذلك فقال عليه السلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته صلى صلوة
قط الا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها والركوع والسجود
فساله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله
يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيا فساله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سايلا
ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله
هل رآني نقصت منها او ماكست طالبها الذي يسالها فساله فقال لا فقال عليه السلم للرجل قم فلعله خير [illegible]

[illegible] العلاج الذي يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما يعالج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها
وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه
لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانه ينقل يوم القيمة حسناته
الى من اغتابه بدلا عما استباح من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض
لمقت الله ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة
ممن اغتابه فيحصل به الرجحان ويدخل به النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة
والمطالبة والسوال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من
الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك
في حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر
في عيوب نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله عليه السلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في
التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره فان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق
فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه
واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة
من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه
ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له واذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا
يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان
علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب آفات الغضب
وهو ان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنه فاستجرات على نهيه
واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى
وقال عليه السلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي
الحور شاء وفي بعض كتب الله تعالى المنزلة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن
امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين فكيف ترضى
لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب
ان يذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله تعالى ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك
بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغني عن ذكر الغير فعلاجه
بان تعرف بان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا
ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة او تخسر حسناتك

بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقدًا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك
كقولك انى ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء
بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله جلت قدرته لا يقتدى به كائنًا من كان ولو دخل غيرك النار وانت
تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت
منه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعز تردى نفسها من الجبل
فتردى هى ايضا نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس منى وقد اهلكت نفسها فانا ايضا
كذلك لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة
وتزكية النفس وزيادة الفضل بان تقدح فى غيرك فينبغى ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت
من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فيكون قد بعت ما عند الخالق
يقينا بما عند المخلوق وهمًا ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما
الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبًا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت
اليه عذابًا فى الآخرة فكنت خاسرًا فى الدنيا فجعلت نفسك خاسرًا فى الآخرة ايضا لتجمع بين النكالين فقد قصدت
محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا يضره غيبتك وتضرك
وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او ينقل اليك سيئاته ولا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة
وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل شعر

وَاذا اراد الله نشر فضيلة ۞ طويت اتاح لها لسان حسود

واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملئكة والنبيين
فلو تفكرت فى حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزات به وتساق الى النار
لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر
قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك يوم القيمة على ملاء من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار
مستهزيا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه
فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك فما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبر الاثم
المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك ۞
وكذلك الغضب فيه لا يوجب الغيبة فانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط عملك اجر غضبك وتصير متعرضا
لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين
غيرك ودنياه فانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن
علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الامور التى هى من ابواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف
عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك ان تحدث

نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعنى به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو
عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهى عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال
الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس
لك ان تعتقد فى غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما
علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمع باذنك ثم وقع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغى
ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله وان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية فلا يجوز تصديق ابليس وان
كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان يصدق به حتى ان من استنكه فوجد فى فيه رايحة الخمر
لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فهذا كله دلالة محتملة
فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم به فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من
المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين
مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغى ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله
عندك مستور كما كان وان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا تعرف عقد الظن والشكوك
تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر
عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه
وسلم ثلث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اى لا يحقق فى نفسه بعقد ولا فعل لا
بالقلب ولا فى الجوارح اما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفى الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد
يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقى اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك فان
المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى
تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن
فلا ينبغى ان تحسن الظن بواحد وتسيئه بالآخر نعم ينبغى ان تبحث هل بينهما عداوة او محاسدة وتعنت فيتطرق التهمة
بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العبد فلك عند ذلك ان تتوقف فان كان
عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان فى ستر الله تعالى عندى وكان امره محجوبا وقد بقى كما كان
لم ينكشف لى من امره شىء وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن من عادته التعرض للناس
وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته
الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء
على مسلم فينبغى ان تزيد فى مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ ابليس ويدفعه عنك فلا يلقى اليك الخاطر
السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه فى السر ولا يخدعنك الشيطان
فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم

وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ ولكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك
اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك
كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب
لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس
منهي عنه ومحرم في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع عليهم والتجسس
عن احوالهم وهتك الستر حتى ينكشف لك ما كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ودينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته

اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور
الاول الظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي
فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم حسب اذ لا يمكن استيفاء حقه الا به فقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب
الحق مقال وقال عليه السلام مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته الاستعانة
على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمن وقيل على طلحة رضي الله عنهما فسلم عليه
فلم يرد عليه فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجاء ابو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل
لعمر ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح
غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الاستفتاء كما يقول
للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته
او اخوه ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفين رجل شحيح لا يعطيني
ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه فقال عليه السلام خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها
ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتا تحذير المسلم من الشر فاذا
رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان
الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وكذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس
الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرف المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب
آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرورة وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي
اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح
للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب فيه كفاية فان علم انه
لا يترك التزويج الا بالتصريح بعينه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوون عن ذكر الفاسق حتى
تعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجاير والمبتدع والمجاهر بفسقه
ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعمش والاعرج فلا اثم على من يقول روى

ابو زناد

ابو زناد عن الاعرج وسليمن عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء مثل ذلك للضرورة لاجل التعريف ولانه
صار ذلك لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى
فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث
وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر
به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه
فلا غيبة له قال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من
مراعاة حرمته قال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال
لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجاير وهولاء
الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به وكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير
ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله تعالى حكم عدل ينتقم
للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من
اعظم ذنب اصابه الحجاج

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله
فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع
وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال واحتج
في ذلك بما روى انس قال قال صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك
لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطا بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة قال تمشي الى صاحبك وتقول
كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول
القايل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت
المطالبة به بل في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها
منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه
فزيدت على سيآته وقالت عايشة رضي الله عنها لامراة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها
فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غايبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعا ويكثر من الحسنات
فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل
المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره
وتردده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن
المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت
لاحلل ما حرمه الله تعالى ابدا فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه
الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل

قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل الغير بالغيبة فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة يوم القيمة ولا اخاصم والا فلا تصير الغيبة حلالا ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل لو صرح الفقها بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حق القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفى في الدنيا وقد قال تعالى خذ العفو الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله تعالى يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي ان رجلا قال للحسن ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام

[الآفة الخامسة] عشر النميمة

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم الى قوله عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار الى ان كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا على قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة اللمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا قيل كانت امراة لوط عليه السلم تخبر بالضيفان وامراة نوح عليه السلم كانت تخبر انه مجنون وقال عليه السلام لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله تعالى احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال عليه السلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله تعالى ان يشينه بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوا مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وروي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل اسمه وعزتي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا المصر على الزنا ولا القتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لا يفي به وروي كعب قال اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلم مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبع مائة فرسخ لاجل سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جيتك للذي اتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب في ردها

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وليس النميمة مخصوصة به بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتبة او بالرمز او بالايماء سواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا او نقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كلما يراه الانسان من احوال الناس ينبغي ان يسكت الا في حكايته فايدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا فاحشا او عيبا في المحكي عنه فهو كانه قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا وفعل في حقك كذا وكذا او هو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور

الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنباء فتبينوا الآية

الثاني ان ينهاه وينصحه بذلك ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر

الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله عز وجل ويجب بغض من يبغضه الله تعالى

الرابع ان لا تظن باخيك الغايب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن

الخامس ان لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث للتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا

السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان حكى كذا وكذا فتكون نماما ومغتابا وتكون قد اتيت بما نهيت عنه وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنباء فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية قوله تعالى هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المومنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال له سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلامة قال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق به وبصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الغيبة والكذب والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق

والنمام منهم قال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى ان عليا كرم الله وجهه سعى اليه رجل برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال لا احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمن بن عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمن هذا فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول له

انت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم

فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال عمرو بن عبيد ان الاسواري ما زال يذكرك في قصة بشر قال عمر وما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر تضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة ينبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن لابنه يا بني اني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وآمنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقيل النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل ولو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند

شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها وجاء اهل المراة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلين وطال الامر الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي لفظ آخر ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله تعالى وقال مالك بن دينار قرات في الامانة تطلب الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال عليه السلام ابغض خليقة الله تعالى اليه يوم القيمة الكذابون والمتكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهي من جملتها وروى ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر رضي الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم قال عمر انشدتك الله وانا منهم ام لا قال اللهم لا ولا اومن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد على جهته الى الآخر فهو نمام وذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين الى الآخر فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه فان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله عليه السلام حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت عائشة استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل عليه الان له الكلام والقول فلما

خرج قلت يا رسول الله قد قلت بئس رجل العشيرة ثم ألنت له القول فقال عليه السلام يا عائشة ان شر الناس
الذي يكرم لاتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال عليه والتبسم فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة
او اكراه يباح الكذب بمثله ويباح به آفة الكذب كما ذكرناه بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في
معرض التصديق على كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

[illegible] المدح

وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة وقد ذكرنا
حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنان في الممدوح اما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الى
الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر
بلسانه الثانية انه قد يدخله الريا لانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله
فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا
مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال عليه السلام ان
كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه
الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه
اما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك
خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنه وسمع عمر رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال
لا قال اخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا قال والله الذي لا اله
الا هو ما تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى في
الارض فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث
فيه اعجابا او كبرا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل
الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي
ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك لقد سمعتها قال اما فقد سمعتها في فمه لا في راسي وقلبي قال خشيت ان
يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطي منك الثانية هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن
نفسه ذلك ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت الالسن بالثناء
عليه ظن انه قد ادرك الغرض ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك المادح قطعت عنق صاحبك لو سمعها
ما افلح وقال عليه السلام اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال صلى الله
عليه وسلم لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله تعالى وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الي
نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له شيطان ولكن المؤمن يراجع
قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص
وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال

عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل لان المدح يوجب الفتور ولان المدح يورث
الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح
لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان
ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عليه السلام
عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا او فتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من
الكبر والتفاخر وقال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء
على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله تعالى وبقربه من الله لا بكونه مقدما على ولد آدم كما ان المقبول عند الملك
قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين
ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال عليه السلام وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من
الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته
اربع على نفسك واحمد الله تعالى اذ ستر عورتك فهذه آفات المدح

[illegible]

اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو عنه الا بان يعرف نفسه
ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الريا وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع
اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهية المدح باذلال المادح واليه الاشارة
بقوله عليه السلام احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفين بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه
واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك
هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي كرم الله وجهه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني
بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون وروي عن ابي بكر رضي الله عنه مثل ذلك واثني رجل على عمر رضي الله عنه
فقال تهلكني وتهلك نفسك واثني رجل على علي كرم الله وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال انا دون ما
تقول وفوق ما في نفسك

[illegible] عن دقائق الخطا في فحوى الكلام

لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء
فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله ومثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله تعالى وشئت ولكن يقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف
المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب
رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال
عليه السلام قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره عليه السلام قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان
ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله تعالى ثم فلان
ولا يقول لولا الله تعالى وفلان وكره بعضهم ان يقول اعتقنا من النار وقال العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون

من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة
ان الله تعالى يغني المؤمنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم
اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة حمارا رايتني خلقته او خنزيرا خلقته وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم قال عمر رضي الله عنه ما حلفت بها منذ سمعت ذلك وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يقولن احدكم عبدي امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك
ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله الواحد عز وجل وقال عليه السلام لا تقولوا للفاسق
فانه ان يكون سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال عليه السلام من قال انا بري من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان
صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما وهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من
آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله عليه السلام حيث قال من صمت نجا لان
هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه
لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة في الذمة ويقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك
لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين والله اعلم

... سؤال العامة عن صفات الله تعالى

وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن جملتهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس
والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان الخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل
فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم
لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به والتسليم لما
جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون
لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ
فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما
استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال
عليه السلام سلوني فلا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال عليه السلام ابوك
حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه فقام اليه رجل فقال
يا رسول الله اني الجنة انا او في النار فقال عليه السلام لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا
فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى النبي عليه السلام عن القيل والقال واضاعة

المال وكثرة السؤال وقال عليه السلام يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله تعالى الخلق فمن خلق
الله تعالى الله علوا كبيرا فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى يختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا
وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر
عليهما السلام تنبيه عن المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك
منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت الاية فلما لم يصبر حتى سال ثلثا
قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب
ذمهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا ورسم له فيه امورا فلم
يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك
تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه اهي قديمة ام حديثة وكذلك سائر الصفات تم ذلك

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب ...

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي يتوكل على عفوه ورحمته الراجون ويحذر سوء غضبه وسطوته الخائفون
الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب
وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم
ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون ويعلنون وحذرهم بان ياخذهم بغتة
وهم لا يشعرون فقال سبحانه وتعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمرسلون وعلى اله
واصحابه الذين هم الايمة المهديون والسادة المرضيون صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما
سيكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الغضب شعلة
نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان
الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف
للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد
قويت فيه قرابة الشيطان الرجيم حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار
وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك
وفسد من فسد ومغيضهما مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما
يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه
عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه
فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد

والحد في هذا الكتاب ويجمعها ثم بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب واسبابه ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد في حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الاية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المومنين بما انعم عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل فقال عليه السلام لا تغضب ثم اعاد فقال عليه السلم لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله قال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله بن عمر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله عز وجل قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمن بن داود عليهما السلم يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف قلب الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال عليه السلام لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلم لا تغضب قال يا اخي لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى ان شا الله وقال النبي عليه السلام الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له رجل اي شي اشد فقال عليه السلم غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله تعالى قال لا تغضب الاثار قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين قال لقيت ملكا من الملايكة فقلت علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا فقال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتوده واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب ابن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جيتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فقال انه هو الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجيتك لتسالني عما شيت فاخبرك فقال ما اريد ان اسالك عن شي قال

فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر الصادق رضي الله عنه وعن ابايه الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقايده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه قال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامه فقدناه حيث شينا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم عليه ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذن لا يذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذل الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال ابن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا لا والله لا كان ذلك ابدا اذهب فقد عفوت عنك وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنا وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا يجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عنا والناس منه في رخا وقيل لابن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه من تكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي في الجنة ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد القول فقال الشاب انا ووفا به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفا به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع ٥

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تفشى اجزاوها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزايها

لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذا الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل
به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب   واما الاسباب الخارجة التي
يتعرض لها الانسان وكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية يثور من باطنه
فيدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه
ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي
البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي على النار في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين
والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من
دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم
من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين
انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب
الانتقام وانما يتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها
والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث في
اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فيفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو
الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي
فلم يرض فهو شيطان فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والحمية
فقال عز اسمه اشداء على الكفار رحماء بينهم   وقال تعالى لنبيه جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة
والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين
وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور
اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على
ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته
واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة
ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره
في معرض الفخر لجهله فمن سمعه فيترسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما
اشتدت نار الغضب وقوي اضطرابها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك
غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان
معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ يظلم ويستولي على معادن
الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه فلا يرى بعينه شيئا وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه مثل
كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى او انمحى
نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلمة ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي

ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني
الرطوبة التي فيها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله
وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممكنة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة
فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ
في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها   واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت
حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج
الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب
المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان نفسه في حال غضبه وقبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته
واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم
انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في
اللسان فانطلاقه بالشتم والقبح وفحش الكلام الذي يستحيي منه ذووا العقول وقائله يستحيي منه عند فتور الغضب
وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فبالضرب والتهجم بالقتل والجرح عند التمكن
من غير مبالاة وتمزيق الثياب فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسببه وعجز عن التشفي رجع الغضب على
صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه ويضرب راسه على الارض او يده ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش
المتحير وربما سقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات
والحيوانات فيكسر القصعة مثلا والغضارة والمائدة ويتعاطى افعال المجانين ويشتم الحمار والحيوان والبغل
ويخاطبه بالشتم ويقول له متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى انه ربما رفسته دابة فيرفس الدابة
ويقابلها بذلك   واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات
والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط
فاما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يانف منه من التعريض للحرم والزوجة والام واحتمال الذل من
الاخساء وصغر النفس من العماه وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال عليه السلام
ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك
لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف
الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات   وقد قال عليه السلام خير امتي احداؤها يعني في الدين
وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة بتسليط
الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخبيثة فقد الغضب مذموم   وانما المحمود
غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال
هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في

احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى
التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو
الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل الآية فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي
بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته والله اعلم

بيان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون
انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الراين ضعيف بل الحق
فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء
ويخالفه آخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب
لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلثة اقسام

الاول
ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا
بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر به عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق
ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان عن كراهية زوالها وعن غيظ على من يتعرض لها

الثاني
ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت
محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على
من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه
فاما اذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في
الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها
واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب
عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك لا يبالي ولو جلس في صف النعال
فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الردية هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه
وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص
والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي
بعض الجهال بالعادات الردية ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل انه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب
بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من هذه الرذائل فالغضب على هذا
الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري القسم الثالث ما ليس ضروريا في حق بعض الناس دون
البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك لاحد من الخلق
كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار

ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب
يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله من اصبح آمنا في سربه معافا في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق
الامور وسلم له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها
اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في
الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال حتى يصير
الحلم والاحتمال خلقا له راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن
كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك
شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه
فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه اذ يمكن اخراج حبه من
القلب وذلك بان يعلم ان الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها
قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها من قلبه ولو كان للانسان
كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا
وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم
بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة
فليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب
عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى لا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته
كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي
قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا
بحسن الظن بالله وهو ان يرى الكل من الله تعالى وان الله تعالى لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في الجوع
ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه
غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب
الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال عليه السلام اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر
فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة عليه وزكوة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة
قال عبد الله بن عمرو يا رسول الله اكتب عنك كلما قلت في الغضب والرضا فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فوالذي
بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه فلم يقل عليه السلام اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا
يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عايشة مرة فقال ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك
يا رسول الله شيطان فقال عليه السلام بلى ولكني دعوت الله تعالى فاعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير ولم يقل

عليه السلام لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي كرم الله وجهه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله تعالى فلا يمكنه الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال للشاتم يا هذا قد سمع الله تعالى كلامك وان دون الجنة عقبة كؤودا ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه اليه الشيطان فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذن اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذن يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله تعالى يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله تعالى غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المزايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله تعالى قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى عليه السلام الكبر والفخر والتعزز والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفة نفسك كما سياتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة

واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآيته انه لضعف النفس ان المريض اضعف قلبا واسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل وكذلك الصبي والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاراذل والاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور

الامر الاول

ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر رضي الله عنه على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين فالتفت الي فقرات خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وكان يتامل الآية وكان وقافا على كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر ثم خلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ وقال لغلامه خل عنه

الامر الثاني

ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله تعالى علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه فبم آمن ان يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اى القصاص في القيمة وقيل ما كان
في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه ورقة وفيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة
وكان يقراها حتى يسكن غضبه **الامر الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو
لمقابلته والسعي في اغراضه والشماتة بمصايبه وهو لا يخلو عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا
ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه
متردد على حظوظه العاجلة تقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل
وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه **الامر الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة
غيره حال الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة
الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يشبه الكلاب والسباع واراذل
الناس وبين ان يشبه الانبياء والعلماء والصالحين في عادتهم ليميل نفسه الى حب هؤلاء الكبراء والاقتداء بهم
ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الامر الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه
من كظم الغيظ ولا بد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة
وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اجهلك يا نفس تانفين من الاحتمال اليوم ولا تانفين من خزي يوم
القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وانت تحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من ان
تصغري عند الله تعالى والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله تعالى ولعظمته عز
وجل والجلاله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله لو انتقم الآن افلا تحب ان تكون هو القائم اذا نودي
يوم القيمة ليقم من اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا عن حق فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرره على
قلبه **الامر السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده
فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه واما العمل
فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغيظ
وكان عليه السلام اذا غضبت عايشة رضي الله عنها اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب محمد النبي اغفر لي
ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل ذلك فاجلس ان كنت
قايما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالاضطجاع
والجلوس السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال عليه السلام ان الغضب جمرة توقد في
القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا
فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضا بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال عليه السلام اذا غضب
احدكم فليتوضا بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما
تطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت
فاسكت وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس

اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا
ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين
اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزيل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب
وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال
عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والارض تحتك
ثم اعظم خالقهما وروي ان ابا ذر رضي الله عنه قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل
فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل
من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت
متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب له ثلث صحايف واعطى
كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث
اذا سكن غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك
لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية وفيها ارحم من في الارض
يرحمك من في السماء فاعطي الثالثة وفيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب
المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله ٥

بيان فضيلة كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ذكره الله تعالى في معرض المدح وقال عليه السلام من كف غضبه كف الله عنه عذابه
ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال عليه السلام اشدكم من غلب نفسه عند الغضب
واحلمكم من عفا عند القدرة وقال عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة
رضا وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من
جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله
الا من شفا غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها
عبد الا ملا الله قلبه ايمانا وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق
ويخيره من اي الحور شا **واما الآثار** قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى
لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسالة ولا تشف
غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع الثوري
وابو خزيمة اليربوعي والفضيل فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع
وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل
يا امير المؤمنين الم تسمع الى قول الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت

فكانما كانت نار فاطفيت ● وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه فقد استكمل الايمان بالله تعالى اذا رضى لم يدخله رضاه في
الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له ● وجاء رجل الى سلمن فقال يا عبد الله
اوصنى قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

بيان فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اى تكلف الحلم له فلا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج
غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه
تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم
وكظم الغيظ تكلفا ● وقال عليه السلام انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه
اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقة التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقة التعلم ● وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه
ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من
الحلم واللين وكان من دعائه اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وكرمني بالتقوى وجملني بالعافية ● وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله تعالى قالوا وما الرفعة يا رسول الله فقال عليه السلم
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن ظلمك او جهل عليك ● وقال عليه السلم خمس من سنن المرسلين
الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر ● وقال على كرم الله وجهه قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم
ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته ● وقال ابو هريرة ان رجلا
قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون على واحلم عنهم فقال عليه
السلم لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني به الرمل
وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيا فهو عليه صدقة
فاوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم انى قد غفرت له بذلك فقال عليه السلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا
وما ابو ضمضم يا رسول الله قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم انى تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني
وقيل في تفسير قوله تعالى ربانيين اى حلماء علماء ● وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا ● وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اى حلما ● قال ابن ابي حبيب في قوله
تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم ● وقال مجاهد اذا مروا باللغو مروا كراما اى اذا اوذوا صفحوا ● وروى ان
ابن مسعود رضى الله عنه مر بلغو معرضا فقال عليه السلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ● ثم تلا ابرهيم بن ميسرة
وهو الراوي واذا مروا باللغو مروا كراما ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا
يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب ● وقال عليه السلم ليلني
منكم ذووا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق
وروى انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة
ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله تعالى ورسوله قال وما هما بابي انت وامي يا رسول الله فقال
عليه السلم الحلم والاناة قال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلني الله عليهما فقال عليه السلم بل خلقان جبلك الله عليهما فقال
الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله ● وقال عليه السلم ان الله تعالى يحب الحليم الحيي الغني المتعفف
ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف ● وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن
فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس ● وقال صلى
الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا
الى الجنة فتتلقاهم الملئكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم
فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين
قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم ● وقال على كرم الله وجهه
ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت
حمدت الله واذا اسات استغفرت الله ● وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم ● وقال اكثم بن صيفي
دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر ● وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ادركت الناس ورقا لا شوك فيه
فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك
ليوم فقرك ● وقال على كرم الله وجهه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم انصاره واعوانه على الجاهل
وقال معوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا تبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال
ايضا لعمرو بن الاهتم اى الرجال اشجع قال من رد جهله حلمه قال اى الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه
وقال انس رضى الله عنه في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا
الاية هو الذي يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي ● وقال رجل شتمت
رجلا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا ● وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة
فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيا ● وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل
شهادتك ● وروى عن زين العابدين رضى الله عنه انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف
درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله وحمله على الندم
والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير ● وقال معوية لعرابة بن اوس بم سدت
قومك يا عرابة فقال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي
ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه ● وقال رجل لجعفر الصادق رضى الله عنه انه قد وقع بيني وبين
قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم ● وقال الخليل بن احمد
رحمه الله عليه من اساء اليك فاحسن اليه يجعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساءته ● وقال الاحنف بن قيس
لست بحليم ولكني اتحلم ● وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ
ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله

تعالى يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتوكل الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يتوكل على الله يخذل ومن يستعين بالله
ولا يستعين بغيره يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء فقال وانت اذا على اكرم من نفسي اني اذا فعلت
ذلك فقد اهديت اليك حسناتي وقال رجل لبعض الحكماء لا سبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك
يدخل لا معي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى يسمى به ومر عيسى عليه السلم بقوم من
اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال عليه السلم كل واحد
ينفق مما عنده وقال لقمن عليه السلم ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع
الا عند الحرب ولا اخاك الا عند حاجتك اليه ودخل على حكيم صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة
الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المايدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الرجل مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر
يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المايدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احدنا فقال نعم قال فاحسب
ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عنه وانصرف وقال صدق الحكيم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم
فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فوقعت وذبحت الغضب وقال محمود
الوراق في معناه

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب	فان كثرت منه على الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلثة	شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره	واتبع فيه الحق والحق لازم
فاما الذي دوني فان قال صنت عن	اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفى	تفضلت ان الفضل بالخير حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله ولا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس
ولا مقابلة السب بالسب وكذا ساير المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به وفصلناه في الفقه
واما السب فلا يقابل بمثله لقوله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال عليه
السلام المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما بدا له ينتصر منه
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك كنت جالسا ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت
فقال عليه السلم لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في
مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي
تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد
لابن مسعود رضي الله عنهما وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا ابن اميه ومثل قوله يا
احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين الله الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر رضي الله عنه
في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل
فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك

قوله فيه لو كان فيك حيا ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والكذب
والغيبة وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خلد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد
فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ دينا يعني ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل
على جواز ما ليس بكذب ولا حرام ولا هو مثل الحرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عايشة رضي الله عنها
ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة عليها السلم فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني
ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نايم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت
نعم فقال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرت بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيا فارسلن زينب بنت جحش قالت
وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر
ان يساذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي عليه السلم
كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد الفحش من الكلام بل هو الجواب عن
كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق ومثل قولها انا بنت ابي بكر وما له وانت بنت جحش وماذا تريدين وعرفت لك مما
يشبه هذا الكلام وقال النبي عليه السلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت
للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي بهذا القدر هو الذي اباحه مولاه وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذايه السابق
باللسان ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه لانه يجر الى ما وراه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق
فيه والسكوت على اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس
من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب لكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن الحقد في الدوام
والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطي الوقود بطي الخمود
وبعضهم بطي الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطي الخمود
وهذا هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب
فلم يغضب واسترضي فلم يرض فهو حمار وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ان بني ادم خلقوا على طبقات فمنهم بطي الغضب سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فتلك بتلك ومنهم
سريع الغضب بطي الفي الا وان خيرهم البطي الغضب السريع الفي وشرهم السريع الغضب البطي الفي ولما كان
الغضب في الحال يهيج ويوثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما
يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه
وانتصاره لله تعالى لا لنفسه راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع
عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني فلو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب
ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

بيان معنى الحقد [illegible] العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد

ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن
ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال
النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت وهذا من فعال المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه
ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء ان تصرمه
وتهاجره وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له
ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره ان تحاكيه استهزاء به وسخرية
فيه ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد
مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما
عصى الله تعالى به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق
والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له والثناء
عليه او التحريض على بره ومواساته وهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب
جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لانه تكلم
في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر
بلى نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان تبقى على ما كان فان امكنه ان تزيد في الاحسان مجاهدة للنفس
وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضايل اعمال المقربين فللحقود ثلثة احوال عند القدرة
ان تستوفي حقه الذي تستحقه من غير زيادة عليه ولا نقصان وهو العدل ان تحسن
اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل ان تظلمه بما لا تستحقه وذلك هو الجور وهو
اختيار الارذال والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن
فضيلة العفو والاحسان اعلم ان معنى العفو ان تستحق حقا
فتسقطه وتبرى عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو
الآية وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت
لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفى رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله
بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح عليه باب من فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا
يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله عز وجل والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله تعالى والصدقة
لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا
من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك حرمة من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله شي كان اشدهم في ذلك
غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن ماثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال عليه السلم يا عقبة الا اخبرك بافضل
اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال عليه السلام

قال

قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال عز وجل الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء رضي الله عنه
من اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة
فامر النبي عليه السلم ان يجلس واراد ان ياخذه بمظلمته فقال عليه السلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة
فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه
فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد
من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله تعالى قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ
بعضادتي الباب فقال عليه السلم ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم رحيم حليم قالوا ذلك ثلثا
فقال عليه السلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فخرجوا فكانما نشروا
من القبور فدخلوا في الاسلام وقال سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووضع يده
على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم وقد قدرت فقال عليه السلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل
من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يوتى بحد الا اقامه والله تعالى عفو يحب العفو ثم قراه
وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من
اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر
مرات وعفى عن قاتله قال ابو بكر او احدهن يا رسول الله فقال او احدهن الآثار قال ابرهيم التيمي
ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب
يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله تعالى ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل
على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي
خير لك من ان تلقاه وقد انتقصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان آخر
يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم القيمة فليسعكما
عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالم كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه
بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيمة فينادي
من كان له عند الله عز وجل شي فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن
محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفى عنه والآخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه
وقال يعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها

الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها وعن مبارك بن فضالة قال اوفد نى سوار بن عبد الله فى وفد من اهل البصرة
الى ابى جعفر وكنت عنده اذ اتى برجل فامر بقتله فقلت فى نفسى يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير
المومنين الا احدثك حديثا سمعت من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس فى
صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا
من عفى فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خلوا عنه وقال معوية عليكم بالحلم
والاحتمال حتى يمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروى ان راهبا دخل على هشام بن
عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطى ما اعطى باربع خصال كن فيه كان
اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا احدث صدق ولا يجمع من اليوم لغد وقيل ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم
ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعنى الحقد والغضب واتى هشام برجل
بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المومنين قال
الله تعالى يوم ياتى كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى ولا نتكلم انت كلاما فقال هشام ويحك بلى تكلم
وروى ان سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر رضى الله عنه بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه
لعل الله ان يستر على يوم القيمة وجلس ابن مسعود رضى الله عنه فى السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم
وكانت فى عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعى فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذى
اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراة على الذنب فاجعله
آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت احدا ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الى فى المسجد الحرام ثم قام ليطوف
فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكى فقلت اعلى الدنانير تبكى قال لا ولكنى ابكى لمكثى واياه بين يدى الله تعالى
فاشرف عقلى على مثلتى ادحاض حجتى فبكائى رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على
البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خايف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف
وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له فى الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقى من كيد النسا
ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كعبه وجعله على خزاين الارض فماذا
صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم تعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم
فانا نقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولو لم اجد الا ثوبى لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له
يساله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لايذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما
الا ازداد العفو فضلا واتى عبد الملك باسارى من الاشعث فقال لرجا بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى
قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفى عنهم وروى ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت
عنه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايتك ان جئت بكتاب من امير المومنين
تخلى سبيلى قال نعم قال فانا اتيتك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى عليهما السلم قوله
تعالى ام لم ينبا بما فى صحف موسى وابرهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل

لقن حجته وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان
اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق
والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببهما شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر
ويمنع من التثبت فالرفق فى الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة
وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال عليه السلم
يا عايشة انه من اعطى حظه من الرفق اعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا
والآخرة وقال عليه السلم اذا احب الله تعالى اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلم ان الله تعالى ليعطى
على الرفق ما لا يعطى على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا وقال
عليه السلم ان الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف وقال عليه السلم يا عايشة ارفقى
فان الله تعالى اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال عليه السلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله
وقال عليه السلم ايما وال ولى فلان ورفق رفق به يوم القيمة وقال عليه السلم تدرون من يحرم على النار كل
هين لين سهل قريب وقال عليه السلم الرفق يمن والخرق شوم وقال عليه السلم التانى من الله عز وجل والعجلة
من الشيطان وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين
فيك فاخصصنى منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص هل انت مستوص
مرتين او ثلثا قال نعم قال عليه السلم اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك
فانته عنه وعن عايشة رضى الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على بعير صعب فجعلت
تصرفه يمينا وشمالا فقال عليه السلام يا عايشة عليك بالرفق فانه لا يدخل فى شىء الا زانه ولا ينزع من شىء الا
شانه بلغ عمر رضى الله عنه ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد
الله واثنى عليه ثم قال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله تعالى ولا اعم من حلم الامام
ورفقه وليس جهل ابغض الى الله تعالى ولا اعم من جهل الامام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية ممن بين ظهريه
يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثنى الحلم وفى الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المومن
والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن
الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل به وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شىء الى شىء مثل حلم
الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة
امامك ومناواة من يقدر على ضرك وقال سفين لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا عبد الله قال ان تضع
الامور مواضعها الشدة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه وهذه اشارة
الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق

شعر

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما فى ساير الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة

الى ترغيبهم فى جانب الرفق اكثر ولذلك كثر ثناء الشرع فى جانب الرفق دون العنف وان كان العنف فى محله حسنا
كما ان الرفق فى محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قاله
عمر بن عبد العزيز ورُوى ان عمرو بن العاص كتب الى معوية يعاتبه فى التانى فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم فى
الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخايب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا
وان العجل مخطى او كاد ان يكون مخطا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالى وعن
ابى عون الانصارى قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجرى مجراها وقال ابو حمزة الكوفى
لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انه لا يعطونك بالشدة شيا الا اعطوك باللين
ما هو افضل منه وقال الحسن المومن وقاف متانى وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه
محمود ومفيد فى اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواضع
الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى
الرفق فان النجح معه فى الاكثر

القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وفى اسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته

بيان ذم الحسد

اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج
الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد فى ذم
الحسد خاصة احاديث كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال
عليه السلم فى النهى عن الحسد واسبابه وثمراته الا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد
الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج
رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه فى يده الشمال فسلم
فلما كان الغد قال النبى عليه السلم مثل ذلك فطلع الرجل بعينه وقال الرجل فى اليوم الثالث فطلع ذلك
الرجل فلما قام الرجل تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال انى لاحيت ابى فاقسمت انى لا ادخل عليه ثلثا فان رايت
ان تؤوينى اليك حتى تمضى ذلك فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه
اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولا يقوم حتى يقوم لصلوة الفجر قال غير انى لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مضت
الثلث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بينى وبين ابى غضب ولا هجر ولكنى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذاك قال ما هو
الا ما رايت فلما وليت دعانى فقال ما هو الا ما رايت غير انى لا اجد على احد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا
على خير اعطاه الله تعالى اياه فقال عبد الله هى التى بلغت بك وهى التى لا نطيق وقال عليه السلم ثلث
لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم المخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واذا حسدت فلا تبغ وفى رواية ثلث لا ينجو منهن احد فاثبت فى هذه الرواية امكان النجاة وقال
عليه السلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والغيبة هى الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة
الدين والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك افشوا

السلام بينكم وقال عليه السلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال عليه السلم
انه سيصيب امتى داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباعد
والتحاسد حتى يكون البغى ثم يكون الهرج وقال عليه السلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك
ورُوى ان موسى عليه السلم لما تعجل الى ربه راى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال
ربه ان يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه
ولا يمشى بالنميمة وقال زكرياء عليه السلم قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضاى غير راض بقسمتى
التى قسمت بين عبادى وقال عليه السلم اخوف ما اخاف على امتى ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون
وقال عليه السلم استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال عليه السلم ان لنعم الله
اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال النبى عليه السلم ستة يدخلون
النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار
بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت
هى الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكى ان عون بن عبد الله دخل
على المفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال انى اريد ان اعظك بشى فقال وما ذاك قال اياك والكبر فانه
اول ذنب عصى الله به ثم قراء واذ قلنا للملئكة اسجدوا الى قوله ابى واستكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم عليه السلم
من الجنة اسكنه الله تعالى جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه
اكل منها فاخرجه الله منها ثم قراء اهبطوا الى آخر الآيات واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قراء
واتل عليهم نبا ابنى آدم الآيات واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت
واذا ذكر النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك ويقول احسن
الى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام وسعى به الى الملك فقال ان
هذا الذى يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندى فقال تدعوا
به اليك فانه اذا دنا منك يضع يده على انفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى انظر
فخرج الرجل من عند الملك ودعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك
وقال احسن الى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن منى فدنا منه ووضع يده على فيه
مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه
الا بجايزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش
جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط
الملك لى بصلة فقال هبه منى فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل فى كتابك ان اذبحك واسلخك
فقال ان الكتاب ليس هو لى فالله الله فى امرى حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا
جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما صنعت بالكتاب فقال

لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال انه ذكر انك تزعم انى اعز فقال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك
على انفك ويلك قال اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسى اسائته
وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شي من امور الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على امر الدنيا وهي
حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد
المومن قال فما اناك خبر بنى يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال
ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد
نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها وقد قيل في ذلك شعر كل العداوة ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك عن
حسد وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرى وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما
اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذي
اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال
بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملئكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا
جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا ه

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة
وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهية النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية
ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد تخص باسم المنافسة
وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة وقد يوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني
وقد قال عليه السلم المومن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حسد وهو حرام بكل حال الا ان يكون نعمة اصابها
فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهيتك لها ومحبتك
لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك بنعمته
ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على
بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واى معصية تزيد على كراهيتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة
والى هذا اشار القرآن بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد
والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم
فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وذكر الله حسد اخوة يوسف عليه السلم وعبر عما في قلوبهم بقوله قالوا
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة فلما كرهوا حب ابيه له ساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه
عنه قال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اى لا يضيق به صدورهم فلا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد
وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة
الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويولف بينهم على طاعته فامرهم

تنافسوا

ان يتنافسوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال
ابن عباس كان اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان
ترسله والكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا وكانوا ينصرون فلما جاء النبي من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد
معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا
بما انزل الله بغيا اى حسدا قالت صفية بنت حيي للنبي جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال
اقول انه النبي الذي بشر به موسى عليه السلام قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في
التحريم واما المنافسة فليس بحرام بل هي اما واجبة واما مندوب اليها او مباحة وقد تستعمل لفظ المنافسة
بدل الحسد والحسد بدل المنافسة وقال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان يأتيا النبي عليه السلم
فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة لعلي كرم الله وجهه حين قال لهما علي لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما
عليها فقالا له ما هذا منك الا منافسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اى هذا منك حسد
وما حسدناك على تزوجه اياك فاطمة عليها السلم والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة
المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة
عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى
عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في
اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر
ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه
في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في
الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله تعالى مالا
فهو ينفق في معاصي الله عز وجل ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مال فلان لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر
سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ماله
فاذن لا حرج على من يغبط في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم اذا كانت
تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه
ان لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كالانفاق للاموال في المكارم
والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك
يرجع الى ارادته مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهية النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة
المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له
ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا
ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وها هنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل
تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يدرك نقصانه اما بان ينال مثل ذلك

أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسدّ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه وردّ إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدًا مذمومًا وإن كان يردعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفى عنه فيما يجد في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهًا لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله عليه السلام ثلاثة لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال عليه السلام وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ أي إن وجدت في قلبك شيئًا فلا تعمل به وبعيد أن يكون الإنسان مريدًا للّحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لا محالة ترجيحًا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط له فإنه موضع الخطر وما من أحد إلا وهو يرى فوق نفسه من معارفه وأقرانه من يحب أن يساويه ويكاد يجرّه ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جرّه إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته فإنه إذا لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلًا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله وتكون كراهيته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه وأما مراتبه فهي أربعة

أن يحب زوال النعمة منه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث

أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها

أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما

أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدًا فيه تجوّز وتوسّع ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان أسباب الحسد والمنافسة

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فإن كان ذلك أمرًا دينيًا فسببه حب الله وحب طاعته وإن كان دنيويًا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد المذموم وهو كثير جدًا ولكن يحصر جملتها سبعة أسباب العداوة والتعزز والتكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فإنه إنما يكره النعمة عليه إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال النعمة لكونه مبغضًا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرًا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون لحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس

وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الأسباب

السبب الأول العداوة والبغضاء

وهذا أشد أسباب الحسد فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك إلى كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما أصاب عدوه بلية فرح وظن أنه مكافأة من جهة الله تعالى له على بغضه وأنه لأجله أصابته ومهما أصابته نعمة من الله تعالى ساءه ذلك لأنه ضد مراده وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وإنما غاية التقي أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنسانًا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به أعني الحسد بالعداوة إذ قال تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ الآية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه والله أعلم

السبب الثاني التعزز

وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علمًا أو مالًا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته مثلًا ولكن لا يرضى بالترفع عليه

السبب الثالث الكبر

وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة له في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره فيترفع عن متابعته أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرًا بعد أن كان متكبرًا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيمًا وقال الله تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والأنفة

السبب الرابع التعجب

كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية إذ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذًا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعًا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرًا رسولًا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة فقال الله تعالى أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد

وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونًا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل إلى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به إلى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل به إلى أغراض لهم

السبب السادس حب الرياسة

وطلب الجاه للرتبة من غير توسل به إلى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في

فمن العلماء من اذا غلب عليه حب الثنا واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه فانه لا نظير
له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او
علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك فيما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا
تكبر ولا تعزز على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلما
من طلب الجاه والمنزلة في الدنيا وفي قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علما اليهود ينكرون معرفة
رسول الله ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم

السبب السابع خبث النفس وشحها

بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من
عباد الله فيما انعم الله عليه شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم
فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك عن خزانته وملكه ويقال البخيل من
يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا
رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث النفس ورذالة في الطبع وعليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد
الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فيعسر
ازالته او يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب واكثرها او جميعها في
شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة فيظهر
العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها والله اعلم

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب

وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين
قوم تجتمع من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير
ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد
ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب
اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او
مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب
الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف
يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب
والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون
على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه
الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر
وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم

على هذا الغرض ولذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب
لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد
لا يجمع متباعدين بل لا يجمع الا متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم
بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان
الدنيا هي التي تضيق عن المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله
تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه فلا يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق
عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل
يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم
معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق فيما عند الله تعالى لان اجل ما عند الله
تعالى من النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد
العلما بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى
الجاه ملك القلوب ومهما امتلى قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا
للمحاسدة واذا امتلى قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلي قلب غيره به وان يفرح به فلا فرق بين العلم
والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في القلب عن العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من
غير ان يرتحل عن قلبه وان المال اجسام واعيان لها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال
يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وملكوت ارضه
وسمائه صار ذلك عنده الذ من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان
غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت
على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي
صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وبقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا
ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض
كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر
متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا تظن بهم عند انكشاف الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا
يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون من اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة
ولا تنال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء عن الحسد في الدنيا والآخرة
جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان الرجيم اللعين وذكر
من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى
فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفا بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى
زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء

ولكن السماء متسعة اقطارها وافية لجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى
نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيها ولذة لا يكدرها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة
صفاته وافعاله وعجايب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان
كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها وفتر عنها رايك وضعف فيها رغبتك فانت في ذلك معذور
اذ العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص ادراكها للرجال دون
الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة تختص ادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا
يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم
يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين

[illegible]

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد
هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع
به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة
اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله
الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في
عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المومنين وتركت نصيحته
وفارقت اولياء الله وانبياءه عليهم السلام في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وساير الكفار في محبتهم للمومنين
البلايا وزوال النعم وهذه خبايث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل
النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداوك
لا يخليهم الله من نعمة يفيضها عليهم ولا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما
محروما متشعب القلب ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدايك وكما تشتهي اعداوك لك فقد كنت تريد المحنة
لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تومن بالبعث والحساب
لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع وكيف وانت
عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من عاقل ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل
مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير فايدة ولا جدوى واما انه لا ضرر على المحسود في دينه
ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل
قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه بل كل شي عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكى نبي من الانبياء من
امراة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في
الازل لا سبيل الى تغيره فاصبر الى ان تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد
لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة زالت عن المحسود بحسدي وهذا

غاية الجهل فانه لما يشتهيه اولا لنفسك فانك لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله تعالى
عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المومن على الايمان قال الله تعالى ودت طايفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة
الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان تسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا ساير النعم
وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل
واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يختص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في ان
لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها وفي معناه   لا زلت محسودا على نعمة
فانما الكامل من يحسد   واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فانه مظلوم
من جهتك لا سيما اذا اخرجت الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه
فهذه هدايا يهديها اليه اعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حين تلقاه يوم القيمة كما حرمت في الدنيا
عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله تعالى عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها
اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق
مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدايك
ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك
موتك بل يشتهي ان تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعم الله عليه فينقطع قلبك حسدا وغما ولذا
قيل   لا مات اعداوك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد   لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد
ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة
وبلية عنده فما انت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك واذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك
وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما
عند الخلق والخالق عز وجل شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دايمة شيت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل
مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدايك لانه لما رآك محروما عن نعمة
العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب
المحبة لان من احب الخير لاخيه المسلم كان شريكا له في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته
ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فيخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فيفوز بثواب
الجنة فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لا تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل
يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب فقال متى الساعة يا رسول الله فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله
ورسوله فقال عليه السلام انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يوميذ اشارة الى
ان اكثر نعيهم كان حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب الله تعالى ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجوا ان

تكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عدّ اشياء
فقال صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما
فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم
فقال سبحان الله لقد جعل الله لكل شيء مخرجا فانظر الان كيف حسدك ابليس فيفوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به
حتى بغض اليك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعساك ان تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في
دين الله وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض فلا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على
ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة
ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهية فانظر كيف يبعدك ابليس
من جميع المداخل الثلثة حتى لا يدخل واحدا البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ على عدوك حسدك بل على نفسك
بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به
مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود برميه ثانيا اشد من الاول فيرجع
الحجر على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالما في كل حال وهو اليه
راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه فهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا بل
حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم
والاثم لا يعود بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلان يذهب عينه في الدنيا خير من ان يبقى له عين
يدخل بها الى النار فيلذعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه
ثم ازال نعمة الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا
يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى
قالت عائشة ما تمنيت لعثمن شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت رضي الله عنها فهذا اثم الحسد نفسه
فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو
الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب
حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل
النافع فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد
على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثنا عليه فان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار
اليه وان بعثه على كف الانعام عليه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود
طاب قلبه فاحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان
التواضع والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة
ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه
عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت فاثنيت حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف فان ذلك مذلة

ومهانة

ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين ويقل مرغبها
ويعود القلوب الى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة
جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا
الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا
بقضاء الله تعالى وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك تريد
ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخيبة ولا طريق الى الخلاص الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او
بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله
بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر
وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا
ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم يقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول
الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس
دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده واما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا
تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان
ينازعك الى الحسد ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك
بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك في باطنك تحب زوال
النعمة وليس في نفسك كراهية لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل
قال الله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر
عن الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك
وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك
قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهية
من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب
الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعم او تنصب عليهما
من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى
مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي
عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم
يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابله
بكراهية والزم قلبه فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن

الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمّه فانه لا يضرك ما لم تبده وروى عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغى والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهية من جهة الدين والعقل فى مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهية تمنعه من البغى والايذا فان جميع ما ورد من الاخبار فى ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال وكل من احب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو فى محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد فى ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا ان لك فى اعدائك ثلثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة فى ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنك قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه آخر كتاب ذم الغضب والحسد ويتلوه كتاب ذم الدنيا ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين لابى حامد محمد بن محمد الغزالى رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى عرّف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا فى شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفى مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها فى صورة امرأة مليحة تستميل قلوب الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين فى وصالها ثم هى فرّارة عن طلابها شحيحة باقبالها فاذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها وان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالى لصدور طلابها راشقة ومجارى احوالها بذل طالبيها ناطقة وكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من قصدها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهى خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها فى سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم كرت عليهم بدواهيها وطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم فى اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس تمنى اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اله واصحابه له فى الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا فان الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة لاولياء الله تعالى وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله تعالى فانها قطعت الطريق على عباد الله سبحانه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله تعالى فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هى وما الحكمة فى خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله سبحانه بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى بيان ذم الدنيا بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها بيان صفة الدنيا بالامثلة بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد بيان ماهية الدنيا فى نفسها واشغالها التى استغرقت هموم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومواردهم

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة فى ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم السلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا نعم قال عليه السلام والذى نفسى بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعرى قال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابى بكر رضى الله عنه فدعا بشراب فاتى بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسئلته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك فقال عليه السلام هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى

ثم رجعت فقالت انك ان افلت منى لم يفلت منى من بعدك ثم ردت الشراب ولم يشربه وقال عليه السلام يا عجبا
كل العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور وروى انه صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا
الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها
ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال عليه السلام ان الدنيا
حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا
فى الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا
كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا
يا معشر الحواريين انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا ان الله عصى
فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة
حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا
ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما
النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا
حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجئ الموت فياخذ بعنقه وروى موسى بن يسار
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم
ينظر اليها وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله
فمر بعابد من عباد بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما فسمع سليمن عليه السلام كلامه
فقال لتسبيحة فى صحيفة مومن خير مما اعطى ابن داود فانما اعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال عليه السلام الدنيا دار من لا دار له ومال من لا
مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له
وقال عليه السلام من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله فى شئ والزم الله تعالى قلبه اربع خصال هما
لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة
قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ
بيدى واتى بى واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها جماجم رؤس الناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال عليه
السلام يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتامل كاملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا
وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها
وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى
كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى
فى بعض الكتب ان الله تعالى لما اهبط آدم عليه السلام قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال

مكتوب

مكتوب فى صحف ابرهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قد قذفت فى
قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون على منك كل شانك صغير والى الفناء تصيرين قضيت
عليك يوم خلقتك الا تدومى لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين
اطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندى من الجزاء اذا وفدوا
الى من قبورهم النور يسعى امامهم والملئكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتى وقال عليه السلام الدنيا
موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلنى لادنى اوليائك نصيبا
فيقول اسكتى يا لاشئ انى لم ارضك لهم فى الدنيا ارضاك لهم اليوم وروى فى اخبار آدم عليه السلام انه
لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شئ من اطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك
نهيا عن اكلها فجعل يدور فى الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اى شئ تريد قال آدم عليه السلام
اريد ان اضع ما فى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له اى مكان تضعه على الفرش ام على السرر ام على الانهار او تحت
ظلال الاشجار هل ترى ها هنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام
يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين فقال عليه السلام نعم كانوا يصلون
ويصومون وياخذون هنية من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وقال عليه السلام فى بعض خطبه
المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد
من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة
والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام
لا يستقيم حب الآخرة وحب الدنيا فى قلب مومن كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء واحد ويروى ان جبريل
عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما
وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
على اصحابه ثم قال هل فيكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب فى الدنيا وطال امله
اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله سبحانه علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة
الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء وهو يقدر على
المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله سبحانه وتعالى ثواب خمسين
صديقا وروى ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب بيتا فرفعت له خيمة
من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال
الهى لكل شئ ماوى ولم تجعل لى ماوى فاوحى الله تعالى اليه ماواك فى مستقر من رحمتى لازوجنك يوم القيمة مائة
حوراء خلقتها بيدى ولاطعمن فى عرسك اربعة الاف عام يوما منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى اين الزهاد

في الدنيا انظروا عن الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم عليه السلم وقال عيسى عليه السلم ويل لصاحب الدنيا كيف
يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل
اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلم يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك
وفارقها بعقلك فبيست الدار هي الا العامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه
للمظلوم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاه بمال من البحرين فسمعت الانصار
بقدومه فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى النبي انصرف فتعرضوا له فتبسم صلى الله
عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله قال عليه السلم ابشروا
واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها
كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف
عليكم ما يخرج الله تعالى لكم من بركات الارض فقيل يا رسول الله ما بركات الارض فقال عليه السلم زهرة الدنيا
وقال عليه السلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر
عيسى عليه السلم بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هولاء ماتوا عن سخطه
ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه عز وجل فاوحى الله اليه اذا
كان الليل فنادهم يجيبونك قال فلما كان الليل اشرف على نشز من الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك
يا روح الله وكلمته فقال ما حالكم وقصتكم فقالوا بتنا في عافية واصبحنا في هاوية قال وكيف ذلك قالوا
لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال فكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت
حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملايكة غلاظ شداد قال فكيف
اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم
لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها قال المسيح عليه السلم للحواريين لاكل الخبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح
والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا
لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلم انه حق على الله تعالى ان لا يرفع
شيا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلم من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها
قرارا وقيل لعيسى عليه السلم علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال
ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا
ولاثرتم الاخرة وقال ابو الدردا من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم
اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت
الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهايم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم
لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوايكم الا خبث سرايركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم
ما لكم لا تناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر اخرته ما هذا الا من قلة الايمان

في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة لانها املك باموركم فان قلتم حب
العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للاجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر
لعلكم لا تدركونه فبيس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما يطمين به قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم
انكم لتبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون الحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون
على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصايب وتقيمون فيها الماتم وعامتكم
قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حال بكم اني ارى الله قد تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا
بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم
على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى اراحني منكم والحقني بمن احب رويته ولو كان حيا لم
يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم وقال
عيسى عليه السلم يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا
وينشد في معناه

اری رجالا بادنی الدین قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتاتينكم
بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم يا موسى لا تركنن الى حب
الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي عليك اشد منها ومر موسى عليه السلم برجل يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب
عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران انه لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو
يحب الدنيا قال علي كرم الله وجهه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا
اولها من عرف الله تعالى فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة
فطلبها وقال الحسن رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ايتمنهم عليها ثم راحوا خفافا
وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمن عليه السلم لابنه
يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بعز
وجل وشراعها التوكل على الله تعالى لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل رحمه الله طالت فكرتي
في هذه الاية قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا
وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شي من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك
من الدنيا الا عشاء ليلة او غداء يوم فلا تهلك في اكله وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا
الهوى وربحها النار وقيل لزاهد كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد
الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وينشد

ومن يحمد الدنيا بعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها

اذا ادبرت كانت على المرء حسرة   وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زايلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطى احدا ما يستحق لكنها اما تزيد وتنقص وقال سفين اما ترى النعم كانها مغضوب عليها وقد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمن الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابى حازم اشكوا اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما اتاك الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى ابن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجى فياخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغنى انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذى عظم ما حقره الله تعالى وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل وما المال والاهلون الا وديعة ولا بد يوما ان ترد الودايع وزارت رابعة العدوية اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيا اكثر من ذكره وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا   فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه   وجاد بدنياه لما يتوقع

ازى طالب الدنيا وان طال عمره   ونال من الدنيا سرورا وانعما

كبان بنى بنيانه فاقامه   فلما استوى ما قد بناه تهدما

هب الدنيا تساق اليك عفوا   اليس مصير ذاك الى انتقال

وما دنياك الا مثل فىء   اظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمن يا بنى بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف ابن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله عز وجل جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمومن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقيل الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم وقيل فى معناه

يا خاطب الدنيا الى نفسها   تنح عن خطبتها تسلم

ان التى تخطب غدارة   قريبة العرس من المأتم

وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقد قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو فى ثياب صديق

وقال بعضهم

يا راقد الليل مسرورا باوله   ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

افنى القرون التى كانت منعمة   كر الليالى اقبالا وادبارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها   يمسى ويصبح فى دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة   حتى تعانق فى الفردوس ابكارا

ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها   فينبغى لك ان لا تامن النارا

قال ابو امامة الباهلى لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها ما ابالى ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدوا واروح عليهم بثلث باخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله تبع لهذا وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا امير المومنين صف لنا الدنيا فقال وما اصف من دار من صح فيها ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العذاب وقيل له مرة اخرى فقال كرم الله وجهه اطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال ابو سليمان الدارانى اذا كانت الاخرة فى القلب جاءت الدنيا تزحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا ليمة واللئيم يزاحم الكريم وهذا تشديد صعب عظيم ونرجوا ان يكون ما ذكره سنان بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والاخرة يجتمعان فى القلب فايهما غلب كان الاخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وهذا اقتباس مما قاله امير المومنين على بن ابى طالب حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما ترضى احديهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذى يمشون عليه ما يبالون اشرقت عليهم الدنيا ام غربت ذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه اله ان يعيش فيه يعنى التنعم فقال لا لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا احاسب عليها فى الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام استقبله ابا عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وساله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المومنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفين خذ من الدنيا لبدنك ومن الاخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرايل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب

منها اقرب من دار منباعد منها ۝ وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض
فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر ۝ وقال عمرو بن العاص وهو على المنبر والله ما رايت قوما قط
ارغب عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد منه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة الا
والذى عليه اكثر من الذى له ۝ وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال هذا قاله
من خلقها من هو اعلم بحالها منكم واعلمكم اياها وحالها وحذركم منها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة
الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل منها الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب ۝ وقال
ايضا مسكين ابن ادم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من
حرامه عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بذراهمه ولا يهتم بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته
فى دنياه ۝ وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات
فاجابه عمر السلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ۝ وقال الفضيل الدخول فى الدنيا هين
لكن التخلص منها شديد ۝ وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف
يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب
وقدم على معوية رجل من نجران عمره مايتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلا سنيات رجا
يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن
فيها فقال له سل ما شئت قال له عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال فلا حاجة
لى اليك ۝ وقال داود الطائى يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك فانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك
كان منفعته لغيرك ۝ وقال بشر من سال الله تعالى الدنيا فانما يسال طول الوقوف بين يديه ۝ وقال
ابو حازم ما فى الدنيا شئ يسرك الا وقد الزق اليه شئ يسوءك ۝ وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا
بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه ۝ وقيل لبعض العباد قد نلت
الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا ۝ وقال ابو سليمن لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان فى قلبه ما
يشغله بالآخرة ۝ وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا
ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى اى عذاب ان ينزل علينا ۝ وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير
الآخرة ۝ وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هى لاحد باهنا منها لمن اهانها ۝ وقال ايضا اذا اراد الله
بعبد خيرا اعطاه الله من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد عاد عليه واذا هان عليه عبد بسط الدنيا عليه
بسطا ۝ وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا عنى ۝ وقال محمد بن المنكدر ارايت
ان رجلا صام الدهر فلا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب محارم الله وعظم
الدنيا فى عينه فيوتى به يوم القيمة فيقال ان هذا عظمت فى عينه ما صغره الله وصغر فى عينه ما عظمه الله كيف
ترى حاله ثم منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا ۝ قال ابن حازم اشتدت
مؤونة الدنيا والآخرة فاما مؤونة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤونة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى

شئ منها الا وجدت واحدا قد سبقك اليه ۝ وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالى
تنادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضنى فيقول لها اسكتى يا لا شئ اسكتى يا لا شئ ۝ وقال
ابن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه ۝ وقال وهب بن منبه من فرح
قلبه بشئ من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدمه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عقله هواه فهو
الغالب ۝ وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا
ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا ۝ وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف
لو تحببت الينا ۝ وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل والآخرة لمن هى قال لمن طلبها ۝ وقال حكيم الدنيا دار
خراب واخرب منها قلب من يعمرها والآخرة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها ۝ وقال الجنيد كان الشافعى رضى الله
عنهما من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدين وعظ اخا له فى الله وخوفه الله تعالى فقال يا اخى ان الدنيا دحض
مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها الى القبور زاير شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف
الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله تعالى وارض برزق الله عز وجل لا تستلف من دار بقايك الى
دار فنايك فان عيشك فى زايل وجدار مايل اكثر من عملك وقصر من املك ۝ وقال ابن ادهم لرجل ادرهم فى المنام
احب اليك ام دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت فان الذى تحبه فى الدنيا كانك تحبه فى المنام
والذى لا تحبه فى الآخرة كانك لا تحبه فى اليقظة ۝ وعن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة
فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به ۝ وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى
تعبدوها واهلها ۝ وقال يحيى بن معاذ العقلا ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى
خالقه قبل ان يلقاه ۝ وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها ملهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها
وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن ۝ وقال سدار اذا رايتنا ابنا الدنيا
يتكلمون فى الزهد فاعلم انهم فى سخرة الشيطان ۝ وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها يعنى الحرص حتى يصير
رمادا ومن اقبل على الآخرة طفئته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران
التوحيد فصار جوهرا لا احد لقيمته ۝ وقال امير المومنين على انما الدنيا ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس
ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء ويستوى فيه
البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف
المنكوحات المراة وهى مبال فى مبال والله ان المراة لتزين احسن شئ فيها ويراد اقبح شئ منها واطيب المشموم المسك وهو
دم الغزال

بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا
فانها غدارة خداعة وقد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم باما نيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية
العيون اليها ناظرة ۝ والقلوب عليها عاكفة ۝ والنفوس لها عاشقة ۝ فكم من عاشق لها قتلت ۝ ومطمئن اليها
خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوايقها ۝ وذمها خالقها ۝ جديدها يبلى ۝ وملكها يفنى

وعن برها يذل وكبيرها يقل وحيها يموت وحيها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال ان
عليل او مدنف ثقيل فهل على الدوآء من دليل او هل الى طبيب من سبيل فيدعى لك الاطبا ولا يرجى لك الشفا ثم
يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال وقد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك
وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل هذا ابنك
فلان واخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فما ينطلق ثم حل بك القضا وانتزعت نفسك
من الاعضا ثم عرج بها الى السمآء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع
عوادك واستراح حسادك فانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك   وقال بعضهم لبعض
الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطى حاجته فيها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه
او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من
احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي
تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطآء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره
في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا
وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن وليست بدار اقامة وانما انزل اليها آدم عليه السلم
عقوبة فاحذرها يا امير المومنين فان الزاد منها تركها والغنا منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من
جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهي حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدوآء
مخافة طول البلآء فاحذر هذه الدار الغدارة المحتالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت
بآمالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة
وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله حين اخبره عنها مدكر
فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت اليه وكثرت
حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته فكم من راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم
يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما يكون فيها احذر ما
يكون عليها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار منها لاهلها غار والنافع فيها
غدا ضار وقد وصل الرضا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى الفنآء فسروره مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما
ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على
خطر ان عقل ونظر وهو من النعمآء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا
لكانت الدنيا ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله
جل وعلا قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها فابى ان يقبلها
اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها
لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم حين

شد على بطنه الحجر ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جلت قدرته ان الله تعالى قال لموسى عليه السلم اذا رايت الغنى مقبلا فقل
ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت فاقتد بصاحب الروح والكلمة عيسى
ابن مريم عليهما السلم كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتا مشارق الشمس وسراجي
القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض امسي وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على الارض احد
اغنى مني   وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلم الى فرعون فقال لا يروعكما لباسه
الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما
هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما
لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي
الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم
علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تنبت في
قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم
التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم الذي بها يعرفون فاذا لقيتهم
فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم
القيمة   ومن خطب علي كرم الله وجهه ايها الناس اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على
اعمالكم ومجزيون بها فلا يغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلآء محفوفة وبالفنآء معروفة وبالغدر موصوفة وكل
ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها في رخآء
وسرور اذا هم منها في بلآء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما
اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتحطمهم بحطامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا
عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر
ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم
عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة
فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون
تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله
البلى واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا
التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وكان
قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف
بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب
لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس ما
كسبت ان الله تعالى يقول ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى

الجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه واحبابه حتى تحلنا واياكم دار المقامة من
فضله انه حميد مجيد رحيم ودود ۞ وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه
ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام وسرعة الليالي في بدنك
لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك
ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد لذة لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد
اعيت الواصفين لعيوبها بظاهر افعالها وما يأتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله تعالى
رشدا الى الصواب ۞ وقال حكيم وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك
لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته
واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول
والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور ۞ خطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان
كنتم تصدقون به وتفعلون ما يظهر من افعالكم فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانتم هلكى انما خلقتم للابد هاهنا
ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا تصفو لكم نعمة
تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم اليه صائرون وفيه خالدون ثم غلبه البكاء ونزل
وقال علي كرم الله وجهه في خطبة له اوصيكم بتقوى الله تعالى والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها
المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا
الى علم وكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم من الدنيا وطالب حثيث
يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب دنيا
والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه ۞ وقال محمد بن الحسن لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان
الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من
الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة انها
باقية فتزودوا منها كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا انهم ۞
سينظرون اليها باعينهم وارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم اليها سيرتحلون بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا
طويلا وكل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم ۞ سبحان المنان بفضله وكرمه

بيان صفة الدنيا بالامثلة

اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة
سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها
ومثالها الظل فانه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة
وانشد الحسن لما ذكرت عنده الدنيا ۞ احلام نوم او كظل زائل ۞ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ۞ وكان الحسن

بن علي عليهما السلام يتمثل ويقول ۞ يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ۞ ان اغترارا بظل زائل حمق ۞ وكان يرى انه من
قوله ۞ ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقلعوا الخيمة
ورحلوا فاصابته الشمس فانتبه يقول ۞ الا انما الدنيا كظل بنيته ۞ ولا بد يوما ان ظلك زائل ۞

مثال آخر الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام
واضغاث احلام وينشد ۞ وان امرأ دنياه اكبر همه ۞ لمستمسك منها بحبل غرور ۞ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون ۞ وقال يونس بن عبيد ما شبهت في
الدنيا نفسي الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه ۞ وكذلك الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به ۞ وقيل لبعض الحكماء اي شيء
اشبه بشيء بالدنيا قال احلام النائم ۞

مثال آخر الدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها
اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى
اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي عن عيسى عليه السلام انه كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شمطاء عليها
من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت
فقال عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكيهم واحدا واحدا ولا
يكونون منك على حذر ۞

مثال آخر الدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها ۞ اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر
قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا مزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها
تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها ۞ قال العلاء بن زياد
رأيت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها يتعجبون منها وينظرون
اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت او ما تعرفني قلت
ما ادري من انت قالت انا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم
وقال ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون
ويرقصون فلما قابلتني قالت لو ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهؤلاء ثم بكا ابو بكر وقال رأيت هذا
قبل ان ادخل بغداد ۞ وقال الفضيل قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها
بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال
هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام بينكم وتحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم
فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها ۞ وقال الفضيل
بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها
احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآها الناس فاذا اقبلت كانت اقبح شيء رآها الناس عجوز
شمطاء زرقاء عمشاء قال قلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال
فقلت من انت قالت انا الدنيا ۞

مثال آخر الدنيا وعبور الانسان بها ۞ اعلم ان الاحوال ثلثة

حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا يكون فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى
الابد وحالة متوسطة بين الازل والابد وهي ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي
الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي
وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صايف فرفعت له شجرة فقال في ظلها ساعة ثم راح
وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف تقضت شبابه في ضر وضيق او في سعة
ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على
قصبة ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال عليه السلم ارى الامر اعجل من هذا فانكر ذلك والى هذا اشار
عيسى عليه السلم حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر
الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة قريبة محدودة فمن
الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل
عنها وكيف ما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل
والخذلان مثال آخر للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوايل امور الدنيا تبدو وا
هينة لينة يظن الخايض فيها ان حلاوة حفظها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج
منها مع السلامة شديد وقد كتب علي كرم الله وجهه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه مثالها فقال مثل الدنيا
مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها دع عنك همومها لما ايقنت
من فراقها وكن اسر ما يكون فيها احذر ما يكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصته عنه مكروه
مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص منها ومن تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل
صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا
انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان
بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بلا لا محالة يلتصق بالقدم
فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال
عيسى عليه السلم بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ باكله من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا
لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب
وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق اذا
لم يتخرق او يتحلل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم يخرقها الشهوات ويدنسها الطمع او يقسها
النعيم فسوف يكون اوعية للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل
احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله فاذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال آخر لما بقي من الدنيا
وقلتها بالاضافة لما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله
الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال آخر لتاديه علايق الدنيا بعضها

الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلم مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا
حتى يقتله مثال آخر لمخالفة اول الدنيا آخرها وآخرها اولها وانظارة اوايلها وخبث عواقبها
اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا
في قلبه من النتن والكراهة والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان
الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى
فنتنها وكراهيتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في دار الدنيا مشاهدة فان من نهب داره واخذ ولده وماله
فتكون فجيعته ومصيبته والمه في كل ما فقده بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه وكل ما كان عند الوجود
اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقرح ثم تشرب عليه اللبن والماء
قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال عليه السلم فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا
لما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا
لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال عليه السلم ان الله تعالى ضرب الدنيا
لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رايتهم يطيبونه
بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى
رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك واستحيي فقال لا تستحيي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته
وقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ما صار وكان بشر بن كعب
يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثماركم ودجاجكم وعسلكم وسمنكم
مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل
ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ذا يرجع اليه مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيمها
وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت
بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا
في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن واليتها واوفقها
لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ونسي السفينة وعجلتها وجعل ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة ورياضها
الملتفة وطيورها ذات النغمات الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلتقط من احجارها وجواهرها ومعادنها
المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجايب صورها
ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك
الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة من الحجارة فلم يجد في السفينة
الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه فلم يقدر على رميه ولم يجد
في السفينة مكانا لوضعه فحمله على عاتقه وهو متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الرياض

ونسي المركب وسيرہ عاجلا وبعد في متفرجه ومتنزهه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل الثمار واشمام
تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار والتنعم لتلك الازهار والانوار من تلك الاشجار وهو مع ذلك خايف
على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك متشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه
وشوكة تدخل في رجله ويد او صوت هايل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف
لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا
وعطشا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع وبعضهم من تاه فهام على وجهه حتى
هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل
ما اخذ من الازهار وشغله من الحجارة المزججة فقد استرقته به واشغله الحزن لحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت
عليه مكانه فلم يلبث ان ذهبت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن ريحها فصار مع كونه مضيقا عليه مؤذيا
له بنتنه ووحشته فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هاربا منها وقد اثر فيه ما قد اكل منها فلم ينته الى الوطن الا
بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروايح والاطعمة فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى
بضيق المكان مدة قريبة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما
فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظ العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم
وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا
وشي منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال
الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم يقول الله عز وجل في تحذيره
اياهم غوايل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا فيها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا
بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء
فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما
انتم عليه قالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض ورياحين خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيا
قال اعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله تعالى لا يعصونه شيا قال فاوردهم ماء
رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله عز وجل ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى
ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم يا هذا والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع
بعيش خير من هذا وقالت طايفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيا
وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا
بين اسير وقتيل مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من
الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره
فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليستملكه ويأخذه فجهل رسمه فظن انه قد

وهب ذلك منه وتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع وشكره ورده بطيبة
قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله تعالى في الدنيا علم انها دار ضيافة قد سبلت على المجتازين لا على
المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند
فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوايلها

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان تجتنب منها وما الذي لا
يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله تعالى ما هي فنقول
دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي
المتاخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت وكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة
فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام

القسم الاول

يصحبك الى الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم
بالله تعالى وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه صلى الله
عليه وسلم واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده
فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا
الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها
بحيث لو منع منها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين
قيام الليل وقال آخر اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه
العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة
ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة
فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم المشاهدة والشهادة
وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في
هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا

القسم الثاني

وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات
الزايد على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب
ولذات الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي
عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر ابن الخطاب امير
المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي
هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات رحمه الله فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه

القسم الثالث

وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت

من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التى بها يتوصل الى العلم
والعمل فهذا العيش من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد من
الدنيا على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن فيه متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه
الحظ العاجل دون الاستعانة به على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا
ثلث صفات صفاء القلب اعنى طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله جل اسمه وصفا القلب
وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى بالمواظبة عليه والحب
لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلثة هى المنجيات المسعدات بعد
الموت وهى الباقيات الصالحات لها طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهى من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد
وبين عذاب الله تعالى كما ورد فى الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام
الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث كله واما الانس والحب فهما من
المسعدات وهما موصلات العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل
اوان الرؤية فى الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب
واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق فافلت من السجن وخلى
بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا معذبا ولم
يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة فى الرجوع اليه
ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله
تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهى الذكر والفكر والعمل الذى
يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن
لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذى لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه
العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى
قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين فى حظوظها الا ان الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه
للعذاب فى الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك
حلالا والبصير يعلم ان طول الوقوف فى عرصات القيمة لاجل الحساب والمحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش فى
الحساب فقد عذب اذ قال النبى صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقال ايضا حلالها
عذاب يعنى الحساب فان الحساب عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت
من الدرجات العلى فى الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا
عذاب وقس به حالك فى الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك
عليه حسرة مع علمك بانها سعادات متصرمة لا بقاء لها ومنغصات بكدورات لا صفا لها فما حالك فى
فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت

من طاير

من طاير او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه فى الآخرة اضعافه وهو المعنى بقوله صلى
الله عليه وسلم لعمر هذا من النعيم الذى تسئلون عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل
وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعزلوا عنى
حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره فى كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها
وكثيرها حلالها وحرامها ملعون الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته
اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل
له ابليس وقال يا ابن مريم رغبت فى الدنيا وحتى ان سليمن عليه السلم فى ملكه كان يطعم الناس لذائذ
الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر على لذائذ
الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى
اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلاء على الانبياء والاولياء ثم الامثل
فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه
ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله عز وجل
فهو للدنيا وما هو لله تعالى فليس من الدنيا فان قلت فما الذى هو لله سبحانه وتعالى فاقول
الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات وانواع
التنعمات فى المباحات وهى الدنيا المحض المذمومة فهى الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله تعالى
ويمكن ان تجعل لغير الله تعالى وهى ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن
عليها باعث سوى امر الله تعالى واليوم الآخر فهى لله تعالى وليست من الدنيا فان كان الغرض من الفكر طلب العلم
ليشرف به وطلب القبول من الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة
البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته
لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد
حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا
قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا
عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذن الدنيا
حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهى ما جمعه الله تعالى فى قوله انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والاعيان التى منها تحصل هذه الخمسة سبعة
يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى فليس من الدنيا
وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله سبحانه ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه

نعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة
فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يتاخم جانب التنعم ويقرب منه فينبغي ان يحذر وبينهما
وسائط ومنها مشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقريب والتقوى من حد
الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا
القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم وكان ياتي عليهم
السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها نظرا لانه كان يخرج الى المسجد اول الاذان ويعود العشاء الآخرة
وكان طعامه ان يلقط النوى وكلما اصاب الحشف خباها لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق
بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يجد على المزابل
يلتقط من قطع الاكسية يغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك لباسه وكان
اذا مر به الصبيان فيرجمونه بالحجارة يظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار
صغار فاني اخاف ان تدموني فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت احواله وسيرته ولهذا اعظم رسول الله
صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر رضي الله عنه
قال ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقام جماعة فقال اجلسوا الا من كان من مراد فقام جماعة
فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلس كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف
اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسال عن ذلك يا امير المومنين والله ما فينا احمق منه
ولا اجن منه ولا اخوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول
من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى وجدته على شاطي الفرات نصف
النهار يتوضا ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت الذي نعت لي به فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث
اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر فسلمت عليه فرد علي السلم ونظر الي فقلت حياك الله من رجل
ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت يا اويس رحمك الله كيف انت غفر الله لك ثم خنقتني العبرة من
حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت
يا اخي ومن دلك علي قلت الله تعالى فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين
عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك اليوم ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم
قال نبائي العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد
وان المومنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله تعالى وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نات بهم
الدار وتفرقت بهم المنازل قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك
قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله ولكن رايت رجالا قد
صحبوه وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا

مطلب

في منقبة اويس بن عامر القرني [illegible]

في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي آية من كتاب الله تعالى اسمعها منك وادع لي بدعوات
واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله فقام واخذ بيدي على شاطي الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى وقال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه
ثم قرا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم
فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى الجنة او
نار ومات ابوك آدم ومات امك حوا ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الله يا ابن حيان ومات
داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال قد
نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا
بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونعي الصالحين المومنين فقد نعيت
الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم
وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيمة
ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي
في دارك دار السلم واحفظه ما دام في الدنيا حيا حيث ما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما
اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال
استودعك الله يا هرم والسلم عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة
والوحدة احب الي لاني كثير الهم شديد الغم مع هولاء الناس حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم بانك مني على بال
وان لم ارك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت هاهنا وانطلق انا هاهنا
فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقني وبكى وابكاني فجعلت انظر وراءه حتى دخل بعض السكك ثم سالت عنه
بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت
بما سبق من بيان الدنيا وعن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كلما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان
لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كلما اريد به الله عز وجل فما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل
قوة طاعة الله عز وجل فذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا المثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل
بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكلما لا بد للحاج منه لم يحنث في يمينه
ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب للنفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته
على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد لذة البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب
كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة سبعة ايام طاويا فسمعت
الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين
قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت

همهم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومواردهم   اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان
فيها حظ وله فى اصلاحها شغل فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة
التى الدنيا عبارة عنها فهى الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على
الارض ثلثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمى للاقتيات والتداوى   واما
المعادن يطلبها الآدمى للآلات والاوانى كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من
المقاصد   واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب
والزينة   واما الانسان فقد يطلب الآدمى ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع
بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذى يعبر عنه
بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هى الاعيان التى يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى فى قوله
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا
من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللالى واليواقيت والخيل المسومة والانعام هى البهائم
والحيوانات والحرث هو النبات والزرع فهذه هى اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة
مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا
ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والريا والسمعة
وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التفاخر والتكاثر وهذه هى الدنيا الباطنة   واما الظاهرة
فهى الاعيان التى ذكرناها   العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح
لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم
ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه
وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان الاعيان التى سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التى
يسير بها الى الله تعالى واعنى بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل فى طريق
الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد فى نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذى يقف فى
منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع
الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية
فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا بالقدر الذى يقوى به على المشى فيتعهده
وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق
بين ادخال الطعام فى البطن وبين اخراجه من البطن فى ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل فى
بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضرورى وامر المسكن
والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم

لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها
ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا بكثرة الاشغال فنسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال
الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف
صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول   الاشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات
والاعمال التى ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلث القوت والمسكن
والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد والمطر ولدفع اسباب
الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله تعالى القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة
الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه فيستغنى
عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فيستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة
لذلك الى خمس صناعات هى اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص
والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة
للمطعم والرعاية للمواشى والخيل وهو ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعنى به تحصيل ما خلقه الله تعالى
من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعى يحفظ الاموال ويستنتجها والمقتنص
يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمى وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمى
ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات
وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما تؤخذ اما من النبات وهى الاخشاب او من المعادن
كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة
والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعنى بالنجارة كل عامل على الخشب كيف ما كان وبالحدادة كل من يعالج
جواهر المعادن حتى النحاس والابرى وغيرها وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز
فنعنى به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش
وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان
ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثانى التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية
الولد فان الاجتماع يفضى الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس
يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد فى المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل
كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها ويحتاج الآلة الى
حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن
وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع
ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل
اهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران عن اللصوصية

ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارجة المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون
والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل والبلاد وتعاملوا فتولدت منهم الخصومات اذ يحدث ولاية ورياسة للزوج
على الزوجة وولاية الابوين على الولد لضعف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة
بخلاف الولاية على البهايم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين
هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا
وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا
محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض وهرم وتعوض عوارض مختلفة لو ترك ضايعا
هلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فيحدث بالضرورة
من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماعات صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض
ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة
الحكم والتوصل الى فصل الخصومة والتوسط بينهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي
ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات
وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم
والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل
اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب
القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال
الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنايم ان كانت الغزوات مع الكفار فان كانوا اهل ديانة
وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد
باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج فيتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات
اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق
وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل
وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط لانخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى
ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطايه
واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقايد على كل طايفة منهم
الى غير ذلك من صناعات الملك فتحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم
بالعين الكالية ويدبرهم الخزان والحساب والجباة والكتاب والعمال ثم هؤلاء ايضا محتاجون الى معيشة
لا يمكنهم الاشتغال بالحرب فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا
تكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف
والثالث المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف بدا الامر

من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة
ابواب اخر وهكذا يتناهى الى حد غير محصور كانها هاوية لا نهاية لها ولعمقها ومن وقع في مهواة منها وسقط منها
الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة
عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم
الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات
الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب آلة الاصطياد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة للحرب ثم يحدث
من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاح والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها
الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ
منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بالالة ربما لا يحتاج الفلاح في
ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت
فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة يتربص بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابنار
يجمع اليه ما يحمله الفلاحون من الطعام فيشتريه منهم صاحب الابنار ويتربص بها ارباب الحاجات فيظهر لذلك
الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار
ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة من البلاد والقرى تردد فترد
الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد والقرى الالات وينقلون ويتعيشون به لتنتظم امور البلاد بسببهم اذ
كل بلد ربما لم يوجد كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار
المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع الاموال فيتعبون طول النهار والليل في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم
منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما
للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم
لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي
تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة بينه
وبين مالك الدابة يسمى اجارة ويصير الكرى نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقد
فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس
مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين
يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم
وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ومست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير
فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى
ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء
وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف

فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان
من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم في
استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويكابرون
ويقطعون الطريق كالاعراب واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة
الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة
الى استنباطها فاما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة
فلا يعطى فافتقروا الى الحيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز
اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن
والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابته من غير استحقاق ليكون ذلك سببا للرحمة
وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا فيتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل
من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة
والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر
الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل
اهل البيت والذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق او تسليم ما يشبه العوض
وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بايعه انها ادوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب
القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان
غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق
الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة
ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد
ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطائفة
غلبهم الغفلة والجهل فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى
نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا وهذا مذهب
الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب
نهارا وذلك كسير السواني فانه لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود
ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن والفرج
فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم
اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله تعالى واليوم الآخر وطائفة ظنوا ان السعادة
في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل
والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص

وهذه لذتهم في ذلك ودابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات
واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك من غيرهم ولا يعتبرون
وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون
في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب
النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ذلك هو
السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موضع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة
بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد
الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم
فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلوب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء
شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله عز وجل وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء
طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى
جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت
بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لا يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه
الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم
بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه
سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له
وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به
الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين في اشغال
الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى
انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء
تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب عباد
من طوائف الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا
وبلائها ووصول الى سعادة الآخرة واخطوا الطريق وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا
من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة
وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق
العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية وظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع
في الزندقة والالحاد والكفر وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله تعالى وحده وان الله مستغن عن عبادة
العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط
الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم ومعرفتهم بالله تعالى واحسانه فاسقطوا عن انفسهم بجهلهم

التكلف والعبادات حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن طايفة اخرى ان المقصود من
العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن
الوسيلة والحيلة والتكليف فتركوا السعى والعبادة وزعموا انهم ارتفع محلهم فى معرفة الله عن ان يمتهنوا بالتكليف
وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هايلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا
وسبعين فرقة وانما الناجى منها فرقة واحدة وهى السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات
فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يطلب كل شى
من الدنيا ولا يترك كل شى من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت
ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك ما يمنع من الحر
والبرد حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همته فاشتغل بالعبادة والذكر والفكر طول العمر
وبقى ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع فى التقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا
بالاقتدا بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه لما قال عليه السلم الناجى منها واحدة قالوا يا رسول
الله ومن هم فقال عليه السلم اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال عليه السلم ما انا عليه
واصحابى فقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل
للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك
قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع تم كتاب ذم الدنيا

كتاب ذم المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين مما صنفه الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذى خلق الخلق
ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال ورددهم فيها بين
اليسر والعسر والغناء والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص
والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف بالمفقود والايثار والانفاق والتوسع
والاطلاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا
وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة
على محمد الذى نسخ بملته مللا وطوى بشرايعه اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبل ربهم ذللا
وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف
لكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة
لاحد منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذى

لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهى لا تخلو من الفوايد والآفات وفوايدها من المنجيات وآفاتها
من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المسايل الغوصات التى لا يقوى عليها الا ذوو البصاير فى الدين
من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا
لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة فالدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا
والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب
العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل فهو من الدنيا ونظرنا الآن فى هذا الكتاب
فى المال وحده اذ فيه آفات وغوايل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان
يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص
حالتان طمع فيما فى ايدى الناس او تشمر فى الحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين
وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والاخر محمود وللمنفق حالتان تبذير
واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرحه
فى اربعة عشر فصلا وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوايد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع
ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء
ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظايف فى المال ثم ذم الغنى
ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال الهاكم
التكاثر وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف
ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلم ما ذيبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا
فيها من حب المال والجاه فى دين الرجل المسلم وقال عليه السلم هلك الاكثرون الا من قال به فى عباد
الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اى امتك اشر قال الاغنياء وقال عليه السلم
سياتى بعدى قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب
والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا
يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الاههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون
فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود
مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال عليه السلم
دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال عليه السلم يقول ابن
آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال
رجل يا رسول الله ما لى لا احب الموت قال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان

قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه ۝ وقال عليه السلام اخلاء ابن آدم ثلثة
واحد يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فماله والذى يتبعه الى
قبره فاهله والذى يتبعه الى محشره فعمله ۝ وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك
فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندى والمدر سواء ۝ وكتب سلمان الى ابى الدرداء
رضى الله عنهما اياك يا اخى ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء
بصاحب الدنيا الذى اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله تعالى
فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا
اديت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكلما ذكرناه فى كتاب الزهد والفقر فى ذم الغنى ومدح
الفقر يرجع جميعه الى ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد فى المال خاصة ۝ وقال
عليه السلام اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف ۝ وقال عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا
الدنيا

الآثار

روى ان رجلا نال من ابى الدرداء رضى الله عنه واراه سوءا فقال اللهم من فعل بى سوءا فاصح
جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضى
الى الطغيان ۝ ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عنى لا تنفعنى ۝ وروى ان عمر ارسل
الى زينب بنت جحش رضى الله عنها بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت
سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمتها فى اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركنى عطاء
عمر بعد عامى هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به ۝ وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد
الا اذله الله ۝ وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما
فهو عبدى حقا ۝ وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار ۝ وقال يحيى بن معاذ
رحمه الله الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه
فى حقه ۝ وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فابغض الدينار
والدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هى الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا
ولذلك قيل

انى وجدت فلا تظنوا غيره ۝ هذا التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته ۝ فاعلم بان تقاك تقوى مسلم

وقيل ايضا
لا يغرنك من المرء قميص رقعه ۝ او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ۝ ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه
احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلثة عشر من الولد فقال عمر اقعدونى فاقعدوه فقال اما
قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فانى لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى احد رجلين اما مطيع لله
تعالى فالله كافيه وهو يتولى الصالحين واما عاص لله تعالى فلا ابالى على ما وقع ۝ وروى ان محمد بن كعب القرظى اصاب مالا
كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى ادخره لنفسى عند ربى وادخر ربى لولدى ۝ وروى ان رجلا قال

لابى عبد ربه يا اخى لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من مائة الف درهم ۝ وقال يحيى بن معاذ مصيبتان
لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله ۝ والله اعلم

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا فى مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال
الصالح للرجل الصالح وكلما جاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به ۝ وقال تعالى
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ۝ وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة
المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه شر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم
من حيث هو شر وانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم
مرة ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل
درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة التى هى النعيم الدائم والملك المقيم
والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم قال اكثرهم للموت ذكرا
واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل
البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم
الخارجة والخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان
لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هى الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانما تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق
لتحصلها صفة فى ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق
ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق
ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التى هى ضرورة
بقاء البدن الذى هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشئ وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية
ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا فى حقه فاذن المال آلة ووسيلة الى
مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهى المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل
العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم
فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات
القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فلم يطلب من الدنيا الا
ما يتمحض خيره وقال اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واستعاذ ابرهيم عليه السلام فقال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية فى شئ من الحجارة وانما
يعنى عبادته حبه والاغترار به والركون اليه وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا
انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله تعالى فهو عابد

صنم وهو مشرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقل ما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النملة وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشترك بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلثة انواع

النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على العبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال فهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ الى الدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط

النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها فيما تقدم واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب صفة الاسخياء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران

النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية

واما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة **الاولى** انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم يتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء

الثانية انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا اليه لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينبني عليه الحقد والحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه

الثالثة وهي التي لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام ان في المال ثلث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما تقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه والى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوف الى الكثير او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه ائتنا وتعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله تعالى يقول انا انزلنا المال لاقام
الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا من الذهب والفضة لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان الثاني لاحب ان يكون
اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة
ثم رفعت وحفظ منها ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا
ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم
ومنهوم المال وقال عليه السلم يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان الامل وحب المال وكما قال ولما كانت هذه جبلة
الآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال عليه السلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه
كفافا وقنع به وقال عليه السلم ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال عليه السلم
ليس الغنى كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب
فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلم
سأل ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء
وعلى الدنيا الدمار وقال صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واقطع اليأس مما في
ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا
تبايعون رسول الله وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه
فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك فقال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا
وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان
يناوله اياه قال عمر رضي الله عنه ان قلة الطمع وان اليأس غنى وانه من يأس عما عند الناس استغنى
عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل العيش ساعات تمر
وخطوب ايام تكر اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانتحر فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر وكان
محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا بها
وخير ما ابتليتم بها ما خرج من ايديكم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل
يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم تدخلك النار وقيل لحكيم
ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال يا ابن آدم لو
كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك
محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره

فانما يأتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت
حاجتي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل
وايما اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر
وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنع واصبرهم على الاذى الحريص اذا
طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقيل

ارفه ببال فتى امسى على ثقة ... ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في دهره شيئا يؤرقه

حتى متى انا في حل وترحال ... وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا ... عن الاحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا او مغربها ... لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ... ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي
وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل لي ذلك ام لا
كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية الى القناعة وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال
يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك
وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقد قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا ... على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما ... اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت
والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلث خصال هي خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا
في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن
على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت
فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال
فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل
لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا
فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع
الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك قيد في رجلك

فاخرج الرجا من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد الترمذي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب
فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن
بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشد

اذا سد باب عنك من دون حاجة … فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملاءه … ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب … ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد ان وعوها وعقلوها قال الطمع وشره
النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في شيء فيطلبه فيذهب عليه دينه
واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان تفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة
فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا اذا مررت به سلمت
عليه وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده لله ولو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا
خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في
ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال
عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا هو ياتيها
بالطحين واوما بيده الى رحا اضراسه والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان العلم والعمل والصبر ومجموع ذلك خمسة امور **الاول** وهو العمل
الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه
ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب
واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا
القدر فان هذا القدر يتيسر لذي جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة
ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال
عليه السلام ما عال من اقتصد وقال عليه السلام ثلاث منجيات خشية الله تعالى في السر والعلانية والقصد في
الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض ويقول ان من
فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي
الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد
اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل
الله فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا
ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له

لا بد وان ياتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله
تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول ان لم
تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب
خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم التعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي
مثله قيل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله … مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان
تلده امه احمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له
لا يكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وقال عليه السلام الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما
كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن
ثقته بتدبير الله في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق
العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد
عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال عليه السلام ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من
حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك فاقدا الضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين
ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال
لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن اعجله قبل اجله
ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا منهما هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري
مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره
بالفقر **الثالث** ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك
انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر
عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك فيما يضاف اليه نظر الناس وفيه
الوبال والمآثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر
عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان وقد قال عليه السلام عز المؤمن استغناؤه عن الناس
ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره
واحسن الى من شئت فانت اميره **الرابع** ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى
من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين
وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او
على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير
ثم ينظر انه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس
والخيل ففي اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء

الخامس

ان يفهم ما في جميع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب
والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال والحسرات عند الموت مع ما يفوته من
المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج عن جريدة الفقرا
ويتم ذلك بان ينظر ابدًا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدًا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه
فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من دونه
فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم
فلم تريد ان تتميز عنهم بالشقاء قال ابو ذر اوصاني خليلي عليه السلام ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي
في الدنيا وقال ابو هريرة قال عليه السلام اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر
الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر
الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلايل للتمتع دهورًا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدوا
لشدة طمعه في انتظار البقاء

بيان فضيلة السخاء

اعلم ان المال ان كان مفقودًا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودًا فينبغي ان يكون حاله
الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول
النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخا شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض
من اخذ منها غصنًا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه
السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم
وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا
له الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة وقال
عبد الله بن عمر قال رسول الله عليه السلام خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما
الله فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرًا استعمله على قضاء
حوايج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال
ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيًا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن
كان شحيحًا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت رضاي فيهم ورحمتي
ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير فان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملايكة وقال
عليه السلام ان الله تعالى جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم لم يسال على الاسلام شيا الا اعطاه فاتاه رجل فساله فامر له بشاء كثير من شاء الصدقة
فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله عبادًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره
وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بني العنبر وامر بقتلهم وافرد منهم رجلًا فقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه السلام نزل
علي جبريل فقال اقتل هولاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاءه وقال عليه السلام ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف
تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء
وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله عليه عظمت حوايج الناس اليه فمن لم يحتمل تلك المونة عرض تلك النعمة للزوال
وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شي لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشة قال صلى الله عليه
وسلم الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار وجاهل سخي احب
الى الله من عابد بخيل وادوا الداء البخل وقال عليه السلام اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان
اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال عليه السلام ان بدلاء امتي لا يدخلون الجنة
بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل للمعروف وجوهًا من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب
المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به اهلها وقال عليه السلام كل معروف
صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له صدقة وما انفق الرجل من
نفقة فعلى الله خلفها وقال عليه السلام كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال
عليه السلام كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري
فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع
ركايب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه السلام ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت
قال علي كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها ... فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وسال معوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه
بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع
بالمعروف قبل السوال والاطعام في المحل والرافة بالسايل مع بذل النايل ودفع رجل الى الحسين بن علي
رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال
يسالني الله تعالى عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا

بشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب فقيل من سيدكم قال من احتمل مشتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا
وقال زين العابدين من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا
ينازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه ثواب الله تعالى تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء قال ان تجود بمالك
في الله تعالى قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق
رضي الله عنه لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله تعالى يقول اني
جواد كريم لا يجاورني لئيم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة ٥
وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلا في يده درهم
فقال لمن هذا الدرهم فقال لي قال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل

أنت للمال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك

وسمي واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس في الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن
ابن علي الى الحسين بن علي رضي الله عنهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقي العرض وقيل لسفين
ابن عيينة ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابن بعضهم خمسين الف درهم فبعث بها
الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلوتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود
في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من
كثرت ايادي عنده قال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي
عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا
ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة او دع

فقال عبد الله بن جعفر هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان
اصاب اللئام كنت له اهلا

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام دره وكانت تخدم عائشة
رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين قيل انه كان ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت
تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام دره ما استطعت فيما
قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل
ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملأوا عليه الدار
فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر عبد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها
حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا وقال عبد الله لوكلائه اموجود لنا كلما اردت قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل
يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف من المدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقاه ولا تسلم
عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد لنا من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا

عليه بختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكروا له حاله فقال
اصرفوه بما عليه الى ابي محمد يسوقونه الى المدينة وهي قريبة وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى
المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء
فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة
الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك لا تضيق على نفسك وانت حدثتني
وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم
ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله تعالى الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم
قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي بالحديث احب الي من الجائزة ومن مائة الف اخرى وسأل رجل الحسين بن
علي كرم الله وجهه حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك الذي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن
نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال
والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله
وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا فقال ما فعل
الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك
فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجو ان يكون
لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا
ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم
وادخلهم داره وفتح صندوقا واخرج منها ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله
عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما نشغل به مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من
التكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال
والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم
فرهنهم لها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم
الى من لم ينله صلاته ليقتسموها وكان ابو طالب بن كثير ساعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلة
بموضع كذا قال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه
بعض الشعراء فقال للشاعر ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها
ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس
وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال
يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي
يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقرأها فاذا عليها مكتوب هذا البيت

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع

قال فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة
تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرا ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما
اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه فخرج فلما كان اليوم الثالث قراء ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد
فقال معن حق ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي دينار ولا درهم   وقال ابو الحسن المداينى خرج الحسن والحسين وعبد الله
ابن جعفر سلام الله عليهم حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها مفرده فقالوا هل من شراب
فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل
من طعام فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات
لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين
فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الزوج وقال ويلك
تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم يقولون نحن نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلوها
وجعلوا ينقلون البعر اليها ويبيعان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز
وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله تعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا
قالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شيا الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف
دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا
بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي
دينار فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت الى زوجها باربعة الف شاة
واربعة الف دينار   وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى
الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي
واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى المنزل ثم دعا بالف دينار فدفعها الى
الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك   وحكى ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة
فنزلوا عند قبره وقد جاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل
لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وقد كان خلف السخي الميت نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم
نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه
ثج الدم من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان
اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان فيكم باسم ذلك الرجل فقال انا
فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا
نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه   وقدم رجل من قريش
من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل
لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من

الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك
فابكاني   واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل
سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء يبكون قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا
وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس خمس مائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب
فقال له اعطيته خمس مائة دينار وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي في كل يوم من غلتي الف دينار
فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكى انه لم يجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار   وروى ان امراة
سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل انها تقنع باقل منها فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر
النعمة علينا   وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا   وقال الاعمش اشتكت شاة
عندي وكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني عنها هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ
فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الدار اكثر من ثلثمائة دينار من
بره وانا استغفر الله حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا   قال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجه بلغني عنك خصال فحدثني
بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك لا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي
جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني
شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه   ودخل سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا
لم يجد شيئا كتب لمن ساله الصكاك على نفسه حتى خرج عطاؤه فلما نظر سليمن تمثل بهذا البيت

اني سمعت مع الصباح مناديا   يا من يعين على الفتى المعوان

ثم قال ما حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله   وقيل مرض قيس بن سعد
ابن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله ما لا يمنع الاخوان من الزيارة
ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده   وعن ابي اسحق
قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل
هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين   وقال الشيخ
ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة قال كان بمصر رجل عرف بان
يجمع للفقراء شيئا فولد لبعض الناس ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم
يفتح له بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم على جماعة وكلفتهم دفع شيء
لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام واخرج دينارا وكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح الله لك بشيء
قال فاخذته وانصرفت واصلحت ما اتفق لي به قال فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في المنام فقال سمعت
جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن ائت منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمس مائة دينار
واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا
الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا

عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا واكرم بنصفين فاعطاه النصف الذي قرضه
وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء قال ابو سعيد فلا ادري اي هولاء اسخى وروى ان الشافعي رضي الله
عنه انه لما مرض مرض موته فقال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ايتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر
فيها فاذا على الشافعي سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعيد
الواعظ الخركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم فرايت فيهم سيما
الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته عليهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي
لا ازال احب حماد بن ابي سليمان لشيء بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط واراد ان ينزل اليه
ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط
واعتذر اليه في قلتها وانشد الشافعي لنفسه

يا لهف نفسي على مال افرقه ... على المقلين من اهل المروآت

ان اعتذاري الى من جاء يسالني ... ما ليس عندي من احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمن قال اخذ رجل بركاب الشافعي قال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر له عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول
قدم الشافعي من صنعا الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل
من دخل عليه فقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج
الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من
بعدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال قال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف
اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي رضي الله عنه

ارى نفسي تتوق الى امور ... ويقصر دون مبلغهن مالي

فنفسي لا تطاوعني لبخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله بماية الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المامون
فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بماية الف اخرى
وقام رجل الى سعيد بن العاص فسال فامر له بماية الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان
تاكل مثلك فامر له بماية الف اخرى ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكله بابيات متدحه بها فوجده عليلا فقبل
منه المدحة وامر حاجبه بصله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام
فكتب اليه

ان حراما قبول مدحتنا ... وترك ما نرتجي من الصفد

كما الدنانير والدراهم في الـ ... ـبيع حرام الا يدا بيد

فلما وصل الى ابرهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه

اعجلتنا فاتاك عاجل برنا ... قلا ولو امهلتنا لم نقلل

فخذ القليل وكن كانك لم تقل ... ونكون نحن كاننا لم نفعل

ويروى انه كان لعثمن على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمن يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك
فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت
ما لك فقال اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك نفرقه فيهم فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم
فسالت الخادم كم كان قال اربع ماية الف وجاء اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه لرحم ما سالني
احد بها قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمن ثلثماية الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمن ودفعت اليك الثمن
فقال الثمن فباعها من عثمن ودفع الثمن اليه وقيل بكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم ياتني ضيف منذ
سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال لاربع ماية درهم دين
علي قال فوزن اربعماية واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لم اتفقد حاله
حتى احتاج الى مفاتحتي به

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال
تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال تعالى
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال عليه السلام اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا
دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا
خاين ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار ولا منان وقال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وقال عليه السلام ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال عليه السلام
مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيا الا سبغت
او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت
بتراقيه فهو يوسعها ولا يتسع وقال عليه السلام خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلام
اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال عليه السلام اياكم والظلم فان الظلم
ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم الشح امرهم
بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال عليه السلام شر ما في الرجل شح هالع وجبن
خالع وقتل شهيد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي عليه السلام وما يدريك
انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى
سمرة فخطفت رداءه فوقف عليه السلام فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني
بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هولاء كانوا احق به منهم فقال انهم
يخيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل
عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة

الى ماية ولم يفعل ذلك ان احدكم ليسأل فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار قال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة شجرة وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا وجعل اسه في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال عليه السلام السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال عليه السلام واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد ابن قيس فقال بما تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه بالبخل فقال عليه السلام واي داء ادوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض البخيل في حياته السخي عند موته قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلام لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال عليه السلام يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال عليه السلام وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكانما يستقبلني بشعلة نار فقال عليه السلام اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون قال ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته انه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم

وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى يأخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل وفد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من يلقى سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله تعالى فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم اجعل لممسك تلفا وللمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه فكانما يرى السائل اذا رآه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخيل واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له وقال النبي عليه السلام ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذن وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله تعالى عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

في حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ طباهجة ببيض اموت ولا اتقيأ طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وهو جالس وبين يديه طبق تين فغطى التين بكسائه لما رآه فجلس الاعرابي فقال له الرجل تحسن من القرآن شيئا قال نعم وقرأ والزيتون وطور سينين فقال اين التين فقال له هو تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه شيئا الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه وقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوءة له انت خاص به وثوبك مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوء ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي يضمنون عنه ابرا ويسألونه اعارتها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقدم اليه فاذا قدم اليه ارسل غلامه فاشترى له رأسا فاكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الرأس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه واما الرأس فانه ان

من عنبا او ادنا او خلا وقفت على ذلك منه وآكل منه الوانا آكل منه عنبه لونا وادنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا ولسانه
لونا وكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت امرأة من اهله ما لي عليك ان
رجعت بالجايزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربع دوانيق واشترى مرة لحما
بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه
المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سايل فقال له رب المنزل
بورك فيك فاعاد السايل عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك
بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يعدني
على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان فضيلة الايثار وفضيلة ثوابه

اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء
عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان
على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي
الشهوة فلا يمنعه منها الا الثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا بخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع الحاجة
فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله تعالى حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى
على الصحابة به فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه السلام ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته
وآثر على نفسه غفر له وقالت عايشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام متتابعات حتى فارق الدنيا ولو
شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب
به الى اهله فوضع بين يديه الطعام فامر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف
الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى سماه الله عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات
محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال يا موسى لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك
وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب
بماذا بلغت به الى هذه الكرامة فقال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا
من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل
قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم
رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت به هذا
الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال
عبد الله بن جعفر أألام على السخاء وان هذا الاسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبها
منه وقال عمر اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي كان احوج مني اليه فبعث

به اليه فلم يزل يبعث به كل واحد الى آخر حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب
على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من
عمر الآخر فايكما يؤثر على صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب
آخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه
فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وينادي جبرئيل بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك
الملايكة وانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده
نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تسع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا
السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام اذا هو بحاله ولم ياكل واحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي
ان شعبة جاءه سايل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي
انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا
به فقلت اسقيك فاشار الي ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت
اسقيك فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو
قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه
اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه فاستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس
فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع
خال فقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد
ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب
الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل مما بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار
واحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو
يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون
ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فلو كان يصير بامساك المال
بخيلا فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي
يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قايلون حد البخل منع
الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز
لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم
في لقمة ازدادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عنه
عد بخيلا وقال قايلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهذا ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل
عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه يستصعب

بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم
بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية
التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد
لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل
الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضراء وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب
بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات
الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف
فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث
يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاقتار والسرف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر
الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه
تنازعه وهو يصابرها فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو
صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول
الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء
الزكوة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف والذي يتيمم
الخبيث من ماله ولا يطيب نفسه ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة
والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما
لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب
ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح من البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة
فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة
ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره
من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من صديق او اخ او قريب او زوجة او ولد او اجنبي وبمن منه المضايقة
من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع
واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم
من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل فالمضايق في الدقائق مع من لا يحسن
المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهي ان يكون الرجل ممن لا يؤدي الواجب
ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه فليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال
ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة فامساك المال عن هذا الغرض

بخل

بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب
الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس
علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه
فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللائقة به فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة
على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه
الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس اجود
من بعض واصطناع المعروف وراء ما يوجبه العادة والمروة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا عن طمع
ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله
والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى
فاما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة او اكتساب
فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا وان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة
الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعواض
معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه
فقالت هل فيكم من اسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم
قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله تعالى سخية بها
انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر امثالها
قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله
قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل
بكم ما شاء الا تستحيون من الله تعالى ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا قبيح وقالت
بعض المتعبدات لبعض اتحسبان السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في بذل المهج وقال
المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله تعالى ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى
سماحة من غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن
كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن اختياره لنفسك ٥ والله اعلم

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول
الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة
قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك
لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة محزنة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق
قوي البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت

عادته بنفقته ويفضل الآف وهو شيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه
عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يتلذذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت
فتضيع او يأخذها اعداؤه ومع ذلك فلا تسمح نفسه بان يأكل او يتصدق منها بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج
لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم
نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ
لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الهلاك بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل
الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل
علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت
الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه
وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب
هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله تعالى وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه
ويعالج ايضا قلبه بكثرة التأمل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل العقاب
العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل
الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في
مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه
ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته
في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده
عنه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى
تخرج قال الخاطر لي ببذله ولم آمن على نفسي ان تتغير ولا يزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة
المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل
ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل
فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود
فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب به خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب
الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها
لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط
بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان
هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الرياء والجاه فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده
كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة ويزيد في الاخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء
فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه وان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب

على قلبه

على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت تستحيل جميع اجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان بعضا حتى
يقل عددهم ويكبرون ثم يأكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان الى ان يغلب احدهما الاخر فيأكله
ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت وكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها
فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع
القوت من الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل
فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا
وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل
التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر
العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة له الا الصبر الى الموت وكان من
عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم من مريد
فرحه بزاويته وما فيه نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد
يلبسه او سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا
فمن لم يسلك هذا الطريق انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد من
ذلك ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه
بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك وحمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له
نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال
ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليها ولم تجد مثلها وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة
والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شأن جميع اسباب
الدنيا فان الدنيا عدوة لله تعالى اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لاعداء الله تعالى اذ تسوقهم الى النار وعدوة لله
تعالى اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس
لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال لم يأنس به ولم يأخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع
بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله فهو
كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل بها احد لقناعة الناس بمقدار الحاجة ٥ والله سبحانه وتعالى اعلم ٥

بيان الوظائف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثل حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق
ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف
الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه
من همته فوق ما يستحقه الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال
السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه

الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه ◦ الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومقداره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء في جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لها لعمقها وسنذكر تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد ◦ الرابعة يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق من غير تقتير ولا تبذير كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء ◦ الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي كرم الله وجهه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو ليس بزاهد فليكن جميع حركاتك وسكناتك لله تعالى مقصورة على عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارتا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظه من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله تعالى فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة تشابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها ليخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل هي حية تنفث السم وان كانت المجسة لانت ◦ وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال ◦ والله تعالى اعلم

بيان ذم الغنى ومدح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون

في محل

في محل المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم على اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة الا ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ومن رزية ما اجلها الا فراقبوا الله تعالى اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله تعالى فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغترون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وهم لا يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازدريت محمدا صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله تعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل في الجمع ولذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف يوم القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن بن عوف فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر فقلت

نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه
قيراطين ثم قال يا ابا ذر فانت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا
ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج خوفا منه
وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عايشة ما هذا فقيل عير
قدمت لعبد الرحمن بن عوف قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء
يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله
وان ارقاها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي عليه السلام قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول
من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا
عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنايعه المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيمة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف والصنايع المعروفة وانفق
منه قصدا واعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنكم
بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على اوساخ
الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهات في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت
المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليايه وساصف
لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضايحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها
للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا
بها ولكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك
لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين
وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله
متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا
على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا
عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا
ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شي اصبح كييبا حزينا واذا لم يكن عندهم شي اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس
اذا لم يكن عندهم شي حزنوا واذا كان عندهم شي فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شي
فرحت اذ كان لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة واذا اصبحت وكان عند عيالي شي اغتممت اذ لم يكن لي باَل محمد
صلى الله عليه وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرضا حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد
بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال
السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك ايها

المفتون فهي ضد لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء
وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف
من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما مبينا وعساك
تجمع المال لنعيم الدنيا وزينتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة
ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا للتكاثر بها والتفاخر
لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله تعالى حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك
المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقاء الله والله للقايك اكره وانت في غفلة وعساك
تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من
النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى نعم ولعلك تخرج من دينك
احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على الحزن
على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى
وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور اخرتك وعساك ترى ان مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك
في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ
كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين مساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار
الله لك يوم القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعسى تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله
عليك فيها وكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس وكان العبيد اعلى قدرا عندك من الله
تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوث في الاقذار وتحتج بمال الابرار
هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا
باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم للكباير المعاصي فليت اطيب مالك واحله
مثل شبهات اموالهم وليت شفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت
اجتهادك في العبادة على فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة
انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم على ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم
في الاخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او
يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى فتدبر
امرك ويحك هل تجد الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد
بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا

الاحتياط لا ورب الكعبة ما احدك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في
اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام ولقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك
ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات
وبذلها في سبيل الله تعالى وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير
لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع
المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة
خافوا المسائلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله تعالى
ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول عبدي من اين
اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب
مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامنة والحلال في دهرك مفقود وكالبلح الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال
من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا
ان بعض الصحابة كان يرث المال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه فتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا تزول عن
من الحق في امرك ولحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان لا
تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش في
الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار
ويؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع
مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى بالرجل وقد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال
له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرض الله عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها
ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال لم اضيع شيئا مما فرضت علي فيقال لعلك اختلت في هذا
المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك
ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع
شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب
اعطيته فاغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرايض ولم يختل في
شيء فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسال ويحك فمن ذا الذي يتعرض
لهذه المسائلة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرايض بحدودها حوسب هذه المحاسبة
فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائلة تخاف
المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة
فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله
ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك

فان

فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال
وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا حبس عليك في المسائلة والحساب فاما سلام واما عطب فانه
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال
عليه السلام يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيتمتعون وياكلون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول
قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ما صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني
ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين
في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون لقد
بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاق خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح
الدموع عن وجهه وهم ان يتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا
انا يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه احد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني
فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها ورأسها فقالت
لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني
تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهذه الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم شربة من حلال ويحك انك في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف
لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظرن الى اهوال الجزع منها
الملئكة والانبياء وان قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم
تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن
رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين
فتدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لماله
مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة
مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك
في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى فان توقف في المسائلة ولا يحاسب مثلك من المتقين
وانما يجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله تعالى ويحك ايها المغرور فتدبر للامر واحسن النظر اما علمت ان ترك
الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف
للمسائلة وامن من روعات القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله تعالى اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة
انه قال لو ان رجلين احدهما في حجره دنانير يعطيها والاخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر افضل وسئل بعض اهل
العلم في الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر له وبلغنا ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب
الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه جانبها ولم يطلبه ولم يتناولها فايهما
افضل فقال والله بعيد ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل

لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان ترك الاشتغال بالمال ازدلك اروح لبدنك واقل لتعبك
وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك
بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل وبعد فلو
كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك عليه السلام اذ هداك به وترضى
بما اختار لنفسه في مجانبة الدنيا ويحك فتدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر
مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين في
الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له كسوة الا ما يواريه ولا يقدر على ان يكتسب
ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي متى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك
للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم
والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمعه ويحك راقب الله تعالى واستحى من دعواك ايها المغرور ويحك
ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع
المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وكن مشفقا على نفسك عند جمعه وجلا من الحساب فذلك انجى لك ه
واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال موجودا فيه وكانوا مع ذلك
من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال بلغ القوت والمسكن
وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم وبعد فاين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم
واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود
فالسعادة للمخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل
وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته ه هذا آخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد
لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روى عن ابي امامة
الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه
فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله تعالى
اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا او فضة لسارت قال والذي بعثك بالحق ان دعوت
الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق
ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل
يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي
تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار وسأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فاخبر بامره

كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى فيه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم ان صلواتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة
ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال
مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذه انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا
الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالا لا يجب
عليك هذا وما نريد ان ناخذ منك هذا قال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي احب لنا خذوها فلما فرغا من
صدقاتهما رجعا الى ثعلبة فسألاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية انطلقا حتى ارى
رأيي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي فاخبراه
الذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج
حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء الى عمر رضي الله عنه
فابى ان يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل
بركة الفقر وشوم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين انه
قال كانت لي من رسول الله عليه السلام منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب منزل فاطمة عليها
السلام فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن
معك يا رسول الله ثم قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت
هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة قال شدي بها على رأسك ثم اذنت له فدخل
فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على
طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما
منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها
وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران فقال
آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة عالمك انكن في
بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في
الآخرة فانظر الآن الى فاطمة عليها السلام وهي بضعة من رسول رب العالمين كيف آثرت الفقر وترك المال ومن

راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم لم يشك فى ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله تعالى اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب عيسى عليه السلام رجل فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية معها خشفان فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال ما ادرى قال ثم انتهى الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادرى قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا باذن الله تعالى فقسمه ثلثة اقسام فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف فقال عيسى عليه السلام فكله اذا لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشترى طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذى بعث لاى شئ اقاسم هؤلاء هذا المال لكنى اصنع فى هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ جميعه ففعل ذلك ورجع ومعه الطعام المسموم وقال الرجلان لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال لكنا اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام وماتا وبقى ذلك المال فى المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام وهم على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس فى ايديهم شئ مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورهم فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها فصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معاش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لى اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتينى فابيت فها انا ذا قد جئت فقال له لو كانت لى اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لى اراكم على الحال التى لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ افلا اتخذتم الذهب والفضة واستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط منها شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا وذكرنا دروبها من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فظلم وغشم وعتا فلما راى الله تعالى ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد

اخفى

احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول جمجمة اخرى فقال يا ذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله تعالى وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد صارت هكذا فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فتتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله تعالى من هذا المال قال ما اصلح انا وانت فى مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل ان شاء الله تعالى تم كتاب ذم المال

كتاب ذم الجاه والرياء

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين مما صنفه الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وفقنا اللهم للاخلاص وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذى لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الشرك والرياء وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك وهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وعلى آله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا

اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتى الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التى هى اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائله سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه للشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا فى التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة واكرموه فى المحافل غاية الاكرام وسامحوه فى البيع والمعاملات وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى اغراضه موقرين فاصابت النفس فى ذلك لذة هى اعظم اللذات وشهوة هى اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصى والهفوات واستلانت خشونة المواظبة

على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حيوته بالله وبعباداته المرضية وانما حيوتها بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها الا العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد بطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت لذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة المنافقين فهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الجاه واذا كان الريا هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه وينحصر الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين

الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه

بيان ذم الشهوة . بيان فضيلة الخمول . بيان ذم الجاه . بيان معنى الجاه وحقيقته . بيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال . بيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي . بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم . بيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم . بيان العلاج في حب الجاه . بيان علاج حب المدح . بيان علاج كراهة الذم . بيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم . فهي اثنا عشر فصلا منها منشاء معاني الريا فلا بد من تقديمه والله تعالى اعلم

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف منه للشهرة قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله تعالى ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه . وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب المرء من الشر الا من عصمه الله تعالى من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا بأس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا با سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر تعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار . وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة . وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام . وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذبان طمع وفراش نار . قال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المومنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه الناس فالتفت اليهم فقال علي ما تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان . وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قل ما يثبت له قلوب الحمقى . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقي هذا من قلب المومن . وروى ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل

وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله تعالى . وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره . وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلبه الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرذلة والابصار تمتد اليهما جميعا . وقال رجل لبشر بن الحرث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك . وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع . وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح . وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك . وقال ابن مسعود قال عليه السلام رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيا . وقال عليه السلام الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ . وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يوذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم . وقال عليه السلام ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاه اياها ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه الا لهوانه عليه ذو طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره . وروى ان عمر رضي الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الريا شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة . وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينا هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب الذي استسقى المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة قال ما هي قال تخصني بدعوة فقال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالته فاعطاني . وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض . وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عبد مومن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فمن صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه . وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم عليهما السلام

وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غربا اصحاب قوت وعباء وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي داء البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك الا تعرف وما عليك الا يثنى عليك وما عليك الا تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشاء كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وايمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان تعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليه

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال عليه السلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلم ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال عليه السلم لعلي كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم

لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورايه لانسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخره له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقادات صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدنه او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه

بيان السبب المقتضي لكون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وساير انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانها اذ لا يصلح بنفسها المطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصا بمثابة واحدة ولكنها محبوبة لانها وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى ساير اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض والاشتراك في السبب يقتضي الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال يقتضي ان يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلث اوجه

الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب الاموال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال اما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة الكمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب

الثاني هو ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزاين ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزاين عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا يتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والاذل ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزاين القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله

الثالث ان ملك القلوب يسري ويتنمى ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت للشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب له ايضا ولهذا المعنى يحب

الطبع وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنصت القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال
يسري من واحد الى واحد بغير امد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على
استنمائه الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر
الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا
فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان
المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او
كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل
ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار
الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان
اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطاها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه
بماله او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس عن ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت بالطبع
ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فيقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب
وله سببان احدهما جلي يدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام
الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه
الا الغواصون **اما السبب الاول** فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان
مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله
هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو
ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى
الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى
بالآخر وهذا خوف لا يوقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا
ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذا كله يطرد في حبه قيام
المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده خاصة لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن وطنه او يزعج اولئك
عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة
كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف **واما السبب الثاني**
وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى
كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل
والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر
وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب

الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت
الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود اذ في المشاركة في الوجود نقص لا محالة وكمال
الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى
الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته
بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال
بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها
وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع
الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون معا فاذا معنى الربوبية هو التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فهو
بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح
به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية
محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومى اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك
درجة الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال
وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما
الكمال بعد ان لم يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان
لم يكن منك فان يكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف
ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب
الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا
ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي
عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال وكالبحار
وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من النبات والمعادن والحيوان
ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثر والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذن انقسمت الموجودات
الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملائكة والسموات بالعلم
والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة والعلم
كالمستولى عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب
البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشفاق من عجز عن صنعة
عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن
يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو يستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه ولكنه
يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه **واما القسم الثاني** وهي الارضيات
التي يقدر الانسان عليها فهو بالطبع يحب ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد

وارواح الاجساد هي الدراهم والدنانير والامتعة فيحب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة فالقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم يعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة

نفوس الآدميين وقلوبهم وهي ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيها من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تسخر بالحب ولا تحب الا بالاعتقاد للكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني الذي من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها ٥ والله تعالى الموفق بمنه وكرمه امين ٥ ٥

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات النفوس بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلثة اوجه من حيث كثرة الاعمال وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فكذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون العلم المعلوم مكشوفا كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف على ما هي عليه فكذلك مهما كان علم العبد اوضح وايقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى من حيث بقاء العلم ابد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدته اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم بعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وتعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب

الثاني المعلومات الازلية وهي جواز الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جايزا ولا الجايز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته وما يجوز في افعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارف بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي به على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فايدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهم ومنها ما له منفعة في اعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسايل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي افعال الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى فهذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والريا ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل في مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى واما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمنزل والملبس وذلك الذي قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب وظن ذلك كمالا جهل والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى

اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما
طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملايكته وهو العلم والحرية
اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها
بالقهر تشبها بالملايكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس
من الكمال الذى هو من صفات الملايكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر
بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملايكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة
وانما لم نورد فى اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كاينة وهلاك
والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد
لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعنى به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة وللعبد طريق
الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال
وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب
من الله تعالى فانظر كيف تغلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال
وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال العلم والحرية الذى اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له
وهولاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله
تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات
التى تبقى كمالا فى النفس والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة
الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية وقوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه الى قوله فاصبح هشيما
تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات
فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظنى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه مقصودا فهو جاهل
الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقى

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحياة الدنيا
وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق فى الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد
من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد له من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغنى
عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه
ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له من المحل فى قلب خادمه ما يدعوه الى الخدمة
ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون
له فى قلب استاذه ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل فى قلب سلطان ما
يحثه على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق فى هذا يفضى
الى ان لا يكون المال والجاه فى اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان فى ان يكون فى داره بيت ماء لانه

مضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس حبا لبيت الماء وكل ما يتوسل الى
محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه ويدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث يدفع بها
فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضل الطعام ولو كفى مؤونة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفى قضاء الحاجة
لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبا نكاحها فهذا هو
الحب دون الاول وكذلك المال والجاه قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن
غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان
ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وان كان محظورا وما لم يتوصل الى
اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور
كما سياتى فان قلت طلبه الجاه والمال والمنزلة فى قلب استاده وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط امره
به مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح على حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه
وجهان مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم صفة هو منفك عنها
مثل العلم والنسب فيظهر لهم انه علوى او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما
بالمعاملة واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلم اجعلنى على خزاين الارض
انى حفيظ عليم فانه طلب منزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثانى ان يطلب اخفاء
عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبايح
جايز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة فى العلم به كالذى
يخفى عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقى اليه انه ورع فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسن الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان
ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله تعالى وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب
الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال
غيره بتلبيس فى عوض او فى غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه

اعلم ان لحب المدح والتلذذ به اربعة اسباب وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب
وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها
فان الوصف الذى به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت
اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل
عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعره لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك
فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال
حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا بكونه عديم النظير فى هذه

الامور او تطيبن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم
اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف بالقول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ
بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صار ممن يجزف في الكلام او لا يكون
بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه
والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به
كما ذكرناه في المدح

السبب الثاني

ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له
ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر
الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على
شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم
به القلب فاذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم

السبب الثالث

ان ثناء
المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا
يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس

السبب الرابع

ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه
اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد
في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته
فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به
الالتذاذ وقد يفترق فتنقص اللذة به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير
صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك
فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان
المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة
الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات
فلم يكن فيه لذة اصلا لفوات الاسباب الاربعة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب
الذم وانما ذكرناه لنعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ
العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه
حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله
ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات
والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب
الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة
الظاهر للباطن بالقول والفعل فكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال

حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلوب فانه طبع جبل
القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب
الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس من الباقيات
الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له
ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة
الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر
في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن
البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو
المستقبل وقدره كائنا وكذلك قال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم
تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال
في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى
بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج
قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان
كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب
اشد تغيرا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج
البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم
عاجلة تكدر لذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة
الضعيفة فاما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث
العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس
بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورها ليسقطوا
انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي
لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي
ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه
الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه
لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون
انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل بعضهم
فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه
واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع
الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته

وربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما
اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لايق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة
ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب
للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة
في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى فقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس
عنده كلهم كلاشي او كالارذال فلا يبالي اكانت له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي بما له في قلوب الذين هم منه في
اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم
يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين
على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر
في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة ۞ والله تعالى الموفق بمنه وكرمه

بيان علاج حب المدح وكراهية الذم

اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا
الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب
المدح ويكره الذم

السبب الاول

فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه
ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها
فهي اما صفة تستحق الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فالفرح بها
كالفرح بنبات الارض التي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول ما قال المتنبي
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بذكر
المادح لها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها فلا يجب ان يفرح به بل بسبب وجودها هو الله تعالى
فهو المستحق للمدح والحمد وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بهما لان الخاتمة
غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح
بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان
يكون فرحك بفضل الله عليك وبالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود
من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة
التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له
سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل
عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به وكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله
مطلع على خبايث باطنك وغوايل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك في غاية الجهل فان المادح ان صدق فليكن
فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك فان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به ۞ والله اعلم

السبب الثاني

وهو دلالة المدح على ان قلب المادح مملوك وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا
يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك
المنزلة في قلوب الناس وفرحك بها تسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به

والسبب الثالث

وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان
يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك من السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيم كما ذكرناه في
كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا
قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بيس الرجل انت فانت والله بيس الرجل وروي في بعض الاخبار
فان صح فهو قاصم الظهر ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لو كان صاحبك
حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال عليه السلام مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك
ما افلح الى يوم القيمة وقال عليه السلام الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كانت
الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال
رجلا عن شي فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بتزكيتي وقيل لبعض الصحابة لن
يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب
الي بمقتك واشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق
فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم
بالحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم
جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد
الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح
واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم
هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما
ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت ويكون كاذبا
فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منه فان من اهدى اليك عيوبك
فقد ارشدك الى المهلكة حتى تتقيها فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه
فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فقوله اذا ارشدك
الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته
ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك
اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو
دخلت عليه كذلك لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قايل ايها الملوث بالعذرة طهر
نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها

من قول اعدايه فينبغي ان يغتنمه فاما قصد النعت لجناية عنه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك ارادها الله تعالى لك والا فمن ينبهك انت ممن يوحي اليه فهذه رتبة لك عند الله تعالى فلم تغضب عليه بفعل انتفعت به انت وتضرر هو به ان يفتري عليك بما انت برئ منه عند الله تعالى فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشغل به بل تتفكر في ثلثة امور الثاني ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستر الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت عنه برئ ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت برئ منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترايه وتعرض لعقاب الله تعالى فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فيشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال عليه السلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال علم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة الذم قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قايما كان حب الجاه والمال والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا تنال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح بالمدح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه باضافته الى ما قبله كمال وهي اول درجات الكمال ان يستوي ذامه ومادحه عنده فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوايج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمعصية المادح وما ناله من اغمابه اكثر مما يكون بمعصية الذام وان لا تكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله تعالى عند مثلا

والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كباير المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم يخيل اليه الشيطان انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله تعالى ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضايع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم الآية وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال عليه السلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه عليه السلم قال ويل للصايم وويل للقايم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان تضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا تظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلا مطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية فانها لا تفي بها فانها لا بد وان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوايجه ولا يقدر على ان تسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا يقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ممكن حتى يراءي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات لا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي تستمال به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدح ولا يسعى لطلبه ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه الا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة

وتلبيسه انه الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح ممن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها
وينكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاه لما وقف على عيوبها ويكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ
صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبرا
بعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي في ذامه
ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات
ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

بيان ذم الريا بيان حقيقة الريا وما يرائي فيه بيان
درجات الريا بيان الريا الخفي بيان ما يحبط العمل من الريا وما لا يحبط بيان دواء الريا وعلاجه بيان
الرخصة في اظهار الطاعات بيان الرخصة في كتمان الذنوب بيان ترك الطاعات خوفا من الريا والآفات
بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق بيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة
وبعدها وهي عشرة فصول اعلم ان الريا حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد لذلك
الآيات والاخبار والآثار فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن
وقوله تعالى والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الريا وقال تعالى انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله تعالى والريا هو ضده
وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي فمن يطلب الاجر والحمد بعباداته
واعماله فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ساله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة
فقال لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلثة المقتول في سبيل الله
والمتصدق بماله والقاري لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص فان الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت
ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قاري فاخبر عليه السلم
انهم لم يثابوا وان رياهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال عليه السلم من رايا رايا الله ومن سمع سمع الله
به وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول للملئكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال عليه السلام ان
اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله تعالى يوم القيمة اذا
جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال عليه السلم
استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال عليه السلم يقول
الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنيا عن الشرك وقال عيسى عليه السلم
اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صايم واذا اعطى بيمينه فليخف
عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثنا كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الله عملا فيه مقدار ذرة من ريا وقال عمر لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الريا شرك وقال عليه السلم ان اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة

الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الريا ودقايقه وقال عليه السلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه
وكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال عليه السلم ان المرائي ينادى يوم القيمة
يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله
عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم
يراؤن باعمالهم وقال عليه السلم لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الله الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت
الملئكة ما خلق الله ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله تعالى الحديد يقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله
تعالى الماء فاطفى النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملئكة فقالت نسال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت
من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيا هو اشد من ابن ادم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق
خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت
لبيك يا رسول الله بابي انت وامي يا رسول الله قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه
انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق
السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح
الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم ياتي الحفظة
بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه
كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة
فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر
امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر
الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزوا بها الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى
غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوه الى السماء الخامسة كانه
العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا
ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني
ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى
السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد
الله تعالى اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد
الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس

معه ثلثة الاف فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
اضربوا بها جوارحه اقفلوا على قلبه انى احجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة
عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا فى المدائن امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن فيه خالصا فهو
رياء ولا يقبل الله عمل المرائى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله
وتشيعه الملائكة حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى
قال فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدى وانا الرقيب على نفسه انه لم يردنى بهذا العمل واراد به غيرى
فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتلعنه السموات
السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بى وان كان فى عملك تقصير يا معاذ
حافظ على لسانك من الوقيعة فى اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم
ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج
رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والآخرة ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة
فى النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدرى ما هى يا معاذ قلت ما هى بابى انت وامى قال كلاب فى النار تنشط
اللحم والعظم قلت بابى انت وامى فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه
قال فما رايت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما فى هذا الحديث يروى ان عمر رضى الله عنه
راى رجلا يطاطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب وانما الخشوع فى القلب وراى
ابو امامة رضى الله عنه رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال انت انت لو كان هذا فى بيتك وقال على كرم الله وجهه للمرائى
ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا اثنى عليه وينقص اذا ذم وقال
رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفى فى سبيل الله اريد وجه الله ومحمدة الناس قال لا شئ لك فسأله ثلث مرات كل
ذلك يقول لا شئ لك ثم قال فى الثالثة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسال رجل سعيد
ابن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف فيحب ان يحمد به ويوجر عليه فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت
لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا تقل هذا لله تعالى وللرحم فان الله تعالى
لا شريك له وضرب عمر رضى الله عنه رجلا بالدرة ثم قال اقتص منى فقال لا بل ادعها لله تعالى ولك فقال له عمر ما صنعت
شيئا اما ان تدعها لى فاعرف ذلك او تدعها لله تعالى وحده فقال ودعتها لله تعالى وحده قال فنعم اذن وقال الحسن
لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة
وان كان ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائى ينادى يوم القيمة باربعة
اسماء يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤون بما
يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله
لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائى يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف
يقولون وقد حل من ربه محل الارديا فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى

انظروا الى عبدى يستهزئ بى وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وان محمد بن
واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الى وقال محمد بن المبارك الصورى اظهر السمت
بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمن
التوقى على العمل اشد من العمل قال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل كيف ذلك قال
يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة فى قلوب
الناس بارائتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة يطلب فى القلب باعمال سوى العبادات ويطلب بالعبادات واسم الرياء
مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائى
هو العابد والمراءى له هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة فى قلوبهم والمراءى به هى الخصال التى قصد المرائى اظهارها
والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام وهى مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن
والزى والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب
الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات

الرياء فى الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين
وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن فى الدين وكذلك يراءى بتشعث
الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها
على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوا النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض
الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذى
خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذى ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه
ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روى عن ابى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال
ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفا
اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن والثوب وقوة الاعضاء وتناسبها

الرياء بالزى والهيئة فبتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس فى المشى والهدو فى الحركة وابقاء اثر
السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب
وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة
والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقايق التصوف فى الباطن ومنه التقنع
بالازار فوق العمامة ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه
بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزى
على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة
ليرائى بغلظها وقصرها ووسخها وخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة

الاجتهاد

الذبح وذلك خوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا
يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا
الثياب المخرقة النازلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون
الاصواف الدقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوط الدقيقة فيلبسونها وقيمة ثيابهم قيمة ثياب
الاغنياء ولونها وهيئتها لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ
لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط عن اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الدبيقي والكتان الرقيق الابيض او
القصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم ذلك خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل
الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة
واما اهل الدنيا فمراآتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت
وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة
ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة والثياب ما لم يبالغوا في الزينة — الرياء بالقول ورياء
اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم
ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في
الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق
على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار
الفضل والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر — فاما
اهل الدنيا فمراآتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح بالعبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل
الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب — الرياء بالعمل كمراآة المصلي بطول القيام وتطويل
السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم
والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام
حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان
ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يكون يجدد
الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه حتى لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من
ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى
التغيير ويظن انه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته
في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله تعالى وحياء منه — واما اهل الدنيا فمراآتهم بالتبختر والاختيال
وتحريك اليدين وتقريب الخطى والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة
المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا

من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم
يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرا واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته
ومراآته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ
وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب الناس ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات
فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام
جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة
ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه
فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر
الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته في القلوب بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم
من يريد انتشار الصيت في البلاد للرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجح الحوائج
على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام الدنيا او كسب مال ولو من
الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه
حقيقة الرياء وما يقع به الرياء فان قلت — فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول — فيه تفصيل
فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم
من حيث انه طلب منزلة في قلوب الناس ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب
قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه
يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي
وينسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال
الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف
الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان
وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان
في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراآة وهو ليس
بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين من قول وفعل والدليل عليه ما روي عن
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج الى اصحابه وكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره
فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن
اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لكيلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد
الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في

انفسهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يانسوا به فاذن المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنيا لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذه مراياة ليست حرام وكذلك امثالها اما العبادات كالصدقة والصلوة والحج والغزو فللمرائى فيه حالتان احديهما ان لا يكون له قصد الا الريا المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم لما دلت عليه الاخبار والآثار والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر والخداع لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس ايضا فى امر الدنيا حرام حتى لو قضى دين جماعة لهم عليه وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثانى يتعلق بالله تعالى وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله تعالى ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله انظروا الى عبدى كيف يستهزئ بى ومثاله ان يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك او غلاما من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد به عبدا من عبيده فاى استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الريا اشد من بعض كما سياتى بيانه ولا يخلو شىء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراياة ولو لم يكن فى الريا الا انه يسجد ويركع لغير الله تعالى لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد قصد غير الله ولعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الريا هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون من وجه وفى بعض الكتب يا عبدى اخبث المعاصى من خلقى وجعلتنى اهون الناظرين اليك وفى معناه فى الطاعة اذا كانت لغير وجه الله تعالى ومهما زال قصد تعظيم الله تعالى بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله تعالى فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا فذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل تقول الانبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله تعالى ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى ان يشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله تعالى من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا فى صدقته وصلوته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا والله سبحانه وتعالى الموفق

بيان درجات الريا

اعلم ان بعض ابواب الريا اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المرايا به والمرايا لاجله ونفس قصد الريا

الركن الاول

نفس قصد الريا وذلك لا يخلوا اما ان يكون مجردا دون ارادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان ذلك فلا يخلوا اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساوية لارادة العباد فتكون الدرجات ربعا

الدرجة الاولى

وهى اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذى يصلى بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الريا فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه الدرجة العليا من الريا

الدرجة الثانية

ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الريا يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفى عنه المقت والاثم

الدرجة الثالثة

ان يكون قصد الثواب وقصد الريا متساويا بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فيرجوا ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما له من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه فى كتاب الاخلاص

الدرجة الرابعة

ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الريا وحده لما اقدم فالذى نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الريا ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الريا ارجح

الركن الثانى المرايا به

وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الريا باصول العبادات والى الريا باوصافها

القسم الاول

وهو الاغلظ الريا بالاصول وهو على ثلث درجات

الدرجة الاولى

الريا باصول الايمان وهذا اغلظ ابواب الريا وصاحبه مخلد فى النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فى مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى فى دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه الآيات وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الاسلام ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طى بساط الشرع ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الريا رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر

الدرجة الثانية

الريا باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول ومثاله ان يكون مال الرجل فى يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان فى يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو فى جمع وعادته ترك الصلوة فى الخلوة وكذلك صوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة

ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس او يغزو ويحج كذلك فهذا مراى معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد

ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المرضى واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشورا ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات

الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات

بان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله تعالى عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا لاجل العبادة للصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما انا فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمتك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يقلدها اياه فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احدهما ان يطلب بذلك المحمدة والمنزلة عند الناس وذلك حرام قطعا

والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن الصلوة ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق

الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه

الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم

الركن الثالث المرائي لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات

الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فيأخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فيأخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي الصوفية وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة او غلام لاجل الفجور او لاجل الغير الله اما الى امرأة او غلام لاجل الفجور او لاجل التزوج وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامرأة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى

الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امرأة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها او امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه

الدرجة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع

ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في
خلوة لما كان يشق عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون
او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان
لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في يوم عرفة او عاشورا او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير
صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع منه ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم
ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء فانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس
فيكون مرائيا ويريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب الماء لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا
او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك
متصلا لشربه كيلا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان
شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة
القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان
الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن اما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك
منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله تعالى فيه فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم
يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي ذكر
ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهي من اشد
المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد
الجهلة بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو
ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا
دخل عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك
ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل
لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد
الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة
العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند
اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور
ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى
يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا
وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول
والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخ

من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبداوه بالسلام
وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا
له المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة
التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن
وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب
النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله تعالى
يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص لكم السعر الم تكونوا تبدؤن بالسلام الم يكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد
استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا
الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال
في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان
يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فاحب ان يتبرك به فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس
فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه
وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا
من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون
لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم ما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء
ان يخلص اعمالهم من الرياء فيجازيهم الله في القيمة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيمة الا الخالص
وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم
فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي
الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك
به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه من التقوى فاذن شوائب
الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة من ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه
لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرته البهائم والصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا
قانعا بعلم الله تعالى لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا اجل
ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا تقدر البهائم والصبيان والمجانين واذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس
كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته
فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم
الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام **الاول** ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله تعالى
ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له
والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله تعالى يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح

في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه مفرد فما يطرى يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من
قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته
ففرح بحضورهم واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر
في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة
مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد الصلوة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند
الاحرام بشرط ان لا يطرى ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل
قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحرث المحاسبي الى الاحباط في امر اهون من هذا وقال
اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت
فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى احمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم
قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي
انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن انما هما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال
لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا تضره اي لا يدع العمل
ولا يضره الخطرة وهو يريد الله تعالى ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام
طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه **احدها** انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه
قبل الفراغ **الثاني** انه اراد ان يسر به لاقتداء الناس به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا له
بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى
عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران **والثالث** انه قال اكثر من يروي هذا الحديث يرويه غير متصل الى
ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع
به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين
وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل
وحاملة على الاتمام **واما الاخبار** التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما
ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة
اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي وجب
عليه صلوة خالصة لوجه الله تعالى والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله
وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارى بعد عقد العبادة اما
قبل الفراغ او بعد الفراغ **القسم الثالث** الذي يقارن حال العقد بان يبتدى الصلوة على قصد الرياء
فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام
ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستانف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال

كالركوع والسجود وتفسد اعماله دون تحريمه الصلوة لان التحريم عقده والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا
وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ
بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل
قالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون الا لله تعالى ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال
بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس
الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت
افعالا زائدة في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان
الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال
ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك في
فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس
فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وها هنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا
الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضا واجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة قرآن وما
ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد
ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا
فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة
والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس
خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب
ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان
في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب
لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث
الفرض لانشأ صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه
الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا
يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع
باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء
في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت
ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة
من حيث انها صلوة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على
العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة

فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها
وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية
القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله ٥

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب

لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمر
عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر
اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم
لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد
انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة
الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه
والثاني دفع ما يخطر منه في الحال

المقام الاول

في قطع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة
والجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الذم والطمع لما في ايدي الناس وتشهد للرياء بهذه
الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل
يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة
الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو في سبيل الله تعالى وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة يكتبون الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر
وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله
ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال عليه السلام من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع
وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالكثير فانه يتصدق
بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو
لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي
ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على
الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي
العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما
ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب
فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه
قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم
ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة
من المنزلة عند الله تعالى وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس العباد

يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزيت بطاعة الله
تعالى وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله تعالى وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله تعالى وتحمدت
اليهم بالذم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله تعالى فمهما تفكر العبد في هذا
الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان
العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى
النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة
فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى
صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا
الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله تعالى
سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا
ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع
والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن يطمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد
لم يخل عن المنة والمهانة وكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا
تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا مما لم يكتبه الله تعالى عليه ولا يعجل اجله
ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيد مقته
ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر
في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه
ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى
الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله تعالى كشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق
السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر بني تميم ان مدحي زين وان
ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمد الله ولا شين الا في
ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك في ذم الناس وانت عند الله محمود
في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام
الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله تعالى قلبه وتخلص من مذلة الرياء
ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات
ما يزيد به انسه بالله تعالى ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق
من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه من الشطر الاول هي الادوية
القالعة مغارس الرياء اما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها
كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عبادته لا تنازعه النفس الى طلب

علم الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك
ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء
للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بذلك
بتواصل الطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله التوفيق والهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا
يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما

المقام الثاني

في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه
بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في
اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر
لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج
فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم
ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى شهوة والرغبة
والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا
خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال مالك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك
فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله
تعالى في القيمة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة
الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله تعالى وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى
القبول والكراهة تدعوه الى الاباء فالنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذن لا بد في رد الرياء من ثلثة امور
المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة
ولا الكراهة التي كان في الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء
الحرص عليه حيث لا يبقي في القلب لخوف الذم وحب الحمد واستيلاء متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة
بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي حدث نفسه
بالحلم وذم الغضب وعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم جرى من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى
سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل عنه وكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع
نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان
لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت
بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاة هكذا يكون اذ ينسى معرفة مضرتها الداخلة
في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر
الرياء الذي يعرضه لسخط الله تعالى ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك اللذة الحا

فليسوف بالتوبة او يتشاغل عن الفكر في ذلك لشدة الشهوة وكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى ذكره الا ريا الخلق وهو يعلم
ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الريا مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله تعالى ولا ينفعه
معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك تقبل داعي الريا وتعمل به لكون
الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان تصرف عن
الفعل فان لا فائدة الا في اجتماع الثلث وهو المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة
المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور المعرفة وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة
وقلة التفكر فيما عند الله تعالى وقلة التامل في آفات الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره
واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم
الدنيا هي التي تغصب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة
وانوار العلوم فان قلت من صادف من نفسه كراهة الريا وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال
عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين
فاعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا
يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين
واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير
او تهوي بنا الريح الى مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا
الا الوسواس والكراهة ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة
للوسوسة والريا وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع
ضرر الاصغر اولى ولذلك يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد
الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك
وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا يضرك
مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكيرات والتخيلات للاسباب المهيجة
للريا هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان
للشيطان هاهنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الريا خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة
الشيطان وبمطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان
ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الريا
في دفع خواطر الريا على اربع مراتب **الاولى** ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل
بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله
تعالى وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان من

السلوك **المرتبة الثانية** ان يعرف ان الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه
ودفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد
قرر في عقد ضميره كراهة الريا وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالكذب ولا بالمخاصمة
الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسد عند جريان اسباب الريا فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان
زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ
الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك فقال
والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان
من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى
الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال ايضا اذا رآك الشيطان مترددا
طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم
كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا منه فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك مبتدع وخاف
ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد لمنعه وصرفه عنه ودعوته الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباه شغله بالمجادلة
فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحته وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني
عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه
للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه
بالكلية ثم مر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه
مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فالشيطان
اذا كان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون
هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلثة اوجه فذهبت فرقة
من اهل البصرة الى ان الاقويا قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم
الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا
عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير عندهم واخلوا منها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة
بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله
فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما
اراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر
وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر
وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهي وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبيا لم يتخلصوا من نزغاته
ووساوسه فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى
واسمائه في تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك

من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية ◦ وقال عليه السلام انه ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامر الا بخير فمن ظن ان الاشتغال بحب الله تعالى اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء فهو مغرور ولم يأمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحوا في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله تعالى لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ومع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له وراء ذلك ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره الامن وهو في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها ◦ وقال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ◦ وقال انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر حيثما امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال اوامره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ◦ وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك اشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر الا قتل هو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله تعالى الاعراض عما حذر الله وبهذا بطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية ◦ وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة لا يناقض امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله تعالى ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله تعالى يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلف هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله تعالى واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا لذكره كنا اهملنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى ◦ وقال العلماء المحققون غلط الفريقان ◦ اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله تعالى فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصده الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى مع قوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره ◦ **واما الفرقة الثانية** فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله تعالى والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر الله تعالى بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وسكن به وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بغير ذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل اوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله تعالى كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى فقد امات عنه الهوى واحيى فيه نور العقل والعلم واماط عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو ومثال القلب مثال حوض يراد تطهيره من الماء القذر والذي جعل من ذكر الشيطان وذكر الله تعالى فقد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البير عن الماء القذر والبصير هو الذي يجعل لمجرى الماء القذر سدا ويملاها بالصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر التحدث بما عمل

القسم الاول

اظهار نفس العمل كالصدقة في الملاء لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم في الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل يرفع صوته في صلوة الليل لينبه به جيرانه واهله ليقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجمعة والجهاد فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة تؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر ويدل على ذلك ان الله تعالى امر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له اجرها واجر من عمل بها ◦ وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على العلانية سبعين ضعفا

ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا الاوجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب
عن شوائب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من الظهور للمريا ومهما
حصل شائبة الريا لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان
احديهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به اهله دون جيرانه وربما يقتدى به
جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدى اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا
اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الريا والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار
بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به **والثانية** ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه
حب الريا الخفى فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله
الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغى ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله
مثال الغريق الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق
بالماء المه ساعة وليت كان الهلاك بالريا مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهو مزلة قدم العباد والعلماء فانهم
يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك
ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان
مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريا دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد
رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراءاتهم
فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة
عن الآفات فلا ينبغى ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا
فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء **القسم الثاني** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم
اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجرى في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس
لذة في اظهار الدعاوى عظيمة الا انه لو تطرق اليه الريا لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا
الوجه اهون والحكم فيه ان من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من
يرجو الاقتداء والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير
والترغيب في الخير خير وقد نقل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت
نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر ما ابالى اصبحت على عسر او على يسر لانى لا ادرى ايهما خير لي وقال ابن مسعود
ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمن ما تغنيت وما تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها فاخطمها غير هذه
وكان قد قال لغلامه ايتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغدا وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا
على فانى ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله لى بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لى بغيره وما

اصبح لى هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراياة اذا صدرت ممن يرائى بها وفيها غاية
الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى فيه فذلك على قصد الاقتدا جائز للاقوياء بالشروط التى ذكرناها فلا ينبغى ان يسد باب
اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائى للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير
للناس ولكنه شر للمرائى فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روى انه كان يجتاز
الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الريا
فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائى فيه خير كثير لغيره اذا لم
يعرف رياؤه فان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم

اعلم ان الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما
عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك غيرك لم تستحى منه وقال ابو مسلم الخولانى ما عملت عملا قط ابالى ان يطلع عليه
الناس الا اتيانى اهلى والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه
او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والامانى والله مطلع على جميع ذلك
فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه ريا محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع
وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى واما الصادق الذى لا يرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده
فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول** هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك
الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة وهذا غم
ينشاء من قوة الايمان **الثاني** انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال عليه السلم من
ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله تعالى وهذا
ينشاء من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصى واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه
الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث انه يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتاذى
بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغى ان يكره الحمد الذى يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه
ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان **الرابع**
ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتاذى طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن
وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز
حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق
فيستوى ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا والاكثر ان الطباع
يتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء
الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم بفوات الحمد
بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد في طاعة الله تعالى فيكون قد طلب المدح بطاعة الله ثوابا

من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد ۔ واما كراهته للذم بالمعصية من حيث الطبع
فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان
يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذ الحمد يطلب للذة وعدم اللذة لا يؤلم واما
الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال ۔ واما كراهة الذم على المعصية فلا
محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان
في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله تعالى وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى
به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع

السادس ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فان ألم الذم مؤلم من حيث
يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله
ان يستر ذلك حذرا منه

السابع مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالذم وهو خلق كريم
يحدث به في اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله ۔ وقال عليه السلام الحياء شعبة من الايمان ۔ وقال الحياء
لا يأتي الا بخير ۔ وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك
والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستر ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما
قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء
خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان
يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم
انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك احوال ۔ احداها ان
يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او
يقرض فان اعطى فيتصور له ثلثة احوال احداها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر
الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء وينبغي ان تعطي حتى لا يذمك وينسبك
الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء ۔ الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى
في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم
وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه
الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه
فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او
الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب
والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدوء او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم
ان ذلك حياء وهو عين الرياء ۔ وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد منه الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من

دفعا

وعظ الناس وامامة الناس في الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء ليس بمحمود وقد يشاهد
معصية من شيخ فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه من اجلال الله اجلال الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن
منه ان يستحيي من الله تعالى فلا يضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس والضعيف
قد لا يقدر عليه فهذه الاسباب هي التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب

الثامن ان يخاف من ظهور
ذنبه ان يتجرى عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة
ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله واولاده لانهم
يتعلمون منه ففي الستر هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما
قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعات ۔ فان قلت
فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم
دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك ۔ فنقول حبك
لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله
لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلوتك
وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله تعالى عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك
بصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى
الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك
من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة
والصوم والحج والغزو فانها مقاساة للشدائد ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس
وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر مما لا يقتصر على البدن بل يتعلق
بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على
الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة

القسم الاول
الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلثة
احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي ان يترك
لانه معصية لا طاعة فيه لانه تدرع بصورة الطاعات الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع
عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخو بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده
حتى اندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله تعالى عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل
الثانية ان ينبعث لاجل الله تعالى ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه
وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من
الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول ۔ الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي

ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتمم العمل لان الشيطان يدعوك اولا
الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول هذا العمل ليس بخالص وانت
مراء وتعبك ضايع فاي فايدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه
ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال خلصها من الزوان ونقها منه تنقية
بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله ترك للاخلاص
مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا
من مكايد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن ذلك بهم ثم ان كان فلا يضره قولهم
ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم
قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص فاي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من
ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك كله فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع
ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال
انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك
حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا ان
تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا ليلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع
ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك
الخيرات فما دامت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله تعالى اذ دعتك
نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك
بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم
كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهة
ومنه خوفا ولم يبق باعثة دينية بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل وهو بعيد فمن شرع في العمل لله تعالى فانه لا بد وان يبقى
معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابرهيم النخعي دخل
عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابرهيم التيمي اذا اعجبك
السكوت فتكلم وقال الحسن كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من رفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه
البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد وردت فيه آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار
الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة
الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء
دون الضعفاء فالافضل ان يتم ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل
لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابرهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه يحتاج
الى ترك القراءة عند دخوله واستينافها بعد خروجه للاشتغال به وبمكالمته فراى ان لا يراه في القراءة ابعد عن

الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما قوله رفع الاذى فذلك بما يخاف على نفسه
آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون تركه ذلك للحفظ
على عبادات اكبر منها لا بمجرد خوف الرياء واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون قد اراد به مباحات
الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول من
مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني
وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى
لخوف الشهرة وما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقايق وانما ذكره تخويفا للناس
من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها

القسم الثاني

ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها
الخلافة ثم القضاء والتدريس والفتوى ثم انفاق الاموال

اما الخلافة والامارة

فهي من افضل العبادات
اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده
ستين عاما فاعظم بعبادة توازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال عليه السلام اول من يدخل الجنة ثلثة الامام
المقسط وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال عليه
السلام اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم
يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك به الصفات الباطنة ويغلب
على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في
حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان
كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا
الخطر العظيم كان يقول عمر رضي الله عنه من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من والي
عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال
يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خر لي
قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسئل الامارة فانك
ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع مولى بن عمر
لا تامر على اثنين ثم ولي الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامر على اثنين وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله
عليه وسلم قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى
ما ورد في فضل الامارة مع ما ورد عن النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي
ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا
يستفزه الطمع ولا تاخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة
الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فايس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت
فيها ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات

ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فيكره العزل فيداهن خيفة العزل فهذا قد اختلف العلماء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير ولو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع والعزل مؤلم وهو كما قيل ظلمات الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال عليه السلام انا لا نولي امرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رافع مولى ابن عمر عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض

واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب ايضا فيه عظيم مع العدول عن الحق وقد قال عليه السلام القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضى فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة فينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها في عينه وزن وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم لومة لائم ومهما كانت السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق والواجبات لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء فان تقلد فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا في الاهمال للحقوق اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله تعالى فان لم تسمح به نفسه فهو اذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار

واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات بل اشد وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر كذا كذا قمطرا من الحديث وقال اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر القلوب به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ونفر عن كل كلام حق يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فافيضها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين منته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم

واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة واراد به الامارة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر ابي بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول ابي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما لذة وفتنة فلا فرق بينهما فاما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الخوف الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك الدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولهذا قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تفعلون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم

مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم
بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم
على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى
فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم فقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء
السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل
عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام
ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل
بالعلم واترك مراآة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل ولكن تمم العمل وجاهد فاعلم ان فضل العلم
كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما
الآفة في اظهارها بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا
دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد
فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلوة وهو له كاره فلا يترك الصلوة لان آفة الرياء
في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلثة الاولى
الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصلوة والصوم والحج والغزو
وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة
على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهي التصدي لمنصب الوعظ والفتوى
والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوة لا ينبغي ان يتركها الضعيف والقوي
ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء راسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب مناصب
آفات العلم علم انه بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وهاهنا رتبة رابعة وهي جمع المال
واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلاب الثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة النفس
والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال
القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما يسرني اني
اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع ولا الشراء ولكني اريد ان اكون من
الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق
فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله تعالى افضل والاخذ والاعطاء
يشغل عن ذكر الله تعالى وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر تركك للدنيا ابر وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه
عن ذكر الله تعالى وذكر الله افضل وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف
في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات فالاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر

وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة
ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقل ما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك
ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه
ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا
خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل
هو الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات واما المال الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال
من امساكه فان قلت وباي علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس
فاعلم ان لذلك علامات احدها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس اشد له قبولا فرح به
ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل
يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك
علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج
من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل
من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن
ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج
حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون
الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص
من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير
مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها
خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما
غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم ابتداء الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق
فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني
اغزو فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى
رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله
خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال
السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان
جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن حتى اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن
واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقل ما رايته فاغرا فاه يضحك
انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانهم يظنون ان الخيانة ليست الا
في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شررة من نار

اتيت هذا فقال اقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ
التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسالون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد
فهذه العلامات وامثالها يتبين سريرة الباطن ومهما رايت اهل العلم يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون
ولا يتعاونون فاعلم انهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون نسال الله تعالى التوفيق

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن
يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاد ما
اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط
فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة
الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشتغال وتغلبه التمكن من الشهوات او
تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشتغال في بعض المواضع فينبعث له
النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع
بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل
غريب اندفعت هذه الشواغل التي تفتر رغبته للخير وحصلت اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا
على الله تعالى واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله تعالى فتتحرك
داعيته للدين لا للرياء وربما يفارقه النوم لاستنكار الموضع او بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه
النوم وينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك
سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها
فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فينبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث
الدين فاذا سلم عنها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه
معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا وكنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على
صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا
يظنون انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان
صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله تعالى وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق
لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي له ان يزيد على ما كان
يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى وان كان انبعاثه لدفع العوائق
وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون
من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه
فان سخت نفسه به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد

يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون سببه
تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع
في النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة
وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس
يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين بكوا
ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه
هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند التقدير للاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال
انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمن لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك
الصيحة والتنفس والانين عند القرآن والذكر او بعض مجاري الاحوال تارة يكون من الصدق والحزن والخوف والندم
والتأسف وتارة يكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد
تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بباعث
الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه
وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون اصل الانين على الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو
محظور لانها في حكم الابتداء بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله
فيدعو الى زيادة تحزين الصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعد ان استرسلت لخشية الله تعالى ولكن
يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قوته من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان يقال انه سقط
من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة
عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم
الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته
صحيحة ولو كانت لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في
المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها
ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق
فقام معه شيخ رأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد
جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار
والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه
خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر
ما هو ومن اين هو فان كان لله تعالى فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل
وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى الحمد بعد
الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتذكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد

الثلثة نفر الذين جاءوا ايوب عليه السلام اذ قال يا ايوب اما علمت ان العبد يضل عنه علانيته التي كان يخادع بها
نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت ۞ وكان من دعاء زين العابدين
عليه السلام اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلوا سريرتي محافظا على رياء
الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس
بحسناتي وفرارا منهم اليك فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين ۞ وقد قال احد
الثلث نفر لايوب عليه السلام يا ايوب الم تعلموا ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرايرهم عند طلب الحاجات الى
الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرف
ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النملة وبعضه اخفى من دبيب النملة وكيف يدرك ما هو اخفى من
دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادركه بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب
وامتحان النفس وتفتيش عن خدعها

[illegible]

اعلم ان اول ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله تعالى الا من لا
يخاف الا الله ولا يرجوا الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة
فليلزم قلبه كراهية ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات
العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم
او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه
فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة
عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه ابد الآباد وعظم غضب الله تعالى ومقته على من طلب بطاعته ثوابا
من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره تحبب اليه وسقوط عند الله تعالى واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا
العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقوى
على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج
من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة
الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج ۞ وقد روى تميم
الداري عن النبي عليه السلام انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل من تطوع فان
كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص
وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرايض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده
في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذن ينبغي ان يلزم قلبه
خوف اطلاع الله عليه بصحة نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي
ان يكون وجلا من عمله خايفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان
يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله

وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يصح عمله
فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله من
رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في انه هل افسده
برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك
الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في حوائج الناس وافادة
العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم
بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة
في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا
ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله الذي عمله ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه
فقبل خدمته فنرجوا ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا
فقد كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من
قرأ عليه آية من القرآن وسمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره ۞ وقال شقيق البلخي اهديت لسفين الثوري ثوبا
فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث
فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره ۞ وجاء رجل الى سفين ببدرة او ببدرتين وكان ابوه صديقا لسفين وكان
سفين ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء فقال يرحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه فقال
يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار الى هذا المال فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفين ذلك
فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه كانت
اخوته مع ابيه في الله فكره ان ياخذ ذلك منه قال ولده فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له اي شيء قلبك
هذا حجارة ويلك عد انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال الله الله يا مبارك
تاكلها هنيئا مريئا واسأل عنها انا ۞ فاذن يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله تعالى في اقتداء الناس
به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة له عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما
يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطاء لان ارادته بغير الله بطاعته خسران في
الحال والعلم ربما يفيد في الحال وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي
ان يتعلم لله تعالى ويعبد الله ويخدم المعلم لله تعالى لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان
العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله تعالى ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهم لطلب المنزلة
عندهم الا من حيث ان رضا الله في رضا الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك
معصية في الحال وسيكشف الله تعالى عن ريائه وتسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن
الناس فينبغي له ان يلزم قلبه ذكر الله تعالى والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله
فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر له العبادات في خلوته به وانما يسكن لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم

نحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل قال ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته
فقلت له يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي ما دعاك الى هذا
فقلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج في قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي
بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني فكلما تثاقلت
نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل يا حنيفي جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز
الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون
حمصة فقال ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى
اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت
الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم
عشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب
والجيئة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي
ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة فلو تغيروا عن اعتقاده لم يجزع
ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة واطلع
الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه
ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه
الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس
قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من
الله تعالى غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو او يسعى او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك
فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو عن ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس
في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق
الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه
لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في
الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء
اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة في الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء
بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا في مجلس اذل منهم في مجلس سفيان
الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا
كان اقرب اليك وكان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم
الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا ورياء ثم اذا سويت بينهما
في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع خفي كما قال

ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق
عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في
هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا
ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد
امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات
وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وعارف الصيادلة وعود نفسه
شرب الادوية المرة فصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن
سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تذكر في توالي الالام والاوجاع عليه وادائه
ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده
منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة
اللذات فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى بالقليل
منها واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله
فيهلك ورجاء لان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من
النعيم المقيم في رضوان الله تعالى ابد الاباد ثم علم ان الله تعالى كريم رحيم لم يزل بعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم
رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه
وعدلا ثم اذا احتمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب
اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى
سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول
من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر
العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده
وكرمه ورافته ورحمته انه الجواد الكريم المنان القديم تم كتاب ذم الجاه والريا بحمد الله تعالى وعونه

كتاب ذم الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين مما صنفه الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع
الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين خاشع متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه
عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله
وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع
عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور

الأكابر عزه وعلاؤه وقصر أيدي الجبابرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلوة على محمد الذي أنزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم كثيرا

أما بعد

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه والكبر والعجب داءان مهلكان والمستكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما في الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب

الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه

بيان ذم الكبر بيان ذم الاختيال بيان فضيلة التواضع بيان حقيقة الكبر وآفته بيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر بيان ما به التكبر بيان البواعث على التكبر بيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر بيان علاج الكبر بيان امتحان النفس في خلق الكبر بيان المحمود من خلق التواضع الكبر ه

بيان ذم الكبر

قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون بغير الحق وقال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر وقال فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون وقال فلبئس مثوى المتكبرين وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال وخاب كل جبار عنيد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في جهنم وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله على وجهه في النار وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والإنس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال عليه السلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين وقال عليه السلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال عليه السلام تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار

إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال عليه السلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى وبئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال وبئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى وبئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن نوحا عليه السلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والأرض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى عليه السلم طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي عليه السلام أهل النار كل جعظري جواظ متكبر مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال عليه السلم إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال عليه السلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صورة الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال عليه السلم إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال عليه السلم اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبر وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله تعالى جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد الباقر رضي الله عنه ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمن بن بشير على المنبر إن للشيطان مصالي وفخوخا وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله تعالى والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله ه

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا وقال عليه السلم بينما رجل يتبختر في بردته قد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيمة وقال عليه السلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر

الله اليه يوم القيمة ● وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني
ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله تعالى الى من جر ازاره خيلاء ● وروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن ادم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه
حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق
واني اوان صدقة ● وقال عليه السلام اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال
ابن الاعرابي المطيطا مشية فيها اختيال ● وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو
عليه غضبان

الآثار

عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة
وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال
اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق من حميق ينظر في عطفيه في نعم غير مشكورة
ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله تعالى فيها ولا المودي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون
في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى
ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ● ومر بالحسن شاب
عليه بزة حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه معجب بجماله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك
ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم ● وروى ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر
اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر
ابن عبد العزيز كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ● وراى محمد بن واسع ولده يختال
فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فقد اشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ● وراى
ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلثة ● ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير
راى المهلب يتبختر في جبة خز فقال يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله تعالى ورسوله فقال له المهلب اما
تعرفني قال بلى اعرفك اولك نطفة قذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته
تلك ● وقال مجاهد في قوله ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذا ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله ● وقال عليه السلام
ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع راسه جذباها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه
قالا اللهم ارفعه ● وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل
والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة ● وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عندنا بقبا وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة
العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله
رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله ● وروى انه

صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل
اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل
حتى كانت به زمانة مثلها ● وقال عليه السلام خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي
من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا ● واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما
اتقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من
اجلي ● وقال عليه السلام الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى ● وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين
في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة
طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيمة ● وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة
الله تعالى ● وقال عليه السلام اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد
في الدنيا ● وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة ● وقال
عليه السلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ● وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه عليه السلام الى جنبه ● وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه ● وقال
لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع ● وقال عليه السلام اذا رايتم المتواضعين
من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار

قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله تعالى رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره وهصه
الله الى الارض وقال اخسأ اخساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير ● وقال
جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان
الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي رضي الله عنه فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه
من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم
بعضا في الدنيا ● وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع ● وقال يوسف بن اسباط
يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد ● وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع يكون
تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته منه ● وقال ابن المبارك راس
التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك
في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضلا ● وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه
كان عليه وبالا يوم القيمة ● وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك فاستقبلها بالاستكانة اتممها
عليك ● وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا
ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله تعالى على عبد نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله

نعمها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار ليعذبه ان شاء او يتجاوز عنه • وقيل لعبد الملك بن مروان اى الرجال افضل
قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة • ودخل ابن السماك على هرون فقال يا امير المؤمنين ان
تواضعك فى شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا
فى خلقه وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله وواسى فى ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان
الله من خالص الله تعالى فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده • وكان سليمن بن داود عليهما السلام اذا اصبح
تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين • وقال بعضهم كما
يكره ان يراك الاغنياء فى الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء فى الثياب المرتفعة • ويروى انه خرج
يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا
تلقى احدا مسلما الا رايت له عليك فضلا • وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت
وتواضع الجودى فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه • وقال ابو سليمن ان الله تعالى اطلع على قلوب
الآدميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلم فخصه منهم بالكلام • وقال يونس بن عبيد وقد
انصرف من عرفات لم اشك فى الرحمة لولا انى كنت معهم انى اخشى انهم حرموا بسببى • ويقال ارفع ما يكون العبد
عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه • وقال زياد النميرى الزاهد
بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر • وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادى من باب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما
كان يسبقنى احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا
وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا • وقال موسى بن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى
محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله تعالى لنا فبكى ثم قال ليتنى لم اكن سبب هلاككم قال
فرايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل • وجاء رجل الى الشبلى
فقال له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التى تحت الباء فقال له الشبلى اباداك الله او تجعل لنفسك
لنفسك مكانا • وقال الشبلى فى بعض كلامه ذلى عطل ذل اليهود • ويقال من راى لنفسه قيمة فليس
له من التواضع نصيب • وعن الفتح بن شخرف قال رايت على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى المنام فقلت له يا ابا
الحسن عظنى فقال ما احسن التواضع بالاغنياء فى مجالس الفقراء رغبة منهم فى ثواب الله تعالى واحسن من ذلك
كله تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله تعالى • وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه • وقال
ابو يزيد ما دام العبد يظن ان فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما
ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته بنفسه • وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعونى
كاتضاعى عند نفسى ما قدروا عليه • وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها
صاحبها الا التواضع • وقال يحيى البرمكى الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم • وقال
يحيى بن معاذ التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع • ويقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء
احسن والكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله تعالى ولا رفعة الا لمن تواضع

لله تعالى ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله تعالى • وقال ابو على الجوزجانى النفس معجونة بالكبر والحرص
والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله به خيرا فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر
ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت فى نفسه نار الحرص ادركها القناعة مع عون الله • وعن الجنيد انه كان يقول
يوم الجمعة فى مجلسه لولا انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يكون فى آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم
وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه اولا ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه
ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها • وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه
غلمان واذا هم يعنفون الناس يمينا وشمالا عن بغلته حتى يسير فى المسعى قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر
فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لى ما لك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل
رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك قال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس
فوضعنى الله حيث يترفع فيه الناس • وقال المغيرة كنا نهاب ابرهيم النخعى هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه
الكوفة لزمان سوء • وكان عطا السلمى اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذه بطنه كانه امراة ماخض وقال هذا من اجلى يصيبكم
لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافى يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم • ودعا رجل لعبد الله بن المبارك
فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجا بعد المعرفة فاين المعرفة • وتفاخرت قريش عند سلمان رضى الله عنه يوما
فقال سلمان لكنى خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل ميزانى فانا كريم وان خف فانا
لئيم • وقال الصديق رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع ٥ والله اعلم

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق
الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر
واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر
عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتى فان العجب لا يستدعى غير المعجب
بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق
ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفى ان يستعظم نفسه او مثل نفسه ليكون متكبرا فانه قد
يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفى ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى
نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغى ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق
مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هى الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة
تنفخ فيه فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون
الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال عليه السلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء • وقال عمر رضى الله عنه اخشى ان تنتفخ حتى
تبلغ الثريا للذى استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح • وكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر
وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن

فما هى فى قوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضى اعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيانف من مساواته وتقدم عليه فى مضايق الطرق وارتفع عليه فى المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان قصر فى قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف فى النصح وان رد عليه شى من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهى اكثر من ان تحصى ولا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة جسيمة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال عليه السلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هى ابواب الجنة والكبر وعزة النفس تغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شى من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التى فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملئكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون وقال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قيل فى التفسير سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفى بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت قال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها وقال عيسى عليه السلم ان الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر فى قلب المتواضع ولا تعمر فى قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين انهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق فى حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال المتكبر من سفه الحق وغمص الناس

اعلم ان المتكبر عليه هو الله ورسوله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فاذا المتكبر باعتبار المتكبر عليه ثلثة اقسام

القسم الاول التكبر على الله تعالى وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السموات وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا الآية

القسم الثانى التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى فى ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق وللتواضع للرسول كما حكى الله تعالى عن قولهم قالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما وقال ان انتم الا بشر مثلنا وقال ولئن اطعتم بشرا مثلكم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى فاستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف من عبودية الله تعالى ومن اتباع موسى وقالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفى طلبوا من هو اعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال الله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنى عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله تعالى وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله تعالى والتواضع لرسوله صلى الله عليه وسلم

القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثانى فهو ايضا عظيم من وجهين

احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذى لا يقدر على شى فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله فى صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزى والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته اى انه خاص صفتى فلا يليق الا بى والمنازع فيه منازع فى صفة من صفاتى واذا كان الكبر على عباده لا يليق به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذى يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما حق الملك ان يستاثر به منهم فهو منازع له فى بعض امره وان لم يبلغ درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر

على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك
في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك الذي تعظم به رذيلة الكبر انه
يدعوا الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف من قبوله وتشمر لجحده
ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين
ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر عن قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك
من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون وكل من ناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على تحمل
الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروى عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال
انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف فقتل فقام آخر وقال تقتلون الذين يامرون بالقسط فقتل المتكبر
الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك وقال
عليه السلام لرجل كل بيمينك فقال لا استطيعه فقال عليه السلام لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها
بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله تعالى وانما ضرب ابليس مثلا
لهذا وما حكى من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين
فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به وكان مبداه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على
الله تعالى وكان ذلك لسبب هلاكه ابد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ ساله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى
أفمن الكبر هو فقال عليه السلام لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي
ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى سفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية وكل
من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار ورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين
الخلق ومن انف ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسوله فقد تكبر فيما بينه وبين الله ورسله

اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع
الى كمال ديني ودنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار
فهذه سبعة اسباب وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال عليه السلام آفة العلم الخيلاء
فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم
نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدؤوه بالسلام فان بدأ احدهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له
دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه
ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه ولا يزورهم ويعودونه
ولا يعودهم ويستخدم من خالطهم ويستسخرهم في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه

العلم صنيعة منه لديهم ومعروفا اليهم او استحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في الآخرة فتكبره عليهم بان يرى
نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى
جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء
وعظم خطر العلم كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى
ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء رضي
الله عنه من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا
فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف
العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال
الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل
الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات
اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا
والسبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل
اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في
العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا
فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة
والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا
لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد تكبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فاذا
ازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم اعظم ما يتكبر به ولاجل ذلك
قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال عليه السلام فيما رواه العباس
يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه
فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا
يفي علمكم بجهلكم ولذلك استاذن تميم الداري عمر في القصص فابى ان ياذن له وقال له انه الذبح واستاذنه
رجل كان امام قومه انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما
سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة
لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال انه عالم ثم انه لا
يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان لا يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا
عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان يشملنا بركته ويسري
الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدولة قد انقرضوا

في القرن الاول ومن ليتهم لم يعرفنا في زماننا فيختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة وذلك ايضا اما معدوم
واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان
جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر
ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا
كما يقتضيه فضله وكرمه **الثاني العمل والعبادة** وليس يخلوا عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس
الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم من انفسهم
بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى
وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء فانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين
فهو انه يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله تعالى
مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال عليه السلام كفى بالمرء
شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه
فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله تعالى فهم متقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو متمقت الى الله بالتنزه
والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله تعالى الى درجته في العلم وما اجدره
اذا ازدراهم بعينه الى ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة
فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على راس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه
انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل
وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه فقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا
العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى
انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي اذا تواضع وذل هيبة لله تعالى وخوفا منه فقد اطاع بقلبه فهو اطوع
لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا من بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته
وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك
قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى
الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قل ما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف
به مستخف او آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له فلا يشك في انه صار ممقوتا عند الله تعالى ولو آذى مسلما آخر
لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله تعالى وقد
ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم انه من كراماته وان
الله تعالى ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة
آذوا الانبياء عليهم السلام فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما

اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له
بما لم ينتقم لانبيائه به ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما
الاكياس من العباد فيقولون ما قاله عطاء السلمي حين كان تهب ريح او صاعقة فيقول ما يصيب الناس ما يصيبهم
الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه عن عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر
الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه يزدري بعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر
والحسد والغل ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله
جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله تعالى وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر
الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات
يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له رسول الله اسالك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من عباد الله تعالى
الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات **الدرجة الاولى** ان يكون الكبر مستقرا في قلبه
يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد فيتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه
قطع اغصانها بالكلية **الثانية** ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على
من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه
كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه
حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال عليه السلام التقوى
هاهنا واشار الى الصدر فقد كان صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما
وانبساطا ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني كل طلق مضحاك فاما الذي
تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه
عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم فاحوالهم اخف حالا
ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهلة وتزكية
النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر
لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقيص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر
منذ كذا ولا انام بالليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا
فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده واخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه
لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر
لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه في دين الله تعالى واما العالم
فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن

لعبته وما الذى سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد فى المناظرة ان يغلب
ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار فى علوم يتجمل بها فى المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ
وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على
من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب
واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر واثاره التى يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين
من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعرى من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول
الله يقول انه من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم ان الله تعالى
قال له ان لنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم
العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل

الثالث التكبر بالحسب

فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه
عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر
به فيقول لغيره يا نبطى ويا هندى ويا ارمنى من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمنى او ينظر الى
ومع مثلى تتكلم وما يجرى مجراه وذلك عرق دفين فى النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد
لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فاذا غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن ابى ذر
انه قال قاولت رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبى صلى الله عليه وسلم
طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدى
فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطاء وجهل وانظر
كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك
ما روى ان رجلين تفاخرا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال
النبى عليه السلام افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى
الله تعالى الى موسى قل للذى افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال عليه السلام ليدعن قوم الفخر
باباءهم وقد صاروا فحما فى جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التى تدوف بانافها القذر

الرابع التفاخر بالجمال

وذلك يجرى اكثره بين النساء ويدعوا ذلك الى التنقيص والثلب والغيبة
وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة انها قالت دخلت امراة على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى
هكذا اى انها قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتيها وهذا منشاه خفى الكبر لانها لو كانت قصيرة لما ذكرتها بالقصر
فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة فى جنب نفسها فقالت ما قالت

الخامس الكبر بالمال

وذلك يجرى بين الملوك فى خزاينهم وبين التجار فى بضاعتهم وبين الدهاقين فى اراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم
وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول انت مكدى ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك

واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتى يساوى اكثر من جميع مالك وانا انفق فى اليوم ما لا تاكله
فى السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بافة الغنى وفضيلة الفقر واليه
الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك
مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك الاية فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله تعالى عاقبة امره
وقوله يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه فى زينته حتى قال قوم يا ليت
لنا مثل ما اوتى قارون

السادس الكبر بالقوة

وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف ۵

السابع

التكبر بالانصار والاتباع والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجرى ذلك
بين الملوك فى المكاثرة بالجنود والغلمان وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد
كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين
لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان
ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشئ منه
على من لا يدلى به او على من يدلى بما هو دونه فى اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو
اعلم منه لظنه انه اعلم ولحسن اعتقاده فى نفسه

بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهى ثمرته ونتيجته وينبغى ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى
الباطن وهو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتى بيانه
ومعناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وعمله او بشئ من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما التكبر الظاهر فاسبابه ثلثة
سبب فى المتكبر وسبب فى المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذى فى المتكبر فهو العجب والذى يتعلق بالمتكبر
عليه هو الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرهما هو الريا فصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد
والحسد والريا اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر فى الاعمال والاقوال والاحوال
واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب
عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا قد رسخ فى قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له
وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه
له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاءه من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد فى التقدم عليه وان علم انه لا
يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله ان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسال عما هو جاهل به واما الحسد
فانه ايضا موجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء بسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعوا الحسد ايضا الى
جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقى فى رذيلة الجهل لاستنكافه ان
يستفيد من واحد من اهل بلده واقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع
بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان فى باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الريا
فهو ايضا يدعوا الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة

ولاحقد ولكن يمنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر الريا المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد والحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الريا على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر

بيان [illegible] مجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر

اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد بين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته ذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة من لباس ومشي وغيره بل ربما يعرف بلونه ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان عليه السلام يمشي في بعض الاوقات مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره او لينفي عن نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفين الثوري قدم الرملة فبعث ابرهيم بن ادهم اليه ان تعال فحدثنا فجاءهم سفين فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابو وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي داود فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ بيدي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة اني لا اعرف منكم رجلا شرا مني قال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنه وهو كبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه كما روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب وكاد السراج ينطفي فقال الضيف اقوم الى المصباح

فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المومنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا ياخذ طعامه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شي الى عياله وكان ابو عبيدة الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ ابن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع البذاذة وقد قال عليه السلم البذاذة من الايمان قال هرون سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب علي في ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلم جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله تعالى وهو الجنة وروية عن وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المومنين ان الله تعالى قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجده وان افضل العفو عند القدرة وقال عليه السلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله من حال ثابت بن قيس حيث قال اني امرء احب الجمال فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شي ولو في خلوته وحتى في ستور في داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في

مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال عليه السلام كلوا واشربوا
والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني
البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال
عيسى عليه السلام ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك
والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل في الورع
والزهد وقد اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق
والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت
لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم قال يا ابن اخي كل لله واشرب لله
والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة
ويشتري الشيء من السوق ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعياه ويشتري الشيء من
السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله ويصافح الغني والفقير والصغير
والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله
وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع
غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بساما من غير ضحك محزونا
من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم
الاطراق لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده الى طمع صلى الله عليه وسلم قال ابو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها
فحدثتها كلها عن ابي سعيد قال ما اخطأ له حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط
شبعا ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته
حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها
ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت
من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما
هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى فما نقل من احواله صلى الله عليه وسلم
يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله عليه السلام ولم يرض لنفسه
بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به
ولذلك قال عمر انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام
وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلفا من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة

ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلوة ولا حسن حلية ولكن بصدق
الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضات الله بغير جبن وتواضع في غير مذلة وهم قوم
اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام
لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا
يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم
السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم
فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما
في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي
من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها قال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا
اقبلت على الآخرة وبقدر حبك الآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب
افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة
واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في
القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره

المقام الاول

في استئصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه
ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به
الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله تعالى اما معرفته ربه وعظمته
ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفة نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في
اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة في كتاب الله تعالى فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن
فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه الآية فقد اشارت الآية
الى اول خلق الانسان والى آخره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى الآية اما اول الانسان
فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد
كان كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار مذكورا
الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس
ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه
وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته

ثم هذا معنى قوله تعالى من اى شئ خلقه ومعنى قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره ومعنى اشارة الى ما تيسر
له فى هذه حيوته الى الموت ولذلك قال فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان
كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وابصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف
وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد
الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان
ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك القلة والذلة والخسة
والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد
العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان من ذاته لا
شئ واى شئ اخس من لا شئ واى قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة
القذرة بعد العدم المحض ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته
وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدوه وهذه احواله فمن اين له البطر
والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام
له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام
العظيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام
ابى رضى ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد
ان يعلم الشئ فيجهله ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويريد ان ينسى الشئ ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى
ما يهمه فيجول فى اودية الوساوس والافكار بالاضطرار ولا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهى الشئ وربما يكون
هلاكه فيه ويكره الشئ ويكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهى تنفعه وتحييه
لا يامن فى لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره ويفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب
جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا من غيره
فاى شئ اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق به الكبر لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله واما آخره ومورده
فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه
وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة
ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه
فيصير رميما ورفاتا ويأكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا

فى اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان
يعود الى ما كان فيصير ترابا تعمل منه الكيزان او يعمر منه البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا فصار كان لم يغن
بالامس حصيدا كما كان فى اول الامر امدا مديدا وليته بقى كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى
شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة
وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر
اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك فى حيوتك
التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير
وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى
دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما
لمن هذه حاله وللتكبر بل ما له وللفرح فى لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ
بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان عند الله سبحانه
مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب
والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا
ريحه لماتوا من نتنه ولو وضع قطرة من شرابه الذى يسقى به فى بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة
الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يبطر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد فضلا واى عبد لم يذنب ذنبا استحق
العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله اراءيت من جنى على بعض الملوك ما استحق به ضرب الف سوط فحبس فى السجن وهو ينتظر
ان يخرج الى العرض ويقام عليه على ملاء من الخلق وليس يدرى ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله فى السجن افترى انه يتكبر على
من فى السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون امره فيكفيه ذلك
حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمى القاطع لاصل الكبر واما العلاج العملى
فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين
ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان
لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق فى الآخرة ولا يتم التواضع بعد
المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان والصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين
وفى الصلوة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما
يانفون من الانحناء وكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه
حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبى صلى الله عليه وسلم
ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول
كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع

وكذلك من عرف نفسه فلينظر كلما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب
لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم
الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت

المقام الثاني فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة
المذكورة في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على
العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة

الاول النسب

فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوي شرف ✽ لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

والمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان
له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى الدودة التي من بول الانسان اشرف من الدودة التي من
بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة ✽ الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف
اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن
كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي
يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل
من التراب ويا انتن من الحمأ ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب
دون البعيد فالنطفة اقرب اليه من الاب فليحتقر نفسه به ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب
فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل
له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة
وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل
فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات
وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه
احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في
اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها
لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه التراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاقذار
القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه

السبب الثاني التكبر بالجمال

ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر
العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه
وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في
اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد الى الخلاء
كل يوم مرتين فيخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله
هذا في حال كماله وجماله وفي اول الامر خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى

الاقذار خرج من صلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج في مجرى القذر قال انس كان ابو بكر
الصديق رضي الله عنهما يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ✽ وكذلك قال طاوس
لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرا اذ رآه يتبختر وذلك قبل خلافته هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه
في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب
المهملة التي لا تتعهد انفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر
الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه
الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وفي هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه
فينفيه ولا كان جماله اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حالة قد يتجحب بهذه الاسباب فمعرفة
هذه الامور تنزع عن القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تأملها

السبب الثالث التكبر بالقوة والايدي

ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد في بدنه لصار اعجز من كل عاجز
واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته
وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة
ولا يقدر ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واي
افتخار في صفة تسبقك البهائم فيها

السبب الرابع والخامس

وفي معناه الغنى بالمال وكثرة
الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان
لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدم
داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلاطين وولايتهم لا بصفة من نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر
فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى
في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف تسبقك اليهود به واف لشرف يأخذه السارق
في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو
في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل
الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء فمن عرف ذلك لا بد ان يزول
كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد
عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء
مالكه واخذه واخذ جميع ما في يديه وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب
مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام
وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى
من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه
كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب

والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج الكبر
بالاسباب وهو اهون من علاج الكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما
ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره **السبب الثاني من التكبر العلم** وهذه اعظم الافات واغلب
الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله تعالى عظيم
عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال
كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم
عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق به الشرع بفضائل العلم وان يقدر العالم على دفع
الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله تعالى على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره
من العالم وان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف
به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا
يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال
في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم
كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته
ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى
الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك فهو
كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة
سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه وكيف يتكبر من لا
ينبغي ان يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض
فيقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا اكل ذلك خوفا من خطر العاقبة وكانوا يرون انفسهم اسوا
حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق
ومثاله عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها
كما يرتضيه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا لخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في
الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها
ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك
وعفى عن بعضهم وهو لا يدري من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه
وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما
ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو
بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وحده وانه

اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا
فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه ومنها يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن
انه لا ذنب له مثلا او تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد
امرهم الله تعالى ان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت
كيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم
والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك
انما يمكن بالتفكر في خطر العاقبة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان
ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند
الله تعالى من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه
الله تعالى الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العواقب وجميع
الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذن من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل
فاذا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو
اكبر منه سنا قال انه اطاع الله تعالى قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله
وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الي كما لم
يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة
والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكنه
حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره وان
الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم
لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل
واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله تعالى وابغض الفاسق وقد امرت
ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه ملتبس على اكثر الخلق
اذ يمتزج غضبك به في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور
اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله تعالى كما
وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع
يشبه الغضب لله تعالى وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر
ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند
مشاهدة المبتدع والفاسق وامرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلثة امور احدها الى ما سبق من ذنوبك
وخطاياك ليصغر عندك قدرك في عينك الثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق
والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا

لم تعجب لم تكبر • الثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك
الخوف عن التكبر عليه • فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول لمولاك وسيدك اذ امرك ان تغضب
لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك لما علم الله من
خطايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم به انه ليس من ضرورة الغضب
لله تعالى ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو في رعايته وقد وكل
الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا
محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به
ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه
بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب
التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله تعالى في الآخرة
اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب
بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بعض
العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع
جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى او اعتقد البدعة مع الغضب عليه
ومجانبته لحكم الامر

السبب الثاني التكبر بالورع والعبادة

وذلك ايضا فتنة عظيمة على
العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف
ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال عليه السلام
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العالم فان قال العابد ذلك
لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان
يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد
لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له • فان قلت فان صح
هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من اصحابي • فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت حتى
ان يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به
واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذن كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا
امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجا وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا
حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على
المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله تعالى واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب
الا ما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا ينبغي ان يقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك

ذنوبك

وذنوب غيرك في طول العمر لا يقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل والشرب
والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب القلب من الكبر والحسد والريا والغل واعتقاد الباطل والوسوسة
في صفات الله تعالى وتخيل الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما
صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله تعالى واخلاص وخوف
وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر بذلك سيآته فينكشف الغطا يوم القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا
ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن
لغيرك بل ما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت
في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر عن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل
عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وعلا
ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى
فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه كره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال
لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه
خلقا كريما بينه وبين الله تعالى فرحمه الله تعالى ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر
لي فلا امن فيما اظهره من الطاعة ان يكون دخلها الافات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا
كلامه وبالجملة من جوز ان يكون شقيا عند الله تعالى وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر
بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى ان عابدا اوى الى
جبل فقيل له في النوم ايت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم بالنهار
ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول ان هذا حسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله
تعالى فاتى في النوم ثانيا وقيل له ايت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فساله فقال له ما
رايت احدا من الناس الا وقع لي انه ينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة
قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملئكة مع تقدسهم عن الذنوب
ومواظبتهم على العبادة على الدؤاب بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون
فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله تعالى
وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد
فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر
الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي
البراءة من الكبر وهو كاذب واذا وقعت الواقعة عاد الى طبعه ونسي وعده فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة
بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن

بيان امتحان النفس في خلق الكبر

الامتحانات الخمسة النفس بخمس امتحانات نذكرها هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة

الامتحان الاول

ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول له ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني عليه فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا سقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملا فليس فيه كبر وانما فيه ريا فليعالج الريا بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وبذكر القلب ان منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الريا وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والريا جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان

الامتحان الثاني

ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وهاهنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضيل فيكون قد تكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن

الامتحان الثالث

ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر

الامتحان الرابع

ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او ريا فان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو ريا وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ۞ ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة ۞ ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المومنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها ۞ وفي الخبر من حمل الفاكهة والشئ فقد برئ من الكبر

الامتحان الخامس

ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس عن ذلك ريا وفي الخلوة كبر وقد كان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل

وقد قال عليه السلام من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر ۞ وقال عليه السلام انما انا عبد اكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني ۞ ويروى ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الريا والكبر فما يختص بالملا فهو الريا وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه ۞

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كساير الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا والذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود هو ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن تاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم الذي اذا دخل عليه اسكاف فتخلى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السوال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره ولا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف عليه ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي ساير الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة وهو التكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان فكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسيس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

بيان ذم العجب وآفاته ۔ بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما ۔ بيان علاج العجب على الجملة ۔ بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك في معرض الانكار ۞ وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه

الاخبار

قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ۞ وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب

كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك • وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة
لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا
يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط
فلهذا جمع بينهما قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت • وقال زيد بن اسلم
لا تبرؤها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ورمى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فاكب عليه حتى
اصيبت كفه فكأنه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر فقال ما زال يعرف في طلحة
بأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبأو هو الكبر والعجب في اللغة الا انه لم ينقل منه انه
اظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا
يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم • وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما
احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر
من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب • وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة
لمواظبته على العبادة فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر اليه ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلوة قال لا
يعجبنك ما رأيت مني فان ابليس قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه • وقيل لعائشة رضي
الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام
الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا • واما بيان آفة العجب • فاعلم ان آفات العجب
كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى
هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه
مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى
نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه
ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قل ما ينفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق
والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة
وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب
برأيه وعقله وعلمه منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال
من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا
ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رأيه في امر دنيوي
فيتحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء
بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى
الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد
استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا
على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث
انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة وهي العجب وهو ان يكون
غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية
من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى
بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله تعالى مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان
حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا
ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة ولذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه
او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقه كان مدلا عليه وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق رأسه ولأن
تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب
معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع فان توقع
اجابة دعوته فاستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب
من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه ۵

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط
فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب
بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى
والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه
فيه وهو انه محله ومجراه تجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد
والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه منه واليه وباختياره حصل وبقوته وقدرته
فينبغي ان يتأمل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان
جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه
وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه فنظر اليهم
فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من
فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه
نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن في
من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال وتلك الصفة ايضا هي من خلعة
الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كان من عطية الملك ايضا لم

يمكن لك ان تعجب به بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني
غلاما لاني صاحب فرس فاما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس
والغلام معا او يعطي احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت
تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر
ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع وبايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة
لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما
من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك
وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله
وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله
فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب
فان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف
لا اعجب به فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو
انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين
بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القدرة والقوة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو
اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة
من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم
يخلق الارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه للمخلوق شيئا بعد شيء
هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله كما
سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة
ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وهو وجود عملك وارادتك
وقدرتك وساير اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك وان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا
المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل والعبادات خزاين بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها
القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله تعالى لا محالة ارايت لو رايت خزاين الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها
بيد خازن فلو جلست على بابها وخلف حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح
لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك
منها فمددت يدك واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفتاح او بما اليك من مد اليد واخذها فلا تشك في
انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المونة في تحريك اليد باخذ المال قريب انما الشان كله في تسليم المفاتيح وكذلك
مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف

حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوايق وتهيئة الاسباب
كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجايب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده
وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط
اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف
عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر ففعل ذلك كله بك من غير وسيلة
سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي
واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تتصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط
الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة
لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من باب تسلسل الاسباب والمسببات ما يستبين به انه لا فاعل الا
الله تعالى ولا خالق سواه فالعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول
كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى كاد يرى هذا ظلما ولا
يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب
لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني عنهما فهلا جمعتهما لي وهلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي كرم الله وجهه
حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى
الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذن ذلك
يدل على ان نعمة الله تعالى عليه اكبر فلم يتعجب عنه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب
فتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من
رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله تعالى عليها اكبر وقول الحكيم العاقل
الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام
وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهبك ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك وسيلة
لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق
ان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى
ولذلك لما قال داود عليه السلام يا رب ما تاتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل
داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما بصلاة واما بصوم واما
بذكر فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك
الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى
وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب
قال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم اخبرهم

باى شى ابتليتهم ولاى شى اى شهر ولا فى اى يوم وانا مخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه • وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على كثرتهم وقوتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الآية • وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلم قال الهى انك ابتليتنى بهذا البلاء وما ورد على امر الا آثرت هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك ومن اين لك قال فاخذ رمادا ووضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضافه ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته • ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا مع صفا اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذى بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب • ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالى ان يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالى ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراى الخطا الذى يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام

الاول ان يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى كمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو معرض للزوال فى كل حال وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى اقذار باطنه وفى اول امره وآخره وفى الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت فى التراب وانتنت فى القبور حيث استقذرتها الطباع

الثانى القوة والبطش كما حكى عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلم فثقبه الله تعالى حتى صار فى عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلم ان ابتليتنى صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم فى الحروب والقاء النفس فى التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما يسلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه

الثالث العجب بالكياسة والعقل والتفطن لدقائق الامور فى مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له لرايه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالراى والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزقه الله من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب منه عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقل عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتى من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس

علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدرى فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغى ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا

الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه فى افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل من لم يؤمن بالله تعالى وكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اى لا تفاوت فى انسابكم لاجتماعكم فى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمى الى نسبى ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت الآية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم • وقال عليه السلم ان الله تعالى قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب • وقال عليه السلم يا معشر قريش لا ياتى الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اى اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فناداهم بطنا بطنا حتى قال يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فانى لا اغنى عنكما من الله شيا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع والا كان طاعنا فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت • فقد قال بعد قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة وصفية رضوان الله عليهما انى لا اغنى عنكما من الله شيا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها • وقال عليه السلم اترجو سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة • فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقى الله تعالى ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد فى شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن فى الشفاعة فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا ينجى منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عليها السلم عن المعصية ولكان ياذن لها فى اتباع الشهوات لتكمل لذاتها

في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة
يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب واخ او غيره وذلك جهل لان سعي
الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب
بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفعاء من الانبياء
والصلحاء الاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء
قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم
يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنسبه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم

السادس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه
ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله تعالى والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر
الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم
استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم
على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله تعالى منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب
اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين
فاما العجب بنسبهم فجهل محض

السابع العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب
والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لن نغلب اليوم عن قلة وعلاجه
ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيتفرقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده
لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا
يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الآية
فاي خير فيمن يفارقه في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط الا
عملك وفضل الله تعالى وكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحيوتك

الثامن العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان
يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر الى فضيلة
الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال
والى قوله عليه السلام بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله تعالى الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها
الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد
فقال يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه

خلقان

خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض من مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا
وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا
يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى
الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه

التاسع العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله
فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على
آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل
البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع
ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء
الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله
عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها
نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما
لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف
الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب
وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط
في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها
ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما
اخبر ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل
يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال
فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل
في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد في العلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول
الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور
الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات
الجهال انه الكبير المتعال ولله الحمد والشكر في سائر الاحوال تم كتاب الكبر والعجب ويتلوه
كتاب ذم الغرور نسأل الله تعالى حسن التوفيق لانجاز ذلك انه ولي ذلك والقادر عليه

كتاب ذم الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين مما جمعه الامام حجة
الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي جزاه الله عن اهل العلم خيرا ونفعنا ببركاته

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ومخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلايق من ظلمات الديجور وعلى اله واصحابه لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة ولا نعمة لله تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والاكياس هم الذين اذا اراد الله ان يهديهم يشرح صدرهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اذا اراد الله ان يضلهم يجعل صدرهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قايدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع المغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلماء والصلحاء الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين وان كثرت يجمعهم اربعة اصناف

من العلماء من العباد

من المتصوفة من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي همه في الصلوة او القراءة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدا اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده والفرق بين الرجاء والغرور اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور كافية في ذم الغرور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين

وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكلما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم فيه مخطئون فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اكثر واشد واظهرها واشدها غرورا غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لها امثلة لحقيقة الغرور غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسية والدنيا نقد والآخرة نسية فاذن هو خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ومنه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله وما عند الله خير وابقى وقوله والآخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوايف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور اللعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه الشيطان في قلبه فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو الدليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس فيورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء والقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسية فهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسية وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسية في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسية خير فان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما نقدا لياخذ عشرة نسية ولا يقول النقد خير من النسية فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذايذ الاطعمة تركه في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسية والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسية فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان اقصى عمر الانسان ماية سنة وليس هو عشر عشير من جزء من الف الف جزء من الآخرة فكانه ترك واحدا لياخذ الف الف بل لياخذ ما لا نهاية له ولا حد فان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا

مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشأه
قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خير
من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والدنيا
يقين والآخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله
والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك ه
والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك
ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك
المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء
قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت وكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الصبر اياما قلائل وهو
منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وقد
كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل فيه صدقا فابقى في النار ابد
الآباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي عليه السلم لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا
وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين
له ان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين
عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور
وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة
من عند آخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين
الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم
اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يغتر في عمله بسببه
ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين
بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة ه
والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين
غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا
الآخرة وكذبوا الانبياء وكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك
قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة قول الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف
جملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي
والالهام الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل
بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما تختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد
ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها

بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف
لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس
بكلام وليس المراد بالامر الشأن حتى يكون المراد به انه من خلق الله تعالى فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم
عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن
التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا
رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه
واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني
غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على
آدم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه امر رباني
وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه صوارف العالم الغريب عن ذاته فينسى عند
ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك
هم الفاسقون اي الخارجون عن طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها
الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها
تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب
من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء وآخر
مقامات الاولياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما
ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقايدهم واوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة
ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة نعم
امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين
فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون
اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون
الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله تعالى مثالين
من غرور الكافرين والعاصين واما غرور الكافرين بالله تعالى فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه ان
كان لله معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى عن قول الرجلين المتحاورين اذ قال
وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر
بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امرأة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه

المومن ويقول اشتريت قصرا يخرب ويعنى الا اشتريت قصرا في الجنة يبقى واشتريت بستانا يخرب الا اشتريت بستانا
في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هذا
شئ وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لى في الاخرة خير من هذا ولذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل
اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا روى عن خباب بن الارت
انه قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت انى آخذ في الآخرة فقال لى اذا صرت الى الآخرة
فان لى هناك مالا وولدا وما لا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال
تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى
عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله تعالى وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله تعالى
عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه العذاب في
الآخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة
ينظرون الى المومنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ويقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون
لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظموه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله تعالى الينا في الدنيا
وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا كما قيل لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى
وانما قياس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا انى كريم عند الله تعالى ومحبوب لما احسن الى
والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه
كريم عند الله تعالى بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان
صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه
من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب
ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهى فيظن هذا الصبى المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته
وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات
من الله تعالى فان الله يحمى عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في
الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت
والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انه كرامة من الله تعالى
واذا صرف عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا بين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا
بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من اكرمته بطاعتى غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته
بمعصيتى غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما
البصيرة فبان تعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله
ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة

واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما
نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال
فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفى تفسير قوله سنستدرجهم
انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال لا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم فمن آمن به تخلص عن هذا الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله تعالى وبصفاته فان من عرفه لا
يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم
دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال واكيد كيدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه
من النعم على حب السيد بل ينبغى ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذر مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله تعالى
مع تحذيره استدراجه اولى فاذن من امن مكر الله فهو مغتر ومنشا هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم
عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل
بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور المثال الثانى هو غرور العصاة
من المومنين بالله تعالى العصاة من المومنين بالله تعالى بقولهم ان الله كريم وانا نرجوا عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم
الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجا مقام محمود في الدين فان نعمة
الله تعالى واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصى العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومومنون فيرجون بوسيلة
الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة
ابائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين
وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا
احب اولاده وان الله تعالى احب اباكم فيحبكم ولا تحتاجون الى الطاعة ونسى المغرور ان نوحا اراد عليه السلام ان يستصحب
ولده في السفينة فقال ان ابنى من اهلى فقال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم استغفر لابيه
فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن الى ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن في الزيارة ولم يوذن في
الاستغفار فجلس يبكى على قبر امه رقة لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله يحب المطيع
ويبغض العاصى وكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه الولد العاصى فكذلك لا يحب الولد العاصى بحبه للاب المطيع
ولو كان الحب يسرى من الاب الى الولد لاوشك ان يسرى البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه
ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشى
ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى والد عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل
الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط
في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجوا مغفرته فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان

لا يغر الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى
الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على
الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجا فقال تعالى
ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر
ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى
ان من استوجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء
الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا
او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجا والغرة قيل للحسن ان قوما يقولون نرجوا الله ويضيعون العمل فقال
هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد
سجدت البارحة حتى ثنيتاي واني اخوف ما كنت اليوم فقال له رجل انا لنرجوا الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا
شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجوا في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم
ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه
اذا نكح ووطي وانزل وبقي مترددا في الولد يخاف ويرجوا فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى
ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيات وبقي مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه
وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجوا من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس
ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين
وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت
زرع الا بحراثة وبث بزر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان
صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم
نذير الم ينبهكم بسنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله
بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير
فان قلت فاين مظنة الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا
خطرت له التوبة فقال الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجا
ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة
وقال واني لغفار لمن تاب فامن فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج وان توقع المغفرة على الاصرار فهو مغرور كما ان
من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك
فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجوا ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة

لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور والثاني ان يفتر نفسه عن فضايل
الاعمال ويقتصر على الفرايض فيرجي نفسه نعم الله تعالى وما وعد الله به الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة
فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المومنون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فالرجا الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة
وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك
الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك وايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك
عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله واليم عقابه
ويقول له مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم
بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه
سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجا قايدان وسايقان يبعثان على العمل فما لا
يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله
تعالى واهمالهم للسعي للاخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة
وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في العصر الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار على طاعة الله تعالى يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات
ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي
وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انا واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كانهم
يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك
بالمنى وينال بالهوينا فعلى ما بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف
وقد قال عليه السلام فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على
الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع
موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما فيه ومثله اخبر الله عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء وياخذون عرض هذا
الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من
اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا طال حزنه وعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس الان يهذونه
هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها كانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم
الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذا امثلة من الرجا والغرور ويقرب منه غرور
طوايف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم مع ان ما
في كفة السيات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من
اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما يتصدق به هو من مال المسلمين وهو يظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه

التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان يميل
الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب
نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم
مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته
انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة
وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد اوعده الله تعالى العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين
والنمامين والمنافقين يظهرون ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام
الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه
حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها ويوازنها بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة
نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته اجره على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس
الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين
وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله تعالى ان نكون
من اهل الكفران فسبحان الله من صدنا عن التنبه والتبين بعد هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه
الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

[illegible]

واقسام فرق كل صنف من الاصناف وهم اربعة [illegible] اهل العلم والمغترون منهم
فرق [illegible] احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد
الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من
العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانهم لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على
الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله
وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة واما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها وهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم تكن لهذه العلوم قيمة
وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها
الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان فارق وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل
له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه
وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى
ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب منه الف
نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك عن مرضه شيئا الا ان يزن الذهب

ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع
شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه
فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق
المذمومة وما زكى نفسه عنها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها
ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال
فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار
الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك هواه واطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا
فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل
الكلب وقوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال عليه السلام من ازداد علما
ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في
الرحا وقال شر الناس العلماء السوء وقال ابو الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي
يعلم ولا يعمل سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى
وقال عليه السلام اشد الناس عذابا في القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله اوردناه في كتاب العلم في باب
علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل
الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي
اخبره بفضل العلم هو الذي اخبره بذم علماء السوء وان حالهم اشد عند الله من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده
انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه
وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله من اراد خدمة ملك فعرف الملك
وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه وما يكرهه وما يغضب
عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه
من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه
الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في
سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط وبمعرفة ما يحبه
ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيل المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه الشهوات يدل
على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه فلا
يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري نعم
من يعرف من الاسد لونه واسمه وشكله ثم لا يخافه فكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله من صفاته انه يهلك العالمين
ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرته من لو اهلك مثله الافا مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الآباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا
ولم ياخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فقيل معناه العلماء بالله على الحقيقة

وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل ان فقهائنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت فقيها قط الفقيه القائم لله ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله تعالى وان ردت حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين

وفرقة اخرى

احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة واجتنبوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والريا وطلب الرياسة والعلو وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله عليه السلام ادنى الريا شرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبير الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وكرجل قصد الملك الضيافة الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبتت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا تزال تقوى اصوله وتنبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لم يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن

وفرقة اخرى

علموا ان هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من المجلس شمت بي اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما راى من الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وكذلك يرائي باعماله وبعلومه واذا خطر له خاطر الريا قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقابه ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله تعالى مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له فاذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في اموالهم فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك فالله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غروره ببعضهم الى ان ياخذ من اموالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في قوله انه لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وذرياتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان مال كل واحد قد اختلط بالاخر الثاني في قوله انك من صالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله تعالى وهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير

وفرقة اخرى

احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الريا والحسد والكبر

والحسد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون
اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها
وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج
راسه بعد من تحت الارض فظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت
تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد طهرها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من
حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقايق فتراه يسهر ليله
ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله
تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وانطلاق الالسنة عليه
بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة
والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه
والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين ساير الاقران والاشكال بالجمع
بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة
الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور خيوته في الباطن بما انتظم له من امر
وامارة وعز وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه
يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظايفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في
تغطية عيبه وعساه يوثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو
قلبه عمن عرف حق فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يوثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يوثره
لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على
خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه
فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية
فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقد في العزلة والاخفاء
لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني ادم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع
في حبالي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله تعالى لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه ونسبه
الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله عالم بانه المصنف
لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوي العريضة الطويلة واما ضمنا
بالطعن في غيره ليتبين انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام
المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قايله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه
كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين
الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها

ليكون

ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تعالى الى نبي
زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا
ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلما افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر
كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره ففرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم
اذا انصرفوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على
قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوايجه كما كان يتشمر من قبل ولا
يحرص على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل هذا التحيز منه الى فية اخرى كان انفع له في دينه
لانه من الافات كانت تلحقه في هذه الفية وسلامته عنها في تلك الفية ومع ذلك فلا يزول النفرة عن قلبه ولعله
واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك
ويقول انما غضبت لدين الله تعالى لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه
وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه بين يديه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وفي سر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه
فهذا وامثاله من خفايا العيوب التي لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء
الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد
خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن
على الله بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال
هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة مما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنايهم على اصل ذلك
العلم واما لاقتصارهم عليه **فمنهم فرقة** اقتصروا على علم الفتاوي في الحكومات والخصومات
وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب
وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن
عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا ساير الجوارح ولم يحرسوا بطونهم عن الكبر والريا والحسد وساير المهلكات
فهولاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان
مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم من به علة البواسير والبرسام وهو
مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا
مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنها وذلك غاية
الغرور وكذلك المتفقه المسكين قد سلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والريا وساير المهلكات
الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم
السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى
شي من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه
والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري

ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه
وجه الله فانه وان قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا مغرور
من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم
تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة
والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل
بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم
الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم
التقوى اذ قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي
يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال
وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق
وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين الله وبين العبد واذا مات ملوثا بتلك الصفات
كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية
والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا بسبيل وقد ذكرنا ذلك
في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم
ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد
لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم
السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم
القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه
التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء
قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع
دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب
والتعدية انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من
قبلهم

وفرقة اخرى

اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم
واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك
فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم
وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل
فرقة الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى
السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم
بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى الشبهة دليلا والدليل شبهة
واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله تعالى
وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او
ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات
المبتدعة ومناقضاتهم واهملت نفسها وقلبها حتى عمي عليها ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها
بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل ولكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب
عن دين الله عميت بصيرتها فلم تلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق
وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا
بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا
بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوه مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله تعالى
ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى
السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدل وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه
حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم وهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به
فاعملوا والى ما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله تعالى بالحجاج والجدال ثم انهم راوا رسول الله
وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما
جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات
والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية
الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا
وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا
العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا
الخطا في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي
بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت
عنه وكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله وما يحبه
لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه

وفرقة اخرى

اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في
اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق
ونظائرها وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين
بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام الناس من المسلمين وغرور هؤلاء اشد

الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله تعالى وما قدروا
على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب
عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الآخرة فالمسكين بهذه
الظنون يرى انه من الخايفين وهو آمن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين
بقضا الله تعالى وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب
ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره ويرائي
بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقايق الريا ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا
وقوة رغبته فيها وهو يظهر الدعا الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس
ويقرب الى الله وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو لها متصف ويصرف
الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض
بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى
احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء اعظم الناس غرورا وابعدهم عن التنبه والرجوع
الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوايلها وفوايدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله
حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباده فيخافون الله وهو
ليس بخايف نعم ان ظن بنفسه انه بما يتلوه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه
يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد
فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله تعالى فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة
الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رايت محبا آنسا يستوحش
من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق
بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطا عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في
النار فيندلق اقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحا كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه
وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيا ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف
منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك
وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة
وجريانه على اللسان والمعرفة للعلم فان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب
والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى
وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواه بفصاحته ويصف الصحة والشفا وغيره من المرضى لا يقدر على وصف
الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم في الوصف
والعلم بالطب فطنة عنده علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد

وساير هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور فهذه حاله
الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله
وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل هذا الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى على
الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع
والعقل طلبا للاغراب • وطايفة اخرى شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع
والاستشهاد باشعار العرب في الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة
فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم
ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله تعالى بلفظ الرجا فيزيدهم كلامهم جراة
على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فانه يشهد من فرقه الى قدمه بشدة
حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا
وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها
ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع
الجلسا وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد
افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه
لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم
الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد
ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها
انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان
ذلك يكفيهم • ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون به • ومنها انهم
يتركون العلم الذي هو فرض عين لهم وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية
ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك • ومنها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع
بمجرده وان لم يكن له فايدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم
فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى
الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرا والشيخ نايم والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى
ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث وينسخ والشيخ الذي
يقرا عليه لو صحف او غير ما يقرا عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان يسمعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويؤديه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان
عجزت عن سماعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من
سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتروي وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير

منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطا علمت خطاه وللحفظ طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار
كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب ما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا يصل اليه
يد من يغيره ويكون حفظك معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره
فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا
بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رايت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه
مغيرا مفارق حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع
ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت
عليها بالتقابل لها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم
في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب ان لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان
يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير لو كان ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي
ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون سمع منه ولا خلاف
في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم
ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل المشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ فان استجرا جاهل فقال
يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع
الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا كان شيخا على ان يقول سمعت بعد
بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية
كذلك لا يصح وما زاد عليه كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا
لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يودي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا
افحش من فواحش انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوهم في
الصبي على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل
من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم وتقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا
فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول
المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم الاصوليين بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور
هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افناء اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد
واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى وربما يكفيه
الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس
الذين يحذرون الغرور اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا

انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة بعلم النحو واللغة فافنوا هؤلاء اعمارهم في
دقائق النحويين وفي صناعة الشعر وفي غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف
وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم
اصل الخط بحيث يمكن ان يقرا كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية فكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب
كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وانما فارقتهم لاجل ورود
الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب
واما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني
الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القران واقتصر
عليه وهو مغرور اذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين
ليزول ما به من الصفرا فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك
غرور اهل النحو واللغة والادب والقراات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا
عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل
وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة
الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج
الحروف فالقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته
فتجاوزها الى ما وراءها حتى دخل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه
وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم
خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب
او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب وما انه
ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم
الشرع لان علوم الشرع مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه هو المنتهى
والباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذه مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به
عظم غرورهم في الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع
الحقوق واتاذوا تاويلات الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى والغرور
فيه والخطاء في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فلنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم
ان المراة اذا ابرات عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة
بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبري الزوج لتتخلص فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد
قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس ان
تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا ترددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق

باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانه لم يكره بسبب ظاهر
والاكراه الباطن ليس يطلع عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيمة للقضا لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا
في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان ان يؤخذ الا بطيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملاء من الناس
فاستحيى من الناس الا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف
الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ
معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال
في مظنة الحيا والريا ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الظاهر وضرب الباطن عند الله فان الباطن عند الله
ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب فكذلك من يعطي
اتقاء شر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جاء
في قصة داود النبي صلى الله عليه حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر
بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسأت اليك
في امر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل هل ذكرت له ما فعلت
قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك
قال ولا تسالني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب فقال يا اوريا
الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل داود الصراخ والبكا
من الراس حتى وعده الله انه يستوهبه منه في القيمة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة قلب ونفس لا تفيد وان
طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب لا تكون في الابرا والهبة وغيره الا اذا خلي الانسان واختياره
حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر بواعثه الى الحركة والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في
آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة السلطان
والساعي قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن
لم يملك المال او كمن باع لحاجة الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة وان سر الزكوة
تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال عليه السلم ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما
فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن انه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه
وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك
اباحة الله تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاماني والفضول
والشهوات وبين الحاجات بل كلما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد
اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك
فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة
تعرفنا الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول

الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل

والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الزهد وكذلك
كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة اهملوا الفرائض
واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسواس في
الوضوء فبالغ فيه حتى لا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا
آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى
الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضا عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان
مع هذا يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي
عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من
فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور بتضييعه العمر الذي
هو اعز الاشيا فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله تعالى بطرق ولا يقدر على صد العباد
الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقة اخرى غلب عليها الوسوسة
في نية الصلوة فلا يدعها الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن
الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة
التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم
ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد
والاحتياط فهم على خير عند ربهم وفرقة اخرى تغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة
وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف
في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره
وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم
في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان فامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة
ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها ويعود مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة
ومراعاة المجلس فما احراه ان يقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل
وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسانهم يجري بها
وقلوبهم تتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند
اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد
التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه
مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه
فهو مستمر في خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو يستحق العقوبة
ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه

ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن
ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هو لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام آخر لالتذ به
ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه ليعرف ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بالصوت
منهم اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون
السنتهم من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول
طول النهار ومع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرايض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور
اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين
وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرايض
ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث
والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله
في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذ من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث
برذايل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيرها على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه
وهو مغرور
اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على
الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا فرد عليه
غضب عليه وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه اغلظ القول عليه وانما
غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله تعالى ولو جاء
غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيمة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة
مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره فان كان اورع او اعلم منه ثقل عليه
جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم
قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قولهم ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا سنة
واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح القول بالتحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد عين الطمع الى
اوساخ اموال الناس واذا جمع منها شيا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر
فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من
المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات
الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب
احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والصوم والزكوة والتلاوة
وساير القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب
زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت
رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون

الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن
انه من الزاهدين في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا
وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبايث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك
مغرور اذ يتطاول به على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب
بعمله ويتصف بجملة خبايث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل
له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ
ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم
على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المايلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان
وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القرآن وهو في
جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك
وان علم فلا يظن بنفسه ذلك ويتوهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات
الظاهرة يترجح بها كفة حسناته هيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال
عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء واذا قيل له انت
من اوتاد الارض واولياء الله واحبابه فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه
مرضيا عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبايث باطنه
حرصت على
النوافل ولم اعتقادها بالفرايض تراه يفرح بصلوة الضحى وبصلوة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة
ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى ما تقرب المتقربون
الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان
احدهما يفوت والآخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظاير ذلك
اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرايض
كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قايم بها على ما قام به غيره وتقديم
الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان تقدم حاجة الوالدة على حاجة
الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال
ثم من قال ثم اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدا بالصلة الاقرب فالاقرب فان استويا فالاحوج فان
استويا فالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على
الحج وهذا من تقديم فرض الاهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال
بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه نجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه
فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات
لا تحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور في طاعة الا انه لا يفطن

بضرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في
حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود
الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة
المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه
وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق فرقة منهم متصوفة اهل
الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئاتهم وفي
الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس
على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك
من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا متصوفة ولم يتعبوا انفسهم قط في
المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل
المتصوفة ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم
شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الفلس والرغيف والحبة ويتحاسدون على
النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز
سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة
فتاقت نفسها الى ان يقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت في رجز الابطال ابياتا وتعودت
ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيفية تحريكهم الايدي وتلقفت
جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الابطال والشجعان
فلما وصلت الى المعسكر نفذت الى ديوان العرض وامرت بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع
بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل
المغفر والدرع فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها والقوها الى
قدام فهكذا يكون حال المدعي للتصوف في القيمة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى
الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليهم الاقتداء
بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فارادت ان تتظاهر بالتصوف فلم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركوا الخز والابريسم
وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز
والابريسم وظنوا مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا ثيابهم لئلا يطول عليهم غسلها
كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذا كانت ثيابهم مخرقة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط
الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين تشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم
يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة
فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي

بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك
من شؤم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات
والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف
من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين
والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح يترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم
اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة وهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر
بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون
ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من
الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان
وحفظه وفرقة اخرى منهم وقعت في الاباحة فطووا بساط احكام الشرع ورفضوا الفصل
بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله تعالى مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير
القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لا يجرب واما نحن فقد
جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قطع الشهوة والغضب من اصلها بل تاديبها
بحيث تنقاد لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا
والهة بحب الله تعالى وواصلة الى معرفة الله تعالى وانما نخوض الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية
فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس
بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن سبيل الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء
اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور
اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها
لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء
اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلوا
بتفقد القلب وصارت تدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات
وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد
تخيل في الله تعالى خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله
وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس
يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى
التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل
المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك
الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من مقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر

بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب ولا يمكن اعادته **وفرقة اخرى**
ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال المحض واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة
الواحدة **و**منهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان
الله تعالى لم يرض عن عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال فلا يرضيه الا تفقد
جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور **وفرقة اخرى**
منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا الخدمة لهم واتخذوا ذلك
شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون
ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات
وينفقون عليهم ليكثروا اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها
لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع
اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة
الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة **وفرقة اخرى** منهم اشتغلوا
بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة
خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون
هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة
تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش
عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة اخرى** جاوزوا هذه الرتبة وابتدءوا
سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم غرابتها
فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكل ذلك غرور
لان عجائب طريق الله تعالى ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد
وكان مثاله من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار ولم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر
اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك **وفرقة اخرى** جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض
عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين
في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله تعالى فوقفوا وغلطوا فان لله
تعالى سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة
بقول ابراهيم صلى الله عليه اذ قال اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام
المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكواكب
ليست بآلهة فمثل ابراهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله تعالى
وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها

اعظم من بعض واصغر النيرات الكواكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم لما رأى ملكوت
السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه
قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب
الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمته غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط
عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذا الطريق قد يغتر
في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر
رباني وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط
به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول
الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب
القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم
يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل
بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في
المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر . فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح . وكانما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظرت النصارى الى المسيح صلوات الله عليه فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى
كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليد اليه لياخذه وهو مغرور وانواع الغرور في
طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره
ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه
لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من
الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله
المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه
الآن كما كان يكذب بما سمعه من قبل **الصنف الرابع ارباب الاموال** والمغترون منهم فرق
ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون
اساميهم بالآجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم فهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا
فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والغارة والرشى والجهات المحظورة فهم
قد تعرضوا لسخط الله تعالى في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا
الله تعالى كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان
عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة وان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما
كان يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر للناس ذلك فيبنون الابنية بالآجر

وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم
الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كان واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه
اشق عليه ولم تسمح نفسه به والله يطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى
ذلك **وفرقة اخرى** ربما اكتسب من الحلال وانفقه على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما
الرياء وطلب الثناء فانه ربما كان في جواره او في بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف
عليه الصرف الى المساجد ليظهر بين الناس ذلك والثاني يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي
عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب
المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك
وسيلة له الى الله وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما
زخرف من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم فيشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله
في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب
وقال مثلي لا يدخل بيت الله تعالى فكتبه الملكان عند الله صديقا فبهذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد
بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح
انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي حقا اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا على حجر الا اهلكه بذنوب اهله
ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها
يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم
وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه
جبريل فقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل
عليه **وفرقة اخرى** ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل
الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم
جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك
قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي
باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر
ابن الحرث فقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر واي شيء تبتغي بحجك
هذا اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضات الله تعالى قال ابتغاء مرضات الله قال فان اصبت رضا الله وانت في منزلك
وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضي
دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ويتيم تفرحه وان قوي قلبك تعطها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على
قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما
امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال

اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت اعمال الصالحين وقد آلى الله على نفسه الا
يقبل الا عمل المتقين **وفرقة اخرى** من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون
بالعبادات التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد
استولى على قلوبهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال وقد اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثال ذلك
من دخلت في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية
متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلوة فقال مسكين ترك حاله ودخل
في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام والانفاق على المساكين فهذا افضل له من صومه وتجويعه نفسه ومن
خلوته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء **وفرقة اخرى** غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء
الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في
حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه
واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة ليقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات
العمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله تعالى وهو تاجر فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من
غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى**
من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك
عادة ويظنون ان لهم اجرا على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه
مرغبا في الخير فان لم تهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير
فيها وما يراد لغيره اذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس
وفضل البكاء وربما يدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام
سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله المريض يحضر مجالس الاطباء فيسمع
ما يجري او الجائع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه
شيئا وكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل به لا يغني من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغير افعالك
حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة
لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب
اليأس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء
اظهر اليأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بتدقيق النظر
في خفايا الطرق الى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه
استنزله واذا اراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحار استصعده وكذلك اذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة
من تحت الجبال استخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان يستسخر
السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج

التراب من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذ واراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها
وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض فكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب
والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقايق حيل الآدمي كل ذلك
لان همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه امر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه وتخاذل وقال
هذا المحال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل • فهذا شي لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا
من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها • فان قلت
فقد قرب الامر فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور • فاعلم انه ينجو عنه بثلثة امور
بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة لا بد منها • اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك
الانسان حقايق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة • والحمق والبلادة فطرة • والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور
فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن
تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة • قال عليه السلام تبارك الله الذي قسم العقل بين
عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي علمهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب
احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين • وعن ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل
يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنايز ويعين الضعيف
ما يعلم منزلته عند الله يوم القيمة فقال صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله • وقال انس اثنى على رجل عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال عليه السلام كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله
وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يعرف الناس على قدر عقولهم وقال
ابو الدرداء كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رجل شدة عبادة رجل سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه
وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكروا له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشي فقال لن يبلغ صاحبكم
حيث تظنون والذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك له
الثاني المعرفة • واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه • ويعرف ربه • ويعرف الدنيا • ويعرف الآخرة
فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا في هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق
له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه
وليستعين على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وكتاب شرح عجايب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات
الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراه فان هذا من علوم
المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليه بما ذكرناه
في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا
والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم

اموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا
او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاؤه
تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والمال والجاه فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى
نفسه احب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه
الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه
من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوايله وجميع ذلك اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف
من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه
بادب الشرع وما هو مستغنى عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله تعالى فان
المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعلم من ربع المنجيات الصفات المحمودة
التي لا بد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من
الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله تعالى على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية
ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها • فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه • فاقول
يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا
فرغ عن تهذيب الاخلاص وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في
عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته
والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوايه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين
ويدعوه الى الرحمة على خلق الله تعالى والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعا الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم
حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد فقدوا الطبيب واشرفوا على
العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم
وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ولا مؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وكان لذلك يسهر
ليله ويقلق نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير تعب ولا
ثمن ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرا وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدا بالنهار بعد شدة قلقه وطاب
عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين فاذا بهم تلك العلة بعينها
وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فيذكر انه دواهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون
وفي اوحى زمان بعد فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص
بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وسقامهم
وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد
مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعا الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به
المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين الى الخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات

والتصنع في الزي والهيئات فأقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه
شافيا لدائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار من آبائهم وأبنائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه بأبدانهم وأموالهم
وصاروا له خولا كالخدم والعبيد فخدموه وفي المحافل قدموه وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع
وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة وأصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا فوقع
في أعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك
اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا أنكر
على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان وخيل اليه أن ذلك غضب لله تعالى لأنه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين
فيه انقطعوا عن طريق الله تعالى فوقع في الغرور فربما أخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن وقع عليه فوقع في الغيبة
المحظورة بعد تركه للحلال ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذره من طوارق الخطرات
وكذلك اذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الأوراد جزعت نفسه عن أن يطلعوا عليه فيسقط قبوله اتبع ذلك
باستغفار وتنفس صعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجلهم والشيطان يخيل اليه أنك انما تفعل ذلك كيلا
يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من اليقين خيفة فوت الرياسة ولذلك
لا يجزع نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مال القلوب
الى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت بالرياسة
لكان يغتنم ذلك اذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من اخوانه وقد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من
البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء يرفع الحجر من رأس البئر ويشق عليه فجاء من أعانه على ذلك حتى يتيسر عليه أو كفاه ذلك
ونحاه بنفسه فتعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار
فاذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك فلم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك
في نفسه دعاه الشيطان الى كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن
اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمن يصح له أن يشتغل بنصح الناس فأقول اذا لم يكن له قصد
سوى هداية الله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم
فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى وينظر اليهم
كما ينظر الى السادات والى البهائم أما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة
وأما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم وأنه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع
بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية
التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم
فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الرتبة خلت الدنيا
عن الوعظ وخربت القلوب فأقول قد قال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا لهلك
العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا الا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن

ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين الا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا
من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا
لقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة
ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم
وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس فان الله يصلح
خلقا كثيرا اما فساد شخص واحد وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وان الله يؤيد هذا الدين
بأقوام لا خلاق لهم فانما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ وورائهم باعث الرياسة وحب
الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان بنفسه وترك النصح أو نصح
وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار
فاعلم أنه بقي عليه أعظمها وهو أن الشيطان يقول قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة
من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن
لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور
وهو المهلك الأكبر فالعجب أكبر من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد
وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وأن مثله لا يقوى على دفع
الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الأمر
العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد هذا ونفي العجب فأقول يخاف عليه
الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من
الفترة والانفلات منه فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو
خاسر جدا بل طريقه أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت عنه صفة من صفات
قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من
مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك قال
الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس
كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على
خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء
الله تعالى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الأمور بخواتيمها تم كتاب الغرور وبتمامه قد تم ربع المهلكات

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويتلوه كتاب التوبة
من أول ربع المنجيات بمشيئة الله تعالى فانه
القادر على ذلك لا أن ليس لنا من الأمر
وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب • وبذكره يصدّر كل خطاب • وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب • وباسمه يتسلى الاشقيا وان ارخى دونهم الحجاب • وضرب بينهم وبين السعدا بسور له باب • باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب • ومسبب الاسباب • ونرجوه رجا من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب • ونمزج برجائنا الخوف مزج من لا يرتاب • انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب • ونصلي على نبيه محمد وآله الطيبين • وصحبه الاكرمين • صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب • وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب

اما بعد

فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب • وعلام الغيوب • مبدا طريق السالكين • وراس مال الفائزين • واول اقدام المريدين • ومفتاح استقامة المائلين • ومطلع الاجتبا والاصطفا للمقربين • ولابينا آدم صلى الله عليه وسلم وعلى ساير الانبيا اجمعين • وما اجدر بالاولاد • الاقتدا بالآبا والاجداد • فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم • فهي شنشنة نعرفها من اخزم ومن يشبه اباه فما ظلم • ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر • وعمر بعد ان هدم • فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم • ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم • فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم • بل التجرد لمحض الخيرات داب الملايكة المقربين • والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين • والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين • فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان • والمتجرد للشر شيطان • والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير انسان • فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان • واصطحب فيه سجيتان • فكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك واما الى آدم او الى الشيطان • فالتائب قد اقام البرهان • على صحة نسبه الى آدم بملازمة حد الانسان • والمصر على الطغيان • مسجل على نفسه بنسب الشيطان • فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملايكة فخارج عن حيز الامكان • فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبايث الشيطان • والان اليك اختيار اهون النارين • والمبادرة الى اخف الشرين • قبل ان يطوى بساط الاختيار • ويساق الى دار الاضطرار • اما الى الجنة واما الى النار • واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها • ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان

الركن الاول

في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة

الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغاير وكباير وما يتعلق بالعباد • وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيآت • وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغاير

الركن الثالث

في بيان شروط التوبة في دوامها • وبيان كيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب • وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة

الركن الرابع

في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين • وهو المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شا الله تعالى

الركن الاول في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها • اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلثة امور مترتبة • علم وحال وفعل • فالعلم اول • والحال ثان • والفعل ثالث • والاول موجب للثاني • والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت • اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب • فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تالم للقلب بسبب فوات المحبوب • فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تالم فان كان فواته بفعله تاسف على الفعل المفوت فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال • اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا • واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر • واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تاكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلايه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتالم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع والمتاخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتلوه ويتبعه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب • وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا • وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلثة وتلازمها وترتبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقايق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والايات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى
اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قايد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن
القايد في خطوه واما بصير يهدي الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام
فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله تعالى او سنة رسوله وربما
يعوزه ذلك فيتحير فسيره وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصر • ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه يتنبه بادنى اشارة لسلوك طرق معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القران ونور الايمان وهو
لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان وكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء فهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة
الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى
الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء
وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القايل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا واجلا في فعله
وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم
انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله تعالى وان كل محجوب عنه فشقي لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار
الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد
من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى
طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع
لمحاب الشيطان اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب
للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم
يتندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني
الثلثة ضرورية في الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع
عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول
رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا
عن الشوايب ماخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين • وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التايب حبيب الله والتايب من الذنب كمن لا ذنب له • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام
نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فطلبها حتى اذا اشتد عليه
الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ
فاذا راحلته عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته • وفي بعض الالفاظ فقال

من فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي • ويروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على ادم عليه السلام هنته الملئكة
هبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا ادم قرت عينك بتوبة الله عز وجل عليك فقال ادم عليه السلام يا جبريل
فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة
فمن دعاني منهم لبيته كتلبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا ادم واحشر التايبين من القبور مستبشرين
ضاحكين ودعاؤهم مستجاب • والاخبار والاثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم
بان المعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة
هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق
من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه • واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة
وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط
الله تعالى • فان قلت • تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب • فاعلم ان سببه تحقيق
العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد
ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله تعالى وفعله
فالله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصاير وما سوى هذا ضلال • فان قلت • افليس للعبد اختيار في الفعل
والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر الى الاختيار الذي
له فان الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا
الطعام مسكن للشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع
يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام
الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل
انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول
الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله تعالى وانجزام
الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب
على بعض ترتبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق
فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في
النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المال ولا يخلق العلم ايضا
الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا
يستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم
البعض وتاخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحيوة ولا يخلق الحيوة الا بعد الجسم ويكون خلق
الجسم شرطا لحدوث الحيوة لان الحيوة تتولد من الجسم ويكون خلق الحيوة شرطا لخلق العلم لان العلم يتولد من الحيوة ولكن لا يستعد
المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي

عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول
الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب
كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح بالبصر
ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدرة بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وعن القضاء
الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة
القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد
علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت التقدير سبق
اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا ايها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء
حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط
مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد منهم صادق من وجه وان القصور
شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم
الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في
حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب
الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه ۵ فان قلت فقد قضيت على كل واحد
من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل
يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال ۵ فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلد حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا
قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا
اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا
سالهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه
الين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة
اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود
ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من
معرفة الفيل فلم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل
فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك
امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم
والندم ۵ والترك ۵ وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد
وارادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان ان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتقصي عن

والاختيار كم

وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل من
علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التقصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما
اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني
وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك
لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب
هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا
وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة
ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب
والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة
الصورة بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان
بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين
فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة
المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال
قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده
فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية
ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول
العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة
الصنوبر اذ قالت ستعرف اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر
اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار ۵

۵ سوف ترى اذا انجلى الغبار ۵ افرس تحتك ام حمار ۵

وهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطعت نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا
يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات
المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض
خاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات
المضرة للابدان ولا تزال تجتمع في الباطن مغيرة مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة
ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما
يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم
اذا ندم يجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه

المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها
بالتدارك الممكن مادام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم
المقيم والملك العظيم وفي فواتها النار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم اضعاف عمر الدنيا دون عشر عشير مدته اذ
ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار
الاطبا ولا ينفع بعده الاحتما فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين
ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن
خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ● ولا يغرنك لفظ الايمان
فتقول المراد به الكافر اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان
الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي
فروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا يبقى للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق
بين الفرع والاصل الا في شي واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود الاصل
فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاؤه يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة
وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل والفرع فلا يستغنى احدهما عن الآخر وان كان احدهما في مرتبة الاصل والآخر
في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها لم تعمل عملها الذي تراد له
ثم قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الفاجر الجاهل كما اوردنا من الاخبار في
كتاب العلم **بيان ان وجوب التوبة في الاشخاص والاحوال فلا ينفك احد البتة**
اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه
اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان فلا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل
الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال
العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين ● والشهوات
جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة ● واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر فانهما
ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت
الشهوات تكمل في الصبي والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس
والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو
حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان
وانجز اللعين موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر
الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق
دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي
هي عدة للشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا

في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بآدم صلوات الله عليه وسلامه ●

فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها … سجية نفس كل غانية هند

بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم يتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا
كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه
التوبة عن غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه
الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق
والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة
فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن آدم فخلقة الولد لا تتسع
لما لا يتسع له خلقة الوالد اصلا **واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال**
فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبيا كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الانبيا
وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان
خلا عن الهم فلا يخلو عن وساوس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى فان خلا عنه فلا يخلو عن
غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع
عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما
الاصل فلا بد منه ● ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين
مرة ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ●
فان قلت ● لا يخفى ان ما يطرا على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه الله
نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن
هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقنا القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ ادراك
الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال ● فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في
مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها
الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار
رينا كما تصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم
الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا
يقبل التصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو
تلك الآثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في
المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات
وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها
فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات

هذا في تحصيل اصل الصفاء وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة ● فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس
شغل الصيقل في ازالة الصداء عن المرآة كشغله في عمل اصل المرآة فهذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع
الى التوبة ● فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال ● فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل
في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم
ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه
مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج
اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب
المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهور
واجب في صلاة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا به فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة
التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني
انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا ● فاما من قنع باصل
الحياة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فاصل الواجبات
الداخلة في فتوى العامة لا توصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات
التي بها تنتهي النجاة تجري مجرى الاعضاء والالات التي بها تتهيأ الحياة وفيه سعي ● الانبياء والاولياء والعلماء والامثل
فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلم
الى ان وسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال
توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى عليه السلم بالحجر ووضع راسه على الارض وكان
رميه بالحجر توبة عن ذلك التنعم ● افترى ان عيسى عليه السلم لم يعلم ان وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتوى
العامة ● افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله
شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق لم يعلم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذا
علم ذلك فلم تاب منه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه موثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد
وعد به ● او ترى ان الصديق رضي الله عنه بعد ان شرب اللبن وعلم انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه
حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير اثم به ولا يجب في فتوى الفقه
اخراجه فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه
ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وخطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون ● فتامل احوال هؤلاء الذين
هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك الحياة الدنيا واياك
ثم اياك ان يغرك بالله الغرور ● فهذه اسرار من استنشق مبادي روائحها عرف ان لزوم التوبة النصوح ملازم
للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان
الداراني رحمه الله حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله تعالى لكان خليقا

ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك
جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه
منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل عنها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة
الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان
صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك
بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول
بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته
وقد وقع الياس عن التدارك ● قال بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلم اذا ظهر للعبد اعلمه انه بقي من عمرك
ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج
منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما
يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون ● واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت
فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ● فقيل
الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي
واتوب واتزود صالحا فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق
عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس وحسرة الندامة على تضييع العمر
فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت
روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك
والاضطراب وذلك سوء الخاتمة لمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن ● انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة
بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ● ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ● ولذلك قال لقمان عليه السلام لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن
ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير
رينا وطبعا فلا يقبل المحو ● والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ● ولذلك ورد في
الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه
بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الموت فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ● فالقلب امانة الله
تعالى عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر
قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام ● احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له
عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر
كيف تلقاني ● والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد

فالقاك على الوفا او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب والى الاشارة بقوله تعالى اوفوا بعهدى اوف بعهدكم
وبقوله تعالى في الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا صحت بشروطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهى مقبولة فالناظرون بنور البصاير المستمدون من
انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا
ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب
وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحوا عن وجه القلب ظلمة السية وانه لا طاقة لظلام
المعاصى مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون
فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان
استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال
القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكى طاهر
فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير فاما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلى
الذى لا مرد له وهو المسمى فلاحا فى قوله تعالى قد افلح المومنون وقوله قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق
معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصى والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ
الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور
الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماوه وقلبه فى غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل
عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعنى به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه
فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا يقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول
والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى
الصابون على قلعه فمثال ذلك ان يتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا
يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا
ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل
هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوى البصاير
فى قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الايات والاخبار والاثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة
لا يوثق به • وقد قال الله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده • وقال غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك
من الايات • وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على
القبول وزيادة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسى الليل الى
النهار ولمسى النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها • وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل
فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل • وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم

لتاب الله عليكم • وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب
عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة • وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة • وقال التائب من الذنب
كمن لا ذنب له • ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله انى كنت اعمل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال
يا رسول الله اكان يرانى وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها نفسه • ويروى ان الله عز وجل
لما لعن ابليس ساله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه الروح فقال
الله وعزتى وجلالى لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح • وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن
السيات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار فى هذا مما لا تحصى واما الاثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل الله
قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب • وقال الفضيل قال الله عز
وجل بشر المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين انى ان وضعت عليهم عدلى عذبتهم • وقال طلق
ابن حبيب ان حقوق الله تعالى اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين • وقال عبد الله
ابن عمر رضى الله عنه من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى ام الكتاب • ويروى ان نبيا من انبيا
بنى اسرائيل اذنب فاوحى الله اليه وعزتى لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم
تعصمنى لاعودن فعصمه الله تعالى • وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول
ابليس ليتنى لم اوقعه فى الذنب • وقال حبيب بن ثابت يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيمة فيمر بالذنب فيقول
اما انى قد كنت مشفقا منك قال فيغفر له • ويروى ان رجلا سال ابن مسعود رضى الله عنه عن ذنب الم به هل له
من توبة فاعرض عنه ابن مسعود رضى الله عنه ثم التفت اليه فراى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب
كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تياس • وقال عبد الرحمن بن ابى القسم
تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال انى لارجوا ان يكون المسلم
احسن حالا عند الله تعالى ولقد بلغنى ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام • وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه
لا احدثكم الا عن نبى مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين
وقال عمر رضى الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افيدة • وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لى قيل ومتى قال
اذا تاب الله على • وقال اخر انا من ان احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اى المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها
لا محالة • ويروى انه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المراة
فراى الشيب فى لحيته فساه ذلك فقال الهى اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك
اتقبلنى فسمع قايلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان
رجعت الينا قبلناك • وقال ذو النون المصرى ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها
بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عى ولا بكم وانهم لهم البلغا الفصحا العارفون
بالله عز وجل وبرسوله ثم شربوا بكاس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت
فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقراوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى

وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحوا ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة • فان قلت افتقول ما قاله المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله تعالى فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما تريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه لا محالة • فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال العطش فلم يشك فيه • فاقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها ان شاء الله

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغايرها وكبايرها

اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذن واجب والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى في ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد •

اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وعوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة • فاما ما يقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات • الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال • الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات • الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم

على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبريا وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع الى الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح

قسمة ثانية • اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكوة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراءة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب • وقد جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك • واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب بها حتى يعفى عنها •

قسمة ثالثة اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغاير وكباير وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال القائلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله تعالى فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم • وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكباير وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكباير • وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون رضي الله عنهم في عدد الكباير من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك • فقال ابن مسعود رضي الله عنه هن اربع وقال ابن عمر رضي الله عنه هن سبع • وقال عبد الله بن عمرو هن تسع • وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا بلغه قول ابن عمر الكباير سبع يقول هي الى السبعين اقرب منها الى سبع وقال مرة كلما نهى الله عنه فهو كبيرة • وقال غيره كلما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكباير وقال بعض السلف كلما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة • وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من اول سورة النساء الى راس ثلثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى ها هنا فهو كبيرة • وقال ابو طالب المكي الكباير سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته • والقنوط من رحمته • والامن من مكره • واربع في اللسان • وهي شهادة الزور وقذف المحصن • واليمين الغموس وهي التي تحق بها باطلا او تبطل بها حقا • وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم باطلا ولو سواكا من اراك • وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار • والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وساير الاجسام عن موضوعات الخلقة • وثلث في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب • واكل مال اليتيم ظلما • واكل الربوا وهو يعلم

واثنان فى الفرج وهو الزنا واللواط • واثنان فى اليدين وهو القتل والسرقة • وواحدة فى الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين • وواحدة فى جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما وان سألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب وليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربوا ومال اليتيم من الكبائر وهو جناية على الاموال ولم يذكر فى كبائر النفوس الا القتل فاما فقؤ العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك فى انه اكبر من اكل ماله كيف وفى الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل فى عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة رضى الله عنهم انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر • وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر فى السرقة اهى كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا ولا مطمع فى تعريفه الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده فى السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص فى اللغة ولا فى الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه صغير بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعنى بوصفه بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه فى الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد فى نص الكتاب النهى عنه فيقول تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شىء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان تعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم للكبائر والحق فى ذلك ان الذنوب منقسمة فى نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه اياها والى ما يعلم انها معدودة فى الصغائر والى ما يشك فيه ولا يدرى حكمه فالطمع فى معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول انى اردت بالكبائر عشرا او خمسا ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد فى بعض الالفاظ ثلث من الكبائر وفى بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد بما يحصر فكيف يطمع فى عدد ما لم يعده الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس فى طلبها نعم لنا سبيل كلى يمكننا ان نعرف به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت

الجن والانس الا ليعبدون اى ليكونوا عبيدا لى ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بد وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا فى الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويليه ما يسد باب المعايش التى بها حياة النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الابدان والاموال على الاشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع كلها وهذه ثلثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان الله تعالى يبعث نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال • فحصل من هذا ان الكبائر على ثلث مراتب **الاولى** ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذى يسمى كفرا الامن من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور ان يكون آمنا ولا ان يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله تعالى وبافعاله وشرائعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهى تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة فى القرآن والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك فى القسم المتوسط طمع فى غير مطمع **الرتبة الثانية** النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله تعالى فقتل النفس لا محالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حياة الدنيا لا تراد الا للآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضى الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع فى هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود • واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التى لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتيسر النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا فى شرع قصد به الاصلاح وينبغى ان يكون الزنا فى الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضى الى التقاتل وينبغى ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته **الرتبة الثالثة** الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغى ان تحفظ ليبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغى ان يكون ذلك من الكبائر وذلك باربع طرق • احدها الخفية وهى السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك والثانى اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعنى به فى حق الولى والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة فى الوديعة فان المودع

خصم فيه ينتصف لنفسه • الثالث تغويتها بشهادة الزور • والرابع اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه
طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرايع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة
بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان يكون مرادا بالكباير وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم
في مصالح الدنيا تاثيرها واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا
يبعد ان تختلف الشرايع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضى الشرع من الكباير
فاكل الربوا اكل برضا المالك ولكن دون رضى الشرع وان عظم الشرع اكل الربوا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم
بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالخيانة او الغصب من الكباير فيه نظر وذلك واقع في مظنة
الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكباير بل ينبغي ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرايع فيه ليكون
ضروريا في الدين فبقي مما ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب
لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكباير وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان
النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكباير ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك في انه لو
شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع
الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكباير بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع
فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال • واما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض
دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن
ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده
بالكبيرة الان ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرايع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد
الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بشهادته فان لم يقبل شهادته
فتحديده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن
هذا ايضا ملحق بالكباير في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره
فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكباير واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من
هلاك نفس او مرض او غيره • واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس
في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم
وبلادهم واجلاءهم من اوطانهم ليس من الكباير اذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف
في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فيلحق بالكباير فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة
ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغي ان تكفره والى
ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا
نص كتاب وسنة واذ لا مطمع فيهما فطلب رفع الشك فيه محال • فان قلت • فهذا اقامة برهان على استحالة
معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده • فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق

اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات
الحدود معلومة باساميها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالاخرة
والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب
الكباير يكفر الصغاير بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها
مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر او لمس فان مجاهدته نفسه
في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه
الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو
ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر
وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة
التي ارتفعت اليه من معصية السماع وكل هذه احكام اخروية يجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات
ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة • فقد روى ابو هريرة رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث اشراك
بالله وترك السنة ونكث الصفقة • قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم
يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما
فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكباير والورع عن الصغاير ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام
الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكباير فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بالذهب ويشرب
في اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكباير وقال الشافعي رحمه الله
اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل ان الشهادة
نفيا واثباتا لا تدور على الصغاير والكباير بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة
مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل
الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زايدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة
الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد
عن قليلها وكثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد
ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات ولبس الحرير وسماع الملاهي واللعب
بالنرد ومجالسة الشراب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغاير من هذا القبيل فالى
هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم احاد هذه الصغاير التي لا ترد الشهادة
بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة
تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم
الصغاير والكباير

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الاخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعنى بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة
حالتك بعد الموت فدنياك واخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الدانى منها دنيا والمتاخر اخرة ونحن الان نتكلم
من الدنيا فى الآخرة فانا الان فى الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهى عالم الملكوت ولا يتصور شرح
عالم الملكوت فى عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا
انتبهوا وما سيكون فى اليقظة لا يتبين لك فى النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون فى يقظة الآخرة
لا يتبين فى نوم الدنيا الا فى كسوة الامثال واعنى بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا
ثلثة امثلة • فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان فى يدى خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النسا فقال
انك مؤذن تؤذن فى رمضان قبل الفجر فقال صدقت • وجاء آخر فقال رايت كانى اصب الزيت فى الزيتون فقال ان
كان تحتك جارية اشتريتها ففتش حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه
وقد سبيت فى صغره • وقال له آخر رايت كانى اقلد الدر فى اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما
قال والتعبير من اوله الى آخره امثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعنى بالمثل اداء المعنى فى صورة ان نظر الى
معناه وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه
لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجد صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذى يراد الختم له وليس للانبياء
ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم فى النوم والنائم لا
يكشف له عن شئ الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذى لا يعقله الا العالمون • فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال
لجهله بالتفسير الذى يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة فى النوم تعبيرا فيثبت لله يدا واصبعا تعالى الله عن
قوله علوا كبيرا • وكذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون
والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل فى صفات الالهية حتى
فى الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد فى امر الآخرة ضرب
امثلة يكذب بها الملحد الجحود بنظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة
فى صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد ويكذب به ويستدل به على كذب الانبيا ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش
جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة اسرار الله تعالى فقال وما
يعقلها الا العالمون ولا يدرى المسكين ان من قال رايت فى منامى انه جئ بكبش وقيل هذا هو الوبا الذى فى البلد وذبح
فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوبا ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس عنه فاذا
المعبر صادق فى تصديقه وهو صادق فى رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذى يطلع الارواح
عند النوم على ما فى اللوح المحفوظ عرفه ما فى اللوح بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا
وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس فى الدنيا وهى بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعانى الى

افهامهم بالامثلة حكمة من الله تعالى ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله
يؤتى بالموت فى صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب على التاثر
بالامثلة وثبوت المعانى فيها بواسطتها ولذلك عبر القران بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة ذلك فى كتاب قواعد العقايد من ربع
العبادات فلنرجع الان الى الغرض فالمقصود ان تعرف تنوع الدرجات والدركات على الحسنات والسيات ولا يمكن
الا بضرب الامثال فليفهم من المثل الذى ضربه معناه لا صورته فنقول الناس فى الآخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت
درجاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا فى سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الدنيا
الآخرة فى هذا المعنى اصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية
مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس فى الآخرة
ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام • هالكين • ومعذبين • وناجين • وفائزين • ومثاله من الدنيا ان يستولى
ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلى بعضهم
فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا
لاستحقاق الملك معاندا له فى اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر فى خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا
يخلى الا معترفا له بالملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عذره فى الخدمة والنصرة
ثم ينبغى ان يكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب تفاوت خدمتهم واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة
او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات معاملتهم وتعذيب المعذبين فى الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها
واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فينقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر وكذلك فافهم ان الناس
فى الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب ومن ناج يحل فى دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من
يحلون فى جنات عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف
سنة الى سبعة الاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد فى الخبر • وكذلك الهالكون الايسون عن رحمة الله تعالى
تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصى فلنذكر كيفية توزعها عليها • اما الرتبة الاولى
وهى الهلاك ونعنى بالهالكين الايسين من رحمة الله تعالى اذ الذى قتله الملك فى المثال الذى ضربناه ايس من رضا
الملك واكرامه ولا تغفل عن معانى المثال فهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين المعرضين المتجردين للدنيا المكذبين
بالله وبرسله وكتبه فان السعادة الاخروية فى القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة
التى يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الايسون عن رحمة الله تعالى ابد الاباد
وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب فيحول بينه وبين
ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا
للحور العين انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط • وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف
ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط • فاما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها • واما النار فقد

افهامهم

لا يبقيها اذ نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع الم
الفؤاد ولذلك قيل • وفي فؤاد المحب نار هوى • احر نار الجحيم ابردها • ولا ينبغي ان ينكر هذا من عالم الآخرة اذ
له نظير مشاهد في عالم الدنيا • فقد رؤي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو
لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في
الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار • واحتراق الفؤاد اشد من احتراق
الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزئين ترتبط
احدهما بالآخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تاليف اشد
احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له
شدة هذا الالم ويستحقر بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن
رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان
احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوا وبين فعل جميل
يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لآثر الهريسة والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود
المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم يظهر فيه الصفات الملكية
التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان
والسمع الا في الآذان فلا تكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة
الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي تكنفه عظام الصدر بل اعني به السر
الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق
والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم
الخلق ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه
ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روائح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
آدم على صورته وينظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته للجامد على اللفظ
اكثر من رحمته للمتعسف في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان
عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يخص بها من يريد ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد اخذنا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي
نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهالكين ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله تعالى وسنة
رسوله ولا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده

الرتبة الثانية

رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل
الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله تعالى ومن اتبع هواه فقد
اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان يذر

بالكلية

بالكلية غير الله ومعنى قوله الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا
بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة
ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم
فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان
ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته
وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين • احدهما قوة الايمان وضعفه • والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ
لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين • قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا • ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون
وشككنا في النجاة • ولما روى الحسن الخبر الوارد في من يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال
الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل • واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وان
الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث
وبين اللحظة وسبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة
لا نهاية لاعلاه وادناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة
في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير
المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وبقتل الولد واستباحة
الحريم وتعذيب الاقارب بالضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب
الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات
وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعه فباختلاف انواع
السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعنى بقوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون
العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما اخبر عنه
نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي • وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذا
هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما
التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انواع الاستبصار بعين الاعتبار • فنقول
كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة
لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ
ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن
مكفر للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي
ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين

ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام
يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى حتى ينكشف فيه الوجود كله على
ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم
المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملاء الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم
من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال
الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل
فالطريق الى الله لا نهاية لمنازله والسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم وأما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب
اليمين ودرجته دون درجات المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقاوت رتبته رتبة
الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وادى الفرايض كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق
بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر واهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة
نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ
اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له
بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف
البصير ابعد من ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة
في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث
اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيآت وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب
اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف
ولا تظنن ان المراد به تقدير بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب
الامثال بل هذا مثل قول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يسوى عشرة دنانير فاعطاه مائة
دينار فان لم تفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل والا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة
الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله
وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه الماليه وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية
لا بالموازنة الجسمية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال
وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرية
لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذا الحجر
الا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق
هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي به
تدرك الابصار ارواح الجواهر وساير الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد انما
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا

فكيف يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز المبالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي
وكان الجوهري مرحوما اذا ابتلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذا ابتلي بالبليد الابله
تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل
والانبيا مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحانا وابتلاء من الله تعالى
وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الازلي وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم
الامثل فالامثل ولا تظنن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام
ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بقوم لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى عليه السلم لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فاذن كما لا يخلوا الانبيا عن الابتلا
بالجاحدين فلا يخلوا العلماء والاولياء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قل ما انفك الاولياء عن ضروب من الايذاء
وانواع من البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب
ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المعاض عن حمل كبير جوهر صغيرة عند الجاهلين من المبذرين
المضيعين فاذا عرفت هذه الدقايق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات
واياك ان تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس
وانما انت مفارق للحمار بسر الهي عرض على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنه واشفقن منه فادراك ما يخرج
عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وساير البهائم فمن اهمل عن ذلك وعطله واهمله
وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها ولا تكونوا كالذين
نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس
الخمس وكل من نسي الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم وترك المرقى الى افق الملاء الاعلى وخان في الامانة
التي اودعه الله تعالى وانعم بها عليه كافرا للنعمة ومتعرضا لنقمته الا انه اسوا حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص
بالموت واما هذا فعنده امانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس
الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني وغربت منه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود
الى خالقها وبارئها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة
ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رؤسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل
السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون
منحوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى
فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج
من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا واكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد من يقول بلسانه
لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي
الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة بحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع اللسان وانما ينفع الصدق

في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله تعالى وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق مما يجري عليه اذ
لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سياتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من
التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار فهو اول مخرج
من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة يخرجون على
تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما
ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو
الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي
الله عز وجل وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب
عرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت
حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار • وكما يهلك هو بسيئة
غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عوضا عما ظلم به • وقد حكي عن ابن
الجلا ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف
امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد
في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة
ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد ينجو
المشرف على الهلاك بنفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه
وذلك لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس
في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع
عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام
ووراء ذلك سر المشيئة الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نرجو العفو عن العاصي وان كثرت
سيئاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره
ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي
البعد من الله ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم
يكن عدلا لم يصح قوله وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان
الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بانفسهم غير الله
ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا
اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن
الغلط فيها وانما الشان في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب • واليه
الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى **الرتبة الثالثة** رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة

فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان
من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا
طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين
ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار ومن انوار
الاعتبار فاما الحكم على التعيين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس مستيقنا والاطلاع عليه تحقيقا من عالم
النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله
عنها لما مات بعض الصبيان طوبى له عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال ما يدريك
فاذن الاشكال والاشتباه في هذا المقام اغلب **الرتبة الرابعة** الفائزون وهم العارفون دون المقلدين
وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما
يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا
العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين • وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما
الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا
يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية اللذات ونهاية السعادات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك
في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال
العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه ولا يحس بما يصيبه
في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم
يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور
ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان تحضر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الى ان يرفع الحجاب عن سمعه
وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه
ينكشف الغطا فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان تنوع
الدرجات على الحسنات

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة
تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها • مثال ذلك قطرات من الماء تقع
على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها فان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في
تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها
بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير
مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما

كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الانسان عليها ● ومنها أن يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه
صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من
شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات
والمحذور تسويده بالسيئات ● ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة وان القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة ● وقد
جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره ● وقال بعضهم
الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا ● وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا
نظر الى عظم من عصى به رأى الصغير كبيرا ● وقد أوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها
ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها ● وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة
فهي كبيرة ● ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله
كبائر ● وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف لان
الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف ● ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة
والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى ان من
المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول أما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في
مناظرته أما رأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل
في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته وكيف استحمقته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر
فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة
العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بأن ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا
يرجى شفاؤه ● ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري أنه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال
اثما فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى
ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ● ومنها أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره
بعد اتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فان ذلك منه جناية على ستر الله الذي أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه
أو أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه
وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر ● وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت أحدهم على
ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله تعالى ونعمه أنه يظهر الجميل
ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة ● وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه
فتذنب ذنبين ● ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ● وقال
بعض السلف ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه ● ومنها أن يكون المذنب
عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة

من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان
في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها
فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ● وفي الخبر من سن سنة سيئة
فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء ● وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الاعمال بعد
انقضاء العمل والعامل ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون
في الآفاق ● وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها ● وفي الاسرائيليات أن عالما كان يضل
الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فأوحى الله الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك
ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار ● فبهذا يتضح أن أمر العلماء خطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والأخرى
اخفاؤه وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا
وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم
وان مال الى التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو
السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف
في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد
من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي
وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة
نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه وأي عزيز أعز عليه من نفسه وأي عقوبة أشد من النار وأي سبب أدل
على نزول العقوبة من المعاصي وأي مخبر أصدق من الله تعالى ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا أن مرض ولده المريض لا يبرأ
وأنه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده أعز من نفسه ولا الطبيب أعلم ولا أصدق من الله عز وجل ورسوله ولا الموت
بأشد من النار ولا المرض أدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب
به أرجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع ● وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم أرق أفئدة ومن علامته أن تتمكن مرارة
تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة ● وفي الاسرائيليات أن الله تعالى قال لبعض أنبيائه
وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه أهل السموات
والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه ● فان قلت فالذنوب هي أعمال مشتهاة بالطبع فكيف
يجد مرارتها ● فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره
وفلجت أعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل
أم لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة بل ربما ينفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك
يكون وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز
مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي

ان يدوم الى الموت فينبغي ان يجد مذاق المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث انه مخالفة امر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب • واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيه منها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد • واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض فيعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه • واما الزكوة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكوة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته وان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكوة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف ويلزمه ان يسال عن كيفية الخروج عنه العلماء • واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له خروج والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرف اليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا • قال عليه الصلوة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا • والعجز الطاري بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وساير جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغايرها وكبايرها ثم ينظر فيما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنه بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع الحسنة السيئة تمحها • بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكي يضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من

ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله عز وجل ويدل على ان الشي يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس بها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالغموم والهموم عن دار الهموم • قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة • وفي حديث عايشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال تكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم فيكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع • فان قلت • هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة • فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبرئيل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن ماية ثكلى قال فما له عند الله قال اجر ماية شهيد فاذن الهموم ايضا مكفرات حقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى • واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر العبد على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا يعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب اعني به الايذاء المحض اما في النفوس فان جرى عليه قتل خطا فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفى عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما اذا زنا او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله عز وجل فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب من التائبين النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى • بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة امر به فحفر له حفيرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقايل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقايل يقول ما توبة افضل من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم • وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى قال اما لا فاذهبي حتى تضعي فلما وضعت اتته بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي وفي يده كسرة خبز

فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر
الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها
ودفنت • واما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه فان كان المتناول لما لا تناوله بغصب او خيانة او غبن
في معاملة بنوع تلبيس كترويج زايف او ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه
لا من حد بلوغه بل من اول مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر
فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق
من اول حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة
حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا
وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون
على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا
ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيمة فيوخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته
بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيات ارباب المظالم فيهلك بسيات غيره فهذا طريق كل تايب في
رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما
يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا
حكم المظالم الثابتة في ذمته • اما امواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه
ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب
الحلال والحرام • واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او تعييبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له
بلسانه او اذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير
الحسنات لتوخذ منه عوضا في القيمة • واما من وجده واحله بطيبة قلب منه فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر
جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال
وادخر ذلك في القيمة ذخيرة ياخذها من حسناته او يحمله من سياته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه
لتاذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد
انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت
والغايب • فاما الذكر والتعريف فهو سيية جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح
نفسه بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه
والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيية مال بحسنة فاذا طاب قلبه
بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته
التي يمكن ان يجبر بها في القيمة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه

حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيمة بحكم الله به عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله
فامتنع من له من القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل
المقسطين • وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان
فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال له انه قتل تسعة
وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل
مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها ناسا يعبدون الله فاعبد
الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملايكة الرحمة
وملايكة العذاب فقالت ملايكة الرحمة جاء تايبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملايكة العذاب انه لم يعمل خيرا
قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا
فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملايكة الرحمة • وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر
فجعل من اهلها • وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه
الى هذه اقرب بشبر فغفر له • فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال فلا بد للتايب من تكثير
الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي • فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله تعالى عقدا موكدا
ويعامله بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم
عزما جزما ان لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في
ثاني الحال ولكن لا يكون تايبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتايب في اول امره الا بالعزلة والصمت
وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية
فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تايبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال من ترك الشبهات
من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات • قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه
لله سبع مرات لم يبتل بها • وقال آخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا • ومن مهمات
التايب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يوثر العزلة
لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه
توبة مطلقة • وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح • وقال قايلون تصح • ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل
نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان
كثرة الذنوب سبب لكثرة العذاب وقلتها سبب لقلته • ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب
توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم
في خفايا اسرار عفو الله عز وجل فان قال من ذهب الى انه لا تصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم
على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان
العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه وذلك

بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة
للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصى دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد
الدنين دون الآخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية فى الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصى آلات
للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذن معنى عدم الصحة ان الله وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة
لاتنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المترتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم
الايجاب بالقبول يقال ان العقد لم يصح اى لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه
عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية
وذلك يعم جميع المعاصى وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطا فنقول التوبة عن بعض
الذنوب لا يخلو اما ان يكون الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة   اما التوبة عن الكبائر
دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليه فلا
يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذى يجنى على اهل الملك وحرمه ويجنى على دابته فيكون خائفا من الجناية
على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن
وجوده فى الشرع فقد كثر التائبون فى الاعصار الخالية ولم يكن احد منهم معصوما فلا يستدعى التوبة العصمة
والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعر معه بانه ربما لا
يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وان اكلهما جميعا على شهوة ثم
ندم على اكل العسل دون السكر • الثانى ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر
اشد واغلظ عند الله تعالى كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما
بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما فى تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة فى
انفسها وفى اعتقاد مرتكبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التى لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا
مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصى وهو لا يدرى فيحسب ترجح شر الخمر
عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا فى المستقبل وندما على الماضى • الثالث ان يتوب عن صغيرة وهو مصر
على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذى يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو
ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما
قويا ولكن يكون لذة نفسه فى تلك المعصية اقوى من الم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل
والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان
سلم عن شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف قهر الخوف الشهوة واوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد
ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ويكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس وفى النظر الى غير المحرم وخوفه
من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب غلبة جند الخوف انبعاث العزم للترك بل
يقول هذا الفاسق ان قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلم ينبغى ان اخلع العذار وارخى

العنان

العنان بالكلية بل اجاهد فى بعض المعاصى عسانى اغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى ولو لم يتصور هذا
لما تصور من الفاسق ان يصلى ويصوم ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان
امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله علىّ
امران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملىّ فى احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى الآخر فانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو
بمجاهدتى فيه ان يكفر عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع
بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن
وجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث الحزن العزم • وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم
الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب • وقال عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل
التائب من الذنوب كلها وبهذه المعانى يتبين ان التوبة عن بعض الذنان غير ممكن لانها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعرض
لسخط الله نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة
المعصية تاثيرا فى كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله كالمريض الذى حذره
الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شئ ولا يتوب
عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقى عليه اما فى شدة المعصية واما فى غلبة الشهوة واذا حصل
هذا التفاوت فى اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله فى الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله فى الترك وندمه
على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله فى جميع الاوامر والنواهى
فان قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنة • فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم
على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكنى اقول لو طرى عليه بعد
العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذى قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع
باقية لكان حرقة الندم يقمع تلك الشهوة وتغلبها فانى ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا
خلاف فى انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من التائبين وان لم يطر عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتيسر
اسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا
يستحيل ان يبلغ قوة الندم فى حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهى شيئا يقدر نفسه قادرا
على تركه بادنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة
فى هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية تنمحى عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم • والآخر شدة المجاهدة بالترك فى المستقبل
وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا
هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه فى عين تلك الشهوة مرات كثيرة
وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا • فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع
الى الذنب والآخر بقى فى نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل • فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء
فيه فقال احمد بن ابى الحوارى واصحاب ابى سليمان الدارانى ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال

علماً بانه البصير ذلك الآخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة القصور
عن المجاهدة • وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع
نزوع نفسه له حالتان احداهما ان يكون انقطاع نزوعه اليها بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا
اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين
واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان
قوتان دل عمل المجاهد عليهما قطعاً • وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ
الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس
افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل
سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل
الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب افضل في صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه امن ان
يجمح به فرسه فيكسر اعضاءه عند السقوط على الارض وامن من ان يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب
الفرس والكلب اذا كان قوياً عالماً بطريق تاديبهما اعلى رتبة واحرى بدرك الصيد **الحالة الثانية**
ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغاً قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب
الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت باستيلاء الدين عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها
وقول القائل ان الذي قد انقطع عنه الجهاد قاصر عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصوداً لعينه بل المقصود
قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن طريق الدين فاذا قهرته وحصلت
المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة
الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم • ومثاله ايضاً مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس
فهما ثابتان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب بعد •
ولقد زل بهذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق •
وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع
وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة
النفس من ربع المهلكات • فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب
عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندماً عليه ايهما افضل • فاعلم ان هذا ايضاً قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة
التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك • وقال الآخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق
ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابداً يكون قاصراً فان عادة كل واحد ان يخبر عن حالة نفسه فقط ولا يهمه حال
غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الشيء على ما هو عليه
افضل واعلى لكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه
ولا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازلة احواله وقد يكون طريق العبد الى الله تعالى العلم والتعليم ۵

فالطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلاً مع الاشتراك في اصل الهدى
فاقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه ولا يقوى
ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى الله مثله فهو
بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل
سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب
استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق الى بلد نهر حاجز
طال تعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متاسفاً على
تخريبه الجسر كان هذا مانعاً آخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلاً
يتعذر السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان يخربها فليعطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر
ليتاكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك
الطريق اولى به من الاشتغال بتخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق
وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير
التفكر في النعيم في الآخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان شاباً فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور
والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى
وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا وكذلك تذكر الذنب قد يكون محركاً للشهوة فالمبتدي ايضاً قد يستضر
به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود
عليه السلام ونياحته فانك ان قست نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم
وافعالهم الى الدرجات اللائقة باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع امتهم
بمشاهدته وان كان ذلك نازلاً عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريد بنوع رياضة
الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنياً عنها لفراغه عن المجاهدة وتاديب النفس ولكن تسهيلاً للامر على المريد
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء
كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي
كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها
في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك
فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طائراً يصوت به رغاء وصفيراً تشبهاً بالبهيمة والطائر تلطفاً
في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين فضلاً عن الغافلين ۵

بيان اقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان طبقات التائبين اربع طبقات **الطبقة الاولى** ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى
آخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في

العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات
حسنات واسم هذه التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية
وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم
فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث
النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها فلم يشغله عن السلوك صراعها والى من لا
ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليّ بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة وبالقلة وباختلاف المدة
وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته
قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما
يمحوها حسنة • حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات ان تمكن منه عشر مرات مع صدق
الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو فرض ولكن لا
ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن
خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى
يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء **الطبقة
الثانية** تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن
ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه
كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس
جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمير رأي
وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة
الآدمي قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره على شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو
بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم
المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع
ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي
كرم الله وجهه خياركم كل مفتن تواب • وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن
من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها
بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله
من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة
الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه
بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات ٥

المخطفات • قال صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون • وقال ايضا المؤمن واهٍ راقع اي
واهٍ بالذنوب راقع بالتوبة والندم • وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فما
وصفهم بعدم السيئة اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه
شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات
وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذا
امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه
يسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد آخر فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين
قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته
لما تعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره
في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته ف
يخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم
دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فضعف الرجاء في حقه واذا تيسر له اسباب المواظبة على التحصيل
دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات
بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به
يحوز المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم
بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا تصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا
بطول التزكية والتطهير بكذا سبق في الازل تدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا
من علامات الخذلان • قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها
ولا يبقى بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل
نفس فهو خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات حتى لا ينفع التحسر
الطبقة الرابعة ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب
من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة
المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله تعالى
فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين
ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق
ان يجد ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الانبياء عليهم السلام وطلب المغفرة بالطاعات
كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع
الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من صام وصلى غفر له فالناس كلهم

محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم كان من
خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد
عند ذوي البصاير من الحمقى المغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل
الله وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين فالعجب من عقل هذا المعتوه
وترويجه حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله تعالى كريم وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه
يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب دينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة
ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قايل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء
لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم
المغرور ان رب الاخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى
فكيف يعتقد انه كريم في الاخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن
الملك المقيم والنعيم الدايم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من
العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو
ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان
الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب
السابق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التايب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك
لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب • الثاني وهو ان يدرا بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن
خلط عملا صالحا وآخر سيئا • والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل
السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الابق
ويكون ذلك بحيث يظهر لساير العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الابق المذنب وجه للتكبر على العباد وكذلك
يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات • واما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي
وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار • واما بالجوارح فبالطاعات
والصدقات وانواع العبادات • وفي الاثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا • اربعة من
اعمال القلوب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له • واربعة
اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله وبحمده ماية مرة ثم
يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما • وفي بعض الاثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين • وفي بعض الاخبار يصلي
اربع ركعات • وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية • ولذلك قيل صدقة
السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار • وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني

عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم اوما صليت معنا صلاة الغداة
فقال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة
له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكباير فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته
ويجتهد في دفعها بالحسنات • فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار • وفي الخبر المستغفر من
الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بايات الله • وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله • وقيل الاستغفار
باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رضي الله عنها استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد
في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله تعالى الاستغفار ببقاء الرسول
فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون • فكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان
ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار
بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن راس الغفلة استغفر الله • وكما يقول اذا
سمع صفة النار نعوذ بالله من غير ان يتاثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه
تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان
تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو
عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوايلها لا تخلو عن الفايدة
وان لم تنته الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء فان
عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال
يا رب تقبل مني • وسيل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة
فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره
الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم
البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى
يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام
حملة العرش • وسيل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التايب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكره
في قوله تعالى التايبون العابدون الاية • وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه • والمقصود ان للتوبة
ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له • والثاني نيل الدرجات حتى يصير حبيبا • وللتكفير ايضا درجات
فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب
والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوايل الدرجات وليس يخلو عن الفايدة اصلا فلا ينبغي ان تظن
ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر
لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذرة وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات

الا ان يثقل فيشيل كفة السيات فاياك وان تستصغر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمراة
الخرقا تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اى غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب
ولا تدرى المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة
فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة
اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه
فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابى
عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك
في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك
كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعوده فقال استغفر
الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور
مبادى الشر من شرير قال بحكم سابق سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصى في احدى
الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياده للخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين
ومعاني قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة للسان حتى
دفع تلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف
الآخرة اكثر لو كانوا يعلمون فاياك وان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات فان هذه
مكيدة روجها الشيطان لعنه الله على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصاير واهل التفطن للخفايا والسراير
فاى خير في ذكر اللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق
بالخيرات اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك
من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذى داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه • واما الظالم
المغرور فاستشعر في نفسه خيلا الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك التعود للسان
بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق شن طبقه وافقه
فاعتنقه • واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة
الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسال الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان
في اعتياد الخير فكان السابق كالحايك الذى ذم حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذى ترك الحياكة
واصبح كناسا • والمقتصد كالذى عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحايك مذموم بالاضافة الى الكاتب
لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة • ولما قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى
استغفار فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة
قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغى
ان يفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القايل الصادق حسنات الابرار سيآت المقربين فان هذه

امور

امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان يوخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا يستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك
قال جعفر الصادق رضى الله عنه ان الله خبا ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيا فلعل رضاه فيه
وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيا فلعل غضبه فيه • وخباء ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله
ولي الله عز وجل

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار

اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشا على الخير واجتناب الشر وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر • والقسم الثاني هو الذى لا يخلو عن مقارفة الذنوب
ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين • وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم
ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة اسباب
الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب
للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة
للشهوة والغفلة راس الخطايا • قال تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء اذن
للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل
واحد منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما ينقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان تفهم علاج القلب عما به من مرض
الاصرار فاذا لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والآخر الصبر فلا بد من بيانهما • فان قلت اينفع كل علم لحل الاصرار ام
لا بد من علم مخصوص • فاعلم ان كل العلوم بجملتها ادوية لامراض القلوب لكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب نافع
في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك داء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض
الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى تصديق بامور • الاول ان يصدق على الجملة بان للمرض وللصحة
اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يومن به لا يشتغل
بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة
وللشقاوة سببا هو المعصية وهو الايمان باصل الشرايع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة
الايمان • الثاني انه لا بد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس
ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله
عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف • الثالث انه لا بد وان يصغى الى الطبيب فيما
يحذره من تناول الفواكه واسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتما فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتما
ووزانه من الدين الاصغا الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى
والتصديق بجميع ما يلقى اليه سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر الذى هو الركن
الآخر في العلاج • الرابع ان يصغى الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه بنفسه الاحتما عنه ليعرفه اولا تفصيل
ما يضره من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتما عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة
علم خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مومن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة

واما حاجته في الحال مرهقه الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى
الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطبا الدين وهم العلما ورثة الانبيا فالعاصي ان علم عصيانه
فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل
عالم باقليم او بلد او محلة او مسجد او مشهد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي
ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبيا والانبيا ما تركوا الناس على جهلهم
بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتدا ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب
لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلما كافة وعلى
السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ
الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلوب اكثر
من مرض الابدان والعلما اطبا والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف
شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن سائر
الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل احدها ان المريض به لا يدري انه مريض والثاني ان عاقبته غير
مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت
النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال
والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطبا هم العلما وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت
لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك
هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطبا فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج
وتنسون انفسكم منه فبهذا السبب عم الدا وعظم الوبا وانقطع الدوا وهلك الخلق لفقد الاطبا بل اشتغل الاطبا بفنون
الاغوا فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام
ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجا وتغليب اسباب الرجا وذكر دلايل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف
على الطباع لينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا الجراة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب
جاهلا او خاينا اهلك بالدوا حيث يضعه في غير موضعه فالرجا والخوف دوآن ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب
عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر سورة اسرافه في الخوف
بذكر اسباب الرجا ليعود الى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما
لذنوبه التي سبقت يعالج ايضا باسباب الرجا حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي
بذكر اسباب الرجا فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفا وذلك من دأب الجهال والاغبيا فاذن فساد الاطبا هي المعضلة
العظمى التي لا تقبل الدوا اصلا • فان قلت فاذكر الطريق الذي يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول
ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع
النوع الاول ان يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار

مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يطلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت
هذا الخلايق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا • فيقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما
علموا • وفي بعض الروايات تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا • وقال بعض
السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر
لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها • وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استاذن مكانه من الارض ان يخسف به واستاذن
سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه
لرحمتماه لعله يتوب الي فاتوب عليه لعله يستغفرني فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله حسنات فذلك معنى قوله صلى
الله عليه وسلم عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده • وفي حديث عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الطابع معلق بقايمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فطبع على القلوب بما
فيها • وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب
فذلك هو القفل • وقال الحسن ان بين العبد وبين الله عز وجل حدا في المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه
بعدها لخير • والاخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التايبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة ويورثه كل عالم بقدر ما اصابه

النوع الثاني

حكايات الانبيا عليهم السلام والسلف وما جرى عليهم من المصايب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في
قلوب الخلق مثل احوال آدم عليه السلام في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل من الشجرة تطايرت
الحلل عن جسده وبدت عورته واستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن
راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم عليه السلام
الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب • وروي ان سليمن عليه السلام لما عوقب على خطيئته
لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما • وقيل ان المراة سالته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب
بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تايها على وجهه وكان يسال بكفه فلا يطعم
فاذا قال اطعموني فاني سليمن زجر وشج وضرب • وحكي انه استطعم من بيت لامراة فطردته وبزقت في وجهه وفي
رواية فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين
ايام العقوبة قال فجات الطيور فعكفت على راسه وجات الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر اليه بعض
من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم الآن هذا امر كان من السما ولا بد منه • وروي
في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلد اخرى فارسل عبده يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها
واستعصم قال فنباه الله تعالى ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل • وفي قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر
عليهما السلام بم اطلعك الله على علم الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله تعالى • وروي ان الريح كانت تسير بسليمن
عليه السلام فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد قال فكانه اعجبه قال فوضعته الريح فقال لم فعلت ذا قال
امرك فانما نطيعك اذا اطعت الله عز وجل • وروي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام اتدري لم فرقت بينك وبين

ولذلك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة
اخوته ولم تنظر الى حفظي له • وكذلك لما قال يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر
ربه فلبث في السجن بضع سنين • وامثال هذه الحكايات لا تحصى ولم يرد بها القران والاخبار ورود الاسمار بل
الغرض بها الاعتبار والاستبصار ليعلم ان الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن
غيرهم نعم كانت سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم تؤخر الى الاخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب
الاخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة **النوع**
الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو
بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به
فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الامر كما حكي في قصة داود وسليمن عليهما السلام حتى قد يضيق
على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته عن القلوب وتستولي عليه اعداؤه • قال صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه • وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاحسب ان العبد لينسى العلم بالذنب يصيبه
وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا • وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا
في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي
الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان عن رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه
يعود بدعو الى ذنب اخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة
الصالحين بل يمقته الصالحون • وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت
رجله وسقط فقام وهو يمشي في الوحل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب حتى يقع في ذنب وذنبين
فعندها يخوض الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنب يتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر • ولذلك قال الفضيل
ما انكرت من تغير الزمان وجفا الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك • وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء
خلق حماري • وقال اخر اعرف العقوبة حتى في فار بيتي • وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن
الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلا الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله
تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد
حين قال فعوقبت بعد ثلثين سنة • وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة • وقال لا يفوت احد صلاة
جماعة الا بذنب يذنبه • وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم • وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى
ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي • وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول
ذكرها قال فيها فكنت قائما اصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت
على الارض واسود جسدي كله واستترت في البيت فلم اخرج ثلثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون
فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلثة ايام فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال
لي اما استحييت من الله عز وجل كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك فاخرجك من

بين يدي الله عز وجل فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو
ببغداد وانا بالرقة • واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان
كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار • والاخبار كثيرة في افات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره
بل من شؤم الذنوب في الدنيا ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلي بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف
شقاوه وان اصابته نعمة كان استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه • واما المطيع فمن بركة طاعته ان تكون
كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته **النوع الرابع**
ذكر ما ورد من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره
وذكره مع غير اهله وضع للدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه
الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب • وقال له اخر اوصني فقال عليك
باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه
وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا
فكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السائل الاخر مخايل الطمع في الناس وطول
الامل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا • وقال رجل لمعاذ رضي الله عنه اوصني فقال كن رحيما
اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه اثار الفظاظة • وقال رجل لابرهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك
بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس
بل غمسوا في ماء • فكانه تفرس فيه افة المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب اذاه بالناس
والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب حال القائل • وكتب معوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي الي كتابا
توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس
والسلام عليك • فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التي تكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم
وكتبت مرة اخرى • اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا
والسلام • فاذن على كل ناصح ان تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله
بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بموعظة بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان
فان قلت • فان كان الواعظ يتكلم في جمع او ساله من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه في ذلك
ان يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية
للكافة والادوية لارباب العلل • ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري رضي الله عنه اوصني فقال عليك
بتقوى الله عز وجل فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقران فانه نور لك في اهل
الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فبذلك تغلب الشيطان • وقال رجل للحسن اوصني

فقال اعز امر الله يعزك الله • وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك
وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك
ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين • وقال
ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال
غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما اخرت • يا بني انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم
ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم • وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رأيته
غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه رأيته مصيبة فاجتنبه • وقال موسى للخضر عليه السلام اوصني فقال
كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب
ولا تعير الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران • وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا
خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك • وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف
لا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك
مخالطة الناس الا فيما لا بد منه • وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ
مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام • وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يسأله ان يعظه
فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب
واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن
ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فاسأل
واذا غضبت فامسك • وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع
من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من
عاقبة الداء • وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء
الله اما اولياء الله فغمتهم • واما اعداؤه فغرتهم • وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك المقدرة على
ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تأتي الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم
باقيا عليك واعلم ان الله عز وجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة
ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي يشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل
هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون
ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم
صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا
كان طلب الطبيب اول علاج المرضى فطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله

[الاصل الثاني] الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناول ذلك اما لغفلته
عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فيما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه
في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بمأكول مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك
عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا
بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ
عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت
فيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة
من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم
الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن
سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر
فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب
العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب
وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى فما يغني عنه
ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وان لله الآخرة والاولى فان
قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا
يحصل الا بالعلم بعظيم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق بالله ورسوله فهو الايمان فكأن من
اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق
بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور • احدها ان العقاب
الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بحب الحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر

[الثاني] ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى
بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال بل تؤثرون الحياة الدنيا • وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق النار فقال لجبرئيل
عليه السلام اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال
اذهب فانظر اليها فنظر اليها وقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها • وخلق الجنة فقال لجبرئيل اذهب
فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك
لقد خشيت ان لا يدخلها احد • فاذن كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران
في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا
مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر

[الثالث] انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره الا
ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان

الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو معتقد ان الذنب لا يرتب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر
العفو اتكالا على فضل الله عز وجل فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب • بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب
بسبب خامس يقدح في اصل الايمان وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره
في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر • فان قلت
فما علاج الاسباب الخمسة • فاقول هو الفكر وذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تاخر العقاب ان كل ما هو
آت آت وان غدا للناظر قريب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب والمتاخر اذا وقع
صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل
الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت
وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت المحذور لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم نسبة
وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق
بعقلي ان يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد
له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام
الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك اللذات ايام
العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الاباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر
عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة • واما تسويف التوبة
فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى
وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست
تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتاكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا
هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما
مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو
يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته
عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف • واما المعنى الرابع وهو انتظار
عفو الله عز وجل فعلاجه ما سبق فمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله ان يرزقه العثور
على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة في بلده وذخائر امواله
في صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ
الى داري واذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة • وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع
فانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة • واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه
الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول • ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء
المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين • فان قال اعلم استحالته كذلك

فهو اخرق معتوه وكانه لا وجود لمثل هذا في العقلاء • وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك
طعامك في البيت لحظة انه قد ولغ فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تاكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة
فيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فيفوتني
الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الانبياء كلهم مع
ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل
ذوي الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر واثبت
ثوابا وعقابا وان اختلفوا في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الاباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات
هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد بل لو قدرنا
الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص ابد الاباد
شيئا فكيف يفتر راي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الاباد وذلك لا منتهى له
ولذلك قال ابو العلاء المعري

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا
والا فقد تخلصنا وهلكت اي العاقل يسلك طريق الامن في جميع الاحوال • فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست
تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من امن باصل الشرع
وتفصيله • فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة واهوالها وشدائدها
وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا
على سبيل التفرج والاستراحة والثاني ان الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان
الا وله في كل حالة من احواله ونفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته
فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه او في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك
واما علاج هذين المانعين فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده من الم ذكره
مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتالم
به • واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يتحقق ان فوات لذات الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها
ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدورة وكيف وفي التوبة
عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن
للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف
اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنه يصبر عليه مدة وقد صار الخير ديدنا كما كان
الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذن هذه الافكار المهيجة للخوف المهيج لقوة
الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر

فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذى اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذى هو سبب
الخير توفيقا اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذى هو طاعة نافعة فى الاخرة • وقد روى فى حديث
طويل انه قام عمار بن يسار فقال لعلى رضى الله عنه يا امير المومنين اخبرنا عن الكفر على ماذا بنى • فقال على عليه السلام
بنى على اربع دعائم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمى نسى
الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الامانى واخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب • فما ذكره
بيان لبعض افات الغفلة عن التفكر وهذا القدر فى التوبة كاف • واذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلا
بد من بيان الصبر فنذكره فى كتاب مفرد ان شا الله تعالى تم كتاب التوبة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ٥ ٥

كتاب الصبر والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله اهل الحمد والثناء • المنفرد برداء الكبرياء • المتوحد بصفات المجد والعلاء
المويد صفوة الاولياء • على الصبر على السراء والضراء • والشكر على البلاء والنعماء • والصلوة على محمد
سيد الانبياء • وعلى اصحابه سادة الاصفياء • وعلى آله قادة البررة والاتقياء • صلاة محروسة
بالدوام عن الفناء • ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء **اما بعد** فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاثار • وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله
واسمان من اسمائه الحسنى • اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الايمان
ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن • ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان • وكيف
يتصور سلوك سبل الايمان • دون معرفة ما به الايمان • ومن به الايمان • والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر
تقاعد عن معرفة من به الايمان • وعن ادراك ما به الايمان • فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان •
ونحن نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط احدهما بالاخر ان شاء الله تبارك وتعالى ٥

الشطر الاول فى الصبر

وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته
وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهى سبعة
فصول تشتمل على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف
وذكر الصبر فى القران فى نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال
عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا • وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا
وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • وقال اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا • وقال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب • فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من
الصبر فانه نصف الايمان • قال تعالى الصوم لى وانا اجزى به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد
الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين • وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم
فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين
واستقصا جميع الايات فى مقام الصبر يطول **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف
الايمان على ما سياتى وجه كونه نصفا • وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى
حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الى من ان يوافينى
كل امرء منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند
ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا
الاية • وروى جابر رضى الله عنه انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر
كنز من كنوز الجنة • وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر • وهذا يشبه قوله الحج عرفة • وقال ايضا افضل الاعمال
ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله الى داود عليه السلام تخلق باخلاقى وان من اخلاقى انى انا الصبور وفى
حديث عطا عن ابن عباس رضى الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امومنون انتم
فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخا ونصبر على البلا ونرضى بالقضا
فقال صلى الله عليه وسلم مومنون ورب الكعبة • وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما تكره خير كثير وقال
المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون • وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا
لكان كريما والله يحب الصابرين • والاخبار فى هذا مما لا يحصى **واما الاثار** فقد وجد فى رسالة عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه الى ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عليك بالصبر • واعلم ان الصبر صبران • احدهما
افضل من الاخر الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى • واعلم ان الصبر ملاك الايمان
وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر • وقال على كرم الله وجهه بنى الايمان على اربع دعائم • اليقين
والصبر والجهاد والعدل • وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان
لمن لا صبر له • وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة
وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة • وكان حبيب بن ابى حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال وا عجباه اعطى
واثنى اى هو المعطى للصبر وهو المثنى • وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر
هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا يفهم الا بعد فهم حقيقة الصبر
ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين • ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة امور
معارف واحوال واعمال • فالمعارف هى الاصول وهى تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار
والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يخص

بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقايد وكذلك الصبر لا يتم
الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة
كيفية الترتيب بين الملئكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهايم والملايكة اما في
البهايم فلنقصانها واما في الملايكة فلكمالها وبيانه ان البهايم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث
لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة
في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا • واما الملئكة فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب
منها ولم يسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند اخر يغلب
الصوارف • واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذا الذي هو
محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر
عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في
البهايم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة
البلوغ ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهايم واختص بصفتين • احدهما معرفة الله
تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف
فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ
فاما الدوا النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات
له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه
الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها
بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند
بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتاييد كما ان نور
الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات
وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قايم بين باعث الدين وباعث
الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملايكة الناصرين لحزب الله ومدد
باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة
فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة
ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين • فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمرها حال تسمى الصبر وهو ثبات
باعث الدين الذي في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها
لاسباب السعادات في الدنيا والاخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا
قاطعا لطريق الله قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم
ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها

وهذان

وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص
من الادميين واذ عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين
من جنبي الدست ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذن صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر
وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسي اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل
عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك
للاستمداد منه فهو به مسي اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما تثبت
هذه الحسنات والسيات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الكرام
الملئكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيات وانما يكتبان في صحايف مطوية في سر القلب
ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحايفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم
الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شي من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحايف
المطوية عنه مرتين مرة في القيمة الصغرى ومرة في القيمة الكبرى واعني بالصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم
من مات فقد قامت قيامته • وفي هذه القيمة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا • اما في القيمة الكبرى الجامعة لكافة الخلق لا يكون وحده بل ربما
يحاسب على ملاء من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا احادا والهول الاول هو هول
القيمة الصغرى ولجميع اهوال القيمة الكبرى نظير في القيمة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك
تزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها
بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه
لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارضي مخلوق من التراب وحظك الخاص
من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس حظك والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما
يخاف من زلزلة ان تتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك
من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك ورأسك سماء ارضك
وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وساير حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعورك
نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض
زلزالها واذا انفصل العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت
الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وساير حواسك فقد
انكدرت النجوم انكدارا فاذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا تفجر من هول الموت عرق جبينك
فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق
الروح الجسد فقد حلت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال
ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيمة الكبرى شي مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقا

الكوكب في خسوفه ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب إذ الأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف
الشمس وانجلاؤها لأنه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه
فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيمة
الصغرى والخوف بعد الخوف والهول بعد الهول مدخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض
ونسفت الجبال وتمت الأهوال واعلم أن هذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها فهي بالنسبة
إلى القيمة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين إحداهما الخروج من الصلب
والترائب إلى مستودع الأرحام وهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة
وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة عموم القيمة الكبرى إلى خصوص القيمة الصغرى
كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء
الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وما
النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله تعالى
وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة موقن بالملك والملكوت والمقر بالقيمة الصغرى
دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال فما أعظم غفلتك
يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيمة الكبرى بالجهل والضلال فلا يكفيك
القيمة الصغرى أوما سمعت قول سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا • أوما سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم
في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت أوما تستحيي من استبطائك هجوم الموت فتداء برعاع الغافلين الذين
لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا
من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون
أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى سافروا
من عندهم فهم معدومون كلا إن كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك
لأنا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث
الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان
والمجانين إذ ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الإعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى
الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض
ولعمري تظهر مبادي إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع
قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا
يعاقب في الآخرة ولا تكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار
وكان على سمت الكرام البررة الأخيار أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره

عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي
فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى
الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الإيمان

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما
جميعا وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف
هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى
إطلاقين • أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان • أحدهما اليقين والآخر الصبر
والمراد من اليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين
إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو
استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث إلى آخره • الاعتبار الثاني أن يطلق على
الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة
أو يضره فيهما وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري
الإيمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الإيمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن بواعث
الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة
لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون
مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة
ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الأعمال
والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان وأن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر

اعلم أن الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما
من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد
يكون محمودا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات
الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند
الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع
وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان في احتمال الغنى سمي
ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في كظم الغيظ
والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم

وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اى المصيبة والضراء اى الفقر وحين البأس اى المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذن هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقايقها من حيث راى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقايقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دلالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يتبع الاصول من التوابع لا بد وان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات ٥ والله اعلم

بيان انقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلثة احوال احدها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية **الحالة الثانية** ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله فاليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقايق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم اسير في ايدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لان تفاحش جنايته سببه انه سخر ما كان حقه ان يستسخر وسلط من حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون مسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان كمن ارق مسلما

لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستحقاقه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله والعقل اعز موجود خلق في الارض **الحالة الثالثة** ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل • ولم ار في عيوب الناس عيبا • كنقص القادرين على التمام • وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حملة وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا لغوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا ينبغي ان تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير • وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اولها ترك الشكوى فهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين • والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصايب والبلايا • واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حرمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال

اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر **النوع الاول** ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط

نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق • وقال سهل الصبر على
العافية اشد من الصبر على البلاء • ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء
فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا ايها
الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله • وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال
صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة • ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه وقال
صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته • ففي ذلك عبرة لاولي الابصار
فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع
على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وان يرعى حقوق الله في ماله
بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في ساير ما انعم عليه وهذا الصبر متصل
بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر
فالصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند
غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء

النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي
او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي
بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام **القسم الاول** ما يرتبط باختياره وهو ساير افعاله التي توصف بكونها
طاعة او معصية وهما ضربان **الضرب الاول** الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة
شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية • ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة
ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهر اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد
الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتعاضه
وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء
فاذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة
ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على
طاعته في ثلثة احوال **الاولى** قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي
الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات
الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وبهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا
وعملوا الصالحات **الحالة الثانية** حالة العمل كي لا يغفل عن الله تعالى في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق
ادابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى الاخر فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر

ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الى تمام العمل **الحالة الثالثة** بعد الفراغ
عن العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله
ويحبط اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم • وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن
والاذى فقد ابطل عمله • والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى
في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى • فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى
هي المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر **الضرب الثاني** المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها
وقد جمع الله تعالى انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من
هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه • والمعاصي مقتضى باعث الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي
التي صارت مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان
على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس
كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي
للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم
فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احدهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه
وبها يتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير
ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس
بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر
ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة
والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في احاد
المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس
فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب هم اخر في الدين يستغرقه كمن اصبح
وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه
ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بقول او فعل وجني عليه في نفسه او ماله فالصبر على
ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة • قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما كنا نعد ايمان الرجل
ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون • وقسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى فاخبر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر • وقال تعالى ودع اذاهم
وتوكل على الله • وقال واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا • وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك • وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور • اي تصبروا عن المكافاة • ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال

وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين • وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط
من حرمك واعف عمن ظلمك • ورايت في الانجيل قال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف
وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن
سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه
يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا **القسم الثالث** ما لا يدخل تحت الاختيار اوله
وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة فسائر انواع
البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر • قال ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه • صبر على اداء
فرائض الله فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى وله ستمائة درجة • وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة
درجة وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم • فاما
الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسألك
من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستند الى حسن اليقين • قال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر
على ما نكره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او
ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا • وقال صلى الله عليه وسلم
انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله
وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به • وقال انس رضي الله عنه حدثني رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه
الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عليه السلام يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده
ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام
يا رب ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان ولا انزعه عنه ابدا • وقال
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه عنها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل
مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب • وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف
ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته • وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك
جاؤوك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي • وكان بعض العارفين في جيبه
رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا • ويقال ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع
ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عني مرارة وجعه • وقال داود لسليمان عليهما السلام
يستدل على تقوى المؤمن بثلاث • حسن التوكل فيما لم ينل • وحسن الرضا فيما قد نال • وحسن الصبر فيما قد فات • وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك • ويروى عن بعض الصالحين انه
خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني • وروي عن بعضهم
قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو فاني صائم فان عشت

الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى • فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب
وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في
الاختيار • فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار
الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر
الرضى بقضاء الله ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء ام سليم انها قالت توفي
ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فهيات له افطارا فجعل ياكل فقال كيف
الصبي فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع
قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت له الا تعجب من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم
جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وانه قبضه اليه فحمد الله واثنى واسترجع
ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهم في ليلتهم قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك
في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن • وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصا
امراة ابي طلحة • وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره • ولا يخرجه عن حد الصابرين
توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما
مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما
يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه
لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى • وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض
الخلفاء فكتب ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي قبلك
هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون
فيه فاذن مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر
وسائر المصائب • وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة • فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان
وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة
والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في
فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته
عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد فيه انسا بالله عز وجل او عن فكر يستفيد به معرفة الله تعالى ليستفيد
بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر
في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم به انه ينازعه ويخالفه
غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر
في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند
يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جند السيار وهذا لان الشيطان

خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار وقد اجتمع فيه مع النار الطين فطبعه السكون والنار طبعها الحركة
فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بطبعها بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما
خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذن حيث لم
يسجد الملعون لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وساوسه وطيرانه وجولانه
فقد اظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته
الدالة باصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة الاستخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح
بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر
اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك
بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا
فيك فعند ذلك تكون من عباد الله الصالحين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه
قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك ان اردت ان يخلو القدح
عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخله الهواء لا محالة
فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك
اللحظة قرين الا الشيطان • ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان
ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يزدوج افراخه ايضا ويبيض مرة اخرى
ويفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة
كثر تولده ولا يزال يتولد النار من النار ولا ينقطع البتة بل يسري شيئا شيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب
للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن
شهوة فاذن اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك • ولذلك قال الحسين بن منصور
الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك • فاذن حقيقة الصبر
وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت والله اعلم

بيان دواء الصبر وما يستعان به

اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم
والعمل فهما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام
الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة
وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا
وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك
قلبه ونفسه اذ لا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة

قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق
لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة
فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان ينظر الى مادة قوته فهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث
كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز
عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة • والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة
اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة
والفرار منها بالكلية • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده
الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان والهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور
فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه • الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك
بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان
قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم
بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب • فالعلاج الاول هو قطع الطعام
يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فيسقط قوته • والثاني يضاهي تغييب اللحم عن
الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها • والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل
مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما يصبر على التاديب • واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين
احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر
وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة • وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط
بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهور ومن اسلم خسيسا في نفيس
فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى فان
قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة
الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر • والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا
قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال
الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين
للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج
الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم
بموسى حيث قال وانكم اذا لمن المقربين • والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة
اسباب ذلك منذ الصبا حتى يانس به ويستجرئ ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه
باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج
في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له

بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة وللذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا
لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم
الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك ولا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا
وهو الله عز وجل ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات
والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان
ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة والقراءة والاذكار والصلوات
ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا
فعل كل ذلك لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر
من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالطة اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة
فهذا احد الانواع الشاغلة ● واما النوع الثاني فهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس
والمشرب واسباب المعاش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب
بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الاوقات يصفو
القلب ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل
لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما
ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد
ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن عز وجل فانها توازي
اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا
فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة
هو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات
والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية
غائبة عنا ولا ندري متى ييسر الله تعالى اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب
اجله كالذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله
اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات
ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه
لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في
الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس
اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى يستدر بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار
المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من
اقطار الجبال والبحار والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار

ذلك

ذلك حجابا بينك وبينها فلا يحتاج الا الى ان تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب واظهار
ماء الارض بحفر القنى اسهل واقرب من استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا
بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال وليتذكر اولوا الالباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم
على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الله حق
شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة
هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع
اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية
مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر
ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم
الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب
الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف
الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز
والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الالام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في
الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في
العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضر وتوسل
اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم
يتدل الموفق بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقيل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة ● وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ● ولما استطار
مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه
فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا
فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة
فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ● فالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى وكل كتاب منزل ما
انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا
فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة فالقرب من الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه
وقرة عين اخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة
يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولو كانت تسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملك
الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر اسباب الجاه ثم كما تسلم ويتم الاسباب

يقضي العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن
لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا • وقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسد الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد
ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادا لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ يصير صاحبه
حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يجره زمام
الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال
الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة • ولهذا قال بعض الملوك لبعض
الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف فقال من انت عبده فهو عبد
لي فقال كيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك وبطنك وفرجك وقد ملكتهم فهم عبيد لي
فهذا اذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا
والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا واذ عرفت الآن معنى
الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك
النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة
ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد
العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور • احدها ان يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد
اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا
فقد كفر نعمة الله في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها • الثاني ان يكلف نفسه في
افعاله اخلاف ما اعتاده فيبدل التكلف في التبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في
مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد
ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة • الثالث ان يراعي في ذلك التلطف
والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع ينفر ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج
فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان
يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا شيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا
قطع ولا ظهرا ابقى والية الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذن ما ذكرناه
في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة
النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان
تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عما كان يشق عليه الصبر معه
فتنعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف

الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر
مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير
ما حكي عن بعض العارفين انه سأل الشبلي عن الصبر اية اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال
فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي رحمه الله صرخة كادت روحه تتلف • وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا
وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله • وقيل الصبر لله غنى والصبر بالله بقاء والصبر
مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه • والصبر عنك فمذموم عواقبه • والصبر في سائر الاشياء محمود
وقيل ايضا • الصبر يجمل في المواطن كلها • الا عليك فانه لا يجمل وهذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر وله ثلاثة اركان

الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه • الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة
والعامة • الركن الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر

الركن الاول في نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر

اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم • وقال تعالى وسنجزي الشاكرين • وقال تعالى اخبارا عن ابليس اللعين
لاقعدن لهم صراطك المستقيم • قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين
وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور • وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم •
واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء •
وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء • وقال ويرزق من يشاء • وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء • وقال ويتوب
الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم • وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام اهل
الجنة فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده • وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين • واما الاخبار •
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر • وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقلت اخبرينا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شأنه لم يكن عجبا انه اتاني
ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي عز وجل قالت قلت
اني احب قربك فأذنت له فقام الى قربة من ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره
ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في خلق السموات
والارض الآية • وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابدا • والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر
صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه
فسأله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة يخرج مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء
الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا • وروي

عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى منادٍ يوم القيمة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة
قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء • وقال صلى الله
عليه وسلم الحمد رداء الرحمن عز وجل • واوحى الله الى ايوب في وصيته الشكر مكافاة من اوليائى في كلام طويل واوحى
الله تعالى اليه ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر
استزيدهم وبالنظر الى ازيدهم • ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ
احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال • وقال ابن مسعود رض الشكر نصف الايمان

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال
يورث العمل • اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بمقصود المنعم ومحبوبه
ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر
فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم بثلثة امور بعين النعمة ووجه
كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة
ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى • فاما
في حق الله تعالى فلا يتم الا بان تعرف ان النعم كلها من الله والاوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد
اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا
مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة
منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا
عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة
ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة • وقال افضل الذكر لا اله الا الله • وافضل الدعاء الحمد لله • وقال ليس شيء من
الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله • ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول
معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس • ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد • والحمد لله تدل على معرفة
النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين • واعلم ان تمام هذه المعرفة
تنفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى لوزيره او لوكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه
فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون
موحدا في حق الملك نعم لا يبعض من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه
بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان
بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطر من جهة الملك في الايصال
وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته لما سلم فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن
الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله تعالى

وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في
نفس اختيارها فان الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك
ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة
وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والآخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال
والمآل لا يحصل الا به بعد ان خلق الله تعالى له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذن انما يعطيك لغرض نفسه
لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذن انما يطلب نفع
نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك
والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله
وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بهذه المعرفة بمجردها شاكرا • ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته
الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكان معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان تعرف
ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم ولا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك
ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل • **الاصل الثاني**
الحال المستمد من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة
شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا يتعذر
عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه
بالفرس من ثلثة اوجه • احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه
جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه مثل ذلك
الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه
حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له
بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك • الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك
ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله
في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا
بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون
الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلث درجات • فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان
نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة
لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من
حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث • وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله من حيث
انه يقدر بها على الوصول الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا واما

انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته له وقربه منه • ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة • وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصر نعيمه اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة كما قيل • ومن يك ذا فم مر مريض • يجد مرا به الماء الزلالا • فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم يكن ابل فيرى فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية • اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه

الاصل الثالث

العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه لمسلم • وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله وهو مامور به • وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد صلى السؤال فاعاد حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الريا باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا يقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واظهار الذل للعبيد مع كونهم اذلاء قبيح • قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق • وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر • وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فاما قول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان • وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط • وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص فهؤلاء اقوالهم تعرب عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد

في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه ولا ينبغي ان يظن ان في ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا الا ان يفرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء •

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى

لعله يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بنوع من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين • احدهما ان الله عز وجل منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا او ساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد او نركع اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في اعمالنا كلها • الوجه الثاني ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي هي اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ومن نعمته فكيف نشكر نعمة بنعمته ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا آخر له وركبناه او اعطانا مركوبا آخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع • فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك • وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني • وفي لفظ آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا • فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما اوحي اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى وانهم قاصر عن درك السر فيه فان امكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه • فاعلم ان هذا قرع باب من المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملامح ونقول ها هنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فاذن من نظر من هذا المقام

علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هاهنا نظر حبيب بن ابي حبيب
حيث قرأ قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى على عطايه فعلى
نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه • ومن هاهنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال
لعمري يحبهم ودعه يحبهم وذعهم يحبونه فحق يحبهم لانه انما يحب نفسه واشار به الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة
عالية لا يفهمها الا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والوالد اذا احب
ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه
واذا لم يحب الا نفسه فحق احب ما احب • وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني
عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليه ويقول كيف فني وطول ظله اربع اذرع ولعله يأكل في كل يوم ارطالا من
الخبز فيضحك عليه الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين • واليه الاشارة بقوله تعالى
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين • واذا
راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين • ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون • وكذلك امة نوح كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين

النظر الثاني

نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه
وهؤلاء قسمان • قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين
لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قايم بنفسه وقايم على كل نفس بما كسبت وكل قايم فقايم به ولم يقتصروا على
هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من
حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من
حيث هو هو والموجود قايم وقيوم والموجد هالك وفاني واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام

الفريق الثاني

ليس بهم عمى ولكن بهم عور فانهم يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه
والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فنا غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله تعالى فهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله
جاحدا تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت
والنقص من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر
له من نقصان ما اثبته سوى الله تعالى فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينمحي عن رؤيته
ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى الله دخل في اوايل التوحيد
وبينهما درجات لا تحصى فيها يتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي يحصل به انوار
الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى
الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى
المقابل الطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوايل ابواب
التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح له حقايق التوحيد

ولكن

ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شاو العلى حركات • ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك
من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك •
فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله
من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك
من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ودنى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة
الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا
ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا واقترب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء
عليك • فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها • وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان
انه المثني وهو المثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية
مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ماذا انتهت نهايته اذ انتهى
الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرتقي من رتبة الى
اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا
في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين
مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض واولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصا
بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره لذلك • ولما قالت عايشة رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه فلا اكون طالبا
للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولنترك الاية واذ تغلغلنا في بحار
المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد
الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف سلوك
تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيظهر في ذلك المقام
وبالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا
من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد
ويقرب من حضرته ثم يكون له حالتان • احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض
مهماته ويكون له غنا في خدمته • والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا
يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمته تغني منه غنا وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام
عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك
به وبانتفاعه فنزل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى

والثانية غير محال ● ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب لوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته
التي ارادها الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا
ويكون شكره بان يستعمل ما انعم اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او
يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم يسلك الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل
نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما
كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها
وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله تعالى الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات ليكمل
بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درج
القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين
امنوا الاية ● فاذن نعم الله آلات يترقى العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة
القرب من الله والله غني عنه قربا وبعدا والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه
وبين ان يستعملها في معصية فقد كفر لاقتحامه لما يكرهه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية
وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة
للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب التي
استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية
والطاعة يشملها المشية ولكن لا يشملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه
الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون
الشكر وهذا ايضا يحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله تعالى في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في
جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة
اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته
فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد
له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة
الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما انت لا شيء
اذا كنت انت ناظرا لنفسك شيئية من ذاتك ● فاما اعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء
اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذ كانت الاشياء قد فرغ عنها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدر الله تعالى
ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله والعلم سبب
لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء

وهي ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سبب للبعض اي الاول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق
العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اي
هي شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة
الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره
وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه ● فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون
على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل الى الله تعالى ● فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا
والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى
جوار الله والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب حتى يقوده بسلسلتها
الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله
وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا فاذا لم يترك الركون الى
الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل
فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود
الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون
الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار ● واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا
الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل
يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ على ما يتجدد للغافلين من كشف
الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك ●

بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله عز وجل اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى
الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله عز وجل عما يكرهه مدركان احدهما
السمع ومستنده الآيات والاخبار ● والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك
عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تبنى على معرفة جميع احكام الشرع في افعال
العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا ● واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار
فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود
هو المحبوب وتلك الحكم منقسمة الى جلية وخفية ● اما الجلية فكالعلم بان من الحكم في خلق الشمس ان يحصل بها الليل
والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فيتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس
لا كل الحكم فيها بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض
بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون
الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا

وتضيقا واما الحكمة فى سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذى يحتمله فهم
الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فجميع اجزاء
العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيوانه واعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن
حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف وكذلك اعضاء الحيوان ينقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا
للبطش واليد للبطش لا للمشى والرجل للمشى لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد
وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفات والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ
وسائر الصفات ولا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى علم
الله تعالى فيها وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذن كل من استعمل شيئا فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولا على الوجه الذى اريد به
فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه وياخذ ما
ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقا ليبصر
بهما ما ينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما فى غير ما اريد به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق
الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به فى الدنيا والتجافى عن غرور
الدنيا ولا انس الا بدوام ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن
ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا
فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فى جميع الاسباب التى لا بد
منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التى ليست فى غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر
والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة فى اعيانهما ولكن
يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة فى مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه
ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج الى الزعفران
فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد فى مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين
الزعفران والجمل حتى يقال يعطى مثله فى الوزن او الصورة وكذا من يشترى دارا بثياب وعبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه
اشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة
المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب
علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى
تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما مساويان لشئ
واحد اذن متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض فى اعيانهما ولو كان فى اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص
ذلك الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك فى حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدى
ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهى التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان فى انفسهما ولا غرض

فى اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب
فلو احتاج الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام فى الثوب لان غرضه فى دابة مثلا فاحتيج الى شئ هو فى صورته كانه ليس
بشئ وهو فى معناه كانه كل الاشياء والشئ انما تستوى نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها
كالمرآة لا لون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض كالحرف لا معنى له فى نفسه وتظهر به
المعانى فى غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف
الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله فيهما فاذن من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين
فى سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة
ولعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد فى اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدى فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة
معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط
الهى لا حرف فيه ولا صوت الذى لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله حتى وصل
اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذى عجزوا عن ادراكه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب وفضة فقد كفر النعمة وكان اسوا
حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد فى الحياكة والكنس والاعمال التى يقوم بها اخساء الناس
والحبس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة فى حفظ المايعات عن
ان تتبدد وانما الاوانى لحفظ المايعات ولا يكفى الخزف والحديد فى المقصود الذى اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا
كشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب فى آنية من ذهب وفضة فكانما يجرجر فى بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة
الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم العباد لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض فى عينهما فاذا اتجر
فى عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه
فقد لا يقدر ان يشترى به طعاما ودابة وربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور فى بيعه بنقد ليحصل
النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض فى اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من
الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذى جاء لمعنى فى غيره وكموقع المرآة من الاموال فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيع
بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل
الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت
فلم جاز بيع احد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الآخر فى مقصود التوصل
اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق فى الحاجات قليلا قليلا ففى المنع منه ما يشوش المقصود
الخاص به وهو تيسر التوسل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما
تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجرى مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا
اوقاتهم الى وضع الدرهم واخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوف النفوس اليه الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يتصور
جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردى ولا ينتظم العقد وان طلب زيادة فى الردى فذلك مما يقصده فلا جرم

يمنعه منه ويحكم بان جيدها ورديها سواء الان الجودة والرداءة ينبغى ان ينظر اليهما فيما يقصد فى عينه وما لا غرض فى عينه
فلا ينبغى ان ينظر الى مصادفات دقيقة فى صفاته وانما الذى ظلم هو الذى ضرب النقود مختلفة فى الجودة والرداءة حتى
صارت مقصودة فى اعيانها وحقها ان لا يقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا
الا مسامح قاصد للاحسان فى القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة
لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها فى معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت
ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغى ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة بها يوجب تقيدها فى الايدى ويؤخر عنها
الاكل الذى اريدت له فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة والاشربة شديدة فينبغى ان يخرج عن يد المستغنى
عنها الى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغنٍ عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة
تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام
فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد فى الشرع لعن المحتكر • وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه فى كتاب آداب الكسب نعم بايع
البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر فى الغرض وبايع صاع من البر بصاع غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى
منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت فى الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردى لا يرضى به صاحب الجيد واما جيد
بردئين فقد يقصد ولما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوى الردى فى اصل الفائدة ويخالفه فى وجوه التنعم اسقط
الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع فى تحريم الربوا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا
بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه فى الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعى رحمه الله فى التخصيص
بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله
اقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت
وكان ممكنا بالمطعوم فراى الشرع التحديد بجنس المطعوم احرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف
لا تقوى فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق فى اتباع جوهر المعنى مع
اختلافه بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول
هذه المعانى لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف فى وجوه التحديد كما حد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حد شرعنا
بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل فى الحدود داخل فى التحريم بحكمة الجنس كما دخل اصل المعنى بالحكمة
الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغى ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة
فلا ينبغى ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكمة
فى قلوب هى مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولوا الالباب • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا
ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذ عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك
ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر اذ لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه فى
لسان الفقه الذى ينطق به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند ارباب القلوب موصوف بالحظر فاقول
مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله تعالى لك اليدين وجعل احديهما اقوى من الاخرى فاستحق

ولكن مع

الاقوى

الاقوى بمزيد رجحانه فى الغالب التشريف والتفضيل اذ تفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يامر الا بالعدل ثم احوج
من اعطاك اليدين الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار وازلت
النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بزقت مثلا
فى جهة القبلة او استقبلتها فى قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله فى خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات
لتكون متسعك فى حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة
لقلبك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك فى تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت
افعالك الى ما هى شريفة كالطاعات والى ما هى خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البزاق فاذا رميت بزاقك الى جهة القبلة
فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التى بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدات
باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية بالحظوظ ينبغى ان تكون بالاشرف فهو العدل
والوفا بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم
جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدات بالرجل اليسرى سهوا فاريد
ان اكفر بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر فى هذه الامور لانه مسكين بلى باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من
درجة الانعام وهم منغمسون فى ظلمات اطم واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال الذى
شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والآخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا فى وقت النداء يوم
الجمعة فقبيح ان يقال خالف من وجهين احدهما بيع الخمر والآخر البيع فى وقت النداء ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر
القبلة فقبيح ان يذكر تركه الادب فى قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصى كلها ظلمات بعضها فوق بعض
فتنمحق بعضها فى جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين اعز اولاده لم
يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية فى نفسه فكل ما راعاه الانبياء عليهم السلام والاولياء من الآداب وتسامحنا
به فى الفقه مع العوام فسببه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة
للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر فى البعد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود
القرب الى عالم البعد الذى هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح
فقد كفر نعمة الله فى خلق الاشجار وخلق اليد • اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة
واما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع
به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح
فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعل فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس فى بقاء الاشرف
مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه
نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها فلا تفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفى بحاجة
واحد فلو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذى حصل البذر ووضعه فى
الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو اولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فان نبتت تلك فى موات لا يسعى آدمى خص

بمغرسه او بغرسه فلابد من طلب اختصاص اخر وهو السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر
الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذى له ما فى السموات والارض وكيف يكون
العبد مالكا وهو فى نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم فى
الاكل من مائدته بقدر حاجاتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد اخر
واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن
اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفى بحاجة كل العبيد فالعدل فى التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص
والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يد له عن ذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغى ان يفهم امر الله فى
عباده ولذلك يقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفى عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو
من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق فى طاعته اموال
الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا فى حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس
فى استشعار الفقر فى الاستقبال مختلفة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجرى مجرى تكليف الصبيان
الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فرخصنا الاعتراض عليهم فى اللعب واللهو واباحتنا
اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق وكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار فى الانفاق على قدر الزكاة
لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل
الحق الذى لا كدورة فيه والعدل الذى لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب وكل عباد
الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب اخر محتاج اليه فهو ظالم
تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التى
بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه فى الدنيا والآخرة فمن فهم نعمة الله تعالى فى جميع انواع الموجودات قدر على
القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفى الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر لتعلم علة
الصدق فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور ● وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى
هذه الآية من لم يعرف هذا كله وامورا اخر وراء هذا تنقضى الاعمار دون استقصاء مباديها ● فاما تفسير الآية ومعنى
لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير ● فان قلت فقد رجع حاصل الكلام
الى ان الله تعالى حكمة فى كل شىء وانه جعل بعض افعال العباد سببا لكمال تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل
بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع
الاسباب من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق فهو ان فعل العبد المنقسم
الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من فعل الله فاين العبد فى البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم
ان تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات مباديها ونحن
الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يعرفها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع فى السير فضلا
عن ان يجول فى جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه وتعالى فى جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع

تلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم
يكن لها فى العالم عبارة لعلو شانها وانحطاط رتبة واضعى اللغات عن ان يمتد طرفهم الى مبادى اشراقها فانخفضت عن
ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض فى نور الشمس ولكن لضعف فى ابصار الخفافيش
فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادى
حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله صفة هى القدرة
عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم فى الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام
واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة
فهى توهم منها امرا مجملا عند المتناطقين باللغات التى هى حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة
على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى
الذى هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها
تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة
الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان فى وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية اخرى فى النسبة توهم لفظ المحبة
والكراهة منهما امرا مجملا عند طالبى الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه
الى من سبقت له فى المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيفاء حكمته دون غايته ويكون ذلك قهرا فى حقهم بتسليط الدواعى
والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الامور فكان لكل واحد من
الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين فى اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف
بهم اسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه فى الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير
له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال وظهر على من ارتضاه فى الازل فعل انساقت به الحكمة
الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه
اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن اوساخه ثم يلبسه من
محاسن ثيابه فاذا اتم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل
وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف للثناء من حيث
الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الآزال وهكذا تسلسل الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب
الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح البصر
ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب احاد المقدرات بعضها على بعض لفظ
القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلى ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادى الى غير نهاية وقيل ان شيئا من
ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف ينتظم العدل
مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا عما
لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلأت مشكاة بعضهم

نوراً مقتبساً من نور الله في السموات والارض وكان زيتهم اولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نوراً على نور فاشرقت اقطار السموات من ايديهم بنور ربها فادركوا الامور على ما هي عليه فقيل لهم تادبوا باداب الله واسلكوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان له حيطاناً اذانا وحوالكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى السما الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفا ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم

شربنا شراباً طيباً عند طيب • كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا واهرقنا على الارض فضلة • وللارض في كاس الكرام نصيب

فهكذا كان اول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلاً له واذا كنت اهلاً له فتحت العين وابصرت ولا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه آخر فهذه امور نسبة السير عليها الى السير على مجال الجماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان تتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى يقال انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقيناً لمشى على الهوا فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً الى افهام الخلق اذ عرفهم انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق • وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغوا على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغوا هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقتهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك مثاله في العادة ان الملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب اليه الا الى احسنهما واكملهما واجملهما اليه ولا ينبغي ان يقول هذا فعلي فلم يكون فعله على دون فعلي فانك اخطأت اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك الى تخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماماً للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك ايضاً من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيباً تصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً الى لعب المشعوذ الذي يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها انما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعوذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون

ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد • واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعوذ الذي الامر اليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلما ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلما يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلما الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض لا تدرك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المكاشفات في القرآن فقيل وفي السما رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر والقدر فقيل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً • وهذه امور لا يعلم تاويلها الا الله والراسخون في العلم بعلوم لا يحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى مقصد الشكر فنقول اذ رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملاً في اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد احبهم الى الله واقربهم اليه واقربهم الى الله الملائكة ولهم ايضاً ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب منهم اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله بهم الانبياء وهم اشرف مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلما الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان افضل من سائر الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلي العلماء الصالحين الذين اصلحوا نفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم الا فيهم ومن عداهم فهمج رعاع • واعلم ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالماً فاسقاً قال عمرو بن العاص رضي الله عنه امام غشوم خير من فتنة تدوم • وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر • وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلاً ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصاً يقصون

الركن الثاني من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة

ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم اموراً كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة واقسامها

اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هى السعادة الاخروية وتسمية ما عداها
نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنياوية التى لا تعين على الاخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم
النعمة للشىء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الاخرة ويعين عليها اما
بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضى الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات
المسماة نعمة لنشرحها تقسيمات **القسمة الاولى** ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع فى الدنيا
والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع فى الحال ويضر فى المآل كالتلذذ
باتباع الشهوات والى ما يضر فى الحال ويولم ولكن ينفع فى المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع فى الحال والمآل
هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع فى الحال المضر فى المآل بلاء
محض عند ذوى الابصار وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا
علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار فى الحال النافع فى المآل نعمة عند ذوى الالباب بلاء عند الجهال ومثاله
الدواء البشع فى الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبى الجاهل اذا كلف شربه
ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويقربه منه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه
اليها فان الاب لكمال عقله يلحظ العاقبة والام لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال والصبى بجهله يتقلد منة من امه دون
ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن فى صورة صديق لان منعها اياه
من الحجامة يسوقه الى امراض والام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق
نفسه ولكنها صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا تعمل به العدو **قسمة ثانية** اعلم ان الاسباب الدنياوية
مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن
ينقسم الى ما نفعه اكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه فى حق اكثر
الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافى ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع
بالمال الصالح وان كثر فينفقه فى سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة فى حقه ورب انسان يستضر
بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء فى حقه
قسمة ثالثة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته ولغيره
فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرة التى لا انقضاء لها فانها
لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها • الثانى ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا فى ذاتها
كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضى بها لكانت هى والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى
اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة فى انفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربا
ويظنون انها مقصودة • ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسى فى محبة
الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال
الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله

او ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا او يقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشى الذى تراد سلامة الرجل لاجله
فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا فهو نعمة ولكن
دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان فى انفسهما من حيث انهما جوهران بانهما نعمة بل من حيث انهما وسيلتان
فيكونان نعمة فى حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة
حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان
بلاء فى حقه ولا يكونان نعمة **قسمة رابعة** اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ واللذيذ هو الذى
تدرك راحته فى الحال والنافع هو الذى يفيد فى المآل والجميل هو الذى يستحسن فى سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم
الى ضار وقبيح ومولم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذى اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما فى
الخير فكالعلم والحكمة فانهما نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما فى الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومولم وانما
يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فتنبعث منه شهوة العلم
اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تألم
بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات وترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب
دائم لا محالة • والضرب الثانى مقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مولم كقطع الاصبع المتآكلة
والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استراح من لا عقل له
فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح فى الحال الى ان يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال فى البحر عند
خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع للنفس فى نجاتها • والنافع قسمان • ضرورى كالايمان وحسن الخلق فى الايصال الى سعادة
الاخرة واعنى بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما • والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء
فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه **قسمة خامسة** • اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ • واللذات بالاضافة الى
الانسان من حيث اختصاصه بها او مشاركته لغيره ثلاثة انواع • عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية
مشتركة مع بعض الحيوانات • وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات • اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع
والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا
وهى اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر
المتسمين باسمهم والمترسمين برسمهم • واما شرفها فانها لازمة لا تزول ابدا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة ودائمة لا تمل فالطعام
يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ عنها فتستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور ان تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقى
ابد الاباد اذا رضى بالخسيس الفانى فى اقرب الآماد فهو مصاد فى عقله محروم لشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل
لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق
والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه ايدى السراق بالاخذ ولا ايدى السلاطين بالعزل فيكون صاحبه
فى روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل فى كل حال وابدا والمال تارة
يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال فى القران فى مواضع وان سماه خيرا فى مواضع ولقا

قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعلم ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد امزجتهم
ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا • واما لقصور فطنتهم اذ لم يخلق لهم بعد
الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل
على انها ليست لذيذة ولا استطابته للبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلثة اما
من لم يحي بعد باطنه كالطفل واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات • واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله
تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول • وقوله لتنذر من كان حيا اشارة الى من لم يحي حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت
بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء • ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا
موتى بالابدان • الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود
في الاسد والنمر وبعض الحيوانات • والثالثة ما يشارك بها ساير الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وا
اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي
اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة
الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب واخر
ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة • واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة
لا يقوى على قمعها الا الصديقون • فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبه ان
يكون خارجا عن مقدور البشر نعم يغلب لذة معرفة الله في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا
يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس
على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام • قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر
فيه • وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وساير الشهوات البدنية •
وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية •
وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة • اما الاول فان كان ممكنا
في الوجود فهو في غاية البعد • واما الثاني فالدنيا طافحة به • واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور
ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء
فلا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون
هذا نادرا لانه مبادي ملك الاخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفايق في الملك والجمال الا نادرا واكثر
الناس من دونهم فكذا في ملك الاخرة فان الدنيا مرآة الاخرة فانها عالم الشهادة والاخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة
تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المراة تابعة لصورة الناظر في المراة والصورة في المراة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود
فانها اولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المراة اولا فتعرف بها صورتك التي هي قايمة بك ثانيا على
سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتاخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس والانتكاس ضرورة
هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء

عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به • فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم
يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسيفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا شانها ان تطلع على الافيدة الا
ان بينه وبين ادراك المها حجابا فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة
والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك اخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الاخرة
وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين • فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في
الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الاخرة فاذن قد ظهر ان القلب الصالح لملك الاخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك
الدنيا

قسمة سادسة

حاوية لمجامع النعم • اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل
الغاية • اما الغاية فانها سعادة الاخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له • وسرور لا غم فيه • وعلم لا جهل معه
وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الاخرة • وقال ذلك مرة في الشدة
تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر • وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا
وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع • وقال رجل اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم وهل تدري ما تمام
النعمة قال لا قال دخول الجنة • واما الوسايل فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضايل النفس والى ما يليه في القرب كفضايل البدن
وهو الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين
هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهذه اذن اربعة انواع

النوع الاول

وهو الاخص الفضايل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة
وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملايكته ورسله والى علوم المعاملة • وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب
واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه
بالميزان العدل الذي انزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان فمن اخصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الافات او ترك الاكل حتى ضعف عن
العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه
وتقديره عن الطغيان والخسران فيعتدل به كفتا الميزان فاذا الفضايل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى اربعة • علم مكاشفة
وعلم معاملة وعفة وعدالة • ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني • وهي الفضايل البدنية وهي اربعة • الصحة
والقوة • والجمال وطول العمر • ولا تتهيا هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث • وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن
وهي اربعة • المال • والاهل والجاه • وكرم العشيرة • ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع
وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضايل النفسية الداخلة • وهي اربعة • هداية الله • ورشده • وتسديده
وتاييده • فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى اربعة وقسمنا كل واحد الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها
الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة • اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل
للوصول الى سعادة الاخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الاخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة
الفضايل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري • واما الحاجة النافعة على الجملة كحاجة هذه النعم

النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة
فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة • فاعلم ان هذه الاسباب جارية
مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود اما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى
الهيجا بغير سلاح وكبازي يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على
تقوى الله المال كيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة
ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا يندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكوة والصدقات
وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم
لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
من اصبح معافا في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها • واما الاهل والولد الصالح
فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال في الولد اذا مات العبد
انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوايد الاهل والولد في كتاب النكاح • واما الاقارب فمهما
كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنياوية المهمة في دينه ما لو انفرد
به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة • واما العز والجاه فبه يدفع
الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه
ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان وقال
الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم
ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد
وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا
سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم او الاستيثار والاستكثار
في الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن ان نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن
له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة • فان
قلت كرم العشيرة وشرف الاهل من النعم ام لا • فاقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش ولذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم • وقال اياكم
وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن يا رسول الله فقال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني به
الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ايمة العلماء والصالحين والابرار
المترسمين بالعلم والعمل • فان قلت فما معنى الفضايل البدنية فاقول لاخفا بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول
العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بهما • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله عز وجل وانما
يستحقر من جملته امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل
الغنا ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين • احدهما ان القبيح مذموم والطباع

عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع
قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها
والثاني ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تادى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان
ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر
فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه
واستعرض المامون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرق
على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت
درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة • وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني
بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء
وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه • فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل
والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء • قال تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم • وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة • وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة
كل امرء ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا • فاعلم ان من ياخذ العلم من الالفاظ
المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك الامور على ما هي عليه ثم
ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتاويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر الآخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيها
فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق
استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر
واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وان خاضه جاهلا بذلك
فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله
عز وجل المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب
الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء
مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال
وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور
على جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين بالاضافة الى احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم
ولا ان ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمان عم فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي
ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده
واخذ الحية اذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق
بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي فيعظم ضرره بهلاكه

فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا راها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجوا منه
احد ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص اذا علم انه
لو غاص في البحر بمراى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد
الزجر مهما راى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد عن الساحل مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة
في حجر الانبياء كالصبيان الاغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال عليه السلم
انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك
ولم يكن لهم في المال حظ الا بقدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك السم ولو
فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى
به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر
الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يخص
بما يحمله فاما ان سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقا فلا باس بالاستكثار وقوله صلى الله عليه وسلم
ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به من اخذ مائة الف
درهم في موضع واحد ويفرقه في موضعه ولا يمسك منه حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الاغنيا يدخلون الجنة
بشدة استاذنه عبد الرحمن بن عوف في ان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل عم وقال مره ان يطعم المسكين ويكسو العاري
ويقري الضيف الحديث فاذن النعم الدنياوية مشوبة قد امتزج داوها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق
ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها منتقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار
فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية
الراجعة الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق
بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الشر والخير وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص
اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن يميل الى الباطل عن
الحق وكذا الارتداد ولا خفا بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده
فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعلم
ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية
ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله
يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا
انا والهداية ثلث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به على كافة
عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى
هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان
كانت لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة

وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه
المعميات هي التي منعت الاهتدا والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي
ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية
الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي به الى ما لا يهتدى اليه بالعقل
الذي يحصل التكليف وامكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص
الاضافة وان كان الكل من جهته فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به العناية الالهية
التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال
تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا
بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته
عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد اعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي
الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب
المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي
الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضا والالات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض
التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضا في صوب السداد واما التاييد
فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى
اذ ايدتك بروح القدس وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسنح في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر
حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن
يتيسر الا بما خوله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد
على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفها وظلم الاعداء ويستدعي كل واحد
من هذه الستة عشر اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان تنتهي بالاخرة الى دليل المتحيرين وملجا المضطرين وذلك رب
الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلنذكر منها انموذجا ليعلم
به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

بيان فيه لمحة من الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء

اعلم انا جمعنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في
الرتبة المتاخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل احد اسباب الصحة
فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي تتم بها نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها
من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من
ماكول ولا بد للماكول من اصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادة ثم اسباب
القدرة ثم اسباب الماكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الاول في نعم الله تعالى

في خلق اسباب الادراك اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجوداً من الحجر والمدر والحديد والنحاس وساير الجواهر
التي لا تنمو ولا تغتذي فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله وعروقه التي في الارض
وهي الآلات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ اصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق
وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط في اجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه
غذاء يساق اليه ويماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب
وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله عليك ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذا
فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك • فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا
مستك نار محرقة او سيف جارح تحس به فتهرب عنه وهذا اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا وان يكون له هذا
الحس لانه ان لم يحس اصلا فليس بحيوان واقل درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد منه
احساس اتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب
لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصاً كالدود
لا تقدر على طلب الغذا من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك
به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرايحة ولا تدري انها جاءت من اية ناحية فتحتاج الى ان تطوف كثيراً
من الجوانب فربما تعثر على الغذا الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق
لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصاً
اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاً ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدواً لا حجاب بينك وبينه
وقد لا يكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران عند جريان
الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيا حاضراً واما الغايب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات
يدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن ساير الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك
لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذا اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصب في اصلها
كل مايع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك ادراك
آخر يسمى حساً مشتركاً يتادى اليه هذه المحسوسات الخمس ويجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيا اصفر
مثلاً فوجدته مراً مخالفاً لك فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مضر ما لم تذقه ثانياً لولا الحس المشترك اذ
العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة
والمرارة جميعاً حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانياً وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس
كلها فلو لم يكن لك الا هذا لكنت ناقصاً فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص اذا
قيدت وقد تلقي نفسها في بير ولا تدري ان ذلك يهلكها وكذلك قد تاكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض
وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل
وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في

الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوايد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة افعاله ومعرفة
الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فايدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين بنواحي
المملكة قد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الارايح والاخرى باخبار الطعوم
والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من
اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على
باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما معرفة
حقايق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاآت المختومة اليه فيفتشها الملك ويطلع
منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاوها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح
يحرك الجنود وهي الاعضا مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله عليك
في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين
آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج
العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحد من الطبقات العشر
صفة وصورة وشكل وهيية وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة
لاختل البصر وعجز عنه الاطبا والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وساير الحواس بل لا يمكن ان تستوفي
حكم الله تعالى وانواع نعمته في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن
وساير اعضايه وعجايبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات **الطرف الثاني في اصناف النعم**
في خلق الارادات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذا من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع
وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلاً فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشيا له وقد سقطت
شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلان في حقه فاضطررت ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة
عما يخالفك يسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي
الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقي بالغذا وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو
لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تعالى الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه
لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى الآدمي يقدر غذاه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء
اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فتبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فتبقى به نسلك ولو قصصنا
عليك عجايب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الانثيين وكيفية العروق
السالكة اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المراة من الترايب بواسطة العروق وكيفية انقسام
مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها
في اطوار خلقتها مضغة وعلقة ثم عظماً ولحماً ودماً وكيفية قسمة اجزايها الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وساير الاعضا لقضيت
من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدا خلقتك كل العجب فضلاً مما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده

حتى لا يطول الكلام فاذن شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تاتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك
الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ منك كل ما حصلت من الغذا فان كل احد يشتهي
ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى
ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف
للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة
بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها
عن البهائم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا

الطرف الثالث في نعم الله في خلق القدرة والآت الحركة

اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن آلة الطلب
والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده
او لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة
هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير
والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما
يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له رجلان
ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد
وحركتك اليه لا يكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان فتمتد الى الاشياء وهما
مشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا بخلق الكف
ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت
مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مغرفة
وان جمعتها كانت لك آلة للضرب واذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها رؤوس الاصابع
حتى لا تتشعث وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها برؤوس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام
باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل
الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة
واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق
الاضراس من العليا على السفلى ليطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن
بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل
مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحا ولولاه لما تيسر الا ضرب
احدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك
فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحا الذي صنعه الله تعالى

اذ يدور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء
الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان او كيف تستجره الاسنان الى نفسها او كيف تتصرف اليد في داخل الفم فانظر كيف انعم
الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى
الرحا هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو
يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان ينزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها
وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد فتثور المسكينة للخدمة
وتنصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم
ولا يقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى المري والحنجرة وجعل على
راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المري فاذا ورد
الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وان يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه
اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه الابواب ولا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم
والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترب ومن خلف
لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في
تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد
مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه
عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى تستولي عليه قوة الكبد فتصبغه
بلون الدم فيستقر فيها ريثما يصلح له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي
تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد من جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي
والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنهما الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل
واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى
الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا
الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقها ليس داخلا في تجويف
الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى تجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب
قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد
الغذاء ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من
الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق
الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء ولو حلت بالمرارة آفة لفسد الدم وحصل
منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية
كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف

ترتب منافع على هذه الفضلات الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق آخر الى الامعاء ليحصل بها في
ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل ويتزلق وتكون صفرته لذلك
واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة
فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تتغذى بما في تلك المائية من دم
ويرسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية
احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق
الضوارب من القلب الى سائر البدن التي بواسطتها تصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن
وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية
تركيب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل
ذلك محتاج اليه للاكل ولامر آخر سواه بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر
والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك
نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى اولا لتقوى
بها بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله تعالى الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا
يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فيشمس ويرمح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار
فكيف تقوم بشكر نعم الله عز وجل وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله عز وجل فقط
فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم
يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة
ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند
وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت
فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا
له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب
كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفتيلة والغذاء كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء البدن بسببه
كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح ايضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكما
ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت وينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبث به هذا
البخار قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي تبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت
قبولا تتشبث به النارية وكما ان السراج تارة ينطفئ بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصفة فكذلك
الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بفناء الزيت او بفساد الفتيلة
او بريح عاصف او باطفاء انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله تعالى مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح

وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج
اذا انطفأ اظلم البيت كله فالروح اذا انطفأ اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انواره
الاحساسات والقدر والارادات وسائرها يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى
وعجائب صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا لمن
كفر نعمته سحقا • فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح
من امر ربي فلم لم يصفه على هذا الوجه • فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة
لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه
في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة
في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا
الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما ترتقي اليه معرفة الاطباء فامره
سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت في الدين فسد بها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله لم نصفه
ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها
بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل
في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل نور
اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد
خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ
المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب
الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق
صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة
جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل
من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب
بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك
الامر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك فلا يشك في ان خطأه فاحش وهذا الخطأ
افحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة هذا الامر
لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه
من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى من امر ربي واما فعله فقد ذكر
في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الآن الى الغرض
فان المقصود نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل

الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة ويتيسر اصلاحها الى ان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته

الطعام الاطعمة كثيرة ولله تعا في خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب متناهية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان
الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع ساير الاغذية
فنقول لو كان عندك حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جايعا فما احوجك الا ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف
حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعا في حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة
ولا يخالفك في الاغتذا لانه يغتذي بالماء ويجذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجذب ولسنا نطنب في
ذكر الات النبات في اجتذاب الغذا الى نفسه ولكن نشير الى غذايه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام
مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شي بل تحتاج الى شي مخصوص بدليل انك لو تركتها في تراب لم تنبت لم تزد ولو تركتها في
ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماوها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعا فلينظر الانسان
الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة
لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى الريح
يحرك الهواء ويضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعا وارسلنا الرياح لواقح وانما الالقاح في
ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج الى حرارة الربيع
والصيف فقد بان احتياج غذايه الى هذه الاربعة فانظر الى ما اذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء لينساق الى ارض الزراعة
الى البحار والانهار والعيون والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه
لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها تسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم
انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها
العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعا في الجبال والسحاب والبحار والامطار
لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها
عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم
الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فافتقر الى رطوبة تنضجها
فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر
الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وساير الكواكب عليها كانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة
الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك في الليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر
عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصايه بل نقول كل كوكب في السماء فقد
سخر لنوع فايدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصايها ولو لم يكن
كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
وكما انه ليس في اعضايك عضو الا لفايدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفايدة والعالم كله كشخص واحد وآحاده
اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان يظن ان الايمان
بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعا في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن

تصديق

تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست
مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا
يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء عليهم السلام ثم اندرس
ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق
الله تعا في الارض وفي النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل
مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه
فان الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بعلة ان حمي الهواء بطلوع الشمس فاذا سالته
عن تغير وجه الانسان فقال قد غشي الشمس في الطريق فاسود وجهه لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار الا ان الآثار
بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة
بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء ثم قرا قوله تعا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل
لمن قرا هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء
وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهايم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات
والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجايب يطلع عليها المحبون لله فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه
ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه حبا له فكذلك الامر في عجايب صنع الله تعا فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين
من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه
بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة فلا تتعجب من اللعب
فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تتعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذن المقصود ان غذا
النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا
بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملايكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه
على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذا النبات والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الطرف الخامس في نعم الله في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك

اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس
منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البراري فانظر كيف سخر الله تعا التجار وسلط
عليهم حرص المال وشره الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق بها السفن او ينهبها قطاع
الطريق او يموتون في بعض البلاد فتاخذها السلاطين واحسن احوالها ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدايهم لو
عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدايد في طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون
بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى الشرق والغرب اليك • وانظر كيف علمهم الله تعالى
صناعة السفن وكيفية الركوب فيها • وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل

كيف خلقت والى الفرس كيف مدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت الاعبا الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وساير الحوايج وتامل ما تحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن وتتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة

اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويوكل وهو كذلك بل لا بد لكل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير به الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القايمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدى من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى اخر الاعمال من الملايكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة الاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى الابرة التي هي آلة صغيرة وفايدتها لخياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل مثل الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة • فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الاخر فيتناولان الشي معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق ايجاده بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الالات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح ع م واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن الاستنباط الطريق في اصلاح هذه الالة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي الابصار بالعميان وسبحان من منع النبيين مع هذا البيان فانظر الان لو خلا بدنك عن الطحان مثلا او عن الحداد مثلا او عن الحجام او عن الذي هو اخس العمال او عن الحايك او عن واحد من جملة الصناع ما يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصا

الطرف السابع في اصلاح المصلحين

اعلم ان هولاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط

الانس

الانس عليهم والمحبة ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وايتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وساير اصناف البقاع مما يطول احصاؤها ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى الله تعالى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الروسا والقضاة والسجن وزعما الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وساير اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضا البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى صلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله عز وجل الانبيا بالملايكة وكيف اصلح الله الملايكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يصلح العجين بالطبخ والطحان يصلح الطعام بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثة والنجار يصلح الات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لالات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع والانبيا يصلحون العلما الذين هم ورثتهم والعلما يصلحون السلاطين والملايكة يصلحون الانبيا الى ان ينتهي الى الحضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشا كل ترتيب وتاليف وكل ذلك من نعم رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله ايانا ان نطمع بغير الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى الاحاطة والاستقصا ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار

[illegible]

ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة في الملايكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملايكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملايكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الاكل والغذا الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يغتذي الا بان يوكل به سبعة من الملايكة هو اقله الى عشرة الى ماية الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذا ان يقوم جزء من الغذا مقام جزء قد تلف وذلك الغذا يصير دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا صار لحما وعظما ثم اغتذيت والدم واللحم اجسام ليس لها معرفة وقدرة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا عجينا ثم خبزا مستديرا مطبوخا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعرقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملايكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل

البدن وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ولا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذا الى جوار اللحم
والعظم فان الغذا لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك اخر يمسك الغذا في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من
رابع يكسوه صورة اللحم او العظم او العروق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذا ولا بد من سادس يلصق ما
اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق
بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه
لو جمع مثلا من الغذا على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان
مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد من حيث القدر والشكل
والا بطلت الصورة وربما ثقل بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق
الى راس الصبي وسائر بدنه من الغذا ما ينمو به الا الى احدى الرجلين مثلا لبقيت الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن
فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في
القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه مهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل
لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون
الغذا في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك الذي لا يتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى
اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط
بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتاييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس
المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام   والاخبار الواردة
في الملائكة الموكلين بالسموات والارض واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر
من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به   فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك
والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحنها اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى
من يعجن رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا
ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا   فاعلم ان خلقة
الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم
الا فعل واحد   واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس منهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين
مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما
ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك
فتزاحم به اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج
والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك
ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة
لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم

راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث
لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد وخلاف
في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا تشبه من وجه ولكن
يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذن هذه نعمة
الله عليك في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهما في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها
فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف احاد ما يدخل تحت مجامع
الطبقات فاذن قد اسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق
من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من اثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر
بالجوارح شكر النعمة الظاهرة   بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد
كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات
بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه   وان انتفع غيره ايضا به فان لله تعالى في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن اذ
خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل
وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انما يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله في ترتيبها
صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان
من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين
ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من
وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة
على الحدقة كالمصقلة للمراة فيطبقهما مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان
والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل
النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب فلعلنا نستانف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق
نسميه عجائب صنع الله تعالى   فلنرجع الى غرضنا فنقول قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا
العين الا بالراس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذا ولا الغذا الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر
ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط
اعضاء البدن بعضها ببعض فاذن قد كفر كل نعمة لله تعالى في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان
ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر
لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها
وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة
حسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه   واوحى الله تعالى الى ايوب عم ما من عبد الى من
الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا

لكني بالشاكرين علو رتبة عندي اني اشكر شكرهم وملايكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل
طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك
وبانقباضه يجمع روح الهوا الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهوا وبرودته عنه وهلك بل اليوم
والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف
الاف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصا ذلك ام لا ولما انكشف
لموسى عم حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها
وان طمنت راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع
الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا يقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان
لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور
شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان
يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا
غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق
ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم
فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهوا ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع
الهوا عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت فيه هواء حار او في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشيء
من ذلك ثم نجا عاقدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد
عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان يشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند
ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده نعمة • ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذل لهم في جميع الاحوال فلم
يعده الجاهلون نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دايما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك
ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة
والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك
انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف قال لا فقال ايسرك انك اقطع
اليدين والرجلين ولك عشرون الفا قال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف قال لا فقال اما تستحي ان
تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا • وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى في المنام
كان قايلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف
قال لا قال فمعك قيمة ماية الف وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه • ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز
ما يشربه فقال عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال
نعم فقال ولو لم تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال ولا تفرح بملك لا يسوى شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله

على العبد

على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مايلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون
العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راى
من الله تعالى نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها احد
وذلك يعترف به كل عبد في ثلثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله
يعتقد انه اعقل الناس وقل ما يسال الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا
كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه
كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه
حسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا
يذمها وانما يذمه من حيث يرى نفسه بريا عنها فاذن لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه
وابتلى غيره بالخلق السيء واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو
كشف الغطا حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد
من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين
الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور
فلننزل عن هذا الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله في صورته او شخصه او اخلاقه او
صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او في ساير محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي
ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مومنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا
مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصايص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها لم يرض به بل له
امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر
فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذن حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال
نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذن لله تعالى عليه نعم ليست له على احد من عباده سواه فان كان يبدل حال نفسه بحال
بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر
بكثير ممن فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله تعالى عليه وما باله
لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين
الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا ينظر في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خيرا من
حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى
من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من فوقه وفي الدين الى من دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا
فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم
والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بايات الله فلا اغناه الله
وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان القرآن هو الغنا الذي لا غنا بعده ولا فقر معه وقال صلى الله عليه وسلم

من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله عز وجل • وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقرآن • وقال كفى باليقين غنى • وقال بعض السلف يقول الله تعالى إن عبداً أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان
يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد أخيه • وعبّر الشاعر عن هذا فقال •

إذا القوت يأتي لك والصحة والأمن • وأصبحت أخا حزن • فلا فارقك الحزن • بل أرشق العبارات •

وأفصح الكلمات • كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبّر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمناً في سربه معافى
في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها • ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من
أمور وراء هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله تعالى عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير
ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من
المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه
أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا
بدلاً عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا
ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها
بألمها ولا فرحها بغمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا يكون ما بقي الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع
حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت كالمرأة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى إذا تقيد بها قلبه
استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظة ولو
عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فكذا وقع أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن يقول
إن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن المقبل عليها أيضاً متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها
وتألم المعرض يفضي إلى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي إلى الآلام في الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا
في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون • فإذن إنما انسد طريق الشكر على الخلق
لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة • فإن قلت • فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تستشعر نعم
الله تعالى فعساها تشكر • فأقول • أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة •
وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصته أو شعر بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبداً إلى من دونه ويفعل
ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي يقام فيها الحدود • فكان يحضر دار المرضى
ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشاهد
الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات
ويشكر الله على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً • أما من عصى
فليتدارك • وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت
أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات • وأما العاصي فغبنه ظاهر فإذا شاهد
المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله

ليكون ذلك معرفة لنعمة الله في بقية العمر بل في الإمهال في كل نفس من تلك الأنفاس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف
العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر نعم الله تعالى فعساها تشكر
ولقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق تأكيداً للمعرفة فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلاً في
عنقه وينام في لحد ويقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً ثم يقوم ويقول يا ربيع لقد أعطيت ما سألت فاعمل قبل
أن تسأل الرجوع فلا ترد • ومما ينبغي أن يعالج به القلوب البعيدة أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك
كان الفضيل رحمه الله تعالى يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم • وقال بعض السلف النعم
وحشية فقيدوها بالشكر • وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك
النعمة للزوال وقال الله سبحانه وتعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذا تمام هذا الركن ه والله أعلم

[illegible]

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير
إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فما معنى الصبر إذن وإن كان البلاء موجوداً فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر
على البلاء فضلاً من الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألماً والشكر
يستدعي فرحاً وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده • فاعلم أن البلاء موجود كما أن
النعمة موجودة والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن
قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله وأما في الدنيا
فالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده
من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وإما أبداً وأما في
الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع
البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر
عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعلم
أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية
بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم ألمه فلا يؤمر بالصبر
بل يؤمر بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فإذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلقاً بل يجوز
أن يكون نعمة من وجه فكذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلاً يجوز أن يصير سبب هلاك الإنسان
حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده والصحة أيضاً كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن يصير
بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في
الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وطغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض • وقال تعالى كلا
إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى • وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه وكذلك
الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنهما يتصور أن يكون إلا في حق

بعض الناس فيكون اضدادها اذن نعما في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد يكون في
العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة ۝ مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش
وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه
وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه ابغضه وآذاه وكان
ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره فقد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله عز وجل
وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف وآذى كان اثمه اعظم لا محالة فليس من آذى نبيا او وليا وهو يعرف كمن آذى وهو
لا يعرف ۝ ومنها ابهام الله تعالى يوم القيمة وابهامه ليلة القدر وساعة الجمعة وابهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا
الجهل لا يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله في كل موجود
نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل احد ولا يستثنى عنه الا الالام التي يخلقها في حق بعض الناس وهي ايضا قد تكون نعمة
في حق المتالم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فانه يتالم به وهو
عاص به والم الكفار في النار فهي ايضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم فان مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا
ان الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة انما تضاعف
اذا تفكروا في آلام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع حاجتهم اليها من حيث انها عامة
مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارته ولكن
زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق
شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى او على غير المبتلى
فاذن كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت
فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح ۝ فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به
من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي
ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان يكون اكثر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو
ضعفها الله وزادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر اذا لم يكن اعظم منها في الدنيا والثاني انه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه
قال رجل لسهل رض دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع
ولذلك استعاذ عيسى عم في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رض ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه
اربع نعم اذ لم يكن في ديني ۝ واذ لم يكن اعظم منها ۝ واذ لم احرم الرضا فيها ۝ واذ لم ارجو الثواب عليها وكان لبعض ارباب القلوب
صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له اشكر الله فضربه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي محبوس مبطون وقيد وجعل
حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله فكان يحتاج المجوسي ان يقوم مرات وهو يحتاج
ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى هذا واي بلاء اعظم من
هذا فقال لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو
تامل حق التامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق

عليك

عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فقطع احدهما فهو مستحق للشكر
ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت
انتظر ان يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم
تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة فان قلت كيف افرح وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما
اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب ۝ كما قال تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي
صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على
ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها
باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب
التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه
المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح
من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين احدهما
الوجه الذي به يكون الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب
كان يمنعه ذلك عن العلم والادب وكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي
هي اعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه
فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله عز وجل فما من شيء من هذه الاسباب
يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكر عليه
فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد
العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله تعالى وعنايته
بعباده اتم واوفر من عناية الآباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تتهم الله في
شيء قضاه عليك ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى ان قضى له بالسراء
رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له ۝ والوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب
النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمانينة القلب الى
الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه
عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر ۝ والكافر كل من اعرض عن الله ولم يرد الا الحيوة الدنيا ورضي بها
واطمان اليها ۝ والمومن كل منقلع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي ۝

وبعد حب الدنيا في القلب يري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذن في البلاء
نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به   واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى
حجامتك مجانا او يسقيك دوا نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكر على سبب الفرح
فكل بلاء في الامور الدنياوية مثاله الدوا الذي يولم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم
انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه يورثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام
فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفر عن المقام كان ذلك نعمة عليه
والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء
وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في
البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يومن بان ثواب المصيبة اكبر من المصيبة
لم يتصور منه الشكر على المصيبة   وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس عن ابيه رضي الله عنهما فقال

اصبر نكن بك صابرين فانما ۞ صبر الرعية عند صبر الراس
خير من العباس اجرك بعده ۞ والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته   والاخبار الواردة في الصبر عن المصائب كثيرة   قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه   وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي
مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له
ديوانا   وقال عليه السلم ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي
واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به   وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري
والنظر الى وجهي   وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا
يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره   وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل لتكون
له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك   وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصره
لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليوتى بالرجل فيحفر له حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه   وعن علي كرم الله وجهه انه قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو
شهيد   وقال ايضا من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك   وقال ابو الدرداء رض
تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء
صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي
وسعديك لا تسالني شيا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم
القيمة جي باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصيام والصدقة والحج ثم يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان

ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت
تقرض اجسامهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب   وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال شكا نبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب العبد المومن
يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترى على معاصيك
تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المومن عليه
من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه حسناته في الدنيا حتى يلقاني
فاجزيه بسياته   وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رض كيف الفرح بعد هذه الآية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك الاذى الست تحزن فهذا مما تجزون
به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك   وعن عقبة بن عامر رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل
يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
ابواب كل شي يعني لما تركوا ما امروا فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم
بغتة   وعن الحسن البصري رح ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل
يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا   وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله عز وجل
قالوا بلى فقراها عليهم قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير   فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار
فاذا عاقبه الله تعالى في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة
وعن انس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الي من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة
مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله عز وجل وقطرة دمع في سواد الليل
وهو ساجد ولا يراه الا الله عز وجل وما خطا عبد خطوتين احب الى الله عز وجل من خطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى
صلة الرحم   وعن ابي الدرداء رض انه قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلم فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان
فجلسا بين يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال
اخذ الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان عم ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا
بد للناس من الطريق فقال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان عم الى ربه ولم يجزع على
ولد بعد ذلك   ودخل عمر بن عبد العزيز رض على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك
فقال يا ابه لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب   وعن ابن عباس رض انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال
عورة سترها الله ومونة كفاها الله واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى قال
الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة الاية   وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال ينبغي للعاقل ان
يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه   وقال بعض العلماء ان الله تعالى ليبتلي العبد
بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وما له ذنب   وقال الفضيل ان الله عز وجل ليتعاهد عبده المومن بالبلاء كما يتعاهد

الرجل اهله بالجبن • وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء
بسليمان عم • وعلى الفقراء بعيسى عم • وعلى العبيد بيوسف عم • وعلى المرضى بايوب عم • صلوات الله عليهم اجمعين • وروى ان
زكريا عم لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس
زكريا عم فأن انة فاوحى الله تعالى اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عم على
الصبر حتى قطع بشطرين • وقال ابن مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان
يقاتل به الله عز وجل • وقال لقمان عم لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار وان العبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما
ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط • وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة
من وجع الضرس حتى قلتها ثلثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني منذ ثلثين سنة ما علم بها
احد • واوحى الله تعالى الى عزير عم اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك
وفضائحك

بيان فضل النعمة على البلاء

لعلك تقول ان هذه الاخبار تدل على ان البلاء في الدنيا خير من النعيم فهل لنا ان نسأل الله تعالى البلاء • فاقول لا وجه
لذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبياء
عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة • وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها • وقال علي كرم الله
وجهه اللهم اني اسألك الصبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسله العافية • وروى الصديق
رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين
الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن • وقال الحسن رح الخير الذي لا شر فيه العافية
مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر • وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر • وقال صلى الله
عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي • وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبار
احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منه اما في الدنيا او في الدين والآخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسأل الله
تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ونسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر
ما يعطيه على الصبر • فان قلت فقد قال بعضهم وددت اني كنت جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار
وقال سمنون • وليس لي في سواك حظ • فكيف ما شئت فاختبرني • فهذا من هؤلاء سؤال البلاء
فاعلم ان الله حكي ان سمنون رح بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم
الكذاب • واما محبة الانسان لان يكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب
بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زال سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة
لها فما تسمعه من هذا الفن فهو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة
كان يراودها زوجها فمنعته فقال ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه
سليمان عم فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر

أريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد •

هو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال لما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا
الكلام الا بتأويلين • احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال
فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال محب المال
اذا اسلم درهما في درهمين فهو لحب الدرهمين يترك الدرهم في الحال • الثاني ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه
رضا فقط فيكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك
يتصور ان يريد ما فيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضا الله عنهم اكثر من
لذاتهم في العافية من غير شعور الرضا فهؤلاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة
لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة اخرى
وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير
من البلاء • فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر • وقال آخرون الشكر افضل • وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال
واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول
في بيان ذلك مقامان • **المقام الاول** البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش
حقيقته وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة • وهذا الفن من
الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظير المشفقة لا ينبغي ان يطعم
الصبي بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها
بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في البيان ثاني البحث والتفصيل ومقتضاه النظر
الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه
ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر اكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم من افضل
ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر • وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل
الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب • فيقول الله تعالى كلا انعمت عليك فشكرت
وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين • وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب • واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهذا دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك
في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما
كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله
شارب الخمر كعابد الوثن فالمشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر
مثله وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت
كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم • وفي الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف

لمكان غناه وفي خبر آخر يدخل سليمان عم بعد الانبيا باربعين خريفا • وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه
مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عم وكلما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير
والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم المقام
الثاني هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقايق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول
فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل ما يتفرق الشكل على اقسام
يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان تفرد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة
فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور واحوال واعمال
والشكر والصبر وساير المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم
تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصاير فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان
الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير
لا محالة افضل منه • واما احاد هذه الثلثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا
احاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة
بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا
كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول
فايدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفايدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله
فارفع علوم المكاشفة معرفة الله تعالى وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر
القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها
من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الايصال
الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة واما بوسايط كثيرة فكلما كانت الوسايط بينه وبين معرفة
الله تعالى اقل فهي افضل • واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شواغل الدنيا وشواغل الخلق حتى
اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا فضايل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان تحصل
له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المراة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمراة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك
احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفا القلب افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب
الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفات القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة
ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهياة للمكاشفة موجبة صفا القلب وقطع علايق الدنيا عنه
واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في
تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق
ربما نقول الصلاة النافلة افضل من كل عبادة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه
ان الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم افضل من قيام ليالي وصيام ايام لان

الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعه الشبع عن صفا الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع
واما هذا المدبر اذا لم يكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم
خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر
في المهلك الذي استولى عليه وهو البخل المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام ماية سنة وقيام الف ليلة منه ذرة بل لا
يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذن باعتبار
هذه الاحوال تختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطا اذ لو قال لنا قايل الخبز افضل ام الما لم يكن فيه
جواب حق الا ان الخبز للجايع والما للعطشان فان اجتمعا فينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالما افضل فان تساويا
فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل او شراب اللينوفر لم يصح عنه الجواب مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل
او عدم الصفرا فنقول عدم الصفرا لان السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذن في بذل المال
على وجه الانفاق يحصل منه حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتهيا القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب
لمعرفة الله عز وجل وحبه والافضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت • فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في
ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل والانفاق
هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدوا لم يدل على ان الدوا مراد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفا الحاصل
به ولكن الاعمال علاج للقلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مراة معه فانه لا يشعر به ولو
ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه المبالغة في الثنا على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه
فرط الثنا على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان
وجهي لا عيب فيه ولنضرب مثالا افهم من هذا فنقول من له ولد علمه العلم او القران واراد ان يبقى ذلك بحفظه حيث
لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة لي الى تكرار ودراسة لانه يظن
ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك الجميل ليتوفر داعيته على
كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد القران وانه قد استخدم لتعليمهم فيستثقل عليه الامر
ويقول • ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون
تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقران فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم
اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقران ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع
بمثل هذا الخيال طايفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعم المساكين ولا حاجة لنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء الله ما اشركنا
ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين والفقرا ولاجل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في
المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل

العبد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتاكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في
الدنيا وانما كان ذلك من الوالد لطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا
الطريق فاذا المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو
كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج
الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث
الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اخذها ونهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس
وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب آثارها
يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال
والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل
ولا يجوز ان يقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب
يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من
الله تعالى ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا
ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع
الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر
فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى
ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى المقصود
الحكمة فهما عبارتان عن معبر واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد
ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية اما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان تكون نفع ضرورية كالعينين مثلا واما
ان يقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء
الله ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والآخر
ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الطاعة فان الاعمى كفي البصر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير
اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا
استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به
الى معرفة الله تعالى فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا فقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة
موسى عليه السلام وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك كلحم
على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها
فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم
يؤت الا قدر الضرورة فهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها
ان يصرف الى الخيرات وان لا تستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه

بعض

متضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى
شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان
شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر هاهنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من
الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها
واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح
والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها يصدر صبر الفقير اعلى
واتم من القوة التي عنها يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا
لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل
لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الآيات والاخبار انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان
السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين
بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذن الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي تفهمه العامة افضل من الشكر
الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني
بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم
صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل
بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام
الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال
الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال
عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت
المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق
ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا
قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح
حتى يصرف اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا
افضل من الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة
وذاك يستشعر الم الصبر فان كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي
نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا
تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد
والكلب المتأدب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة
في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي
العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية يكثر كالصبيان

اطلق الجنيد القول بان الذى يولم صفته ادخل وهو كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه
لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التفصيل فنقول
فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضى وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا
اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر له درجات كثيرة نذكر
اقصاها ويدخل فى جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله تعالى عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار
من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر
ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر اذ قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك فى كتاب
اسرار الركوع وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر فما يندرج
من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر احادها وهى درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل
لا احدهما على الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد فى الاخبار والاثار وقد روى عن بعضهم انه قال رأيت
فى بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال انى كنت فى ابتداء عمرى اهوى ابنة عم لى وهى كذلك
كانت تهوانى فاتفق انها زوجت منى فليلة زفافها قلت تعالى نحيى هذه الليلة شكرا لله عز وجل على ما جمعنا ففعلنا ذلك فصلينا
تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فنحن منذ سبعين او ثمانين
سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة
او لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذن لا وقوف
على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله سبحانه وتعالى اعلم آخر كتاب الصبر والشكر والحمد لله على كل حال من الاحوال
والصلاة والسلام الاتمان الاطيبان الاكملان الارقيان الازكيان على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله واصحابه خير صحب وآل

كتاب الخوف والرجاء

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله المرجو لطفه وثوابه • المخوف مكره وعقابه • الذى عمر قلوب اوليائه بروح رجائه
حتى ساقهم بلطيف آلائه • الى النزول بفنائه • والعدول عن دار بلائه • التى هى مستقر اعدائه • وصرف بسياط
التخويف • وزجره العنيف • وجوه المعرضين عن حضرته • الى دار ثوابه وكرامته • وصدهم عن التعرض لنقمته
والتهدف لسخطه ونقمته • قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته
والصلاة على محمد سيد انبيائه وخيرة خليقته • وعلى آله واصحابه وعترته • اما بعد
فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود • ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل
عقبة كؤود • فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء • ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره
القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء • ولا يصد عن نار الجحيم • والعذاب الاليم مع كونه
محفوفا بلطائف الشهوات • وعجائب اللذات • الا سياط التخويف • وسطوات التعنيف فلا بد اذن من
بيان حقيقتهما وفضيلتهما • وبيان التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما فى كتاب واحد

يشتمل على شطرين • الشطر الاول فى الرجاء • والشطر الثانى فى الخوف اما الشطر الاول
فيشتمل على • بيان حقيقة الرجاء • وبيان فضيلة الرجاء • وبيان دواء الرجاء والطريق الذى به يجتلب الرجاء

بيان حقيقة الرجاء

اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين • واحوال الطالبين • وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت
واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال • وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب • والى سريع الزوال كصفرة
الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على
القرب وهذا جار فى كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب
يثمر الحال والحال يقتضى العمل وكان الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى
موجود فى الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر فى الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا وان
كان ما خطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا وذوقا وادراكا وانما سمى وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان
قد خطر ببالك وجود شئ فى الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم فى القلب
سمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة فى القلب وارتياح يسمى ذلك
الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان
انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور
والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى اصدق على انتظاره لانه
انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع
الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد
علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها
ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التى لا ينمو فيها البذر ويوم
القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه
كما لا ينمو بذر فى ارض سبخة فينبغى ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا
جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه فى اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما
يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمى
انتظاره رجاء وان بث البذر فى ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد
منه سمى انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر فى ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث
لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمى انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع
اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته
على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه باعثا له على المواظبة
والقيام بمقتضى الايمان فى اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا

برذايل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى
صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تعالى تمام النعمة
وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول
التوبة واما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة
ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي
قد يفضي الى التوبة وانما الرجا بعد تاكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه اولئك الذين يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجا لان غيرهم
ايضا قد يرجوا ولكن خصص بهم استحقاق الرجا فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة
والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من
اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله عز وجل بغير طاعة وانتظار زرع
الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزا بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط ترجوا النجاة
ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس فاذا عرفت حقيقة الرجا ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها
العلم بجريان اكثر الاسباب وثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر
ماؤه صدق رجاؤه ولا يزال يحمله صدق الرجا على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها
اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجا يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الما معوز وان
البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجا محمود لانه باعث والياس مذموم وهو ضده
لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجا بل هو رفيق له كما سياتي بيانه بل هو باعث اخر بطريق الرهبة كما ان الرجا باعث
بطريق الرغبة فاذن حال الرجا يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال ومن اثاره
التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو
ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان
عن مقام الرجا والنزول عن حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجا ولما اثمر من العلم ولما استثمر منه من العمل
ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك عن علامة الله
فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شي منه سارعت اليه
وايقنت بثوابه واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك بالاخرى
هياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا
بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجا والترغيب فيه

اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه
على الخوف لان اقرب العباد الى الله تعالى احبهم له والحب يغلب بالرجا واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر
رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجا وحسن الظن رغائب لاسيما وقت الموت قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل
الياس وفي اخبار يعقوب عم ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف ان ياكله الذيب
وانتم عنه غافلون لم خفت الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل وقال عم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ودخل
صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم
ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه ما رجا وامنه مما يخاف وقال علي رض لرجل اخرجه الخوف الى القنوط
لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفين من اذنب ذنبا فعلم ان الله قدره عليه ورجا غفرانه
غفر الله له ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء
وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقنه حجته
قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيسامح
ويتجاوز عن المعسر فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من احق بذلك منا فعفى عنه لحسن ظنه ورجائه انه يعفو
عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون
صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبريل عم فقال ان ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم
وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عم احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني
بالحسن الجميل واذكر الائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورؤي ابان بن ابي عياش في النوم وكان
يكثر ذكر ابواب الرجا فقال اوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك
فقال قد غفرت لك ورؤي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال
يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت ما هكذا حدثت عنك قال وما حدثت عني فقلت
حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عم انك قلت انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري
وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة
وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول الله تعالى يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتي كما
كنت تقنط عبادي منها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان
فيقول الله تعالى لجبريل عم اذهب فاتني بعبدي قال فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول
شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي شي تلتفت فيقول رجوت
ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاه كان سبب نجاته

[illegible] الرجا والسبيل الذي يحصل [illegible] الرجا ويغلب

اعلم ان هذا الدوا يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف
في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مايلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط
فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي
فادوية الرجا تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك
لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ
الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد
في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا
بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجا بل المبالغة في التهديد
ايضا تكاد ان لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجا فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف
على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثنا كيفما كانوا مالوا الى
الارجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم قال علي كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط النا[س]
من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا ليستعمل في حق الايس او فيمن غلب عليه الخوف اقتدا بكتاب
الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجا جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفا في حق اصناف
المرضى ليستعمله العلما الذين هم ورثة الانبيا بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذي
يظن ان كل شي من الادوية صالح لكل مريض كيفما كان وحال الرجا يغلب بشيين احدهما الاعتبار والاخر استقرا الايات
والاخبار والاثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطايف نعم
الله لعباده في الدنيا وعجايب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود
كالات الغذا وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة
الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم
تقصر عن عباده في امثال هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم
الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الا[نتقال]
من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب
لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادرا ثم لا يتمنى الا في حالة نادرة هاجمة وواقعة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في
الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله تعالى لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا
والاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التامل قوي به اسباب الرجا ومن
الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى اية
المداينة في سورة البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها
قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف
لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه

الفن الثاني

استقرا الايات والاخبار فما ورد من الرجا خارج

عن الحصر اما الايات فقد قال الله العظيم يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنو[ب]
جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملايكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدايه وانما خوف بها اولياه فقال لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم
نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يزل يسال في امته حتى قيل له وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر
محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله عز وجل قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله عز وجل ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار فقد
روى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عجل عذابها في الدنيا الزلازل والفتن
فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ اخر ياتي كل رجل
من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهي
حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه عليه السلام اني
اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذن لا اخزيك فيهم وروي عن انس رض ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك
وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم
حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها
حسنا حمدت الله تعالى وما رايت منها سيا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام
تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفى عن السيات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال العلما قد اتم نعمته علينا
برضاه الاسلام لنا اذ قال تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر يقول
الله عز وجل للملايكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب وياخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت
له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السما غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب
الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ليرفع القلم عن العبد ست ساعات فان تاب واستغفر لم
يكتب عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه
الق هذه السيئة حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى
انس رض انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد
قال يكتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل
ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها

فان عملها كتبت عشر حسنات ويضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة
ووراها حسن عفو الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا
الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي اذا حفظت
قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله عز وجل وان تزدري
بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله
تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم قال فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر
عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي الا لا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي
وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء
الله عز وجل قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله تعالى عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي
الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر اخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق
ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا جعل
له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن
معاذ بن جبل وانس بن مالك رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه قول لا
اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من ايمان وفي خبر
اخر لو علم الكافر سعة رحمة الله عز وجل ما ايس من جنته احد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء
عظيم قال تدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم عم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسعمائة
وتسع وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشغال والعمل فخرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل
وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج امم لا يحصيها الا الله عز وجل انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود
وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجا الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط
الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد
والاخر لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجا
ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجا بحسب الحاجة بعد
ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده بوعظه اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله
خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ اخر لذهب بكم وجاء بخلق اخرين فيذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر
لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم
بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى
ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة واظهر منها

في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيمة
ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا
يهلك على الله تعالى يوم القيمة الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا
انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه
عمله وقال صلى الله عليه وسلم اني اختبات شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين
وقال عم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال عم احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة
الله تعالى للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا اصرا وقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية
عن علي رض قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه
فقال يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل عم وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل وقال
ان ربكما يقريكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجا اكثر من
ان تحصى واما الاثار فقد قال علي كرم الله وجهه من اذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في
الاخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الاخرة وقال الثوري ما احب
ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله عز وجل ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله عز وجل ستره الله
عن ابصار الملائكة كي لا تراه وتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع
يديه يدعوا يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى
متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم
ابن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك
ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى
من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه من الذنوب وقال الجنيد
رحمه الله ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص
فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله تعالى يوم القيمة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن
اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن
وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون
ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظر في واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت
في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يسرف على نفسه وكان
الاخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال
لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيمة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم
يقول للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه واخرته وروي
ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عم وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين

فقال اللص في نفسه هذا نبي يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم منه نفسه وتقدم الى عيسى عم فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم قل لهما يستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته بعجبه بنفسه واما الاخر فقد احبطت سياته بما ازرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حواريه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء عليهم السلم كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه حتى الصق الحصا بجبهته قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب من هذا ما روى ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الاية فترك الدعا عليهم وهدى الله تعالى عامة اولئك الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا اكثر مني عبادة فرفعته في عليين فيقول الله تعالى انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سوله وهذا يدل على ان العبادة على الرجا افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخايف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقا لعقابه وبين من يخدم ارتجا لانعامه واكرامه ولذلك امر الله سبحانه وتعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانكم تسالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة واسالوا الفردوس فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس رضي الله عنه في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجاي لك مع الذنوب يغلب رجاي مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالافة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابرهيم الخليل عم فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله عز وجل الى ابرهيم عم يا ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ما كان عليك فمر ابرهيم عم يسعى خلف المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكره له فقال المجوسي اهكذا يعاملني اعرض علي الاسلام فاسلم وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمناه وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج رحمه الله راى في مرض موته في منامه كان القيمة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلما قال فجاوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السوال كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمايه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور

ابن عمار وهو يسال لفقير شيا ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الاخرى قال ان يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا قال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر واي شيء الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم واي شيء الثالث قال ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى واي شيء الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قايلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبت الى المقبرة وصلينا عليها ودفناها فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا امره قلت وايش كان هذا قالت كان مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فرايت تلك الليلة كانه اتاني ات كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابرهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فقال القوم انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعايه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكانك يا ربنا لا تغضب فهذه ونحوها من الاسباب التي يجلب بها روح الرجا الى قلوب الخايفين والايسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السو والصبي العرم لا يستقيم الا بالعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا والله اعلم

[illegible]

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجا وبيان دواء الخوف وبيان معنى سو الخاتمة وبيان احوال الخايفين من الانبيا والصالحين

اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات على المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجا بل صار حاله اعلى من الخوف والرجا فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السراير لا يبقى فيها فضلة لرجا ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا اشغل قلبه في

مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك في الشهود ودوام الشهود غاية المقامات وكلامنا الآن انما نتكلم في
اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه
وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والانفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف
بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما
وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة و
حسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية
قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته
وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع
في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم
باسباب المكروه هي السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف من الله تعالى تارة يكون
لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد
بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله وتعاليه واستغنائه
وانه لا يسأل عما يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق
القلب ثم تفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار
والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى
فيورث القنوط واليأس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا
للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم
الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون المصري متى يكون العبد خائفا قال اذا
نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات
فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق
الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه
الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا
المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات
والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك
فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه
وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب
واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله عز وجل وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها
من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف

الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فكف عما لا يتيقن ايضا تحريمه ويسمى
ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق
في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها
تفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق
التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة
فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى
منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم
الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاعلى فقد ذكرت الكل كما انك تقول
الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي
اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه
مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي
تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني
فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة
منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكل ما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى
يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن
سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله
اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند
سماع اية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب
عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي
تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم
الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس
عن الخوف بل اعني العلماء بالله وبايامه وبافعاله وذلك مما قد عز وجوده الان ولذلك قال الفضيل رح
اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي
يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق
ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم ايضا
لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة
نقصان لان منشأه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو
الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة الى نقص الادمي

وانما المحمود فى نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكلما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال فى
ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى
القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت
وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبى والسوط الذى يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضى الى القنوط او احد هذه الامور
فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضى الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع
والتقوى والمجاهدة والعبادة والذكر والفكر وساير الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن
وسلامة العقل فكل ما يقدح فى هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون
حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات فى ذلك الوقت لا بسبب
الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره فى طاعة الله عز وجل وسلوك سبيله فليس
بفضيلة بل للسالك سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقى فى درجات المعارف فى كل لحظة رتبة شهيد وشهدا
ولولا هذا لكانت رتبة صبى يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة ولى او نبى يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغى ان يظن
هذا بل افضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التى يتعطل العمر بتعطلها فهو
خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة
الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذن الخوف ان لم يؤثر فى العمل فوجوده كعدمه مثل السوط
الذى لا يزيد فى حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى
الشهوات فله درجة وان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن
عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة
العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك
كان سهل رحمه الله عليه يقول للمريدين الملازمين للجوع ايام كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها فى ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضى
الى المكروه كما تكره المعاصى لادائها الى المكروه فى الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف
ان يتمثل فى نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره فى قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعار ذلك المكروه ومقام
الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب
عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف
زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات
المألوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التى اتكل عليها او تعزز بها فى عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه
او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوايل طاعته حيث يبدو له

من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدرى انه
يحدث فى بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف
اطلاع الله تعالى على سريرته فى حال غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التى سبقت
له فى الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى الى المخوف فمن خاف
استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذى يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه
عن الوسواس وهكذا الى بقية الوسواس واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام
وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر
ما سبق به القضا فى ام الكتاب والخايف من الخاتمة بالاضافة الى الخايف من السابقة كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع
يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فربط قلب احدهما
بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عما ذا يظهر وربط قلب الاخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذى خطر له
فى حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع وكذلك الالتفات
الى القضا الازلى الذى جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر فى الابد واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم
حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم
ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص
وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقا حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة
وليعملن اهل الشقا بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة
السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضا الله والاعمال بالخواتيم وهذا انقسام الخايفين الى من يخاف معصيته
وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله واوصافه التى تقتضى الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك
يبقى خوفه وان كان فى طاعة الصديقين واما الاخر فهو فى عرصة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف
من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه
وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصى لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف
معصيته ولولا انه مخوف فى نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها وهيأ له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية
ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجرى عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة
وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات وهيأ له سبيل القربات فالعاصى قضى عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا
المطيع فالذى رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل لعنه
الله فى اسفل السافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع الله بان
سلط عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذى
عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعرى ما الذى اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذى اوجب اهانة الاخر وابعاده

بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضا الازلي من غير جناية ولا
وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا
يمكن تفهيم الخوف منه في صفاته الا بمثال لولا اذن الشرع لم يتجاسر على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى
اوحى الى داود عم يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بدا ما على
سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية
سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه
ولم يبال لم يقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده احسن من ان يلتفت اليك
حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته
وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى لكن من عرف الله عرفه بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى
واوثق واعلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وكيف لا
من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغنا وعدم المبالاة الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل
في انفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته وسؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة
الموقف بين يدي الله عز وجل والحيا من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية
العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن
نقصان الدرجات والخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف
احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف
العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا
بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب
منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن
ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه
الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام
مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه له غيره فالى هذه الاقسام ترجع خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالايات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة
الشيء بقدر غنايه في الافضا الى سعادة لقاء الله اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه
والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله
في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر
ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا
ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء
كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف
عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا
فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب العبد الى
الله زلفى واما بطريق الاعتبار الاقتباس من الايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك
دلالة جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكلما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف
ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عم واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم
بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة
الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا
وبين القدوم على الله عز وجل كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن اذا نظرت الى المثمر فهو العلم وان نظرت الى ثمرته
فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما
صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله والعاقبة للمتقين
والصلاة على سيدنا محمد واله اجمعين وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال الله
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك وصى الله الاولين والاخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان
ولذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله تعالى الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت
يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم
انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وابيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب
للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة
الله تعالى وقال عم لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف
على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما
من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عم
واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحييهم واجلهم
ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معاني شرطها الخوف فان خلا عن الخوف لم يسم بهذه
الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من

يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين
ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم
من خاف الله تعالى خافه كل شي ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا
اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف
الفقر دخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذو النون ينبغي ان
يكون الخوف ابلغ من الرجا فاذا غلب الرجا تشوش وكان ابو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة
لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق
غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع
بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من
ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال ابو سليمن الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عايشة
رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم
ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك
ثناء على الخوف لان مذمة الشي ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجا الياس وكما دل مذمة
القنوط على فضيلة الرجا فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كلما ورد في فضل الرجا فهو
دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو
اذن لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجا متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الاخر نعم يجوز ان يغلب
احدهما على الاخر في الحال لغفلة عنه وهذا لان من شرط الرجا والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم
لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وتقدير عدمه
يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي
الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن
وجود المحبوب قوي الرجا وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى
ويدعوننا رغبا ورهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجا قال الله عز وجل ما لكم
لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجا بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير
عن الشي بما يلازمه بل اقول كلما ورد في فضل البكا من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية وقد قال الله تعالى
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون
ولا تبكون وانتم سامدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب
من خشية الله عز وجل ثم تصيب شيا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر قلب
المومن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما تحات من الشجر ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد
بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك

وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله يدخل احد من امتك الجنة بغير حساب
قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى او قطرة دم
اهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع قبل ان تصير الدموع
دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة
ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن
المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن
عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر
صلبه وقال ابو سليمن الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت
دموعه اطفا باول قطرة منها بحارا من النار ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمن البكا
من الخوف والرجا والطرب من الشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي
على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية الله تعالى
احب الي من ان اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت
منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني امراتي وجرى من حديث الدنيا
فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي قد نافقت
حتى تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله
عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم
كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا
انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على
تلك الحالة لصافحتكم الملايكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذن كل ما ورد في فضل الرجا
والبكا وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة
به اما تعلق السبب او تعلق المسبب

بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة الرجا او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجا قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه
شك في ان الافضل ايهما وقول القايل الخوف افضل ام الرجا سوال فاسد يضاهي قول القايل الخبز افضل ام الما
وجوابه ان يقال الخبز افضل للجايع والما افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز
افضل فان استويا فهما مستويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه
والخوف والرجا دوا آن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الدا الموجود فان كان الغالب على القلب دا الامن
من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف
افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفرا ومرض
الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق

اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ
من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الا
الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف ولا تمازجه المحبة ممازجتها للرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل
فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي
الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن
ورجاؤه لاعتدلا روي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل
الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله
عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس
الا رجل واحد لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل الواحد وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع الغلبة
والاستيلا ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه فاما العاصي اذا
ظن انه الرجل الذي استثني من دخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي
ان يساوي خوفه رجاؤه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجا وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبا
كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهده وجاء بجميع شروط الزراعة غلب على
قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف
من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا
العلم الحاصل بالتجربة وان علم بالتجربة صحة الارض ونقاها وصحة البذر وصحة الهوا وقلة الصواعق المهلكة في تلك
البقاع وغيرها وانما مثالنا مثال بذر لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يتعهدها الزراع ولم يختبرها وهي
في بلاد ليس يدري اتكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزراع وان ادى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه
على خوفه والبذر في مثالنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك
الخفي والنفاق والريا وخبايا الاخلاق فيه غامضة والافات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب
اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا
يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب
ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيمة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقايق هذه الامور فان كان ضعيف
القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي في احوال الخائفين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه
يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به من اثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقا
قلبه عن ذلك فمن اين يامن مكر الله تعالى بتلبيس حاله واخفا عيبه منه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على
ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى

بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق الناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق الناقة لا
يحتمل عملا بالجوارح انما هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن
اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجا في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة
ولذلك جمع الله بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واين
مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس
وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان
ذلك قنوط وليس بخوف وانما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون
الى الدنيا ويدعوا الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث
ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده
بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجا استقام في محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقي
من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف
والرجا والمحبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف
على الموت فاما عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل
وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط
قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا
ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجا
يقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من الاعمال والعلوم كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة
فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت
محنته وعذابه فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقا
والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب
فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته
والفكر فيه فالدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة
للمحبوس عن الانسراح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن
وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب
فضلا عما اعد الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد الله تعالى للذين استحبوا
الحياة الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال
فنسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعا الا باكتساب حب الله
ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلايق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى
ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى

حبك واجعل حبك الى احب من الماء البارد والغرض ان غلبة الرجا عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء ولما حضر سليمن التيمى الوفاة قال لابنه يا بنى حدثنى بالرخص واذكر لى الرجا حتى القى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثورى الوفاة واشتد جزعه جمع العلما حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل رضى الله عنه عند الموت لابنه اذكر لى الاخبار التى فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحببه الله الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم ان حببنى الى عبادى فقال بماذا فقال بان تذكر لهم آلاى ونعماى فاذن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله عز وجل وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعض الصالحين ابا سليمان الدارانى فى المنام وهو يطير فسأله فقال الآن افلت فلما اصبح سال عن حاله فقيل انه مات البارحة رحمه الله تعالى

بيان الدواء الذى به يستجلب حال الخوف

اعلم ان ما ذكرناه فى دواء الصبر وشرحناه فى كتاب الصبر والشكر هو كاف فى هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجا لان اول مقامات الدين اليقين الذى هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجا للجنة والخوف والرجا يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره ولا يصبر على تحملها الا بقوة الرجا والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلى عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدى مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويؤدى دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب فى سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن فيما ذكرناه فى علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملى فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الاخر ومثاله ان الصبى اذا كان فى بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد الى الحية اليد لياخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبى الى ابيه وهو يرتعد فرائصه ويحتال فى الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه فى الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف فى نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يعرف وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثانى الخوف منه فى ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلما وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر فى اهوال القيمة واصناف العذاب فى الاخرة وتزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثانى وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعنى ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجى وهذا خشية العلما حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهى خوف الصبى من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة ولا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبى ربما يرى المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيتجرا على اخذها تقليدا له كما احترز عن اخذها تقليدا لابيه والعقايد التقليدية ضعيفة فى الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها فى تكثير الطاعات واجتناب المعاصى مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع وراى نفسه واقعا فى مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة شاء ام ابى ولذلك اوحى الله تعالى الى داود خفنى كما تخاف السبع الضارى ولا حيلة فى جلب الخوف من السبع الضارى الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع فى مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله عرف انه يفعل ما يشا ولا يبالى ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملك من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يسر للمطيع اسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يسر للعاصى دواعى المعصية حتى يعصى شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل لذلك المعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة على اول علة له من جهة العبد بل قضى عليه فى الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى فحج آدم موسى وقال موسى انت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم عليه السلم انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شىء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التورية قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله على ان اعمله قبل ان يخلقنى باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب فى هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع فى قبضة القدرة وقوع الصبى الضعيف فى مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق وللذلك الاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمى اتفاقا وان اضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع فى مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة

خلق وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته قلت اقول مثال الخوف من الله عز وجل الخوف من السبع بل
اذا كشف الغطا علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى فاعلم
ان سباع الاخرة مثل سباع الدنيا وان الله خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا يسوقه
المقدر عن القضا الجزم الازلى الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا يجروا الاسبابها شاؤا او ابوا وخلق النار
وخلق لها اهلا يجروا الاسبابها شاؤا او ابوا فلا يرى احد نفسه فى ملتطم امواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه
مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى بقاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع
الاخبار والاثار فيطالع احوال الخائفين واقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا
يتمادى فى ان الاقتدا بهم اولى لانهم الانبيا والاوليا والعلما وانما الامنون فهم الفراعنة الجهال الاغبيا
اما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والاخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روى انه كان يصلى على طفل فروى
انه سمع فى دعايه انه كان يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفى رواية ثانية انه سمع قايلة تقول هنيالك
عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك انه كذلك والله انى رسول الله وما ادرى ما يصنع بى ان الله
خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروى انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان
من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيا له الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكى احدا بعد عثمان
وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكى احدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابى الذى ولدنى قال فثارت الشيعة عليه
فاخذ يذكر من فضايل على ومناقبه وروى فى حديث اخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيا لك
عصفور من عصافير اهل الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه
وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفى حديث اخر انه دخل عليه السلم على بعض اصحابه
وهو عليل فسمع امراة تقول هنيا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتالية على الله عز وجل فقال المريض
امى يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم
وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتنى سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال
العلما لعل ذلك لما فى سورة هود من الابعاد لقوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شئنا لاتينا كل نفس هداها وفى سورة الواقعة ليس لوقعتها
كاذبة اى جف القلم بما هو كاين وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين فى الدنيا واما رافعة
قوما كانوا مخفوضين فى الدنيا وفى سورة التكوير اهوال القيمة وانكشاف الخاتمة وهو قوله واذا الجحيم سعرت واذا
الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفى عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قراه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى وانى لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربع شروط يعجز العبد عن احادها واشد منه قوله تعالى
فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وكقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ
لكم ايه الثقلان وقوله تعالى افامنوا مكر الله الاية وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم

شديد

شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا الايتين وقوله وان منكم الا واردها الاية وقوله تعالى اعملوا ما شئتم
الاية وقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الاية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل الاية وكذلك قوله والعصر ان الانسان لفى خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما
كان خوف الانبيا مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى
ان النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل عليهما السلم بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله عز وجل اليهما لم تبكيان وقد امنتكما
فقالا ومن يامن مكرك وكانهما اذ علما ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون
قوله امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابرهيم
لما وضع فى المنجنيق قال حسبى الله وكانت هذه من الدعاوى العظام فامتحن وعورض بجبريل عم فى الهوا فقال الك حاجة
فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفا بمقتضى قوله حسبى الله فاخبر الله تعالى عنه وقال وابرهيم الذى وفى اى هو موجب قوله
صلى الله عليه وسلم حسبى الله وبمثل هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى
فقال تعالى لا تخافا اننى معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس موسى فى نفسه خيفة اذ لم يامن مكر
الله والتباس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال
صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضى الله عنه دع مناشدتك
ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضى الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وخفايا افعاله ومعانى صفاته التى
يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته
عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلم لما قيل له انت قلت للناس اتخذونى وامى
الهين من دون الله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب وقال
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية ففوض الامر الى المشية واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس
اليه من الامر شى وان الامور مرتبطة بالمشية ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمالوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس
ولا حدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هى ارتباط
امرك بمشية من لا يبالى بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى امثالك ولم يزل فى الدنيا يعذبهم بانواع الالام
والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الاباد ثم يخبر عنهم ويقول ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم الاية فكيف لا يخاف ما حق
من القول فى الازل ولا مطمع فى تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم
والاستمرار على السابقة من جلى الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب
الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق
له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضى

تخفيف الخوف لو كان على الدوام موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيدان نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنانها من الانطفا
وكيف تغير الحال وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب
ان عذاب ربهم غير مامون فاجهل الناس من امنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ
روح قلوبهم بروح الرجا لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجا رحمة من الله واسباب الغفلة رحمة على عوام
الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطا لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين
لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من
التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام
لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين الحجرة وباب الدار وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند
الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله
تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجا فان عفو الله اعظم
من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله تعالى بامثال الجبال من الخطايا
وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني مت على التوحيد
فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنقلب وان مت على غير التوحيد
فاعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الريا بعد الوفاة قال بم
اعلم ذلك فذكر له علامة فراى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وقال سهل يقول المريد يخاف
ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا اخاف
ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى
عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبيا نخاف الكفر وروي في اخبار الانبيا عليهم
السلام ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله عز وجل اليه عبدي اما رضيت
ان عصمت قلبك ان تكفر بي حتى تسالني الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني
من الكفر فاذن اذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفا
ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد
خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق
الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى
الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه
شعبة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ اخر واذا
عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه الا صديق اذ قال الحسن ان من
النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل
صارت هذه الامور مالوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد زمان النبوة

فكيف

فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا
اني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق
في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان يكره من
الناس ما ياتي مثله وان يحب على شيء من الجور وقيل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل
لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على هولاء الامرا فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا
اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد من ذلك ما روي
انهم قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا
فيما انتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة قد كان خص
بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول انه ياتي على القلب ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز
ابرة فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها
النفاق ومتى يخلو العبد عن شيء من ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من امن من النفاق فهو منافق
وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين
الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد
مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا
بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار

بيان معنى سوء الخاتمة

فان قلت ان اكثر هولاء يرجع خوفهم
الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احداهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة
الهائلة ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة
الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد
والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه
ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا
راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب
اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المومن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار
جز يا مومن فان نورك قد اطفا لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما
عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى بعد الموت تضاد الصفة الغالبة اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح
وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم
الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه
يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب
وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد الاف سنين فان قلت

لما ذكرناه يقتضى ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يوخر الى يوم القيمة ويمهل طول هذه المدة
فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوى الابصار ما
صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان وانه قد يفتح الى قبر
المعذب سبعين بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقى
بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع فى القبر
والتعذيب بعده ثم المناقشة فى الحساب والافتضاح على ملاء الاشهاد فى القيمة ثم بعد ذلك خطر الصراط
وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقى مرددا فى جميع احواله بين اصناف العذاب وهو
فى جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع
الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التى هى محل الايمان وقد
كانت من وقت الموت الى الاعادة اما فى حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة
تضاد هذه الاحوال ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذى يفضى الى سوء الخاتمة فاعلم
ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود
فينحصر سببه فى شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح فى الاعمال كالمبتدع الزاهد فان
عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعنى مذهبا واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول
فيه بل اعنى بالبدعة ان يعتقد الرجل فى ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه
اما برايه ومعقوله ونظره الذى به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا
قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له فى حال سكرات الموت
بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادى سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما
بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطا فى هذا الاعتقاد
خاصة لا لتخابه فيه الى رايه الغايل وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق
بين ايمانه بالله ورسوله وساير اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته
عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه فى هذه الخطرة قبل ان يثبت
ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه فهولاء هم المرادون
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف فى النوم ما سيكون فى المستقبل
وذلك بسبب خفة اشتغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف فى سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل
الدنيا وشهوات البدن هى المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما فى اللوح المحفوظ لينكشف له
الامور على ما هى عليه فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك فى بقية الاعتقادات
وكل من اعتقد فى الله وفى صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراى والمعقول فهو

فى هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل
عن هذا الخطر اعنى الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وساير العوام
الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اقوال المتكلمين فى تقليد اقاويلهم
المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض
فى الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء
من الظواهر مع اعتقاد نفى التشبيه ومنعوهم عن الخوض فى التاويل لان الخطر فى البحث عن الصفات عظيم
وعقباته كوودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب
بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب
لما القى اليها فى مبدا النشو آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثايرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقايد
الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين فى اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة
وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام فى الله وفى صفاته بالراى والمعقول مع
تفاوت الناس فى قرايحهم واختلافهم فى طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعى الكمال والاحاطة بكنه
الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف
فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق فى ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما
هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن
وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم اليقين
وعين اليقين ولتعلمن نباه بعد حين وينبغى ان ينشد فى هولاء عند كشف الغطا

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحصل الكدر

واعلم يقينا ان من فارق الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض فى البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله
من انكسرت سفينته وهو فى ملتطم الامواج يرميه موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد
والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التى حرروها
فى تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله
الناقص وكل خايض فى البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذى
تشرق فى عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر وانى يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام
او الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا فى هذه الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة فى سوء الخاتمة
واما السبب الثانى فهو ضعف الايمان فى الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف
حب الله وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له
اثر فى مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات حتى يظلم القلب

وبقسوا او تسود وبتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا
فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من
الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور فى باطنه بغض الله
بدل الحب كما ان الذى يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التى هى احب اليه من ولده واحرقها انقلب
ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له
بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا   والسبب الذى يفضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها
والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله عز وجل فمن وجد فى قلبه حب الله تعالى اغلب من حب
الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهذا بعيد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد
عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره فاذا من فارقته روحه فى حالة خطرة الانكار على الله تعالى
بباله وظهور بغض فعل الله تعالى بقلبه فى تفريقه بينه وبين اهله وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه
وفراقا لما احبه فيقدم على الله تعالى قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من
الخزى والنكال   واما الذى يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذى تحمل
مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا فى لقايه فلا يخفى ما يلقى من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه
من لطايف الاكرام وبدايع الانعام   واما الخاتمة الثانية التى هى دون الاولى وليست مقتضية للخلود فى النار
فلها ايضا سببان   احدهما كثرة المعاصى وان قوى الايمان   والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لان مقارفة
المعاصى سببها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان فى عمره يعود
ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله عز وجل وان كان ميله
الاكثر الى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية
من المعاصى فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذى لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن
هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصى وكانت من طاعاته وقلبه بها افرح من الطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه
جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول
عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة وحتى ان المراهق الذى يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن
قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذى قضى عمره فى التفقه
يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة والتاجر من الاحوال المتعلقة
باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب
بطول الالف او بسبب اخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من
الغشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره فى

القلب

القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصى والطاعات ايضا مرجح ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين
منامات الفساق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة فى قلبه ويميل اليها نفسه فربما تقبض
عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر فى اليقظة
انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله يعرف بعضها ولا يعرف
بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشئ الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة
بان يكون قد ورد على الحس معه   اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر واما بالمضادة فبان
ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل فى شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد راه قبل
مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شئ الى شئ ولا يدرى وجه مناسبته له وانما يكون
ذلك بواسطة او واسطتين مثل ان ينتقل من شئ الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثانى ولا يكون بين الثالث
والاول مناسبة وبين الثانى والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر فى المنام اسباب من هذا الجنس
وكذا عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصى والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة
طول العمر فى فطامه نفسه عنها وفى قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون
طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما
مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول
النفس بالحساب الذى طال الفه له قبل الموت   قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون
العبد على حال الا انطبع مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها فاذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته من
العرش فربما يرى نفسه على صورة معصيته وكذلك يكشف له يوم القيمة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف
ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النايم يدرك ما يكون فى المستقبل
من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذن رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب
القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول
الالف فيه تاثير فلهذا اعظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى فى المنام الا احوال الصالحين
واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات
الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر فى النوم لما غلب فى اليقظة حتى سمعت الشيخ
ابا على الفارمذى رحمه الله يصف الى وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون فى قلبه انكار لكل ما يقوله ولا فى
لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخى ابى القاسم الكركانى مناما لى وقلت رايتك قلت لى كذا فقلت لم ذلك
قال فهجرنى شهرا ولم يكلمنى وقال لولا انه كان فى باطنك تجويز المطالبة والانكار لما اقوله لك لما جرى ذلك على
لسانك فى المنام وهو كما قال اذ قل ما يرى الانسان فى منامه خلاف ما يغلب فى اليقظة على قلبه فهذا هو القدر
الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل فى علم المكاشفة وقد ظهر لك ان
الامن من سوء الخاتمة ان ترى الاشياء كما هى عليه من غير جهل وتزجى جميع العمر فى طاعة الله تعالى من غير معصية فان كنت

تعلم ان ذلك محال او عسير فلا اقل من ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك
ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة
لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح
وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك
كيف هلك ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا اصعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على
الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يوما يبكي فقيل له على ما
تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه
الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا من السفينة
وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر وهو الذي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له
بما سبق له الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق
الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا قالوا
سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاة مكروها اما الموت فجاة فلانه
ربما يتفق عند عاجله خاطر سوء واستيلاؤه على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة او بنور
المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا
والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا
لله وطلبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض المطلوب
في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال
سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة
فاما من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سوء
الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن
فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك
ايضا يؤثر في قلبك وتصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جاءت الخاتمة
فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل لحظة واياك ان تهمله
لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيها روحك هذا ما دمت في يقظتك فاما اذا نمت فاياك
ان تنام الا بعد طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على اللسان
فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا
عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا تبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك في نومك

والموت

والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما
كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا
ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وامن بهذا تصديقا باعتقاد
القلب ان لم تكن اهلا للمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان
تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس
كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس
ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول
مضطر كاره له ولا ينبغي ان تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن
وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي تشغل بها قلبك فلا ينبغي ان
يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا
لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة
امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان يكتفي في اليوم والليلة مرة واحدة فتواظب
على الصوم واما قدره فان لا يزيد على ثلث البطن واما جنسه فانه لا يطلب اللذيذ من الاطعمة بل يقنع بما
يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقط مؤنة الشهوات واللذايذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك
ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر
العورة وكلما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك
الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة وبالطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما يدفع
به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك
موقف بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء
سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف
اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدك من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار
ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد
رقيك منها وهكذا جميع ضروريات امورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لاخرتك والاستعداد
لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك
فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبر والتزود والاحتياط هذا العمر
القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك وغفلتك اختطفت فجاة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك
حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدناك اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه
من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن

قلبك فانك تحقق ان عمل الانبياء والعلما والاوليا وعلمهم ومكانهم عند الله لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك
فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكا حتى كان بعضهم
يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يوثر
في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ٥

بيان احوال الانبياء والملائكة عليهم السلام في الخوف

روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهوا وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه
ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله عز وجل وقرا صلى الله عليه وسلم اية في
سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل بالابطح
فصعق وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل في الصلاة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم
ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام
يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكا فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا
مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو ادم عادت
وعن انس انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عم ما لي لا ارى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ
خلقت النار ويقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم
وقال ابن عمر رضي الله عنه خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط
من التمر وياكل قال فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح
رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت
في قوم يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها
الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز المال ولا
باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا
اخبا رزقا لغد وقال ابو الدردا كان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة
من مسيرة ميل خوفا من ربه عز وجل وقال مجاهد بكى داود عم اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى
من دموعه حتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم ام ظمان فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج
العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت
خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا راها فابكته قال وكان يوتى
بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه ما رفع راسه الى السما حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته
الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي سبحانك الهي اتيت

اطبا عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبوسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني
ان داود عم ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع
فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما
يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكا قبل تحريق العظام
واشتعال الحشا وقيل ان يومر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون
وقال عبد العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفا اصوات الصديقين
وروى انه صلى الله عليه وسلم لما طال بكاوه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم
بكاي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت
اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش
الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ادم خلق
من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته
بتاج وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته حوى امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا
ذليلا يا داود اسمع والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك
وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلم كان اذا اراد ان ينوح
مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النسا فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج
له الى البرية منبر فيامر سليمان عم ان ينادي بصوت يستقرئ البلاد وما حولها من الغياض والاكام والجبال
والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فلياتي قال فتاتي الوحوش
من البراري والاكام وتاتي السباع من الغياض وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى
من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داود عم حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل
صنف على حدته محيطون به وسليمان عم قايم على راسه فياخذ في الثنا على ربه عز وجل فيضجون بالبكاء
والصراخ ثم ياخذ في ذكر النار فيموت الهوام وطايفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال
القيمة والنياحة على نفسه فيموت من كل نوع طايفة فاذا راى سليمان عم كثرة الموتى قال يا ابتاه قد
مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوايف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فياخذ في الدعا فبينما
هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزا على ربك قال فيخر داود مغشيا فاذا
نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم او قريب فلياتي
بسرير فيحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر النار والجنة فكانت المراة تاتي بالسرير فتحمل قريبها وتقول
يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود عم قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته
واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي فياتي سليمان عم ويقعد على الباب
ويستاذن ويدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقوى بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء

اللهم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج
في اربعين الفا فمارجع الا في عشرة الاف قال وكان له جاريتان تتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب
قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل
يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف
ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك
فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه
فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس
عشرة سنة فخرج ولزم اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد
انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين
مكاني منك فسأله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح
بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عم لبكائه حتى يغمى
عليه فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان
اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان
اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تبل على
ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يا بني انما سألت
ربي ان يهبك لي لتقر عيني بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل
بكاء فقال زكريا فابك يا بني وقال عيسى عليه الصلاة والسلام يا معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس
يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في
طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل عم اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل
فياتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا
ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله
تعالى وبصفاته

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم اخلق بشرا وقال ابوذر رضي الله عنه وددت
لو اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان رضي الله عنه وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة
رضي الله عنها وددت اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من
القرآن مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا
ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم تلدني امي وكان في وجه عمر رضي الله عنه
خطان اسودان من الدموع وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى لم يصنع ما يريد ولولا
يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت

خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع
نزل عن حماره واستند الى الحائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال
علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما
يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله عز وجل مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح
وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله لكأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما روي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه
ابن ملجم وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه لوددت اني رماد تنسفني الريح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة
ابن الجراح رضي الله عنه وددت اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما
اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم
وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كأن النار قد احاطت بنا لما نرى من جزعه وخوفه وقرأ مضر القارئ
يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق فقال وعزتك لا عصيتك
جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد
كان يقرأ عنده الحرف والاية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين ولست من المتقين اعد علي القول ايها القارئ
فاعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث
منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية
متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان
لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي
على راسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه وروي ان الفضيل روي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى
المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت ثم
انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون
كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ومر
الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال
لا قال فهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما روي ذلك الفتى بعدها ضاحكا
وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن
وانا غير آمن اذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد
رحمة كي لا يموتوا من خشية الله عز وجل وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان آمرهم ان يقيدوني
ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي عز وجل كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح
فلا مكان اصلح من الجنة ولقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول العبادة

لتنظر ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا
شخص اكبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال اني لانظر
الى انفي كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهي وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله
تعالى ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترأت على الله تعالى
سألته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت
حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي وانا على بعض
ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا
اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي
حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي
لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة ان الله عز وجل قد احسن اليك هداك للاسلام قال اجل ولكن الله تعالى قد بين
لنا انا واردوا النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال
بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم
واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله تعالى الجنة ابدا انما كان يسأل العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي
شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه
رفع رأسه يوما فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جلده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم
ريح او برق او غلاء طعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام
وفينا كهول وشباب يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء وقد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤوسهم
ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الاوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من
القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبينما هم يمشون اذ مر بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه
حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤوا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسألوه عن امره فقال اني
ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في
النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فصعق ثم افاق وقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرأت كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا وروي ان زرارة بن اوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا
عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال اعلم يا امير المؤمنين انك اول خليفة
تموت فبكى ثم قال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وقال ميمون
ابن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة
ايام لا يقدر عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري اي خديك بدأ
به الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل

قطع الخوف كبده ثم جاءه وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل رحمه الله سألت الله
عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى
حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال
العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم
بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق
انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورؤي الفضيل يوما
وهو يمشي فقيل له الى اين فقال لا ادري وكان يمشي والها من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين
يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت انت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة
وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك رحمك الله فقال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا
وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن
خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال اري شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى
رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة خر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا
الى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة خر مغشيا عليه واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا
عن ربنا فقلت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدر الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس
فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت به السابع فاستأذنا
فاذا امرأة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت
الا ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت له ضعيف
اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانه لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن
القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا
يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا
ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ابدا فما رؤي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج
لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية
قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني
عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على
اي حال هم قال الرجل على حال شديد قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت
عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستكت في منامها فقالت يا
امير المؤمنين اني رأيت والله عجبا قال وما ذاك قال رأيت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها

فقال هيه قال ثم جيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى الى جهنم فقال
هيه قال ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قال
ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال عمر هيه قال ثم جيء بك
والله يا امير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا
امير المؤمنين اني رايتك والله قد نجوت اني رايتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجله
ويحكى ان اويس القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا
فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف
جسر جهنم وراه وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل
القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري رحمه الله يخرج رجل من النار بعد
الف عام ويا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف الخلود بسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال وكنت
اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كان
النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب
فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا
العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين
طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته في المجلس الاخر فلم اره فسالت عنه فاخبرت انه مريض
يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي اري بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين
طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك قال غفر لي
ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن
ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا
شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب
يحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين يخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا
فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في
الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة العلم بفقهنا تعبنا في حفظه
وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب قوتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا
طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا
وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله
عز وجل علينا بتوبة نصوح يتداركنا ويجبرنا فنسال الله ان يتوب علينا بل نساله ان يشوق الى التوبة سرائر
قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا

الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن
بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية احوال الخائفين على ما اوردنا فان القليل من هذا
يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى
عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله
ما يكاد يرقا دمعه من كثرة البكا قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها
عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف
حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في
ليله وان امن المغترون وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيا عسى ان ينفعني فقال
الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي تحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ
وما ذكره من تقديره انه قد احتوشته السباع والهوام ولا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت
بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد
والكبر والعجب والريا وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين
عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطا ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة
لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الان قد انكشف
لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها
لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك والسلام والله اعلم اخر كتاب الخوف والرجا من كتاب احيا علوم الدين
ويتلوه كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

كتاب الفقر والزهد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه الطيبين الطاهرين امين امين امين
الحمد لله الذي يسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتندكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين
اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال
واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والاصال ثم كحل بصيرته المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة
الجلال فلاح له من البهجة والبها والكمال ما استقبح دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال فاستثقل ما صرفه عن
مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال من سائر المحبوبات من اهل وولد وجاه ومال وتمثل ظاهر الدنيا في
صورة امراة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوز شوها عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال
وهي متلفعة بجلبابها لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال
فهي تقنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تجري معهم بالخلف في مواعيد الوصال ثم تقيدهم مع قطع
الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار

والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر فيها والتكاثر بالاموال واقبلوا بكنه هممهم الى حضرة ذى الجلال وابقن منها بوصل ليس دونه انفصال ومشاهدة ابدية لا يعتريها فنا ولا زوال والصلاة على سيد الانبيا وعلى اله خير آل اما بعد فان الدنيا عدوة الله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيات وبغضها ام الطاعات وراس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها فى كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع فى النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوايها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهم درجة فى نيل السعادات وحظ فى الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الان نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر فى شطر من الكتاب والزهد فى شطر آخر منه ونبداء بذكر الفقراء

الشطر الاول من الكتاب فى الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقرا وبيان فضيلة خصوص الفقر على الغنا وبيان ادب الفقير فى فقره وبيان ادبه فى قبول العطا وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنا المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واساميه

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه لا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه مقدورا عليه موجودا لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم يشك فى ان كل موجود سوى الله فانه فقير لانه يحتاج الى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام وجود مستفاد من فضل الله وجوده فان كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس فى الوجود الا غنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وانتم الفقرا هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر عن المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجته لا حصر لها ومن جملتها ما يتوصل اليها بالمال وهو الذى نريد الان بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانما نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذى فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه فى حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل واحدة باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها الحالة الاولى وهى العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهى الزهد واسم صاحبها الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب فى طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ اقنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه والا فهو راغب او مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهى اقصى درجات الزهد كما سياتى ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هى اعلا من الزهد وهى ان يستوى عنده وجود المال وعدمه فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده كذلك بل حاله مثل حال عايشة رضى الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطا فاخذته وفرقته فى يومها فقالت لها خادمها لو اشتريت لنا بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتينى لفعلت فمن هذا حاله فان كانت الدنيا بحذافيرها فى يديه وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال فى خزانة الله تعالى لا فى يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون فى يده او فى يد غيره وينبغى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا فليتفهم من هذا الامر معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقا المال فى يده وانما هو غنى عن دخول المال فى يده فهو اذا فقير من وجه غنى من وجه واما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال فى يده وعن بقايه فى يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتاذى به ليحتاج الى الخروج وليس يفرح به ليحتاج الى البقا وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول فى يده فمعناه الى العموم اميل فهو الى الغنا الذى هو وصف الله اقرب فانما قرب العبد من الله بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمى صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغنا اسما لمن له الغنا المطلق عن كل شئ واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشيا اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله تعالى ليبقى استغناؤه الذى زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله هو الذى اعتقه من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية فى اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنا مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هى كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد فى حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو فى مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ايضا ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله مثال الرقيب الحاضر فى مجلس جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو فى حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرق العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك فى العشق ونقص فيه فكذلك النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الاخر بل الكمال فى ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع فى القلب حبان فى حالة واحدة فلا يجتمع ايضا فيه

بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته
سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان يزول
عنه الغفلة ويتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مظنة توصل الى الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق
الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر الكعبة والاخر مستقبلها فهما سيان بالاضافة الى
الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له
الوصول ولكن ليس محمودا بالاضافة الى المعتكف والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى لا يفتقر الى الاشتغال بالدابة
في الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليها الا بدفع
العائق ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل
بالاخرة فتبين ان سلوك طريق الاخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر ان
الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو كمال
بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي
عندك الماء والمال وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك الا في قدر الضرورة مع
ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل
تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي عباد الله بقدر الحاجة ولا تبخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء
واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الاخر واذا عرفت الله ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت
ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل
قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي اهديتها
لي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما
عليه من اخذها بين ان كراهة كون الركوة في بيته التفات اليها سببه الضعف والنقصان فان قلت فما بال
الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا اكثر من
حاجتهم فنفروا عما وراءها ولم يجمعوا في القرب والزوايا يديرونها مع انفسهم بل تركوه في الانهار والبراري للمحتاجين
اليه لا لانهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه او بغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر
وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف لو اخذ ان يخدعه المال ويقيد قلبه ويدعوه الى الشهوات وهذا
حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء
واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو
اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها
لاخذها اولاده اذا رأوها وهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد عرفت اذا ان الدرجات
ستة فاعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد

والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال فاسم الفقر مطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغني
فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى اخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله في جميع اموره عامة وفي بقاء
استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد
من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقر عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقير
فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك ان قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر
وقوله كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه
والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله هو الذي سأله في دعائه

مسألة

اما من الايات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم وقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الاية سياق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم
بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن
عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى
في نفسه وماله قال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وسلم
لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهود
يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث اخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير
تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة سنة تقدير تقديم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما
ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم فكان الفقير الحريص على درجة من خمس
وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم الا تحقيقا للحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه
تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين واما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة
عبارة عما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها ان يعرف حقائق
الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته ورسله والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة
اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة
بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى
والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة يفارق بها الاعمى حتى يدرك بها المبصرات
والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون اما في الغيب واما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ
فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد الى اقسام وربما يمكننا ان
نقسمها الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة
واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين ولا يدري تحقيقا انه الذي

اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وانما المعلومات مجامع الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك
لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير وكذلك نعلم ان الفقرا لهم درجات كما سبق فاما ان كان هذا الفقير الحريص مثلا على ضعف
درجة الفقير الزاهد حتى لم يتعرض له التقدير باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقديم بخمسمائة عام فليس في
غير قوة الانبيا الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين ولا نواقفه والغرض التنبيه على منهاج التقدير في امثال هذه
الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشى منصب النبوة
من ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها
وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروى
ان جبرئيل عليه السلم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرا عليك السلم ويقول لك اتحب ان اجعل
الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبرئيل ان الدنيا دار من
لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرئيل عليه السلم يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت
وروي ان عيسى عليه السلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة ايقظه فقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني
اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له نم اذا حبيبي ثم نم   ومر موسى عليه السلم برجل نائم على التراب وتحت راسه
لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضايع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى
اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد اسلفني او بعني
دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما
والله اني لامين في اهل السما امين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذه اليه فارهنه
فلما خرجت نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق
ربك خير وابقى تعزية له عن الدنيا   وقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين للمومن من العذار الحسن على خد الفرس وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم آمنا في سربه معافا في جسمه عنده طعام يومه فكانما حيزت له الدنيا   وقال
كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلم يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا عليك فقل مرحبا بشعار الصالحين
وقال عطا الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله ورمى شبكته فخرج
فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي يا رب ما هذا فقد علمت ان ذلك كله بيدك فقال الله عز وجل
للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتهما فلما راى ما اعد الله لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضيت يا رب
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنيا والنسا
وفي لفظ آخر فقلت اين الاغنيا فقال حبسهم الجد   وفي حديث آخر فرايت اكثر اهلها النسا فقلت ما شانهن
فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران   وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المومن في الدنيا الفقر   وفي الخبر
آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان عليه السلم لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل
غنايه   وفي حديث آخر انه يدخل الجنة زحفا   وقال عيسى عليه السلم بشدة يدخل الغني الجنة   وفي خبر عن اهل

البيت انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال
لم يترك له اهلا ولا مالا   وفي الخبر اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا
فقل ذنب عجلت عقوبته   وقال موسى عليه السلم يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل
فقير فقير فيمكن ان يكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به تشديد الضر   وقال عيسى عليه السلم اني لاحب المسكنة
وابغض النعما وكانت احب الاسامي اليه ان يقال يا مسكين   ولما قال سادات العرب واغنياها يا رسول الله اجعل
لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجي ونجي اليك ولا يجيئون يعنون الفقرا مثل بلال وسلمان وصهيب وابي ذر
وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة واصحاب الصفة من الفقرا فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك
وذلك انهم شكوا اليه انهم يوذيهم روايحهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروايح من
ثيابهم فاشتد على الاغنيا ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم
فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجمعهم واياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقرا تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنيا ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي الاغنيا وقل الحق من ربكم مع الفقرا فمن شا فليومن ومن شا فليكفر   ولما استاذن ابن ام مكتوم
حين استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى يعني الاعمى ابن ام مكتوم اما من
استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف   وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر
الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت
لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ
بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فياخذ بيده ويدخل الجنة
وقال عليه السلم اكثروا من معرفة الفقرا واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولا فقال يا رسول الله ما دولهم قال
اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة وسقاكم شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم افضوا به الى الجنة
وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال فنظرت في اعلاها فاذا فقرا امتي
واولادهم ونظرت في اسفلها فاذا فيها من الاغنيا والنسا قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النسا فاضر بهن
الاحمران الذهب والحرير واما الاغنيا فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف
ثم جاني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال يا والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات
وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنا الى هذا الحد ودخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم   وقال صلى الله
عليه وسلم الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف متضعف اغبر اشعث ذي طمرين

لابويه به لو اقسم على الله لابره   وقال عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه
فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
نعم بابى انت وامى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت معه بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم
ادخل قالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معى قالت انت ومن معك يا رسول الله قال عمران بن حصين فقالت
فاطمة رضى الله عنها والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها كذا وكذا واشار بيده فقالت هذا جسدى
قد واريته فكيف براسى فالقى اليها ملاءة كانت معه خلقة فقال شديها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال
السلام عليكم يا بنيتاه كيف اصبحت قالت اصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى انى لست اقدر على طعام
اكله فقد اضر بى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنيتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ
ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولو سالت ربى لاطعمنى ولكن اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها
وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت واين اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران قال
ان اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك
انك فى بيوت قصب لا اذى فيه ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا
سيدا فى الاخرة   واما الاثار فقد قال ابو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا
من ذى الدرهم   وارسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجا الى منزله كئيبا
حزينا فقالت امراته احدث امر قال اشد من ذلك ثم قال ارنى درعك الخلق فشقه وجعله صررا ووزعه
ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء
بخمسماية عام حتى ان الرجل من الاغنيا يدخل فى غمارهم فيوخذ بيده فيستخرج   وقال ابو هريرة رضى الله عنه ثلاثة
يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب له على مستوقد
قدران ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايهما تريد   قيل جاء فقير الى مجلس الثورى فقال تخط لو كنت غنيا ما
قربناك وكان الاغنيا من اصحابه يودون انهم فقرا لكثرة تقريبه الفقرا واعراضه عن الاغنيا   وقال المومل ما
رايت الغنى اذل منه فى مجلس الثورى ولا رايت الفقير اعز منه فى مجلس الثورى   وقال بعض الحكما مسكين ابن ادم
لو يخاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنا لفاز بهما جميعا ولو خاف الله
فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا   وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من اخلاق المرسلين
وايثارك مجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين   وفى الاخبار عن الكتب المنزلة
ان الله جل جلاله اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط من عينى فاصب عليك الدنيا صبا   وكانت عائشة
رضى الله عنها تفرق ماية الف درهم فى يومها يوجهها اليها معوية وابن عامر وغيرهما وان درعها المرفوع وتقول لها
الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتينى لفعلت وكان قد اوصاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اردت اللحاق بى فعليك بعيش الفقرا واياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعى
درعا حتى ترقعيه   وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة الاف درهم فابا عليه وطلب اليه الرجل قبولها فقال

ابرهيم تريد ان امحوا اسمى من ديوان الفقرا بعشرة الاف لا افعل

[illegible]

قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به   وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر
الفقرا اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضى ويكاد مفهومه بان
الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سياتى تحقيقه فلعل المراد
بعدم الرضى هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله عز وجل
ولا كراهة فى فعله فذلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر   وروى عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لكل شى مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرا الصبر انهم جلسا الله تعالى يوم القيمة   وروى على رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله عز وجل الفقير القانع برزقه الراضى عن ربه
وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا   وقال ما من احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان
اوتى قوتا فى الدنيا   واوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلم اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقرا
الصادقون   وقال صلى الله عليه وسلم لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا   وقال صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى يوم القيمة اين صفوتى من خلقى فتقول الملايكة من هم يا ربنا فيقول فقرا المسلمين القانعين بعطاى
الراضين بقدرى ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون هذا فى القانع
والراضى اما الزهد فنذكر فضله فى الشطر الثانى من الكتاب   واما الاثار فى القناعة والرضى فكثيرة ولا
يخفى ان القناعة تضاد الطمع وقد قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر والياس غنى وانه من ييس عما فى ايدى الناس
وقنع استغنى عنهم   وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما من يوم الا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن ادم قليل
يكفيك خير من كثير يطغيك   وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ما من احد الا وفى عقله نقص وذلك انه اذا
اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دايبان فى هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن ادم ما
ينفع مال يزيد وعمر ينقص   وقيل لبعض الحكما ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك   وقيل كان ابرهيم
ابن ادهم بخراسان من اهل النعيم فبينما هو مشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل فى فناء القصر وبيده رغيف
ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئنى به فلما قام جاء به اليه فقال ابرهيم ايها الرجل اكلت الرغيف
وانت جايع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابرهيم فى نفسه فما اصنع انا بالدنيا
والنفس تقنع بهذا القدر   ومر رجل بعامر بن قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا
بهذا فقال الا ادلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا من الاخرة   وكان محمد بن واسع يخرج
خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد   وقال الحسن رضى الله عنه
لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوا ثم قرا قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق الاية   وكان ابو ذر رضى الله عنه جالسا فى الناس فاتته امراته فقالت له لا تجلس بين هولاء
والله ما فى البيت هنة ولا سفة فقال يا هنه ان بين ايدينا عقبة كوودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى

راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكما ما مالك قال التجمل في الظاهر
والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم لو كانت
الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا
اليك محسن وقيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ... واقنع بياس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... ان الغنى من استغنى عن الناس
يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ... مقدرا اى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تاتيه منيته ... اغاديا ام بها تسرى فتطرقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له ... يا جامع المال اياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك الا يوم تنفقه
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ... ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هما يورقه

بيان فضيلة الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد رحمه الله والخواص والاكثرون رحمهم الله الى تفضيل الفقر
وقال ابن عطا الغنى الشاكر القايم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال دعا الجنيد على ابن عطا لمخالفته
اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل
طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنا اذا اخذ مطلقا لم
يسترب من قرا الاخبار والاثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في
مقامين احدهما فقير صابر ليس حريصا على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غنى منفق ماله في
الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل
من الغنى الحريص الممسك وان الغنى المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن
ان الغنى افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالخيرات والصدقات والفقير
عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا فيما نحسبه فاما الغنى المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان
يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقرا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبق الاغنيا بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها
فوق ما نال الاغنيا فتعلم الاغنيا ذلك وكانوا يقولون مثل ما يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطا ايضا لما سئل عنه فقال الغنا افضل لانه
وصف من اوصاف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلافه
وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشا فقد

زيد

زيد بن اسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقرا رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
رسول الفقرا اليك فقال مرحبا بك وبمن جيت من عندهم جيت من عند قوم احبهم لله قالوا يا رسول الله ان
الاغنيا ذهبوا بالجنة يحجون ونحن لا نقدر ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم
ذخيرة لهم فقال صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقرا ان لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال اما خصلة
واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السما لا يدخلها الا نبي فقير او
شهيد فقير او مومن فقير والثانية يدخلوا الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسماية عام والثالثة
اذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير
وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على
ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اى مزيد ثواب الفقرا على الذكر واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد
اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم يجب واجاب اخرون فقالوا
التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات
العبودية افضل للعبد كالخوف والرجا وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة
ازاري والكبريا ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقا شرك في الربوبية ومنازعة فيها
لانها من صفات الرب تبارك وتعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقير وحاصله تعلق بعمومات
تقبل التاويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنا بانه صفة الحق بالتكبر
فكذلك يناقض قول من ذم الغنا بانه وصف العبد بالجهل والغفلة لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة
وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطا في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا
يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها
ولكن لكونها عايقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العايق عن الله وعدم
الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله مثل سليمان عليه السلم وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكم من
فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد
معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنا قد يكون من الشواغل
وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع مع حب الله في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان في فراقه
او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة للغافلين المحروم
عنها مشغول بها وبطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها وبالتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال
بحيث صار المال في حقهما كالما استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر
الحاجة افضل من فقده اذ الجايع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر بالاعتبار فالفقر عن
الخطر ابعد اذ فتنة السرا اشد من فتنة الضرا ومن العصمة ان لا يقدر ولذلك قالت الصحابة بلينا بفتنة الضرا
فصبرنا وبلينا بفتنة السرا فلم نصبر وهذه جبلة الادميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار

الكثير الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل الا مع ذلك النادر والفقر اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن
الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب
بنور اموالكم وقال بعض العلما تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار
والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوا المال والماء والحجر والذهب
انما يتصور للانبيا والاوليا ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة وكان صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا
اليك عني اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفرا اغري غيري ويا بيضا غري غيري
وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان راى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى
الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنا غنا النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال
وان تصدقوا بابه وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس به في الدنيا وتمتع بالقدرة عليه
واستشعار راحة في بذله وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر
ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس عن الدنيا تجافى
القلب عن الدنيا وزينتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مومنا بالله انصرف لا محالة الى الله اذ لا يتصور قلب
فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره مجاز فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله
على احدهما بقدر تجافيه عن الاخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الاخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان
فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الاخر فان عين القرب من احدهما هو عين البعد عن الاخر فعين حب الدنيا
هو عين بغض حب الله عز وجل فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف بقلبه في عزوفه عن الدنيا وانسه بها فاذا افضل الفقير
او الغني بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور فان
الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفرقته
واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها
فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعل من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق به انه كان مغرورا وان العشق
كان مستكنا في الفواد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنيا الا الانبيا والاوليا واذا كان ذلك محالا
وبعيدا فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لانه علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف
علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس
بالمذكور فلا يكون تاثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتاثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف
مثل من يتعبد الله وهو في طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الغمر بسمك وقال ابو سليمان
الداراني تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي
فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك العيال ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاك افضل
من دعاي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسنا وكانوا
يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنيا وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي والزهد

فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كماله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده
هذا مع ان احسن احوال الغني ان ياخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيمة ويطول
انتظاره ومن نوقش الحساب عذب ولهذا تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رواه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدردا رضي الله عنه ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد ولا يخطيني
فيه صلاة وذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله عز وجل قيل وما تكره قال سو الحساب
ولذلك قال سفيان اختار الفقرا ثلاثة اشيا والاغنيا ثلاثة اشيا اختار الفقرا راحة النفس وفراغ القلب
وخفة الحساب واختار الاغنيا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطا من ان الغنى
وصف الحق وهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما
فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقايه فلا يضاهي غناه غنا الله تعالى لان الله غني بذاته لا بما يتصور
زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني
يريد بقاء المال وما ذكره من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شي للعبد بل
منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل ان يقطع الطريق
تصير الاسما التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر
على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى واما التكبر على من يستحقه كتكبر المومن على الكافر وتكبر العالم
على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلفة والايذا وليس ذلك من وصف الله تعالى
وانما وصف الله تعالى انه اكبر من كل شي وانه يعلم انه كذلك فالعبد مامور بان يطلب اعلا المراتب ان قدر عليها ولكن
بالاستحقاق كما حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المومن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي
والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو راى نفسه بهذه الصفة
روية محققة لا يشك فيها لكانت صفة العلم حاصلة له ولايقة به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى
معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تتفق فلجهله بها وجب ان لا يعتقد لنفسه
رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لايقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة
ولما تصور ان يعلم الشي على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كان معرفة بعض
الاشيا قد تضره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من اوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور
التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبيا
والاوليا والعلما فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنا يضاهي غنا الله بوجه
من الوجوه والغنا الذي يوصف به الله سبحانه وتعالى فهو فضيلة اما الغنا بوجود المال فلا
فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر

المقام الثاني

في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه
وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ننظر فان كان

مطلوبه ما لا بد له منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل
لان الفقد يشغله بالطلب وطلب القوت لا يقدر معه على الذكر والفكر الا قدرة مشوبة بشغل والمكفي هو
القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع
الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود به
الاستعانة على سلوك سبيل الدين فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في
ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين فاستويا في ان كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنا
ولكن فرقا في ان الواجد يانس بما وجد فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن
الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوفى الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان وكان
احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر
تاكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه
وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب ما لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما تفارقه وهو
الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من
فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا بالدنيا اكثر من انس الفاقد
لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة
الخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل غنى عايشة رضي الله عنها فيستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود
مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقراء والمساكين وهممهم والثاني الفقر من مقدار الضرورة فان ذلك
يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده سبب حياته ثم يستعين بقوته وحياته على
الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا
فهذا تفصيل القول في الغنا والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو
دونه في الحرص على حفظ المال فلم يكن تفجعه لفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقده فهذا في محل النظر والاظهر
ان بعدهما من الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه

بيان آداب الفقير في فقره

للفقير آداب في ظاهره وباطنه وفي مخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها اما في باطنه فان لا يكون فيه كراهة
لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها لما فعل الله به من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم
يكون كارها للحجامة لتالمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها له في نفسه بل ربما يتقلد منة منه فهذا اقل
درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا
الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع
منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنا ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى واثقا به في قدر ضرورته
انه ياتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله تعالى عقوبات بالفقر

ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله عز
وجل على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا
يدل على ان كل فقير ليس بمحمود بل الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من
الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب واما ادب ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل
ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال
وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم
ستر الفقر من كنوز البر واما في اعماله وادبه ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي رضي الله عنه
ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه رتبة تكبر الفقير على الغني ثقة بالله تعالى فهذه
رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط
الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلاطين فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى
الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة
للاغنياء وطمعا في العطا واما ادبه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه
فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنا روى زيد بن اسلم انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله تعالى من ماية الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من
عرض ماله ماية الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم
افضل من صاحب الماية الف وينبغي ان لا يدخر ما لا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات
احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه
داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ففهم منه الرخصة في امل
الحياة اربعين يوما وهي درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين
وكان صلى الله عليه وسلم يفعلها تعليما لامته ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز
الخصوص بالكلية فغنى الفقير الصالح المتعفف في طمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين
يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة

بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال

ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه
في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد
ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان
يكون تطييب قلبه وطلب محبته وهي الهدية او الثواب وهي الصدقة والزكاة او الذكر والريا والسمعة اما على
التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كانت فيها منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما يعظم
فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد

الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض الناس وقال لقد هممت الا اتهب الا من قرشي
او ثقفي او دوسي وفعل ذلك جماعة من التابعين وجاءت صرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسالة فرده فانما يرده على الله تعالى ثم فتح الصرة واخذ منها
درهما ورد سايرها وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق بياب خراساني
فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل
على ان امر العالم والواعظ اشد في قبول العطايا وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابرهيم التيمي يسال اصحابه
الدرهم والدرهمين ونحوهما ويعرض عليه غيرهم المئين فلا ياخذه وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيا يقول اتركه
عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذه والا فلا وامارة هذا ان
يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه
منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقرا الصادقين وقال بشر ما سالت احدا قط شيا الا سري السقطي لانه
قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقايه عنده فاكون عونا له على ما يحب وجا
خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش الى ان اكل
هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوى والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد
امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك **الثاني** ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة
اوزكاة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل
ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كان صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية يعلم ان
المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهو حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي
ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه **الثالث** ان يكون غرضه الشهرة والريا والسمعة فينبغي ان يرد
عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول
لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان ياتيه من صلة فقال انما ارد عليهم
اشفاقا او نصحا لهم لانهم لا يذكرون عطاهم ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في
الاخذ فينبغي فينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد منه او هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة
والافات التي ذكرنا في المعطي فالافضل له الاخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من
الاخذ اذا كان محتاجا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اتاه شيا من هذا المال من غير مسالة ولا استشراف
فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ اخر فلا يرده وقال بعض العلما من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وقد
كان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيا فيرده فقال له السري يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة
الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي
عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال العلما يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلي بطمع او دخول
في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زايدا على حاجته فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه او التكفل

بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخا فاذا كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه
ان كان طالبا لطريق الاخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل لغير الله فهو من سبيل الشيطان وداع اليه ومن
حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او ياخذ في العلانية
ويفرق في السر وهذا مقام الصادقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني
ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج منه فيفعل كليهما في
السر او كليهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ واخفاؤه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر
فليطلب منه واما امتناع احمد عن قبول عطا سري السقطي فانما كان لاستغنايه عنه اذ كان عنده قوت شهر
ولم ير لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك افات واخطارا والورع يكون حذورا من مظان الافات
اذ لم يامن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق
في سبيل الله تعالى فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جايع كما ترى عريان كما ترى فما
ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت لنفسي لا احد لها هي موضعا
احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة ثمن ميزرين ودرهم انفقه ثلاثا
فلا حاجة لي الى الباقي فردها قال فرايته في الليلة الثانية وعليه ميزران جديدان فهجس في نفسي منه شي
فالتفت الي فاخذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى
الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولولو وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله اعطانيه فزهدت فيه
واخذ من ايدي الخلايق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة
انما تاتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله تعالى اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق
بين الرفق والابتلا قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا حق لابن ادم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في
اخذ الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله تعالى متعرض للحساب وان عصيت الله متعرض
للعذاب ومن الاختبار ايضا ان يعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتاتيك
عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم الفت نقض
العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذت وصرفته الى محتاج فهو غاية
الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخا والبذل والتكفل بحقوق الفقرا وتعهد جماعة
من الصلحا فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زايد على حاجة الفقرا وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه
ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقرا
جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه
الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله تعالى لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه
الله من حلال قضاه وان مات قبل القضا قضاه الله عنه وارضى غرماه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند

من يقرضه فلا يغر المقرض لا تخدعه بالمواعيد بل يكشف ذلك عنده ليقدم على اقراضه عن بصيرة ودين مثل هذا
الرجل واجب ان يقرض من مال بيت المال من الزكوة وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل
معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون
على قدر بضايعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوايف
للاقويا والاسخيا والاغنيا فقيل من هولاء فقال اما الاقويا فهم اهل التوكل على الله عز وجل واما الاسخيا
فهم اهل حسن الظن بالله تعالى واما الاغنيا فهم اهل الانقطاع الى الله عز وجل فاذا اتهما وجدت هذه الشرايط
فيه وفي المال وفي المعطي فلياخذ وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله تعالى لا من المعطي انما المعطي واسطة قد سخر
للعطا وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكى ان بعض الناس دعى
شقيقا البلخي في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مايدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول
من لم يرانى صنعت هذا الطعام وقدمته اليه فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في
الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق البلخي ماذا قصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم
وقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب جعلت رزقي هكذا على يد بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة
فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا
ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب المضطر فيه

اعلم انه قد وردت مناه في السؤال وتشديدات وورد فيه
ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السايل
ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جازت اعانة المعتدي على عدوانه والاعطا اعانة فالكاشف
للغطا فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح لضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنه بد فهو
حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة **الاول** اظهار الشكوى
من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو
سال لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العبيد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا
بضرورة كما تحل الميتة **الثاني** ان فيه اذلال السايل نفسه لغير الله وليس للمومن ان يذل نفسه الا
لمولاه فان فيه عزه فاما ساير الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل
السايل بالاضافة الى المسؤل **الثالث** انه لا ينفك عن ايذا المسؤل غالبا لانه ربما لم تسمح نفسه
بالبذل عن طيبة قلبه وان بذل حيا من السؤال او رياء فهو حرام على الاخذ وان منع ربما استحيا وتاذى في
نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلا ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما موذيان
والسايل هو السبب في الايذا والايذا حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاثة فهم قوله
صلى الله عليه وسلم حيث قال مسالة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماه فاحشة
ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله

عليه وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع
ليس عليه لحم وفي لفظ اخر كانت مسالته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيا
وكان يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سال اعطيناه ومن استغنى اغناه الله تعالى وقال ومن لم يسالنا فهو احب
الينا وقال استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه
سايلا يسال بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانية يسال فقال الم اقل لك عش الرجل
قال عشيته فنظر عمر رضي الله عنه فاذا تحت يده مخلاة مملوة خبزا فقال لست سايلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة
ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل
الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر رضي الله عنه ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد
ورد الشرع بالتعزير فاما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة في المال فكيف استجازه وهذا استبعاد
مصدره القصور في الفقه فاين يظهر فقه الفقها كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين
الله ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير جايزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية
الله تعالى وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريقة شرعها نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك ايضا
معصية بل الفقه الذي لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه قطعة فانما اعطاه على اعتقاد
انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز القطع وردها الى اصحابها اذ لا يعرف اصحابها
باعيانهم فبقي مالا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح وينزل اخذ السايل مع اظهار
الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله انه علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي ما يعطى للصالح الذي
صلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه لا يملكونه وهو
حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير
من الفقها وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضي الله عنه فاذا عرفت ان
السؤال مباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى
عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجايع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري
وبدنه مكشوف وليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في السؤال بكونه مباحا والمسؤل منه
بكونه راضيا في الباطن والسايل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا
استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب شيا وعنده مثله
او امثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دوا ليس
يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتا وهو يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهي
الى حد الضرورة وكذلك من سال لاجل الكرا وهو قادر على المشي بمشقة فهذا ايضا ينبغي ان يسترسل عليه الاباحة لانها
ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عليها اولى وهو بتركه السؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال

وما ألبس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني إذا أطيقه ولكن يشق علي فإذا أصدق فصدقة يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى
فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فيستر به الخروق التي في ثيابه
عن أعين الناس ومن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ومن يسأل الكرا للفرس في الطريق وهو واجد كرا الحمار أو يسأل كرا
المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات
الثلاث من الشكوى أو الذل أو إيذاء المسؤول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا يصلح أن يباح لها هذه المحذورات وإن لم
يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فإن قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات الثلاث فاعلم
أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله تعالى والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج لكن يقول أنا مستغن بما أملكه
ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهي فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى
فإن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب
سؤاله أو الرجل السخي الذي أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه
الذل بذلك فإن الذل لازم للمنة لا محالة وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل
يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان
يلام فهذا إيذاء فإنه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة
وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل إلى التغافل إن أراد فإن لم يتغافل
مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به وينبغي أن يسأل من لا يستحيي منه لو رده أو تغافل فإن الحياء من
السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي فإن قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين
ولولاه لما ابتدأه به فهو حلال أو شبهة فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخذ مال
الغير بالضرب والمصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء
وخوف الملام وسياط الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم
نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرائن
الحالات فاضطروا إلى الحكم بظاهر اللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت وهذا سؤال عن بين العبد
وبين مولاه والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن
أفتوك وأفتوك فإن المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم
النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فإذا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه
بينه وبين الله تعالى ويجب عليه الرد على صاحبه فإن كان يستحيي من أن يسترده فعليه أن يثيبه على ذلك بما يساوي
قيمته في معرض الهدية والمقابلة لينفصي عن عهدته فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إلى ورثته فإن تلف في
يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى فإن قلت فهذا
أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل أنه راض ولا يكون في الباطن راضيا فأقول
لهذا ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد شيئا أصلا إلا من

سري

سري السقطي وقال لأني علمت أنه يفرح بخروج من يده فأنا أعينه على ما يحبه وإنما عظم النكير في السؤال وأمر
بالتعفف لهذا لأن هذا الأذى إنما يحل لضرورة وهو أن يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص
ولم يجد من يعطيه من غير كراهة فإذا فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل الميتة وكان الامتناع طريق
الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس
دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الكبش والأقط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد يكون
طمعا في جاه أو طلبا لرياء وسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا إلا في موضعين
أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر صلوات الله عليهم
ولا يشك في أنهم ما سألوا إلا من علموا أنه يرغب فيهم والثاني السؤال من الأصدقاء والإخوان فقد كانوا يأخذون
مالهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا
بإخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فإذا كانوا يسألون الإخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه
وإلا كانوا يستغنون عن السؤال وحد إباحة السؤال أن يعلم أن المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك
دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير إلا في تعريف حاجتك فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى
للسائل حال لا يشك فيها في الرضى الباطن وحال لا يشك فيها في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فالأخذ
في الحالة الأولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت فيها قلبه
وليترك حزاز القلب فإنه الإثم وليدع ما يريبه إلى ما لا يريبه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته
وضعف حرصه وشهوته فإن قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على
الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وقد أوتي
والله جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا كسب لأبيه مما ورثه فليأكل من أيدي الناس فإن أعطي بغير سؤال فإنما يعطى لله
ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لأعطي بدينه فيكون ما يأخذ حراما وإن أعطي للسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء
إذا سئل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فإذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع أكثر
ما يأكلونه وأكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكتسبته أنت أو مورثك فإذا بعيد أن يجمع الورع مع الأكل
من أيدي الناس فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا من غيره وأن يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده والله أعلم

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فإنما يسأل جمرا فليستقلل منه أو ليستكثر فإنما يستكثر من جمر جهنم
صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسر وليس إلينا وضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد
في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفي حديث آخر من سأل وله خمسون درهما
أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا وورد في لفظ آخر أربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار
فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن

فيه تعب ولا يمكن ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يوارى به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والاقدار والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكرا للمسافر اذا كان لا يقدر على المشى وكذلك ما يجرى مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس فاما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاوانى من النحاس والصفر فيما يكفى فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة والطعام مقداره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو الشعير والادم على الدوام فضله وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وما يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احداها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنا وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفى المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه وان كان لا يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غدا يوم وعشا ليلة وعليه ينزل الخبر الذى ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقا سنة غير بعيد فهو بتاخير السؤال خايف ان يبقى مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهيته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخى المدة التى يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتى فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الآخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجى الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله تعالى اعلا فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغا الى تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشا والسؤال من الفحشا الذى ابيح بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة امثل من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله تعالى وهذه من امهات المهلكات

كان بشر رحمه الله يقول الفقرا ثلاثة فقير لا يسأل وان اعطى لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وان اعطى يأخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند فاقته فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذا اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق ابن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقرا من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثنا فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقرا عندك يا ابا اسحق فقال الفقرا عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذا درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها وتفاوت درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الترقى من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل سافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلا عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقى قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضى ان يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى ان بعضهم راى ابو الحسين النورى يمد يده يسأل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم فيوجرون من حيث لا يضرهم وكانه اشار الى قول النبى صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للمال لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما ياخذ ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسى انما يوزن الشى ليعلم مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك انت شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبى فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ما له ورد ما لنا الله تعالى المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد قلب كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله تعالى فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدوا مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه واخذ ينكر الدوا مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سالك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين وللعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيمة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة واتباع الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القايلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في

المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان
ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل فكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن
والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري
مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى
زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة او بيع او غيره فانما
عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول
اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا اليه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب
عنه ان يكون ايضا هو مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك التراب
والحجر والحشرات لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدنانير والدراهم زاهدا لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة
وشرط المرغوب اليه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والثمن
عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال الله تعالى
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشرا بمعنى البيع ووصف اخوة
يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من وجه يوسف فباعوه طمعا في العوض
فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا
كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة
لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب اليه منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى
الله حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل
تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك
من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا
يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة
عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس
ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات
لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد
عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب اليه
ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا فان ترك ما لا يقدر عليه لا يسمى زاهدا وبالترك يتبين زوال
الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم ذا
زهدت وأما العلم الذي هو المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر
بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما

عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير في نفسها واقوى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهي ابقى كما يكون
الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع
في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجواهر التي لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت
بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا
اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الدنيا والشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره
بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الموت والى تعريف
خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنبه على ان العلم بنفاسة
الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه
اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل اللهم ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك
وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه
بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض لانه مستغن
عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة
الى جلاله ويراها متفاوتة بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوتها بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما
العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان
العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود
فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات
ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان
كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن واذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان
الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه
الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد ومادام ممسكا للدنيا
لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في ابن يامين وان كانوا قد قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على ابعاد يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم
ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد
الاخراج فاذا اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا
وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما
يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك ان الدنيا وان لم تاتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي ان تتدلى بحبل الغرور
دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذا جربت حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان

بنفسه كراهية المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان
هذا عزم النفس في المحظورات فاياك ان تثق بموعدها في المباحات والموثق الغليظ الذي ياخذ عليها ان تجربها
مرة بعد اخرى في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا
فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن يكون من عزمها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى
الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى
لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحايك لا يفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة قال ابن شبرمة لا ندري
اهو ابن الحايك ام ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت عليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع
المسلمين انا نحب ربنا ولو علمنا في اي محبته لفعلنا حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او
اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت منهم اي من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
الآخرة وليس من الزهد ترك المال على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع فان ذلك
كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تتركها لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفائس
الآخرة فاما كل نوع من الترك فيتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فكذلك قد يكون مروة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن
لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهو الذ واشهى من المال وكما ان ترك المال على
السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا لما
في حفظ الاموال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل الى السلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال
حظ آخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم
وفوات حظ آخر للنفس فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله
غير الله او تركها طمعا في ثواب الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الآخرة وترك التمتع بالسراري والسرر
طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا
طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
وآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما
سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلماء
ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في
الدنيا وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها الآية قيل معناه ايهم ازهد في الدنيا فوصف الزهد بانه من احسن
الاعمال وقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم الى قوله ورزق ربك خير وابقى وقال الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة في وصف الكفار ومفهومه
ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير

وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة
بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه
امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له منها ومن اصبح وهمه الآخرة جمع
الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا
رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه وانطق بها لسانه
وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول
الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي
يشنا الدنيا ويحب الآخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك
الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل
المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان
في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني
بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه
فانظر كيف بدا في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ قال عبد نور الله قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى الشرح في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله
وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر
كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله
حق الحياء قالوا انا نستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله
عز وجل ولما قدم عليه وفد وقالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند
الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون
ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر رضي الله عنه
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه
علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما معنى لا يخلط بها غيرها صفه لنا وفسره لنا فقال حب الدنيا
طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء
من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة
من شك وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس
قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة

وروى ابن المسيب عن ابي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله
الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم
مر في اصحابه بابل عشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع اللحم واللبن والظهر
والوبر ولعظمها في قلوبهم قال تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل
له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها قال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم الاية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت
لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا وفضة لاجراها
حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا
لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض لاولي العزم الا بالصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم
يرض لي الا ان يكلفني مثل ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن
كما صبروا وجهدي ولا قوة الا بالله   وروي عن عمر رضي الله عنه انه قالت له ابنته حفصة حين فتح الفتوحات البس لين
الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الآفاق ومر بطعام حسن تطعمه وتطعم من حضرك فقال عمر رضي الله عنه يا حفصة
الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته قالت نعم قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهله غدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك
الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليه خيبر ناشدتك الله هل تعلمين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة
فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع في الارض ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ينام على عباءة مثنية باثنين فثنيتموها ليلة باربعة اثناء فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة
بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه
للغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة وناشدتك
الله هل تعلمين ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما
قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال الحكي
ابكاها وبكى عمر رضي الله عنهما وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر رضي الله عنه
وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما واني والله ساصبر على عيشهما لعلي
ادرك معهما عيشهما الرغد   وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان
الانبياء عليهم السلام قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم   وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين قال رب اني لما انزلت الي
من خير فقير وان خضرة البقل كانت ترى في بطنه من الهزال فهذا ما اخبار انبياء الله والمرسلين وهم اعرف خلق الله
بالله وبطريق الفوز في الآخرة   وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة

قال

قال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عز وجل عن كنز الذهب والفضة فاي شيء
ندخر فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي حديث حذيفة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني
ابدا وحرص لا يشبع ابدا   وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ان لا يعرف احب اليه من ان
يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته   وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا
نبي الله لو امرتنا ان نبني لك بيتا فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال كيف
يستقيم عبادة على حب الدنيا   وقال صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك   وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على
الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يك كلا
باسرع من سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا
اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك واتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل قد سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني
ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان
شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل عليه السلام ان تواضع لله عز وجل فقال نبيا عبدا ثلاثا   وقال صلى الله عليه وسلم اذا
اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه   وقال صلى الله عليه وسلم لرجل ازهد في
الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يؤتيه الله علما بغير
تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا   وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف
من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات   وعن عيسى عليه
السلام وعن نبينا صلى الله عليه وسلم اربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء
وجميع الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن حصرها فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا
الى الآخرة فاليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق وفيما اوردناه كفاية   واما الآثار فقد جاء في الاثر لا تزال لا اله
الا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم
فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين   وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم
قال تتبعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة ابلغ من زهد في الدنيا   وقال بعض الصحابة لصدر التابعين
انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قالوا ولم ذلك قال كانوا
ازهد في الدنيا منكم   وقال عمر رضي الله عنه الزهد في الدنيا راحة القلب والجسد   وقال بلال بن سعد كفى به
ذنبا ان الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها   وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك
ضالة لا توجد   وقال وهب بن منبه رضي الله عنه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون
يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين في الجنة   وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي

من الله ثلاث خصال ان لا اموت حتى اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا اعظم لحم فاعطي ذلك كله ويروى
ان بعض الخلفا ارسل الى الفقها بجوايز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقها
وانت ترد على حالتك فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما
هرمت قال انحروها وانتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهل بيتي جوعا خير لكم من ان تذبحوا
فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس الشعر وياكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب
ولا يدخر لغد شيئا اينما ادركه المسا نام وقالت امراة لابي حازم يا ابا حازم هذا الشتا قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام
والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله عز وجل
ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا
بثلاثة اغطية فلن يكشف الله للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح
فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح
فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير واحب الى الله
من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما يصرف عنا اكثر
من نعمته فيما صرف الينا فكانه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون
مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المودي الى الصحة اكثر منه في الاعطا
المودي الى السقم وكان الثوري رحمه الله يقول الدنيا دار التوا لا دار استوا ودار ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح
برخا ولم يحزن على شقا وقال سهل لا يخلص العمل للعبد حتى لا يفزع من اربعة اشيا الجوع والعري والفقر والذل
وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف ما كانوا يفرحون بشي من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شي منها ادبر
ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر
ولم يجعل بينه وبين الارض شيا ولا امر من في بيته بصنعة طعام فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم
تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله
ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوا الله ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا
نجوا الا بالعفو

اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث
وهي السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مايل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها
ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد
يذيب اولا نفسه في الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر
على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة اليها في
قليل او كثير ان يزهد في الدنيا ويترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى
ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا

الزاهد لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البايع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده
ويظن بنفسه انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهو ايضا نقصان **الدرجة الثالثة**
وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شي
فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة الى
جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما
ان تارك الخزفة بالجوهرة امن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شي تتكلم قال
في الزهد قال في الزهد في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انك تتكلم في شي الدنيا لا شي اي شي
يزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات
مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله عن نفسه ودخل الباب ونال القرب
عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة
ما ناله فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة
خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر
ويحتاج الى اخراج الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص
منها وان عمر ماية سنة بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى
ما لا نهاية له فالدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة
لها الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت
الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيا معتدا به ولا يراه
شيا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة
من هذه ايضا لها درجات اذ صبر الزاهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك
درجة المعجب بزهده في قدر التفاته الى زهده واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على
ثلاث درجات **الدرجة السفلى** ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن ساير الالام كعذاب القبر ومناقشة
الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار ففي الخبر ان الرجل ليوقف على الحساب
ما لو وردت ماية بعير عطاش على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخايفين فكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا
فان الخلاص من الالم لم يحصل بمجرد العدم **الدرجة الثانية** ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات
الموجودة في جنته من الحور العين والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم
والخلاص من الالم بل طمعوا في سرور دايم ونعيم قايم لا اخر له **الدرجة الثالثة** وهي العليا الا يكون له
رغبة الا في الله وفي لقايه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر
بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله
لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك

الخوف وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدنيا وعرف
الدينار وعرف الدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدنيا وكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر
الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة
الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى
يبقى للذة الحور العين والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا
والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون
لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك
لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على
كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب فيه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور
فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر
فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح
لآحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه
حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول
جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد
في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما ترجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة
والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع
الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودهما تملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها
كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد
يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا
ثم رده في آية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد ثم رده في موضع آخر الى اثنين فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع
آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي
ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه
في الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ
النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء
فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها
لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى
قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين

اما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى
القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله
تعالى او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد رضي
الله عنه لما احتضر كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا اليوم اموت موت
العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من الجراحات واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت
فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو ادنى بالذي هو
خير فاولئك هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان
الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما رأوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة او ثلاثين سنة بتمتع
الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون
في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه او على من كان يخاطب فقال
بشر رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم
الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة الى
الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد
في الدنيا هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات
فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها
وقال اويس القرني ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الزهد في
الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الرأي الفاسد والمعقول
الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح كله ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض ما هو من
فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الآخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان فيها في الاشتغال
بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذا رأى احدا قال
هو افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال
بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال اويس ولا شك في انه اراد به
طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلال فقد اخذ
باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل
الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا
بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة
لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه
بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة
التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف واما الحق في نفسه

فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف واما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل
ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله
عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل
جميع ذلك ضدا للزهد وقرأ ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه
غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان اقسام الزهد بالاضافة
الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابرهيم بن ادهم فالفرض
هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات
الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد وقيل لمالك بن انس رضي الله عنه ما الزهد فقال التقوى
واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات
وسائر الحالات لا سيما خفايا الريا فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلما بل الاموال الظاهرة ايضا درجات
الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت
تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك
عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام انه لبس المسوح
حتى نقب جلده تركا للتنعم بلين الثياب واستراحة الى خشن اللبس فسألته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف
ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه وقال احمد الزهد
زهد اويس بلغ من العري الى ان جلس في قوصرة وجلس عليه السلام في ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط
فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر
لها واقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور
فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت
مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب والملبس ومخالطة الناس
ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى الاقبال بكل القلب
على الله ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقا ولا بقا الا بضرورات العيش فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات
عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشي الا به
فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق
الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير
بك الى مقصودك فكذلك ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر
والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى
وذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وان قلت لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك
اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الما البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي

حاجته فقد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه
فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار واصوات الطيور ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه
الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه
فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس الى الدنيا ونقصان في الانس
بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له جب مكسور فيه ماء وكان لا يرفعه من الشمس
ويشرب الما الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم
في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء يسيرا للتنعم على التابيد لا يثقل على
اهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والآخرة

تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ يقتنيها الانسان
ليركب وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك لا يحصر وانما
ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه
والمهمات ستة المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة
من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب ذم الريا من ربع المهلكات ونحن
الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة **المهم الاول** المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه
ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان
من يملك طعام يومه قد لا يقنع به واما عرضه ففي مقداره وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا يقصر
الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض فمن هذا حاله
فاذا استقل بما يتناوله ولم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية ان يدخر لشهر
او لاربعين يوما والثالثة ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفا الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته
زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا ولا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض
لنفسه الاخذ من الايدي كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل
الزهد الا عند من جعل التوكل شرطا في الزهد واما عرضه فبالاضافة الى المقدار واقل درجاته في اليوم والليلة
نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء
ذلك فهو اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب
واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج من
آخر ابواب الزهد فضلا عن اوائله واما الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت ويسير من الادهان
اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع
خرج من آخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم

والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل ويأكل ليلة ولا يشرب واعلاه ينتهي الى
ان يطوي ثلاثة ايام واسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر
الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها
كانت تاتي علينا اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون
قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس
الصوف وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبيد واجلس كما
يجلس العبد وقال عيسى عليه الصلاة والسلام بحق اقول انه من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع
الكلاب له كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة ايام من خبز البر
وكان عيسى صلى الله عليه وسلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر
فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والسلف في المطعم في ربع المهلكات
فلا نعيده ولما اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء فيه شربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده
وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله واتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف
فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه
حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر
رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده
والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله عز وجل

الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص
وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط
الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين
ومنديلين فقد خرج من جميع ابواب الزهد هذا من حيث المقدار اما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه
الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما حتى
رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا او ما يقاربه فطلب
ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك
قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا
ولينظر فيه الى احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت الينا عائشة رضي الله عنها
كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل على دثار ابدا ولا
اركب على مأثور ابدا ولا املأ جوفي من طعام ابدا فقال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده

حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان ازاره اربعة اذرع ونصفا واشترى سراويل
بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس
بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات ولبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته مائتا درهم وكان اصحابه يلمسونه ويقولون
يا رسول الله انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وقد كان اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه
بلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصلة ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه لبسه اولا تاكيدا
للتحريم كما لبس يوما خاتما من ذهب ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شان بريرة
اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتاكيد امر النكاح وقد
صلى صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم وائتوني بانبجانيته
يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدله بشراك جديد فصلى فيه فلما
سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر
نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين
فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول
مسكين راه وعن يسار بن سعد رضي الله عنه قال حيكت للنبي صلى الله عليه وسلم جبة من صوف وجعلت
حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها وما الينها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي
قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا لم يبخل به قال فدفعها اليه وامر ان تحاك له جبة اخرى فمات رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي في الحياكة وعن جابر رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم
الابد فانزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتي فيما انباني الملا
الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الله خفيفة وعلى انفسهم
ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش فهذه سيرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي وقال عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله واوصى عائشة رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا
تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص لعمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه
ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال
الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا
اصلي فاجوزه ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي
سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق وقال ابو بشر مه خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال

بعض السلف رضي الله عنهم البس من الثياب ما يخالطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك
وقال ابو سليمان رحمه الله الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب
للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه   وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه   وكان جمهور العلماء من التابعين
قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين   وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف
ذيل قميصه على راسه   وقال بعض السلف اول النسك الزي   وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر
من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله وابتغاء لوجهه كان حقا على الله عز وجل ان يدخر له من عبقري
الجنة من تخوت الياقوت   واوحى الله تعالى الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا
مداخل اعدائي فيكونوا كما هم اعدائي   ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا
الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق   وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى
ابي ذر في بزة فجعل يتكلم في الزهد فجعل ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى
ابن عمر فقال انت صنعت هذا بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه   وقال علي رضي الله عنه ان الله اخذ
على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره   ولما عوتب في خشونة
لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا
بالمتنعمين   وروي فضالة بن عبيد وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال انه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك
فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع   وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشنوا واياكم
وزي العجم كسرى وقيصر   وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم   وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتي
الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام   وقال صلى الله عليه وسلم
ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم
القيمة الى من جر ازاره بطرا   وقال ابو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي
او احمق   وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة   ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم
وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره
ان اقول زهدا فازكي نفسي او اقول فقرا فاشكو ربي   قال ابو سليمان لما اتخذ الله تعالى ابراهيم عليه السلام خليلا اوحى
الله اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا
غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة   وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من
الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا   ويروى عن عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما في الليل اذا قام يصلي   وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك
فضلا على الناس بكسائك وبلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية   وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود
وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم

في الدنيا

في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي
المسكن وللزهد ايضا فيه درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة
واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف وخص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية
اما بشراء او اجارة فان كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر
درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية
حد الزهد في المسكن فاختلاف جنس البناء بان يكون بالجص او القصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره
بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد
مدخل في جميع ذلك وبالجملة كلما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة
الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد الدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والايدي
واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو فضول من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي
له بعيد من الزهد جدا   وقد قيل اول شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد
يعني كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والبنيان بالجص والاجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد
وقد جاء في الاثر ياتي على الناس زمان يوشون ابنيتهم كما يوشى به البرود اليمانية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يهدم علية كان قد علاها   ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاء الرجل
اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها
فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر انه هدمها فدعا له بخير   وقال الحسن مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة   وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد شرا اهلك
ماله في الماء والطين   وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال
ما هذا فقلنا خص لنا قد وهي فقال الامر اعجل من ذلك   واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال
هذا كثير لمن يموت   وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته
فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله   وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة
وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين   وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان   وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال
على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر او برد   وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في
السماء اي في الجنة   ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون
في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين الاية يعني به الاجر
ويقال ان فرعون هو اول من بنى بالجص والاجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف ورد
بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهص
ثم رايته الان مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهوص وكان اصحاب الرهوص خيرا من اصحاب

اللبن وكان في السلف من بنى داره مرارا في مدة عمر رضي الله عنه لضعف بنيانه وقصر امله وزهده
في احكام البنيان وكان منهم من اذا حج او غزى نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من
الحشيش والجلود وهي عادة العرب الان ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة وبسطة قال الحسن
كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا علا
العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان رحمه الله عن النظر الى بناء
مشيد وقال لولا نظر الناس اليه ما شيدوه فالناظر معين لهم عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكني اعجب
ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون
البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم

المهم الرابع

اثاث البيت وللزهد ايضا فيه
درجات فاعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه
فرمى المشط ورأى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا استغنى عنه
فهو وبال في الدنيا والاخرة وما يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه
الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا حصل به المقصود واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح
في نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل الثريد فيها ويحفظ
المتاع فيها وكان السلف رحمهم الله يستحبون استعمال اله واحدة في اشيا للتخفيف واعلاه ان يكون له بعدد كل
حاجة اله من الجنس النازل الخسيس فاذا زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن
الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضي الله عنهم فقد قالت عائشة
رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل
ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى اثر
الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه فقال له صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب
فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبه وصفيه
نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال بلى يا رسول
الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا
ولا غيره من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا
فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له ما معك من الدنيا
فقال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي اكل فيها طعامي
واغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة
فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له من اجل الستر

استعمال

والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب
فبعهما وادفع ثمنهما الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها فقال بابي انت
قد احسنت ورأى صلى الله عليه وسلم على باب عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه فقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي
به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على
عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد اسهرني
الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها عنده فسهر ليلته حتى اخرجها من اخر الليلة قالت عائشة
رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت
سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض
بجنبه وجعل ثوبه فوقه

المهم الخامس

المنكح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصله ولا في كثيره واليه
ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان
ازهد الصحابة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان
اذ قال كلما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم والمراة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه
انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح
افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه وان لم يكن عليه افة في تركه لا ولا في فعله ولكن ترك
النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد وان علم ان المراة لا
تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد
مقصود لبقاء نسله وتكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات واللذات التي تلحق الانسان فيما هو ضروري في الوجود
لا تضره اذ لم يكن هو المطلب والمقصد وهو كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك
من الزهد لان في تركهما فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف
افة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن حاله كحال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده
فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان
فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة
غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الداراني الزهد في النساء ان يختار المراة الدون او اليتيمة على المراة
الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدى ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب
الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا قد ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما
يشغل عن الله تعالى فهو محذور فيهما جميعا

المهم السادس

ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه
اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على
القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل

وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى به الى الهاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نافع او لدفع ضرر او الخلاص من ظلم فاما الجاه فنعني به المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها او ان يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب ومحل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا اذ اليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها بقدر ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الاخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرمق الرجل في الزهد اهله بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف عن بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس محظورا بل الزائد على الحاجة سم قاتل والاقتصار على قدر الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو دواء وان لم يكن دواء نافعا ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة فالمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابرهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته ان يسلم لورثته فياكلونه وربما كانوا اعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطا فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى ان يفرق الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق في قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الآخر بالجذب من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل الالم ببدنه وتالمه من حيث يسري اثره الى قلبه فكيف الظن بالم يتمكن من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهو اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في اعلا عليين وجوار رب العالمين فالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم الآية فرتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه نسال الله تعالى ان يقرر في اسماعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه ولذلك قال الشاعر

ودود كدود القز ينسج دائما ... ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ولما انكشف لاولياء الله تعالى ان العبد مهلك لنفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رضي الله عنه رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذ ويقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من الفساد والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم اذ قال رضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها الآية وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية وقال فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال له اخرج مالك والحقني قال لا استطيع وقال صلى الله عليه وسلم يعجب ان يدخل الغني او قال اشد وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك في الآفاق ينادون باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهما من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول احدا اللذين في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا اليوم لطول الحساب

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهدا وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح

بالزهد فكم من الرهبان ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرورهم معرفة الناس
حالهم ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا
حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا وقد يدعي جماعة الزهد مع لبس الصوف الرفيع والثياب الفاخرة كما
قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس
ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين
ويحتجوا لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم
هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق فكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب
اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم لانهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا
كلام الخواص فاذا معرفة الزهد امر مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات
الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكي لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان
يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده والثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه
فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه والثالثة ان يكون انسه بالله تعالى والغالب
على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله تعالى وهما في القلب
كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان فكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم
الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله جميعا فلا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق
الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض القلب
الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي
وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام
العارفين والزاهد لا بد وان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي
عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال احمد بن ابي
الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث عن ابيه عشرين دينارا فانفقها في
عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية
فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا
عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا
كما فعله عيسى عليه السلام فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجري على الطمع في
غايته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله عز وجل غير مادون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علمنا ان الله تعالى
لا يتعاظمه امر فلا نعد في ان نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى
والعز والذل والمدح والذم لاجل غلبة الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك
الدنيا ولا يبالي من اخذها منه وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ

علامة الزهد السخا بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا
الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا
بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال سري
السقطي لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي
الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاثة عمل بلا علاقة وقول بلا
طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل
متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى
حد لو قطع عنك الرزق ثلاثة ايام لم يضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين
جهل ثم لا بد من ان تفتضح وقال ايضا الدنيا مثل العروس فالراغب يطلبها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها
ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا
الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا
وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا فهذا ما اردنا ان نذكره في حقيقة الزهد واحكامه واذا
كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى تم كتاب الفقر والزهد بحمد الله وعونه يتلوه كتاب التوحيد والتوكل

كتاب التوحيد والتوكل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المدبر للملك والملكوت المنفرد بالعزة والجبروت الرافع السماء بلا عماد المقدر
فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب
الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما
بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق فانه ما
من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا
عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل
هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من
حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة
وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق
معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا
الغطاء مع شدة هذا الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا
بالاعراب عما شاهدوا من حيث استنطقوا ونحن الان نبتدي بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه
بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ثم نذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة التوكل

اما من الايات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وقال وعلى الله فليتوكل المومنون وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون كفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية فانه سوال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا الاية وقال ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكلما ذكر في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الله الواحد القهار

واما الاخبار

فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قيل ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال عليه السلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا امرني ربي قال الله عز وجل وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى او اكتوى ويروى انه لما قال جبريل عليه السلام لابراهيم عليه السلام وقد رمي الى النار من المنجنيق الك حاجة قال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به قال واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا

واما الاثار

فقد قال سعيد ابن جبير لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلجا الى احد غير الله عز وجل وقيل لبعض العلما في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلما لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل قال ليس هذا العلم عندي ولكن اسال ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاومى بيده الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فلا تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله

وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا يتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول

التوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرين وله لب وللب دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاده والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشيا كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفنا في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الاخرة ان توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف عنه ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحد وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين ولم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا

من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب كما ان القشرة
العليا لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا النار واكثر
الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به عنه فكذلك
التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة
في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن
سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت
فلا يبقى لتوحيده فايدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب
وتحرسه من الفساد عند الادخار واذا انفصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب
وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف
والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان
اللب نفيس في نفسه لا بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن
المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات
الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد
السماء والارض وساير الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات
واسرارها لا يجوز ان يسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة
نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع
آخر من المشاهدة والاعتبار وهو كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه
واحشايه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد اذ تقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد
وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعايه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق
بينهما فهو في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت
الى الكثرة في تفرقة وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار
واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثيرة بعضها اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان
كان مثالا لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا
الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد
نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة
ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام
نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيم انت فقال
ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال له الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك

والاستشهاد به

الخالق

فاين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه
مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح مقدار ما يفهم به
كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل
يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول وهو النفاق فهو واضح اما الثاني وهو الاعتقاد فهو
موجود في عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وذكرنا في كتاب الاقتصاد
في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي ينبني التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث
حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله
ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر
الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الحادث فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف
لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد
دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات ولا في الارض واذا انفتحت لك ابواب
المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين
يبتغي به ان يطرق الى قلبك شايبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات
الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته وعلى الغيم في نزول المطر
وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقايق الامور
ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه
انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك
بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وكذلك حتى ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه
والتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه
وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته
من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه
ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة
فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب
بل هو تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق فيه ان الله تعالى هو الكاتب كما قال تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات وما في الارض مسخرات على هذا الوجه انصرف
عنك الشيطان خايبا وايس من مزج توحيدك بهذا الشرك فياتيك من المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار
الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء
اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء
عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له ايضا ان كنت

الموقع

لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين
لا سلطان عليهم للشيطان فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب بالقلم مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا
وعلموا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها
الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة
راس القلم لضيق حدقتها وكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض
ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق
الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على
نفسها بالعجز بلسان ذلق تكلم بلا صوت ولا حرف ولا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر
الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف
ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت
وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض
مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له
ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي الاية ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء
السر لوم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملأ
من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم
حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكرت النجوم فامسكوا ولما خص حذيفة ببعض الاسرار
فاذن عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر
والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا
يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا ولا اصواتا ولكن
هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد راه قد اسود وجهه بالحبر ما
بال وجهك كان ابيض مشرقا والان قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني
في هذه المطالبة فاني ما سودت نفسي لكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل
بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما
على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما تراه
على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر عن اوطانه
فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري
ومزقت عني ثيابي وقلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي وغمستني في سواد الحبر ومرارته وهو يستخدمني
ويمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي حين جئتني بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم
سال اليد عن ظلمها للقلم وتعديها عليه واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك

بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض اما
ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبها مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى
ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني
وبين القلم فاسال القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها في استعمالها
اليد واستخدامها وكثرة ترددها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف
خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت راكبة لها قبل التحريك وما كنت احركها ولا اسخرها
بل كنت نائمة ساكنة حتى ظن الظانون اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني
الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم يكن لي قدرة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه
وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سال
الارادة ما الذي جراك على هذه الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه
مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما
انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم
على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم
وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم
العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة
لعمري ما دام هو في التردد على نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار انتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت
بطبعي وقهري تحت طاعته وانبعثت القدرة لتقوم بموجب حكمه فاسال العلم عن شاني ودع عني عتابك فاني كما قيل

اذا ارتحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص
القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي
ولكني بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم
كان هذا اللوح قبلي خاليا فاسال القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا يتتعتع السائل ولم يقنعه
جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره
ولكن كنت اطيب نفسا بكثرة التردد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك
اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا
خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد
منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل
ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت
فيه فما هذا بعشك فادرج وكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت

شهيد واعلم ان العوالم التي في طريقك منازلها ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم
واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو وراءي فاذا جاوزتني
انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم
الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منه ثلاث منازل اذ في اوائلها منازل القدرة
والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه
منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء
فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة
فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة
مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة
ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي
يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلم ولو ازداد يقينا لمشى على الهوا لما قيل
له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق
ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك
وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به الكتبة في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز
عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف
بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السائل لقد فتحت
بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت
ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي
ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله في ذاته
بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا
كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبر زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين
فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى
وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه
ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق ادم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها
مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتورية وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر
لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك
لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى عليه السلم اني انا
ربك الاعلى فاستمع لما يوحى فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه
والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص ولقد كان زيته الذي

مداده

في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال
له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي
واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في
قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راس ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم
جزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند ذلك ودع العلم
وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم فاساله وسال عن شانه
فسافر اليه وقال ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدرة وصرفها
الى المقدورات فقال القلم انسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سالته فاحالك
على اليد فقال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق ادم على
صورته قال نعم قال فاسال عن شاني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته هو الذي يرددني وانا مقهور مسخر
ولا فرق بين القلم الالهي والقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال السائل فمن يمين الملك
فقال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم فالاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي
يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده وراى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء
من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي
واصبع لا كالاصابع فراى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسال اليمين عن شانه وتحريكه القلم فقال جوابي مثل
ما سمعته من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة
لا محالة فسافر الى عالم القدرة وراى فيها من العجائب ما استحقر فيها ما قبله وسالها عن تحريك اليمين فقالت انما
انا صفة فاسال القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ وينطلق بالجراءة لسان
السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسال عما يفعل وهم يسالون فغشيته
هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت
عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل
عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما
اتاك فخذه وما نهاك فانته عنه وما قاله لك فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي
اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا
عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السائل واعتذر عن اسولته ومعاتباته وقال لليمين والقلم
والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل

دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان قد صح عندي عذركم وانكشف ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت
هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما
ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف
يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه
الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل
الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى
العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه بالسراج الذي اشتعل في
قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف
له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انبنى هذا التوحيد على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما
طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت
وهم الذين حصروا العلم في الحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم لا اهتدي الا الى عالم الشهادة
بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال له انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس
الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قلت وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات
فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك فما كل مرض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد
واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين فيه ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها
صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل التنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة
فاذا استوى بصره ارشده الى الطريق ليسلكه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه فان كان غير
قابل للعلاج ولم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت
بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا
اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله الاله العالم واحد
والمدبر واحد اذ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما راه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد
التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك
نزل القران بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح
ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال
الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه
بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما
الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد
وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا
في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون

وظاهر ظ

لما كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم راوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر
وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير
واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا
وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى فنسي ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من امن بالنظر
الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير
واما عالم الملكوت فهو من عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من
التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان
شاء ويسكن ان شاء ولا يتحرك ولا يسكن ان لم يشأ فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء
ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموضع الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا شاء ويفعل شاء ام ابى فليست المشيئة
اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة
التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة
بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتب
بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر
يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فاقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين
الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين
شرحا وجيزا يليق بما نذكره متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل
في الانسان يطلق على ثلاثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا
وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد
ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فاعرب لك عنها بثلاث عبارات فسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا
طبيعيا ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه
الماء او تخطى من السطح الى الهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة
الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس
الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصدت عين الانسان بابرة انطبق الاجفان اضطرارا ولو اراد
ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك
حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة
فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة
والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لم يشأ فيظن من هذا ان الامر اليه وهو للجهل
بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع للعلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما يحكم

مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي يقطع به من غير
تردد ان يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف ولا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم
تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من
غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج
الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك واذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي
يقطع به من غير روية وفكرة وانبعثت الارادة هاهنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل
ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير
وهو عين تلك الارادة ولم تنتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا
ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة
خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين
خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو
اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة
الداعية المستحثة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه
ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل هاهنا
يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه
وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكما جزما لا ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه
كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه وان
كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان
يرمي نفسه ولا ينبعث له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية
والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه
فكلا ولا فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه
جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق جبر محض
وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين منزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا اسما
ثالثا لما ان كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما
عند من فهمه وفعل الله سبحانه يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه
محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر
ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة
والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى
وان انكرت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض

سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف
كافة الخلق الا الراسخون في العلم على كنه معناه بل على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان
ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة
الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل للحياة وكما لا يجوز ان يقول الحياة حصلت من
الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر
الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال
الله تعالى ولولا ذلك لكان التقدم والتاخر عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى
هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض
حادث على ترتيب واجب وحق لازم ولا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا
لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة الا لفقد
شرط الحياة ولا يتاخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس
في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود
القدرة على وجود الشرط مثلا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا محدثا قد انغمس في
ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فنقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية
للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط
وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل
ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم
يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث من اليدين عند غسله الوجه فاذا
غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهي ظن من ظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة
والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليدين بالماء الملاقي له لا
بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي
ان تفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب اخر من علوم المكاشفات
فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف وهو
المرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من البحر المقام الثالث من مقامات التوحيد
واستيفاء ذلك في عمر نوح عليه السلام محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول
لا اله الا الله وما اخف مؤنته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهومه على القلب وما اعز حقيقته وقوله عند
العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد انه لا فاعل الا
الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون
العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان

ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لو بينا تنقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد
بمعنى اخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذى خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه
الارادة وبعد ان خلق فيه العلم وارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبطت قدرة
العبد بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة غيره فان محل القدرة
يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين
مختلفين فلذلك سمى فعلا لهما وكذلك ارتباط المقدور بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى
الافعال في القران مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال الله تعالى قل يتوفاكم
ملك الموت ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال افرايتم ما تحرثون اضاف الحرث الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وقال فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال
فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبرئيل عليه السلام وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل
اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وهو جمع بين النفى والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذى يكون العبد به راميا وما رميت بالمعنى
الذى يكون به الرب راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذى علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القران وقال
علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر
ام انثى اسوى ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر ويصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة
او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذى يقال له الروح هو الذى يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس
بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك يسمى روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو
حق شاهده ارباب القلوب ببصائرهم واما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم دون النقل به
تخمين مجرد ولذلك ذكر الله تعالى في القران الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال او لم يكف بربك انه على كل شئ
شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة
فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربى بربى
ولولا ربى ما عرفت ربى وهو معنى قوله تعالى او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه
المحيى والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففى الخبر ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا
اميت الاحياء وقال ملك الحياة انا احيى الموتى فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت
والمحيى لا مميت ولا محيى سواى فاذا الفعل يستعمل على وجوه فلا تتناقض هذه المعانى اذا فهمت ولذلك قال صلى الله
للذى ناوله التمرة خذها ولو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتى الا بحمل الواحد الذى
ياتى الانسان اليها ولذلك لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله
فكل من اضاف الكل الى الله فهو المحق الذى عرف الحق والحقيقة لاهلها ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز المستعير في كلامه

والمتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه
فاعلا بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة
الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعته ايها اللغوى للمخترع
فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اى تجوز به عما وضعه اللغوى له ولما جرى حقيقة المعنى على
لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قاله
شاعر قول لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل اى كل ما لا قوام له بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحى القيوم
الذى ليس كمثله شئ فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين
كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه الان كما كان فان قلت
فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك
قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذى رايناه الرمز اليه من التوحيد الذى يورث حال
التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها
هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتى الا بالثقة بالوكيل وطمانينة القلب الى حسن نظر
الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه طويل فلنذكر حاصله ليعتقده
الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان
الله عز وجل لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من
الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل ذلك عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على
اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان
يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما
دبر الله سبحانه وتعالى الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منه جناح بعوضة ولا ان يرفع منه
ذرة او يخفض منه ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلى به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع
عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى في السموات والارض لو رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما راوا فيها من تفاوت
ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله
عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغى وكما ينبغى وبالقدر الذى ينبغى
وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعل لكان بخلا يناقض الجود وظلما
يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة
في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار
ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح
البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان
بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء لاهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل

ولو لا خلق البهايم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص
جميعا وكما ان قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على الروح عدل لانه فدا كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين
الخلق في القسمة في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وهذا الآن بحر اخر واسع الاطراف مضطرب الامواج
قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوايف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون
ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به
وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله
بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم
المكاشفة التي هي اصول مقامات التوكل ولنرجع الى علم المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب

في حال التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله المشايخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد
والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في ترك الضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي
وغيره

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال
فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت
عباراتهم وتكلم كل واحد منهم عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فايدة في النقل
والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه
ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه
بتقصيره ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة
مثلا فمن ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا
القلب مطمين النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة
ومنتهى الشفقة فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيا
فليستجري على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس
خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحيا او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة
فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرا القلب عليه واشار اليه ولا كل
عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدته منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما
يقدر عليه في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر به خصمه او لم يظفر هلك
به حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة منه لم تطمين نفسه الى وكيله بل يبقى منزعج القلب مستغرق الهم
بالحيلة والتدبير ليدفع ما يخشى من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة
والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت
تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى في جمع الحلال
والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعيا به

وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على
تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله تعالى عليه فان ثبت في
نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله تعالى كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على
كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا
وراء منتهى علمه علم ولا منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت
الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة
فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحد
هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه
فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا وشبه بين يديه
بالعذرة ربما نفر عنه طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر
طبعه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه
وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه
لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في البيت ولا ينفر عن ساير الجمادات وذلك جبن في القلب وهو
نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق
الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة النفس جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون
في القلب شيء واليقين شيء اخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال الله تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين قلبي فالتمس ان يشاهد
احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمين به ولا تطمين باليقين في ابتداء الامر الى ان تبلغ
بالآخرة الى درجة النفس المطمينة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمين لا يقين له كساير ارباب الملل والمذاهب
فان اليهودي مطمين القلب الى تهوده وكذلك النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراة غرايز يضعها الله حيث يشا فلا ينفع اليقين
معها فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب واذا اجتمعت
هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال صلى
الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة
في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفايته وعنايته
كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع
الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه
يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة بها ليس خاليا
عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تحقيق
لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تاله الى الله ونظره اليه واعتماده عليه

كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلا حقا فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل
وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير
المتوكل عليه وأما الأول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله أي له التفات إلى توكله وشعور به وذلك
شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال
ترك الأماني قال وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال
لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين
يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي
قوي يقينه بأنه مجرى الحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات وأن كلا يحدث جبرا فيكون غنيا عن الانتظار
لما يجري عليه ويفارق الصبي فإن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هذا مثال صبي علم
أنه وإن لم يفزع إلى أمه فالأم تطلبه وأنه إن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله وإن لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه
وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل فكم من
نعمة ابتدأها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك
السؤال من غيره فقط فإن قلت فهذه الأحوال هل يتصور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر
والمقام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الإمكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا
يكون المقام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجل فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع
وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم
عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فإن
البشرة ستر رقيق يتراءى من ورائه حمرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذلك انقباض القلب بالكلية
عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم والمقام الثاني يشبه صفرة المحموم فإنها قد تدوم
يوما ويومين والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول فإن قلت فهل
يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا ما دامت الحالة
باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله عز وجل بالدعاء والابتهال
كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط والمقام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات
كالمتوكل على وكيله في الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار عليه وكيله
به والتدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته فأما الذي يعرفه بإشارته فأن يقول له لست
أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه إذ ليس هو رجوعا
منه إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة ولا إلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلا
عليه ولا معتمدا عليه في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم من عادته واضطرار سنته فهو أن يعلم من عادته أنه
لا يحاج الخصم إلا من السجل فتمام توكله إن كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها

وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته فإذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار
السجل ولو ترك ذلك كان نقصا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد أن حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل
وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا إلى محاجته فقد ينتهي إلى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت
المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل
بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري وإذا
تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير
وعمل لا يجوز أيضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الأعمال فإذا فزع الموكل إلى حوله وقوته
في الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلا وتعبا محضا بلا
جدوى فإذا لم ير معتدا من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إن الوكيل جعله معتد المحاجة وعرفه ذلك
بإشارته وسنته فإذا لا حول ولا قوة إلا بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالق
حوله وقوته بل هو جاعلهما غير معتدين في أنفسهما ولم يكونا معتدين إلا بتفعيلهما وخلقه الإفادة فيهما وإنما
يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو جعلهما معتدين
إذ جعلهما شرطين لما يستخلفه بعدهما من الفوائد والمقاصد فإذا لا حول ولا قوة إلا بالله حقا صدقا فمن شاهد
هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله وذلك قد يستبعد
فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها
وهيهات فإنما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة لا إله
إلا الله وثوابها كنسبة معنى أحدهما إلى الآخر إذ في هذه الكلمة إضافة شيئين إلى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة
وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا إله إلا الله
بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبابين فكذلك لهذه الكلمة وسائر الكلمات وأكثر الخلق
قيدوا بالقشرين وما نظروا إلى اللبين وإلى اللبين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال صادقا مخلصا وجبت
له الجنة وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أراد بالمطلق المقيد كما أضاف المغفرة إلى الإيمان والعمل
الصالح في بعض المواضع وأضاف إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال
بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس وإنما الصدق والإخلاص وراءهما
ولا ينصب سرير الملك إلا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات
عند الله ولكن لا ينتهي إلى الملك أما ترى أن الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير
الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى إلى ذكر أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل
والفواكه والأشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم
على الدوام وأين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات
قدر لما وسع على البهائم ولما رفع عنها درجة الملائكة أفترى أن أحوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه

والاشجار واصناف الماكولات متنعمة بالنزوان والاستفاد اعلاو الذ واشرف واجدر بان يكون عند ذوى الكمال مغبوطا من احوال الملايكة فى سرورهم بالقرب من جوار الله تعالى فى اعلا عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او ان يكون فى درجة جبريل عليه السلم فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلم وليس يخفى ان شبه كل شى منجذب اليه وان النفس التى نزوعها الى صنعة الاساكفة اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو لا محالة اشبه فى جوهره منه بالكتاب فكذلك من نزوع نفسه الى نيل الذات البهايم اكثر من نزوعه الى نيل لذات الملايكة فهو بالبهايم اشبه منه بالملايكة لا محالة وهولاءهم الذين قال تعالى فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان البهايم ليس فى قوتها طلب رتبة الملايكة وتركها الطلب للعجز عنها واما الانسان ففى قوته ذلك والقادر على نيل درجة الكمال اولى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله ومن ليس قايلا لهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس فى قولك لا حول ولا قوة الا بالله نسبة شى الا الى الله عز وجل فلو قال قايل السموات والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة اذ كلاهما وصفهما بالصغر تجوز فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامى يعلم ان الارض والسماء ليس من جهة الادميين فهو من الله فاما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يدعى انه يدقق فى الراى والمعقول حتى يكاد يشق الشعر بحدة نظره فهى مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك فى التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى عن قولهم فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذى يصدق بقوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس فى التوحيد الا عقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وساير الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهى اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعنى ثواب المشاهدة التى هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك ان شاء الله عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل

بيان اقاويل الشيوخ فى احوال التوكل

ليتبين ان شيا منها لا يخرج عن ما ذكرناه ولكن كل واحد منهم يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلى قلت لابى يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لو ان اهل الجنة فى الجنة يتنعمون واهل النار فى النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلا احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذى هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فانما فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما كان يتكلم الا عن اعلا المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا فى المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك ببدنه ولم يتغير

بسببه سره او يقال فعل ذلك فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فى حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغييره لامر يرجع الى نفسه وللنظر فى هذا مجال ولكن سياتى ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله تعالى فان احترز لم يكن توكله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسيل ذو النون المصرى رحمه الله عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض بصريح الحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القا النفس فى العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبرى من الحول والقوة فقط وسيل حمدون عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك فى عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم دين من غير ان تترك لها وفا لا تياس من الله عز وجل ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان فى القدرة اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسيل ابو عبد الله القرشى عن التوكل فقال التعلق بالله فى كل حال فقال السايل زدنى فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك والاول عام للمقامات الثلاث والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلم الك حاجة قال اما اليك فلا اذ كان سواله سببا له يفضى الى سبب وهو حفظ جبريل له وترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان اراد سخر جبريل له فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال عزيز فى نفسه ودوامه اذ وجدا بعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله اشارة الى المقام الثانى فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو على الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظرهم بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شى من ذلك وللشيوخ فى التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما ينبغى ان يعلق بحال التوكل

[illegible]

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام فى الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطا عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل فى حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعى العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصايل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض فمقصود حركات العبد لا يعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته فى كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

[illegible]

فى طلب النافع ونقول فيه

الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة
تامة ولا تطمئن اليه [illegible] المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها
بتقدير الله تعالى ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج
ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط المتوكل ترك السعي ومد اليد سعي وحركة وكذلك مضغه
بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت
ان يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك
فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك
من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام
بالعمل بل بالعلم والحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي
يطعمك ويسقيك • واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله عز وجل لا على اليد والطعام
وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك في الحال ما يزيل عقلك
ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك
من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك فاذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك
فليفرح وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل [illegible]
الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي
يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد
فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل بعد ان يكون الاعتماد على
فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص •
فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة • فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما
ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر عنه من
غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى • والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما
يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه ادمي او
ينتهي الى محلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول
الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا
لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله بصعود الماء
من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش لها والماء يحتاج
اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه كل يوم او يومين فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر على الماء وان صبر
عن الطعام ويكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند
كل صلاة ولا يقوم مقامها في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق

بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد
على راس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام مصنوعا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول
ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم
به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال
احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي
قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا رزقتك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس
فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فشرب واكل فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان
تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا
التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله
دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى
خفية فمعنى التوكل في الاكتفاء بالاسباب الخفية من الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب الخفي
لا الى السبب • فان قلت • فما قولك في القاعد في البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح ام مندوب اليه • فاعلم
ان ذلك ليس بحرام لان صاحب البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله
حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب • ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق
باب البيت على نفسه بحيث لا يترك طريقا لاحد عليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول
بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال
والكسب • وان كان مشغول القلب بالله تعالى غير متشوف الى الناس ولا متطلعا الى من يدخل الباب عليه فياتيه
برزقه بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهو افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم
برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو
هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك
ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل اجمعوا ان لا
رازق ولا مميت الا الله تعالى • وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال • وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد
ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض لها هذا الخلق •
وقال ابو يعقوب السوسي رحمه الله تعالى المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون
مكدودون • وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله ولكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار
كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون
الواسطة [illegible] ملابسة الاسباب التي توهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة
ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات

التوكل كلها وهو الذى الناس فيه كلهم اعنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او
اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهى
مثل الاسباب التى نسبتها الى جلب المنافع مثل الرقية والطيرة والكى بالاضافة الى ازالة الضار فان النبى صلى الله عليه وسلم
وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون فى الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم
بذلك وامثال هذه الاسباب التى لا يوثق بها فى المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤها • وقال سهل فى التوكل
انه ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط
الحيل البعيدة بالفكر فهى التى تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج
التعلق بها من التوكل والى ما لا يخرج وان الذى لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن
التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب والتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل واما
المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون فى ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات
مقام الخواص ونظرائه وهو الذى يدور فى البوادى بغير زاد ثقة بفضل الله عليه فى تقويته
على الصبر اسبوعا فما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته على الرضى بالموت ان لم يتيسر شىء من ذلك فان الذى
يحمل الزاد قد يؤخذ منه زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده
ان يقعد فى بيته او فى مسجد ولكنه فى القرى والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا
متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى فى تدبير امره من جهة الاسباب الخفية
الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذى يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد
اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم
ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذى ذكرناه فى الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعى ايضا
لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينته نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه
الله جميعه فى لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته
وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم فى يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا
يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه
عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد فى بيته والدليل على ان الكسب لا ينافى حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط
وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح واخذ الاثواب تحت حضنه ودخل
السوق ينادى حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلونى عن عيالى فانى
ان اضيعهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيته من مال المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم
وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى به • ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق رضى الله عنه فى
مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل على انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعى بل باعتبار قطع الالتفات
الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها فى طريق الكسب

الاكتفا

بل الاكتفا بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن
دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد
فى الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد
وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب فى كل يوم دينارا ولا ابيت
منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل • وكان الجنيد رحمه الله لا
يتكلم فى التوكل بحضرته وكان يقول استحيى ان اتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى • واعلم ان الجلوس فى رباطات
الصوفية مع المعلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج لم يصح معه التوكل الا ضعيف
ولكن يقوى الحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهذا اقوى فى توكلهم ولكنه بعد
اشتهار القوم بذلك صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق
فان قلت • فما الافضل له ان يقعد فى بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب للفكر والذكر
والاخلاص واستغراق الوقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تتشوف نفسه الى الناس
فى انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون قوى القلب فى الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان
كان يضطرب قلبه فى البيوت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب
وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف اليه نفوسهم وكان احمد بن حنبل رحمه الله
قد امر ابا بكر المروزى ان يعطى بعض الفقراء شيئا فضل عن ما كان استاجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه
واعطه فانه يقبل فلحقه فاعطاه فاخذه فسال احمد بن حنبل عن ذلك فقال كان قد استشرف نفسه فرد
عليه فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ • وكان الخواص رحمه الله اذا نظر الى عبد فى العطا او خاف اعتياد النفس
ذلك لم يقبل منه شيئا • وقال الخواص رحمه الله بعد ان سئل عن اعجب ما راه فى اسفاره فقال رايت الخضر عليه السلام
ورضى بصحبتى ولكنى فارقته خيفة ان تسكن نفسى اليه فيكون نقصا فى توكلى فاذا المكتسب اذا راعى آداب الكسب
وشروط نيته كما سبق فى كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا • فان قلت
فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية • فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق
امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه فى السكون قبله وبعده واحد
فان من لم يركن الى شىء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقد شىء فقد سكن اليه • وكان بشر رحمه الله يعمل المغازل
فتركها وذلك لان البغلوى كاتبه يقول بلغنى انك استغنيت على رزقك بالمغازل ارايت لو اخذ الله سمعك وبصرك
الرزق على من توقع لكى فى قلبه فاخرج آلة المغازل عن يده وقيل تركها لما توهب باسمه وقصد لاجلها • وقيل فعل ذلك
لما مات عياله كما كان لسفيان خمسين دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت كيف يتصور ان يكون له بضاعة
ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت او هلكت فيهم كثرة وان يوطن
نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كان سببا لفساد
دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغى ان يعتقد ان الموت جوعا خير له فى الاخرة مهما قضى الله

عليه بذلك من غير تقصير من جهته فان اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها • ففي الخبر ان العبد
ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح
كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي
اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال
ابو سليمان الداراني لاحمد بن الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا
كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكن قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل
الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنا وموت وحياة فهو خير له مما
يتمناه العبد من غنا لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين
من الاحوال والاعمال تنبني على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين
ولذلك قال سهل رحمه الله من طعن على التكسب طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد •
فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في
تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله عز وجل
قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف
بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم الى سوء الظن الجبن وضعف القلب ومشاهدة
المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب
الخفية ايضا مبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت
كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال
له الامام ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله تعالى
وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى في الرزق • وقال
امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك • وينفع
حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية بان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى
في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله عز وجل في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن
حذيفة المرعشي رحمه الله وكان قد خدم ابرهيم بن ادهم رحمه الله فقيل له ما اعجب ما رأيته منه فقال بقينا في طريق
مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابرهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع
فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت بهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم • انت المقصود اليه بكل
حال • والمشار اليه بكل معنى • انا حامد انا شاكر انا ذاكر • انا جائع انا نائع انا عاري •
هي ستة وانا الضمين لنصفها • فكن الضمين لنصفها يا باري •
مدحي لغيرك لهب نار خضتها • فاجر عبيدك من دخول النار •
ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني رجل

على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما قرأها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع
الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عنه فقال هذا نصراني فجئت الى ابرهيم واخبرته بالقصة
فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على رأس ابرهيم واسلم • وقال ابو يعقوب
الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد
شيئا يسكن ضعفي فرأيت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكأن قائلا يقول جعت عشرة ايام
فآخره يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل فجاء
حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام
واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت
اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا
وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليهم وقد قبلتها ثم قلت رزقك يسير اليك منذ عشرة ايام وانت
تطلبه من الوادي • وقال ممشاد الدينوري رحمه الله كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرأيت في النوم كأن
قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا
ولا قصابا ولا غيرهم • وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امرأة وقالت
يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتت علي ثلاثة ايام لم آكل فيها
فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك
المرأة فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت
بها الى قريب من مصر • ويحكى ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء
النفر فيشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال
انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له
القصة • وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته فرغ واموت فوكل الله به ملكا
وقال ان اكله فارزقه وان لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه حتى مات ولم يأكل وبقي عنده القرص • وقال
ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت
في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرا
وواريت جسدي فيه الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه
في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية • وروي ان رجلا لازم باب عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فقال عمر رضي الله عنه يا هذا اهاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر
فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر رضي الله عنه فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له اني
قد اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرأت القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رضي الله عنه
رحمك الله فما وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه

في الارض فبكى عمر رضي الله عنه وقال صدقت فكان عمر رضي الله عنه بعد ذلك يأتيه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني
حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث
فما استتم هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا
بقصب وبارية وطمسوا راس البئر فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكت فبينما انا بعد ساعة
اذا انا بشيء جاء وكشف عن راس البئر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به
فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا
اقول هذه الابيات ● نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى ● فاغنيتني بالفهم منك عن الكشف ●

● تلطفت في امري فابديت شاهدي ● الى غائبي واللطف يدرك باللطف ●
● تراءيت لي بالغيب حتى كانما ● تبشرني بالغيب انك في الكف ●
● اراك وبي من هيبتي لك وحشة ● فتؤنسني باللطف منك وبالعطف ●
● وتحيي محبا انت في الحب حتفه ● وذا عجب كون الحياة مع الحتف ●

وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي
الايمان بان لم يسبق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله تعالى ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه
الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه غاير
حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين ● احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس
والآخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع
وهو ان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة فبهذا يتم
للمنفرد التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على
الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الا
توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب ● فاما دخول البوادي وترك
العيال توكلا في حقهم والقعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو
مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد
بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقه ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها
الا ان تساعده على الصبر على الجوع مدة وان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عبادته لم يجز له
التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلاثة ايام فقال له
لا يصلح لك التوكل الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة
ايام ● وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب
فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر
على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على

الصبر على الجوع مدة والرضى بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار وملازمة البوادي التي لا
تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل
في الامصار اقرب في الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر
منها فلم يعدوا ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة
واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان
الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه ان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب
لم يجاوزه رزقه الا ترى ان الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى تنتهي اليه
فضلات الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت
ام ابت اضطرارا من الله لها لما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه
من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فدر له اللبن اللطيف في ثدي
الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء
الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل
الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقصت اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على
الاكتساب والآن قدر وزادت قدرته نعم كان الشفيق عليه شخصا واحدا وهو الام والاب وكانت شفقته مفرطة
وكان يسقيه ويطعمه في اليوم مرة ومرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الشفقة والحب على قلبه فكذلك
قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين من اهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تألم
قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة
ولو كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام وهو مشفق خاص فيما راوه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله
داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذوه ويكفلوه فما رئي الى الآن في سني الخصب يتيم قد مات جوعا
مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده
فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبى وقد كان المشفق عليه واحدا والمشفق الآن الف
نعم كانت شفقة الام اقوى واحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد
الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين
وترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث يقول

● جرى قلم القضا بما يكون ● فسيان التحرك والسكون ●
● جنون منك ان تسعى لرزق ● ويرزق في غشاوته الجنين ●

فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا لصباه واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون
هو مثلنا فليجتهد لنفسه ● فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل
في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله عز وجل فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا

بالله ملازما المسجد او بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل
اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى الجبل
بين الناس فما روي الى الآن عابد او عالم استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد لاطعم
جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب
كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير
وثق بالمدبر واشتغل به وامن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يوصل الى المشتغل به الحلوى والطيور
السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك في بعض الاحوال ولكن تدبيره ان يوصل
اليه في كل اسبوع قرص شعير او حشيشا يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر منه بل
يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة
وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طرق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس
يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا او في النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاذا الاضطراب ضعيف عند من
انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه وان كان الا
نادرا مذورا عظيما يتصور مثله في حق المضطر فاذا انكشفت هذه الامور وكان معها قوة في القلب وشجاعة في النفس تم
ما قاله الحسن البصري رضي الله عنه اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار • وقال وهيب بن الورد
لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل
مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك
ان تجمع بين افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنزر
القليل او الرضا بالموت فانه ياتيك لا محالة وان فررت منه وعيد ذلك على الله تعالى ان يبعث اليك رزقك
من حيث لا تحتسب • فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا الرزق
المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمان الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله تعالى من الاسباب الخفية للرزق
اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال
الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا مطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد رحمه الله تعالى فقالوا
نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل
البيت ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك فقالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة • وقال احمد بن عيسى
الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين
فطالبتني نفسي ان اسال الله عز وجل صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف بي ويقول • ويزعم انه منا قريب
وانا لا نضيع من اتانا • ويسالنا القرى جهدا وضرا • كانا لا نراه ولا يرانا • فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي
قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله عز وجل فان اسوا حاله ان يموت

ولابد وان ياتيه الموت كما ياتي من ليس متوكلا فاذا تمام التوكل قناعة من جانب ووفا بالمضمون من جانب والذي ضمن
رزق القانعين بهذه الاسباب الذي دبرها صادق فاقنع وجرب صادق شاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك
من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك ولا حسابك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما
لا تكون منتظرا القلم الكاتب بل القلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر
الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض في البوادي بلا زاد ويقعد في الامصار وهو خامل • واما الذي ذكر بالعبادة
والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق باهل
الدين فهذا ياتيه من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل والاهتمام بالرزق
غاية الضعف والقصور فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع
الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه
ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس وياكل من كسبه فذلك له وجه لائق
بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن
فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي على
نيل الثواب • ومن نظر الى سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاكتساب • ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما
عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن
ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم ٥

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال

اعلم ان مثال الخلق مع الله تعالى مثال طايفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى
الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا
رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني
اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم
طعامكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به
الى ان اتقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكن اخفيه ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه
به الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخرين ومن ثبت في مكانه
ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه غلماني فما اوصلوا اليه شيئا فبات الليلة
جائعا غير متسخط للغلمان ولا قايل لم لم يوصل الي رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال
الى اربعة اقسام • قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن
الآن جائعون وبادروا الى الغلمان واذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا
ولم ينفعهم الندم • وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من
العقوبة وما فازوا بالخلعة • وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطونا ولكن لا ناخذ اذا اعطونا الا

رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا ٭ وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى اعين الغلمان
وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطؤنا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك السخط
فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا
واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة في زاوية ولم يقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم
شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا
نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والميدان هو الحياة الدنيا
وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيمة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا
من غير تاخير ذلك الى ميعاد يوم القيمة لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون والمتعرض للغلمان هو المتعدي في الاسباب
والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات
والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق
ياتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله عز وجل وقد انقسم الخلق الى
هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين
للسبب بحضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلاثة وسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان
في الاعصار السالفة ٭ واما الان فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من العشرة الاف ٭

من حصل مال بارث او كسب او سؤال او بسبب من الاسباب فله في الادخار
ثلاثة احوال ... ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا
مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال لا ياخذه ولا يدخر الا القدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه
فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا
المقابلة لهذا المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخره لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر
من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن ادم ... ان يدخر لاربعين يوما فما دونها فهذا هل
يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الاخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل رحمه الله الى انه يخرج عن
حد التوكل ٭ وذهب الخواص رحمه الله الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين ٭ وقال ابو طالب المكي
لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار ٭ نعم يجوز ان يظن
ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع
على الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم
اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذلك السابقون واعالي درجات اصحاب اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين
فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم اصل الامل فبعيد
اشتراطه ولو بقي في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده ٭ انما الناس متفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل
يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل

اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يؤمل سنة وتقديره باربعين يوما لاجل ميعاد موسى صلى الله عليه وسلم بعيد فان تلك
الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما
لسنة جرت به وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا لان استحقاق
تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذا ما وراء السنة لا يدخر له الا بحكم ضعف القلب والركون
الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل جزما وثوقا باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان
اسباب الدخل في الارتفاقات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب
قصر امله ومن كان امله شهرين لم تكن درجته درجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلاثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة
ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما كان ادخاره اقل كان فضله اكثر
وقد روي في الفقير الذي امر عليه السلام عليا واسامة فغسلاه وكفنه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه
يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما
هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتا ادخر حلة الصيف لصيفه واذا
جاء الصيف ادخر حلة الشتا لشتائه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة
وما يحتاج اليه على الدوام من معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتا لا يحتاج اليه في الصيف وهذا
في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان
كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون
دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله
عز وجل ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدنيا
في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار
والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما
بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله عز وجل وارشدهم الى فوزهم ونجاتهم في انصرافهم بقلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة
الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد
فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم
وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد على ذلك مصدره ضعف
قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره
دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها
ان تدخر له شيا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي
العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا فالاقتدا بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم
وقد كان قصر امله بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الما ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان صلى الله عليه وسلم لو ادخر
لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه تركه تعليما للاقويا من امته فان اقويا امته ضعفا بالاضافة

الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليبين ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله تعالى يحب ان
يؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركوا الميسور
من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم
واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي رضي الله عنه
ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين
في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه
وهذا يحتمل وجهين لا حالة يحتمل حالين • احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى تكوى بها جباههم وجنوبهم
وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس • والثاني ان لا يكون ذلك
عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجته كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن
تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الاخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره من
الاخرة بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل يشهد له ما روي عن
بشر رحمه الله قال الحسين المغازلي وكان من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه كهل اسمر خفيف العارضين
فقام اليه بشر قال وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه
الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رأيته اكل مع غيره قال فاكلنا
حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وانصرف فتعجبت من ذلك وكرهته له فقال
لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذلك اخونا فتح الموصلي زارنا من الموصل
وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار في مباشرة الاسباب
الدافعة للضرر المتعرض للخوف • اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك
الاسباب الدافعة للضرر رأسا اما في النفس فكالنوم في الارض المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الحائط
المائل او السقف المنكسر فان ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب
الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة
الكي والرقية فقد يتقدم بهما على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة
دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر في
الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من
الكي بخلاف الجبة وترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة بها اوجه كما اذا نال الضرر من انسان فانه اذا
امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون
وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون • وقال ودع اذاهم وتوكل على الله وقال واصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل • وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذا الناس • واما

الصبر على اذى السباع والحيات والعقارب وترك دفعها فليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا
يترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة
وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان
هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما ان اهمل البعير
توكلت على الله اعقلها وتوكل • وقال تعالى خذوا حذركم • وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم • وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون • وقال لموسى صلى الله عليه وسلم
فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو ونوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الغار اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه
دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع واما الموهوم فهو الذي يقتضي التوكل
تركه • فان قلت فقد حكي عن جماعة ان منهم من وضع الاسد يده على كتفه ولم يتحرك • فاقول وقد حكي عن
جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق
التعلم بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليها فان قلت
فهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه • فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات
السابقة عليه ان يسخر لك الكلب الذي هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فان تسخر لك
هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد
الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يسخر لك من
كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر • فان قلت فاذا اخذ المتوكل
سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من ان ينطلق فباي اعتبار يكون متوكلا •
فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق
الباب بل بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او يفلت وكم من آخذ سلاحه
قتل فلا يتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في الوكيل بالخصومة فانه وان حضر
واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته فهو بان يكون راضيا
بما يقضي الله تعالى به في بيته وفي نفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض
بحكمك فاني لا ادري انما اعطيتني هبة فترتجعها او عارية او وديعة تستردها ولا ادري انه رزقي او سبقت مشيئتك
في الازل انه رزق غيري وكيفما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك ولا تسخطا به بل
جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي
ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت
فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة من الله جديدة وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او
فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله ذلك منه الا ليزيد في رزقه في الاخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه

وان نالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه كان كاذبا فى دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح
الزهد الا ممن لا ياسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما ياتى بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل
نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك
حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له فى دينه من حيث
انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه فى جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغى ان يجتهد حتى لا يصدق
نفسه فى دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة غرارة امارة بالسوء ومدعية للخير ● فان قلت فكيف
يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة ياكل فيها وكوز يشرب منه واناء يتوضأ
منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل
يده مال فيمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل
اخراج الكوز الذى يشرب منه والجراب الذى فيه زاده وانما ذلك فى الماكول وفى كل مال زائد على قدر الضرورة
لان سنة الله تعالى بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين فى زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة
فى كل يوم ولا فى كل اسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس شرطا فى التوكل ولذلك كان الخواص ياخذ فى السفر
الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين ● فان قلت فكيف
يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذى هو محتاج اليه ولا ياسف عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه
واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته فكيف لا يتاذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه
فاقول ● انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذا كان يظن ان الخيرة له فى ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة
له فيه لما رزقه الله تعالى ولما اعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير من الله تعالى وحسن الظن بالله مع ظنه ان
ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته فى ان يبتلى بفقد ذلك
حتى يتعب فى تحصيل غيره فيكون ثوابه فى التعب والنصب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص
تغير ظنه بالله تعالى لانه فى جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به ● فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة لى
كانت فى وجودها الى الآن وان الخيرة الآن لى فى عدمها لما اخذها منى فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن
اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب عنايته به ولطفا وهو كالمريض بين يدى الطبيب الشفيق يرضى بما يفعل
فان قدم اليه الغذا فرح وقال لولا انه عرف ان الغذا ينفعنى وقد قوى على احتماله لما قربه الى وان اخر عنه
الغذا بعد ذلك ايضا فرح وقال لولا ان الغذا يضرنى ويسوقنى الى الموت لما حال بينى وبينه وكل من لا يعتقد
فى لطف الله تعالى ما يعتقده المريض فى الوالد الشفيق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن
عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته فى اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدرى اى الاسباب
خير له كما قال عمر رضى الله عنه لا ابالى اصبحت غنيا او فقيرا فانى لا ادرى ايهما خير لى فكذلك ينبغى ان لا يبالى
المتوكل سرق متاعه او لم يسرق فانه لا يدرى ايهما خير له فى الدنيا ولا فى الآخرة فكم من متاع فى الدنيا يكون
سببا لهلاك الانسان وكم من غنى يبتلى بواقعة لاجل غناه حتى يقول يا ليتنى كنت فقيرا ○ والله تعالى اعلم

بيان اداب المتوكلين [illegible]

للمتوكلين اداب فى متاع بيته اذا خرج عنه ان يغلق الباب ولا يستقصى فى اسباب الحفظ ○
كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يغلق بابه
ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب لما شددته ابدا لا يترك فى البيت متاعا يحرص عليه
السراق فيكون هو سبب معصيتهم اذ امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن
دينار ركوة قال له خذها فلا حاجة لى اليها قال لم قال يوسوس الى العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز
من ان يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقته ولذلك قال ابو سليمان الدارانى هذا من ضعف
قلوب الصوفية هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من اخذها ان ما يضطر الى تركه فى البيت ينبغى
ان ينوى عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه فى حل
او فى سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو اولى فيكون له نيتان لو اخذه غنى ● احدهما
ان يكون ماله مانعا من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما ان
جعله فى حل ● والثانى ● ان لا يظلم مسلما اخر فيكون ماله فدا مال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره بماله
او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما
او مظلوما ونصرة الظالم بمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من
الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلى ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل
درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى من ترك العزل واقر النطفة قرارها فان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله وان كان
لم يولد له لانه ليس اليه فى امر الولد الا الوقاع واما الخلق والحياة والرزق والبقا فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه
على فعله وفعله لم يتعدم فكذلك امر السرقة انه اذا وجد المال فينبغى ان لا يحزن بل يفرح ان
امكنه ويقول لولا ان الخيرة لى كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله فى سبيل الله تعالى فلا يبالغ فى
طلبه واساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله فى سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى
الآخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله فى سبيل الله وان قبله فهو ملكه فى ظاهر العلم
لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين ● وقد روى ان ابن عمر رضى الله عنهما سرقت
ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال فى سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن
ان ناقتك فى مكان كذا او كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل الا تذهب فتاخذها فقال انى
كنت قد قلت فى سبيل الله ● وقال بعض الشيوخ رحمهم الله رايت بعض اخوانى فى النوم بعد موته فقلت ما
فعل الله تعالى بك قال غفر لى وادخلنى الجنة وعرض على منازلى فيها فرايتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين
فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس صعدا ثم قال نعم انى لا ازال حزينا الى يوم القيمة قلت ولم
ذلك قال انى لما رايت منازلى من الجنة رفعت لى مقامات فى عليين ما رايت مثلها فلما رايتها فرحت بها فلما

همت بدخولها فاذا امناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت وما امضا
السبيل فقيل لي قد كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا لك وحكى
عن بعض العباد بمكة انه كان قائما بجنب رجل معه هميانه وهو نائم فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال كم
كان فيه فذكره فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان من جامعه
فجاء هو واصحابه وردوا الذهب الى العابد فابا وقال خذوها حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل
الله فلم يقبل والحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصر لها صررا ويبعث بها الى الفقرا حتى لم يبق منها شيا فهكذا كان
اخلاق السلف رحمهم الله تعالى فكذلك من اخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد
اخراجه فيعطي فقيرا اخر وكذلك يفعل في الدراهم وساير الصدقات ومو اقل الدرجات ان
لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وان
بالغ في الدعا عليه بطل ايضا اجره فيما اصيب ففي الخبر من دعا على من ظلمه فقد انتصر • وحكى ان الربيع بن خثيم سرق
فرسه وكان قيمته عشرين الفا وكان قايما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاه قوم يعزونه فقال اما
اني قد كنت رايته وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة فالجعلوا
يدعون عليه قال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه • وقيل لبعضهم في شي كان قد سرق منه
الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل افرايت لو رده عليك قال لا اخذها ولا انظر
اليها لاني قد كنت احللتها له • وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا
يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا • واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق
في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله • وفي الخبر ان العبد ليظلم
المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له
من المظلوم ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب الله ويشكر الله تعالى اذ جعله
مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه لا نقصانا في دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه
قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما
نصحت للمسلمين • وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال له
اعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين ان يسال يوم القيمة ولا يكون له حجة • وقيل لبعضهم ادع على
من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه من الدعا عليه

اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش
والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصادة والحجامة وشرب الدوا المسهل وساير ابواب الطب اعني معالجة
الحرارة بالبرودة والبرودة بالحرارة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية • اما المقطوع
به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت • واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية

النفي في ملاحظة الاسباب وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة
عند الاطبا ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع به بل قد يكون افضل
من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به • اما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا له دواء عرفه
من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال تداووا عباد الله • وسيل عن الدوا والرقا هل يرد من قدر
الله تعالى شيا فقال هي من قدر الله تعالى • وفي الخبر المشهور ما مررت بملا من الملايكة الا قالوا امر امتك بالحجامة
وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين ولا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان التبيغ
سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب
وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء
على النار لاطفايها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة التوكل اصلا • وفي خبر مقطوع
من احتجم يوم الثلاثا لسبعة عشر من الشهر كان له دواء من داء سنة • واما امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية • وقطع لسعد بن معاذ رضي الله عنه عرقا اي فصده • وكوى سعد بن زرارة
وقال لعلي رضي الله عنه وكان به رمد العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق
شعير • وقال لصهيب وقد راه ياكل التمر وهو وجع العين اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل من الجانب الاخر فتبسم
صلى الله عليه وسلم • واما فعله فقد روي في حديث من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر
ويشرب الدوا كل سنة • وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها • وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع
راسه فكان يغلفه بالحنا • وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حنا وقد جعل على قرحة خرجت به
ترابا وما روي في تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر بعض العلما في الاسرايليات ان موسى صلى الله عليه وسلم اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرايل فعرفوا علته فقالوا
له لو تداويت بكذا لبرات فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا ان دواء هذه العلة
معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرا فقال لا اتداوى فاقامت علته فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي وجلالي لا
ابراتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرا فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى
الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك على من اودع العقاقير منافع الاشيا غيري • وفي خبر ان نبيا من الانبيا
عليهم السلم شكا علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض • وشكى نبي اخر الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن
فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع • وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم
ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد وتفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى
الولد • وقد كانوا يطعمون الحبالى السفرجل والنفسا الرطب فبهذا يتبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات
بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كساير الاسباب فكما ان الخبز دوا الجوع والما
دوا العطش فالسكنجبين دوا الصفرا والسقمونيا دوا الاسهال لا يفارقه الا في امرين • احدهما ان معالجة الجوع

والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفرا بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه
بالتجربة التحق في حقه بالاول • والثاني ان الدوا يسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط اخر في الباطن واسباب
في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما تفوت بعض الشروط فيبقى عنا الدوا عن الاسهال واما رواء
العطش فلا يستدعي شروطا كثيرة سوى الماء وقد يتفق من العوارض ما يوجبه وام العطش مع كثرة شرب الماء
ولكنه نادر واختلاف الاسباب بدا تحصر في هذين السببين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت
شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل
استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدوا فقد روي عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يا
رب ممن الدوا والشفا فقال تعالى مني قال فما تصنع الاطبا قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى ياتي
شفاي او قضي • فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر
الجالبة للنفع • واما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه • فان قلت • فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة
النفع • فاقول • ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات
للمحرورين • واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد
وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهي من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامر وهو انه
احراق بالنار في الحال مع الاستغنا عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دوا يغني عنه ليس فيه احراق
فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغنا عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما
بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد
عن التوكل • وروي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى
وكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات
فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من امر الملائكة • وقال
لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله بها فقد ردها علي بعدما كان اخذها بفقدها • فاذا الكي
وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مع ذلك مذموم فيدل ذلك على شدة
ملاحظته للاسباب وعلى التعمق فيها

[بيان ان ترك التداوي] قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

• اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن
قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله • وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا
فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد • وقيل لابي الدردا في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي
قال المغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني • وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما
قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سالت الله عز وجل ان يعافيك فقال اساله فيما هو اهم علي منهما • وكان الربيع
ابن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطبا

فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل رحمه الله يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق
ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وان كان به علل فلا يخبر المتطبب بها ابدا اذا ساله وقيل لسهل متى يصح للعبد
التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه
فاذا من ترك التداوي وراه فيهم كثرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا
بحصر الصوارف عن التداوي فيقول ان لترك التداوي اسبابا [السبب الاول] ان يكون المريض من المكاشفين وقد
كوشف بانه انتهى اجله وان الدوا لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وتخمين
وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال
لعايشة رضي الله عنها في امر الميراث انما هما اخواك واختاك وما كانت لها الا اخت واحدة ولكن كانت امراته
حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله وان
تداويه لا ينجع كما كوشف ايضا بانها اخته والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تداوى وامر به [السبب الثاني] ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه
فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول
وكلام ابي الدردا اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا
كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخايف يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذ قيل له الا تاكل وانت جايع فيقول انا
مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا على من اكل ويقرب من هذا اشتغال
سهل حيث قيل له ما القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقيل له انما سالناك عن القوام فقال القوام العلم
قيل له سالناك عن الغذا قال الغذا هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد فقال ما لك وللجسد دع من تولاه
اولا يتولاه اخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها
[السبب الثالث] ان تكون العلة مزمنة والدوا الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع
جار مجرى الكي والرقيه فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خيثم اذ قال ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين
ذلك كثيرا وفيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى اي ان الدوا غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه
وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في
ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب
التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد فهذا مستندهم لان نفع الدوا عندهم شي موهوم لا اصل
له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى
الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا [السبب الرابع] ان يقصد
العبد بترك التداوي استبقا المرض لينال ثواب المرضى بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة
على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا اشد
الناس بلاء ثم الامثل فالامثل فيبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان

في ايمانه ضعف خفف عليه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محرقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الصالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود رضي الله عنه تجد المؤمن اصح شي قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شي جسما وامرضه قلبا فلما عظم الثنا على المرض والبلا احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه وكان منهم من به علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدين مع الصبر على قضا الله تعالى افضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملايكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقد قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصايب والیه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وكان سهل رحمه الله يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرايض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يتعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضى بحاله افضل من التداوي للقوة والصلاة قايما وسيل عن شرب الدوا فقال كل من دخل في شي من الدوا فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شي منه فهو افضل لانه اذا اخذ شيا من الدوا ولو كان الما البارد يسل عنه لم اخذت ومن لم ياخذ فلا سوال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب لا اذا كان الدّغا لبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة

السبب الخامس

ان يكون العبد قد سبقت له ذنوب وهو خايف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة على العبد حتى يمشي على الارض كالدرة ما عليه خطية وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة لانها تهدم قوة سنة وقد قيل للانسان ثلثماية وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها ويجد من كل واحد المًا فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله تعالى وسال ذلك طايفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه فصبر لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلم لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض على جسده وماله لما يرجوا في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى عليه السلم نظر الى عبد عظيم البلا فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه بزوال ما به ارحمه الا به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته

السبب السادس

ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفايت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعوا الى المعاصي واقلها ان تدعوا الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصايب ولذلك قيل لا يخلو المومن من قلة او علة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس بهما من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس من الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغ ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي دا ادوى من المعصية ما عوفي من عصى الله وقال علي رضي الله عنه لما راى النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المومنين هذا يوم عيدهم فقال كل يوم لا يعصى الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي وقال كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون لعنه الله انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعماية سنة فلم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى رايد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف وقال تعالى ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض ويختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضين ثم لم يتب قال له ملك الموت يا غافل جاك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يمرضوا ولم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلوا المومن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب ببلية حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر الحمى حظ كل مومن من النار وفي حديث انس وعايشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون احد مع الشهدا يوم القيمة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ اخر الذين يذكرون ذنوبهم فيحزنهم ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوايد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلو قال قايل انما فعله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره والا فهو حال الضعفا ودرجة الاقويا توجب التوكل بترك الدوا فيقال فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان تلدغه العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه اذ الم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش ولدغ الجوع بالخبز ولدغ

علته م

البرد بالجنة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها
سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة رضي الله عنهم في قصة
الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان بها موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين
فقال بعضهم لا ندخل على الوبا فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر
الله عز وجل ولا نفر من الموت فنكون كمن قال تعالى فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال لهم الله
موتوا ثم احياهم فارجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوبا فقال له المخالفون
في رايه انفر من قدر الله تعالى قال عمر رضي الله عنه نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال
ارايت لو كان لاحدكم غنم نزل بها واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها
بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه وكان
غايبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن رضي الله عنه فساله عمر رضي الله عنه عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين
شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم الوبا في ارض فلا تقدموا عليه وان وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر رضي الله
عنه بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل
وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل فلم نهى عن الخروج عن البلد الذي
فيه الوبا وسبب الوبا في الطب الهوا واظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهوا هو المضر فلم لم يرخص فيه
فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر وترك التوكل في امثال هذا مباح
فلا يدل على المقصود ولكن الذي يقدح فيه والعلم عند الله تعالى ان الهوا لا يضر من حيث يلاقي ظاهر الابدان
بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كانت فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشا اثر
فيها بطول الاستنشاق ولا يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن والخروج من البلد لا يخلص
غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما
ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر اخر
وهو انه لو رخص للاصحا في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا
المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الما ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهم بانفسهم فيكون ذلك
سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحا منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعا بالموت ولو
خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمومنون
كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى ساير اعضايه فهذا هو الذي يقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا
فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يوثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا
مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم ربما كان يقدح استحباب الدخول هاهنا لاجل الاعانة ولا ينهى
عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في

بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها
وينظر الى ظواهر الاخبار والاثار يتناقض عنده ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا يكثر وانما شرف العلم
وفضيلته لاجل ذلك وان كان في ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه
طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين
لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى الادوية من
لطايف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقا وكان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي شغله عن
حاله لضعفه عن الجميع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض
الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كانت
حاله تقتضي ان يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال
الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا حاله لم يضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال
كراهة له وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستوا الحجر والذهب
اكمل من الهرب عن الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استوا المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه ليعلم
الخلق مقام الزهد لانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه اعلا رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه
خزاين الارض فابى ان يقبلها فلذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها بمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك
استعمال الدوا جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال
فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث روية الدوا نافعا دون خالق الدوا وهذا قد نهي عنه ومن
حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمومن في غالب الامر لا يقصد ذلك
واحد من المومنين لا يرى الدوا نافعا بنفسه بل من حيث جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الما مرويا ولا الخبز
مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فان اكتسب للاستعانة على الطاعة او المعصية كان له حكمهما
وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض
الاحوال وان التداوي قد يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات
وان واحدا من الفعل او الترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات بالكي والرقا فان ذلك تعمق في
التدبير لا يليق بالمتوكلين
اعلم ان كتمان المرض واخفا الفقر وانواع البلا من كنوز البر وهو من اعلا المقامات لان الرضا بحكم الله او
الصبر على بلايه معاملة بين العبد وبين الله تعالى فكتمانه اسلم عن الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به
اذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار ثلثة ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى
ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان
بشر رحمه الله يصف لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف

قدرة الله تعالى في ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة يشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقال الحسن البصري رحمه الله اذا حمد المريض الله تعالى وشكر ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسب ما يليق بالقوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روى انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف انت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والصرامة وتادب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له لقد سالت الله تعالى البلاء فاسال الله تعالى العافية فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال عن الفقير الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة التسخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى فان خلت عن قرينة التسخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع فيزيد في الوصف عن الموجود من العلة ومن يترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه الصلاة والسلام ما اذهب بصرك قال مرور الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت للشكوى الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروى عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب عليه السلام الا انينه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى تعالى الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى عليه بخير دعوا له وان شكى وذكر شرا قالا له كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب وبشر وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خير النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين تم كتاب التوحيد والتوكل

كتاب المحبة والانس والشوق والرضا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الايس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غريقا في بحر معرفته وحريقا بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى اله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادته

اما بعد فان المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضى واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والتوبة والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة غير الله عز وجل ثم بيان ان اعظم اللذات النظر في الاخرة الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى العبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع للحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب لله تعالى واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله عز وجل من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية فانما اجرى ذلك في معرض التهديد والانكار وقد امر صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله تعالى ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك قال استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال لملك الموت عليه السلام اذ جاءه يقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله عز وجل اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الان فاقبض وهذا لا يجده الا عبد

يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقا انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الى من الماء البارد • وجاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال له صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك • وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر • وقال الحسن من عرف ربه احبه • ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن • وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله تعالى خلقا لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا • ويروى ان عيسى صلى الله عليه وسلم مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الخوف من النار فقال حقا على الله ان يؤمن الخايف ثم جاوزهم الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حقا على الله عز وجل ان يعطيكم ما ترجون • ثم جاوزهم الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله عز وجل فقال انتم المقربون • وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قايم في الثلج فقلت له اما تجد البرد فقال من شغله حب الله تعالى لم يجد الم البرد • وعن سري السقطي قال تدعا الامم يوم القيمة بانبيايهم عليهم السلام فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اوليا الله هلموا الى الله سبحانه وتعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا • وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحسره في الدنيا ويروحه في الاخرة • وقال يحيى بن معاذ عفو الله يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه • وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا • وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الى الله تعالى من عبادة سبعين سنة بلا حب • وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنايك مشغول بثنايك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال صبرا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك • ولما طر شاربي ولاح طايري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا • وقد اعتدت هذا منك صغيرا • فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة • لاني احبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف • وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والاثار ما لا يدخل في حصر حاصر • وذلك امر ظاهر • فاما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى • فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلايمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويولمه والى ما لا يوثر فيه بايلام ولا لذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فان كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشي الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا • والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته • الاصل الثاني • ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروايح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعل قرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم ان لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النسا محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس فقط دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشاركه فيها البهايم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل واما بالنور واما بالقلب وبما شيت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصيرة الظاهرة والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور في درجة البهايم فلم يجاوز ادراكه الحواس اصلا • الاصل الثالث • ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفا حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك الذات والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها • وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملايم للمحب واي شي اتم ملايمة له من نفسه ودوام وجوده واي شي اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب ولا عقاب

لم يرض به وكان كارهًا لذلك ولا حب الموت والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحياة ومهما كان مبتلا ببلاء فمحبوبه
زوال البلا فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلا فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود
محبوب وكما ان دوام الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم
بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود
كما انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة
في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه
ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف
عليها والمال محبوب لانه ايضا اله في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشيا
لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ في دوام
الوجود بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه
لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن ان يطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين
قتله وقتل ولده لان بقاءه ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته
يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كبيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب
الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حي
ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب

السبب الثاني

الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها حتى قال
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه
وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة
وهذا اذا حقق يرجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود
وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيا الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال
وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب
الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء فنفرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ
الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب
ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير
محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة
والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من احب المحسن لاحسانه ما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه
وهو فعل من افعاله بل لو زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان
بحسب زيادة الاحسان ونقصانه

السبب الثالث

ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه
وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن

فان

فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة
لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى
قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك
والخضرة والماء الجاري محبوبة لا ليشرب الماء ولا لتوكل الخضرة او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية وكان صلى
الله عليه وسلم تعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار
والطيور المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عن الغموم بالنظر اليها لا لطلب
حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر
كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله تعالى جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال
صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال [illegible] في بيان معنى الحسن والجمال اعلم
ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل
وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان
الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا
متشكلا ولا متلونا ولا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا
خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول
هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز فاي معنى لحسن الصوت
والخط وسائر الاشيا ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن
تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن
الذي تشترك فيه هذه الاشيا لا بد فيه من البحث عنه وهذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه
فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر كماله الممكن اللائق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة
حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي
جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق
بالخط من تناسب الحروف وموازنتها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق
بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن
به الصوت ولا يحسن الاواني بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الاشيا [illegible] فهذه الاشيا
وان لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسة
وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك
بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة
حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم
والمروة وسائر خصال الخير وشيء من هذه الصفات لا تدرك بالحواس الخمس بل تدرك بنور البصيرة الباطنة

وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان
الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي
وابي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع
امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في
نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم
يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته
الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة
بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها
الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره
ويحب عليا رضي الله عنه ويفضله على غيره ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم
والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه
وشكله اذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي
هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها
الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خصال الخير يتشعب عن هذين
الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي
لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال محبوب موجود في السير ولو صدرت
السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة
والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحس حتى ان الصبي
المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه
بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه
فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض ابي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن
والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف حاتم بالسخاوة ووصفوا عليا رضي الله عنه بالشجاعة احبتهم القلوب
حبا ضروريا وليس ذلك عن صورة محسوسة ولا عن حظ ينال المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض
اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين
لبعد المزار وتنائي الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان
لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل كمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما
وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا
يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كانت حبه
للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة

وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة

السبب الخامس

المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب
اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد وصفنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب
في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذا رجعت اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب
الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه • وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات
عنه • وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه • وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان
من الصور الظاهرة او الباطنة • وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب
في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير
محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب
قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجة الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات
فلنبين الان ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله

بيان ان المستحق للمحبة هو الله وحده

فان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب الرسول
محمود لانه عين حب الله تعالى وكذا حب العلماء والانبياء لان محبوب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل
فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان يرجع
الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره الا احادها وانها
حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف
لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد
غير الله تعالى • فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه
ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من
عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته من دوام وجوده وكمال وجوده من
الله عز وجل وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق
الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته
بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه
بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقه وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه
قوام الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد
من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه
ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها
وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان

يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة
الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى هو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور
بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الاشيا تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع لوجود الشمس ووجود
الظل تابع للشخص بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ يخيلون ان النور اثر الشمس وفايض منها
وموجود بها وهو خطا محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من
قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها
وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقايق فاذا ان كان
حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته ظاهره وباطنه وجواهره
واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وبشهواته وذهل
عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاركه
فيه البهايم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطا ارضه الا من يضرب الى شبه من الملائكة
فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى عالم البهايم   واما السبب الثاني
وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعدايه وقام بدفع
شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة
عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط
واما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها اذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا
بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض في ان من انعم عليك بجميع خزاينه ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء
فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به بماله وقدرته على المال وبداعيته الباعثة
له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك الله
وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة
من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا
مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن اليك هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة
المرهقة الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار المجرى
للماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت
جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه   اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوق
لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار والثناء والصيت
والاشتهار بالسخا والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا
غرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان لا غرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست

مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل له غرضه من الذكر والثنا والشكر والثواب بسبب قبضك المال فقد
استسخرك في القبض للتوصل الى غرضه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده
من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحمد من وجهين
احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا
بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على
مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلمه فكذلك كل محسن لو خلاه ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط
الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه في دينه ودنياه في بذله فبذله لذلك   والثاني انه معتاض عما
بذله حظا هو اوفى عنده واوفر واحب مما بذله فكما لا يعد البايع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده من بذله
فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثنا وعرضا آخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ
كلها اعواض فيستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض
وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ
وغرض يرجع اليه لانه متعال عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب
المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده   واما غيره
فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته   واما السبب الثالث وهو حبك للمحسن
في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك مترهب عالم عابد
عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر
ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب
ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع
طمعك عن التوصل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهو ايضا
مما يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا انه من حيث انه يتعلق منه بسبب فان الله تعالى
هو المحسن الى الكافة المتفضل على جميع اصناف الخلايق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضا والاسباب
التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان
الضرورة   ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوايد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم
ومثال الضروري من الاعضا الراس والقلب والكبد   ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال
الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم ينخرم به حاجة ولا ضرورة
ومثال الضرورة من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذا   ومثال الحاجة الدوا واللحم والفواكه
ومثال المزايا والزوايد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذايذ الفواكه والاطعمة التي لا
ينخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من
اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من

حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق اسباب الاحسان فالحب لهذه العلة ايضا
لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب لهذه العلة الا الله تعالى واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال
لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان ذلك الجمال ينقسم الى جمال الصور الظاهرة
المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان
والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب لا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكل جمال
هو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب في القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبيا
والعلما وذوي المكارم السنية والاخلاق الرضية فان ذلك يتصور مع تشوش صورة الوجه وساير الاعضاء وهو
المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس اثاره الظاهرة الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا
دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن احب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي
رحمه الله فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات
التي هي مصدر الافعال اذ الافعال اثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر
بل حسن نقش النقاش وبناء البنا انكشف له من هذه الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث
الى العلم والقدرة وكل ما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العالم اشرف واجمل وكذا المقدور فكلما كان اعظم
رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن العلوم واشرفها
معرفة الله عز وجل وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم
القلوب طبعا يرجع الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله تعالى وملايكته ورسله وشرايع انبيايه والثاني قدرتهم
على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذايل والخبايث والشهوات
الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبيا والخلفا والعلما والملوك الذين هم
اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى
الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق
كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسما على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق
نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلايق كلهم
فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة
وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب لهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلما جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف
اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن
علم ما تقتضيه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلايق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلق واجهلهم
لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان يناله الاجهل بالكسب والاجتهاد
وفضل علم الله سبحانه على علوم الخلايق كلها خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية
واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلا فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى

ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما او غيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلايهما على الاقران
فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في
القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة
واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبايث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة
غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانسان في بعض الامور وهو مع
ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس
واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا
عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها
ونباتها وحيوانها وجميع اجزايها فلا قدرة له على ذرة منه وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من
نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى
شخص من الحيوان لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين انا مكنا له في
الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله عز وجل في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام
العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله تعالى
وتمكينه فيستحيل ان يحب عبد من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلايه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى الذي
لا حول ولا قوة لاحد الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض
وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه
ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقهم ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر
من اثار قدرته فله الجمال والبها والعظمة والكبريا والقهر والاستيلا فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا
يستحق الحب لكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقايص والتقدس عن الرذايل والخبايث
فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبيا والصديقون وان كانوا منزهين
عن العيوب والخبايث فلا يتصور كمال التقديس والتنزيه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام
واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقايص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عين العيب والنقص فالكمال لله عز
وجل وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل
درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقايما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص
المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقايص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفة
فلا نطول بهذا فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا
بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس
واصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد
الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشا

ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض القاهر
الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا
اول لوجوده الابدي الذي لا اخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي
يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المتفرد بالعزة والجبروت
المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي يتحير في معرفة جلاله
العقول ويخرس في وصفه الالسن الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء
الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وقال سيد الصديقين سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فالعجز عن درك الادراك ادراك
فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد
ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع
عند من ادركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى
الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم
يترددون • يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون • والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون • والحب بهذا
السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم ان اود الاوداء الي
من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها • وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن
اهلا ان اطاع • ومر عيسى عليه السلم على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا
خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم
امرت ان اقيم • وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير
السوء ان لم يعط لم يعمل • وفي الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف
لم يعمل • واما السبب الخامس للمحبة المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل
ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير يالف الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن خلاف نوعه وانس العالم بالعالم
اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد له التجربة وتشهد له الاخبار
والاثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله تعالى من كتاب اداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة
سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا لا يطلع عليه
كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال كما اشار صلى الله عليه وسلم اذ قال
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو
التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المناسبة في الصور والاشكال بل
الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليها السالكون
للطريق اذا استكملوا شروط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء

والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي صفات الالهية من العلم
والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير
ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات • واما ما لا يجوز ان
يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الادمي فهي التي يومي اليها قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق اذ لم يستحق داود خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
ادم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى الله رب
العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلم مرضت فلم تعدني فقال وكيف
ذلك قال مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل
بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع
به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى
قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال
بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى صلى الله عليه وسلم فقالوا هو الاله وقال اخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت
وقال اخرون اتحد به • واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم
مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون • ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل

• لا زلت انزل من ودادك منزلا • تتحير الالباب عند نزوله •

فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت وبقيت اصولها حتى تقطعت قدماه وتورمت ومات منه
وهذا هو اعظم الاسباب في الحب واقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعلومة من اسباب الحب
وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر
حب الله تعالى فقط كما كان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب
يتصور ان يحب غيره لمشاركته في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب
الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي
نهاية الجمال والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا
يتطرق النقصان الى حبه كما لا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم
فيه اصلا

بيان [illegible]

اعلم ان هذه اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها
بمقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا ولا هزلا بل خلقت كل قوة وغريزة لامر
من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام

الذی هو مقتضی طبعها وغریزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصیل الغذا الذی به القوام فلاجرم لذتها فی نیل الغذا
الذی هو مقتضی طبعها وکذلک لذة السمع والبصر والشم فی الابصار والاستماع فلا تخلوا غریزة من هذه الغرایز من الم
ولذة بالاضافة الی مدرکاتها فکذلک فی القلب غریزة تسمی النور الالهی لقوله تعالی افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علی
نور من ربه وقد تسمی العقل وقد تسمی البصیرة الباطنة وقد تسمی نور الایمان والیقین ولا معنی للاشتغال بالاسامی فان
الاصطلاحات مختلفة والضعیف یظن ان الاختلافات واقع فی المعانی لان الضعیف یطلب المعانی التی لیست متخیلة ولا
محسوسة فادراک خلق العالم وافتقاره الی الخالق قدیر حکیم موصوف بصفات الالهیة ولنسم تلک الغریزة عقلا
بشرط ان لا یفهم من لفظ العقل ما ندرک به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفیة
والا فالصفة التی فارق الانسان بها البهایم وبها یدرک معرفة الله عز وجل اعز الصفات فلا ینبغی ان تذم وهذه الغریزة
خلقت لیعلم بها حقایق الامور کلها فمقتضی طبعها المعرفة والعلم وهی لذتها کما ان مقتضی طبع سایر الغرایز هی لذتها ولیس
یخفی ان فی العلم والمعرفة لذة حتی ان الذی ینسب الی العلم ولو فی شیء خسیس یفرح به والذی ینسب الی الجهل ولو فی شیء
حقیر یغتم به وحتی ان الانسان لا یکاد یصبر علی التحدی بالعلم والتمدح به فی الاشیا الحقیرة فالعالم بالشطرنج علی
خستها لا یطیق السکوت عن العلم به وینطق لسانه بذکر ما یعلمه وکل ذلک لفرط لذة العلم وما یستشعر من کمال ذاته
به فان العلم من اخص الصفات الربوبیة وهو منتهی الکمال ولذلک یرتاح الطبع اذا اثنی علیه بالذکا وغزارة العلم لانه
یستشعر عند سماع الثنا کمال ذاته وجمال علمه فیعجب بنفسه ویلتذ به ثم لیس لذة العلم بالحراثة والخیاطة کلذة
العلم بسیاسة الملک وتدبیر امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر کلذة العلم بالله تعالی وصفاته وملایکته وملکوت
السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتی ان الذی یعرف بواطن احوال
الناس ویخبر بها یجد لذة وان جهله فیتقاضاه طبعه ان یفحص عنه فان علم بواطن احوال رییس البلد واسرار تدبیره
فی ریاسته کان ذلک الذ عنده واطیب من علمه بباطن حال فلاح او حایک فان اطلع علی اسرار الوزیر وتدبیره وما هو
عازم علیه فی امر الوزارة فهو اشهی عنده والذ من علمه باسرار الرییس فان کان خبیرا بباطن اسرار الملک والسلطان
الذی هو مستولی علی الوزیر کان ذلک اطیب عنده والذ من علمه بباطن امر الوزیر وکان تمدحه بذلک وحرصه علی
البحث عنه اشد وحبه له اکثر لان لذته فیه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف
المعلوم فان کان فی المعلومات ما هو الاجل والاکمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطیبها
ولیت شعری هل فی الوجود شیء اجل واعلی واشرف واکمل واعظم من خالق الاشیا کلها ومکملها ومزینها ومدبرها ومبدیها
ومعیدها ومرتبها وهل یتصور ان یکون حضرة فی الملک والکمال والجمال والبها والجلال اعظم من الحضرة الربوبیة
الذی لا یحیط بمبادی جلالها وعجایب احوالها وصف الواصفین فان کنت لا تشک فی ذلک فلا ینبغی ان تشک فی ان
الاطلاع علی اسرار الربوبیة والعلم بترتیب الامور الالهیة المحیطة بکل الموجودات فهو اعلا انواع المعارف
والاطلاعات والذها واطیبها واشهاها واحری ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به کمالها وجمالها واجدر ما یعظم
به الفرح والارتیاح والاستبشار وبهذا یتبین ان العلم لذیذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالی وصفاته وافعاله وتدبیره
فی مملکته من منتهی عرشه الی تخوم الارضین فینبغی ان یعلم ان لذة المعرفة اقوی من سایر اللذات اعنی لذة الشهوة والغضب

ولذة

ولذة سایر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع اولا کمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الریاسة
وهی مختلفة بالضعف والقوة کمخالفة لذة الشبق المغتلم الی الجماع بالاضافة الی لذة الفاتر الشهوة وکمخالفة لذة الوجه
الجمیل البالغ الجمال بالاضافة الی ما دونه فی الجمال وانما یعرف اقوی اللذات بان یکون مؤثرا علی غیرها فان المخیر
بین النظر الی صورة جمیلة والتمتع بمشاهدتها وبین استنشاق روایح طیبة اذا اختار النظر الی الملاح علم به ان
الصورة الجمیلة عنده الذ من الروایح الطیبة وکذلک اذا احضر الطعام وقت الاکل واستمر اللاعب بالشطرنج علی
اللعب وترک الاکل فیعلم به ان لذة الغلبة فی الشطرنج اقوی عنده من لذة الاکل فهذا معیار صادق فی الکشف عن
ترجیح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الی ظاهرة کلذات الحواس الخمس والی باطنة کلذة الریاسة والغلبة والکرامة
والعلم وغیره اذ لیست هذه اللذة للعین ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعانی الباطنة اغلب علی ذوی
الکمال من اللذات الظاهرة فلو خیر الرجل بین لذة الهریسة والدجاج المسمن واللوزینج وبین لذة الریاسة وقهر الاعدا
ونیل درجة الاستیلا فان کان المخیر خسیس الهمة خبیث القلب شدید البهیمة اختار الهریسة والحلاوة وان کان
عالی الهمة کامل العقل اختار الریاسة وهان علیه الجوع والصبر عن ضرورات القوت ایاما کثیرة فاختیاره الریاسة
یدل علی انها الذ عنده من الهریسة والمطعومات نعم الناقص الذی لم تکمل معانیه الباطنة بعد کالصبی او الذی ماتت
قواه الباطنة کالمعتوه لا یبعد ان یؤثر لذة المطعومات علی لذة الریاسات وکما ان لذة الریاسة والکرامة اغلب
اللذات علی من جاوز نقصان الصبی والعته فلذة معرفة الله تعالی ومطالعة جمال الحضرة الربوبیة والنظر الی اسرار
الامور الالهیة الذ من الریاسة التی هی اعلا اللذات الغالبة علی الخلق وغایة العبارة عنه ان یقال فلا تعلم نفس
ما اخفی لهم من قرة اعین وانه اعد لهم ما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر وهذا الان لا یعرفه الا
من ذاق اللذتین جمیعا فانه لا محالة یؤثر التبتل والتفرد والفکر والذکر وینغمس فی بحار المعرفة ویترک الریاسة
ویستحقر الخلق الذین یرؤسهم لعلمه بفنا ریاسته وفنا من علیه ریاسته وکونه مشوبا بالکدورات التی لا یتصور الخلو عنها
وکونه مقطوعا بالموت الذی لا بد من اتیانه مهما اخذت الارض زخرفها وازینت وظن اهلها انهم قادرون علیها
فیستعظم بالاضافة الیها لذة معرفة الله تعالی ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملکته من اعلا العلیین
الی اسفل السافلین فانه خالیة عن المزاحمات والمکدرات متسعة للمتواردین علیها لا تضیق عنهم لکثرتهم وانما
عرضها من حیث التقدیر السموات والارض فاذا اخرج النظر عن المقدورات فلا نهایة لعرضها فلا یزال العارف
بمطالعتها فی جنة عرضها السموات والارض یرتع فی ریاضها ویقطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه
الجنة غیر مقطوعة ولا ممنوعة ثم هی ابدیة سرمدیة لا یقطعها الموت اذ الموت لا یهدم محل معرفة الله تعالی
اذ محله الروح الذی هو امر ربانی سماوی انما الموت یغیر احوالها ویقطع شواغلها وعوایقها ویخلیها من حبسها
فاما ان یعدمها فلا ولا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله امواتا بل احیا الایة ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول فی
المعرکة فان للعارف بکل نفس درجة الف شهید وفی الخبر ان الشهید لیتمنی فی الاخرة ان یرد فی الدنیا لیقتل مرة
اخری لعظم ما یراه من ثواب الشهادة وان الشهدا یتمنون لو کانوا علما لما یرونه من علو درجة العلما فاذا جمیع اقطار
ملکوت السموات والارض میدان العارف یتبوأ منها حیث یشاء من غیر حاجة الی ان یتحرک الیها بجسمه وشخصه فهو

من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا
انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في
الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى عند ذوي الكمال من لذة الحواس كلها وان هذه اللذة
لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون
الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سماواته واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص
بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه
لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين
لانه فقد الصفة التي بها يدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلمت حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين
وعند هذا لا ينبغي الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية قد
استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف
وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله تعالى وقد انكشف له
من اسرار ملك الله تعالى ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب
من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا
القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه وتعالى الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا
ليس يشغلهم عن الله خوف النار ورجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخي له اخبرني
يا ابا محفوظ اي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع من الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال
ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته
انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا • وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا
في طلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عما سواه • وراى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم بعد موته فقال ما فعل ابو نصر
التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي
في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه • وعن علي بن الموفق انه قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا
قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة
يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص
ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته
بل حبا له فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيامة • وذكر ان الاخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمان
الداراني رحمه الله تعالى من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا
مشغول بربه • وقال الثوري رحمه الله لرابعة رحمها الله ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا
لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه • وقالت في معنى هذا نظما •

• احبك حبين حب الهوى • وحبا لانك اهل لذاكا •

• فاما الذي هو حب الهوى • فشغلي بذكرك عمن سواكا •
• واما الذي انت اهل له • فكشفك للحجب حتى اراكا •
• فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي • ولكن لك الحمد في ذا وذاكا •

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظها العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب
لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم
حيث قال حاكيا عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقد تتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفا قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله
فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب • وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا
بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم ويرون ما يقوله جنونا او كفرا
فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم منها واذا حصلت انمحقت
الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة
لم يلتفت اليها لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف
يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة وشكل واي معنى لوعد الله تعالى عباده به وذكره انه اعظم النعيم
بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة في الشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم •

• كانت لقلبي اهواء مفرقة • فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي •
• فصار يحسدني من كنت احسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي •
• تركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي •

• ولذلك قال بعضهم •

• وهجره اعظم من ناره • ووصله اطيب من جنته •

وما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع
الحواس • واما القلب فلذته في معرفة الله وفي لقاء الله فقط • ومثال اطوار الخلق في لذاتهم مثال ما ذكرناه
من ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من
سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب • ثم يظهر بعده لذة
الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر
لذات الدنيا واعلاها قال الله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم الاية ثم بعد هذا
تظهر غريزة اخرى يدرك بها معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متاخر فهو اقوى
وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين
وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة
النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤسا يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون

يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة
المتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة
والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غمض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ثم اذا فتح العين وابصر
ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما
الافتراق لمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت
الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رأى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احد الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف
فاذا الخيال هو اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه
غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا استحق ان
يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها
درجتان احداهما اول والثاني استكمال لها وبين الثاني والاول من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح
ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان
الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف
بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل
بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما
غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه
الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سببه حجابا يطول ولا يليق بهذا
العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام لن تراني وقال لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات
الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدا وكانت كالمرآة التي قد
فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ
بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار
عرضا يقلع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة
خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة الاف سنة ولن تخلو نفس عن هذا العالم
الا وتصحبها غبرة وكدورة وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة بالصدور منها فاذا اكمل الله
تعالى تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره وفاز
استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع عليه احد من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك
يصعد بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لانه يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى

له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي
هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك
مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة
تراه في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح فتنقلب
مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال
في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها
وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي
المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة
هي البذر التي تنقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذر زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم
يزرع البذر فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة
كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة
الى اختلاف البذور اذ تختلف لا محالة بقلتها وكثرتها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة
ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر رضي الله عنه
بل لا يجد الا عشر عشيره ان كان معرفته في الدنيا عشر عشير معرفة ابي بكر رضي الله عنه ولما فضل الناس بسر وقر
في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى
من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح
والماكول والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع
نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع
على اسرار الربوبية على المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة رضي الله عنها ما تقولين
في الجنة فقالت الجار قبل الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة فكل من لم يعرف الله في الدنيا
فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة اذ ليس يستانف لاحد في
الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا فلا يحصد احد الا ما يزرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش
عليه فما صحبه من المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها فقط الا انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطا فتتضاعف اللذة
به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيب
الجنة ان لكل احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة
بقدر حب الله تعالى وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادة هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت
فلذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كانت اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة
فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة

صارفة للخلق عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلايق الدنيا فكيف يدرك لذتها
والعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذتهم هذه
اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق
روايح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال
فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب ● احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر
الى الاجمل اكمل لا محالة ● والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت
شهوته وحبه ● والثالث كمال الادراك فليس الالتذاذ برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه
بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حايل كادراكه مع التجرد ● والرابع اندفاع
العوايق المشوشة والالام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخايف المذعور
او المريض او المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق
على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة
لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجاءة حالة انهتك بها الستر واشرق بها على الضوء واندفعت عنه
المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة
حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم لذة نسبة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال
به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة
والحب مثال القصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملأ الاعلى والتفاتها الى اسفل السافلين وهي مثل قصور
الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور ● فالعارف وان قوي في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه
المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة ● نعم قد تضعف هذه العوايق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من
جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم
بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة كاينة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه
اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون وكل ما انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من ينتظر زيادة استكمال في الآخرة
فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة بكنه جلال الله تعالى محال وكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وافعاله
واسرار مملكته وكثرت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر
الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل السعادات
طول العمر في طاعة الله تعالى لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع
عن علايق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك لا محالة زمانا فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا في المعرفة
بالغا الى منتهى ما يتيسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر وراى نفسه مقصرا عن ما
يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما ساير الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان

اتسعت

اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة والجهل والغفلة مغرس
كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية
ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من ساير اللذات عند ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند
اهل النقصان كما لم تكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان ● فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين في
الآخرة ● فاعلم ان الناس اختلفوا فيه وارباب البصاير لا يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا
يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته هل تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد
الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين او غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة
فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور على احد الامرين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع
ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ الواردة في الشرع يجري على ظاهرها اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا
بضرورة

اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله ودرك سعادة لقائه وما اعظم
نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم
ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى
في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة ● واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار
الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين ● احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير الله
من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في
ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب
الله تعالى وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبقوله الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا
محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك
قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الى الله الهوى وقال صلى الله
عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغير الله فيكون
الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه
وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه
حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى في اسباب
حب الله في القلوب موقوف حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين
والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب
الله تعالى بسببه فبقدر ما انس من الدنيا فينقص انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الآخرة
بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امراته الا ويضيق

قلب ضرتهما فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين
وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجا كما ذكرناه من المقامات
كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجا فهي مقدمات يكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن ذكر غير الله واوله الايمان
بالله واليوم الاخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجا ويتشعب منهما التوبة والصبر عليها ثم ينجر ذلك الى الزهد
في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة
الله تعالى وحبه فيه فكل ذلك مقامات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة

قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل القلب الدنيا وعلايقها
يجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تطهيرها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة
والمعرفة هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما
واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة
وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما
العلم بكيفية العمل فانه يراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الاخر وانما الاول علم المعاملة وغرضها العمل وغرض المعاملة
صفا القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها
المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه
حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل
الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدايم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وملكوت
سمواته وساير مخلوقاته والواصلون الى هذه المرتبة ينقسمون الى الاقويا ويكون اول معرفتهم بالله تعالى ثم به يعرفون
غيره والى الضعفا فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك
انه على كل شي شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت
ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية وبقوله
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله الذي خلق سبع سموات
طباقا الاية وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القران عند الامر بالتدبر
والتفكر والاعتبار والنظر في ايات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به
على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق على ساير الخلق فهو غامض
والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق ولا فايدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن
حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر
هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلا السموات الى تخوم الارضين
الا وفيها عجايب وايات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى

بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي الاية فالخوض فيه انغماس في بحر علوم المكاشفة فلا
يمكن ان نتطفل به على علوم المعاملة ولكن نومي الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول اسهل الطرق
النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر
في عجايبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملايكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث
الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض ماية ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض
بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في
السما الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في
العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض
بالاضافة الى البحار فقد قال صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرفته المشاهدة
والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الادمي المخلوق
من التراب الذي هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات والى صغرها بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك
فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراها فانظر الى البعوض على صغر قدره وتامله بعقل حاضر
وفكر صاف وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق
له على شكله الصغير ساير الاعضا كما خلقه للفيل بزيادة جناحين فانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحيه
واخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضا الغذا والاته ما دبره في ساير الحيوانات وركب
فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في ساير الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم
انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذايه وعرفه ان غذاءه من دم الانسان ثم انظر كيف انبت له الة الطيران
الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع
خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع
دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في ساير اجزايه ويغذيه ثم انظر كيف عرفه ان
الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال الته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد
وهي بعد بعيدة فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع
غذايه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل حدقته الاجفان لصغرها وكانت
الاجفان مصقلة لمراة الحدقة عن الكدورات والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فانظر الى الذباب فتراه على الدوام
يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر وجوانبها
حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين
على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع
دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل
باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهو يطلب ضوء النهار فاذا راى

المسكينة السراج بالليل ظن انه فى بيت مظلم وان السراج كوة فى البيت فيجرى الى الموضع المضى فلا يزال يطلب الضوء ويرمى نفسه الى الكوة فاذا جاوزها ورأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليها مرة اخرى الى ان يحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمى فى الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش فى التهافت على النار اذ يلوح للادمى بارقة من انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدرى ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمى نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الادمى كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء اذا احترقت تخلصت فى الحال والادمى يبقى فى النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجائب صنع الله تعالى فى اصغر الحيوان وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهها لعجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها واما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله تعالى وفى كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصها لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل وعجائبه وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والاخر شفاء ثم لو تاملت عجائب امرها فى تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها وهو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله له اميرها من العدل والانصاف بينهم حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا فى نفسك من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معادات اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبنى بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية فى شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركه وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منه فان المربع يخرج منها زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل فى الاشكال ذوات الزوايا بالقرب فى الاحتواء من المستدير ثم يتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهمه الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده الى ما هو محتاج اليه ليتهنا عيشه فسبحان ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك ملكوت السموات والارض فان القدر الذى بلغه فهمنا القاصر منه تنقضى الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلماء والانبياء ولا نسبة الى ما احاط به علم الخلائق كلهم الى ما استاثر الله تعالى به بالاضافة اليه بل كلما عرفه الخلائق لا يستحق ان يسمى فى جنب علم الله تعالى فبالنظر فى هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله عز وجل فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر فى الذكر الدائم والفكر اللازم فعسى تحظى بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا اخر له

بيان السبب فى تفاوت الناس فى المحبة

اعلم ان المؤمنين مشتركون فى اصل الحب لاشتراكهم فى اصل المحبة ولكنهم يتفاوتون لتفاوتهم فى المعرفة وفى حب الدنيا اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من معرفة الله تعالى الا الصفات والاسما التى قرعت سمعهم فتلقوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معان فاسدة يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل امنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون وقد ذكر الله جل جلاله حال الاصناف الثلاثة فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول اصحاب الشافعى مثلا يشتركون فى حب الشافعى العوام والفقهاء لانهم يشتركون فى معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامى يعرف علمه مجملا والفقيه يعلمه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فمن راى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى تصنيفا احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل فى الشاعر انه حسن الشعر فيحبه اذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل فالعامى قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدرى ما فى التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى فيه حتى يرى فى البعوض مثلا من عجائب صنعه ما يبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته فى قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على اعاجيب صنع الله اطلاعا استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة اعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة فى الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التى ذكرها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه فى حالة البلاء كحبه فى حالة الرخاء والنعماء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله سبب تفاوت الناس فى المحبة والتفاوت فى المحبة هو التفاوت فى سعادة الاخرة ولذلك قال الله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا صدق الله العظيم

بيان السبب فى قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى فكان هذا يقتضى ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا يفهم الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلا عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلى عندنا من غير ان يتعلق حس

البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان تعرف حياته وقدرته وارادته
الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح
ووجود الله تعالى وعلمه وقدرته وسائر صفاته تشهد له بالضرورة وكل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة
من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا
واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشيا في علمنا انفسنا
ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد
واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها
ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد
له الا شاهد واحد وهو ما احسسناه من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا
وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة من ذرات العالم فانها تنادي بلسان حالها انه ليس
وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها تشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا
ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بنفسها
كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف
عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فاذن ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه
وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره
ولكن لشدة ظهوره فان ابصار الخفافيش ضعيفة يبهرها نور الشمس اذا اشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع
ابصاره فلا يرى الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره وكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية
الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره
سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب
الظهور فان الاشيا تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشيا فدل بعضها
دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق
على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق ولا
غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهو السواد والبياض وغيرها فانا لا نشاهد في الاسود الا
السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين
الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور
بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام
والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف
يتصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشيا كلها فلو كان له عدم
او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك به التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض

الاشيا موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشيا على نسق
واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما
من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله
وافعاله اثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال
كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان
وشجر بل ينظر فيه من حيث هو له صانع فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه ورأى
فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث انها آثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون
نظره الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله عز وجل فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله
واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله تعالى ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي
لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد
وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا فغبنا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند
ذوي البصائر اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة
موصلة الغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب
في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله تعالى انما يدركها الانسان
في الصبي عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته
ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه لطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا ونباتا غريبا
او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه
واعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ
عاقلا ثم انقشعت غشاوة عن عينيه وامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على
سبيل الفجأة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع
الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة
فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت
مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على احد … الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا … فكيف يعرف من بالعرف استترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت
وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والآثار
اما الاعتبار فيكفي في ثبوته ما سبق في اثبات الحب وكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته لا محالة فان الحاصل

الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شيء
ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور
ان يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن
الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين ولا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فمن غاب
عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى
نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال
خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف
في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر اعضائه فيشتاق الى
رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم
يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى
بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فانما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكانه
من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا
العالم عن التخيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك ينضاف اليها شواغل
الدنيا وانما كمال الوضوح بالمشاهدة وكمال اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب
الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني
ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف
يعلم وجودها وكونها معلومة لله ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا مشتاقا
الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة
غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا
وقد كان ابرهيم بن ادهم رحمه الله من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن
به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرأيت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم
اما استحييت مني ان تسألني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت
يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك
واوزعني شكر نعمائك فاذا هذا الشوق يسكن في الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية ولا
في الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله وهو
محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما
من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه شوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو كذلك شوق
لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان يكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة
متزايدا ابد الآباد فيكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط

ان

ان يكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد
لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمامه النور في
غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاشراق والاستكمال فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا
نقتبس من نوركم الاية يدل على ان الانوار لا بد وان تتزود اصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقا فاما ان يتجدد
نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر اذ لم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا
ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصائر كاشفة لحقائق الشوق ومعانيه شواهد الاخبار والاثار
فاكثر من ان يحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسالك الرضا بعد القضاء وبرد
العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك فقد قال ابو الدرداء لكعب رضي الله عنهما اخبرني
عن اخص اية يعني في التوراة فقال يقول الله عز وجل طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وقال
ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد لسمعت هذا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل الارض اني
حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن
اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه عليه احد من خلقي من
طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الدنيا ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي
ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اوانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبابي من طينة ابرهيم خليلي وموسى
نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي عن بعض السلف ان الله تعالى
اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم
وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطيور الى اوكارها عند الغروب فاذا
جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم وافترشوا
جباههم ووجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فهم بين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم
وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث لو كانت السموات
والارض وما فيها من موازينهم لاستقللتها لهم والثانية اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم
والثالثة ان اقبل بوجهي عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه
داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقين
اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل
قلوبهم بيدي واضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني
دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي وان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء

الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت
ابدانهم موضع نظري من الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني
اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا
اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول الا تسالوني حاجة فانكم احبائي واصفيائي
واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة
الله تعالى فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم
فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام
ويقول لكم الا تسالوني حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم
واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال
شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الاخر
سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك
سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا
لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك
وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر
في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الاخر كلت السنتنا عن دعائك لعظيم شانك وقربك من اوليائك
وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا
تقصيرنا في شكرك وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ العبد
على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات بين اطباق السموات وقال الاخر
ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الاخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا
وقال الاخر انا نسالك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بغير الاخرة وقال الاخر
لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الاخر قد عرفت تباركت وتعاليت
انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب
فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى عظمتي وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف
عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم اياي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل
بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما
بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته
كما تمرض الوالدة المشفقة ولدها وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكري واذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه
عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر من الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري

من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتقطعت اعضاؤه وانخلع قلبه
اذا سمع ذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس
ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضى داود عليه السلام ايضا قل لعبادي المتوجهين
الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت
عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم ديني وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاي داود عليه السلام
ايضا ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان
في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما
ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقا علي ان اسارع الى سياستك وتقويمك
واعينك على الشدائد فاني قد جعلت على نفسي ان لا اثيب عبدا الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه
بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكنت الغنى في قلبك فاني قد جعلت
على نفسي انه لا يطمئن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشياء الي لا تضاد عملك فتكون متعنيا
ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا تجد للزيادة مني حدا
ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فليعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك اللتين في راسك الى الذين
حجبت عقولهم عني فاضجرتها وسحت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا ابيح ثوابي لعبد دخل
في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي
لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن
كتبته جهيدا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك
لا تؤتين منها فاحجب محبتي عنك لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة
خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول
ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما
فيحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على قطع ترك الشهوات بادمان الصوم
واياك والتجربة في الافطار فان محبتي من الصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات
انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى بها على ثوابي اذا مننت به عليك
واني احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق
والانس واما تحقيق معناه فينكشف مما سبق

اعلم ان شواهد القران متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبة
الله عز وجل للعبد فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم

انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم
تلا قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية
وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام ● وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب
ولا يعطي الايمان الا من يحب ● وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه
الله ● وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به الحديث ● وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك
وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر ● وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع
اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق
للنفس والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما
فلا يختص بالبصر ● فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى
وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه
واحد بل كل ما سوى الله فوجوده مستفاد من وجود الله فالوجود التابع لا يكون مساويا للموجود المتبوع وانما الاستواء
في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق احدهما
ان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله تعالى ولخلقه وهذا التباعد في
سائر الاسامي اظهر كالعلم والقدرة والارادة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه
الاسامي اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق وكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة
والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة فاتها
ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق
الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا لا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث
انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما
قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في الوجود غيره
فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته
فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى
يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة
الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا اضيف الى فعله الذي به يكشف الحجاب عن قلب عبده
فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى لا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه
بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى
ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في

حضور

حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح الى مشاهدته او ليستشيره في رأيه او ليهيئ له اسباب
شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم وقد يقرب عبدا ولا يمنعه
من الدخول عليه لا للانتفاع به والاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق المرضية والخصال الحميدة
بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب
بينه وبينه فيقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توسل وحبب نفسه
الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق
الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في البعد من
صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا
بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب
جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال
على ما كان عليه في ازل الازل ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما
جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل التقرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب ايضا
في الصفات كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال
علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم ولا يزال دائما في
التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب
فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة
عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر
التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك
العبد في درجات الكمال غير متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت
تفاوتا لا نهاية له لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل
والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه ● واما محبة العبد
لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ
به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى ● فان قلت فمحبة الله للعبد امر ملتبس فبم يعرف العبد انه
حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب
البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من غيره
ويحول بينه وبين غيره ● قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا تركبه قال انا اعز على الله من ان يشغلني عن نفسه
بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه ● وقال بعض العلماء رحمهم
الله اذا رأيته يحبك ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك ● وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت
بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها

عبد حتى يلوه وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه
وقال اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال
على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه
والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من
غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامات حب
الله تعالى للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله فانها ايضا علامات حب الله تعالى للعبد

في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى
فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات
ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان
والجوارح وتدل تلك الاثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار
على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب
محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه فاذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان
يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت
مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة
رضي الله عنه عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله ان
تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق
في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر
رضي الله عنه الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب
اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروى عن
اسحق بن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال حدثني ابي عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعوا الله فخلوا
في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا
حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من
جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته اخر النهار وان
انفه واذنه لمعلقان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر اخر قسمه كما ابر اوله وقد كان الثوري
وبشر بن الحرث الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال ابو
يعقوب البويطي لبعض الزهاد احب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لتمنيته وتلا قوله تعالى فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل
به ولان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار منه قال قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى

فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان
الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة
فان الناس يتفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روى ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته
فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقايل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته
اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل
على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله تعالى عند القدوم
عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها • واما السبب الثاني للكراهة ان يكون
العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله تعالى فذلك لا يدل على
ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد
له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة لهذا السبب لا ينافي
كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد • ومنها ان يكون موثرا ما احبه الله
تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله
ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف
الله تعالى المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى
محبوبه كما قيل • اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد • بل الحب اذا غلب قمع
الهوى فلم يبق تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما امنت وتزوج بها يوسف عليهما السلام انفردت عنه وتخلت
للعبادة وانقطعت الى الله عز وجل فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا
سوفته الى النهار فقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه
وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما
نبيين فقالت اما اذا كان الله تعالى امرك بذلك وجعلني طريقا له فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت
اليه فاذا من احب الله تعالى لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه شعر

• تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في الفعال بديع •
• لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع •

وقيل في هذا المعنى

• واترك ما اهوى لما قد هويته • وارضى بما يرضى وان سخطت نفسي •

وقال سهل رحمه الله علامة المحب ايثاره على نفسه وليس كل من عمل بطاعة الله تعالى صار حبيبا وانما
الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبة الله تعالى سبب محبة العبد له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه

فاذا احبه الله تعالى تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواتها فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته
ولذلك قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا • فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة
فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم
بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل
عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اوتي
به يوما فحده فلعنه رجل فقال لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة • نعم تخرجه المعصية عن كمال المحبة • وقد قال بعض
العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا واذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك
المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك اتحب الله فاسكت فانك ان قلت
لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقد قال بعض العلماء رحمهم الله ليس في الجنة نعيم
اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك
ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة من ذكره
وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القران الذي هو كلامه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم
وحب كل ما ينسب اليه فان من احب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف
المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه
لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله تعالى على قلبه احب جميع ما خلق الله لانهم
خلقه فكيف لا يحب القران والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا هذا في كتاب اداب الصحبة والاخوة ولذلك
قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من
نعمه واحبوني لحب الله تعالى • قال سفيان من احب من احب الله فكانما احب الله ومن اكرم من يكرم الله فكانما اكرم
الله تعالى • وحكي عن بعض الصالحين المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سر الارادة فادمنت على قراءة
القران ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني
فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القران فعدت الى حالي
وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله عز وجل
وان لم يكن يحب القران فليس يحب الله • وقال سهل علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي
صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب
الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الاخرة • ومنها ان يكون انسه بالخلوة
ومناجاة الله وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق واقل
درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب
من مناجاة الله تعالى فكيف تصح محبته • قيل لابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال

من الانس

من الانس بالله • وفي اخبار داود عليه السلام لا تستأنس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجلا استبطأ
ثوابي ورجلا نسيني ورضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر
انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته • وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى
عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ان برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه
نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء • وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا طويلا فنظر الى
طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا الطائر
قال ففعل فاوحى الله الى نبي قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فاذا
فعلامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق
عن لذة المناجاة • وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه
وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى انه كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به • وقطع رجل بعضهم بسبب علة
اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل
يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم يكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس
بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا الى محبوبه • وقال قتادة في قوله تعالى الذين امنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله الاية قال هشت اليه واستأنست به • وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله
عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر • وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه
واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء محبوبه فها انا
موجود لمن طلبني • وقال موسى عليه السلام يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت • وقال يحيى بن معاذ
من احب الله تعالى ابغض نفسه • وقال ايضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام خلقه
ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق • ومنها ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم تأسفه
على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستغفار والتوبة
وقال بعض العارفين ان لله تعالى عبادا انسوا به فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على ما فات فلم يتشاغلوا بحظ
انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب
اذا رجع عن غفلته في لحظة ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالاستعتاب ويسأله ويقول يا رب باي ذنب قطعت
برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب
يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا
الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم • ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل
عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة • وقال الجنيد علامة دوام النشاط والدؤوب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر
قلبه • وقال بعضهم العمل على المحبة لا يداخله الفتور • وقال بعض العلماء والله ما اشبع محب لله من طاعته ولو حل

بعظيم الوسايل وكل هذا وامثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته
بقلبه وان كان ذلك شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشيا اليه ان يعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل
به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل
في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه ۔ وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شي ما
كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول له انا والله احبك بقلبي كله وانت
تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت صادقا فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك كلما املك ثم انفق
عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ۔ ومنها ان يكون
مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع اعداء الله تعالى وعلى كل من يقارف شيا مما يكرهه الله كما قال
تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تاخذه في الله لومة لايم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تعالى اوليائه
اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشي ويأوون الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر
اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر في هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشي لم يفارقه اصلا فان اخذ منه لم
يكن له شغل الا البكا والصراخ حتى يرد اليه فان نام اخذ معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكا
ومهما اخذه ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه اياه احبه ۔ واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ
من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في
الاخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب
المقربين كما قال تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة
عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبارة عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكا
ن الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الاخرة وما
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص
بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان تك مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ
منها حيث يشاء فليلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه
الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البستان ويتنعمون في الجنان
مع الحور والولدان والمقربون ملازمون مقربون في الحضرة عاكفون ونظرهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة
الى ذرة منها فاولئك بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة قوم اخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر
اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى العليين عظم امره فقال وما ادراك ما
عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ۔ ومنها ان يكون في حبه خايفا متضايلا تحت الهيبة والتعظيم

وقد يظن ان الخوف مضاد للحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الكمال يوجب الحب ولخصوص
المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض ۔ فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب
واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله عز وجل الا بعدا لثمود
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد
في حق المبعدين هو الذي شيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم
يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في
كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه
فهو ملعون وكذلك قال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان
استغفاره من المقام الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى المقام الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق
والالتفات الى غير المحبوب ۔ كما روي عنه تعالى في بعض كتبه المنزلة انه قال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات
الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم فاما الخصوص فحجابهم عن المزيد
بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا
ذووا الاقدام الراسخة ثم خوف فوات ما لا يدرك بعد فوته ۔ سمع ابرهيم بن ادهم قايلا يقول في سياحته على جبل
كل شي لك مغفور سوى الاعراض عنا ۔ قد وهبنا لك ما فات منك بقي ما فات منا فاضطرب وغشي عليه
فلم يفق يوما وليلة وطرت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف
السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان
تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات
في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله تعالى المكر به واستدراجه
اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجا او يغتر بحسن الظن او تغلبه الغفلة والهوى والنسيان وكل
ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملايكة من العلم والعقل والذكر والبيان فكما ان من اوصاف الله تعالى ما
يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبر
والعزة والاستغنا وذلك من مقدمات المكر والشقا والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى
حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة وضيق الصدر وانقباضه
عن دوام الذكر وملالته لوظايف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على النقل
من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل
على صدق الحب فان من احب شيا خاف لا محالة فوته فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته ۔
وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف
من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه
وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخايف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له

من الخوف الا يسير يقال هو فى مقام المحبة وبعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم يثبت لها طاقة البشر فاما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روى فى الاخبار ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من محبته ففعل ذلك فهام فى الجبال وحار عقله وولّه قلبه وشخص بصره وبقى شاخصا سبعة ايام لا ينفع شيئا ولا ينتفع بشئ فسال له الصديق ربه فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالونى شيئا من المحبة فى الوقت الذى سالنى هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب عنه جملة الجزء وبقى معه عشر معشار وهو جزء من الف الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين • وقد قيل فى حال العارف

• قريب الوجد ذو مرمى بعيد • على الاحرار منهم والعبيد •
• غريب الوصف ذو علم غريب • كأن فؤاده زبر الحديد •
• لقد عزت معانيه فغابت • عن الابصار الا للشهيد •
• يرى الاعياد فى الاوقات تجرى • له فى كل يوم الف عيد •
• وللاحباب افراح بعيد • ولا تجد السرور له بعيد •

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار احوال العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره وهى

• سرت باناس فى الغيوب قلوبهم • فحلوا بقرب الماجد المتفضل •
• عراص بقرب الله فى ظل قدسه • تجول بها ارواحهم فى التنقل •
• مواردهم فيها على العز والنهى • ومصدرهم عنها لما هو اكمل •
• يروح بعز مفرد من صفاته • يرى كيمه اولى لديهم واعدل •
• ساكتم من علمى به ما يصونه • وابذل منه ما ارى الحق يبذل •
• واعطى عباد الله منه حقوقهم • وامنع منه ما ارى المنع افضل •
• على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله والصون للسر اجمل •

وامثال هذه المعارف التى اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شئ منها لمن لم ينكشف بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضى شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقف الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر فى الظاهر سر وحكم كما ان له فى الخير اسرار وحكم ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته • ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقى من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل فى الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه والركون الى ذلك من الافترا وتعظم العقوبة

عليه فى العقبى وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير تحمل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما اشتعلت من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه • وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه • فالقادر على الكتمان يقول

• وقالوا قريب قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى •
• فما لى منه غير ذكر بخاطرى • يهيج نار الحب والشوق فى صدرى •

والعاجز عنه يقول

• ويخفى فيبدى الدمع اسرار جفنه • فيظهر منه وجده والتندم •
• فمن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره فى جفنه كيف يكتم •

وقد قال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة لذكره كانه يكثر التعريض به فى كل شئ ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل • ودخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلا ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضره فقال الرجل لكنى اقول لا يحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون رحمه الله ولكنى اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه • فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا تستنكر • فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفى افعاله واحواله دون اقواله فافعاله ينبغى ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغى ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادة اطلاع غيره فشرك فى الحب وقادح فيه كما ورد فى الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا يعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذى يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضا فلا يلام فيه صاحبه • حكى ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروف الكرخى فتبسم ثم قال يا اخى له محبون كبار وصغار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب اذا كان عارفا وعرف احوال الملائكة فى حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من امر نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين فى مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى • قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لى عند الله تعالى شيئا فذكر اشياء من مكاشفات آيات السموات فى قصة طويلة قال فى آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله تعالى من شئ فقلت ما انتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده هاهنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالى فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم فى جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى • نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته

كما حكى عن الجنيد رحمه الله انه قال مرض استاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دوا ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مايه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر مليا ثم قال لى ارى بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشى على ووقعت القارورة من يدى ثم رجعت الى السرى فحدثته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتبين المحبة فى البول قال نعم وقد قال السرى مرة لو شئت ان اقول ما ايبس جلدى على عظمى ولا انحل جسمى الا حبه ثم غشى عليه ويدل الغشية على انه افصح فى غلبة الوجد ومقدمات الغشية ❁ فهذه مجامع علامات الحب لله تعالى وثمراته ومنها الانس والرضى كما سياتى وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذايل الاخلاق نعم قد يحب الله تعالى لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد رحمه الله الناس فى محبة الله عام وخاص والعوام نالوا ذلك بمعرفتهم بدوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان ❁ فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظيم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك والملكوت فلما عرفوا صفاته الكاملة واسمايه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة لذلك لانه اهل لها ولو ازال عنهم جميع النعم ❁ نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله وهو الذى فقدت فيه هذه العلامات او يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلما السوء والقراء السوء اولئك بغضاء الله فى ارضه ❁ وكان سهل رحمه الله اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اى يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال فى اذن القايل سرا لا يخلو اما ان يكون مومنا او منافقا فان كان مومنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبى فى علامات المحبة ابياتا ❁ وهى هذه الابيات ❁

❁ لا تخدعن فللحبيب دلايل ❁ ولديه من تحف الحبيب وسايل ❁
❁ منها تنعمه بطول بلايه ❁ وسروره فى كل ما هو فاعل ❁
❁ فالمنع منه عطية مقبولة ❁ والفقر اكرام وبر عاجل ❁
❁ ومن الدلايل ان يرى فى عزمه ❁ طوع الحبيب وان الح العاذل ❁
❁ ومن الدلايل ان يرى متبسما ❁ والقلب فيه من الحبيب بلابل ❁
❁ ومن الدلايل ان يرى متفهما ❁ لكلام من يحظى لديه السايل ❁
❁ ومن الدلايل ان يرى متقشفا ❁ متحفظا فى كل ما هو قايل ❁

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله

❁ ومن الدلايل ان تراه مشمرا ❁ فى خرقتين على شطوط الساحل ❁
❁ ومن الدلايل حزنه ونحيبه ❁ خوف الظلام فما له من عاذل ❁
❁ ومن الدلايل ان تراه مسافرا ❁ نحو الجهاد وكل فعل فاضل ❁
❁ ومن الدلايل زهده فيما يرى ❁ من دار ذل والنعيم الزايل ❁

ومن الدلايل ان تراه باكيا ❁ ان قد رآه على قبيح باطل
ومن الدلايل ان تراه مسلما ❁ كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلايل ان تراه راضيا ❁ بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلايل ضحكه بين الورى ❁ والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله سبحانه وتعالى

قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من اثار المحبة الا ان هذه اثار مختلفة تختلف على المحب بسبب اختلاف نظره وما يغلب عليه فى وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجاب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غايب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغنا وعدم المبالاة وخطر له امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظة تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه ولا يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقى فى الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا فى الانفراد والخلوة كما حكى عن ابرهيم بن ادهم نزل عن الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال عن الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه الاستيحاش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشيا على القلب كما روى ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكما فى دعايه يا من انسنى بذكره واوحشنى من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن بى مستانسا ومن سواى مستوحشا ❁ وقيل لرابعة بما نلت هذه المنزلة قالت بتركى ما لا يعنينى وانسى بمن لم يزل ❁ وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت من نفسك اليها الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجد فى الوحدة قال الراحة من مدارات الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا فى الطاعة وقال بعض الحكما عجبا للخلايق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيبة وغايب فى حضور ومخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال على رضى الله عنه فى وصفهم هم قوم هجم بهم الذكر

على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا
الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلا اولئك خلفا الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس وهذه
علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبه
وجهله ان جمال المدركات بالبصاير اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوى القلوب ومنهم احمد بن
غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابى الحسن النورى والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى
انكر مقام الرضى وقال ليس الا الصبر فاما الرضى فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين
الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين قشر مجرد ووراه
اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله واستحال عنده خروج الدهن منه لا محاله
وهو معذور ولكن عذره غير مقبول ولذلك قيل

الانس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتال

والانسون رجال كلهم نجب ... وكلهم صفوة الله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا
من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراة وقلة الهيبة
ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر
ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يساله يستسقى لبنى اسرائيل بعد ما
قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام يستسقى لهم في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم
وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويامنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له
برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرفه فبينما موسى عليه السلام ذات يوم يمشى في
طريق اذا بعبد اسود استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام
بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك قال اسمى برخ فقال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا
فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذى بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح
عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة
وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخصبت بنو اسرائيل بالقطر
وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلم فقال كيف رايت حين
خاصمت ربى كيف انصفنى فهم به موسى عليه السلم فاوحى الله عز وجل اليه ان برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات
فهذا وامثاله يجرى لاولى الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم
اشياء هى كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم لذلك وذلك يحتمل منهم ويليق
واليه اشار القايل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا

تاهوا برؤيته عما سواه به ... يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففى القران تنبيهات على هذه المعانى لو
فطنت وفهمت فجميع قصص القران تنبيهات لاولى البصاير والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هى عند ذوى
الاعتبار من الاسمار فاول القصص قصة آدم وابليس الم تر انهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتبا
والعصمة اما ابليس فابلس من رحمة الله وقيل انه من المبعدين واما آدم عليه السلم فقيل فيه وعصى ادم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما
في العبودية سيان ولكن في الحال يختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الاخر
اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طايفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط
الانس قول موسى عليه السلام ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار
لما قيل له اذهب الى فرعون قال ولهم على ذنب فاخاف وقوله انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى وقوله اننا
نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان الذى اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل
ولم يحتمل ليونس عليه السلم فاذا هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودى عليه
الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا وهو مذموم قال الحسن العرا هو القيمة ونهى نبينا صلى الله عليه
ان يقتدى به فقال واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى ربه وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف
الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله وقال ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من
المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط
منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا عليه السلام فاقيم مقام الهيبة والحيا فلم ينطق حتى
اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف عليهم
السلام ما فعلوا بيوسف عليه السلم وقد قال بعض العلما رحمهم الله قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطية بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في
الكلمة الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفى عنهم ولم يحتمل لعزير مسالة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محى
من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعورا من اكابر العلما فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان اصف من المسرفين
وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه فقد روى ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى سليمان عليه السلام يا راس العابدين
ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصينى ابن خالتك اصف وانا احلم عليه مرة بعد اخرى فوعزتى وجلالى لين اخذته عصفة
من عصفاتى لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل اصف على سليمان عليه السلم اخبره بما اوحى الله تعالى اليه

فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ومد يديه نحو السما وقال الهى وسيدى انت انت وانا انا فكيف اتوب ان
لم تتب على وكيف اعتصم وعزتك ان لم تعصمنى لاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا اصف انت انت وانا انا
استقبل التوبة الى فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر اليه
به وفى الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك
قد اهلكت بدونه امة من الامم فهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به مشيئته
الازلية وهذه القصص اوردت فى القران ليعرف بها سنة الله تعالى فى عباده الذين خلوا من قبل فما فى القرآن شى
الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد الى
اخرها وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة
يتعرف اليهم بافعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته فى انبيائه عليهم السلام وفى اعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك
بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدوا القرآن هذه الاقسام الثلاث وهى الارشاد الى
معرفة ذات الله وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص
على احد هذه الاقسام الثلاث وهى التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران فقال من قرا سورة الاخلاص
فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس فى ان يكون واحدا فى ثلثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل
عليه قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا يكون فى درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا
احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القران ولا تتناها امثال
هذه الاسرار فى القران فلا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه ثوروا القران والتمسوا
غرايبه ففيه علم الاولين والاخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فى احاد كلماته فكره وصفى له فهمه حتى تشهد
له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القران معناه فى
طى القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك ما فيها من العجايب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة
الخارجة عنها فهذا ما اردنا ذكره فى معنى الانس والاستنباط الذى هو ثمرته وتفاوت عباد الله فيه ٥

القول فى معنى الرضى بقضاء الله وحقيقته وما ورد فى فضيلته

اعلم ان الرضا ثمرة من ثمرات المحبة وهو من اعلا مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من
التشابه والايهام غير منكشف الا لمن علمه الله التاويل وفهمه فى الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى
ثم قالوا ان امكن الرضى بكل شى لانه فعل الله فينبغى ان يرضى بالكفر والمعاصى وانخدع به قوم فراوا الرضى بالفجور والفسق
وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضا الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على ظواهر شواهد الشرع
لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما حيث قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل
فلنبدا ببيان فضيلة الرضى ثم بحكايات احوال الراضين ثم بذكر حقيقة الرضى وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى
ثم بذكر ما يظن انه من تمام الرضى وليس منه كترك الدعا والسكوت على المعاصى

بيان فضيلة الرضى

اما الايات فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان

رضى الله عن عبده وهو ثواب رضى العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع
الله الرضى فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر فكما
ان مشاهدة المذكور فى الصلاة اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة اعلا من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان
وفى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمومنين فيقول سلونى فيقولون رضاك فسوالهم الرضى بعد النظر نهاية التفضيل
ورضى العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى اخر يقرب مما ذكرناه فى حب الله
للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ يقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من
نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سالوا الرضى لانه سبب دوام النظر فكانهم راوه غاية الغايات
واقصى الامانى لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسوال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضى هو سبب دوام رفع
الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتى اهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين
احدها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم فى الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين
والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى
انى عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والسلام فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اى من النعيم الذى هم
فيه فهذا افضل رضى الله تعالى وهو ثمرة رضى العبد واما الاخبار فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سال طائفة
من اصحابه فقال ما انتم فقالوا مومنين فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى
بمواقع القضا فقال مومنون ورب الكعبة وفى خبر اخر انه قال حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا وفى
الخبر طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق
رضى الله منه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وقال
ايضا اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطايفة من امتى اجنحة فيطيرون من القبور الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون
كيف شاوا فتقول لهم الملايكة هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما
راينا صراطا فيقولون لهم هل رايتم جهنم فيقولون ما راينا شيا فتقول لهم الملايكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد
صلى الله عليه وسلم فيقولون ناشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا
الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيى ان نعصيه ونرضى باليسير
مما قسم لنا فتقول الملايكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم
والا فلا وفى اخبار موسى عليه السلام انه قال له بنو اسرائيل سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال
موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روى عن
نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله تعالى ينزل العبد
منه حيث انزله العبد من نفسه وفى اخبار داود عليه السلم ما لاوليائى والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتى
من قلوبهم يا داود ان محبتى من اوليائى ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروى ان موسى عليه السلام قال يا رب دلنى
على امر فيه رضاك عنى حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاى فى كرهك وانت لا تصبر على ما تكره فقال يا رب دلنى

عليه قال فان رضاى في رضاك بقضاى وفي مناجاة موسى عليه السلام اى رب اى خلقك احب اليك قال من
اذا اخذت منه المحبوب سالمنى قال فاى خلقك انت ساخط عليه قال من يستخيرنى في الامر فاذا قضيت له سخط
قضاى وقد روى ما هو اشد من هذا وذلك ان الله عز وجل قال انا الله الذى لا اله الا انا من لم يصبر على بلاى ولم يرض
بقضاى فليتخذ ربا سواى ومثله في الشدة قوله تعالى فيما حكى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم قدرت المقادير
ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا منى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى وفي الخبر المشهور
يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت
الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبيا شكى الى الله عز وجل
الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما استجيب له فاوحى الله تعالى اليه كم تشكوا هكذا كان بدوك عندى في ام الكتاب
قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد
خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد
وعزتى وجلالى لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروى ان ادم صلى الله عليه وسلم
كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد
على راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه الى السما فقال له بعض
ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بنى انى رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا انى
تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقا فاخاف ان اتحرك
اخرى فيصيبنى ما لا اعلم وقال انس بن مالك رضى الله عنهما خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
ما قال لى لشى فعلته لم فعلته ولا لشى لم افعله الا فعلته ولا قال لى في شى كان ليته لم يكن ولا في شى لم
يكن ليته كان وكان اذا خاصمنى مخاصم يقول دعوه لو قضى شى لكان وروى ان الله عز وجل اوحى الى داود
يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما
تريد ثم لا يكون الا ما اريد وقال ابن عباس رضى الله عنهما اول من يدعا الى
الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما بقى لى سرور
الا في مواقع القدر وقيل ما تشتهى فقال ما يقضى الله وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضا فليس لحمقه
دوا وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابى رواد ليس
الشان في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضى عن الله عز وجل وقال عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الى من ان اقول لشى كان
ليته لم يكن او لشى لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال له انى لارحمك من هذه
القرحة فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عينى وروى في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا
طويلا فارى في المنام ان فلانة الراعية رفيقته في الجنة فسال عنها الى ان وجدها واستضافها ثلاثا
لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال اما لك عمل الا ما رايت

فقالت

فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى في انى ان
كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان
اكون في الظل فوضع العابد يده على راسه فقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد
وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى من السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدردا
ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر وقال عمر رضى الله عنه ما ابالى على اى حال اصبحت وامسيت
من شدة او رخاء وقال الثورى يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيى من الله ان تساله الرضى
وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليم الضبعى فمتى يكون العبد راضيا عن الله فقالت اذا كان سروره
بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل رحمه الله يقول اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضى عن
الله تعالى وقال احمد بن ابى الحوارى قال ابو سليمان الدارانى ان الله من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى العبيد
من مواليهم قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله
من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضى وحظهم من الرضى على
قدر عيشهم مع الله وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله بحكمه وعدله جعل الروح والفرح في الرضى وجعل
الحزن والهم في الشك والسخط

[illegible]

اعلم ان من قال فيما يخالف الهوى وانواع البلا الا الصبر فاما الرضى فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة
فاما اذا ثبت تصور الحب لله واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضى بافعال الحبيب وذلك من وجهين
احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى عليه المولم فلا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المه ومثاله
الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل
به على الجراحة بل الذى يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل قلبه بل الذى
يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به
وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفا به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق
الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلا
الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم
الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا
يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر
فكذلك يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بحاسة البصر فكذلك يقوى حب الصور الجميلة الباطنة
المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس بها جلال ولا جمال فمن ينكشف له شى منه
فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس لما يجرى عليه فقد روى ان امراة فتح الموصلى عثرت فانقطع
ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبى مرارة وجعه وكان سهل
به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه

الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه
كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد
منة بفعله فهذا حاله حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة
السفر ويجعله راضيا به ومهما اصابته بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته
رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا اذا كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز
ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب من مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا
عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم
ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون
بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة قذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر
الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا
والقبيح جميلا فاذا تصور استيلا هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى
لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل يبقى بعد الموت حيا عند الله فرحا
يرزقون مستفيدا بالموت مزيد تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك
الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال سفيان من راى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقد قال
الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلا قال لا قلت وان ضربه بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف
سبعين مرة ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شي لحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار
وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته
فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق قلت ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذاي ينظر الي قلت ولو نظرت
الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت
عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله
وجلاله اذا لاحظوا جلاله هاموا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر رحمه الله قصدت عبادان في بدايتي
فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام
فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر
فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة
اشهر لم يكن لهم غذا الا النظر الى وجه يوسف عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله
عن الاحساس بالم الجوع بل في القران ما هو ابلغ من ذلك قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله
حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن احمد رايت بالبصرة في خان عطا بن مسلم شابا في يده مدية وهو ينادي
باعلى صوته والناس حوله وهو يقول يوم الفراق من القيامة اطول والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكنني ما دهاني مرحل ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن

امره فقيل لي انه كان يهودي فتا لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلم قال لجبريل عم
دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه فذهب بصره فسمعه وهو يقول الهي متعتني
بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا
الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال انما
كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك
فكان الديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب واخذ
الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون
خيرا ثم اصبحوا فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذ اولئك بما كان عندهم من اصوات الكلاب
والحمار والديك وكانت الخيرة في هلاك الحيوانات كما قدر الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله
على كل حال ويروى ان عيسى عليه الصلوة والسلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر
لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام يا هذا
اي شي من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي
من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب
الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلم وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت
بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وابقى اخرى وايمك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت
لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول الفقر والغنا مطيتان
ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنا فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني
قد نلت من كل مقام حالا الا الرضى فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني
النار لكنت بذلك راضيا وقيل لعارف اخر هل نلت غاية الرضى عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقاما من
الرضى قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته
لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس
بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعار حصول رضى محبوبه بالقائه اياه في النار
واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر
الضعيف المحروم احوال الاقويا ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاوليا وقال الروذباري قلت لابي عبد الله
ابن الجلا الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه قال
يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاشفاق والنصح للخلق
فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم
ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان موضعا لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل

يبكي لما يرى من حاله قال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله احبه الى
ثم قال احدثك شيا لعل الله ان يحدثك شيا ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملايكة يزوروني فانس بها
وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلا ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد
هذا في بلايه كيف لا يكون راضيا   قال ودخلنا على سويد بن سعد نعوده فراينا ثوبا ملقا فما ظننا ان تحته
احدا حتى كشف فقالت له امراته اهلي فداوك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة وذهبت الحرا
واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا منذ كذا وكذا فذكر اياما اربعين ونحوها وما يسرني اني نقصت
من هذه قلامة ظفر   ولما قدم سعيد بن ابي وقاص الى مكة وقد كان كف بصره جاه الناس يهرعون كل واحد يساله
ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السايب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه
فعرفني وقال انت قاري اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في اخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت
لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضا الله عندي احسن من بصري   وضاع لبعض الصوفية
ولد صغير ثلثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي فيما قضى اشد علي
من ذهاب ولدي   وعن بعض العباد انه قال اني اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد
اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشي كان قضاه الله ليته
لم يكن   وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب الي من ان اقول لشي قضاه الله ليته لم يقضه
وقيل لعبد الواحد بن زيد هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصدته فقال له حبيبي اخبرني عنك
هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم
والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة مدخوله ومعناه لم يفتح
لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت تعد في وظيفة اصحاب اليمين لان مزيدك
منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم   ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله في مارستان قد حبس
فيه وجمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فهربوا فقال ما بالكم ادعيتم
محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلايي   وللشبلي رحمه الله ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رايت محبا غير سكران
وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل فعله فذكر به وذلكم ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل
يشير بها وكان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلا
زينة اهل الاخرة ويستنكفون منه   واحترق السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال
الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة
واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات علمت قطعا ان الرضى بما يخالف الهوى ليس مستحيلا
بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان في حب الخالق
وحظوظ الاخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضى بالالم لما يتوقع من الثواب المرجو كالرضى بالحجامة وشرب
الدوا انتظارا للشفا والثاني الرضا به لا لحظ وراه بل لكونه مرادا للمحبوب ورضا له فقد يغلب الحب

بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشيا عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك
روحه كما قيل فما لجرح اذا ارضاكم الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد استولى الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم
فالقياس والتجربة والمشاهدة داله على وجوده ولا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد
سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجايبه فللمحبين عجايب اعظم مما وصفنا   وقد روي عن عمرو
ابن الحرث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يعشق جارية مغنية وكانت معنا في
المجلس فضربت بالقضيب وغنت   علامة ذل الهوى على العاشقين البكا   ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكا
فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة
واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت   وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه
ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده
حتى لو قلت لي مت لمت فقال له ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا   وقال سمنون
المحب كان في جيرتنا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينما هو
يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت المعلقة من يده وجعل الرجل يحرك ما في القدر بيده
حتى سقطت اصابعه فقالت الجارية له ما هذا فقال الرجل هذا موضع قولك آه   وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي
قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع على الوساس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا   لا خير في عشق بلا موت
ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا   فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق
اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم
فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال   نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان
والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضى ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضى

وكذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضا الله
وقدره فيجب الرضى به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعا فقد تعبدنا به وكثرة دعوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا على ما نقلناه في كتاب الدعوات ولقد كان صلى الله عليه وسلم في اعلى
مقامات الرضى وقد اثنى الله على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا   واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضى
بها فقد تعبد الله تعالى بها عباده وذمهم على الرضى بها فقالوا رضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وقال
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم الاية وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضي به فكانه قد فعله
وفي الحديث الدال على الشر كفاعله   وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل
وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله اخر
بالمغرب كان شريكا له في قتله وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها
في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم
به اناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه هذا لفعلت ما فعل واما بغض الكفار والفجار
والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين وقال وكذلك نولي بعض الظالمين وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن
ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مسلم وقال ايضا المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم
حشر معهم يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها
في كتاب الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت فقد وردت الآيات
والاخبار بالرضى بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء
الله فكراهتها وبغضها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضى
والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس ذلك
على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضى وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضى
والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره
من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكك واهلاك عدوك
فيكره موته من حيث انه مات عدو عدوك ويرضى به من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه
الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملوك ورضا بما
فعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه
اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف لك هذا الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق
قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى
فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطره الى الشتم حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم ايضا انه
عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض
الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص
وضربه وابعاده وتعرضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك
واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه
استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم
يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا
الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب
ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك
واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان من شرط

المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك
اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه
وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته لك ايضا مكروه عندي من حيث
انه وصف وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي فانما المتناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن
حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه
فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله
تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي
ضرب المحبوب الشخص الذي هو ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله لمن عصاه
وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه ايضا حصل بتدبيره واختياره لاسبابه
وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيته بابعاده ومقته
فواجب على كل عبد محب لله تعالى ان يبغض من ابغضه الله تعالى ويمقت من مقته ويعادي من ابعده عن حضرته
وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده
قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة
للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار
من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء
الله من حيث انه قضاء الله وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الخير والشر كلاهما
داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل
وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضى والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه
فالاولى السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق
بعلم المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضى بقضاء الله ومقت المعاصي
مع انها من قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا تعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة
والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضى بقضاء الله فان الله تعالى تعبد العباد
بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا
للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضى بقضاء الله في العطش
وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله
تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه
في كتاب التوكل وهو ايضا لا يناقض الرضى لان الرضى مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلاء في معرض
الشكوى وانكاره بالقلب على الله مناقض الرضى واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى
لا يناقض وقد قال السلف من حسن الرضى بقضاء الله تعالى ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية

وذلك في الصيف فاما في الشتا فهو شكر والشكوى مناقض للرضى بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضى
لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القايل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف
كد ومشقة اذا كان يعرض حالة في معرض الضجر والتبرم والشكاية كل ذلك قادح في الرضى بل ينبغي ان يسلم التدبير
لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضى

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج عن بلد ظهر فيها الطاعون يدل
على النهي عن الخروج عن بلد فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضا الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي
عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحا وبقي فيها المطعونون مهملين
لا متعهد لهم فيهلكون هزلا ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار الفرار من الطاعون بالفرار
من الزحف ولما كان ذلك الفرار من القضا لما اذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل
واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضا بل من القضا الفرار مما لا بد
من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعوا الى المعاصي والاسباب التي تدعوا اليها لاجل التنفير عن المعصية
ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذم ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار
منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا اشر من بغداد قيل وكيف ذلك قال هو بلد تزدرى
فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد قال ما رايت بها الا شرطيا
غضبان او تاجرا لهفان او قاريا حيران ولا ينبغي ان يظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر
ذلك الشخص وقصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد قد بقي يستعد للقافلة ستة عشر
يوما او نحوها وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز
وكعب الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع به بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا
قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال
وقيل قسم الخير فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وكان بعض اصحاب الحديث
يوما عند الفضيل بن عياض فجاه صوفي متدرعا بعباة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال له اين تسكن
فقال بغداد فاعرض عنه ثم قال يا تينا احدهم في زي الرهبان فاذا سالناه اين تسكن قال في عش الظلمة
وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من
اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هولاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد اثر
في نفسي قيل واين تختار السكنى قال بالثغور فهذا يدل على ان من بلي ببلد تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا
عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر عنها الى غيرها من البلاد قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمين النفس اليه بل ينبغي ان يكون
منزعج القلب عنها قايلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك ان الظلم اذا عم نزل

البلا ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس شي
من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها الى الله تعالى فاما هي في انفسها فلا وجه للرضا
بها بحال وقد اختلف العلما في الافضل من اهل مقامات ثلاث رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ورجل
يحب البقا لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيا بل ارضى بما اختار الله لي فرفعت هذه المسالة الى بعض العارفين
فقال صاحب الرضى افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف
ابن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف
لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال له يوسف لكني لا اكره طول البقا فقال له سفيان لم قال لعلي اصادف
يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال انا لا اختار شيا احب ذلك الي احبه الى الله
تعالى فقبله الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم

قيل لبعض العارفين انك محب قال لست محبا انما انا المحبوب والمحب متعوب
وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم
اربعين بدلا قيل له كيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين بدلا واخذت من كل واحد خلقا من اخلاقه
وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم ثم قال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد
الخضر ان يراه فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي قط انه لم يبق ولي لله تعالى
الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل مرة لابي يزيد البسطامي حدثنا عن مشاهدتك
من الله فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى
قال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك قال نعم دعوت نفسي
الى الله فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن
يحيى بن معاذ انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشا الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه
رافعا اخمصيها مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر
فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهوا فرضوا بذلك واني اعوذ
بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك وانا اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك
فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاوليا
ثم التفت فراني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال مذ متى انت ها هنا فقلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي
حدثني بشي فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين
وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش
ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنته دونك
فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشيا قال يحيى فهالني
ذلك وامتلات به رعبا وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سالته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك

سلني ما شئت فصاح صيحة فقال انكث ويلك فقرة عليه مني لا احب ان يعرفه سواه   ويروى ان ابا تراب النخشبي
كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما
لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني مشغول عنه فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد وقال
ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رايت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت
ويلك تغتر بالله عز وجل لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من
قولي وانكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك انما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله
قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج
علينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروته على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد
فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظرك اليه
قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه
فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك   ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس
ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة
لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلته ولكن لا يفعلون قيل له لم قال لانهم
يحبون ما يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها
وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة
والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله عز وجل لا نهاية لها وفضله على عباده الذين
اصطفى لا غاية لها ولذلك كان ابو يزيد رحمه الله يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم
عليهم السلام فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا
بلاء في حق مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل   وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حورا
رايتهن يتساعين في الهوى عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت
اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت
عيني في السجود لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني   فامثال
هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة
وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها
الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق
بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهي اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس
وبعد تصفية القلب عن كدورات الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار
ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديدة اذا اشكلت ونقيت
وصقلت وصورت صورة المراة كنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلمة قد استولى عليها الصدا والخبث

وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر انكشاف المرئي عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم
كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عنه وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة
الله تعالى بل انما يشم روائح المكاشفة من شم شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال
كنت اكاتم الله تعالى حالي معناه اساله ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه رأى الخضر عليه السلم فقال له ادع الله تعالى
لي فقال يسر الله تعالى عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل سترها عنك
حتى لا تلتفت انت اليها   وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر فسالت الله تعالى مرة ان يريني اياه ليعلمني
شيئا كان اهم الاشياء الي قال فرايته فما غلب على همي ولا اهمني الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت
عن قلوب الخليقة فلم يكن فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط
علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه
بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة
يسخرون به ويستسخرونه في الطريق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به وكانت راحته
ركود قلبه واستقامة حاله في ذلك وخموله فهكذا حال اولياء الله ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون
انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى
على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري   وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث
اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابر قسمه وبالجملة فابعد القلوب من مشام هذه المعاني القلوب
المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل
انفسها استشعارا اذا ذل احدهم واهين لا يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم
يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل
ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع له صفة ذاتية فمثل هذا القلب يرجى له ان
يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان يطرح الايمان
بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله فليكن محبا لاولياء الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب
ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلم قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت
الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى
الضعة والخسة حتى روي عن استاد الجنيد وهو ابن الكريني ان رجلا دعاه ثلاث مرات حتى ادخله في المرة الرابعة
فساله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى
فترمى له اللقمة او العظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت   وعنه ايضا انه قال
نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعدت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها
ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني
واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي   فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يحفظهم

الله تعالى من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له
فليس بين القلب وبين الله حجاب ببعد وحائل حايل وانما بعد القلوب شغلها بنفسها او بغيرها واعظم الحجب شغل النفس
ولذلك يحكى ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابو يزيد فقال له يا ابا يزيد انا منذ ثلاثين
سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل ولا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به
واحبه فقال له ابو يزيد لو صمت ثلثمائة سنة وقمت لياليها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب
بنفسك قال فلهذا دوا قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمل قال اذهب الساعة الى
المزين فاحلق راسك ولحيتك فانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان
حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها وادخل على الشهود وعند من يعرفك وانت
على ذلك الحال فقال الرجل يا سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال
لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل
كل شيء فقال لا اطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه
ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدوا فلا ينبغي ان ينكر مكان الشفا
في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم
هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علما الشرع
فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشي احب اليه من كثرة الشي وحتى لا يعرف احب اليه
من ان يعرف وقال ايضا ثلاثة من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى بشي من عمله واذا عرض
له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة آثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى يكون
فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له
وقال في حديث آخر ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر
وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا
يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة
وراء الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا
يؤثر على شي من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لاحراق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الحب
الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان
ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر لها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه
ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم وفي حديث آخر
ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هل في خلق
منها قال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخا وقال صلى الله عليه وسلم رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت في
كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ابو بكر رضي الله عنه

ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو
كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه

بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة منتفع بها قال سفيان رحمه الله المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال
غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقا في الدنيا وهذا كله اشارات الى ثمرات
المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراكه
وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض
فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذكر غير الله وقيل للشبلي صف لنا
العارف والمحب قال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي رحمه الله
يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم يا رافع النوم عن جفوني انت بما حل بي عليم ولغيره
عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيا بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية
حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر
عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما فاذا بطاير نزل بين
يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابراهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي
جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري السقطي
من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول
صلى الله عليه وسلم قالت والله اني لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسيل عيسى
صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال الرضى عن الله والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا
الاخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك
عنك حتى لا يبقى فيك شي راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال
الخواص المحبة محو الارادات واحراق جميع الصفات والحاجات وسيل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب
عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاناة المحب على اربعة منازل على المحبة والهيبة والحيا والتعظيم
وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين يبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم
ابن حيان المومن اذا عرف الله عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى
الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحسره في الدنيا ويروحه في الاخرة وقال عبد الله بن
محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سيمت من الحياة حتى لو وجدت
الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكني
لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم لو يعلم المدبرون كيف

انظاري لهم ورفقي بهم وشوقي اليهم والى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه
ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما
اكون لعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي اذا رجع الي ● وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال
له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة
والشوق ● وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي
للمشتاقين وانا خاصة للمحبين ● واوحى الله تعالى الى ادم عليه السلام يا ادم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس
بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في سيره ● وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني
ولا اراه ● وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك
لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله عز وجل انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي
والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في
الصلاة ● وقال ذو النون المصري سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية ولذلك
اشتاقوا الى الله وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى
الدنيا ● وقال بعض المشايخ رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر وهو يقول
الشوق والهوى صيرني كما ترى ● ويقال الشوق نار الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم
من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضى فلنقتصر
عليه وحسبي الله وحده ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تم كتاب المحبة والانس والشوق والرضى وهو الكتاب

كتاب النية والاخلاص والصدق

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله حمد الشاكرين ● ونؤمن به ايمان المؤمنين ● ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين
ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين ● وخالق السموات والارضين ● ومكلف الانس والجن والملائكة
المقربين ● ان يعبدوه عبادة المخلصين ● فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله
الا الدين الخالص المتين ● فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين ● والصلاة على محمد نبيه سيد المرسلين
وعلى جميع النبيين وعلى اله واصحابه الطاهرين ● اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب
ببصيرة الايمان ● وانوار القران ● ان لا وصول الى السعادة ● الا بالعلم والعبادة ● فالناس كلهم هلكى
الا العالمون ● والعالمون كلهم هلكى الا العاملون ● والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون ● والمخلصون
على خطر عظيم ● فالعمل بغير نية عناء ● والنية بغير اخلاص رياء ● وهو للنفاق كفاء ● ومع العصيان سواء
والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء ● وقد قال تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا ● وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ● وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من
صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى
على كل عبد اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق
والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب
الباب الاول في حقيقة النية ● الباب الثاني في الاخلاص وحقائقه ● الباب الثالث في الصدق
وحقيقته

الباب الاول في النية

وفيه بيان فضيلة النية ● وبيان حقيقة النية ● وبيان كون النية خيرا من العمل ● وبيان
تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية ● وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة النية
وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى
الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ● وقال صلى الله
عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته ● وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق ● وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم وانما
ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما ينظر الى القلوب لانها مظنة النية ● وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل
اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه
لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول
انه نواه ● وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل
لو اتاني الله ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ● ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله
في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في
محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا
اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم
العذر فشاركوا بحسن النية ● وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا
فكان يسمى مهاجر ام قيس ● وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا
ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته ● وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا
وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى ● وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ليس له من دنياه واخرته الا ما جعلت له ● وروي
في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين
الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو

كان طعاما فتصدقت به • وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة • وفي حديث عبد الله
ابن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله
غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها • وفي حديث ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم • وقال عمر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات • وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى
الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا
تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل • وعن جابر رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه • وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا
التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد
قتل صاحبه • وفي حديث ابي هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي
قضاءه فهو سارق • وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير
الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة و **اما الآثار** فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل
الاعمال اداء ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله • وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز
اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره
وقال السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية • وقال داود الطائي البر همته التقوى
فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك قال الثوري
كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل • وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير
فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان
ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت
فاذا فترت او تركت فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله • ولذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر
من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى
عليه السلام طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم • وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر
نياتهم • وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي
ويرددها ويقول ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا • وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في
النار بالنيات • وقال ابو هريرة رضي الله عنه يقول الله عز وجل مكتوب في التوراة يقول الله تعالى ما اريد به وجهي
فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل • وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله
وقوله حتى ينظر في عمله فان عمل فلم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع فلم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت
النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية
في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد
عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه
والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم
وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة
انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال واما في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور
ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الموافق الملائم الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر
بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه
ان يتناوله ومن لا يبصر النار فلا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس
الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول
ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه
التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الرغبة المحركة اليه فخلق الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في
نفسه اليه وتوجها بقلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه
لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المحركة حتى يتم له التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة
تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون
الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد ان يفعل وسلمت من معارضة باعث آخر صارف عنه
انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة
تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة
والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث
والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة
بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين فقد
يكون كل واحد منهما بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع
وقد يكون احدهما كافيا دون الآخر لكن ينهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر
لكل واحد مثالا واسما • اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكلما
رآه قام من موضعه ولا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى
الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في
القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه
انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته • واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض
لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفرد
ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان
يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني

فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب بقضائه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة
فصام وهو يعلم انه لولا يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يترك لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا
جميعا فاقدم على الفعل والباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا موافقة البواعث ۝ واما الثالث فالا يستقل
كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعها على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد
احدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير الغريب
فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس
لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان
الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء فلما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك
القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة ۝ واما الرابع فان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني
لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الرجل
الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة
يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات
في مواضع الخلوات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم
من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو
شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا
وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الان بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث فيكتسب الحكم منه
ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع ۝ والله تعالى اعلم

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل
وهذا صحيح وليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله تعالى بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم
الحديث ان يكون نية التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى اخر العمل والاعمال لا تدوم وهو
ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلاة قد
لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه
ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية
او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى فيه ان
كل طاعة تنتظم بنية وعمل كانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة
خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته
خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة
خيرهما فهذا معناه ۝ واما سبب كونه خيرا ومترجحا على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصود الدين وطريقه

ومبلغ اثر الطرق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الاخبار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى
المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا
من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الاثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها الى بعض
فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الاخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله عز وجل فالمقصد
لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى الا من مات محبا لله عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس بالله الا
من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام
الفكر والذكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطعت عنه شهواتها حتى يصير نفسه مائلا
الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما تميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الاخرة منوطة بها
كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه ان سلامته فيها واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى العمل بمقتضى الميل
والمواظبة عليها فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى ترسخ
الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى
الميل واشتغل بالعلم وتولية الرياسة والاعمال المطلوبة بها تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى
ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو اتبعه
وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على
النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون
ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات
كلها التي يراد بها الاخرة والشرور كلها التي يراد بها الدنيا لا للاخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية
وانصرافها عن الدنياوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك
المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى يتاثر كل واحد منهما بالاخر فترى العضو اذا اصابته جراحة
تالم القلب وترى القلب اذا تالم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت الاعضاء وارتعدت الفرائص
وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع والجوارح
خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيها فالقلب هو المقصود والاعضاء الات موصلة الى المقصود ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد
بالراعي القلب وقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه
يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل لانها
عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل
اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس
المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تالمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل
الى المعدة بالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي

عن المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان يفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها
فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في موضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه
بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة
التواضع تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل
بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم يسر من اعضائه اثر الى قلبه
بتاكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم يسر من جبهته ووضعها اثر الى قلبه بتاكيد
التواضع فكان وجودها كعدمها وما يساوي وجوده وعدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال
العبادة بغير النية باطل وهذا معناه اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص اخر لم يكن وجوده كعدمه
بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من
الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها
كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام
بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا
لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم الهمة والنية وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هاهنا صفة عمل القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد
شاركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة لاعلاء
كلمة الله كقلوب الخارجين وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا
لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف
لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور
احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاص ومباحات

القسم الاول

المعاصي وهي
لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني
مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل لا يؤثر في اخراجها عن كونها ظلما وعدوانا
ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر اخر فان عرفه فهو معاند الشرع وان جهله فهو
عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر
خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة
قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله
بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل
بالجهل يسد باب التعلم بالكلية فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله به العلم وراس

العلم العلم بالعلم وكما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس
عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد
الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال الله تعالى
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان
يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه ومثله تقرب من يقرب من السلاطين ببناء المساجد حتى بالمال
الحرام وتقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على
مماراة العلماء ومجاراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين والمساكين واليتامى
فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى وانتهض كل واحد في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على
الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجري الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر
ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله
يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية من اقواله وافعاله
وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى اثار شره منتشرة في العالم الف سنة والفي سنة وطوبى
لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر
علم الدين وان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما
حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس
عليه وليت شعري ما جوابه فيمن وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخاء
والتخلق باخلاق الله تعالى وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة
من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو
احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب الى الله بواحد منها
دخل الجنة واحبها اليه السخاء وليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة حاله فاذا لاح
له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل
به الشيطان واعداء الله تعالى وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا للدنيا على دينه ولهواه على
اخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء
السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فلو راوا منهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا
راوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من يتعلم مسالة
ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة للشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة
وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكي عن بعض اصحاب احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه
احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال له بلغني عنك انك طينت حائط دارك
من جانب الشارع فقد اخذت قدر سمك الطين من شارع المسلمين وهو انملة فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا كان

مراقبة السلف لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغنياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة
والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعنى الفضل من العلوم التى لا تشتمل على التحذير من
الدنيا والزجر عنها والترغيب فى الاخرة والدعاء اليها بل فى العلوم التى تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام
واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات تختص من الاقسام الثلثة
بالطاعات والمباحات دون المعاصى اذ الطاعات تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة
بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة
تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك فى كتاب التوبة **القسم الثانى** الطاعات وهى مرتبطة
بالنية فى اصل صحتها وفى تضاعيف فضلها اما الاصل فهو ان ينوى بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت
معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النية الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوى بها خيرات كثيرة فيكون
له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد فى الخبر ومثاله القعود فى المسجد
فانه طاعة ويمكن ان ينوى بها نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين **اولها**
ان يعتقد انه بيت الله تعالى وان داخله زائر الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور ان يكرم زائره **وثانيها** ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة
فيكون فى جملة انتظاره فى صلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا **وثالثها** الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء
عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو فى معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
رهبانية امتى القعود فى المساجد **ورابعها** عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر للفكر فى الاخرة ودفع الشواغل
الصارفة عنه بالاعتزال الى المساجد **وخامسها** التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع ذكره او للتذكر به كما روى
من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله **وسادسها** ان يقصد افادة علم بامر بمعروف
او نهى عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسىء فى صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون
شريكا معه فى خيره الذى يعلم منه فتتضاعف خيراته **وسابعها** ان يستفيد اخا فى الله تعالى فان ذلك غنيمة وذخيرة
للدار الاخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله تعالى وفى الله تعالى **وثامنها** ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى
وخشية من ان يتعاطى فى بيت الله تعالى ما يقتضى هتك الحرمة وقد قال الحسن بن على رضى الله عنهما من ادمن الاختلاف
الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال اخا مستفادا فى الله تعالى او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة
تدله على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات فقس به سائر الطاعات
والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر فى قلب العبد بقدر جده فى طلب الخير وتشمره له وتفكره
فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات **القسم الثالث** المباحات وما من شىء من المباحات
الا ويحتمل نية او نيات تصير بها من محاسن القربات وينال بها معالى الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها
ويتعاطاها تعاطى البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغى ان يستحقر العبد شيئا من الخطوات والخطرات واللحظات
فكل ذلك يسأل عنه يوم القيمة انه لم فعله وما الذى قصد به هذا فى مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال ان العبد ليسأل يوم القيمة حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفى
خبر اخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن
من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذى يمكن ان ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ
النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفى سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم
بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه فى
قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا
تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فيه يكون انتن من الجيفة يوم القيمة الا القصد الاول وهو التلذذ
والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اوتى شيئا من مباح الدنيا
لم يعذب عليه فى الاخرة ولكن ينقص له من نعيم الاخرة بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم
يبقى واما النيات الحسنة فان ينوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوى به تعظيم
المسجد بيت الله تعالى فلا يرى ان يدخله زائر الله تعالى الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا
فى المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التى تؤدى الى ايذاء مخالطيه وان
يقصد به حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوا بالروائح الكريهة فيعصون الله تعالى بسببه فمن تعرض للغيبة
وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك فى تلك المعصية كما قيل

مهما رحلت عن قوم وقد قدروا ... الا تفارقهم فالراحلون هم

وقال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر
وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعى
رضى الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الاخرة
وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث
لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية فى شىء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات
فيها فقس بهذه الواحدة غيرها ولهذا قال بعض السلف انى لاستحب ان يكون لى فى كل شىء نية حتى فى اكلى وشربى
ونومى ودخولى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب
من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوى على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب
قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تعالى فتكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه
واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الاخرة ولذلك ينبغى ان يحسن
نيته مهما ضاع له مال ويقول هو فى سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته
وسينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففى الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله
لدخول الافة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب

هذه اعمال ما عملها فيقال هي اعمال الذين اغتابوك واذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال
الجبال لو خلصت له لدخل الجنة ويأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته
حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا
به صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حسناتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها
يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك شهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد قال بعض السلف
كتبت كتابا واردت ان اتربه من جدار منزل جاري فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم
من استخف بتراب مما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه
ثم قبضه فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله تعالى وقال الحسن ان الرجل
ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت
خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر
لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولا
لماذا تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به عز الدنيا وما الذي يفوتك من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا
علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك
فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون لداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا تغرنك ظواهر
الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا عليه السلام انه
كان يعمل في حائط بالطين وكان اجير القوم فقدموا له رغيفا اذ كان لا يأكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم
الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلبه المساعدة في الطعام فقال
اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيفين لأتقوى على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير
هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل ولا حكم لاكمال
الفضايل بل مع نقصان الفرايض وقال بعضهم دخلت على سفين وهو يأكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا
اني اخذته بدين لاحببت ان تأكل منه وقال سفين من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة في ان يأكل فان اجابه
واكل فعليه وزران فان لم يأكل فعليه وزر واحد واراد باحدا الوزرين النفاق وبالثاني انه يعرض اخاه لما يكره لو علمه
فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية والا توقف فان
النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية لا تدخل تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فيقول
في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله واتجر لله واكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك
حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث
النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه
بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا

واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه الى الفعل اجابة
للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه
قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه
بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت فالدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف في ذلك
بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في النكاح دينا ولا دنيا لا يمكنه
ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة
فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس
بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير
امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل
ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا
انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما
يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات
اذ لم تحضرهم النية فكانوا يقولون ليس تحضرني فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني
نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له
في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة فتوقفت حتى هيأها الله ومات حماد بن ابي سليمن وكان
احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كانت لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال
البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل
فيبتدي فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما
صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال ما لك فقال فيه اسانيد
ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به
قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد
انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما
صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا
تعرض عليه العشا قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون
ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب
مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح
من الله تعالى قد يتيسر في بعض الاوقات وقد يتعذر نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال
احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى الفضائل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا

وغلب عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرايض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او
نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على
نية اجلال الله لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر لراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها
فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار
ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله تعالى وتعظيمه
لذاته وجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوفات في
الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه
كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب
فلا تجاوز ذكر الله والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وساير الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهولاء ارفع درجة من
الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجوه الحور العين
كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال
الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين
بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي
استعظام الخنفسا لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النسا فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال
الله تعالى وجلاله وبهاء الله يضاهي عمى الخنفسا عن ادراك جمال النسا فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو
كان لها عقل وذكرها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم
فقد راى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال كل الناس يطلبون مني الجنة الا ابا يزيد فانه يطلبني ورأى ابا يزيد
ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال ورؤي الشبلي في المنام فقيل له ما
فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسران اعظم من خسران الجنة فقال اي خسران
اعظم من خسران لقاي والغرض ان هذه النيات متفاوتة بتفاوت الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر
له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقايق تورث اعمالا وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت
له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان
الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو
فيكون ذلك افضل ومثل ان تكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس
تنبعث نية في الحال للصوم والصلاة فالنوم والاكل هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه
وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة قال ابو الدرداء
اني لاستجم نفسي باللهو فيكون ذلك عونا لها على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت
ومن دقايق يكرهها شماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده

القاصر

القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اليه قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس
مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يستعمل الهزيمة ويولي
الخصم دبره ليستجره الى مضيق فيكر عليه وكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير
الموفق يقف فيها على لطايف من الحيل يستبعدها الضعفا فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم
ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرارهما
بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ان شا الله تعالى

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال
فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه قال
صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى الحديث وعن مصعب بن سعد قال ظن
ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نصر الله
هذه الامة بضعفايها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا بقلة العمل واهتموا
للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد
يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه وسلم اول من يسال يوم
القيمة ثلاث رجل اتاه الله العلم فيقول له ماذا صنعت فيما علمت قال يا رب كنت اقوم اناء الليل والنهار فيقول
الله تعالى كذبت وتقول الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول
الله تعالى قد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول
الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى
ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملايكة كذبت
بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة رضي الله عنه ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فخذي وقال يا ابا هريرة اوليك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة فدخل راوي الحديث على معاوية وروى له
الحديث فبكى حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق القران قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف الاية وفي
الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاه قوم فقالوا له ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله
فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك
الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك
فقال ان هذا من عبادتي فقال اني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه على وجه الارض وقعد على
صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله قد اسقط عنك ولم يفرضه
عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبيا في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها

فقال العابد لا بد لي من قطعها فتناجزا القتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال هل لك
في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل
فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع
وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت
اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع
هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنون بقطعها ففكر العابد فيما قال
وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله بقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة
فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما
وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس في
صورة الشيخ فقال اين تريد قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما تقدر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال
فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس فصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد
ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني
فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت اول مرة لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني
الله تعالى لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية يصدقها قوله تعالى الا عبادك منهم
المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص • ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا
نفس اخلصي تتخلصي • وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته • وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له
خطوة واحدة لا يريد بها الا وجه الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته
كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص العمل في اعمالك يكفك القليل من العمل
وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفي له ومن
خلط خلط عليه • ورؤي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك فقال كل شيء عملته لله تعالى وجدته حتى
حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا فرايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في
كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار
ليس فيها فقيل قد توجه حيث بعثته لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله
لوجدته في حسناتك وفي رواية وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان
لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه • وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز
اللبن من الفرث والدم • وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر موضعا فيه عرس او مأتم فيه النساء فاتفق ان
حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش وكانوا يفتشون واحدة
واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة فدعا الله تعالى بالاخلاص فقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى
مثلها فوجدوا الدرة مع تلك المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة • وقال بعض الصوفية كنت

قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال
ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك قال سالني ان احج معه فقلت لا
قال فقلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله
تعرضت لمقت الله لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة • ويروى عن
بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها
فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في المنام كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة
فاملى عليه خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله تعالى ثم نظر الي وقال اكتب خرج
فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال له يا شيخ ليس
قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال
اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله فيه ما يرى • وقال سري السقطي
لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبع مائة معلق • وقال بعضهم
في اخلاص ساعة واحدة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص ٥
وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم
واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها • وقال السري مراد
الله من عمل الخلق الاخلاص فقط • وقال الجنيد ان لله تعالى عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا
فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع • وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه
بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين ٥

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص
اخلاصا قال تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من
الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاد الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك
درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده الاشراك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذلك الاخلاص
والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة
النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة
الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة
جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن
خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما
يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل ما فيه ما ورد في الخبر ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسماء يا
مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث بقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث

اخر اما من الدنيا او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة به مع قصد التقرب
الى الله تعالى او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يتخلص من شر يعرض
له في بلده او ليهرب من عدو له في منزله او ليتبرم بولده واهله او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو
ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقتدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس
عن نفسه ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون
عقاره واموال محروسة بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة
الحديث او تكفل بخدمة العلماء او الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا
او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او توضأ ليتنظف او يتبرد
او اغتسل لتطيب رائحته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرا المسكن
او صام ليخفف على نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على
السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود مريضا او ليتبع جنازة ليعاد اذا مرض ويشيع جنازة اهله
او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله ولكن
انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص
وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة
كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه
وقل به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته
عن حظوظ ما واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره خطرة واحدة خالصة لوجه
الله تعالى نجا وذلك لعز الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث فيه الا
طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما
نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب الى الله وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان تكون في
رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في هذه النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث
النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل
عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور
الا من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب
ايضا بل تكون رغبته كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل
لانه تقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول
الزائد على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل
هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا
ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين ومن ليس كذلك فباب

الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على سبيل الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الاخرة فاكتسبت حركاته
الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على قلبه حب الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة حب غير الله
اكتسب جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته وصومه وصلاته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ
النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذلك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال
يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الافة فيه كما حكي
عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر
وصليت في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر
وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في الاخرة كلها
سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وقال تعالى قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة
الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله
والنضال عن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله بنصحه للخلق ووعظه للسلاطين ويفرح
بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف
الناس عنه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه
مع ذلك ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك ولو اتعظوا بقولك لكنت انت
المثاب واغتمامك بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود
عليه في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر للامامة اكان غمه محمودا او مذموما
فلا تستريب ذو دين ان ذلك كان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من
تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال
العلماء لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه لفرح
به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال
ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس والشيطان
واشتغل بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو
المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق
باتباع الشيطان وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية
الفعل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفا عن
جميع الافات فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله خاصة وهذه كلمة
جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شيء اشد

على النفس فقال الاخلاص ان ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين
وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس آفة عظيمة اجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة
ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل برجاء الجنة وخوف النار
فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو طالب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه
الله العظيم فقط وهو القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراة من الحظوظ صفة الالهية من ادعاه فهو كافر فقد قضى القاضي
ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا البراة
عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله
تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة
وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروها ولم يلتفتوا اليها فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ
ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره • قال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذا اشارة الى
آفة الريا فقط • وقد قال بعضهم الاخلاص ما لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفا
وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا اجمع المقاصد • وقال المحاسبي هو اخراج الخلق من
معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد الريا وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية •
وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض للريا
وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص • وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات
وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله تعالى عنهما وقيل
الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة فلا فايدة في تكثير
النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص
فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلا وبعضها قوية مع الخفا
ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفا والجلا الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الريا فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان
يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى
ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته
فهذا هو الريا الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدين من المريدين **الدرجة الثانية** ان يكون المريد قد فهم الآفة
واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت
متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يوثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت
وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول
وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الريا ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا

فاذا انكشفت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفا بالعزم وهذا
يضاد الصدق فيه ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس رضي الله عنه ان
عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما
اصنع فشهد احدا من العام المقبل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا با عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني اجدها
دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ما
عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر • وقال فضالة
ابن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهدا اربعة رجل
مومن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فهذا الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيمة هكذا ورفع راسه
حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ورجل جيد الايمان
اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية • ورجل مومن
خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة • ورجل مومن اسرف على
نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة • وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس
قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن ولنكونن من الصالحين فرزقهم الله فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله الآية • وقال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لئن
آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون الى قوله بما كانوا
يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفا به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان
النفس قد تسخو بالعزم ثم تنكع عند الوفا به لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك
استثنى عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه اللهم الا
ان تسول لي نفسي فتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفا بالعزم • وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان
ملكين نزلا من السما فقالا لي ما الصدق قلت الوفا بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السما **الصدق
الخامس** في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك
الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرناه من ترك الريا لان المرائي هو الذي
يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه
غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم بالسوق بين يدي شهوة من
شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال
وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله

وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا يخلو احد عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه
مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة فلذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كي لا يظن به الخير
بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذا المخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي رياء ويفوت
به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من
علانيتي واجعل علانيتي صالحة • قال يزيد بن الحرث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف
وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا

اذا السر والاعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له ... على سعيه اجر سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضي الثنا

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهى الله به ملائكته يقول هذا عبدي حقا وقال
معوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار • وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس به واذا
نهى عن شي كان من اترك الناس له ولم ار احدا اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس
فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة
الحق في السر والعلانية فاذا مساواة السر العلانية احد انواع الصدق

الصدق السادس

وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضاء
والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي ينطلق عليها الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق
والصادق والمحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشي وتمت حقيقته يسمى صاحبها صادقا فيها كما يقال فلان صدق
القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة • وقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا الاية اولئك هم الصادقون • وقال تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك
الذين صدقوا • وسئل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب للخوف مثالا فما من عبد يومن بالله واليوم الاخر الا وهو خائف من الله خوفا
ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف
يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله
وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من
درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار
مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال
تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه
والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال
لا تطيق ذلك قال بلى ارني فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق

وانما الرغبة في الغنيمة من سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة
اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالايات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي
معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ • فقد روى طاوس وغيره من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله
عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله تعالى فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا • وروى معاذ انه صلى
الله عليه وسلم قال ادنى الرياء شرك • وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في
عمله خذ اجرك ممن عملت له • وعن عبادة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فاشرك معي
غيري ودعته لشريكي • وروى ابو موسى ان اعرابيا اتاه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يقاتل حمية
والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه فاي في سبيل الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله
هي العليا فهو في سبيل الله تعالى • وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون ملاء دفتي راحلته ورقا
وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث
لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها ما لم يرد به الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فكان ذلك هو الاغلب على
همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير
العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم
يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده
فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجو اللقاء مع الشركة التي احسن
احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته
الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم تكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما اغنياء والاخرى فقراء
فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله تعالى وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك
فان هذا حرج في الدين ومدخل الياس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا
على الندور فيكون تاثير هذه في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما
يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل
الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قل ما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون
ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته افة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا
كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفين لا اعتد بما ظهر من عملي وقال
عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شي من اعمال الله الا وحاسبت
نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الافة
والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود الا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص
جميعا • وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات

فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة يطالب نفسه بالاخلاص فيعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ به فساله
عن ذلك فاخبره بمطالبة نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل ان
الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل انما قلت اخلص العمل
وقد قال الفضيل رحمه الله تعالى ترك العمل بسبب الخلق ريا وفعله لاجل الخلق شرك ٥ والله اعلم

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته وفضيلة الصدق

قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي
الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل
ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله وصف به الانبيا في معرض
المدح والثنا فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا • وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا
نبيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحيا وحسن الخلق والشكر • وقال بشر بن
الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس • وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصورا الدينوري في المنام
فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم امل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله ماذا
قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب • وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى
غاية طلبتك • وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لرايت الصادقين • وعن محمد بن علي الكتاني
قال وجدنا دين الله مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلب والصدق
على العقل • وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا
محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين • فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلم يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين
في علانيته • وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في الدجلة فقال ان كان صادقا فالله تعالى ينجيه كما انجى موسى
عليه السلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما اغرق فرعون • وقال بعضهم اجمع الفقها والعلما على ثلاث خصال
انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والتقوى والصدق لله تعالى في
الاعمال وطيب المطعم • وقال ابن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحا بني اسرائيل يجتمعون
فيقرؤنها • لا كنز انفع من العلم • ولا مال اربح من الحلم • ولا حسب اوضع من الغضب • ولا قرين ازين من العمل
ولا رفيق اشين من الجهل • ولا عمل افضل من الفكر • ولا حسنة اعلى من الصبر • ولا سيئة اخزى من الكبر • ولا
دوا الين من الرفق • ولا داء اوجع من الخرق • ولا رسول اعدل من الحق • ولا دليل انصح من الصدق • ولا فقر
اذل من الطمع • ولا غنا اشقى من الجمع • ولا حياة اطيب من الصحة • ولا معيشة اهنى من العفة • ولا عبادة
احسن من الخشوع • ولا زهد خير من القنع • ولا حارس احفظ من الصمت • ولا غايب اقرب من الموت • وقال محمد
بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق افادك الله مراة بيدك حتى تبصر كل شي من عجايب الدنيا والاخرة •
وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الخلق • وقيل لذي النون المصري
هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال • قد بقينا مذبذبين حيارى • نطلب الصدق ما اليه سبيل ٥ ٥

بداعي الهوى تخف علينا • وخلاف الهوى علينا ثقيل • وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق
بينك وبين الله تعالى والسخا والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحيا وطيب الغذا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق • وعن الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن
صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر ٥ والله سبحانه وتعالى اعلم ٥

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان • صدق في القول • وصدق في النية والارادة • وصدق في العزم وصدق
في الوفا بالعزم • وصدق في العمل • وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها • فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق
لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ في شي من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما هو صدقه

الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر
اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم
الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا على خلاف ما هي عليه فهو
صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها
تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة
وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان وما يجري مجراهم وفي الحذر من الظلمة وفي قتال
الاعدا والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شي من ذلك فصدقه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما
يامره الحق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعا اليه
فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كي لا ينتهي الخبر الى الاعدا وليس هذا من الكذب في شي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين ومن كانت له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب
فالصدق ها هنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت
للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض
الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي ليس ها هنا واحترز بذلك من
الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز
عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة • والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي
بها ربه عز وجل كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا فان قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى
الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد واياك نستعين وكقوله انا عبد الله فانه ان لم يتصف بحقيقة
العبودية وكان له مطلب سوى الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله
لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله انا عبد الله وكل ما تقيد
العبد به فهو عبد له كما قال عيسى يا عبيد الدنيا • وقال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة

وعبد الخميصة سمى كل من تعبد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق اولا عن غير الله تعالى قلبه فصار
حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فشغله بالله وبمحبته وقيد
ظاهره وباطنه بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان
يعتق ايضا عن ارادته لله تعالى من حيث هو بل يقنع بما يريد الله من تقريب وابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى
فهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده
ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين
يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا
لنفسه وهذه درجة الصديقين واما الحرية عن غير الله تعالى فدرجة الصادقين وبعدها تتحقق العبودية
لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق ان يسمى صاحبه صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول **الصدق
الثاني** في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات
الا لله تعالى فان مازجه شيء من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روي في فضيلة
الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسأل العالم ماذا عملت فيما علمت فقال كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت
ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه بان قال له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة
التوحيد في القصد وكذلك قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهو صدق
ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة
الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على قلبه فانه كذب في ذلك
وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد من ان يكون
مخلصا **الصدق الثالث** صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني
الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله
ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة
صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق هاهنا عبارة
عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة كاذبة مهما لم يكن شهوته على سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد
يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل
ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر لان اقدم فيضرب عنقي
في غير حد احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه
لا يتامر مع وجود ابي بكر واكد ذلك بما ذكر من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف وقد يصادف العزم
ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل اذا خلي ورايه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين
والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حياة ابي بكر رضي الله عنهما **الصدق
الرابع** في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة

لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل
المقتدي به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق
والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به
الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان
مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ويستحيي
من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه
الذي يرتضيها في الملأ ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملأ فلا يكون
قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملأ الى الخلق بل الاخلاص ان تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق واحدا
فكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك
يزول بان تستوي صلاته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في
الخلا والملا جميعا وهذا من مشغول الهم بالخلق في الخلا والملا جميعا وهي من المكايد الخفية للشيطان **الدرجة
الرابعة** وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول اخشع لاجلهم فانه قد
عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر
الله الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان
خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة
الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور
الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فاذا لم يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج
عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في
الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد في الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته
والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى
في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط
نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث
القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج من حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن
هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس الطبع به فالشيطان يرغبه
فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع
اليه ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع
وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب
ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث
النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير

بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى الظاهر من العبادة واغتراره بها كنظر السواد الى حمرة الدينار المموه
واستدارته وهو زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغبي وهكذا يتفاوت
امر العبادات بل اشد واعظم وتداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلنقنع بما ذكرناه مثالا
والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب به

العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ الدنيا والنفس فقد اختلف في ان ذلك
يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فيكون لا له ولا عليه • اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا
وهو سبب المقت والعقاب • واما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار
يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله تعالى ان ينظر الى قدر قوة
الباعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث
الرياء اقوى واغلب فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل
الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر
ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية ولقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة
فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه بالقدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا
سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها
فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل بوفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوته بالعمل على
وفقه فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى ايضا تلك الصفة
واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا القدر بتقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول
ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل
القلب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية عن اثر في الجسم بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا
يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب او تسويده في تقريبه من الله تعالى او ابعاده فاذا جاء
بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن لا له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده
شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص
المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه
تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه
الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب
ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي
الا ان الغزاة لا يدركون بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه
التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى

يعني جواب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل عليه السلام لصورته الاولى فقال
صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان
رجليه قد خرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من العظمة لله تعالى حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير
فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في
المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم • وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل
بالملأ الاعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة رضي الله عنهم
كانوا خائفين وما بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما ما يبلغ المؤمن حقيقة
الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله عز وجل • وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين الله
تعالى الا ان بعض الحمق اهون من بعض • وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر
في جنب الله تعالى ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقر فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق
لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصادق حقا • قال سعد
بن معاذ رضي الله عنه ثلاثة انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف ما صليت صلاة قط منذ اسلمت فحدثت نفسي فيها حتى افرغ
منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هي مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق
في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق
ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم قد قال
ابو بكر الوراق الصدق ثلاث • صدق التوحيد • وصدق الطاعة • وصدق المعرفة • فصدق التوحيد لعامة
المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء الآية • وصدق الطاعة لاهل
العلم والورع • وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس
ولكن ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام • وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان
لا تختار على الله عز وجل غير الله تعالى كما لم يختر عليك غيره فقال تعالى هو اجتباكم • وقيل فاوحى تعالى الى موسى عليه السلام
اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا
وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا ابالي فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا
وكراهة اطلاع الخلق عليه والله سبحانه وتعالى اعلم • تم كتاب النية والاخلاص والحمد لله رب العالمين يتلوه
كتاب المحاسبة والمراقبة ان شاء الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا

كتاب المحاسبة والمراقبة

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت • الرقيب على كل جارحة بما اجترحت •
المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست • الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت • الذي لا يعزب عن علمه مثقال

ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت • المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت
المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت • المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت • وانما يحاسبهم لتعلم كل
نفس ما احضرت • وتنظر فيما قدمت واخرت • فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت
في صعيد القيمة وهلكت • وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله تعالى بقبول بضاعتها المزجاة لخابت
وخسرت • فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت • واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والاخرة وغمرت
فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت • وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت
وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت • وبتاييده ونصره انقصمت مكايد الشيطان واندفعت
وبلطف عنايته وسعت رحمته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت • وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت
فمنه العطا والجزا والابعاد والادنا والاسعاد والاشقا وكل ذلك قسمة عدل لا يدخلها الشك والامر احسن كشف
الغطا • والصلاة على محمد سيد الانبيا • وعلى السادات الاصفيا • وعلى اصحابه الاتقيا • وسلم كثيرا •

فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة الاية • وقال ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه الاية • وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه • وقال يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الى اخر السورة • وقال ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • وقال
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية • وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصاير
من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد • وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات
واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة • وصدق المراقبة • ومطالبة النفس
في الانفاس والحركات • ومحاسبتها في الخطرات واللحظات • فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة
حسابه • وحضر عند السؤال جوابه • وحسن منقلبه ومآبه • وان لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت
في عرصات القيمة وقفاته • وقادته الى الخزي والمقت سياته • فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه
الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمواظبة فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكان لهم في المرابطة
ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل حساب
فبعد مشارطة ومراقبة • ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة • فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول من المرابطة المشارطة

اعلم ان مطلب المتعاملين • في التجارات المشتركين في البضايع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه
فيسلم اليه المال حتى يتجر فيه ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الاخرة وانما مطلبه
وربحه تزكية النفس اذ به فلاحها • قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فانما فلاحها بالاعمال
الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها او يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه
وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه

ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف
ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطريق ثم لا يغفل عن مراقبتها
لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين اذا خلا له الجو انفرد بالمال ثم بعد الفراغ
ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفا بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبيا
والشهدا فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى
نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقطاع ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم
لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دايما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على
انقطاعه دايما ولذلك قيل • اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا • فحتم على كل ذي حزم
امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها
فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الاباد
فانقضاؤها ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد
وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل
يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب
الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى فيه وانساني اجلي فيه وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يردني الى الدنيا
يوما حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس
جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد لكل يوم وليلة
اربع وعشرون خزانة مصفوفة فتفتح له خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من
الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار
لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار وتفتح له خزانة اخرى مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة
التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها وتفتح له خزانة اخرى فارغة
ليس فيها ما يسوءه ولا ما يسره وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها
ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك
به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي في اليوم ان تعمري خزاينك ولا
تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين
ما يدركه غيرك ويبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة لا يطاق وان كان دون الم النار
وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشارة الى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم
ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستانف لها وصيته في اعضايه السبعة العين
والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال
هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه

الاعضا فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم او وجه ليس بمحرم او النظر الى مسلم
بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه قال الله تعالى يسال عبده يوم القيمة عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام
ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه نجاتها و حظها و هو الذى خلقت له من النظر الى عجايب صنع الله تعالى
و من الاعتبار و النظر الى اعمال الخير للاقتدا و من النظر الى كتاب الله و سنة رسوله و مطالعة كتب الحكمة للاتعاظ
و الاستفادة و هكذا ينبغى ان يفصل عليها الامر فى عضو عضو لا سيما اللسان و البطن • و اما اللسان فانه مطلق
بالطبع و لا مونة عليه فى الحركة و جنايته عظيمة بالغيبة و النميمة و الكذب و تزكية النفس و مذمة الخلق و الاطعمة
و اللعن و الدعا على الاعدا و المماراة فى الكلام و غير ذلك مما ذكرنا فى افات اللسان فهى بصدد ذلك كله مع انها خلقت
للذكر و التذكر و تكرار العلم و التعليم و ارشاد عباد الله الى طريق الله و اصلاح ذات البين و ساير خيراتها فليشترط على
نفسه الا يحرك اللسان طول نهاره الا فى الذكر فنطق المومن ذكر و نظره عبرة و صمته فكر و ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد • و اما البطن فيكلفه ترك الشره و تقليل الاكل من الحلال و اجتناب الشبهات و يمنعه من الشهوات
و يقتصر على قدر الضرورة و يشترط عليها انها ان خالفت شيا من ذلك عاقبها بالمنع من شهواتها ليفوتها اكثر مما
نالته بشهواتها و هكذا يشترط عليها فى جميع الاعضا و استقصا ذلك يطول و لا يخفى معاصى الاعضا و طاعاتها
ثم يستانف وصيتها فى وظايف الطاعات التى تتكرر عليها فى اليوم و الليلة ثم فى النوافل التى يقدر عليها و يقدر
على الاستكثار منها و يرتب لها تفصيلها و كيفية الاستعداد لها باسبابها و هذه شروط يفتقر اليها فى كل يوم و لكن
اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما و طاوعته نفسه فى الوفا بجميعها استغنى عن المشارطة فيها فان اطاع
فى بعضها بقيت الحاجة فى تجديد المشارطة فيما بقى و لكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد و واقعة حادثة لها حكم و لله عليه
فيها حق و يكثر هذا على من يشتغل بشى من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قل ما يخلو يوم عن واقعة جديدة
يحتاج الى ان يقضى حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها و الانقياد للحق فى مجاريها و يحذرها
مغبة الاهمال و يعظها كما يعظ العبد المتمرد الابق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية
و لكن الوعظ و التاديب يوثر فيها و ذكر فان الذكرى تنفع المومنين فهذا و ما يجرى مجراه هو اول مقام المرابطة مع
النفس و هى محاسبة قبل العمل و المحاسبة تارة تكون بعد العمل و تارة قبله للتحذير قال الله تعالى و اعلموا ان الله يعلم
ما فى انفسكم فاحذروه و هذا للمستقبل و كل نظر فى كثرة و مقدار لمعرفة زيادة و نقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما
بين يدى العبد فى نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة و قد قال تعالى اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا •
و قال يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنباء فتبينوا • و قال و لقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به ذكر ذلك
تحذيرا و تنبيها للاحتراز منه فى المستقبل • و روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه و سلم قال
لرجل ساله ان يوصيه و يعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه و ان كان غيا فانته • و قال
بعض الحكما اذا اردت ان يكون العقل غالبا على الهوى فلا تعمل بقضا الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة
فى القلب اكثر من مكث لذة الشهوة • و قال لقمن المومن اذا ابصر العاقبة امن الندامة • و روى شداد بن اوس
عنه صلى الله عليه و سلم انه قال الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و الاحمق من اتبع نفسه هواها و تمنى

على الله دان نفسه اى حاسب نفسه و يوم الدين هو يوم الحساب و قوله انا لمدينون اى لمحاسبون • و قال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا و زنوها قبل ان توزنوا و تهيوا للعرض الاكبر و كتب الى ابى موسى الاشعرى
حاسب نفسك فى الرخا قبل حساب الشدة • و قال عمر لكعب كيف تجدونها فى كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السما
فعلاه بالدرة و قال الا من حاسب نفسه فقال كعب و الله يا امير المومنين انها الى جنبها فى التورية ما بينهما حرف الا
من حاسب نفسه و هذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال دان نفسه و عمل لما بعد الموت و معناه وزن الامور اولا

المرابطة الثانية المراقبة

فقدرها و نظر فيها و تدبرها ثم اقدم عليها فباشرها
فاذا اوصى الانسان نفسه و شرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض فى الاعمال و ملاحظتها بالعين
الكالية فانها ان تركت طغت و فسدت و لنذكر فضيلة المراقبة و درجاتها • اما الفضيلة فقد سال جبريل النبى
صلى الله عليه و سلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه • و قال ايضا اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
و قال تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت • و قال تعالى الم يعلم بان الله يرى • و قال ان الله كان عليكم رقيبا • و قال
و الذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون و الذين هم بشهاداتهم قايمون • و قال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فساله
عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله عز و جل • و قال عبد الله بن زيد اذا كان سيدى رقيبا على فما ابالى بغيره •
و قال ابو عثمن المغربى افضل ما يلزم الانسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة و المراقبة و سياسة عمله بالعلم
و قال عطا افضل الطاعات مراقبة الحق على الدوام فى الاوقات كلها • و قال الجريرى امرنا هذا مبنى على اصلين
ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى و يكون العلم على ظاهرك قايما • قال عثمان قال لى ابو حفص اذا جلست للناس
فكن واعظا نفسك و قلبك و لا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك و الله رقيب على باطنك •
و حكى انه كان لبعض مشايخ هذه الطبقة تلميذ شاب و كان يكرمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا و نحن شيوخ
و نحن شيوخ فدعا بعدة طيور و ناول كل واحد منهم طايرا و سكينا و قال ليذبح كل واحد منكم طايره فى موضع لا
يراه احد و دفع الى الشاب مثل ذلك و قال اذبح حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطايره مذبوحا و رجع الشاب
و الطاير حى بيده فقال ما لك لم تذبح و قد ذبح اصحابك فقال لانى لم اجد موضعا لا يرانى فيه احد اذ الله
مطلع على فى كل مكان فاستحسنوا مراقبته و قالوا حق لك ان تكرم • و حكى ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام
قامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك تستحين من مراقبة جماد و لا استحى من مراقبة الملك الجبار
و حكى عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحى فقال ممن استحى و ما يرانا الا الكواكب فقالت
فاين مكوكبها • و قال رجل للجنيد بما استعين على غض البصر فقال بعلمك ان الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه
و قال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز و جل و عن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات
الفردوس و فيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له و من يسكنها قال يقول الله تعالى انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا
بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبونى و الذين انثنت اصلابهم من خشيتى و عزتى و جلالى انى لاهم بعذاب اهل الارض و اذا
نظرت الى اهل الجوع و العطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب • و سيل المحاسبى عن المراقبة فقال اولها علم القلب
بقرب الرب تعالى و قال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة و لفظة • و يروى ان الله تعالى قال

للملائكة انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على الباطن • وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك
واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه
وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله تعالى شاهده حيث كان • وسئل بعضهم عن قوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده
وسئل ذو النون المصري بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى
في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب • وقيل

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل • خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة • ولا ان ما يخفى عليك يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب • وان غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترات على
امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت • وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافية
وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة • وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا
دخل مداخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله • وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الى مكة فعرسنا ببعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من الغنم فقال اني مملوك فقال له
قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله تعالى قال فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه
وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الاخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب
فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي
القلب • اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه
واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم
على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة
اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشكوك ثم استولت بعد ذلك على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب
استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وينقسمون الى الصديقين
والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين **الدرجة الاولى** مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم
والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات
الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل
عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت
في حفظها على سنن السداد بل يسدد الراعي من ملك كلية الرعية والقلب هو الراعي واذا صار مستوفى بالمعبود صارت
الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر

الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من حضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له
مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي
فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون
بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص
الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتخطى الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له • وقد قيل لعبد الواحد بن
زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرفه الا رجلا سيدخل عليكم الساعة
فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكذا
وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق قال ما رايت احدا • وروي عن يحيى بن زكريا انه مر بامراة فدفعها
فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا • وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة
يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك
فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى
وقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا فيه ولا يسمع الا منه فهذا لا يحتاج
الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه • ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده
ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من اين اخذت المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت
اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة • وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء
ابي علي الروذباري فقال عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة
فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء
فدخلت المسجد فاذا انا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم
اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله تعالى الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته ونظر الي وقال يا ابن
خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى
لقائنا فاخذ بكليتي ثم طاطا راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي
وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي فقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا
لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم
الثالث احلفتهما ان يعظاني لعلي انتفع بوعظهما فرفع الشاب راسه فقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك
الله رؤيته وتقع هيبته في قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة
المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك **الدرجة الثانية**
مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله عليهم على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم
يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها
مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت

فيه ويستحيون عن كل ما يفتضحون به يوم القيمة فانهم يرون الله تعالى مطلعا عليهم في الدنيا فلا يحتاجون الى انتظار القيمة
وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتستحيي منه فتحسن
جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانه
يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى يترك كلما انت فيه شغلا
به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته
وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل
فلينظر ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فليتوقف فيه
ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيى من الله عز وجل وانكف عنه ثم لام
نفسه على رغبتها فيه وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها
الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيد لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر
للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى
لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعل لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم عنه بان كان عليه ان يعمل ذلك
لمولاه يسأل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت فان لله تعالى في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته ووصفه الا
بعلم فيقال له كيف فعلت بعلم محقق او بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص
فيقال لمن عملت الوجه الله تعالى خالصا فوفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله تعالى او لمراءاة خلق مثلك فخذ
اجرك منه او عملت لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت بسهو وغفلة فقد سقط
اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدي تاكل رزقي وتترفه
بنعمي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا الاية ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فان عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات
طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك كفا
ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن
لمس ثوب اخيه وقال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم
الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان عليه تاخر وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك
اذا هممت وقال محمد بن علي المؤمن وقاف متان يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في المراقبة
ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف
نفسه وربه وعدوه الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره
وسكونه وحركته فلا يسلم من هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا ولا تظنن ان الجاهل بما يقدر على التعلم يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل
مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكايد الشيطان

ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه ولا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ
بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل
وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم والسعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله فيمضيه او لهوى النفس فيتقيه وينزجر القلب
عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم
القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر
فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ
بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء
المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تسال عني عالما اسكره حب
الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب
عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضاء انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على
عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد اولا في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف
الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات
والعقل الكامل عند هجوم الشهوات فجمع بين الامرين وهما متلازمان فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له
بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل
الضعيف الذي يسعد الادمي به حتى يحتاج الى محوه بالذنوب ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة افات الاعمال قد
اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الناشئة من
اتباع اصحاب الشهوات وقالوا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا للفقه
الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا الدين بواسطة هذا الفقه
وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة
عن القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم كسعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند
الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله صلى الله عليه وسلم اياك والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما
يستفتي به بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان من دعاء الصديق رضي الله عنه
اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى
وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشتبه عليك فكله الى
عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في العلم بغير علم واعظم نعمة الله
عز وجل على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال امتنانا على عبده وكان
فضل الله عليك عظيما واراد به العلم فقال فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال ان علينا للهدى وقال

ثم ان علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن ونعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما افلت من يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذا كله قوله ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة فاذا النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله ام للهوى • وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فقد استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران • احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واظهر ما يكسبه له فيحركانه ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل • وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله عز وجل فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة او سكون فاذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية ومراعاة الادب وحسن الفعل فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه • قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله جلست يوما متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعات بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراسته من الآفات فان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون على طاعته ولكل واحد من ذلك حد ولا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاثة فان كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا

ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد الانسان فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه فلعله آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم ومعناه على العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على تلك الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والتفكر فان الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله تعالى لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهي مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكلما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه الى الصانع منه مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول

المرابطة الثالثة المحاسبة بعد العمل

ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا • وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال استوصيت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه • وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه • وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم مائة مرة • وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون • وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ما عملت اليوم • وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل • وروي عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت ما احد

من الناس احب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فقالت عايشة ما احد من الناس احب الى من عمر فقال لا اما احدا عز علي
من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حين شغله الطاير في صلاته
فتدبر شغله فجعل حايطه لله عز وجل صدقة ندما ورجاء للعوض عما فاته • وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل
له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك من يكفيك قال اردت ان اجرب قلبي هل ينكر • وقال الحسن المومن قوام على
نفسه يحاسبها لله عز وجل وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم
اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المومن يفجاه الشي يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي
ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشي فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا
والله لا اعذر والله لا اعود لهذا ابدا ان شا الله تعالى • وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما
وقد خرجت معه حتى دخلت حايطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب امير المومنين
بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك • وقال الحسن في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المومن الا يعاتب
نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت باكلتي ماذا اردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه • وقال مالك
ابن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله عز
وجل فكان له قايدا وهذا في معاتبة النفس كما سياتي • وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم
ومن شريك شحيح • وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة اكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في
النار اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شي تريدين فقالت اريد ان
ارد الى الدنيا اعمل صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي • وقال مالك بن دينار رحمه الله سمعت الحجاج يخطب وهو يقول
رحم الله امرا حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرا اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرا
نظر في ميزانه فما زال يقول رحم الله امرا حتى ابكاني • وحكى صاحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان
عامة صلاته بالليل الدعا وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول يا احنف ما حملك على
ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم ان العبد كما يكون له وقت اول النهار يشارطه على نفسه التوصية بالحق ينبغي ان يكون له في اخر النهار ساعة يطالب النفس
ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها وكذلك يفعل التجار في الدنيا مع الشركا في اخر كل سنة حرصا على الدنيا وخوفا من
ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة في فوته ولو حصلت لهم لكانت لا تبقى الا اياما قلايل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه
فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الاباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منها
ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران لتتبين له الزيادة والنقصان فما كان من فضل حاصل
استوفاه وشكره وما كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد الفرايض وربحه النوافل
والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرايض اولا فان
اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء فان اداها ناقصة كلفها
الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما

يصنع

يصنع التاجر بشريكه كما انه يفتش في حساب الدنيا على الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي
منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فيطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول
نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما يتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله
وشربه ونومه وحتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه انه لم سكن فاذا عرف مجموع ذلك الواجب على النفس وصح عنده
قدر ادا الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر ذلك الباقي عليه فليثبته عليه وليكتبه في صحيفة قلبه كما يكتب
الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان
وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة على ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب
عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفا وينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة
في جميع الاعضا الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن
ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احدى وعشرون الف وخمسماية يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى المليك باحدى وعشرين
الف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس
الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسبها عن الانفاس وعن معصيتها بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل
معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة قريبة من عمره ولكنه تساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه احصاه الله
ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية
وارتكاب تقصير في حق الله تعالى لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليها مقارفة المعاصي وانست بها وعسر عليها فطامها
وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى
غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة سالكي
طريق الاخرة • فقد روي عن منصور بن ابرهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فادركه الحيا
من الله عز وجل فوضع يده في النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرايل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا
فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بالنزول اليها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله بسابقة فقال ما
هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات
رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار
والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره • ويحكى عن الجنيد انه
سمع ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تاخرا وتقصيرا فحدثتني
نفسي بالتاخر حتى اصبح ويسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعني على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله في طول عمري فيجب له
علي حق فلا اجد له المسارعة واجد في الوقوف والتاخر اليت لا اغتسلت الا في مرقعتي هذه واليت لا انزعها ولا
اعصرها ولا اجففها في الشمس • ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان
فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك • ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه
ان لا يشرب الما البارد طول حياته فكان يشرب الما الحار ليتنغص على نفسه العيش • ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة

فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها • وقال مالك بن ضيغم
جاء رباح القيسي يسأل عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة ما هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا
فقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول فقال هو اشغل من ان يفهم ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت
نوم هذه الساعة أكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله عهدا
الا انقضه ابدا الا ان وسدتك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوأة لك اما تستحين كم توبخين
وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته • وحكي ان تميما الداري نام
ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع • وعن طلحة رضي الله عنه انه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع
ثيابه وتمرغ في الرمضاء وقال يا نفس ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ بصر
بالنبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي
صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول
يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم • وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف
تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهواتها • ودخل ابن السماك على داود
الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب
فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل • وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام
سبعين سبتا يأكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك أتيت لو كان
فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى
الله حاجتك • وقال عبد الرحمن بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد
الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي والله لاعرضنك اهلك
وعيالك اليوم على الله تعالى قبلك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوائلهم
ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دأبه حتى
رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة • وقد ذكرنا حديث طلحة وانه شغل قلبه في
الصلاة طائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة له • وكان عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالليل ويقول ماذا عملت
اليوم • وعن مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء ما دام في الدنيا
وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه حتى يجد الم النار ويقول لنفسه ما حملك
على ان صنعت يوم كذا وكذا ويكرر ذلك وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم
المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير • ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند افطاره خبزا
بغير ملح فقال لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت
عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك وولدك واهلك على ما يصدر منهم من سوء خلق

وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم خرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك
واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضرر طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا
ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة فان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش
الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها **المرابطة الخامسة المجاهدة** وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها
قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد
من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط
فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة
بان تصدق بارض قيمتها مائتا الف درهم • وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا فاتته صلاة جماعة احيا تلك الليلة واخر
ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة • وكان بعضهم يجعل على
نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة بما فيه نجاتها فان قلت
ان كانت لا تطاوعني نفسي على الاجتهاد والمرابطة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمع ما ورد في
الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله
وتقتدي به كان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده نظرة فعملت عليه اسبوعا
الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في عصرنا من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع
فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم
ابد الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت
ويحول بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله منه ونحن نورد من اوصاف المجتهدين والعاملين وفضائلهم
ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم
بمرضى • وقال الحسن اجهدتهم العبادة • قال الله عز وجل والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا
من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله تعالى • وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله •
ويروى ان الله تعالى يقول لملائكته ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم شيئا فاشتاقوا
اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو رأوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا • وقال الحسن ادركت قوما وصحبت طوائف منهم
ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه
بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا
قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على
خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله ان يتقبلها واذا عملوا
السيئة احزنتهم وسألوا الله تعالى ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا
الا بالمغفرة • وحكي ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له
عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين امراض واسقام فقال سألتك بالله الا صدقتني فقال يا امير

المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني انظر
الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة وانا الى النار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت له ليلي وقليل حقير كلما انا فيه في
جنب ثواب الله وعقابه • وقال ابو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال ما بين
مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية • ودخل عليه رجل يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال
يا ابن اخي اني في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف • وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام
وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال
ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله عز وجل فكل من نظر بغير اعتبار كتب عليه خطيئة • وقالت
امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت اجلس خلفه فابكي رحمة
له • وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة
اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر • وكان الاسود بن يزيد مجتهدا في العبادة يصوم في الحر حتى
يخضر جسده ويصفر • وكان علقمة بن قيس يقال له لم تعذب نفسك فيقول اريد كرامتها وكان يصوم حتى يخضر جسده
ويقوم ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك
لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به • وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا
الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت
للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك • وكان ثابت البناني قد حبب اليه الصلاة وكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد
ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري • وقال الجنيد ما رأيت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي
مضطجعا الا في علة الموت • وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في
ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد عكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا
حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم • وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم
ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك
فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا • وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرأيته قد
مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت بالله يا فتح
بكيت الدم على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا تكون لم تصح الدموع
قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي قلت له فما صنع بدموعك قال قربني ربي وقال
يا فتح الدموع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال لي يا
فتح ما اردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد الي حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة واحدة • وقيل
ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب
انا قد اخطأنا الطريق فكيف هو فقال فاومى براسه نحو السماء فعلم القوم ما اراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت
مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب

ما يقدم الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية
ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته • وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب
من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته
وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسألة
الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا اعقرهم قلت يا راهب فما
الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل الذنوب والمعاصي
والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه • وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال
اني اذا لفارغ • وكان اويس القرني يقول هذه الليلة للركوع فيحيي الليلة كلها في ركعة وهذه الليلة للسجود فيحيي الليلة كلها
في سجدة • وقيل لابي عتبة الغلام كان لا يهتنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني
اتعب قليلا وانعم كثيرا • وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا على وجهه • وقال سفيان الثوري رحمه الله عند الصباح
يحمد القوم السرى عند الممات يحمد القوم التقى • وقال عبد الله بن داود كان بعضهم اذا بلغ اربعين طوى فراشه اي كان
لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على
خمسمائة ثم كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي • وكانت بنت الربيع بن خثيم تقول يا ابه ما لي ارى الناس ينامون واراك لا تنام
فيقول يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات • ولما رأت ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت
قتيلا فقال نعم يا والدتي فقالت ومن هو حتى نطلب الى اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك
فقال يا والدتي هي نفسي • وقال الربيع اتينا اويسا فوجدناه جالسا قد صلى الفجر فجلست فقلت لا اشغله عن التسبيح
فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء
ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي
هذا منه ثم رجعت ونظر الى اويس فقال يا ابا عبد الله ما لي اراك كأنك مريض فقال وما لاويس لا يكون مريضا يطعم المريض
واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم • وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته
كيف ينام بينهما • وقال رجل من الغسان اتيت ابراهيم بن ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة
ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يحدث وضوءا فحاك
ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة
احيانا وفي اودية النار احيانا فهل في ذلك نوم • وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز حتى ما يأتي
فراشه الا حبوا حبوا • وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل الا اني صرفت طعام
النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك خطر امر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها وما رأيت مثل
النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار
النوم فما ينام حتى يمسي فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج عند الصباح يحمد القوم السرى • وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد قيس

اربعة اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار • ويروى عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال صليت خلف علي الفجر فلما
سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا الليل سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين
اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين
يعني من كان حوله • وكان ابو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن
بك زحفا يكون الكلل منك لا مني فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول انت اولى بالضرب من دابتي
ويقول اظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم
رجالا • وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مزيدا
وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطوح ليضربه البرد واذا كان الصيف دخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام وانه مات
وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاءك فاحب لقائي • وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعائشة
رضي الله عنها اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلاة الضحى وهي تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي
وتدعو وتردد الاية حتى مللت وهي كما هي فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي
ورجعت وهي كما هي تردد الاية وتدعو وتبكي • وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى
قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيما الصالحين صفرة
الالوان من السهر وعمش العيون من البكا وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين • وقيل للحسن ما بال المتهجدين
احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره • وكان عامر بن قيس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني
وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي
كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة العقاب والحساب فاين الراحة والفرج • وقال
جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل كله بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه فيتفكر فاذا
مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه فيتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به
بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح • وعن القاسم بن راشد الشيباني
قال كان رجل نازل عندنا بالمحصب فكان له اهل وبنات فكان يقوم ويصلي ليلا طويلا واذا كان السحر نادى باعلى صوته
ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون فلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من هنا باك ومن هناك
داع ومن هنا قارئ ومن هنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته • عند الصباح يحمد القوم السرى • وقال
بعض العلماء ان لله عبادا انعم الله عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه
وصارت قلوبهم معادن لصفا اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون
ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصف
ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظواهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا
يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء • وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس

اذ هبطت الى واد هناك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا
بروضة عليها شجر ملتف واذا برجل قائم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله
ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا عليه
فقلت وا اسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة ثم سمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام
الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين
واليك فزعت امال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا
عليك يا دنيا يا بنات جنسك والا فعليك بمحبيك فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية
واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديت يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك
انتظر فراغك قال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ
من ذهبت ايامه وبقيت اثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرا وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى خر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت
منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف
عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت بالذي ترجو لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك
بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ ما شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني
فلم يجد عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وميلت الى حديثك
شعبة من قلبي فانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا
ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته • وقال بعض الصالحين بينما انا اسير
في مسيري اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف فقال يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على
وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت
فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض
وجهي بالنظر اليك واملا قلبي من المحبة لك واجرني من ذلة التوبيخ عندك غدا فقد آن لي الحياء منك وحان لي
الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى
وتركني وقد انشدوا فيه •

نحيب الجسم مكتئب الفؤاد	تراه بقنة او بطن واد
ينوح على معاص فادحات	تكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخافته وزادت	فدعوته اغثني يا عمادي
فانت بما الاقيه عليم	كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل

الذ من التلذذ بالغواني	اذا اقبلن في حلل حسان
منيب فر من اهل ومال	يسيح من مكان الى مكان •
ليخمل ذكره ويعيش فردا	ويظفر في العبادة بالامان

تلذذه التلاوة اين ولى . وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت ياتيه بشير . يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى . من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القران كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد
اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقال كم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون الف
سنة فقال كيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يامن من ذلك اليوم يعني انك ان عشت عمر الدنيا واجتهدت
سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه
جديرا فكيف وعمرك قصير والاجر لا نهاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها
فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فقد عز الان وجود معلم
ولو قدرت على مشاهدة من تقتدي بهم فهو انجع في القلب وابعث على الاقتدا فليس الخبر كالمعاينة فاذا عجزت
عن هذا فلا تغفل عن سماع احوال هؤلاء فان لم تكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتدا بهم والكون في غمارهم وهم
العقلا والحكما وذووا البصاير في الدين وبين الاقتدا بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى لها ان تنخرط
في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبيا وتوثر مخالفة العقلا فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقووا لا يطاق
الاقتدا بهم فطالع احوال النسا المجتهدات وقل لها الا تستنكفين يا نفس ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل
يقصر حاله عن حال امراة في دينها ودنياها

ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات

فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت
الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وبابك مفتوح وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي
بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت
شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا ام رددتها علي فاعزى وعزتك لهذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني
من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك وكرمك • ويروى عن عجردة انها كانت تحيي الليل كله وكانت
مكفوفة فاذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجا الليالي يستبقون الى رحمتك
وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في درجة
المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحما واعظم العظما واكرم الكرما يا كريم ثم تخر ساجدة فلا يسمع
لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر • وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من
النياحة والبكا فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها قال انت وذاك قال فاتيناها
فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكا شيا فكان اقوى لك على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله
لوددت اني ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا يبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكا
حتى غشي عليها • وقال محمد بن معاذ بن جبل حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة
فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال قايل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي زخرفت

الجنان لقدومها قلت ومن هذه المراة قال امراة سودا من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي
والله قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة تطير بها في الهوى فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني
من مكانك فلو دعوت الله مولاك فالحقني بك قال فتبسمت الي وقالت لم يان لقدومك ولكن احفظي عني
اثنين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت • وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية
رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نايمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا
هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا
مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام • وقال ابو هاشم القرشي
قدمت علينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض دارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا ونشيجا
فقلت يوما لخادمي اشرفي على هذه المراة فانظري ماذا تصنع بنفسها فاشرفت عليها فقالت ما اراها تصنع شيا
غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمك من حال الى حال وكل
احوالك لها حسنة وكل بلاءك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلعله بعد هذه
اتراها تظن انك لا ترى سو فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير • وقال ذو النون المصري خرجت ليلة
من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذ سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي
فلما قرب مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازعة فقلت رجل غريب فقالت
يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت ما الذي ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في
نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله لا يبكي الصادق قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكا
راحة القلب فبقيت متعجبا من قولها • وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك
قامت لتفتح لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جا يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها وقلنا
يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء اربعين سنة لا ينظر الى السما فحانت
منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فيالت عفيرة اذ رفعت راسها الى السما لم تعص الله يا ليتها اذ
عصت لم تعد • وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية
بالسوق فذهبت في مواضع حوايجي فقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت
الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في
موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت من قولها وقلت انت حرة فقالت ساءما صنعت
كنت اخدمك فيكون لي اجران فاما الان فقد ذهب احدهما • وقال ابن العلا السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها
برة تعبدت وكانت تكثر القراة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت ولم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها
من البكا فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكا قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا برة كيف
اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا مقيمين بارض غربة ننتظر متى ندعا فنجيب فقلنا لها الى كم هذا البكا فقد ذهبت
عيناك منه فقالت ان يكن لعيني خير عند الله فما يضرهما ما اصابهما وما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله

ثم فسيريد بكاء اطول من هذا واعرضت عنا قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة
العدوية اذا جاءها النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاءها الليل تقول هذه ليلتي التي اموت
فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من
البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا
وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك
امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب
وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عدلت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر
لها وبقي لها حسن نظرك فويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي
ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يسعفه لي عند مماتي بغفرانه الهي كيف ايأس من حسن نظرك بعد مماتي
ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك
على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لما سترتني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني
الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت
من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى
عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر فشهقت
ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها
فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد
حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر اهل الارض يضلوك وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما
ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال
الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك
نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت اهل زمانك
رأوك مجنونا وسخروا منك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم فالمصيبة اذا عمت طابت فاياك
ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها أرأيت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم
ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل يختلج في نفسك
ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم وتاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تترك موافقتهم
خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد وانت متعرض له في كل حال ومن اين
تطيب المصيبة اذا عمت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات
الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم
مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاقبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاقبتها وتوبيخها
وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس

اعلم ان اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها
وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت
وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة
التي اقسم الله عز وجل بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية
فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى
الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وسبيلك ان تقبل عليها وتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها وتشتد انفتها واستنكافها
اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما
تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو
وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين
ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة
ومواطاة وانه لا ياتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا في
الشاب دون الشيخ ولا في الشيخ دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الاجل فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون
المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس
حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك ان كانت جراءتك
على معصية الله تعالى لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك
واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له
فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عقابه هيهات هيهات جربي
نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين قدر
طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات
دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله وان ارهقتك شهوة من شهوات
الدنيا مما لا ينقضي الا بالدنانير والدراهم فما لك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله من وجوه الحيل فلم لا تعولين على
كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان الله
كريم في الآخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما
سعى ويحك ما اعجب نفاقك في دعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل
لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد
تكفل لك بامر الدنيا وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر
ووكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم
كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت

وتخلصت وهيهات أتحسبين أن تتركي سدى ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر
على أن يحيي الموتى فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وما أجهلك أما تتفكرين من ماذا خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك
ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه في قوله ثم إذا شاء أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذرك ولو أن يهوديا
أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركتيه وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء
المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل
وقصور علم وقلة دين العجب أنه لو أخبرك طفل أنه في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان
ودليل أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة العقلاء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أو صار أغلال
جهنم وحرها ونكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين
بألمه إلا يوما واحدا أو أقل منه ما هذا أفعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم ذلك لضحكوا منك وسخروا من عقلك
فإن كنت قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير
مهل فبماذا أمنت استعجال الأجل وهبك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة فتؤخرين العمل إلى آخرها أفتظنين
أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر
رجل ليتفقه في الغربة فأقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة من رجوعه إلى وطنه
هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسابه أن مناصب الفقهاء تنال
من غير تفقه اعتمادا على كرم الله تعالى ثم هب أن الجهد في آخر العمر نافع إلى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا
تشتغلين به فإن أوحي إليك بالإمهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل لك
إلا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات
هذا يوم لم يخلقه الله تعالى قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على
النفوس وهذا محال وجوده أما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما
فكيف وجدته أوما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الأمس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فغدا أنت
عنه أعجز وأعجز لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فإذا عجز عن قلعها للضعف وأخرها
كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم أن طول المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع
لها ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب
تهذيب الذئب والغصن الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فإذا كنت لا تفهمين
هذه الأمور الجلية فتركنين إلى التسويف فما لك تدعين الحكمة وأي حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين
إنما يمنعني من الاستقامة الحرص على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقات فما أحمقك وأقبح
اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع
في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشهواتك فالنظر لها في مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات وما قولك في عقل
عليل أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويتهنى بشربه طول العمر وأخبره أنه إن شربه مرض مرضا

مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضي
ترك شهوته في الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام تلزمه المخالفة ثلاث مائة وثلاثة آلاف وجميع عمرك بالإضافة
إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته
وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة من ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم
المجاهدة فكيف يطيق ألم عذاب الله تعالى ما أراك تتوانين عن النظر إلا لكفر خفي أو لحمق جلي أما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك
بيوم الحساب وعظم قدر الثواب والعقاب وأما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه واستغنائه عن
عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة واحدة من الخبز وحبة من المال وكلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل
تتوصلين إلى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك لا ينبغي أن تغرك
الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك فالأنفاس معدودة
وإذا مضى نفس من أنفاسك ذهب منك بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر
والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها أما تستعدين للشتاء بقدر طول
مدته فتجمعين الحطب واللبد وتعدين الجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولا لبد
ولا حطب فإنه قادر على ذلك أفتظنين أن زمهرير جهنم أخف بردا أو أقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن
العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجبة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار
وبردها إلا بحصن التوحيد والطاعات وإنما كرم الله تعالى في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا في أن
يندفع عنك العذاب دون حصنه كما أن من كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك إلى طريق استخراجها
من بين حديد وحجر حتى تدفع برد الشتاء عن نفسك فكما أن شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وإنما
تشتريه لنفسك إذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعتك ومجاهدتك أيضا هو مستغن عنها وإنما هي طريقك
إلى النجاة فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك
بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وكما بدأكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا
ويحك ما أراك إلا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتوكدين
في نفسك مودتها فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فما أنت بمؤمنة
بالموت المفرق بينك وبين محابك أفترى أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره إلى وجه مليح
يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة إلى مفارقته أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى أما تعلمين أن
أن الدنيا دار الملك الملوك وما لك فيها إلا المجاز وكل من فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك
قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وعش ما
شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به أما تعلمين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا ويأنس بها
مع أن الموت من ورائه فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وإنما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري أو

ما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم
يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني احدهم قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره
قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد بناءه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب
اخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذات بصيرة
تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتدا فقيسي عقل الانبيا والحكما والعلما بعقل هؤلاء
المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكا ما اعجب
امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك اسكرك
حب الجاه وادهشك عن فهمها او ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان
كل من على وجه الارض سجدوا لك واطاعوك اما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقى انت ولا احد ممن على
وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما ورد على الملوك الذين قبلك
فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين ما لا يفنى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان
هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب
كيف وما تواد مارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا
رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها
وتوقيا عن سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد اذ زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا
ان ساعدتك فلا تخلوا لك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها
فاف لدنيا يسبقك اليها الاخسا فما اجهلك واخس همتك واسفه رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة
المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف النعال من غمار الحمقى
الجاهلين اياما قلايل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك
واقترب الموت وورود النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضي عنك
ربك بعد الموت ما لك الا اياما معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت والله
عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرا في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين
ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان
عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك فقد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا
يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه
لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك ويحك اما تستحيين تزيين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظايم
فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك تامرين الناس بالخير وانت ملطخة
بالرذايل اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة والعذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وانت غير طيبة
في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت الناس ما يصيبهم بلاء الا بشومك ويحك قد جعلت نفسك

حمار الابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر منك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الافات ما لو نجوت منها راسا برأس
لكان ربحا وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطية واحدة بعد ان عبده مايتي الف سنة
واخرج ادم من الجنة بخطية واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك تشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك
كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا
وبنيانهم قبورا واملهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الاخرة وانت من الخالدين
هيهات هيهات ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن
قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك سود الالوان كالحة الوجوه
بشرى العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكا فالعجب كل العجب منك انك
تدعين الى البراءة عنه بزينته وتذكرين بالله وانت عنه ناسية ومع هذا كله تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك
انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما ينفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين عن الاخرة
وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله ومؤمل غدا لم يبلغه
وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك
فاحذري يا مسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه الا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يساله عن عمله دقيقه
وجليله سره وعلانيته فانظري باي قلب تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا
واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقام ودار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي
قبل الا تعملي اخرجي من الدنيا اختيار الخروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما ساعدك من
زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك وياكل ويشرب ويلهو
وقد حق له في كتاب الله انه وقود النار فليكن نظرك الى الدنيا يا نفسي اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها
اختيارا وطلبك للاخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي
واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به
وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك
بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك من قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد
والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد
طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق
الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي
نفسك والقنوط كبيرة من الكباير نعوذ بالله منها فلا سبيل لك الى الرجا مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك
اغترار وليس رجا فانظر الان هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة
منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجا فواظبي على النياحة والبكاء
واستعيني بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم

ضعفك وبعدك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل
وزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجا ولا منجا الا الى مولاك فافزع اليه بالتضرع
والخشوع في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث لطالب المتلهف وقد
اصبحت والله مضطرا والى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل
ولم تنجع فيك العظة ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسئول جواد والمستغاث به بر رؤوف والرحمة واسعة
والكرم فايض والعفو شامل فقولي يا ارحم الراحمين يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجرى الذى لا اقلع انا
المتمادى الذى لا يستحيى هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتى
وفرجى وارنى اثار رحمتك واذقنى برد عفوك ومغفرتك وارزقنى قوة عصمتك يا ارحم الراحمين اقتدا بابيك
صلى الله عليه وسلم فقال وهب بن منبه لما اهبط الله تعالى ادم الى الارض من الجنة مكث حولا لا ترقى له دمعة فاطلع
الله في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه فاوحى الله تعالى اليه يا ادم ما هذا الجهد الذى ارى بك قال يا رب
عظمت مصيبتى واحاطت بى خطيئتى واخرجت من ملكوت ربى فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاوة بعد
السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء
بعد الخلود والبقا فكيف لا ابكى خطيئتى فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفك لنفسى واحللتك دارى وخصصتك
بكرامتى وحذرتك سخطى الم اخلقك بيدى ونفخت فيك من روحى واسجدت لك ملايكتى فعصيت امرى ونسيت
عهدى وتعرضت لسخطى فوعزتى لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوننى ويسبحوننى ثم عصونى لانزلتهم منازل
العاصين فبكى ادم عليه السلم عند ذلك ثلاث مائة عام وكان عبد الله البجلى كثير البكا يقول في بكايه طول الليل الهى
انا الذى كلما طال عمرى زادت ذنوبى انا الذى كلما هممت بترك خطيئة عرضت لى شهوة اخرى واعيدا من خطيئة لم
صاحبها في طلب اخرى واعيداه ان كانت النار مقيلا لك وماوى واعيداه ان كانت المقامع لراسك تهيا واعيداه
قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالى بالكوفة عابدا
يناجى ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك
جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف ولكن سولت لى نفسى واعانتنى على ذلك شقوتى وغرنى سترك المرخا
على فعصيتك بجهلى وخالفتك بفعلى فمن عذابك الان تستنقذنى او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عنى واسواتاه
من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلى كلما كبرت
سنى كثرت ذنوبى ويلى كلما طال عمرى كثرت معاصى فمن كم اتوب وفي كم اعود اما ان لى ان استحيى من ربى فهذه طرق القوم
في مناجات مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومن المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن
اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان يكون الله عنه راضيا والسلام تم كتاب المحاسبة والمراقبة

كتاب التفكر

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذى لم يقدر لانتهاء عزته حدا ولا قطرا • ولم يجعل المراقى الاوهام ومرامى سهام

الاوهام على حمى عظمته مجرى • وترك قلوب الطالبين في بيدا كبريايه واله حيرى • فلما اهتزت لمطلوبها ردتها
سبحات الجلال قسرا • واذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا • ثم قيل اجيلى في ذل
العبودية فكرا • لانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدرى لها قدرا • وان طلبت وراء التفكر في صفاتك
امرا فانظرى في نعم الله كيف توالت عليك تترا • وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا • فابلغت من ذلك امرا امرا
وتاملى في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا • ويسرا وربحا وخسرا • وجبرا
وكسرا وطيا ونشرا • وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا • وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت
امرا امرا • وخاطرت بنفسك مجاوزا حد طاقة البشر ظلما وجورا • فقد انبهرت العقول دون مبادى اشراقه
وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا • والصلاة على سيدنا محمد سيد ولد ادم ولم يعد بسيادته فخرا •
صلاة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرا • وعلى اله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا
ولطوايف المسلمين صدرا • وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة
سنة وكثر الحث في كتاب الله عز وجل على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار • ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار
ومبدا الاستبصار • وهو شبكة العلوم • ومصيدة المعارف والفهوم • واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته
لكن جهلوا حقيقته وثمرته • ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته • ولم يعلموا كيف يتفكرون
وفيماذا يتفكرون ولم يتفكرون وما الذى يطلب به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهى من العلوم
ام من الاحوال ام منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر ثم ثمرته ثم مجارى
التفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

فضيلة التفكر

قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز
في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
وقد قال ابن عباس رضى ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في الله فانكم
لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في
خلق الله عز وجل فقال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضا نورها بياضها
وبياضها نورها مسيرة الشمس فيها اربعون يوما فيها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا رسول
الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون اخلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد ادم قال لا يدرون خلق ادم ام لا وعن
عطا قال انطلقنا انا وعبيد بن عمير الى عايشة رضه فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال
قول النبى صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شى رايتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت
كل امره كان عجبا اتانى في ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى اتعبد لربى عز وجل فقام الى القربة فتوضا منها ثم
قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يوذنه لصلاة الصبح فقال يا رسول
الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى ان ابكى وقد انزل الله
تعالى على في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب ثم قال ويل
لمن قراها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعى ما غاية التفكر قال تقروهن وتعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من

اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابى ذر فسالها عن عبادة ابى ذر فقالت كان نهاره اجمع فى ناحية يتفكر وعن الحسن
قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة • وعن الفضيل قال التفكر مراة تريك حسناتك من سياتك • وقيل لابرهيم انك
تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العبادة • وكان سفين بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول • اذا المرء كانت له فكرة ففى كل
شئ له عبرة • وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض مثلك قال نعم من كان منطقه
ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن
لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله عز وجل ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر
فى امرى وقال ابو سعيد الخدرى رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما
حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه • وعن امراة كانت تسكن البادية قريبا
من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر فى حجب الغيوب من خير الاخرة لم يصف لهم فى الدنيا
عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمن الحكيم عليه الرحمة يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمن انك
تطيل الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان انس لك فيقول لقمن ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل
على طريق الجنة • وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا فهم ولا فهم الا علم ولا علم قط الا عمل وقال
عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عز وجل افضل من العبادة • وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه
متفكرا اين بلغت قال الصراط • وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله عز وجل ما عصوا الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب • وبينا ابو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له
ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب اجلى • وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر
وقال ابو سليمان الفكرة فى الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكرة فى الاخرة تورث الحكمة وتحيى القلوب
وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر فى الخير
يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال فى بعض الكتب انى لست اقبل كلام كل حكيم
ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم • وقال الحسن ان اهل العقل
لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة • وقال اسحق بن خلف كان
داود الطائى على سطح فى ليلة قمراء فتفكر فى ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جار له
فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا
الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك • وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان
التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله تعالى ثم قال يا لها من مجالس
ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه • وقال الشافعى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال
ايضا صحة النظر فى الامور نجاة من الغرور والعزم فى الراى سلامة من التفريط والندامة والروية والفكر يكشفان عن
الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان
تقدم • وقال ايضا الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها فى الشهوة والثالثة

وقوامها فى الغضب والرابعة العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء فى الفكر وما شرع احد منهم فى ذكر حقيقته
وبيان مجاريها

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين فى القلب ليستثمر
منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا واراد ان يعرف ان الاخرة اولى من العاجلة فله
طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الاخرة
اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثانى ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف
ان الاخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الاخرة
اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة

[illegible]

وهذا هو الذى يكشف لك فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من اعمال
الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذن التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل
هو الذى ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذى يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك
قال تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الاخرة فان الفكر
فيه تعرفنا ان الاخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الاخرة والزهد
في الدنيا وهذا ما عنينا بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الاخرة وقلة
الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا
والاقبال على اعمال الاخرة فها هنا خمس درجات اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر
وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير
حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب
بالحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضئ بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك
زناد نور المعرفة هو الفكر الذى يجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر
على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى
ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض
العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال التى يتصور ان تعلق
على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجارى الفكر
غير محصورة وثمراته غير محصورة نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى
الاحوال التى هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فان تفصيل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها وجملة هذه
الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم وتلك العلوم مستفادة من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط الجامع فيها
ليحصل الوقوف على مجارى الفكرة **بيان مجارى الفكر** اعلم ان الفكر قد يجرى في امر يتعلق
بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعنى بالدين المعاملة التى بين
العبد والرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله ولا
يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى عز وجل او فيما هو مكروه
ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تبارك وتعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى
واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر
في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهى حال العشاق فلنتخذ العاشق
المستهتر مثالا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان
تعلق بمعشوقه تفكر في معشوقه فانما يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما
ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته

وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التى تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التى تقربه منه
وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شئ خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان
فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفى القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى
ينبغى ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن
خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب
منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم المعاملة الذى هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الاخر
فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصى والى
باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التى محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات
والمعاصى تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى البدن كالزحف عن صف القتال وعقوق
الوالدين والسكنى في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور الاول التفكر في انه
هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شئ لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثانى في التفكر انه ان كان مكروها
فما طريق الاحتراز عنه والثالث هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال
فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات
فاذا اجتمعت هذه الاقسام زادت مجارى الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها
واما في اكثرها وشرح هذه الاحاد يطول ولكن نقتصر هذه الاقسام في اربعة انواع الطاعات والمعاصى والصفات
المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع منها مثالا ليقيس بها المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع
عليه طريقه **النوع الاول المعاصى** ينبغى ان يفتش صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا
ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او متعرض
لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان فيقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس
والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعنى الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند
الله تعالى ويتفكر في شواهد السنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم
يتفكر كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد وبان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم
بما لا يرضاه الله تعالى او يضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز
ويتفكر في سمعه انه مستمع به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه
من زيد ومن عمرو وانه كيف ينبغى ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهى عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه
انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة
التى هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه ومما
ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب والاحتراز من الحرام ويقرر على ان
العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله لا يقبل صلاة عبد

فى ثوب فيه درهم من حرام كما ورد الخبر فهكذا يتفكر فى اعضائه ففى هذا القدر كفاية مهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة
بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها

النوع الثانى وهو الطاعات

فينظر اولا فى الفرايض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة
النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر فى الافعال التى تتعلق بذلك العضو مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين
خلقت للنظر فى ملكوت السموات والارض وغير ذلك من ايات الله عز وجل وتستعمل فى طاعة الله عز وجل وتنظر فى كتاب
الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القران والسنة فلم لا افعله وانا قادر
على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك
عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول فى سمعه انى قادر على استماع كلام ملهوف او استماع قراءة وذكر حكمة او علم
وقد انعم الله تعالى على به اودعنيه لاشكره فمالى اكفر نعمة الله تعالى بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر فى اللسان ويقول
انى قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال
السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر فى ماله فيقول
انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلانى فانى مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقنى الله مثله وان كنت محتاجا الان
فانا الى ثواب الايثار احوج منى الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه
وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات
الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه فى البدار الى تلك الطاعات ويتفكر فى اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق
حتى يزكو بها عمله وقس على هذا ساير الطاعات

النوع الثالث وهو الصفات المهلكات

التى محلها القلب فيعرفها بما ذكرناه فى ربع المهلكات وهى استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والريا
والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر
فى كيفية امتحانه نفسه والاستشهاد بالعلامات على ذلك فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتكذب فاذا ادعت
التواضع والبراءة من الكبر فينبغى ان يجرب نفسه بحمل حزمة من حطب ونحوها فى السوق كما كان الاولون يجربون
به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها فى كظم الغيظ وكذلك فى ساير الصفات وهذا
تفكر فى انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها علامات ذكرناها فى ربع المهلكات فاذا دلت العلامات
على وجودها فيتفكر فى الاسباب التى تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشاها من الجهل والغفلة وخبث
الدخلة كما لو راى فى نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انا اعمل ببدنى وجارحتى وقدرتى وارادتى وكل ذلك ليس منى
ولا الى وانما هو من خلق الله تعالى وفضله على فهو الذى خلقنى وخلق جوارحى وخلق قدرتى وارادتى وهو الذى
حرك اعضائى بقدرته واقدرنى واراد ارادتى فكيف اعجب بنفسى او بعملى ولا قوام لنفسى بنفسى واذا احس فى
نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فى الكبر من الحماقة ويقول لها لم ترين الكبر والكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك
ينكشف بعد الموت وكم من كافر فى الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله
عند سوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر فى علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين

واذا

واذا وجد فى نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر فى ان هذه صفة البهايم ولو كان فى شهوة الطعام والوقاع كمال لكان
من صفات الله تعالى ومن صفات الملايكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهايم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهايم
اشبه وعن الملايكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه فى الغضب ثم يتفكر فى طريق العلاج وكل ما ذكرناه فى هذه الكتب
فكل من اراد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما فى هذا الكتاب

واما النوع الرابع وهو المنجيات

فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد فى الدنيا والاخلاص والصدق
فى الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع اليه وكل ذلك ذكرناه فى هذا
الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم فى قلبه ما الذى يعوزه من هذه الصفات التى هى المقربة الى الله
فاذا افتقر الى شى منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا الافكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه
حال التوبة والندم فليفتش عن ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها فى قلبه ثم ينظر فى الوعيد والتشديد
الذى ورد فى الشرع فى ذلك وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من
قلبه حال الشكر فلينظر فى احسان الله تعالى اليه واياديه لديه وفى ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه فى كتاب
الشكر وليطالع ذلك وان اراد حال المحبة والشوق فليتفكر فى جلال الله تعالى وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر فى عجايب
حكمته وبدايع صنعته كما سنشير الى طرف منه فى القسم الثانى من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا فى ذنوبه
الظاهرة والباطنة ثم لينظر فى الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه
ثم فى هول النداء عند نفخة الصور ثم فى هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد واحد ثم المناقشة فى الحساب والمضايقة فى
النقير والقطمير ثم فى الصراط ودقته وحدته ثم فى خطر الامر عنده انه هل يصرف الى الشمال فيكون من اهل النار او
او يصرف الى اليمين وينزل دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيامة فى قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها
وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانهم كلما نضجت جلودهم
بدلهم جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا وشهيقا وهلم جرا الى جميع ما ورد فى القران من شرحها وان اراد ان يستجلب حال الرجا فليتفكر فى الجنة ونعيمها
واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا طريق الفكر الذى تطلب به العلوم التى
تثمر اجتلاب الاحوال المحبوبة والتنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا فى كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به
على تفصيل الفكر واما ذكر مجامعه فلا يوجد انفع من قراءة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفا
للعالمين وان تدبر اياته ففيه ما يورث الخوف والرجا والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير الاحوال وفيه ما يزجر عن
ساير الصفات المذمومة فينبغى ان يقراه العبد ويردد الاية التى هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو ماية مرة
فقراءة اية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تفهم وتدبر وتفكر وليتوقف فى التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة من القران
اسرارا لا تنحصر لا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفا القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقد اوتى جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تاملها العالم حق تاملها لم ينقطع نظره طول عمره
وشرح احاد الايات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى احبب من احببت

فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانت مجزى به فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين و
والاخرين وهى كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت
بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق التفكر فى علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هى محبوبة
عند الله تعالى او مكروهة والمبتدى ينبغى ان يكون مستغرق الوقت فى هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات
الشريفة وينزه ظاهره وباطنه عن المكاره وليعلم مع هذا انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول
به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر فى جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اى ينسى
نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ
للنظر فى احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وذلك منتهى لذة العشق فاما ما ذكرناه فهو تفكر فى
عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره فى اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور
فى البوادى فلقيه الحسين بن منصور فقال له فيم انت قال ادور فى البوادى لاصحح حالى فى التوكل افنيت عمرك فى عمران
باطنك فاين الفنا فى التوحيد فالفنا فى الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه
عن الصفات المهلكات فيجرى مجرى الخروج عن العدة فى النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وساير الطاعات
فيجرى مجرى تهيئة المراة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها فى تبرئة
الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد
السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا فى الاجرة فدونك واتعاب البدن فى الاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب
كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام اخرون وهو معنى قوله فى مقعد صدق عند مليك
مقتدر واذا علمت مجال الفكر فى علم المعاملة التى بين العبد وبين ربه فينبغى ان تتخذ ذلك عادتك ودينك صباحا
ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه بل كل مريد فينبغى ان يكون له جريدة
تثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصى والطاعات ويعرض نفسه عليها كل
يوم ويكفيه من المهلكات عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها فهى البخل والكبر والعجب والريا والحسد وشدة
الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ويكفيه من المنجيات عشرة الندم على الذنوب
والصبر على البلا والرضا بالقضا والشكر على النعما واعتدال الخوف والرجا والزهد فى الدنيا والاخلاص
فى الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة
محمودة فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها من جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها
وتنزيهه وتبرئة قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل
الرذايل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف
بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واستقبل الاشتغال بالباقى وهذا يحتاج
اليه المريد المشمر واما اكثر الناس المعدودين من الصالحين فينبغى ان يثبتوا فى جرايدهم المعاصى الظاهرة كاكل الشبهة
واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمرا والثنا على النفس والافراط فى معاداة الاعدا وموالاة الاوليا والمداهنة

مع الخلق فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من جملة الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه
المعاصى فى جوارحه وما لم تطهر الجوارح عن الاثام فلا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس
يغلب عليهم نوع من المعاصى فينبغى ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا فى معاص هم فى معزل عنها ومثاله العالم
الورع فانه لا يخلو فى غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن
فعل ذلك فقد تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع فى القلوب لا
ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك كله من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على
من يرده وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره
فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم اخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول
او فرح بالثنا واستنكاف عن الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثنا
والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيه لنشر الحق وتحسين
موقعه فى القلب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه بحسن الفاظه وثنا الناس عليه اكثر من فرحه بثنا الناس على واحد
من اقرانه فهو مخدوع وانما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الاجر ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر
على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعترف بفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو فى موالاة غيره وان
كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهى الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النسا فيشق على احدهم ان يختلف بعض
تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه ينتفع بغيره ويستفيد منه فى دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر
القلب التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو
اما مالك واما هالك ولا مطمع له فى سلامة العوام فمن احس فى نفسه شيئا من هذه الصفات فالواجب عليه الانفراد
والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوى جمعا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا ابدا يتدافعون الفتوى اذ وقع كل من كان يفتى كان يود ان يكفيه غيره وعند
هذا ينبغى ان تسعى شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل
لهم ان دين الاسلام مستغن عنى قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام والدين
مستغن عنى واما انا فمستغن عن اصلاح قلبى واما ان يؤدى ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على الجهل فان الناس لو
حبسوا فى السجون وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم
حيطان السجون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة
والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة بل ينتهض لنصرة الدين ولنشره اقوام لا نصيب لهم فى الاخرة كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا
ينبغى ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بملاحظة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب الجاه والثنا والتعظيم
فان ذلك بذر النفاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل
وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان فى زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال فى دين الرجل المسلم ولا

ينقلع حب الجاه والمال من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها فهذه وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرايض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انا نقتدي في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين من علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فينغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في اكمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي موذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها على الم لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه

القسم الثاني

الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه وفيه مقامات   المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله سبحانه وتعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس فانه لا يقدر على النظر اليها اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولكنه لا يطيق دوام النظر ويخشى على بصره لو ادام النظر ونظره المختطف يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس هو سبحانه وتعالى داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طايفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه سبحانه يتعالى ان يكون له راس ويد ورجل وعين وعنق وعضو وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا انه قدح في عظمة الله تعالى وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا جنسه فكلما لا يساويه في صفاته لا يساوي العظمة فيه نعم غاية ان يقدر نفسه

جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله سبحانه وتعالى حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل فان الانسان جهول ظلوم كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته محظورا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه سبحانه وجل جلاله وتقدست اسماؤه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله وعجائب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته فننظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا لا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم نور القرص بالاضافة الى نور القمر وساير الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا آثار من آثار قدرته تعالى ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا تبهرنا انوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا من قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله تعالى

بيان التفكر في خلق الله سبحانه وتعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجايب وغرايب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل منها ليكون ذلك كالمثال لما عداه   فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال سبحانه الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون   وقال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه فكالملايكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال التفكر فيها مما يغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما فكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا والمحرك لها هو الله سبحانه وتعالى

وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهدة لله بالوحدانية ودالة على جلاله وكبريائه وهي الايات الدالة
عليه وقد ورد القران بالحث على التفكر في هذه الايات كما قال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
وكما قال ومن اياته من اول القران الى اخره فلنذكر كيفية التفكر في بعض الايات فمن اياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب
شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشره وانت غافل عن
ذلك فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرها وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز
فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة مذرة فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه
من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم
بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار
مكين وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الاية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه
ويترك التفكر في معناه **فانظر الان الى النطفة** وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهوا
وافسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى المحبة في قلوبهم
وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض
من اعماق العروق وجمعه في الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل
النطفة وهي بيضا مشرقة علقة حمرا ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزا النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام
والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحم والاعصاب والعروق الاعضا الظاهرة فدور الراس وشق
السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم
كيف ركب الاعضا الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرية والرحم والمثانة والامعا كل واحد على شكل
مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضا باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات
لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها لتعطلت العين عن الابصار
فلو ذهبنا نصف ما في احاد هذه الاعضا من العجائب والايات لانقضت فيه الاعمار فانظر الان الى العظام
وهي اجسام قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة
واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى
الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه لتردده في بعض حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل
حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض
باوتار انبتها في احد طرفي العظم والصقه بالطرف الاخر كالرباط ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منها وفي الاخر
نقرا غائصة فيها موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع
عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين

عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى بها كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة
عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي
الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحويفات
وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول **ذكر وجه الحكمة فيها** ثم ركب
الرقبة على الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزا مختلفة ثم يتصل
به من اسفله عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة اجزا ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام
اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم رتب عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع
عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل
فانظر كيف خلق ذلك كله من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه
الاطبا والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف دبرها وقدرها وخالف بين اشكالها واقدارها
وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان
نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها
على جلال خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى الات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق
في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة هي مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة
الاشكال والمقادير بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها
لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب
والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللمتفكر مجال رحب
في احاد هذه الاجزا ثم في احاد الاعضا ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني
والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيها من الصنعة
ما يقضي له العجب وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ما قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت
السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها
واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي
احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى
أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل انه لو اجتمع الانس
والجن على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او
جلدا او شعرا هل يقدرون على شيء من ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك
لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حائط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة
الانسان وقال الناظر اليها كانها انسان لعظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته ولعظم
في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحائط وباليد وبالقدرة وبالعلم وبالارادة

وشي من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص
فيكثر تعجبك وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترائب ثم اخرجها
منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء
مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها ودبر ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى
لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها شخصا سميعا بصيرا عالما ناطقا فخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن
حاويا لآلات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين وركب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم حماها بالاجفان
لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذار عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد
اقطارها فهو ينظر اليها وشق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت
فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه
فيتنبه عن النوم صاحبها اذا قصدته الدابة في نوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه واحسن شكله
وفتح منخريه واودع فيها حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح
الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان
لتكون آلة للطحن والكسر والقطع واحكم اصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب
كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبقا على الفم وتسدا منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق
الحنجرة وهياها لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة على الحركات والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف
بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة
الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلم يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى
يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين
وزين الحاجب برقة الشعر وتقويس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد منها لفعل
مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه
بجذب السوداء عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه بجذب المائية عنه والمثانة تخدم الكلية بقبول
الماء عنه ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما
لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب
ليدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما
وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا صلح
القبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة
له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع
وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو
عدمه الانسان وظهرت به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك

حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا
في النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلاث ولو انكشف الغطاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها
شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا او فاعلا لا يمس آلته ولا يلاقيه وهو يتصرف فيها فسبحانه ما اعظم شأنه
واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الجنين لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج
من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم انه لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم كان بدنه
سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم لبنا خالصا سائغا وكيف خلق الثديين
وجمع فيهما اللبن وانبت فيهما الحلمة على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا صغيرا جدا حتى لا يخرج اللبن الا بعد المص تدريجا
فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم هداه الى الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه
ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف
ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج
تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير
نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل
والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما شكورا واما كفورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا
تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف ثم الى الكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة
الربوبية فالعجب كل العجب ممن يرى حسنا او نقشا حسنا على حائط فيستحسنه ولا يصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط
وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه واتم صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب
في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي
لا يمكن استقصاؤها وهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا
تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها
وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ
بذلك يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه المنزلة
للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق
الله له القدرة ثم عطلها وكفر النعمة فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق التفكر في نفسك فتفكر في الارض
التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات
ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قرارا لا تتحرك وارسى فيها الجبال
اوتادا لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جوانبها وان طالت اعمارهم وكثرت طوافهم وقال تعالى
والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه ذكر
الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها وطن للاموات ولذلك قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا

فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجايب النبات وخرجت منها
اصناف الحيوانات ۝ ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات والشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع
المياه تحتها فحفر العيون واسال الانهار تجري على وجهها وانما اخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء
رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون
ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والروايح يفضل بعضها على
بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من ارض واحدة ۝ فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان
في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ۝ ثم انظر
الى ارض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فلا ترى فيها شيئا بل تراها ترابا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون
وشكل يخالف الاخر ۝ وانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعها
وكيف اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن
وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفرا من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفرا وهذا يقمع البلغم والسودا وهذا
يستحيل اليهما وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الارض
ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد منها يحتاج الى العلاج في تربيتها
الى عمل مخصوص فالنخل يؤبر والكرم يزبر والزرع ينقى منه الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها
بغرس الاغصان وبعضها يركب في الاشجار ولو اردنا ان نذكر اختلاف النبات ومنافعه واحواله وعجايبه لانقضت
الايام في وصفه فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجايب النبات

ومن اياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال
كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج وغيرها بعضها منطبعة تحت الارض كالذهب والفضة
والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج وغيره وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ
الاواني والالات والنقود والحلي منها ۝ ثم انظر الى معادن الارض مع النفط والكبريت والقار وغيرها واقلها الملح ولا
يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها ۝ فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الارض
سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول وزن مثقال منه ليكون ذلك
تطييبا لطعامك اذا اكلت فيتهنا عيشك وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس
ما خلق منها شيئا عبثا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق وكما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك
قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق

ومن اياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى
مائة كما يشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور
الجو والى وحوش البر والى البهايم الاهلية ترى من العجايب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة
مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب البقة والنملة والنحلة وهي من صغار الحيوانات في

بناء بيتها وجمعها غذاها والفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجتها
لم تقدر ۝ **فترى العنكبوت** تبني بيتا على طرف نهر فتطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع
فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم تبتدي فتلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب فيلتصق به ثم تعدو الى
الجانب الاخر فتحكم الطرف الاخر من الخيط ثم تحكم كذلك ثانيا وثالثا وتجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا
حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسداة اشتغل باللحمة فيضيف اللحمة الى السداة ويحكم العقد على موضع التقاء
السدا باللحمة ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا
لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع فيها بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حايط ووصل
به طرفي الزاوية بخيط ثم يعلق نفسه منها بخيط اخر ويبقى منكسا في الهوا ينتظر ذبابة تطير فاذا طار الذباب رمى بنفسه
اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا تحصى
افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه ادمي وعلمه اياها او لا هادي له ولا معلم افيشك ذو
بصيرة في انها مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف
افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في
هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تحير فيه الالباب والعقول فضلا عن ساير
الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب
القلوب منها لانسهم بكثرة المشاهدة نعم اذا راوا حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبهم وقالوا سبحان الله ما اعجبه والانسان
اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها
وجلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها الله تعالى لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وابنية
لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها
حاملة للاثقال قاطعة للبراري والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم
محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تامل وتدبر ومن غير
استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب
العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله
وعظمته فمن ذا الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسال
الله ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته

ومن اياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي
قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البراري والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة
في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب
اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب البر وما فيها مكشوف فتامل
عجايب البحار فان فيها من الحيوان والجواهر اضعاف عجايب ما تشاهد على وجه الارض كما ان سعتها اضعاف سعة الارض ولعظم
البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى على ظهورها فيظن انها جزيرة فربما نزل الركاب عليها وربما احسوا بالنيران اذا

اشتعلت فتحرك فيعلم بذلك انها حيوان فما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر وانسان الا وفي البحر
امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير في البر قد ذكر اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر
وجمع عجايبه ۰ ثم انظر كيف خلق الله سبحانه وتعالى اللولو ودوره في صدفة تحت الماء ۰ وانظر كيف انبت المرجان من
صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة الشجر ينبت من الحجارة ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي
يقذفها البحر ويستخرج منه ۰ ثم انظر الى عجايب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسيرها في البحار وطلاب
الاموال وتجارتهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها
ولا يستقصى على الجملة عجايب صنع الله تعالى في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة
الماء وهو جسم رقيق لطيف مشف متصل الاجزا كانه شي واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل
مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال به حياة كلما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى
شربة ماء ومنع لبذل جميع خزاين الدنيا في تحصيلها لو ملكها واذا شرب ثم منع اخراجه فيبذل جميع خزاين الارض في
اخراجه فالعجب من الادمي يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجوهر ويغفل عن نعمة الله تعالى في شربة ماء اذا احتاج
لشربها وللاستفراغ منها يبذل جميع الدنيا فتامل في عجايب المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكرة
ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلالة بارئها معربة عن كمال
حكمته لها منادية ارباب القلوب بنغماتها قايلة اوما تراني اوما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف
حالاتي وكثرة فوايدي اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي اوما تستحيي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف
فتقطع بها انها صنعة ادمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم
الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته لا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة
لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمة الاحشا مغموسا في دم الحيض في الوقت الذي يظهر
التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيا
شيا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا خبر منها للام ولا للاب ولا
للنطفة ولا للرحم افما هذا النقاش اعجب ممن يشاهد النقش بالقلم صورة عجيبة لو ظهرت لك بامر بين لتعلم باهل
تقدر على ان تعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزايها من غير ملامسة للنطفة ومن
غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم منها ان الذي صورها ونقشها
وقدرها لا نظير له ولا يساويه سبحانه نقاش ولا مصور كما ان نقشه وصنعته لا يساويه نقش وصنعة فبين الفعلين
من المباينة والتباعد ما بين الفاعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان الذي
اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك اليقين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى
وارشد واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزايه واعمى قلوب اعدايه واحتجب عنهم بعزه
وعلايه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه ۰ ومن اياته
الهوا اللطيف المحبوس من مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى

بالعين

بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو الهوا ومشيها سباحتها فيه باجنحتها كما تسبح حيوانات
البحر في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله تعالى الهوا وجعله
ريحا هابة فان شاء جعلها نشرا بين يدي رحمته كما قال وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهوا الى الحيوانات
والنبات فيستعد للنما وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في
يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ۰ ثم انظر الى لطف الهوا ثم شدته وقوته مهما ضبط في الماء فالزق
المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه
فانظر كيف ينقبض الهوا عن الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل
مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهوا ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة
فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهوا اللطيف كالذي يقع في بير فيتعلق بذيل رجل قوي
فيمتنع عن الهوي في البير فالسفينة بمقعرها متشبثة باذيال الهوا القوي على ان تمتنع من الهوي والغوص في الماء
فسبحان من علق المركب الثقيل من هوا لطيف من غير علاقة تشاهد ولا عقد يشد ۰ ثم انظر الى عجايب الجو وما يظهر
فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجايب ما بين السماء والارض وقد اشار
القران الى جملتها في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين فهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله
في مواضع شتى حيث قال عز من قايل والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والشهب والمطر فاذا
لم يكن لك حظ من هذه الحكمة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة
فارتفع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملاء الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت بظاهرها فغمض عينك الظاهرة
وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في
استقصايه فتامل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف خلقه الله تعالى اذا شاء ومتى
شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السما الى ان ياذن الله تعالى في ارسال الماء وتقطيع القطرات
كل قطرة بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه [illegible] الماء على الارض
ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي
رسم لها لا تعدل عنها فلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون
على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب الانس والجن عنه فلا
يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لجزء من الارض مخصوص ولحيوان فيها مخصوص من طير ووحش
ودود مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق الدود الفلاني الذي هو في ناحية الجبل
الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج
كالقطن المندوف من العجايب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القدير القادر وقهر من الخلاق القاهر وما لاحد من
الخلايق فيه شرك ومدخل بل ليس للمومنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين
الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته ۰ فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه هذا سبب

نزوله ويظن انها معرفة انكشفت له ويفرح بها من نفسه ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه
الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في اسفل الاشجار الى اعلا الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع الى
فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة
ويجري اليه في تجاويف عروق شعرية صغار يرى منه العرق الذي في اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الممدود في طول الورق
عروق صغار فكان الكبير نهر وما يتشعب عنه جداول ثم يتشعب من الجداول الى سواق اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط
عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى ينبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورق ليغذيه
وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف يتحرك
الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فان كان ذلك ينتهي بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار
الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل

ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب

وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا والارض
والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر وانظر كيف عظم الله امر السماء والنجوم
في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم بها كقوله عز وجل والسماء ذات البروج والسماء والطارق
وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب وكقوله والشمس وضحاها وكقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وكقوله والنجم اذا هوى
وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والآخرون
وما اقسم الله تعالى بها فكيف ظنك بما اقسم الله سبحانه به واحال الارزاق عليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون واثنى
على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح
بها سبلته اي تجاوزها من غير تفكر وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة
لجميع البحار والارض الى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب
اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال أانتم
اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى
الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا
هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم عم بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كلما يدرك بحاسة البصر فالقرآن
يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار يعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار
الملك والملكوت ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فاطل ايها الغافل فكرك في الملكوت فعسى ان تفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين
يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي جل وتعالى
وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف
لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي
ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسي والسموات والارض

وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ عن العقبة
القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته
وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر والى ماذا اتطلع فارفع الآن راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها
وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في
سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر
كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي وانظر كيفية
اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والانسان وما من صورة في الارض الا ولها مثال
في السماء • ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا
طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا
يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا • وانظر الى
ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص • وانظر الى امالته
سير الشمس على وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فان انخفض من وسط السماء
اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في عشر عشير من اجزائها ان تعرفه وانما هو تنبيه
على طريق الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى فيه حكم كثيرة في خلقه وفي مقداره ثم في شكله
ثم في لونه ثم في وضعه من السماء بالموضع الذي هو به وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه
وبعده منها فقس ذلك على ما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل
لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه • وقس التفاوت الذي بينهما من كثرة المعاني بما
بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمي ان يدور بجوانبها وقد
اتفق النظار على ان الشمس مثل الارض مائة مرة ونيفا وستين مرة • وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكوكب الذي تراه
لصغره هو مثل الارض ثماني مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها
وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغيرة ولذلك قال تعالى يشير الى بعدها رفع سمكها فسواها • وفي الاخبار ان بين كل سماء الى
الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى كثرة الكواكب • ثم انظر الى السماء التي
الكواكب مركوزة فيها والى عظمها • ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا من ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في
انها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض
مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مائة مرة وزيادة وهكذا ابدا يدور على الدوام وانت غافل عنه • وانظر
كيف اخبر جبريل عم عن سرعة حركتها اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال
من حيث قلت لا الى قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم انظر الى خفة حركتها ثم انظر الى
قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك
فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها ولكن انظر الى بارئها كيف خلقها فامسكها من غير عمد ترونها من غير

علاقة تتدلى بها فكل العالم كبيت واحد والسما سقفه فالعجب انك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصبغ مموها
بالذهب فلا ينقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى
ارضه والى سقفه والى هوايه والى عجايب امتعته وغرايب خزاينه والى بدايع نقوشه ثم لا تتحدث به ولا تلتفت بقلبك
اليه فما هذا البيت دون البيت الذى تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جزء من الارض التى هى اخس اجزاء هذا البيت
ومع هذا فلا تنظر اليه وليس لهذه الغفلة سبب الا انه بيت ربك الذى انفرد ببنايه وتزيينه وانت قد نسيت
نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك وحشمتك وغاية شهوتك ان
تملا بطنك ولا تقدر على ان تاكل عشر ما تاكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل
عليك عشرة او ماية من معارفك فينافقونك بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبايث الاعتقادات فيك وان
صدقوك فى مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون فى
بلدك من اغنيا اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر
فى جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملوك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل
النملة تخرج من جحرها الى حجرها فى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجوارى والغلمان
وانواع الذخاير والنفايس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها
وغذايها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذى فى القصر فهو بمعزل عنها وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها
على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذايها وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وساير
بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملايكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السما
الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجايب قصرك وبدايع صنعة
الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول فى الملكوت وتعرف من عجايبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان
الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته منه
وكلما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلما والاوليا وما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه الانبيا
عليهم السلم وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه المقربون كاسرافيل وجبرايل وغيرهما ثم جميع علوم الملايكة والجن
والانس اذا اضيف الى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان
من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التى تجول فيها فكر
المتفكرين فى خلق الله وليس فيها فكرة فى ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته
وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم
عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسب ذلك
له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيد محلا فى قلبك ويستدعى
التعظيم له من نفسك فهكذا تامل فى خلق الله تعالى وتصنيفه والنظر والتفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منه
ما رزق ولنقتصر على ما ذكرناه ولنضف اليه ما فصلناه فى كتاب الشكر فانا نظرنا فى ذلك الكتاب فى فعل الله

من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفى هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكلما نظرنا فيه فان الطبيعى
ينظر فيه ويكون له سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة فى
السموات والارض الا والله تعالى يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء فمن نظر فى هذه الامور من حيث انه فعل الله تعالى
وصنعه استفاد منها المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته فاهتدى ومن نظر فيها قاصرا النظر عليها من حيث تاثير
بعضها فى بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقى واردى فنعوذ بالله من الضلال ونساله ان
يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله والحمد لله حق حمده والصلاة على رسوله وعبده وسلم تسليما كثيرا ودكرم وشرف

كتاب ذكر الموت وما بعده

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة • وكسر به ظهور الاكاسرة • وقصر به
امال القياصرة • الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة • حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم فى الحافرة • فنقلوا
من القصور الى القبور • ومن ضياء المهود • الى ظلمة اللحود • ومن ملاعبة الجوارى والغلمان الى مقاساة
الهوام والديدان • ومن التنعم بالطعام والشراب • الى التمرغ فى التراب • ومن انس العشرة • الى وحشة
الوحدة • ومن المضجع الوثير • الى المصرع الوبيل • فانظر هل وجدوا من الموت حصنا او اتخذوا من دونه
حجابا وحرزا • وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا • فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلا واستاثر باستحقاق
البقا • واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفنا ثم جعل الموت مخلصا للاتقيا وموعدا فى حقهم للقا • وجعل
القبر سجنا للاشقيا وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضا والجمع واللقا • فله الانعام بالنعم الظاهرة
وله الانتقام بالنقم القاهرة • ولله ما سكن فى السموات والارض له الحمد فى الاولى والاخرة • والصلاة على
سيدنا محمد ذى المعجزات الظاهرة • والايات الباهرة • وعلى اله واصحابه وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فجدير لمن الموت مصرعه • والتراب مضجعه • والدود انيسه • ومنكر ونكير جليسه • والقبر مقره • وبطن
الارض مستقره • والقيامة موعده • والجنة والنار مورده • الا يكون له فكر الا فى الموت ولا ذكر الا له
ولا استعداد الا لاجله • ولا تدبير الا فيه • ولا تطلع الا اليه • ولا تعريج الا عليه • ولا اهتمام الا به
ولا حوم الا حوله • ولا انتظار وتربص الا له • وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها فى اصحاب القبور •
فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بات وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
ولن يتيسر الاستعداد للشى الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغا الى المذكرات
لهو النظر فى المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الاخرة والقيمة والجنة والنار
ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار • ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد
فقد قرب لما بعد الموت الرحيل • وما بقى من العمر الا القليل • والخلق عنه غافلون • اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة
معرضون • ونحن نذكر ما يتعلق بالموت فى شطرين • الشطر الاول • فى مقدمات الموت
وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب • الباب الاول فى فضل ذكر الموت والترغيب فيه • الباب

الثانى فى طول الامل وقصره • الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت
الباب الرابع فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين وما يستحب من الاقوال عند الموت
الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفا والامرا الصالحين • الباب السادس فى اقاويل العارفين على
الجنايز وحكم زيارة القبور • الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر الى النفخة فى الصور
الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة فى المنام ۝ والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه وكرمه

الباب الاول فى ذكر الموت والترغيب فيه

اعلم ان المنهمك فى الدنيا المنكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محاله عن ذكر الموت فلا يذكره واذا
ذكر به كرهه ونفر منه اولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون • والناس اما منهمك واما تايب مبتدى واما عارف منتهى اما
المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكر فانما يذكره للتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا
واما التايب فانه يكثر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية فيبنغى لتمام التوبه وربما يكره الموت خيفة من
ان يختطف قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور فى كراهية الموت ولا يدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم
من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو
كالذى يتاخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقايه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقايه وعلامة صدقه
هذا ان يكون دايم الاشتغال بالاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا • واما العارف فانه
يذكر الموت دايما لانه موعد لقايه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد اللقا وهذا فى غالب الامر يستبطى مجى الموت ويحب
مجيه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب
جاء على فاقة لا افلح اليوم من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الى من الغنا والسقم احب الى من الصحة والموت احب
الى من الحياة فسهل على الموت حتى القاك فاذا التايب معذور فى كراهة الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه
واعلى منهما من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشيا اليه احبها الى مولاه فهذا
قد انتهى بفرط الحب والولا الى مقام التسليم والرضى وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل
فان المنهمك فى الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته
وكلما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاه

بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان

قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت هادم اللذات اى نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على
الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم لو ان البهايم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا • وقالت عايشة رضى الله
عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهدا احد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه
الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للاخرة والغفلة عن الموت تدعو
الى الانهماك فى شهوات الدنيا • وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المومن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المومن
اذ لا يزال فيها فى عنا من مقاساة نفسه ورياضة شهوته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاقه والاطلاق تحفة وقد

قال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا والمومن صدقا الذى يسلم الناس من لسانه
ويده وتحققت فيه اخلاق ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفر ذلك عنه بعد اجتناب
الكباير واقامته الفرايض • وقال عطا الخراسانى مر النبى صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال
شوبوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا • وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وكفى بالموت
واعظا • وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما
والذى نفسى بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
فاحسنوا الثنا عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم
ليس هناك • وقال ابن عمر رضى الله عنهما اتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من
اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا
بشرف الدنيا وكرم الاخرة **واما الاثار** فقد قال الحسن رضى الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك
لذى لب فرحا • وقال الربيع بن خثيم ما غايب ينتظره المومن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بى احدا وسلونى
الى ربى سلا • وكتب بعض الحكما الى رجل من اخوانه يا اخى احذر الموت فى هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت
فلا تجده • وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه • وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما يجمع فى كل
ليلة الفقها فيتذاكرون الموت والقيمة والاخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة • وقال التيمى شيان قطعا عنى
لذات الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله تعالى • وقال كعب رضى الله عنه من عرف الموت هانت عليه مصايب
الدنيا وهمومها • وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول فى مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخايفين
فوالله ما تراهم الا والهين • وقال اشعث كنا ندخل على الحسن وانما كان ذكر النار وامر الاخرة وذكر الموت • وقالت
صفية ان امراة شكت الى عايشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها
فجاءت تشكر عايشة • وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما • وكان داود صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الموت
والقيمة يبكى حتى تنخلع اوصاله واذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه • وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت
حذرا وعليه حزنا • وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلما عظنى فقال انت اول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من
ابايك احد الى ادم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك • وكان الربيع بن خثيم حفر قبرا فى داره وكان ينام
فى اللحد كل يوم مرات ليستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد • وقال مطرف
ابن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه • وقال عمر بن عبد العزيز
لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك • وقال ابو سليمان
الدارانى قلت لام هرون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت ادميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب
لقاءه وقد عصيته والله سبحانه وتعالى اعلم

بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب

اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة ذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول

بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه
كالمسافر الذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه يوشك أن يؤثر فيه
وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنفع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر
موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محى التراب الآن حسن صورهم وكيف
تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم
فانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده
وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك
واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله
وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه ما لا
يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم
يحتسبه فانكشف له صورة الموت وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته
كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم • قال أبو الدرداء إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم • وقال ابن مسعود رضي الله عنه
السعيد من وعظ بغيره • وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون في كل يوم غاديا أو رائحا إلى الله عز وجل
تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع
دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند
ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذوبة اللسان قليل الجدوى في
التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته • نظر ابن مطيع
يوما إلى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور
لقرت أعيننا بالدنيا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته •

الباب الثاني في طول الأمل

وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا • وروي عن علي
رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى
فيصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال ألا إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب الله عبدا
أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد
ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون أن تكونوا في يوم حساب
ليس فيه عمل • وقالت أم المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال يا أيها الناس أما تستحيون
من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون
وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي
إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني
لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون
لآت وما أنتم بمعجزين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب
فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه • وروي أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد
فغرز عودا بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا
الإنسان وهذا أجله وهذا الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل • وقال صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع
وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم • وقال ابن مسعود رضي الله عنه هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع
إليه والهرم وراء الحتوف والأمل وراء الهرم وهو يأمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف
قتله الهرم وهو ينتظر الأمل • وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط
خطوطا إلى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي
في وسطه وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا وذلك الأمل للخط
الخارج • وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص والأمل وفي
رواية يشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الأمة
باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل • وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها
الأرض فقال عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل
فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينا أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة
واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي • وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ
بك من أمل يمنع خير العمل • **الآثار** • وقال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن
الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق • وقال الحسن السهو
والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق • وقال الثوري بلغني أن الإنسان خلق أحمق
ولولا ذلك لم يهنه العيش • وقال سعيد بن عبد الرحمن إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها • وقال سلمان الفارسي
ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط
رب العالمين عليه أم راض عنه وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه والأحبة وهول المطلع والوقوف
بين يدي الله عز وجل ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار • وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبي أوفى بعد موته فقلت
له أي الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الأمل • وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ
ولا لبس العباء • وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا

ربه عز وجل ان يرد عليه الامل فرجع اليه الطعام والشراب • وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر
اعجل من ذلك • وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم • وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه
والسيف عليه ينتظر متى يضرب عنقه • وقال داود الطائي لو امّلت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما وكيف
اؤمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار • وحكي ان شقيقا البلخي جاء الى استاذ له يقال
له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه اي شيء هذا معك فقال لوزات دفعها الي اخ
لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق الباب
في وجهي ودخل • وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى
وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا تطولوا الامل فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فوالله
ما بسط امله من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا فكم
رايتم ورايتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وانما يفرح من امن اهوال القيامة فاما
من كان لا يداوي كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان آمركم بما لا انهى نفسي عنه
فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو
عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين
الجنة والنار منزلة وانتم صائرون الى احداهما • وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط
بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام • وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان
قريب وللنقص في كل يوم نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام • وقال الحسن كان
آدم عليه السلام قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله
خلف ظهره • وقال عبد الله بن سميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بصحته اما رايت ميتا قط مات من غير علة ايها
المغتر بطول المهلة اما رايت مأخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ابالصحة
تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت تأمنون ام على ملك الموت تجترئون ان ملك الموت اذا جاءكم لا يمنعه منكم
ثروة مالكم ولا كثرة احتشادكم اما علمتم ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله
عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت • وقال ابو زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك
في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاتي بوهب بن منبه اليماني فاذا فيه ابن آدم انك لو رايت ما بقي
من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك
غدا ندمك لو زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا
انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء • وقال
بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا
هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد
ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا خشية ولا فاقة ولا وحشة وان

يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار جل
جلاله لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار وسعرت النيران ووضعت
الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك
وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات واسلى عن الشهوات وقصر
عن الامل واستيقاظ للنائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة من قلبي
وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام • وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس رحمكم الله انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم
فخاب وشقي عبد حرمه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض اعدت للمتقين انما
يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها
بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز وجل وقد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في
بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد قطع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول
لكم مقالتي هذه والله لا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما عند نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها
عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه وبكى حتى بل دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات رحمه الله • وقال
القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء • وقال الثوري رايت
شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته
عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد علي شيء • وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند
القصار • وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن
فجئت حتى قعدت قريبا منه فتكلم وقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب
واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما
يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة
يختصمون • وروي ان معروفا الكرخي اقام الصلاة ومعه محمد بن ابي توبة فقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه
الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع
خير العمل • وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على اهلها الظعن
منها فكم عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم
من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينما ابن آدم في الدنيا ينافس وهو بها
قرير عين اذ دعاه الله تعالى بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان
الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا • وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته
اين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا
يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجاه والله اعلم

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها
ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها فكل من كره شيئا
دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء
في الدنيا فلا يزال يتوهمها ويقدرها في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من اهل ومال ودار واصدقاء ودواب
وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر
له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر
ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع
من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذي شمت بك فلا
يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما
بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته
واكثر صياح اهل النار من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف
اليوم هو معه غدا وبعد غد وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا
والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب
واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم احبب ما
احببت فانك مفارقه • واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس
يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر فالى
ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد
وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا منه ولو تفكر هذا
الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل
ونهار لعظم استشعاره بالاستعدادات له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة
عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع
الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلا يالفه ولا يتصور
ان يالفه فانه لا يقع واذا وقع مرة لم يقع مرة اخرى فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد
ان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به قبره قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض
واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع
الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب وهو الداء العضال الذي اعيا
الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان بالله واليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما
حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا راى حقارة

الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف يفرح بها
او يرسخ حبها مع الايمان بالآخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت
في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوه اما من كان مستعدا
فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه
واعضائه وليتفكر كيف تاكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبتدي بالحدقة اليمنى اولا
او باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة للدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر
فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال
هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له ۝ والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه وكرمه

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يؤمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم
من يامل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل
بتدبير ما وراءه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ويكون هذا يستعد في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف
ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما الغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن
غد من آجالكم فستاتي فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال
نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى
الصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة
ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت بين عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة
مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه لما ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا
ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو الحبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما
هذا قال انظر ملك الموت من اي جهة ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن
امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله تعالى فان الله لا يظلم مثقال ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر
ذلك باعماله فانه ربما يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون
الموت نصب العينين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته
وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر
هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة
فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وانت غافل عن نفسك
ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه ۝ والله اعلم

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر وسنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء تلك المدة ثم يصبح كل يوم وهو ينتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة • وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه • وكان صلى الله عليه وسلم اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة • وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد • وقال ابن عمر رضي الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السقف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه • وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع • وقال جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتم ومسيتم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه • وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي في قوله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واحسنكم له استعدادا واشدكم خوفا وحذرا وقال حذيفة رضي الله عنه ما من صباح ولا مساء الا مناديا ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت • وقال عجيم مولى لبني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته • ومر داود الطائي فساله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الاخرة • وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني • وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست لانقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري رض قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت

فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات قال وكان يقول لامراته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد احدي بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او بالشقوة لمستحق لافضل العدة فالتقي عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليركبها حتى تهجم عليه منيته اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة او النار الا الموت ان ينزل به فيالها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوته جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعا وانه بيده الخير دائما فعال لما يشا وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور الشيطان وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما منكم من احد يصبح الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداه وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقامة هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فانه من راى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد راه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون اتيتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم فلا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده ولا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس على الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم

والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم
ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر
في اعماق البدن الا وقد حل فيه الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع
الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا
وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد
فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من
كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من القرن الى
القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن
بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته
في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على
كل موضع فيه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة للاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان
فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على
ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى
كأنه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وخلقته وقد جذب منه كل عرق فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع
الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعلى موضعهما ومن المراة
الثديان وتخضر انامله ولا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما
فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد
اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع
نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل
توبة العبد ما لم يغرغر   وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت
وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس
انما يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك
عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى صلى الله عليه وسلم يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون على هذه السكرة
يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت   وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال
بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر
السجود قد خرج من قبر من تلك القبور فقال يا قوم ماذا اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت
مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت
رسول الله صلى الله عليه وسلم   وروي انه كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والانامل

اللهم اعني على الموت وهونه علي • وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر
ثلاث مائة ضربة بالسيف • وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة
في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف • ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض فقال اني لاعلم ما يلقى ما فيه
عرق الا ويألم للموت على حدته • وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من موت على فراش • وقال الاوزاعي بلغني ان الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره • وقال شداد
ابن اوس الموت افظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان
الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم • وعن زيد بن اسلم عن ابيه اذا بقي على المؤمن شيء
من درجاته لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وان كان للكافر معروف لم
يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار • وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المحتضرين
كيف تجدون الموت فلما احتضر قيل له كيف تجد الموت قال اجد كأن السماء مطبقة على الارض وكأن نفسي يخرج من ثقب ابرة
وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن واسف على الفاجر • وروى مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان
شعرة من شعر الموت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله عز وجل لكن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا
مات • ويروى لو ان قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت • ويروى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما مات
قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود محمى جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا فقد هونا
عليك الموت • وروي عن موسى صلى الله عليه وسلم لما صارت روحه الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت
قال وجدت نفسي كعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير • ويروى عنه انه قال وجدت نفسي كشاة
تسلخ حية وهي بيد القصاب • ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده
في الماء ويمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضي الله تعالى عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه
وهو يقول لا كرب على ابيك بعد الموت • وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار رضي الله عنه يا كعب حدثنا عن الموت فقال
نعم يا امير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب
فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى   وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله لتسلم
بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيمة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما حالنا
ونحن منهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت الدواهي فان دواهي الموت ثلاث • الاولى شدة النزع كما ذكرنا •
الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح
العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روي عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع
ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل
اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشي على ابراهيم صلى الله عليه وسلم
ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان
حسبه   وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق

الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود صلى الله عليه وسلم فرآه فقال من انت قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال انت اذا والله ملك الموت وزمل داود عليه السلم مكانه • وروى ان عيسى صلى الله عليه وسلم مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله تعالى فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي وانا على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبيا صلى الله عليهم مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها في منامه ليلة لتنغص عليه عيشه بقية عمره برؤيته في تلك الحال • واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابرهيم عليه الصلوة والسلم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فخرج ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال فمن انت من الملئكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان ترني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو شاب فذكر من حسن وجهه وثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه • ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يترايا له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح قد احضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا وكلام قبيح قد اسمعتنا وعمل غير صالح قد احضرتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك الذي يرى من شخص بصر المحتضر اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة من النار وخوفهم من المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا الخطر كان خوف ارباب القلوب والالباب والاوليا وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقد قال صلى الله عليه وسلم من احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا الله كره الله لقاه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كذلك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقا الله فاحب الله لقاه • وروى ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود رضي الله عنه وهو لما به من اخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود رضي الله عنه ثم جاه فقال قد طلعت الحمرا فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل مروان على ابي هريرة رضي الله عنه فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة رضي الله عنه اللهم شدد ثم بكى ابو هريرة رضي الله عنه وقال ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكني انتظر احدى البشريين من ربي اما بالجنة او بالنار وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسماية من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا راهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي

هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما • وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله عز وجل ومن كانت راحته في لقاء الله عز وجل فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه • وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة • وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او يعفو الله تعالى • وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قد قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجا وهو لايق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى • اما الصورة في الهدو والسكون فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به • واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله • وفي رواية حذيفة رضي الله عنه فانها تهدم ما قبلها من الخطايا • وقال عثمن رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة • وقال عبيد الله وهو يشهد • وقال عثمن رضي الله عنه اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة • وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله • وقال ابو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق ذلك عليه ويؤدي الى استثقاله بالتلقين وكراهية الكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت العبد وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا على لذاتها وكانت الكلمة على طرف اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله سبحانه وتعالى بالقبول • واما حسن الظن فانه مستحب في هذا الوقت وقد ذكرناه في كتاب الرجا وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن • ودخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله تعالى قال اغرقتني ذنوبي واشرفت على هلكة ولكني ارجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا • ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو لما به فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه من الذي يخاف • وقال ثابت البناني رضي الله عنه كان شاب به حدة وكانت له ام وكانت تعظه كثيرا وتقول يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت عليه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما فقال يا اماه

ان لي ربا كثير المعروف واني لا ارجوا الا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه • وقال
جابر بن وداعه كان شاب له زهو فاحتضر فقالت له امه يا بني توصيني بشيء فقال نعم خاتمي لا تسلبنيه فان فيه ذكر
الله تعالى فلعل الله ان يرحمني فلما دفن رؤي في المنام فقال اخبروا امي بان الكلمة قد نفعتني وان الله تعالى قد غفر لي وحضر
اعرابي فقيل له انك تموت فقال اين يذهب بي فقالوا الى الله تعالى قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه
وقال المعتمر بن سليمان قال لي ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى وانا احسن الظن به وكانوا
يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه ٥ فنسال الله تعالى ان يمن علينا بحسن الظن به عند الموت

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها ؞

قال اشعث بن اسلم سال ابرهيم عم ملك الموت واسمه عزرائيل عم وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك
الموت ما تصنع اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوبا بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعوا الارواح
باذن الله تعالى فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت له الارض فجعلت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشا
قال وهو الذي بشره بانه خليل الله تعالى • وقال سليمان بن داود عم لملك الموت عم ما لي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا
وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك انما هي صحف او كتب تلقى فيها اسما • وقال وهب بن منبه رض كان ملك من الملوك
اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم
تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملاه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر
الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت
امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الا الان فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو
سر فادنى اليه راسه فساره فقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي
واقضي حاجتي واودعهم قال لا والله ما ترى اهلك وثقلك ابدا فقبض روحه فخر مكانه كانه خشبة ثم مضى فلقي
عبدا مومنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره فقال
انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته عني فوالله ما كان غائب في الارض احب الي ان القاه منك فقال
ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقا الله تعالى قال فاختر على اي
حالة شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضا واصلي فاقبض روحي
وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد • وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت
قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشي كثير من الخيل والرقيق والابل وغيرها فلما نظر اليها بكى تحسرا عليها فراه ملك
الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وجسدك
قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه
وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه
حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغ
قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى نزل عليه ملك الموت في هيئة رجل عليه

خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا افزعه وهو على فراشه فوثب
اليه الغلمان فقالوا ما شانك فقال ادعوا الي مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال
هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعا شديدا اشد من الاول فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت
فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا له هل تاخذ معه احدا
فدخل عليه وقال له اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله فوضع بين يديه
فقال حين راه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق الله تعالى المال فقال
لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي
ويرد المتقون وتنفقني في سبيل الشر ولا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير لنفعتك خلقت وابن ادم من تراب فمنطلق
ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط • وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في
الارض مثله ثم عرج الى السما فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض روح امراة في فلاة
من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت مولودها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له فقالت الملائكة
الجبار الذي قبضت روحه اليوم هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان الله اللطيف لما يشا • وقال
عطا بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة
فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري • وقال الحسن ما من يوم الا
وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل
اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا
وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا • قال الحسن فوالله لو راوا مقامه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا
على انفسهم • وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في مجلسه قد خلا باهله اذ نظر الى شخص قد
دخل من باب بيته فثار اليه فزعا ومغضبا فقال من انت ومن ادخلك على داري فقال اما الذي ادخلني الدار فربها
واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف صولة المتسلطين ولا يمنع مني كل جبار عنيد
ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وارعد حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع اليه راسه مستجيرا مستذلا له انت
اذا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات هيهات انقطعت مدتك وانقضت
انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك
الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين
اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر • وعن الاعمش عن خيثمة
قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال
الرجل لسليمان من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فما الذي تريد قال اريد ان تخلصني
منه فتامر الريح تحملني الى اقصى الهند قال ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان عم لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رايتك
تديم النظر الى احد جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبض روحه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فتعجبت من ذلك

الباب السابع في زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين اذ
لم يكن احد اكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند انقضا
مدته وهل اخر لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين لتقبض ارواح الانام فجدوا بروحه
الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق
في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه
واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل
رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا
ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود
والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به وانا على ثقة مما
نلقاه بل نحن اسرى الشهوات وقرنا المعاصي والشبهات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
والمرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا انا عند الله مكرمون
هيهات هيهات بل نتيقن ان جميعنا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها
متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا لذلك لغالب منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال رب العالمين وان منكم الا
واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين
اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم
انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد المرسلين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا
وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة الماوى قال ابن مسعود رض دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة
رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله اواكم الله نصركم الله
اوصيكم بتقوى الله واوصي الله بكم اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى
الله والى سدرة المنتهى والى جنة الماوى والكاس الاوفى فاقروا على انفسكم وعلى من دخل بعدي في دينكم السلام ورحمة الله
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله الى جبريل عم ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته
وبشره انه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته فقال
جبرائيل عم فاخبره بذلك فقال الان قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع
قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار
فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي
التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما
عند الله فبكى ابو بكر رض وظن انه يريد نفسه فقال على رسلك يا ابا بكر ثم قال سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا
باب ابي بكر فاني لا اعلم امرءا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عائشة رضي الله عنها قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر
اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت اخذه لك فاوما براسه ان نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه
لك فاوما براسه ان نعم فلينته وكانت بين يديه ركوة فجعل يدخل يديه فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات
ثم نصب يده ويقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما
رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رض على النبي صلى الله عليه وسلم
فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاخبره بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رض بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه
فقال ما يقولون فقال يقولون نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج متوكيا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على
اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال يا ايها الناس بلغني انكم تخافون علي الموت كانه
استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع لكم وتنعى اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد
فيكم الا اني لاحق بربي وانتم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز
وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور
تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله
خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا
الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار والم يوسعوا عليكم في الديار الم يوثروكم على انفسهم وبهم
الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط
لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض ما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر
ماء اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من المسك
من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا فيما ينبغي فقال العباس
رضي الله عنه يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم
فاستوصوا ال قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ايمتهم واذا
فجر الناس عقوهم قال الله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رض ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق رض سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا وتدلى فقال ليهنك
يا رسول الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والفردوس الاعلى
والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنى فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من اهل بيتي الادنى
فالادنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمنية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا
وبكى فقال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير
قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلاة
علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة

باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا توذوني بتزكية
ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النسا ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال
زمر اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال عبد الله بن زمعة
جاء بلال اول ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب
الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر رضي الله عنه فقلت يا عمر فصل بالناس فقام عمر رض فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل
بالناس قال فقالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف رقيق القلب اذا قام في مقامك غلبه البكا
فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فصلى ابو بكر رض بعد الصلاة التي صلى عمر رض وكان عمر رض يقول
لعبد الله بن زمعة ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله
اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عايشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا
ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا الا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى
الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشا الله ويحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله والقضا قضا الله
عصمه الله من كل ما خوفت عليه من امر الدنيا والدين وقالت عايشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم راوا منه خفة في اول النهار فتفرق الرجال عنه الى منازلهم وحوايجهم مستبشرين واخلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسا فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجا والفرج قبل ذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري فجلس وتنحيت في ناحية البيت
فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عايشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان لا ادخل عليك
الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف عني حتى ياتي
جبريل عم فهذه ساعة جبريل قالت عايشة رضي الله عنها فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضرب
علينا بصاخة ما نحير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك وهيبة ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل
عليه السلم في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرا عليك السلام ويقول لك
كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان
تكون سنة في امتك فقال صلى الله عليه وسلم اجدني وجعا قال ابشر فان الله عز وجل اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا
جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره بالخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك
لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن ابدا الا ان ربك متمم شرفك وهو مشتاق اليك قال فلا
تبرح اذا حتى يجي واذن للنسا فقال ادني ادني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق
الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان الذي راينا
منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي في اول

اهلي وان يجعلك معي فاضحكني وادنت ابنيها منه فشمهما وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال له الملك ما تامرني
يا محمد قال الحقني بربي الان فقال بل من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن
الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وخرج جبريل عم فقال وعليك السلام يا رسول الله هذا
اخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك
ثم لزوم موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير في كل ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم
ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اضع راسه بين يدي فامسكت بصدره وجعل
يغشى عليه حتى يغلب وجبهه يرشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رايحة شي قط اطيب
منه فكنت اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عايشة ان نفس المومن تخرج بالرشح
ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهالينا فكان اول رجل جانا ولم يشهده اخي بعثه الي
ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجي احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكايل وجعل اذا اغمي عليه قال
الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة
الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة قالت عايشة رض مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى
وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة
وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رض بالكوفة ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي
رضي الله عنه وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عايشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتحم الناس ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملايكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم
فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي اخرون ومعهم عقولهم واقعد اخرون فكان عمر رض
فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر رض على الناس فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت
وليرجعنه الله وليقطعن ايدي وارجل من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده ربه كما واعد
موسى وهو اتيكم وفي رواية قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا
يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات الا علوته بسيفي واما علي رض فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان رض فجعل لا
يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس رض فان الله عز وجل عزم لهما على
التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر
رض الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت
وامي ما كان الله تعالى ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس
من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكان الناس لم يسمعوا بهذه الاية الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر رض
لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقطع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال

فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت
حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لاحد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكا وخصصت
حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سوا ولولا موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك
نهيت عن البكا لانفدنا عليك ماء الشئون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم
فابلغه عنا واذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد منا
لما خلفت من الوحشة اللهم بلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر رضي الله عنهما لما دخل ابو بكر رض البيت وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم واثنى عليه عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا
بتسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت ورحمة الله كل نفس ذائقة الموت وانما توفون
اجوركم يوم القيمة الاية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا
فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكا فلما قطعوا البكا فقدوا الصوت فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا
فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في
الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رض هذا الخضر واليسع
حضرا النبي صلى الله عليه وسلم واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر رض فقال قام ابو بكر رض في الناس خطيبا
حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد
ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما انزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان
القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك
وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك واجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وخاتم النبيين محمد وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه
وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه
فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال
محمد كما صليت وباركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وان الله تعالى قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان
الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولا يشغلنكم
الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما فرغ ابو بكر رض من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا وقال الله في كتابه انك ميت وانهم
ميتون فقال عمر رض والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الان لما نزل ثم قال اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث

كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الله
يحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس عند ابي بكر رضي الله عنهما وقالت عائشة رض لما اجمعوا لغسله قالوا والله
لا ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم انجرده عن ثيابه كما كنا نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل
الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نائما ثم قال قائل لا يدرى من هو غسلوا النبي صلى الله
عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن وقال علي رض اردنا خلع قميصه كما نغسل موتانا فنودينا لا تخلعوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان نقلب منه عضوا
لما نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخا ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم نبرك سدرا ولا نبدا الا دفن معه وقال ابو جعفر رض فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه صلى
الله عليه وسلم عليها التي كان يلبس نعطان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه صلى الله عليه وسلم فلم يترك بعد
وفاته مالا ولا بناء في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

وفاة ابي بكر رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر رض جاءت عائشة رض فتمثلت
بهذا البيت • لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر • فكشف عن وجهه فقال
ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد • انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني
فيهما فان الحي احوج الى الجديد من الميت وقالت عائشة رض عند موته • وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ربيع اليتامى
عصمة للارامل فقال ابو بكر رض ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر
اليك فقال قد نظر الي الطبيب وقال اني فعال لما اريد • ودخل سلمان الفارسي رض عليه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا
فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا تخفرن
الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك • ولما ثقل ابو بكر رض واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر رض فقال
الناس استخلفت علينا فظا غليظا فما تقول لربك فقال اقول لربي استخلفت على خلقك خير خلقك فارسل الى عمر فجاء
فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لا يقبل
النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم
وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباع الباطل وخفته
عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول
القائل انا دون هولاء ولا ابلغ مبلغ هولاء وان الله ذكر اهل النار باسوء اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل
انا افضل من هولاء وان الله ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا يتمنى
على الله غير الحق فان حفظت وصيتي فلا يكون غائب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون
غائب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه • وقال سعيد بن المسيب رض لما احتضر ابو بكر رض اتاه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر رض من قال هولاء الكلمات ثم مات
جعل الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم

مائة ثم قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا
للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم
شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلني
ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات
العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا
يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك
اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور
فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت
ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر رضي الله عنه هذا كله في كتاب الله عز وجل فنسأل الله التوفيق

بيان وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون رض كنت قائما غداة اصيب عمر رض ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكان اذا مر بين الصفين
اقام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف والنحل او نحو ذلك
في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين
ذات طرفين لا يمر على احد يمينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى
ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف
فقدمه فاما من كان يلي عمر رض فقد رأى ما رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون
سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فغاب ساعة ثم جاء
فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل
مسلم قد كنت وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلنا اي ان
شئت قتلناهم قال بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس
لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ وقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس به فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج منه ثم اتي
بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه والناس يثنون عليه وجاء رجل شاب وقال ابشر
يا امير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم
وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال عمر
رض ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه
فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى بها مال آل عمر فاده من اموالهم والا فاسأل في بني عدي بن كعب فان لم
تف اموالهم فاسأل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المؤمنين عائشة رض فقل عمر يقرأ عليك
السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب
عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستاذن ان

يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال
ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين اذنت فقال الحمد لله رب العالمين ما كان شيء
اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني فردوني الى
مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة
فاستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها من داخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين استخلف فقال ما ارى
احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير
وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامرة
سعدا فذاك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله عن عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين
الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
ان يقبل من محسنهم وان يعفوا عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ
العدو والا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ
من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم بعهدهم وان
يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال جبريل عم ليبك الاسلام على موت عمر رض وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال وضع عمر رض على سريره فتكنفه
الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك
مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر
وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو او لاظن ان يجعلك الله عز وجل معهما

وفاة عثمان رضي الله عنه

الحديث في قتله مشهور وقال عبد الله بن سلام رض اتيت اخي عثمان رض لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال
مرحبا يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة وخوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال
عطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى لاني اجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال ان شئت
نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله ورضي عنه • وقال عبد الله بن
سلام لمن حضر تشحط عثمان رض في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قال سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى
الله عليه وسلم ثلاثا والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمة • وعن ثمامة بن حزن القشيري
قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رض فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين البآكم علي فجيء بهما كانهما جملان او حماران
فاشرف عليهم عثمان رض فقال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس فيها ماء
يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من
صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد

ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة فاشتريتها من
صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان اصلى فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير
فانما عليك نبى وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لى ورب الكعبة انى شهيد   وروى عن شيخ من ضبة
ان عثمن حين ضرب والدما تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى استعيذ بك
عليهم واستعينك على جميع امورى واسألك الصبر على ما ابليتنى

وفاة على بن ابى طالب كرم الله وجهه

قال الاصبغ الحنظلى لما كانت الليلة التى اصيب فيها على رض اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع
متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على رض يمشى وهو يقول •

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك • ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة على رضى الله عنهما فجعلت تقول ما لى ولصلاة الغداة
قتل زوجى امير المؤمنين صلاة الغداة وقتل ابى صلاة الغداة • وعن شيخ من قريش ان عليا رض لما ضربه ابن ملجم قال
فزت ورب الكعبة   وعن محمد بن على رضى الله عنهما انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما
قتل الحسن بن على رضى الله عنهما دخل عليه الحسين رضى الله عنهما فقال يا اخى لاى شى تجزع تقدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى على بن ابى طالب رضى الله عنه وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وعلى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وهما
اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخى اقدم على امر لم اقدم على مثله • وعن محمد بن الحسين رضى الله عنهما
قال لما نزل القوم بالحسين رض وايقن انهم قاتلوه قام فى اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال نزل من الامر
ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها الا صبابة الا خسيس عيش كالمرعى
الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله عز وجل وانى لا ارى الموت الا سعادة
والحياة مع الظالمين الا برما

الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء الصالحين

لما حضرت معاوية بن ابى سفيان الوفاة قال اقعدونى فجلس يسبح الله ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معوية بعد الهرم
والانحطام هلا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب
القاسى اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك   وروى عن شيخ من قريش
انه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرووا فى جلده غضونا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا
ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت بنا الدنيا ان نقضت منا ذلك
حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا فاف للدنيا من دار ثم اف
لها من دار   ويروى ان اخر خطبة خطبها معوية ان قال ايها الناس ان من زرع فقد استحصد وانى وليتكم ولا يليكم
احد من بعدى الا وهو شر منى كما كان من قبلى خيرا منى ويا يزيد اذا وفى اجلى فول غسلى رجلا لبيبا فان اللبيب من الله
بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من
شعره واظفاره فاستودع القراضة انفى وفمى واذنى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون اكفانى ويا يزيد احفظ وصية

الله فى الوالدين فاذا ادرجتمونى فى جريدتى ووضعتمونى فى حفرتى فخلوا معوية وارحم الراحمين   وقال محمد بن
عقبة لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى ولم ال من هذا الامر شيئا   ولما حضرت
عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك
والله يا ليتنى كنت غسالا لا اكل كسب يدى يوما بيوم ولم ال من امور الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله
الذى جعلهم اذ حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه   وقيل لعبد الله بن مروان
فى مرضه كيف تجدك يا امير المؤمنين قال اجدنى كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم الاية   وقالت فاطمة بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر بن عبد العزيز فى
مرضه الذى مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده
فجلست فى بيت اخر بينى وبينه باب وهو فى قبة له فسمعته يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف لى انظر
انائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت   وقيل له لما حضرته الوفاة اعهد يا امير المؤمنين قال احذركم
مثل مصرعى هذا فانه لا بد لكم منه   وروى انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما رآه قال ارى الرجل قد
سقى السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر اليه بصره فقال ولا تامن الموت ايضا على من لم يسق السم فقال الطبيب هل
احسست بذلك يا امير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال فتعالج يا امير المؤمنين فانى اخاف
ان تذهب نفسك قال ربى خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائى عند شحمة اذنى ما رفعت يدى الى اذنى فتناولته
ثم قال اللهم خر لعمر فى لقائك فلم يلبث الا اياما حتى مات   وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا امير المؤمنين
ابشر فقد احيا الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف واسأل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت
فيهم لخفت على نفسى ان لا تقوم بحجتها بين يدى الله عز وجل الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه
فلم يلبث الا يسيرا حتى مات   ولما قرب وقت موته قال اجلسونى فاجلسوه فقال انا الذى امرتنى فقصرت ونهيتنى
فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل فى ذلك فقال انى لارى خضرا ما هم
بانس ولا جان ثم قبض   وحكى عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى
عنى ماليه هلك عنى سلطانيه • وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد
زال ملكه • وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمرى هكذا قصير ما فعلت ما فعلت • وكان المنتصر يضرب
على نفسه عند موته فقيل له لا باس عليك يا امير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والاخرة •
وقال عمرو بن العاص رض فى الوفاة وقد نظر الى صناديق لنفسه من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا • وقال الحجاج
عند موته اللهم اغفر لى فان الناس يقولون انك لا تغفر لى • وكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه
عليها • ولما حكى ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى

بيان ما ورد عن جماعة من خصوص المحتضرين من الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من [illegible]

رضى الله عنهم • لما حضرت معاذا رحمه الله الوفاة قال اللهم انى قد كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم

انى لم اكن احب الدنيا وطول البقا فيها لجرى الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلما بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال يا رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك • ولما حضرت سلمان الوفاه بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما • ولما حضرت بلالا الوفاه قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا صلى الله عليه وسلم وحزبه • وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاه وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون • ولما حضرت ابرهيم النخعي الوفاه بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او النار • وحضرت ابن المنكدر الوفاه فبكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف انى اتيت شيا احسبه هينا وهو عند الله عظيم • ولما حضرت عامر بن قيس الوفاه بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظما الهواجر وعلى قيام الليل في الشتا • ولما حضرت فضيلا الوفاه غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وا بعد سفري وقلة زادي • ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصير مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصير فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنيا ويميتني ميتة الفقرا ثم قال لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان • وقال عطا بن يسار رض تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد • وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك فقال اية من كتاب الله عز وجل قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين • ودخل الحسن رض على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد في اوله • وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القران فختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك مني وهو ذا انطوي صحيفتي • وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول

حنين قلوب العارفين الى الذكر … وتذكارهم وقت المناجاة للسر
ادبرت كوس المنايا عليهم … فاهموا عن الدنيا كاغفا ذي السكر
همومهم جوالة بمعسكر … به اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه … وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري •
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم … وما عرجوا من مس بوس ولا ضر •

وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة • وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله • وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير فقال السلام عليكم هل ها هنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان فكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضو وركع ما شا الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات • وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا

فقال

فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه فقالت قد مت ووقعت ميتة • وحكي عن فاطمة اخت ابي علي الروذباذي قالت لما قرب اجل ابي علي الروذباذي وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السما قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قايل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول

وحقك لا نظرت الى سواكا … بعين مودة حتى اراكا
اراك معذبي بفتور لحظ … وبالخد المورد من جناكا

وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره • وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلوة ففعلت فنسيت تخليل اللحية وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون لم يفته في اخر عمره ادب من اداب الشريعة • وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد • وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره • ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك على الكبير • ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا قال احفظوا مراد الحق فيكم • واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال لها ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت على هذا اليوم اربعين سنة • وقال الجنيد رحمه الله دخلت على سري السقطي اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول كيف اشكوا الى طبيبي ما بي • والذي قد اصابني من طبيبي فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول

القلب محترق والدمع مستبق … والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له … مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان يكن شي فيه لي فرج … فامنن علي به ما دام في رمق

وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول

ان بيتا انت ساكنه … غير محتاج الى السرج
وجهك المامول حجتنا … يوم ياتي الناس بالحجج
لا اتاح الله لي فرجا … يوم ادعو منك بالفرج

وحكي ان العباس بن عطا دخل على الجنيد رحمه الله في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم اجابه بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ثم مات • وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقترب اجلي ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر عليه غير الله حجبته عنه • وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الله حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان وذكرت محاسنه فلما افاق قال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلم يقول اني بكل سخي رفيق ثم طفا • ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد

هذا او ان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله تعالى في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله في شيء من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول يمكنك ان تفعل ما تريد فارفق بي • ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعا فضحك وقال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي • وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيرها • ولما حضرت النوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله وقال اليس ثم امر • ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكاس الموت شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها او الى النار فاعزيها ثم انشا يقول •

فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت رجاي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب صافح	بجودك تمحوا السيات تكرما
فان تعف عني تعف عن جرم مذنب	ظلوم غشوم لا يفارق مجرما
وان تنتقم مني فلست بايس	ولو دخلت نفسي لجرمي جهنما
فلولاك لم يغوا بابليس عابدا	فكيف وقد اغوى صفيك ادما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل	تجود وتعفوا منة وتكرما
ولولاك لم ينجوا من ابليس عابد	وكيف وقد اغوى صفيك ادما

ولما حضرت احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسالة فدمعت عيناه وقال يا بني كنت ادق بابا خمسا وسبعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح بالسعادة او بالشقاوة فانى لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وغلب على بعضهم الرجا وعلى بعضهم الشوق والرجا والحب فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم فنسال الله ان يتوفانا على الاسلام ويبلغنا ما بلغهم امين

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير واما اهل الغفلة فانه لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون ابدا انهم الى جنائز غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله في غد او بعد غد • ويروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له • وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بسوى ما هو مفعول به وما هو صاير اليه • ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا تصير ولا اعلم ذلك ما دمت حيا • وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز

فلا ندري من نعزي من حزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والان لا انظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ولا يبكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر احد منهم الا من شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الاخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى ناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم كان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راه ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال ابو عمرو بن العلا وهو يبكي على كاتبه شعرا فاطلع على جنازة فامسك وقال شبلي والله هذه الجنائز وانشا يقول

تروعنا الجنائز مقبلات	ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذيب	فلما غاب عادت راتعات

فمن اداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا ادابها وسننها في فن الفقه ومن ادابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهره الصلاح فان الخاتمة خطر لا ندري ما حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليه فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود فان قالوا مذنب وذو خطا فمن منا غير مذنب وذي خطايا ويروى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت من حملها الى المصلى فما صلى عليها احد فحملها الى الصحرا للدفن فكان على جبل قريب من الموضع رجل زاهد من الزهاد الكبار فراوه كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد عليه وصلوا معه فتعجب الناس فقال قيل لي في المنام انزل الى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة ما معها الا امراة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين له شيا من الخير قالت ثلاثا كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح في الجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثانية انه كان ابدا لا يخلوا بيته عن يتيم ويتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد لهم والثالثة انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث ويعني به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله في امره وعن صلت بن اشيم وقد دفن اخا له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة … والا فاني لا اخالك ناجيا

بيان حال القبور واقاويلهم على القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى
على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي رضي الله عنه ما شانك جاورت القبور قال اني
وجدتهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر
افظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه
فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قالوا ابكينا لبكائك قال هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها
فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمن بن عفان رضي الله عنه اذا وقف
على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار لا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده
اشد وقيل ان عمرو بن العاص رضي الله عنهما نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال
ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته
فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما ذا
اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدردا يقعد الى القبور فقيل له في ذلك
فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل
القبور ما لكم اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني بي اكون مثلهم ثم يستقبل الى طلوع
الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة تفكرا في القبور وساكنيها انك لو رايت
الميت بعد ثلاث في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولو رايت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه
الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلا الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة
خر مغشيا وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستانس في بطن الارض
باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله
باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المعاونين له على طاعة الله عز وجل وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور
وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول
يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم
دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته
من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان
عطا السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم فيا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا اعملاه
ثم يقول غدا عطا في القبر فلا يزال يردد ذلك دابه حتى يصبح وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من
رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم في داره قبر فكان اذا وجد من قلبه قسوة
دخل فيه واضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا يرددها ثم يرد على نفسه
يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول

يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة
فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم
اما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا
انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله تعالى وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما اردت الخروج منها فاذا بصوت
قايل يقول لا يغرنك صمت اهلها فكم من نفس مغمومة مهمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسن نظرت الى جنازة زوجها
الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت وكانوا رجاء ثم امسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت وقيل
انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا
من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا صوتا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التميمي توفيت
امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه اهل البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ما اعددت لهذا اليوم فقال
شهادة ان لا اله الا الله منذ سبعين سنة فلما دفنت قام الفرزدق فقال

اخاف وراء القبر ان لم يعافني ... اشد من القبر التهابا واضيقا ۵
اذا جاءني يوم القيمة قايد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى ... الى النار مغلول القلادة ازرقا

وانشدوا في اهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها ... من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها ... قد ذاق برد الامن من روعاتها
اما السكون لدى العيون فواحد ... لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بالسن ... تصف الحقايق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة ... يفضي الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب ... في حفرة ياوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه ... في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائي رضي الله عنه على امراة تبكي على قبر وهي تقول

عدمت الحياة فلا نلتها ... اذا انت في القبر قد الحدوكا
فكيف اذوق لذيذ الكرا ... وانت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابناه ليت شعري باي خديك بدا الدود فصعق داود فخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت
بمقبرة فانشات اقول اتيت القبور فناديتها فاين المعظم والمحتقر واين المذل بسلطانه واين المزكي اذا
ما افتخر قال فنوديت من بينهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول
تفانوا جميعا فلا مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر فيا سائلي عن اناس مضوا اما لك فيما ترى معتبر ۵
تروح وتغدو بنات الثرى وتمحي محاسن تلك الصور قال فرجعت وانا باك رحمة الله عليه ابيات

وجدت مكتوبة على القبور • وجد على قبر مكتوب • تناديك اجداث وهن سكوت • وسكانها تحت التراب خفوت
ايا جامع الدنيا لغير بلاغه • لمن تجمع الدنيا وانت تموت • ووجد على قبر مكتوب • ايا غانم اما ذراك فواسع •
وقبرك معمور الجوانب محكم • وما ينفع المقبور تشييد قبره • اذا كان فيه جسمه يتهدم • وقال ابن السماك مررت
بالمقابر فاذا قبر مكتوب • تمر اقاربي جنبات قبري • كان اقاربي لم يعرفوني • ذوو الميراث يقتسمون مالي
وما يالون ان جحدوا ديوني • وقد اخذوا سهامهم وعاشوا • فيا لله اسرع ما نسوني • ووجد على قبر مكتوب
ان الحبيب من الاحباب مختلس • لا يمنع الموت بواب ولا حرس • وكيف يفرح بالدنيا ولذتها ٥
يا من يعد عليه اللحظ والنفس • اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا • وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لعزته • ولا الذي كان منه العلم يقتبس • كم اخرس الموت في قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس • قد كان قصرك معمورا له شرف • وقبرك الآن في الاجداث مندرس • ووجد
على قبر مكتوب • فاضحوا رميما في التراب وعطلت • مجالس منهم اقفرت ومقاصر
وحلوا بدار لا تزاور بينهم • وكيف لسكان القبور تزاور
فما ان ترى الا جثاثهم قد ثووا بها • مسطحة تسفي عليها الاعاصر
فهم في بطون الارض بعد ظهورها • محاسنهم فيها بوال دواثر • ووجد على قبر
مكتوب • وقفت على الاحبة فداعفت • قبورهم كافراس الرهان • فلما ان بكيت وفاض
دمعي • رأت عيناي بينهما مكاني • ووجد على قبر مكتوب • قد قلت لما قال قايل • قد صار نعمان الى رمسه •
فاين ما يوصف من لحمه • وحدقه في الماء مع حسه • هيهات لا يدفع عن غيره • من كان لا يدفع عن نفسه ٥
ووجد على قبر مكتوب • يا ايها الناس كان امل • قصر بي عن بلوغه الاجل • فليتق الله ربه رجل • امكنه في حياته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث ترى • كل الى مثله سينتقل • فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار
قبل الموت والبصير هو الذي يرى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من
مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من
الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقايق الامور فانما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به
تقصيره فيتخلص عن العقاب وليتزيد به الموفق في رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد
انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن
نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر عن الاختيار وان لم تاخذ نصيبك عن ساعتك على سبيل الابتدار فقد راى
بعض الصالحين رايت اخا لي في الله تعالى فيما يرى النايم فقلت له يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لان اقدر ان اقول
يعني الحمد لله رب العالمين احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنونني قام فلان فصلى ركعتين لان اكون
اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها

بيان ما ينبغي ان يلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده او قريب له ان ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي
هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم او تاخر وهكذا الموت

فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه ولا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما
يعزى به كل مصاب قال صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله تعالى وانما ذكر
السقط ليستدل بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب • قال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عم فحزن عليه
حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك • وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم واثنان قال واثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى دعاء واقربه الى الاجابة • ووقف محمد بن سليمان
على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجاي وامن خوفي • ووقف ابن سنان على قبر ابنه فقال
اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم • ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال
اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك • ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه بعد ما
وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما ذا قلت وما ذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر
متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم قد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم فما وعدتني عليه من الاجر
في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال بعد انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة
يا ذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة ولقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك • ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال
ما رايت مثل هذه النضارة وما ذلك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن شديد ما يشركني فيه احد قال وكيف
قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم اضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال اكبرهما للآخر اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال
نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى جبل فرهقه ذيب فاكله وخرج
ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر فمثل هذه المصايب ينبغي ان تذكر عند موت الاولاد ليتسلى
بها عن شدة الوجع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يرفعه الله في كل حال فهو الاكثر ٥ ¸

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعد • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه بالبقيع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ
وذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ربي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل • وقال ابن ابي مليكة
اقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام المومنين من اين اقبلت قالت من قبر اخي عبد الرحمن قلت اليس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغي ان يتمسك بهذا فيوذن للنسا في الخروج الى المقابر فانهن
يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظايم والزيارة سنة
فكيف تحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء
وترك الحديث على راس القبر • وقال ابو ذر رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان
معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى • وقال ابن ابي مليكة قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة • وعن نافع عن ابن عمر رضي الله
عنهما كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم عليه • وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت
تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له
وكتب برا • وعن ابن سيرين رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو
الله من بعدهما فيكتبه الله من البارين • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت شفيعا
وشهيدا يوم القيمة • وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم
ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج
صلى الله عليه وسلم في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر
القبلة مستقبل وجه الميت ان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى وقال نافع
كان ابن عمر رضي الله عنهما رايته مائة مرة يقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر رض السلام على ابي
وينصرف • وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه قد
افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف • وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم • وقال سليمن بن سحيم رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك ويسلمون عليك افتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم •
وقال ابو هريرة رض اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه
رد عليه السلام • وقال رجل من ال عاصم الجحدري رايت عاصما في منامي بعد موته بسنين فقلت اليس قد مت قال بلى
قلت فاين انت فقال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى ابي بكر
ابن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم او ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال
قلت هل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت
وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه • وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى
يوم الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده • وقال الضحاك من زار قبرا
يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة • وقال بشر بن منصور
لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال انس
الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة
فانصرفت الى اهلي ولم ات المقابر ادعو كما كنت ادعو فبينما انا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤني فقلت ما انتم وما حاجتكم
قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي
قالوا الدعوات التي كنت تدعو بهن قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك • وقال بشار بن غالب النجراني
رايت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعا لها فقالت يا بشار ابن غالب هداياك تاتينا على اطباق
من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعا المؤمنين الاحيا اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل

ذلك الدعا على اطباق من نور وخمر بمناديل الحرير ثم اتى به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك • وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب
اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحيا للاموات الدعا والاستغفار • وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام
فقلت ما كان حالك حيث وضعت في قبرك قال اتاني ات بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني
به • وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعا له قال سعيد بن عبد الله الازدي شهدنا ابا امامة الباهلي
وهو في النزع فقال يا ابا سعيد اذا انا مت فاصنعوا بي كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذا مات احدكم فسويتم
عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية
فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت
عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى
الله عليه وسلم نبيا وبالقران اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا وما يقعدنا عند هذا وقد لقن
حجته ويكون الله تعالى حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حوا ولا باس
بقراة القران على القبور • وروي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري
معنا فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراة على القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر
قال محمد بن قدامة يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلا بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن
ان يقرا عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا
وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقروا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا
ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت
ركعتين بالليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد اذيتني منذ الليلة
ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا
اهل الدنيا خيرا اقرهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للاحيا
وللمزور الانتفاع بالدعا فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعا لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار بالموتى وانما يحصل
له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاوه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي
عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب
واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا
لم يلينه الا رسوم البلى واني لاتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة
والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدنسة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس
واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكر عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه بعض الفقها فتعجب
من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان
فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا البطن وعلا الصدر

وخروج الصور على الدبر والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الان ويستحب ايضا الثنا على الميت ولا يذكره الا بالجميل فقد قالت عايشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بالخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت ومروا باخرى فاثنوا خيرا فقال وجبت فساله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهدا الله فى الارض وقال ابو هريرة رض قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثنى القوم عليه الثنا يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملايكة اشهدكم انى قد قبلت شهادة عبيدى على عبدى وتجاوزت عن علمى فى عبدى

الباب السابع فى حقيقة الموت

وما يلقاه الميت فى القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راى الملحد وكل من لا يومن بالله واليوم الاخر • وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام فى القبر الى ان يعاد فى وقت الحشر • وقال اخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هى الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة مايلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الايات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسم اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضا الات للروح تستعملها حتى انها تبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشيا بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح فالروح تعلم الاشيا بنفسها من غير الة ولذلك قد تتالم بنفسها بانواع الحزن والغم والكمد وتتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضا فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضا فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد فى القبر ولا يبعد ان توخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل اعضا الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع فى الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضا وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصا الاعضا كل الاعضا الات والروح هى المستعملة لها واعنى بالروح المعنى الذى يدرك من الانسان العلوم والالام والغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها فى الاعضا لم يبطل منها العلوم والادراكات ولم يبطل منها الافراح والغموم ولا يبطل منها قبولها للالام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والالام واللذات وذلك لا يموت اى لا ينعدم اصلا ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون الة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد او الرجل عن ان يكون له مستعملة فالموت زمانة مطلقة فى الاعضا كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية نعم تغير حاله من وجهين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضايه وسلب منه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره

وساير املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشيا من الانسان او يسلب الانسان من هذه الاشيا فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة ان يسبى الرجل عن المال والالم واحد فى الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم اخر لا يناسب هذا العالم فان كان له شى فى الدنيا يستريح به ويانس به ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت وتعظم شقاوته فى مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يكن يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوايق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة • والثانى انه ينكشف بالموت ما لم يكن مكشوفا فى الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا فى النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسياته وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يود ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعنى فراق ما كان يطمين اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذه حال من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده ويستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع اخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمين اليها كحال من يتنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل فى امره وعلى ان الملك ليس يدرى بما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه فى العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحيا والتحسر والندم فهذه حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمين اليها قبل نزول عذاب القبر به عند موته نعوذ بالله من ذلك الخزى والافتضاح ومن تلك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولوا البصاير بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطا عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يوذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربى فليس لاحد من علما الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها ايات واخبار كثيرة • اما الايات فقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون • واما ما ورد فى الشرع فلما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص فى بقاء روح

الشقي وبقا ادراكها ومعرفتها والابد نص في ارواح الشهدا ولا يخلوا الميت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر
اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت
او سعادته يتعجل عند الموت من غير تاخير وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله ❁ وروى انس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الموت القيمة ومن مات فقامت قيامته ❁ وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل
الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيمة وليس يخلوا شاهد
المقعدين من عذاب او نعيم في الحال ❁ وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته ❁ وقال علي رض
حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم امن اهل الجنة هي ام من اهل النار ❁ وقال ابو هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات غريبا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة ❁ وقال مسروق ما غبطت موضا في اللحد فقد
استراح من نصب الدنيا وامن من عذاب الله ❁ وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدردا فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت
قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المومن والموت اطلاق للمومن من السجن وانما احب
قلة المال والولد لانهما فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله وذكره والانس
به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمر رض انما مثل المومن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان
في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافا عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا
بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات توذيه فكان في الموت خلاصه من جميع الموذيات
وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عايق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات
للشهدا الذين قتلوا في سبيل الله تعالى لانهم ما قدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علايق الدنيا مشتاقين الى لقا
الله تعالى راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالاخرة والبايع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان
نظر الى الاخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا راه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد
القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت على ذلك فربما تغير عنه والقتال سبب للموت فكان سببا
لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم ما يشتهون
فكان هذا اجمع عبارة عن جميع معاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
فكان هذا اجمع عبارة لعقوبة اهل النار وهذا الادراك يحصل للشهدا عند انقطاع نفسهم من الدنيا من غير تاخير وهذا امر يكشف لارباب القلوب بنور اليقين
وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهدا تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة
اخرى فقد روي عن عايشة رض انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه
فقال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه وقال له تمن علي يا عبدي قال يا رب ما عبدتك
حق عبادتك اتمنى ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال الله انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون ❁ وقال كعب
يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له تبكي وانت في الجنة قال ابكي لاني لم اقتل في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد
فاقتل فيه قتلات واعلم ان المومن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق
ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار

والانهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا فقال لرجل مات
اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك
بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المومن في الدنيا كمثل الجنين
في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المومن يجزع من الموت فاذا افضى الى
ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح
ومستراح منه اشار بالمستريح الى المومن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه ❁ وقال ابو عمر صاحب السقي
مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى
شيا وانما الارواح هي التي تعاقب وتثاب الى يوم القيمة ❁ وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله
بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم ❁ وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المومنين مرسلة تسرح حيث شاءت
وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور فالله الله
في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم ❁ قال ابو هريرة رض قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيات اعمالكم
فانها تعرض على اوليايكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدردا اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله
بن رواحة وكان قد مات وهو خاله ❁ وسيل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المومنين اذا ماتوا اين هي فقال في صور طير
بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة ❁ وقال ابو سعيد الخدري رض سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره ❁ وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح
الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او في خبيث ❁ وقال عبد الله بن عمير اهل
القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله
وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا ❁ وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغايب
وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره ❁ وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس
المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان
في كرب شديد فيسالونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله قال
مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى

اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحيا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الدود وبيت الظلمة وبيت الفتنة
وبيت الوحدة وبيت الوحشة ما غرك بي اذ كنت تمر بي فدادا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت
ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه روضة خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى
الله تعالى والفداد هو الذي يقدم رجلا ويوخر اخرى كذا فسره الراوي ❁ وقال عبد الله بن عبيد الليثي ليس من ميت يموت الا
نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الوحدة والظلمة والانفراد فان كنت في حياتك مطيعا لله تعالى كنت اليوم رحمة عليك
وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مني مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا

وقال عمرو بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المخلف في الدنيا بعد
اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا
استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض
ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي
بلغنا ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون
فلا انيس لك اليوم غيرنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله الصالحات الصلاة والصيام والحج
والزكاة والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد طال
قيامه لله عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد طال ظماه لله في دار الدنيا فلا سبيل
لكم عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد فلا سبيل
لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت
في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فيفرش
له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله
عز وجل من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه
فلا يكلمه شيء الا قبره يقول ويحك يا ابن ادم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فما اعددت لي ٥

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره
منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله اليه ملائكة
كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض
وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قالوا اي رب
عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى
مناد ان صدقت وهي معنى قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين
ويفعل الله ما يشاء ثم ياتيه ات حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم
مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير فمن انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن
معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش
من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فاذا كان في قبل
من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا
خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس فيها باب الا يكره ان يدخل

منه روحه فاذا صعد بروحه قيل رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر
اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا
هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري ثم ياتيه ات قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول له
ابشر بسخط الله وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ما علمت ان كنت لسريعا
في معصية الله تعالى بطيئا عن طاعة الله تعالى فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم ابكم اعمى معه
مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا ولو ضرب بها جبل لصار دكا فيضربه بها
ضربة فيصير ترابا ثم تعاد اليه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض غير الثقلين ثم ينادي مناد
افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي
ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته
وقال ابو هريرة رض قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان
فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين فيقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح الله
وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان
الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة
ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت وضعت على تلك الجمرة فان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب
بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرا حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
قال يقول الجبار جل جلاله كلا انها كلمة هو قائلها اي يقولها عند الموت وقال ابو هريرة رض قال النبي صلى الله عليه وسلم
المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت
فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا لكل تنين سبعة
رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان
اعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات
فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هي
المهلكات وهي باعيانها تنقلب حيات وعقارب فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف منها يلدغ لدغ العقرب
وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وارباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصائر هذه المهلكات وتشعب فروعها
الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها
عند ارباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التسليم
والتصديق فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق
على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذه احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم
ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور
الملكوتية وكلما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة رض كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل عم

وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بان النبي صلى الله عليه وسلم يشاهده وان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك وان امنت بذلك وجوزت ان يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبور ليست من جنس حيات عالمنا بل هي من جنس اخر وتدرك بحاسة اخرى

المقام الثاني ان تذكر امر النائم فانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حين يراه في نومه ربما يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والعقرب والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكن في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد

المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك بالاثر الذي يحصل فيك من السم فاذا حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي هو افضى اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يكن تعريفه الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومولمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأ حالة صار اللذيذ في نفسه مولما حتى يرد بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك من لا يرجو استرجاعه منه فما ترى يكون حاله اليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي قط مال ولا جاه فكنت لا اتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنياوية كلها دفعة واحدة ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد ٭ غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتؤخذ منه وتسلم الى اعدائه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الاخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله تعالى يحجب عن لقاء الله تعالى والتنعم به فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الاخرة ابد الاباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وهو الذي يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله تعالى مشتاقا الى لقاء الله تعالى فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن عن الزوال ابد الاباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان يلدغه عقرب لآثر الصبر على لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وييئس عن رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سوى ذلك وقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من لدغ العقارب والحيات وكما لو اخذ منه ذلك وهو حي لعظم تألمه وعقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للالام واللذات لم يمت بل عذابه

بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى باسباب تشتغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى ايضا برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاذا كل قميص له ومنديل قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه درهم ليس كحال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك صاحب الدرهم اخف حالا وحسابا من ذي الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر انواع عذابه رأى ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف الله فيما يريد فقال زدني قال يا ابت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة

فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان في الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من انكر بعض ذلك فانما ينكره لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاث في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره والذي اوصيك به الا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب عنك كيفما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطانه وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه فهذه غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عذاب عظيم او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد لذلك فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان

[منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر]

قال ابو هريرة رضي قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي صلى الله عليه وسلم فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره فيقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رض كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك

وكفنوك وحنطوك ثم احملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلون عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر
منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثيان القبر بانيابهما فتلتلاك
وترتلاك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الان قال نعم قال فاذا اكفيكهما وهذا نص صريح في
ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضا فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالالام واللذات كما كان لا يتغير
من عقله شي وليس العقل المدرك هذه الاعضا الظاهرة بل هو شي باطن ليس له طول ولا عرض بل لا ينقسم في نفسه
هو المدرك للاشيا ولو تناثرت اعضا الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزا ولا ينقسم لكان الانسان
العاقل بكماله قايما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان الجزء لا يحله الموت ولا يطرا عليه العدم قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر
يسلط عليه في قبره دابة عميا صما في يدها سوط من حديد راسها مثل الجمل تضربه الى يوم القيمة لا تراه فتتقيه ولا تسمع
صوته فترحمه وقال ابو هريرة رض اذا وضع الميت في قبره جات اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جات
قراة القران وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالتا اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة
والدعا لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة والصبر ناحية فيقول اما اني لو رايت
خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يحاج عنه اعماله الصالحة كما يحاج الرجل عن اخيه واهله وولده ثم قال له
عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلا اخلاوك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المومن في هذا ضغطة تردى منها
حمايله وقالت عايشة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر لضغطة ولو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ
وعن انس بن مالك رض قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا
منك شانا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت ان الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع
صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصاير المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار يعرف بها احوال الموتى على
الجملة وانقسامهم الى سعدا واشقيا ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا
ندري على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محلها القلوب وهو غامض يخفى على
صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم بظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه فاذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة
الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يدرك بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن
من قلب الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنياوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر
بها شيا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عيني قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبيا
عليهم السلام فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجايبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا عنهم ولذلك
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب بنته وكذلك في حال ابي جابر لما استشهد

اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبيا والاوليا الذين تقرب
درجتهم منهم وانما المنتهى الذي يكون من امثالنا لهم مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة
في المنام وهي من انوار النبوة قال صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف
لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برويا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق
روياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة
عند النوم لينام طاهرا وذلك اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها
ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقل ما يخلو الانسان عن منامات دالة على امور موجودة صحيحة
والرويا ومعرفة الغيب للقلب في النوم من عجايب صنع الله تعالى وبدايع فطرة الادمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت
والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن ساير العجايب وعجايب العالم والقول في حقيقة الرويا من دقايق علوم المكاشفة فلا يمكن
ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره هاهنا **مثال يفهمك المقصود**
وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مراة تتراءى فيها الصور وحقايق الامور وان كل ما قدره الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح
وتارة بالكتاب وتارة بامام مبين كما ورد في القران فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا
لا تشاهده بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او ورق بل ينبغي ان تفهم
قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم
بل ان كنت تطلب له مثالا تقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القران وحروفه
في دماغ حافظ القران وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حين يقروه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم
تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح في المثال
كمراة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المراة مراة اخرى لكانت صورة تلك المراة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما
حجاب والقلب مراة تقبل رسوم العلوم واللوح مراة رسوم العلوم كلها موجودة فيه واشتغال القلب بشهواته
ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته
تلالا في مراة القلب شي من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الاغلب وما دام
مستيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم
ركود الحواس وان لا تورد على القلب ما يشغله فاذا تخلص من ذلك ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شي مما في اللوح كما تقع الصورة من مراة في مراة اذا ارتفع الحجاب بينهما
الا ان النوم مانع ساير الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال
فيحاكيه بمثال يقارنه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يذكر الا
الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعنى بالمناسبة التي بين المتخيل
والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك منه مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين

رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النسا فقال انت موذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال
صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه
وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب والجماع ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فيمثله بالصورة الخيالية
التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه
وكيف لا والنوم اخو الموت والموت هو عجب من العجايب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف في كشف الغطا عن
عالم الغيب حتى صار النايم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطا بالكلية
حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة بالانكال والمخازي والفضايح نعوذ بالله من
ذلك واما مكنوفة بنعيم مقيم وملك عظيم لا اخر له وعند هذا يقال للاشقيا وقد انكشف الغطا لقد كنت في غفلة
من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا
تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون والى هم الاشارة بقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
فاعظم العلما واحكم الحكما ينكشف له عقيب الموت من العجايب والايات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم
يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر في خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطا من شقاوة
لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا واعجب
من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا وباسبابنا ودنيانا بل باعضاينا واسماعنا وابصارنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك
يقينا ولكن ان ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد البشر صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه
وعش ما عشت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في
الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا
نعم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا احدا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن
تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا للخليل والحبيب وقال لامته قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعا الا الى الله
واليوم الاخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما تعرض عن الدنيا وتقبل على الاخرة تسلك سبيله الذي
سلكه صلى الله عليه وسلم وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت
على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان
الجحيم هي الماوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى
حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجل الدنيا ثم تطمع في ان تكون غدا من امته واتباعه
ما ابعد ظنك وابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون فلنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد
عنان الكلام الى غير مقصد ولنذكر الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة
وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى

والاعمال النافعة في الاخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم من راني فقد راني حقا فان

الشيطان لا يتمثل بي • وقال عمر بن الخطاب رض رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شاني
فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صايم فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صايم ابدا • وقال العباس كنت ودا
لعمر رض فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند قرب الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي
ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما • وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لي علي رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم
بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم • وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل
قط شيا فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك • وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا
له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله حولا ان يريني اياه في المنام قال فرايته يلتهب
نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب ولا يخفف عني ولا يروح الا في ليلة الاثنين في كل الليالي
والايام قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة امنة اياه
ففرحت به واعتقت وليدة فرحا به فاثابني الله بذلك ان دفع عني العذاب في كل ليلة اثنين • وقال عبد الواحد بن
زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على محمد صلى الله عليه وسلم فسالته عن
ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نايم اذ اتاني
ات فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه
فدخلني في ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيناي فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة
حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال لي قم فقد بيض
الله وجه ابيك فقلت من انت بابي انت وامي فقال انا محمد صلى الله عليه وسلم قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا
هو ابيض فما تركت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم • وعن عمر بن عبد العزيز رض قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر رض جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعوية رض فادخلا بيتا واجيف
عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي رض وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية
على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة • واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع فقال قتل الحسين والله وكان ذلك
قبل قتله فانكره اصحابه فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت
امتي من بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودماء اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجا الخبر بعد اربعة وعشرين يوما
بقتله في اليوم الذي راه • وروي الصديق رض فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما
فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم

قال بعض الشيوخ رايت ممشاد الدوري في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال دير بي في الجنان فقيل لي يا
ممشاد هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلناك اليه ولم اوصلك الي
وروي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي قيل بماذا قال بانا ما خلطت جدا بهزل وعن

منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال وقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب
اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك فقال نظرت
الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره • وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام وحوله جماعة من الفقرا فبينما نحن كذلك اذ انشقت السما ونزل ملكان احدهما بيده طشت وبيد الاخر ابريق
ثم وضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي فقال احدهما للاخر
لا تصب على يديه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول
الله فاني احبك واحب هولاء الفقرا فقال صب على يديه فانه منهم • وقال الجنيد رح رايت في النوم كاني اتكلم على
الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي قول الملك
ومو يقول كلام موفق والله • وروي مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير
الدنيا والاخرة • وقال رجل من اهل الشام لعلا بن زياد رايتك في المنام كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه
وقال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا يقتلني • وقال محمد بن واسع الرويا تسر المومن ولا تضر
وقال صالح بن بشير رايت عطا السلمي في النوم فقلت رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني
ذلك راحة طويلة وفرحا دايما فقلت في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين الاية • وسيل زرارة بن اوفى اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت
الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمر دلني على عمل اتقرب به الى الله عز وجل فقال ما رايت هنالك درجة ارفع من درجة العلما
ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه • وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت
يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي • وقال علي الطلحي رايت في المنام
امراة لا تشبه النسا فقلت من انت فقالت حورا فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني قلت وما
مهرك قالت تحبس نفسك عن افاتها • وقال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقالت
غفر لي فقلت لها انما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها دفعت اجورها الى اربابها وغفر لي
بنيتي ولما مات سفيان الثوري روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني
في الجنة • وقال احمد بن ابي الحواري رايت في المنام جارية ما رايت احسن منها وكان وجهها يتلالا نورا فقلت لها مما
ذا ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم
ضوء وجهي كما ترى • وقال الكتاني رايت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال طاحت والله الاشارات وذهبت
العبارات وما حصلنا الا ركعتين كنا نصليهما في الليل • ورويت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر
لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله
الا الله القى بها ربي • وروي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله فقال رحمني ربي وقال يا بشر اما استحييت مني كنت
تخافني كل ذلك الخوف • وروي ابو سليمان في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني ربي وما كان شي اضر علي
من اشارة القوم الي • وقال ابو بكر الكتاني رايت في المنام شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت

فاين

فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سودا كاوحش ما يكون فقلت من انت فقالت انا السقم قلت فاين تسكن
قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة • وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام
كان ابليس قد وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف فقال ان هذا لا يخاف من هذه وانما
يخاف من نور يكون في القلب • وقال المسوحي رايت ابليس في النوم عريانا فقلت الا تستحيي من الناس فقال بالله
هولاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هولاء قد اسقموا
جسمي واشار بيده الى الصوفية • وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني
متكيا على ابي بكر وعمر رض فجاء فوقف علي وانا اقول شيا من الاصوات وادق على صدري فقال شره اكثر من خيره
وعن ابن عيينة رايت سفيان الثوري في المنام كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت
له اوصني فقال اقلل من معرفة الناس • وروى ابو حاتم الداراني عن قبيصة بن عقبة فقال رايت سفيان الثوري رض
في المنام فقلت ما فعل الله تعالى بك فقال • نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيا رضاي عنك يا ابن سعيد

فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى • بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته • وزرني فاني منك غير بعيد

وروي الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني الله برحمته
وروي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني فقيل ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو
ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين • وروي بعضهم في النوم فسيل عن حاله فقال • حاسبونا فدققوا • ثم منوا فاعتقوا
وروي مالك بن انس في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمن بن عفان رض عند روية الجنازة
سبحان الحي الذي لا يموت • وروي الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السما مفتحة وكان مناديا ينادي
الا ان الحسن البصري قدم على الله عز وجل وهو عنه راض • وروي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال •

فلا تكتب بكفك غير شي • يسرك في القيامة ان تراه

وراى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال هولاء ناس اقوام في مسجد الشونيزية
قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا روسهم على ركبهم يتفكرون
فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث • وروي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد الاتصال انفصال قلت لا يا ذا الجلال فما وضعت
في اللحد حتى لحقت بالاحد • وراى عتبة الغلام حورا في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة
فانظر لا تعمل من الاعمال شيا يحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي اليها حتى القاك وقيل
راى ابو ايوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فراى بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل
الله بك فقال غفر لي وقال قل لايوب قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال
بعضهم رايت الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملايكة نزولا وملايكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا
ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه • وقال ابو سعيد الشحام رايت سهلا الصعلوكي فقلت

ايها الشيخ فقال دع التشيخ فقلت تلك الاحوال التي شاهدناها فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك فقال
غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز • وقال ابو بكر الرشيدي رايت محمد الطوسي المعلم في النوم فقال قل لابي سعيد
الصفار المؤدب • وكنا على لا نحول عن الهوى • فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا • قال فانتبهت
وذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة • وقال بعضهم لقد رايت ابن المبارك في المنام
بعد موته فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فما صنع الله بك جل جلاله فقال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب
قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذاك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية
وقال الربيع بن سليمان رايت الشافعي رض بعد وفاته في النوم فقلت يا ابا عبد الله ما فعل الله بك قال اجلسني على كرسي
من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب • ورأى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن بن ابي الحسن كان مناديا
ينادي ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين واصطفى الحسن بن ابي الحسن على اهل زمانه
وقال يعقوب القاري الرقيقي رايت في منامي رجلا ادم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا فقال اويس فاتبعته
فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله فاقبل علي فقال ابتغ رحمة ربك عند
محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني • وقال ابو بكر بن ابي مريم رايت
ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء فقال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال
البكاء من خشية الله تعالى • وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في طاعون جارف فلقيها ابوها في المنام فقال لها يا
بنية اخبريني عن الاخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان
او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها • وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رايت عتبة في المنام
فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتي فاذا خط
عتبة في حائط البيت مكتوب فيها يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرة العاثرين ارحم عبدك
ذا الخطا العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين امين يا رب العالمين • وقال موسى بن حماد رايت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة
ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى
الا كما يرى الكوكب الدري • ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال
نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له • وقال الشافعي رض دهمني في هذه
الايام امر عظيم امرضني والمني ولم يطلع عليه غير الله تعالى فلما كان البارحة اتاني ات في منامي فقال يا محمد بن
ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني
ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحبه وترضاه من القول والعمل في عافية فلما اصبحت فعلت ذلك فلم
يدخل النهار حتى اعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها
فهذه جملة من المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله تعالى زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي
الموتى من ابتداء نفخة الصور الى اخر القرار اما في الجنة واما في النار

الشطر الثاني

من كتاب ذكر الموت من وقت نفخة الصور الى اخر الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار
وفيه بيان صفة نفخة الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة وصفة يوم القيمة
ودواهيها واساميها وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة
الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد
الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة
الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى عز وجل وباب في سعة رحمة الله عز وجل وبه ختم الكتاب ان شاء الله

صفة النفخ في الصور

قد عرفت مما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف الخاتمة
ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم منكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك
كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب
الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما
بالاشقاء فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها
لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الاخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء
افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها
مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الاخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم
ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لمن اخبره صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا
بقلبه وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يشتمني ابن ادم وما ينبغي له
ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول اتخذ ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني
واما قصور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور
ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الادمي المصور
العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال تعالى او لم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق
فالادمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعجب من البعث واعادته فكيف ينكر ذلك
من قدرة الله تعالى وحكمته من شاهد ذلك من صنعته وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في
النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار
واكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما
يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخة الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون دفعة
واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة
الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب
الى ما كان زهوهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات

في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين غير يسير وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها
نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات ومن في الارض اي يموتون بها الا من شاء الله تعالى وهو بعض الملائكة ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ
قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل عم واضع فاه على القرن والقرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض
السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات و
في الارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك
الموت فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم تلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ
اربعين سنة ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيامره ان ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله عز وجل ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعثت الي بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه
وقدم رجلا واخر اخرى ينظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم
عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضي الله عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر
كانكسارهم ومتحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم هم اذل
الجمع واحقرهم واصغرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة
رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة
وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين
المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

صفة المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ولا ترى فيها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت
فيه يساقون اليه زمرا زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها
الرادفة فالراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار
ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي قال الراوي ليس فيها
معلم لاحد والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو المنقى عن القشر والنخالة ولا معلم اي لا بناء يستره ولا تفاوت يرد
البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل
الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول

ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض
لخمود سراجها فبينما انت كذلك والخلائق اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة
قيام على حافاتها وارجائها فيا هول انشقاقها في سمعك ويا هيبته ويا هيبة يوم تنشق فيه السماء مع صلابتها ثم تنهار ثم
تسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك
الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم
العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا
الى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع
ذلك عن النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على وجوههم ولا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة رض قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله كيف
يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع ابن ادم انكار كل ما لم يانس
به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا
مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيمة لمخالفتها قياس الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت
عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف عار
مكشوف ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة او بالشقاوة واعظم بهذه الحالة
فانها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات
السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف
حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت الشمس من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل
الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس
قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ولهيبها ثم تزاحمت الخلائق ودفع بعضها بعضا لشدة الزحام واختلاف
الاقدام وانضاف الى ذلك شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج
الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة
ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم بلغ الى حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه
وبعضهم كاد يغيب وقال ابن عمر رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين يقوم احدهم في رشحه
حتى يغيب الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم
في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث قياما شاخصة ابصارهم
اربعين الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم القيمة
من الارض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم
من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده صلى الله عليه وسلم فالجمها ومنهم من يغطيه عرقه وضرب
بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي فيقول يا رب ارحني من هذا الكرب

والانتظار ولو الى النار وكان ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى الى اين يبلغ بك العرق
واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضا حاجة وتحمل مشقة فى امر
بمعروف ونهى عن منكر فسيخرجه الخجل فى صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل لعلم ان تعب العرق
فى تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والافتضاح فى القيمة فانه يوم عظيم شديد طوله

صفة طول القيمة

تقف الخلايق يوم القيمة شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يتكلمون ولا ينظر
فى امرهم يقفون ثلاث مائة عام لا ياكلون فيها اكلة ولا يشربون شربة ولا تلفح وجوههم روح نسيم قال كعب وقتادة
يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلاث مائة عام قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما تلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك
بقوم قاموا على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولا شربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا
واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية قد آن حرها واشتد نضجها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة
لهم به كلم بعضهم بعضا فى طلب من يكرم على الله ليشفع فى حقهم فلم يتعلقوا بنبى الا دفعهم وقال نفسى نفسى شغلنى امرى عن
امر غيرى واعتذر كل واحد منهم بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله حتى يشفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمن يوذن له فى الشفاعة فيه الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا فتامل
فى طول هذا المقام وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره فى
الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره فى ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم والذى نفسى بيده انه ليخفف عن المومن حتى يكون اهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها
فى الدنيا فاجتهد وان تكون من اولئك المومنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر بيدك فاعمل لايام قصار لايام
طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة مثلا لسرور تتخلص من يوم مقداره
خمسين الف سنة فلو لم تعمل الا للخلاص من ذلك اليوم دون رجاء الجنة وخوف من النار لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا

صفة يوم القيمة ودواهيه واساميها

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه • القاهر سلطانه
القريب اوانه • يوم السما فيه انفطرت • والكواكب من هوله انتثرت • والنجوم الزواهر انكدرت • والشمس فيه كورت •
والجبال فيه سيرت • والعشار فيه عطلت • والوحوش فيه حشرت • والبحار فيه سجرت • والنفوس فيه الى الابدان
زوجت • والجحيم سعرت • والجنة ازلفت • والجبال نسفت • والارض فيه مدت • يوم زلزلت فيه الارض زلزالها •
واخرجت فيه الارض اثقالها • يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم • يوم حملت فيه الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة • يوم وقعت فيه كل واقعة • وانشقت فيه السما فهى يومئذ واهية • والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية • يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة • يوم رجت فيه الارض رجا
وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا • يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش • يوم تذهل
كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد • يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار • يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتتركها قاعا صفصفا

لا ترى فيها عوجا ولا امتا • يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب • يوم انشقت السما فكانت وردة
كالدهان • فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان • يوم يمنع فيه الفم من الكلام ولا يسال عن الاجرام بل يوخذ
بالنواصى والاقدام • يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت • يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح • يوم شيب
ذكره سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اذ قال له الصديق رضى الله عنه اراك قد شبت يا رسول الله فقال شيبتنى هود والواقعة
والمرسلات وعم يتسالون واذا الشمس كورت فيا ايها القارى العاجز حظك من هذا قراءتك وان تختم القران وتحرك
به اللسان لو كنت متفكرا فيما تقروه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك فيما شابت فيه شعرات سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القران والقيمة اجل ما ذكر فيها وقد وصف الله تعالى
بعض دواهيها لنعقل بكثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المراد تكرار الاسامى والالقاب بل الغرض تنبيه اولى الالباب
فتحت كل اسم من اسماء القيمة سر وفى كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على تدبر معانيها ونحن الان نجمع لك اساميها
وهى يوم القيمة • ويوم الحسرة • ويوم الندامة • ويوم المحاسبة • ويوم المسايلة • ويوم المسابقة • ويوم المناقشة
ويوم المنافسة • ويوم الزلزلة • ويوم الدمدمة • ويوم الصاعقة • ويوم الواقعة • ويوم القارعة • ويوم الراجفة
ويوم الرادفة • ويوم الغاشية • ويوم الداهية • ويوم الازفة • ويوم الحاقة • ويوم الطامة • ويوم الصاخة
ويوم التلاقى • ويوم الفراق • ويوم المساق • ويوم القصاص • ويوم التنادى • ويوم الحساب • ويوم المآب
ويوم العذاب • ويوم الفرار • ويوم القرار • ويوم اللقا • ويوم البقا • ويوم القضا • ويوم الجزا • ويوم البلا •
ويوم البكا • ويوم الحشر • ويوم الوعيد • ويوم العرض • ويوم الوزن • ويوم الحق • ويوم الحكم • ويوم الفصل •
ويوم الجمع • ويوم البعث • ويوم الفتح • ويوم الخزى • ويوم عظيم • ويوم عقيم • ويوم عسير • ويوم الدين • ويوم
اليقين • ويوم النشور • ويوم المصير • ويوم النفخة • ويوم الصيحة • ويوم الرجفة • ويوم الرجة • ويوم الزجرة •
ويوم السكرة • ويوم الكرب • ويوم الفزع • ويوم الجزع • ويوم المنتهى • ويوم الماوى • ويوم الميقات • ويوم الميعاد •
ويوم المرصاد • ويوم القلق • ويوم العرق • ويوم الاحتقار • ويوم الافتقار • ويوم الانكدار • ويوم الانتشار •
ويوم الانشقاق • ويوم الوقوف • ويوم الخروج • ويوم الخلود • ويوم الوعيد • ويوم التغابن • ويوم عبوس •
ويوم معلوم • ويوم موعود • ويوم مشهود • ويوم لا ريب فيه • ويوم تبلى السراير • ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيا
ويوم تشخص فيه الابصار • ويوم لا يغنى مولى عن مولى شيا • ويوم لا تملك نفس لنفس شيا • ويوم يدعون الى نار جهنم
دعا • ويوم يسحبون فى النار • ويوم تقلب وجوههم فى النار • ويوم لا يجزى والد عن ولده • ويوم يفر المرء من
اخيه • ويوم لا ينطقون • ويوم لا يوذن لهم فيعتذرون • ويوم لا مرد له من الله • ويوم هم بارزون • ويوم هم
على النار يفتنون • ويوم لا ينفع مال ولا بنون • ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سو الدار • يوم
ردت فيه المعاذير • وبليت فيه السراير • وظهرت الضماير • وكشفت الاستار • وخشعت الابصار • وسكنت الاصوات
وقل الالتفات • وبرزت الخفيات • وظهرت الخطيات • وسيق العباد ومعهم الاشهاد • وشاب الصغير • وسكر
الكبير • ووضعت الموازين • ونشرت الدواوين • وبرزت الجحيم • واغلى الحميم • وزفرت النار • وييس الكفار • وسعرت

النيران وتغيرت الالوان ونطقت جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب
وارخيت الستور واستترت عن الخلايق وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك هنالك فالويل كل الويل لنا
يا معشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين
ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيمة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل
الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة هذا القران عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا
اليوم واساميه ولا نستعد للفرار من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة صفة
المسالة ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يرد عليك من السوال شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير
والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيمة وعرقها وشدة عظايمها اذ نزلت ملايكة من ارجاء السما باجسام عظام واشخاص ضخام
غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملايكة ما بين
شفري عينيه مسيرة خمسماية عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هولاء الملايكة ارسلوا اليك لياخذوك ويسوقوك
الى مقام العرض وترايهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما يرون من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم
لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذه حال المقربين فما ظنك بالعصاة
المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملايكة افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملايكة
من سوالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فينادون باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو
فينا ولكنه ات من بعد وعند ذلك تقوم الملايكة صفا محدقين بالخلايق من جميع الجوانب على جميعهم شعار الذل والخضوع
وهيبة الخوف والمهابة لشدة ذلك اليوم وعند ذلك يصدق قوله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبيا صلوات الله عليهم وهو قوله
تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبيا وتمحى علومهم من شدة
الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون عماذا يجيبون فيقولون
من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت عنهم العقول وامحت العلوم
الى ان يقويهم الله عز وجل فيدعى نوح عم فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من
بشير ولا نذير ويدعى بعيسى عم فيقول له الرب تبارك وتعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله عز وجل
فيبقى يتشحط تحت هيبة هذا السوال سنين فيا لعظم يوم تقام فيه المسايلة على الانبيا بمثل هذا السوال ثم تقبل الملايكة
فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف العرض فعند ذلك ترتعد الفرايص وتضطرب الجوارح وتبهت
العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبايح اعمالهم على الجبار ولا تكشف اسرارهم على ملاء الخلق
وقيل الابتدا بالسوال يظهر نور العرش قال الله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وايقن كل عبد باقبال الجبار لمسايلة
العباد وظن كل واحد منهم انه المراد دون من سواه وانه الماخوذ بالاخذ والسوال دون من عداه فيقول الجبار
جل جلاله عند ذلك يا جبريل ايتني بالنار فيجيها جبريل فيقول لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها

جبريل

جبريل على غيظها وغضبها فلا تلبث بعد ندايه ان تثور وتفور وتزفر الى الخلايق وتشهق اليهم ويسمع الخلايق تغيظها
وزفيرها وتنتهض خزانها متوثبة الى الخلايق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف امره فاخطر ببالك واحضر في
قلبك قلوب العباد وقد امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم وولوا مدبرين يوم ترى كل امة وسقط بعضهم
على الوجوه منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي كل واحد من الصديقين نفسي نفسي فبينما هم
كذلك اذ زفرت النار الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقطت
الخلايق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي وانهاضت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى
الحناجر كاظمين وذهلت العقول عن السعدا والاشقيا اجمعين وبعد ذلك اقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا اجبتم فاذا
راى الخلايق ماذا اقيم من السياسة على الانبيا اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج
من زوجه وبقي كل واحد منتظرا الامر ثم يوخذ واحدا واحد ويساله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته
وعن جميع جوارحه واعضايه قال ابو هريرة رضه قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في روية
الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في روية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال
فوالذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك الخيل
والابل واذرك تراس وتربع فيقول العبد نعم فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني
فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملايكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسالك شفاها فيقول
لك الم انعم عليك بالشباب فيماذا ابليته الم امهل لك في العمر فيماذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبتها
وفيماذا انفقتها ثم يعدد عليك نعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك
قال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال تدرون مماذا اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة
العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم
يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضايه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على
ملاء الخلق بشهادة الاعضا الا ان الله تعالى وعد المومنين ان يستر عليهم ولا يطلع عليهم غيره سال ابن عمر رجل
فقال له كيف سمعت النجوى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه
عز وجل حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول اني سترتها
عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مومن عورته ستر الله عورته
يوم القيمة فهذا انما يرجوه عبد مومن يستر على الناس عيوبهم ومن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم
ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازي بمثل ذلك في
القيمة وهب انه قد ستر عن غيرك مساويك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك
اذ يوخذ بناصيتك وتقاد وفوادك يضطرب ولبك طاير وفرايصك ترتعد وجوارحك مضطربة ولونك متغير
والعالم عليك من شدة الهول مظلم وقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما

يغادر الفرس الجموح وقد رفعت الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن
فرموك من ايديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف
خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها
وكم من طاعة غفلت عن افاتها انكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وكم لك من خطر وعجز فليت شعري باي قدم تقوم
بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظيم غمك اذا ذكرت ذنوبك شفاها اذ يقول
يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي واظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من عبادي
استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري اليك الم انعم عليك فماذا غرك بي اظننت اني لا اراك
وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا
ترجمان وقال صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول له اوتيتك مالا فيقول بلى
فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار وينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق
احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو
احدكم بالقمر ليلة البدر فيقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم
الم اكن رقيبا على عينيك وانت تنظر بهما الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد سائر الاعضاء وقال
ابن مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما
عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك
وانك اما ان يقال لك سترتها في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم في الاخرة فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك
ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك
لو بكت عليك السموات والارض لكان جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى
ما بعت به اخرتك من دنيا دنية لم تبق معك

في صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير
الكتب الى الشمايل والايمان فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود
فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادي عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها
وقسم لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحمادون لله عز وجل على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك
باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادي عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها وقسم
ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم
ولكن يابى الله الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليتبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف
والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين او في الشمال
ثم الى جانب لسان الميزان اتميل الى جانب الحسنات او السيئات وهذه حالة هائلة تطيش منها عقول الخلائق روى
الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما راسه في حجر عائشة رض فنعس صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة رض الاخرة
فبكت حتى سال دموعها على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه وقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الاخرة هل

يذكرون اهليهم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت
الاعمال حتى ينظر ابن ادم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ايمينه ياخذها ام بشماله وعند الصراط وعن انس
قال يؤتى بابن ادم حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلق سعد فلان
سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وعند خفة كفة الحسنات اقبلت الزبانية وبايديهم مقامع من حديد وعليهم ثياب من نار فياخذون نصيب النار الى
النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة انه ينادي الله تعالى فيه ادم ع فيقول قم يا ادم فابعث بعث النار
فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ذلك
اشتد عليهم حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده
ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال ياجوج
وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيمة الا كالشامة في
جنب البعير او كالرقمة في جنب ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم

فقد عرفت خطر الميزان
وقوله وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية
وما ادراك ما هيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها
بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رض حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا
وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرايض الله ويرد المظالم
حبة بعد حبة ويستحل كل من كان تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة
ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا
يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلببه وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول ذكرتني
في الغيبة بما يسوؤني وهذا يقول جاورتني فاسات جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني
واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا
يقول وجدتني مظلوما فما نصرتني وكنت قادرا على دفع الظالم فداهنت الظالم فما راعيتني فبينما انت كذلك وقد انشب
الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في جميع عمرك احد ممن عاملته
على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم
ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله اليوم تجزى كل
نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله به على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك
وما اشد حسرتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز
مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك

عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس عندنا يا رسول الله من لا درهم له
ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم
هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه
ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس تسلم لك حسنة سلمت من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت
واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل
لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيات من
اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء وروى ابو ذر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا اباذر اتدري فيما تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي
بينهما يوم القيمة وقال ابو هريرة رض في قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق
كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله عز وجل ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك
حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول
اين حسناتي فيقال نقلت الى صحائف خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيات طال في الصبر عنها نصبك واشتد
بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيات ما قارفتها قط فيقال لك هذه سيات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم
بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود رض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد ايس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك بالمحقرات وهي
الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما يزال عبد
يجيء فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فلا يزال كذلك حتى لا يبقى من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل
سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب
ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان في الدنيا
بيننا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا
يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم فيه للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الله العباد عراة حفاة غرلا بهما قلنا يا رسول الله ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه
من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل
النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله
عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيات فاتقوا عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق
قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله عز وجل خاصة المغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم العباد
وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال اربابها فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص
بحيث لا يطلع عليه الا الله تعالى فعسى يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد
عنهم كما روى عن انس رض قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك

يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان جثيا من امتي بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط
اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك ولم يبق من حسناته شيء فقال
يا رب يحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس
الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع راسك فانظر في الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مدائن من
فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ فيقول لاي نبي هذا ولاي صديق هذا ولاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن
قال يا رب ومن يملك الثمن قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه قال الله عز وجل خذ
بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك انما ينال ما عند الله بالتخلق باخلاق الله سبحانه وتعالى
وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق المحمودة فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف الله لك حتى
عفى عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضى وعدت
بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق
كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ
من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين
يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها
ابدا افترى ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك
وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة
في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله وخرجت من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة
وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء فلا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود
وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك تتناولك الزبانية
وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بغلظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بنواصيك يسحبونك على وجهك
على ملاء من الخلق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعو
اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح
مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب واحد او بغيبة خفية من عباد الله او طلبا للمكانة
في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله تعالى في الدنيا
المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملاء العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بايدي
الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك وانت بعد لا تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط
ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تبارك وتعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون والناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار
احد من السيف وادق من الشعر من استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن
الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع

بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان
تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط
الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم
الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف
ينكسون فتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه
فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون
والرسول عم يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق
فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت يا ويلاه اما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ
بالله وينادي المنادي اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن
عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بها فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت بها مؤمنا
وعنها غافلا وبالاستعداد لها متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك على السعي
في طلب رضى الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطرك في الجواز وان
سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجيز بامتي
من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا
يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجوا وقال ابو سعيد الخدري رض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى
جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر عليه مثل البرق ومنهم من يمر عليه كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى
ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبوا حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا
يموتون ولا يحيون واما ناس يؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء
ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول لهم ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر
اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نورا اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة
بيمينه ومنهم من يعطى نورا اصغر من ذلك حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفأ اخرى فاذا
اضاء قدم قدمه ومشى واذا طفا قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق
ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل
حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويعلق يدا ويجر رجلا ويعلق رجلا وتصيب جوانبه
النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد
اذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك رض سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط

كحد السيف واحد الشعر وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبرائيل عم لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات
يومئذ كثير فهذه احوال الصراط وعظائمه فطول فكرك فيه فان اسلم الناس من اهوال يوم القيمة من اطال فكره فيها في الدنيا فان
الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك
ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لعبك ولهوك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف من شيء هرب
منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله ويحثك على طاعة الله وابعد من رقة النساء خوف الحمقى
اذا سمعوا الاهوال سبقت السنتهم الى الاستعاذة استعذنا بالله نعوذ بالله يا سلام سلم وهم مع ذلك مصرون على
المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا
رأى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعيذ بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك
بلسانه وهو قاعد في مكانه واني يغني ذلك عنه من السبع وكذلك اهوال القيمة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله
صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق
في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته
متشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم شيئا فتنجو
بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم انه اذا حقت النار على طوايف من
المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له
عند الله جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة
الشافعين وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله
عز وجل ولا تستصغر معصية اصلا فان الله خبأ غضبه وسخطه في معاصيه فلعل مقت الله فيها ولا تستحقر طاعة
اصلا فان الله خبأ رضاه في طاعته فلعل رضا الله فيها ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة وما يجري
مجراها وشواهد الشفاعة في القران والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال عمرو بن العاص
رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك
غفور رحيم وقول عيسى عم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه وقال امتي امتي
ثم بكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك فيهم وقال صلى الله عم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى امته خاصة وبعثت
للناس كافة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته ادم
فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة فاريد ان اختبئ شفاعتي لامتي يوم القيمة وقال ابن عباس رض قال النبي
صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث
بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله تعالى يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم

فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحكى ان ما لكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب
ربك فى امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم انى لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو
هريرة رض اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فدفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال انا سيد الناس
يوم القيمة وهل تدرون لم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم
عليكم بادم عم فياتون ادم عم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا
لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم ادم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فياتون
نوحا عم فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وانه كانت منى دعوة دعوتها
على قومى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابرهيم خليل الرحمن فياتون ابرهيم عم فيقولون انت نبى الله وخليله من
اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله وانى كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فياتون موسى عم فيقولون يا
موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وانى قتلت نفسا ولم اومر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى
غيرى اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى عم فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت
الناس فى المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولم يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فياتون
محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا والمرسلين وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فاتى تحت العرش فاقع ساجدا لربى عز وجل ثم يفتح الله على من
محامده وحسن الثنا عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعط واشفع تشفع فارفع
راسى فاقول امتى امتى يا رب فيقول يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذى نفسى بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير
وكما بين مكة وبصرى وفى حديث اخر هذا السياق مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله فى الكوكب هذا ربى وقوله لالهتهم
بل فعله كبيرهم وقوله انى سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاحاد امته من العلما والصالحين شفاعة
ايضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتى اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم
يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع فى القبيلة واهل البيت والرجل والرجلين على قدر عمله وقال
انس رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة ليشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل
النار فيقول له يا فلان هل تعرفنى فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذى مررت بى فى الدنيا فاستسقيتنى

شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لى بها عند ربك فيسال الله تعالى فيقول انى اشرفت على اهل النار
فنادانى رجل من اهلها فقال هل تعرفنى فقلت لا من انت فقال انا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع
لى بها فشفعنى فيشفعه الله تعالى فيه فيومر به فيخرج من النار وعن انس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدى وانا اكرم
ولد ادم على ربى ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق
يقوم ذلك المقام غيرى وقال ابن عباس جلس اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا
دنا منهم فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا
وقال اخر ماذا باعجب من كلام الله تعالى موسى كلمه تكليما وقال اخر وعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر وادم اصطفاه الله
فخرج عليهم وسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم لا تعجبوا ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك
وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم
القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فادخلها ومعى
فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة
خص الله تعالى بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجوا ان يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه
وفى الاخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا قال انس اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه
متبسما فقالوا له يا رسول الله مم ضحكت فقال انه نزلت على انفا سورة وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر
حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربى تعالى فى الجنة عليه خير كثير
عليه حوض ترد عليه امتى يوم القيمة انيته عدد الكواكب وقال انس رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير
فى الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللولو المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى اعطاك ربك فضرب الملك
بيده فاذا طينته مسك اذفر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتى حوضى مثل ما بين صنعا والمدينة او مثل ما بين
المدينة وعمان وروى ان عمر لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال النبى صلى الله عليه وسلم هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب
شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجرى على جنادل اللولو والمرجان وقال ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضى ما بين عدن الى عمان البلقاء ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل واكوابه عدد نجوم السما من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين
فقال عمر بن الخطاب رض ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث روسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم
ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لى ابواب السدد الا ان
يرحمنى الله لا جرم لا ادهن راسى حتى يشعث ولا اغسل ثوبى الذى على جسدى حتى يتسخ وعن ابى ذر قال قلت يا رسول الله
ما انية الحوض قال والذى نفسى بيده لانيته اكثر من نجوم السما وكواكبها فى الليلة الظلما والمصحية من شرب منه
لم يظما اخر ما عليه يصب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة وانى لارجو

ان اكون اكثرهم واردا فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون من جملة الواردين وان لا يكون في جملة المردودين
وليحذر ان يكون متمنيا او مغرورا او موقنا انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها ثم جلس يرجو
فضل الله تعالى للانبات ودفع الصواعق الى وقت الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ
يرجو فضل الله تعالى ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق
وهو غرور للحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في وصف جهنم وانكالها واهوالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء دع التفكر فيما انت مرتحل عنه
واصرف فكرك الى موردك فانك اخبرت ان النار مورد لجميع الخلق قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول
ذلك المورد واهوال جهنم فعساك تستعد للنجاة بالتشمير لاعمالها وتامل في احوال الخلائق وقد قاسوا من دواهي
القيمة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها واقفين ينظرون حقيقة انبائها وتشفع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات
ذوات شعب واطلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فايقن المجرمون عند
ذلك بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا اين فلان ابن
فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم
التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا
ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير فشرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم
الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت
وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في اطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد
يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم
من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا
في جنب الله يتاسفون فلا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من
تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات
النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون
بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود وتهشم بالمقامع جباههم فيتفجر الصديد من افواههم وتنقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود
احداقهم وتسقط من الوجنات لحومها وتتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها وعريت من اللحم عظامهم فتبقى الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك
يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد اسودت وجوههم اشد سوادا من الحممة واعميت ابصارهم وابكمت
السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم

واقدامهم وهم يمشون في النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم
وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم فانظر الان في تفصيل اهوالهم
وتفكر اولا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعين الف
شعب في كل شعب سبعين الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن او وادي الحزن
قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وشعاب اوديتها
وهي بحسب اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض
الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها
كما انه لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فكذلك لا ينتهي هاوية في جهنم
الا الى هاوية اعمق منها وقال ابو هريرة رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم
انظر الى تفاوت الدركات فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر
كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا يترادف
انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد جزء معلوم بقدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت
له الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا ينتعل بنعلين
من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار
فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان
اشد عذابا في الدنيا عذاب هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قال ان نار
الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم
فقال اوقدت على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين
نفس في الشتاء ونفس في الصيف اشارة الى حر الصيف وبرد الشتاء من نفسها وقال انس بن مالك يؤتى بانعم الناس
عيشا في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة فيقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس
ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد
مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار قال لفحتهم لفحة واحدة
فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقوا فيه وهو
الغساق وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الدنيا
فهذا شرابهم ومهما يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها

الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم
يوم الدين وقال ايضا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين ثم قال ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى
نارا حامية تسقى من عين آنية وقال ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه
ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله وخافوا مما خوفكم الله من عذابه وعقابه ومن
جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها لحلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي
انتم بها لخبثتها عليكم وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من
العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون
بطعام ذي غصة وعذاب اليم فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع
اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا ادنا من وجوههم شوى وجوههم فاذا دخل بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيدعون
خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا
وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم
انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد
خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم
اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل قال ابو امامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني
منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع
امعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا فهذا طعامهم وشرابهم
عند جوعهم وعطشهم فانظر الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها وقد
سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول
انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد
حمتها اربعين خريفا وفيها عقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حمتها اربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب
انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي تلك الحيات فلم تمثل له
ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام اهل النار فان الله تعالى يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم بسبب ذلك
فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائهم دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث ليال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته
السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة

يتواطاه الناس مع عظم الاجسام كل ذلك تحرقهم النار مرات فيجدد لحومهم وجلودهم وقال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا فتفكر الان في بكاء اهل
النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول القائهم النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم
يوم القيمة لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل
النار البكاء فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما
دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيها مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد
ابن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ويقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله
تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما
ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك
غاية شدة العذاب قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا
مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة اخرى ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت
يوم القيمة كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا اهل النار خلود ولا موت فيها وعن الحسن قال
يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل وروي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي
قال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف جهنم على الجملة وتفصيل همومها وعذابها ومحنها وحسراتها لا نهاية
له واعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم
باعوا كل ذلك لا بثمن بل بثمن دراهم معدودة اذ لم يبيعوه الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت
مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلايل
ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا ايامنا وبقينا الان في جوار الرحمن متنعمين بالرضى والرضوان فيا حسرة هؤلاء وقد فاتهم
ما فاتهم وبلوا بما بلوا ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيمة بناس من اهل النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها
ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون
والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان
اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف
ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وركنتم الى الناس ولم تركنوا الي فاليوم اذيقكم العذاب
الاليم مع ما حرمتكم من الثواب وقال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ولا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم
من بدن صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النيران يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري

على حر نارك ولا صبر لك على صوت دحمك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان النار خلقها الله
تعالى باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ولعمرى الاشارة الى يوم القيمة ولكن ما قضى الله الامر يوم القيمة بل في ازل الازل ولكن اظهر يوم
القيمة ما سبق به القضا فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى ان القضا بماذا سبق في
حقك فان قلت فليت شعرى الى ماذا موردى والى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضا في حقى فلك علامة تستأنس
بها وتصدق رجاك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك
مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا ويحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضى
عليك بالنار فان دلالة هذا الامر على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار
لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين

القول في صفة الجنة واصناف نعيمها

هذه الدار التى عرفت غمومها وشرورها تقابلها دار اخرى فتأمل نعيمها وسرورها
فان بعد من احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستدع الرجا بطول
الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وزمام الرجا الى الصراط المستقيم فبذلك تنال
الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين
على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقرى الاخضر متكئين على ارائك منصوبة
على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت
والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل اعطافها سبعون الفا
من الولدان عليها من طرايف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللة بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات
عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت في وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين
ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا
يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك
الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون
لهم فيها ما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون وياكلون من اطعمتها
ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران
ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واى اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت
والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج بماء السلسبيل العذب كوب يشرق نورا من صفاء جوهرته يبدو الشراب من
ورائها برقته وحمرته لم يصنعه آدمى فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صياغته في كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس في
اشراقها ولكن اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه
لا يموت اهلها ولا تحل الفجايع بمن نزل في فنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله
في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وساير اصناف الحدثان

لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها ولا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورتها فكيف واهلها ملوك آمنون في انواع السرور
متمتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم في فناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من
اللذة ما لا ينظرون معه الى ساير نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون وهم من زوال هذه
النعم آمنون وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان
تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم
الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرا من قوله ولمن
خاف مقام ربه جنتان الى آخر السورة واقرا سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من
الاخبار فتامل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبريا على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان النار
بحسب اصول المعاصى قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعى من ابواب
الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعى من ابواب الصلاة ومن كان من اهل الصيام دعى من باب الريان ومن كان
من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد ضرورة من
ايها دعى فهل احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن على رض انه ذكر الجنة فعظم امرها ذكرا
لا احفظه ثم تلى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها
عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهب ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى
فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير اشعارهم ابدا ولم تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى
خزنة الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا
بحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر بما اعد الله لك من الكرامة قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض
ازواجه من الحور العين فيقولون قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به في الدنيا فيقولون انت رايته فيقول انا رايته
وهو باثرى فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل
اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله
عز وجل قدره لالم ان يذهب بصره ثم يطاطي راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة
ثم اتكوا فقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون ابدا
وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيمة باب الجنة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وتامل الآن في غرف الجنة واختلاف
درجات العلو فيها فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة
المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد
بطاعة الله تعالى فقد امرك الله تعالى بالمسابقة والمنافسة فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك وجيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء لثقل ذلك عليك وضاق به ذرعك وتنغص بسبب
الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطايف لا توازيها الدنيا
بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب
الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي
نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترى النجم الطالع في الافق
من افاق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف اهل الجنة قال
قلت بلى يا رسول الله بابينا انت يا رسول الله وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف
قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال
امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه السلم فقد افشى السلم ومن اطعم اهله وعياله من الطعام
حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشا الاخرة
وصلاة الفجر في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لولو في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون
بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت
سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة فيعطى المومن في كل غداة يعني من القوة
ما ياتي على ذلك اجمع

صفة حيطان الجنة وارضها واشجارها وثمارها وانهارها

تامل في صور الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها القناعة بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان حايط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك خالص وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضا مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سره ان يسقيه الله الخمر في الاخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الاخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة
تنجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما عليه الله عز وجل
في الاخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب
في ظلها ماية عام لا يقطعها فاقروا ان شيتم وظل ممدود • وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسايلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى ان في الجنة شجرة موذية
وما كنت ارى ان في الجنة شجرة توذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس كما ظننت لم تسمع قول الله تعالى في سدر
مخضود خضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم انفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه
الاخر • وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نايم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق
بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع
لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة هل تدري ما الظلمات يوم القيمة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا

اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجد قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللولو
والذهب واعلاها الثمر

صفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم [illegible]

قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير والايات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار
فقد روى ابو هريرة رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يباس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وفي الجنة
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اخلق تخلق ام نسج
ينسج فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل
سال عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين • وقال ابو هريرة اول زمرة تلج الجنة
صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها انيتهم وامشاطهم من الذهب
والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من ورا اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض
قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية انه على كل زوجة سبعون حلة • وقال صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لولوة فيها تضي ما بين المشرق والمغرب وقال
صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السما ستون ميلا في كل زاوية منها للمومن اهل لا يراهم الاخرون رواه البخاري
في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السما والارض

صفة طعام اهل الجنة

بيان طعام اهل الجنة مذكور في القران من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى
والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل
واتوا به متشابها وذكر الله عز وجل شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود باسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعني
على الصراط فقال فقرا المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فما غذاهم
على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال
صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل
الجنة ياكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي
نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة ماية رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهود فان الذي ياكل ويشرب تكون له
الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ظهر وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها الذي ياكلها وانت
ممن ياكلها يا ابا بكر • وقال ابن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين الف صحفة
من ذهب كل صحفة فيها لون ليس هو في الاخرى • وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
قال يمزج لاهل اليمين ويشربها المقربون صرفا • وقال ابو الدردا في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل

الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها

صفة الحور العين وازواجهن

قد ذكر في القرآن اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيهم روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم وموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو
ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت وملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها يعني
الخمار وقال ابو سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهه في صدرها اصفى
من المراة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقيها من
وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيذخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد
الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء فقال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن
ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى ازواج مطهرة قال من الحيض والبول والغائط والبصاق
والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار وقال جبريل يا رسول الله ايباضع اهل
الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى
معه الف خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء واربعة
آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع
ولا شراء الا الصور من الرجال فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمعا من الحور العين يرفعن باصوات لم يسمع
الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له
وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى فهم في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة
يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل
الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان
ولكن بتحميد الله وتقديسه

بيان جمل معرفة من اوصاف الجنة وردت به الاخبار

روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة
تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة
قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل ان
الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان فيسير سرير ذا الى سرير ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما
في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر كذا في مجلس كذا فدعونا الله فغفر لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون
ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا عرض سبعة اذرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون

الف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى
صنعاء وان عليها التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم
نظرت الى الجنة واذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها
جارية فقلت يا جارية لمن انت فقالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال كعب خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده
ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها
تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها لمن ماء غير
آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين
لا تسفه الاحلام ولا تصدع منه الرؤوس وان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ملوك ناعمون ابناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد امنوا
العذاب واطمأنت الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها
وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم
فيها لخيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم من الحور العين
كانهن بيض مكنون وان المراة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقيها من السبعين
حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما
جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل بكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو
وان آخر من يدخل وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة
وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليه بسبعين الف صحفة
من ذهب ويراح عليه بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى ويجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان
في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال
مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم
الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده
ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف
وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا
شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وطلب
الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى والله اعلم

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى عز وجل

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ومعنى الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي

يلتذ فيها بنعيم الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لذلك الكتاب والسنة على
خلاف ما تعتقده اهل البدعة • قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان
استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين • روى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يشتهي ان ينجزكموه قالوا وما الموعد الم
يثقل موازيننا الم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى
وجه الله عز وجل فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه • وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة
وهذه غاية الحسنى ونهاية النعيم وكلما فصلناه من النعيم عنده ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند
سعادة اللقا منتهى ولا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لقاء الله وقد اوجزنا الكلام ههنا لما فصلناه
في كتاب المحبة والشوق والرضى فلا ينبغي ان تكون همة العبد من الجنة شيئا سوى لقاء المولى
فاما سائر نعيم الجنة فانه تشاركه فيه البهيمة المسرحة في المرعى ٥ والله تعالى اعلم

باب في سعة الرحمة نختم به الكتاب على سبيل التفاؤل به

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل وليس لنا من الاعمال ما نرجوا به المغفرة فنقتدي
برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجوا ان يختم عاقبتنا بخير في الدنيا والاخرة كما ختمنا الكتاب
بذكر رحمة الله فقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء • وقال تعالى قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر من كل ما زلت به القدم
وطغى به القلم في كتابنا وسائر كتبنا ونستغفر من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفر مما ادعيناه واظهرنا
من العلم والبصيرة بدين الله مع التقصير فيه ونستغفر من كل علم وعمل قصدنا به وجه الكريم ثم خالطه غيره
ونستغفر من كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا عن الوفاء به ونستغفر من كل نعمة انعم علينا بها فاستعملناها
في معصية ونستغفر من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفر من كل خطرة
دعتنا الى تكلف وتصنع تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او شهدناه او استفدناه
ونرجوا بعد الاستغفار من جميع ذلك لنا ولمن طالع كتابنا او سمعه ان يكرمنا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات
ظاهرها وباطنها فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فايض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة
لنا الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة بين الجن والانس
والبهائم بها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة • ويروى انه اذا كان

يوم القيمة اخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثل اهل
الجنة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله لنا يوم القيمة ضاحكا فيقول ابشروا يا معشر المسلمين فانه
ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا • وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى ادم
يوم القيمة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة الاف الف • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يقول يوم القيمة هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول
قد اوجبت لكم مغفرتي • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في
مقامي • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال
الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم اذ كنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب
فاخذنا بها فيسمع الله تعالى ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فلما راى ذلك الكفار
قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة بولدها • وقال جابر بن عبد الله
من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته
يوم القيمة فذلك يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق
نفسه واثقل ظهره • ويروى ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي
وجلالي لو استغاث بي لاغثته ولعفوت عنه • وقال سعد بن بلال يومر يوم القيمة باخراج رجلين من النار فيقول
الله تعالى ذلك بما قدمت يداكما وما انا بظلام للعبيد ويومر بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها
ويتلكا الاخر فيومر بردهما ويسالهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد خبرت من وبال المعصية ما لم اكن
اتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكا حسن ظني بك يا رب كان الذي يشعرني ان لا تردني اليها بعد ما اخرجتني منها
فيامر بهما الى الجنة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان
لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي • ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس
يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها فقال
ابن عباس خذوها من غير فقيه • وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال مهلا لم
تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف
احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله حرم الله عليه النار • وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص
رجلا من امتي على رؤس الخلائق فينشر تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمتك كتبتي
الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم
فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
قال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا

يثقل مع الله شيء ۞ وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله تعالى يقول
للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا فيقولون ربنا
لم نذر فيها احدا امرتنا باخراجه ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا مما امرتنا باخراجه ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني
بهذا الحديث فاقرؤوا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما
تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر اخضر ما يكون الى الشمس وما يكون الى الظل اصفر
فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة فيقولون
هؤلاء عتقاء الله ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم فهو لكم فيقولون ربنا
اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا واي شيء افضل
من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن
ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر النبي ومعه الرجل
والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي ومعه الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل
لي هذا موسى عليه السلام وقومه ثم قيل انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل انظر هكذا وهكذا فرايت
سوادا كثيرا فقيل لي هذه امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكنا امنا بالله ورسوله
هؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال انا منهم يا رسول الله فقال نعم ثم قام اخر فقال انا منهم يا رسول الله فقال
سبقك بها عكاشة ۞ وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا
يخرج الينا الا للصلاة المكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا قلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى
ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب
عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة ايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين
الفا سبعين الفا قال وقلت وتبلغ امتي هذا قال اكمل العدد من الاعراب ۞ وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عرض جبريل عليه السلام في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة
فقلت يا جبريل وان سرق وان زنا قال وان سرق وان زنا قلت وان زنا وان سرق قال نعم وان سرق وزنا وشرب
الخمر قال ابو ذر قراه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق وان رغم
انف ابي ذر ۞ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل

له هذا فداؤك من النار ۞ وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي
موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل من المسلمين الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا
فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلف له ۞ وروي انه وقف صبي في بعض المغازي فصيح عليه في من يزيد في يوم صايف شديد
الحر فبصرت به امراة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته
الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا
ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم
فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق
المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجا تبشرنا
بسعة رحمة الله عز وجل ۞ فنرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ۞ ويتفضل علينا بما
هو اهله بمنه وكرمه ۞ وسعة جوده ۞ انه كريم حليم ۞ جواد رحيم ۞ تم الكتاب بحمد الله
وعونه ۞ وحسن توفيقه ۞ وكان الفراغ منه رابع عشر شهر جمادى الاخر سنة احد
وثمانين وتسعمائة ۞ على يد العبد الفقير الحقير ۞ الراجي عفو ربه القدير ۞
والمؤمل لطف ربه الخفي ۞ يحيى سبط الشيخ نور الدين المصفي لكونه
قليل البضاعة من العمل ۞ لكنه حسن الظن والامل بخير مظنون
به ومامول ۞ فانه غني عن اعمال العباد ۞ كريم جواد
فانه لا يدخل احد الجنة بعمله ۞ الا بجوده وكرمه
كما ورد في الحديث الصحيح اللهم اغفر لنا
ولوالدينا ولمشايخنا ولكل المسلمين ۞
وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه
تم
۞